

تأليف

تحفة السيد

في

شرح نهاية التدریب

للعلامة شهاب الدين أحمد بن حجازي الفسني
المؤلف بعد عام ٩٧٨ هـ

بإياد

قاسم الشوري

تصدير :

أحمد الله الحقّ ذا الجلال والإكرام ، وأصلي وأسلم على رسوله محمد ﷺ خير الأنام ، وآله وأصحابه والتابعين له بإحسان .

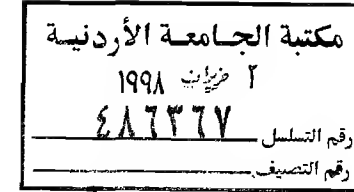
أما بعد : فإن المبتدئين من أبناء هذا الزمان قد شغفوا بكتاب « غاية التفریب » للقاضي أبي شجاع ، وهو مؤلف غزير الفوائد ، جمّ العوائد ، له القدح المعلن ، والحظّ الأسمى ، اختصر فيه جملة الأحكام ، وشمل منها أكثر الأقسام ؛ فاستحق صرف الهمة إليه ، وإكباب الناس عليه .

نظمه الشرف العمريّ مستوفياً لدقيق معانيه ، ومراعياً حسن النظم ، وجودة السبك مع صغر الحجم ، فتلقاه طلاب الفقه درساً وحفظاً ؛ فاحتاجوا مراجعة بعض الكتب لتذليل صعابه - والمراجعة لا تنأى لكل أحد ، ولا في كل وقت - فشرحه العلامة الفشني وسمّاه : « تحفة الحبيب » حيث لخص فيه من كتب السابقين والمعاصرين المقدمين فقه روح الشريعة ، وأضفى عليه الكثير من أدلة الكتاب والسنة والفوائد .

ثم إن حاجة الناشئة من طلاب العلم لهذا النظم رغبت العلامة محمد حسن حنكته الميداني بأن يصححه ويعلق عليه تعليقات جليّة أفادها من كتب فقه الشافعية المعتمدة .

وأخيراً طلب إليّ أحد الأعزة عليّ الذين يقرؤون « تحفة الحبيب » أن أصلح أخطاءه^(١) وأحقق نصوصه ، فأجبت - بعد أن شرح الله جلّ شأنه لذلك صدري - مستعيناً بالله تعالى وسائلاً توفيقه لعمل يكون لحقّ الكتاب موفياً ، ولما يرومّه طالبيه كافياً ، وللحقيقة مطابقاً ، ولأتابع عملاً بدأ به جيّ وأستاذي الذي منحني من علمه وفضله وتشجيعه وتوجيهه ما بصّرني بأمور الحياة الدينية والعملية ، فكانت حياتي معه هي الحياة الحقيقية ، فله مني جزيل التقدير ، وعظيم الامتنان ، وخالص الشناء ، كما أسأله تعالى أن يكافئه والدي وأصحاب الحقوق عليّ ﴿ في جنّاتٍ ونَهَرٍ في مقعدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

(١) وهي تصحيح أو تحريف أو سقط ، مما جعلني أرغب في « تهذيبه » حتى لا أقول على المؤلف ما لم يقل .



٢١٤/٢
ص ١

حقّرة الجمع محفوظة للناس
الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

الناشر: مسامع الرجال هـ : ٨٨١٦١٤٠

* أبو شجاع وكتابه :

هو القاضي العلامة المدقق، الإمام الناسك، الفقيه الصالح، المحسن التقى المعمر.

شهاب الدين أحمد بن الحسن بن أحمد الشافعي العبّاداني الأصفهاني. ولد سنة

٤٣٤ للهجرة بالبصرة، روى عنه الحافظ السلفي وقال: هو من أولاد الدهر.

قال عنه في «معجم البلدان» عاش ما لا تحقّقه وذلك بعد الخمس مئة، درّس بالبصرة أزيد من أربعين سنة في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

قال أبو شجاع: والذي مولده بعبّادان، ومولد جدي بأصبهان.

وقال الديري: إنه عاش مئة وستين سنة، والله تعالى أعلم. وقيل: لم يمتثل له عضو من أعضائه، فقليل له في ذلك؟ فقال: ما عصيت الله تعالى بعضو منها في الصغر فحفظها الله عليّ في الكبر.

اشتهر صيته في الآفاق بالعلم والورع، وانتفع به خلائق، ثم ولي سدة القضاء فصّده بالحق وحكم بالعدل، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكان من المقسطين. وفي آخر أيامه زهد في الدنيا، واستوطن المدينة المنورة، وعمل في خدمة الحرم النبوي الشريف.

ولما وافته المنية دفن بمسجده الذي بناه في منزله عند باب جبريل^(١) عليه السلام ورأسه قريب جداً من الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ورضي الله عن صاحبيه الكرام.

* «معجم البلدان» ٤/ ٧٤، «طبقات الشافعية» للسبكي ٦/ ١٥، «طبقات ابن فاضي شهبة» ٢/ ٢٩، «كشف الظنون» ص: ١١٨٩ و ١٦٢٥، «هنية المعارف» ١/ ٨١-٨٢، «معجم المطبوعات» ص: ٣١٨، «تحفة الحبيب» على شرح الخطيب للبحراني ١/ ١٢-١٣، «حاشية البيهقي» على شرح ابن قاسم الغزي ١/ ١٠، «الأعلام» للزركلي وفيه وفاته ٥٩٣ هـ، «معجم المؤلفين» ١/ ١٩٩، مخطوطات الموصّل ص: ٨١.

(١) أحد أبواب المسجد النبوي الذي يلي الحجرة الشريفة من الجهة الشرقية.

آثاره العلمية :

- شرح «الإقناع» لقاضي القضاة أبي الحسن الماوردي.

- «غاية الاختصار»، أو «غاية التقريب».

أما «غاية الاختصار» فهو من أجمع وأبدع ما صنف في فقه الإمام الشافعي، سهّل على طلاب الفقه فهم وحفظ الأحكام الشرعية، لذلك عُني العلماء به قديماً وحديثاً فمن شارح، ومن ناظم، ومن مصحح، ومن جامع لأدلته، ومن محقق لتصرّوه.. هذا وإن دلّ على شيء فإنه يبرهن على غزارة علمه، وانتقاء ألفاظه، وصدق إخلاص مؤلفه.

فمن شراحه :

- أبو بكر بن محمد الحصري الدمشقي المتوفى ٨٢٩ هـ - وكتابه: «كفاية الأخيار». مشهور متداول.

- أحمد الأخصاصي المتوفى ٨٨٩ هـ - ومؤلفه: «شرح مختصر أبي شجاع».

- محمد بن قاسم الغزي المتوفى ٩١٨ هـ - وكتابه: «فتح القريب المحيّب» وعليه حواش كثيرة كالبهجوري والعزيزي والبرماوي وعمر نووي والقلبيوبي وهو كتاب مختصر ومتداول.

- أحمد بن محمد المتوفي المتوفى ٩٣١ هـ - وكتابه: «الإقناع»، وآخر اختصره به ونقحه وسمّاه: «تشنيف الأسماع بحلّ ألفاظ أبي شجاع».

- وليّ الدين البصير المتوفى بعد ٩٧٢ هـ - وكتابه: «النهاية في شرح الغاية» مطبوع حققه محمد محيي الدين عبد الحميد.

- محمد الخطيب الشربيني المتوفى ٩٧٧ هـ - وكتابه: «الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع». وعليه حواش للمدائني والأجهوري، والبحيرمي والنراوي، وتقريرات أيضاً للباهجوري والشيخ عوض، وهو من أكثر الشروح انتشاراً، واعتمد عليه الفسني في «تحفة الحبيب».

- أحمد بن قاسم العبّادي المتوفى ٩٩٤ هـ - وكتابه : « فتح الغفار بكشف غيآت غاية الاختصار » .

ومن نظمته :

- أحمد الإبيشيبي المتوفى ٨٨٣ هـ .

- عبد القادر بن المظفر المتوفى بعد ٨٩٢ هـ .

- أحمد ابن عبد السلام المتوفى ٩٣١ هـ .

- الدوسري المتوفى بعد ١٢٤٣ هـ - وسماه : « نشر الشعاع على متن أبي شعاع » .

- شرف الدين يحيى بن نور الدين موسى العمريبي المتوفى ٩٨٩ هـ وهو كاتبنا وأشهرها والمعروف من بينها .

ومن صححه :

- أبو بكر بن قاضي عجلون المتوفى ٩٢٨ هـ . وسماه : « عمدة النظر في تصحيح غاية الاختصار » .

ومن جمع أدلته :

- د. مصطفى البغا في كتابه : « التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب » .

ومن حققه :

- ماجد الحموي ، وكتابه : « متن الغاية والتقريب » .

هذا وقد تُرجم « غاية الاختصار » إلى الفرنسية عام ١٨٥٩م ، وإلى الألمانية سنة ١٨٩٧م وإلى غيرها من اللغات .

* العمريبي ونظمه :

العلامة المفضّل ، الفقيه الصالح الناصح ، الورع المتواضع ، شرف الدين يحيى بن نور الدين موسى بن رمضان بن عميرة العمريبي^(١) الشافعي الأنصاري الأزهري .

أحد علماء القرن العاشر ، كان أعجوبة في سلاسة وبساطة نظمته للعلوم الشرعية فإنه نظم مؤلفات قيمة حقق فيها وحلّق ، وأجاد ودقّق ، فمن هذه الكتب « الورقات » في الأصول لإمام الحرمين ، و « الآجرومية » في النحو ، و « تحرير تنقيح اللباب » في الفقه و « غاية الاختصار » وهو كتابنا فكان - كما قالوا عنه - سهل المبني ، ظاهر المعنى ، جيّد السبك ، كثير الفوائد لا يفتقر من وضوحه لشارح كما قال رحمه الله تعالى :

فجاء مثل الشرح في الوضوح وكنت فيه كالأب النصح

فحقاً إنه أفاد بجميع منظوماته طلاب العلم الشرعي ، فسَهّلَ عليهم استحضار العلوم ودلّلَ لهم عباراتها ، فكان بنظمه كما قيل في المثل : (عَمِلَهُ عَمَلٌ مِنْ طَبِّ مَنْ حَبَّ) فنهل طلاب العلم من علومه ، ثمّ قام جماعة من العلماء بشرح هذه الكتب وبيان دقائقها ليعظم نفعها ، وكان ذلك إبان حياته فجزاه الله تعالى عن المسلمين والمتنفعين به خير الجزاء ، وهو القائل - حقق الله مراده - في نظمته « نهاية التدريب » :

أرجو بذاك أعظم الثواب والنفع في الدارين بالكتاب

مؤلفاته :

- « الدرة البهية » في نظم « الآجرومية » أتم نظمها في عام ٩٧٠ هـ .

- « التيسير » في نظم « التحرير » آرّخ لإتمامه شهر رجب عام ٩٨٨ هـ .

- « تسهيل الطرقات » في نظم « الورقات » وآرّخ لنظمه ربيع الأول ٩٨٩ هـ .

* « هدية العارفين » ٢ / ٥٩٢ ، « معجم المطبوعات » ص : ١٣٨٥ ، فهرس المكتبة الأزهرية ٨٩ / ٧ ،

فهرس دار الكتب ١ / ٣٨٠ و ٢٥٠٣ ، « الأعلام » للزركلي ٨ / ١٧٤ و ١٧٥ ، شراح كتبه .

(١) عمريط : يفتح العين وكسرهما ، قرية من أعمال بلبس من نواحي الشرقية بمصر .

- « نهاية التدريب » في نظم « غاية التقريب »^(١) كذا سماه في آخره^(٢) ولم يشر لتاريخ نظمه .

وهذه الكتب الأربعة مشهورة ومتداولة بين أيدي طلاب العلم الشرعي .

هذا وإنني لم أقف على تأريخ مولده ، ولا لمدة حياته ، ولا لوفاته ، ولا لمعرفة شيوخه وتلاميذه . ولعلّ هذا يدلّ على انطوائه لكن نوه صاحب « تحفة الحبيب » بوجوده وقت شرحه فقال في مقدمة كتابه : حفظه الله تعالى بما حفظ به أوليائه الكرام ، ولحظه بما لحظ به أصفياه ... ثم قال : أعلى الله درجته دنيا وأخرى ، ثم قال عنه في باب السواك : لطف الله به ، ثم قال في كتاب الصلاة : أعلى الله درجته ، والظاهر كما نقل مترجموه أنّ وفاته بعد عام ٩٨٩ هـ لما أشار به لإتمام نظم « تسهيل الطرقات » السالف الذكر رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

* الفَشنِي^(١) :

هو العلامة الفاضل والمربي الكامل أحد رجالات القرن العاشر المشتغلين بالحديث والفقه ، صاحب التحقيقات الشريفة ، والتأليف النافعة المفيدة ، شهاب الدين الإمام أحمد بن حجازي بن بُدير الفَشنِي الشافعي أحد الفقهاء المبرزين ، والعلماء المحصلين ، الذين بذلوا جهدهم في تدعيم قواعد رسالتهم بالدعوة إلى العلم الصحيح ، والنصيحة لهذه الأمة المحمدية ، وكتابه هذا جمع فيه بين مضمون المؤلف القديم والحديث حيث صاغه بأسلوب سهل لطيف قريب التناول .

شيوخه الذين نقل عنهم في كتابه « تحفة الحبيب » :

- الشهاب الرملي صاحب « نهاية المحتاج » المتوفى ١٠٠٤ هـ .

- شمس الدين الخطيب الشربيني صاحب « مغني المحتاج » و « الإقناع » المتوفى ٩٧٧ هـ .

آثاره العلمية :

— « تحفة الحبيب » وهو كتابنا هذا نضد لأول مرة في المطبعة الميمنية عام ١٣١٤ هـ ، ثم في عام ١٣٤٧ هـ ، ثم عام ١٣٩٩ هـ^(٢) .

* ترجم له « إيضاح المكنون » ٤٢٩ / ٢ و ٦٠٢ ، « معجم المطبوعات » ص : ٩٧٨ ، « الأعلام » ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، و « معجم المؤلفين » ١ / ١٨٨ ، و « فهرس التيمورية » ٢ / ٢٣٣ ، و « خزائن الأوقاف » ص : ٨٤ ، و « فهرس الأهرية » ٤ / ٢٩٦ .

(١) ذكر النسبة السمعاني في « الأنساب » ٣٠٩ / ٩ ، وابن الأثير في « اللباب » ٤٣٣ / ٢ (الفَشنِي) بفتح الفاء وسكون الشين نسبة إلى (قَشَنَة) قرية من قرى بخارى ، منها أبو زكريا يحيى بن زكريا بن صالح الفَشنِي البخاري . لكن نحن بصدد ما ذكره ياقوت في « معجم البلدان » ٤ / ٢٦٧ : أن الفَشن قرية بمصر من أعمال البهنساء وتعد مركزاً إدارياً لمحافظة بني سويف ، وحدد الأطلس الجغرافي موقعها في جنوب الفيوم ، شمال أسوان على جانب نهر النيل .

(٢) وهذه النسخ الثلاثة هي التي اعتمدت عليها في إخراج هذه النشرة .

(١) قال : نظمته مستوفياً لعلمه مُسهلاً لحفظه وفهمه

إلى آخر مقدمته التي بين فيها منهجه في نظم هذا الكتاب وما أضافه إليه من فوائد قيمة .

(٢) قال في آخر النظم :

وتم نظم غاية التقريب سميته نهاية التدريب

المصحح المعلق :

هو العلامة الشيخ محمد حسن بن مرزوق بن عرابي جنبكه الشهير بالميداني .
ولد الشيخ رحمه الله تعالى عام ١٩٠٥م في حي الميدان - من دمشق الشام - المعروف
بنبله وإبائه ، وكرمه ووفاته وتدينه ، فكان لذلك أثر على نشأته ، وكان البيت الذي ربي
فيه بيت دين وفضل وخلق وورع . فقد كان والده الحاج مرزوق رحمه الله رجلاً نبيلاً
عابداً معمرأ قليل مخالطة الناس ، يودي واجباته في صمت ، يعمل الخير في ذأب وسير ،
مثال المؤمن الصادق الأمين الوقور التقى الخفي . وكانت والدته أم حبيب ذات صلاح
وإحسان .

كان الشيخ إمام هدى ، صداعاً بالحق ، يحكي سيرة العلماء العاملين ، له مواقف
كالعز بن عبد السلام والنواوي سطرها التاريخ ، منحه الله تعالى ذكاء وقادراً ، ولساناً
بليغاً ، ولغة سليمة ، وأدباً رفيعاً يسترعي الألباب ، ذا حنكة ودربة ، جمع الله له بين
عمق التفكير وسهولة التعبير وسرعة البديهة ، فكانه استجمع البلاغة من مواردها ، يخيل
إليك أنه يغرف من بحر .

كان رحمه الله مهيباً وقوراً كساه الله الجلال والجمال ، تحبه العيون ، وتجله
القلوب ، كريماً معطاءً ، شغوفاً بالتعليم وبذل النصيحة ، مثال المجاهد الصادق ، والعالم
الأمين ، والمؤمن الغيور ، يعرف للجميع حقوقهم ، ويُنزل الناس منازلهم ، ويعامل كلاً
كما يجب أن يعامل .

كان عفيف اليد ، يرضى بالقليل ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به ، لم يُعرف أنه
تطامن لأجل منصب ، ولا طأطأ لأجل مال ، وكم كان يردد :

ليكن بربك كلُّ عِزٍّ ك يستقرُّ ويثبتُ

فإذا اعتززت بمن يمُو تْ فَإِنَّ عِزَّكَ مِيت

- « تحفة الإخوان في علم الفرح والأحزان » مخطوط موجودة في المجموعة
(١٠٦٢) ك بالرباط.

- « تحفة الإخوان في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان » طبع بمصر
١٢٩٧ هـ .

- « القلادة الجوهريّة في شرح نظم الآخرومية » .

- « مواهب الصمد في حلّ ألفاظ الزبد » طبع مرات أولها في هامش « غاية
البيان » عام ١٣١١ هـ .

- « المجالس السنية في الكلام على الأربعين النواوية » فرغ منه عام ٩٧٨ هـ
متداول .

- « الابتهاج في شرح نظم فرائض المنهاج » ذكره في « تحفة الحبيب » في كتاب
الفرائض .

- « غاية المرام » في بيان المكفّرات ذكره في « تحفة الحبيب » في باب الردة .

- « المناسك » ذكره في « تحفة الحبيب » في كتاب الحج .

وكذلك العلامة الشارح لم تحفظ له بتاريخ ولادة ولا وفاة إلا ما أشار به بما سطره
عند فراغه من كتابه « المجالس السنية » رحمه الله تعالى .

بحق كان نزيهاً ورعاً ، صافياً تقياً ، طيباً دمثاً ، عالماً ذاكراً ، مُحِباً للمصطفى ﷺ يحكي الكثير من شامته وصفاته النبوية بحاله وقاله .

درّس أكثر علوم الشريعة منقولاً ومعقولاً^(١) منذ بداية تعلمه ، وإلى آخر يوم من حياته ، حيث وافته المنية ليلة الاثنين الرابع عشر من ذي القعدة عام ثمان وتسعين وثلاث مئة وألف من الهجرة الموافق لـ ١٦ / ١٠ / ٩٧٨ فقد شيعته دمشق ، وبكته عيون الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، بل بكاه ونعاه جميع العالم الإسلامي .

قال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي : كان الفقيه عالماً ربانياً كبقية السلف الصالح في الورع والتقى ، والاتصال بالله والثقة الكاملة فيه ، والتفاني في سبيله ، كما كان آية في الأخلاق الفاضلة والنزاهة ، والبعد عن زخارف الدنيا وشواغلها ، قلما يوجد له نظير في هذا الوقت إلى أن قال :

ولا شك فقد حُرِمَ العالم الإسلامي بوفاته علماً من أعلام العلم والروحانية ، وفقد فيه رجلاً كبيراً لا ينساه التاريخ المعاصر ، ويسجل مآثره بمداد من نور ، ويخلد ذكره في سجل الخالدين من العلماء الأبرار ، والصالحين الأخيار ..

من شيوخه :

الشيخ بدر الدين الحسيني	الشيخ علي الدقر
الشيخ محمود العطار	الشيخ عبد الرزاق الحلاب
الشيخ أحمد العطار	الشيخ محمد القطب
الشيخ عطا الكسم	الشيخ محمود البخاري
الشيخ عبد القادر إسكندراني	الشيخ عمر الحمصي

(١) غوراً من ستين سنة ، وكان يكثر أن يقول في دروسه :

من حاز العلم وذاكره	صلحت دنياه وآخرته
فأدام للعلم مذاكرة	فحياة العلم مذكرته

الشيخ سليم اللبي

الشيخ طالب هيكل

الشيخ عبد القادر الأشهب شموط

وغيرهم عليهم جميعاً الرحمة والرضوان ..

مناصبه ووظائفه :

كان رئيساً لجمعية التوجيه الإسلامي ، وجمعية أسرة العمل الخيري ، وموسساً لمعهد التوجيه الإسلامي بفرعيه قسم الصديق وقسم الفاروق ، ثم معهد الإناث ، ومعهد القرآن والقراءات ، ومدرساً في جامع بني أمية ، والكلية الشرعية وغيرها ، ثم خطيباً ومدرساً في جامع منجك نحواً من أربعين عاماً .

من تلاميذه الذين تخرجوا به :

أخوه وخليفته الشيخ صادق حبيكة	الشيخ مصطفى التركماني
نجله الأكبر الشيخ عبد الرحمن حبيكة	الشيخ خير العلي
شيخ القراء الشيخ حسين خطاب	الشيخ محمود الكردي
الشيخ محمد خيرو ياسين	الشيخ محمد الفراء
الشيخ نعيم شقير	الشيخ محمد سليمان البانياسي
الشيخ د. مصطفى الحن	الشيخ محمد دلعين
شيخ القراء الشيخ كريم راجح	الشيخ يوسف فريح
الشيخ د. محمد سعيد البوطي	الشيخ علي الشربجي
الشيخ د. مصطفى البغا	الشيخ عبد القادر بركة

وغيرهم من الفضلاء والعلماء والمصنفين والموجهين في أنحاء العالم .

مؤلفاته :

وكانت كلها في مطلع العقد الثالث من عمره .

- تصحيح وتعليق على « نظم غاية التقريب » ونشره أولاً الشيخ إسماعيل الصباغ وذلك عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م ، ثم طبع في المكتبة العربية ، ثم في مكتبة الحلبوني ، ثم في دار خدمات القرآن الكريم . وهذا أحد الكتب التي درّسها وعرف طلاب الفقه عليها وهي : « عمدة السالك » و « فتح المعين » و « روض الطالب » .

- شرح على « نظم الورقات » في الأصول ذكره في تعليقه على « نظم الغاية » ص : ١٧٠ مخطوط .

- « المنهج المفيد » رسالة في التوحيد .

- « شذرات في الفقه » رسائل للطلاب المبتدئين .

- « فرائد الفوائد » رسالة في العقيدة للأطفال المبتدئين .

- « شرح على متن الشمسية » في المنطق مخطوط .

- رسالة « حول التوسل » .

وله أشعار عذبة وجزلة في مدح الحبيب المصطفى ﷺ^(١)، وفي مناسبات دينية وأحداث اجتماعية وتاريخية .

وكان إذا سُئل أخيراً عن تأليف فإنه يقول : متمثلاً قول أبي حنيفة النعمان رحمه الله حيث قيل له : أَلْف لنا ؟ فيقول : قد أَلَفْتُ لكم رجالاً محمداً وأبا يوسف .

(١) منها قصيدته التي يقول فيها :

صفق القلب للحجاز وسارا شفّ الشوق للحبيب نظارا

وقصيدته :

إني بمدح المصطفى أتشرف ذكراه تطربني وعيني تذرف

عملي في « تهذيب تحفة الحبيب » :

١ - خرجت الآيات الكريمة .

٢ - عزوت الأحاديث إلى مواردها ، وتابعت ألفاظ أصولها ، وذكرت روايتها غالباً .

٣ - أضفت بعض الآيات والأحاديث لإتمام أدلة بعض البحوث .

٤ - استبدلت ببعض الأحاديث الواهية أحاديث صحيحة .

٥ - حذف بعض العبارات التي لا حاجة لها ، ولا تزيد على صفحة في الكتاب .

٦ - أضفت كثيراً من العبارات المفسرة والمنعمة للمعنى في نص الكتاب .

٧ - أتممت نصوص الأدلة الناقصة .

٨ - ذكرت وحدات الأوزان بالغرام ، والمسافات بالمتر متبوعاً بها الأستاذ ماجد الحموي .

٩ - ألحقت فرائد فقهية ، وبعضها عن غير الشافعية .

١٠ - ترقيم النص وتفصيله . وضعت للآية قوساً مركزشاً ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥

١٦ - وضعت معكوفين هكذا [] لما أضفت أولاً ، ثم إنني رغبت عن الترامه
حيث سميت الكتاب : « تهذيب تحفة الحبيب » .

١٧ - أخذت هذه النشرة من النسخ الثلاثة للكتاب التي نَوَّهت عنها سابقاً ، واعتمدت
غالباً على تصحيح « النظم » نسخة « نهاية التدريب » لشيخنا رحمه الله .

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص شكري لكل من كانت له يدٌ في إتمام هذا
العمل ليكون أقرب إلى الكمال ، وهذا ما وفقت إليه ، و ﴿ إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ﴾ (١) فإن أصبت بففضل الله تعالى ، وإن أخطأت فمن
نقصي وتقصيري ، فمن وجد خللاً فليصلحه ، وليهد إليّ عيوبي ، فكلنا خطاء (٢) .

فإنا نسأله تعالى أن يعصمنا من خطأ العقيدة ، ويمن علينا بتمام الإيمان والتوفيق
للصواب ، وأن يكرمنا بالمتاب ، وحسن الأجر والثواب .

آمين والحمد لله رب العالمين

كتبه

قاسم النووي

وقال رسول الله ﷺ :

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »

حديث صحيح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلُوا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى

(سورة التوبة : ١٢٢)

(١) سورة هود : ٨٨ .

(٢) وفي الحديث الشريف : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

قائلة : قال الشافعي فيما سمعه منه صاحبه البيهقي : قد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها جهداً ، ولا بد
أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾
[النساء : ٨٢] فما وجدتم في كتبي هذه فيما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

وقال الربيع بن سليمان المرادي : قرأت كتاب « الرسالة » على الشافعي ثيفاً وثلاثين مرة ، فما من مرة
إلا وكان يصححه ، ثم قال الشافعي في آخره : أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه ، يدل على
ذلك قول الله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله ... ﴾ الآية .

تدريب
تحفة السيد
في
شرح نهاية التدريب

لِلْعَلَّامَةِ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ جَزَارِي الْفُشْنِيِّ
الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ ٩٧٨ هـ

بِعِزَّة
قاسم السَّوْرِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على إنعامه بفهم « نهاية التدريب نظم غاية التقريب » وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القريب المجيب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم الحبيب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائماً ، ما تورّد الغصن الرطيب ، وما دعا إلى سبيل ربه خطيب .

وبعد : فيقول الفقير إلى رحمة ربه الغني أحمد بن الحجازي بن بدير الفشني ، ختم الله تعالى بالخيرات عمله ووالاه ، وأعطاه في الآخرة خير ما أمله وأولاه : إن « نظم غاية التقريب » للأستاذ العلامة الصالح الناجح المفضل الفهامة الشيخ شرف الدين يحيى بن الشيخ نور الدين بن موسى بن رمضان بن عميرة الشهير بالعمريطي حفظه الله تعالى بما حفظ به أوليائه الكرام ، ولحظه بما لحظ به أصفياه ذوي الإكرام .

لما كان في أعلى درجات البلاغة سامياً ، ولأشنى طبقات الفصاحة راقياً ؛ سألتني بعض الإخوان المخلصين والأعزة المحصلين أن أشرحه شرحاً لطيفاً يحل ألفاظه ويبين مراده ، مع علمه أنني لست من أهل ذلك الشأن ، ولا من سباق ذلك الميدان ، فأجبتني إلى ذلك قاصداً به الأجر والثواب ، وشرعت فيه بعون المتفضل بالإكرام الوهاب ، وسميته بـ :

« تحفة الحبيب بشرح نظم غاية التقريب »

أسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله بجاه نبيه محمد ورسوله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وسبباً للفوز بجنات النعيم آمين .

قال الناظم متبركاً باسم الله العظيم واقتداءً بكتابه الكريم :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أي : أنظم ، والاسم : مشتق من السمو وهو العلو ، والله : علم للذات الواجب الوجود ، والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم ، والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع ، ولقولهم : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الآخرة ، وقيل : رحيم الدنيا ، وقدم الله عليهما لأنه اسم ذات ، وهما اسمتا صفات ، وقدم الرحمن على الرحيم لأنه خاص ، إذ لا يقال لغير الله بخلاف الرحيم ، والخاص مقدم على العام .

فائدة : نقل في « الشفا بتعريف شرف المصطفى » : [٧٠٢/١] دعا رسول الله ﷺ بكتابت فقال : يا كاتب ألق الدواة ، وحرف القلم ، وأقم الباء ، وفرج السين ، وافتح الميم ، وبين الجلالة ، وجود الرحمن ، ومد الرحيم ، فإن رجلاً من بني إسرائيل كتبها وأحسنها فغفر الله له بذلك^(١) ثم إن الناظم أعلى الله تعالى درجته دنيا وأخرى أراد كمال التأسي بكتاب الله تعالى فأتى بعد البسملة بقوله :

(الحمد لله الذي قد اصطفى للعالم خير خلقه وشرفاً)

(الحمد) لغة : الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل ، سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل ، وعرفاً : فعل بني عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الحامد أو غيره ، سواء كان ذكراً باللسان أو اعتقاداً ومحبة بالجنان ، أو عملاً وخدمة بالأركان ، وابتدأ الناظم بالبسملة أولاً ، ثم بالحمدلة اقتداءً بأشرف الكتب السماوية ، وعملاً بقول خير البرية ﷺ : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم »^(٢) وفي رواية : « بالحمد لله فهو أجزم » أي : مقطوع البركة رواه أبو داود [٤٨٤٠] وغيره^(٣) ، وحسنه ابن الصلاح وغيره . وجمع بين الابتداءين عملاً بالروايتين ، وإشارة إلى أنه لا تعارض بينهما ، إذ الابتداء حقيقي وإضافي ، فالحقيقي : حصل بالبسملة ، والإضافي : حصل بالحمدلة ، وقدم البسملة عملاً

(١) قال السيوطي في « مناهل الصفا » (٨٥٤) : الحديث . الديلمي في « مسند الفردوس » . ولم أجده بهذا اللفظ .

(٢) أخرجه الخطيب في كتابه « الجامع لأدب الراوي والسماع » قال فيه الحافظ السخاوي : غريب ، وقال ابن حجر : في سنده ضعف .

(٣) من أصحاب السنن ابن ماجه (١٨٩٤) .

بالكتاب والإجماع ، والحمد : مختص بالله كما أفادته الجملة ، سواء جعلت أل فيه للاستغراق ، أم للجنس ، أم للعهد الذهني ، أو الحضور ، أو الذكري . (للـ) أي : المعبود بحق .

فائدة : اختيرت صيغة الحمد على صيغة الشكر لاشتغال أحرفه على الحاء الخلقية والميم الشفوية والذال اللسانية حتى لا يخلو مخرج كل من الثلاثة من نصيبه من ذلك بالكلية . وقول الناظم : (الذي قد اصطفى) أي : اختار (للعالم خير خلقه وشرفاً) فالمراد بخير الخلق العلماء العاملون ، ويدل على ما ذكره قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ [آل عمران / ١٨] فبدأ بنفسه ، وثنى بملائكته ، وثلث بأولي العلم دون غيرهم ، وناهيك به شرفاً . وقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر / ٢٨] فحصر خشيته فيهم وأعظم به شرفاً لأن معرفته سبب خشيته . وقوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة / ١١] قال ابن عباس : لهم درجات فوق المؤمنين بسبع مئة درجة ، ما بين الدرجتين مسير خمس مئة عام ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : وشرفاً بألف الإطلاق إذ الشرف : العلو والرفعة .

(وأفضل الصلاة والسلام على النبي أفضل الأنام)
(محمد وآله وصحبه والتابعين كلهم وحزبه)

قرن الناظم بالثناء على الله تعالى الثناء على نبيه ﷺ فقال : (وأفضل الصلاة والسلام) الخ لقوله تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ [الانشراح / ٤] أي : لا أذكر إلا وذكرك مقرون بذكري ، وجمع بين الصلاة والسلام امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ [الأحزاب / ٥٦] وخروجاً من كراهة أفراد أحدهما عن الآخر كما ذكره النووي رحمه الله تعالى في « أذكاره » [ص : ٢٠٦] والصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن غيرهما تضرع ودعاء بخير . والسلام بمعنى التسليم . والنبي : إنسان ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع ، سواء أمر بتبليغه أم لا ، وهو أعم مطلقاً من الرسول لاختصاصه بالتبليغ ، وعبر بالنبي لذلك ، ولأنه أكثر استعمالاً . قوله : (أفضل الأنام) أي الخلق ، وإذا فضل الخلق فضل الملائكة والجن كما هو مذهب أهل السنة والجماعة . وقوله : (محمد) بدل مما قبله أو عطف بيان له ، وهو علم على نبينا ﷺ منقول من اسم مفعول المضعف ، سمي به بإلهام من الله تعالى لجده تفاؤلاً بأنه يكفر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة ، كما روي في السير أنه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها : لِمَ سميت ابنك محمداً ؟ وليس من أسماء آبائك ولا أجدادك ولا قومك ، قال : رجوت أن يحمد في السماء والأرض . وقد حقق الله رجاءه كما سبق في علمه . (وآله) هم المؤمنون من بني هاشم ، وبني المطلب . (وصحبه) جمع صاحب بمعنى الصحابي ، وهو من اجتمع مؤمناً بنبينا

محمد ﷺ . (والتابعين) جمع تابع بمعنى التابعي ، وهو من لقي الصحابي . وقوله : (كلهم) تأكيد . وقوله : (وحزبه) تكملة للبيت قصد بها التعميم .

تبيه : عطف الناظم الأصحاب على الآل الشامل لبعضهم لتشمل الصلاة والسلام باقهم ، وجملة الحمد والصلاة خيرتان لفظاً ، إنشائيتان معنى ، واختير اسميتهما على فعليتهما للدلالة على الثبات والدوام .

(وبعد ذا قالعلم خير رافع)	لا سيما فقه الإمام الشافعي)
(فهو ابن عم المصطفى ولم نجد)	له نظيراً من قريش مجتهد)
(مطبقاً بعلمه الطباقا)	مطابقاً للوارد اتفاقاً)
(مجدداً في عصره للمصلحة)	وبعده أصحابه الأجلة)
(أعظم بهم أئمة وحسبهم)	إمامهم وخير كتب كتبهم)

(وبعد ذا) أي : بعد ما تقدم من الحمد والصلاة ، وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من غرض إلى غرض ، لا في أول الكلام ، وهي مبنية على الضم لقطعها عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وهي منصوبة في كلام الناظم ، وحل الكلام على إعرابها كتب العربية . وقوله : (فالعلم خير رافع) أشار به إلى قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة/ ١١] ومَرَّ الكلام عليه ، والمراد به العلم الشرعي الصادق بال تفسير والحديث والفقه وما كان آلة لذلك ، والآيات والأخبار والآثار في فضل العلم وأهله كثيرة شهيرة . وقد قيل :

وكل فضيلة فيها ثناء وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخراً فإن العلم كثر ليس يفنى

إذا علمت ذلك فالعلم رافع في الدنيا والأخرى (لا سيما فقه الإمام) المجتهد صاحب اللفظ النفيس أبي عبد الله محمد بن إدريس (الشافعي) رضي الله عنه ، فإنه من قريش أخرى ، وصاحب البيت أدرى ، يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف كما هو مشهور ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (فهو ابن عم المصطفى) أي : المختار ﷺ ، ونسبه نسب عظيم كما قيل فيه شعر :

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً
ما فيه إلا سيد من سيد حاز المكارم والتقى والجوداً

ومناقب الشافعي رحمه الله مفردة بالتأليف^(١) ، وقد ذكر الناظم بعض فضله بقوله : (ولم نجد . له نظيراً من قريش مجتهد) فقد انتشر علمه ، وتقررت جلالته على مدى الأزمان . وقوله : (مطبقاً بعلمه الطباقا) إلى آخر البيت أشار به إلى ما رواه أبو الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قريشاً ، فإن عالمها يملأ الأرض علماً »^(٢) وفي رواية : عن ابن عباس : « اللهم اهد قريشاً فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض علماً » [رواه في « الحلية » ٦٥/٩] . قال الحافظ أبو نعيم : هذه علامة بينة للمميز المنصف ، والمراد من ذلك أن رجلاً من علماء هذه الأمة من قريش سيظهر علمه ، وينتشر في البلاد ، وتكتب تأليفه كما تكتب المصاحف وسيظهر قوله ، ولا تعلم أن هذه الصفة قد أحاطت إلا بالإمام الشافعي ، فعلم أنه يعنيه . وقوله : (مجدداً في عصره للمصلحة) أشار به إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » [أخرجه أبو داود (٤٢٩١) وإسناده قوي] قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : في رأس المئة الأولى : عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المئة الثانية : محمد بن إدريس وهو الشافعي ، كان رضي الله عنه مجاب الدعوة ، ولا تعرف له صغيرة ولا كبيرة ، وهو الذي شرح الأصول والفروع ، وازداد على مَرَّ الأيام حسناً وبيانا . ولد رضي الله عنه بغزة سنة خمسين ومئة ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومئتين ، ودفن بالقرافة^(٣) بعد العصر من يومه ، وعلى قبره من الجلالة والاحترام ما هو لائق بمنصب ذلك الإمام . ولما كان كمال التابع يدل على كمال المتبوع ناسب أن يمدح أصحابه ، إذ مدحهم في الحقيقة مدح له ، فلذلك قال : (وبعده أصحابه الأجلة) أي : مجددون للملة بعده أيضاً ، وقد بين ذلك الجلال السيوطي في « المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي » (ص : ٩٥) بعدما ذكرناه . قالوا : وعلى رأس المئة الثالثة أبو العباس بن سريج ، وقيل : الأشعري . والرابعة : أبو الطيب سهل الصعلوكي ، وقيل : الشيخ أبو حامد إمام العراقيين . والخامسة : الغزالي . والسادسة : الفخر الرازي ، وقيل : الرافعي . والسابعة : ابن دقيق العيد ، هكذا ذكره ابن السبكي في « الطبقات » [٢٠٠/١] وذكر فيه أشياء أخر فليراجعه من

(١) فمن هؤلاء المؤلفين : داود بن علي الأصفهاني ، وزكريا الساجي ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ، ومحمد بن الحسين الآبري ، والحاكم أبو عبد الله ابن البَيْع ، والحسن بن الحسين بن حكمان ، وأبو عبد الله بن شاذان القطان ، وإسماعيل بن محمد السرخسي ، وعبد القاهر البغدادي ، وأبو بكر البيهقي ، وأبو بكر الخطيب ، والفخر الرازي ، وأبو عبيد الله محمد الأصفهاني ، وأبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي ، وإمام الحرمين ، وابن حجر ، وعبد الرؤوف المناوي ، وأحمد بن محمد الحسيني الحموي ، ومصطفى عبد الرزاق ، وحسين الرفاعي ، ومحمد أبو زهرة ، ومحمد ليبس البوهي وغيرهم ، وأما ترجمته في التواريخ فكثيرة منها : « سير أعلام النبلاء » ٥/١٠ — ٩٩ ، وانظر ثبت مصادره .

(٢) رواه الطيالسي (٣٠٩) ، وأبو نعيم ٦٥/٩ ، والبيهقي في « المناقب » ٢٦/١ .

(٣) بل بما يسمى اليوم بالبساتين الجديدة في ميدان الشافعي بمسجده بالقاهرة .

أراد . وقوله : (أعظم بهم أئمة) أي : ما أعظمهم (وحسبهم . إمامهم وخير كتب كتبهم) أي : يكفيم ذلك في الفضل ومناقبهم كثيرة شهيرة .

تنبيه : الفقه لغة : الفهم ، واصطلاحاً : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ، وفي « قواعد » الزركشي : معرفة أحكام الحوادث نصاً واستنباطاً . وقول الناظم : مجتهد بالوقف . وقوله : مطبقاً بتشديد الموحدة المكسورة ، والألف في قوله : الطباقة للإطلاق وقوله : للمله والأجله بالوقف أيضاً للوزن . والتاء في كتب وكتبهم ساكنة :

(وصنف القاضي أبو شجاع مختصراً في غاية الإبداع)
(وغاية التقريب والتدريب فصار يسمى غاية التقريب)
(مع كثرة التقسيم في الكتاب وحصره خصال كل باب)

أي : (و) قد (صنف القاضي) شهاب الدين أحمد بن الحسن بن أحمد (أبو شجاع) الأصفهاني رحمه الله تعالى (مختصراً) قليل المباني كثير المعاني ، و (في غاية الإبداع) بكسر الهززة فكان من أبدع مختصر في الفقه صنف ، وأجمع موضوع له فيه على مقدار حجمه ألف ، (و) في (غاية التقريب) للأفهام ، (و) في غاية (التدريب) على فهم المسائل ، (فصار يسمى) بالبناء للمفعول ب : (غاية التقريب) وب : « غاية الاختصار » أيضاً . (مع) بسكون العين (كثرة التقسيم في الكتاب) المذكور لما يحتاج إلى تقسيمه من الأحكام الفقهية الآتية مع (حصره) أي : ضبطه (خصال كل باب) من الأبواب الآتية ، واجبة ومندوبة ، وقد علم الله سبحانه وتعالى من مؤلفه خلوص نيته فعم النفع به في الوجود ، واعتنى بشرحه كثير من العلماء الشهود .

تنبيه : غاية الشيء معناها : ترتب الأثر على ذلك الشيء ، كما تقول غاية البيع الصحيح : حل الانتفاع بالبيع ، وغاية الصلاة الصحيحة : إجزاؤها .

تنبيه آخر : الباب : فرجة في سائر يتوصل به من خارج إلى داخل ، ومن داخل إلى خارج ، وهو حقيقة في الأجسام كباب المسجد ، ومجاز في المعاني كباب الصلاة ، ومعناه اصطلاحاً : اسم لجملة مختصة من الكتاب ، مشتملة على فصول ومسائل غالباً ، وسياق تعريف الكتاب والفصل إن شاء الله تعالى .

(نظمته مستوفياً لعلمه مسهلاً لحفظه وفهمه)
(مع ما به تبرعاً لحقته أو لازماً كمطلق قيدته)
(تنمة لأصله الأصيل ولم يميز خشية التطويل)
(وحيث جاء الحكم في كتابه مضعفاً أثبت بالمفتي به)
(مبيناً ما اختاره بنقله وربما حذفه من أصله)

(إن لم أجده لحمله دليلاً ولا إلى تأويله سبيلاً)
(وقد مشيت مشيه في الغالب في عده وحده المناسب)
(مرتباً ترتيبه مبيناً مخاطباً للمبتدي مثلي أنا)
(فجاء مثل الشرح في الوضوح وكنت فيه كالأب النصوح)
(أرجو بذاك أعظم الثواب والنفع في الدارين بالكتاب)
(وربنا المسؤول في نيل الأمل والعون في الإتمام مع حسن العمل)

اعلم أن النظم أسرع إلى الحفظ من النثر ، خصوصاً ما كان على بحر الرجز ، فلذلك قال الناظم : (نظمته) أي المختصر المذكور : أي جمعته نظماً (مستوفياً لعلمه) بأن لا يفوت من مقاصده شيئاً و (مسهلاً) بنظمه (لحفظه) أي : استحضاره عن ظهر قلب غيباً (وفهمه) أي : ومسهلاً لفهمه (مع) بسكون العين (ما به) أي فيه (تبرعاً) أي زائداً (لحقته) من المسائل المحتاج إليها (أو لازماً) لا بد منه : أي ألحقته به أيضاً (كمطلق) فيه من العبارات التي عبر بها (قيدته) أي : المطلق (تنمة لأصله الأصيل . ولم يميز) بالبناء للمفعول : أي ما ذكرته من الزوائد واللازم عن الأصل بشيء (خشية التطويل) إذ الاختصار ممدوح شرعاً . قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصاراً » أخرجه مسلم (٥٢٣) . ثم وصف نظمه أيضاً بأوصاف ترغب فيه :

منها : أنه يأتي بالمفتي به بدل المضعف الذي اشتمل عليه الأصل ، وإليه أشار بقوله : (وحيث جاء الحكم في كتابه) الخ .

ومنها : أنه يبين ما اختاره الأصل بلفظه ، أو بحذفه من أصله بالكلية اختصاراً (إن لم يجد لحمله دليلاً) بحمله عليه ، (ولا إلى تأويله سبيلاً) ، وإليه أشار بقوله : (مبيناً ما اختاره) إلى قوله : سبيلاً .

٤٨٦٣٦٧

ومنها : أنه مشى مشي أصله في الغالب ، وفي الحد وفي العد المناسب ، وإليه الإشارة بقوله : (وقد مشيت مشيه في الغالب) إلى آخر البيت .

ومنها : أنه رتب نظمه كترتيب الأصل ، وبين ذلك ، وإليه أشار بقوله : (مرتباً ترتيبه مبيناً) . قوله : (مخاطباً للمبتدي مثلي أنا) تواضع منه ، وإلا فالمتوسط والمتنبي يحتاج لذلك لأنه يذكرهما .

ومنها : أنه (جاء مثل الشرح) للأصل ، وهو الكشف والتبيين . وقوله : (في الوضوح) أي : الظهور ولم يقل : إنه شرح لخلوه عن الدليل والتعليل .

ومنها : أنه أخلص النصيحة في نظمته كتصحيحه الوالد لولده ، إذ « الدين النصيحة »^(١) كما ورد . ثم لما فرغ من وصف نظمته أخذ في الضراعة بقوله : (أرجو) أي : أؤمل (بذلك) الأصل الذي نظمته (أعظم الثواب) أي : الجزاء من الله تعالى في الدار الآخرة على نظمته ، (و) أرجو (النفع) وهو ضد الضر (في الدارين بالكتاب) المذكور ، بأن يوفقي في الدنيا للعمل بما فيه ، ويرفعني في الآخرة به إلى أسنى محل (وربنا) أي : مالكنا (المسؤول) لا غيره (في نيل) أي : بلوغ (الأمل . و) المسؤول في (العون بالإتمام) أي : على الإتمام لهذا النظم كما أعان على الابتداء (مع) - بسكون العين - العون على (حسن العمل) ، فإنه كريم جواد ، ولا يرد من سألته واعتمد عليه . والشارح يسأل ما سأل الناظم ، ولما كان الغرض من البعثة انتظام أحوال العباد في المعاش والمعاد ، وذلك بكمال القوة النطقية : وهو بالعبادات ، والقوة الشهوية للبطن والفرج : وهو بالمعاملات والمناكحات ؛ والقوة الغضبية : وهو بالتحرز عن الجنائيات مطلقاً ، بنى الناظم كأصله ترتيب أرباع كتابه على ما ذكر ، فقدم متعلق كمال القوة الأولى لشرفه على غيره ومزيد الاهتمام به ، وقدم منه البدني المحض على المالي المحض ، والمركب منهما لمزيتيه على غيره ، وقدم منه الصلاة على الصوم لأنها أفضل بعد الإيمان ، ولما كان من أعظم شروطها الطهارة لقوله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور »^(٢) والشرط مقدم طبعاً ، فقدم وضعاً . بدأ الناظم كأصله بها فقال :

كتاب الطهارة

هو لغة : الضم والجمع ، يقال : كتبت كُتْباً وكتاباً وكتابةً ، واصطلاحاً : اسم لجملة مختصة من العلم ، مشتملة على أبواب وفصول غالباً . والطهارة - بالفتح - لغة : النظافة والخلوص من الأدناس ، وشرعاً : فعل ما يستباح به الصلاة ، و - بالضم - : فضل ما يتطهر به .

فائدة : الطهارة تنقسم إلى عينية وحكمية . فالعينية : ما لم يتجاوز محل حلول موجبها كفسل الخبث . والحكمية : ما يتجاوز ذلك كالوضوء ، ثم إنها تكون بالماء والتراب . وبدأ الناظم بالماء لأنه الأصل في آلتها فقال :

(لها مياه سبعة وهي المطر والماء من بحر وبئر ونهر)
(كذلك من عين وثلج وبرد ثم المياه أربع أيضاً تعد)

(لها) أي للطهارة (مياه) جمع ماء ، وجمعت باعتبار أنواعها الموجودة وهي سبعة : أحدها ماء المطر النازل من السماء أو السحاب على ما حكاه النووي في « دقائق الروضة » وبدأ الناظم كأصله بماء السماء لشرفها على الأرض كما هو الأصح في « المجموع » قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان / ٤٨] . وثانيها : ماء البحر كما قال : (والماء من بحر) لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته »^(١) وحيث أطلق البحر فالمراد به المالح غالباً ، ويقال في العذب كما قال في « المحكم » .

لطيفة : من فوائد الحديث المتقدم أنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء وعلم أن للسائل حاجة إلى أمر آخر يتعلق بالمسؤول عنه وإن لم يذكره السائل أن يذكره له ، لأنه سئل عن ماء البحر فأجاب بحكمه وحكم ميتته ، لأنهم يحتاجون إلى الطعام كالماء . وثالثها : ماء البئر كما قال :

(١) رواه البخاري (٤٢) ، ومسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٣) عن علي رضي الله عنه .

(١) رواه الشافعي (٤٢) ، والترمذي (٦٩) وصححه ، والحاكم ١٤١/١ عن أبي هريرة .

(ويثر) أي : والماء من يثر لما روى أبو سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله أنتوضأ من يثر بُضاعة ، وهي يثر يُلقى فيها الحيز والحوم الكلاب والنتن ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الماء طهور لا ينجسه شيء » وبضاعة - بضم الموحدة وكسرهما - قيل : هو اسم لصاحب البئر ، وقيل : لموضعها . والحيز بكسر الحاء وفتح الباء . وفي رواية : « المحاض » ومعناه : الخرق التي بها دم الحيز . وقد توضأ رسول الله ﷺ من يثر رومة أيضاً . ويشمل إطلاق البئر يثر زمزم ، لأنه ﷺ توضأ منها ، لكن يكره إزالة النجاسة به على المعتمد . **ورابعها** : ماء النهر كما قال : (ونهر) أي : العذب كالنيل والفرات وسيحان وجيحان ، وهو : بفتح الهاء وسكونها . **وخامسها** : ماء العين . كما قال : (كذاك من عين) أي : النابعة من أرض أو جبل . **وسادسها** : ماء الثلج بالثلاثة . **وسابعها** : ماء البرد بفتح الباء والراء ؛ لأنهما ينزلان من السماء ، ثم يعرض لهما الجمود في الهواء كما يعرض لهما على وجه الأرض . قاله ابن الرفعة في « الكفاية »^(١) . وإليهما الإشارة بقول الناظم : (وثلج ويرد) . وقوله : (ثم المياه أربع أيضاً تعد) يأتي شرحه مع ما بعده .

فائدتان : الأولى : الماء ممدود على الأفصح ، وأصله مَوّه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، ثم أبدلت الهاء همزة . ومن عجيب لطف الله تعالى أنه أكثر منه ، ولم يحوج فيه إلى كثرة معالجة لعموم الحاجة إليه . **الثانية** : أفضل المياه على الإطلاق الماء النابع من بين أصابعه الشريفة ﷺ ، ثم ماء زمزم ؛ لأن به غسل صدر النبي ﷺ حين شق عنه ، ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه ، بل قال البلقيني : إنه أفضل من الكوثر ، ثم ماء الكوثر لا أحرمنا الله تعالى منه ، ثم الأنهار الخمسة النازلة من الجنة ، وهي : سيحان ، وجيحان ، ودجلة ، والفرات ، ونيل مصر^(٢) .

(إما يكون طاهراً مطهراً أي مطلقاً وليس مكروهاً يرى)
(أو طاهراً مطهراً لكنه مشمس بقطر حر يكره)
(أو طاهراً ولم يكن مطهراً لكونه مستعملاً أو غيراً)
(بطاهر مخالط كثير سواء الحسي والتقديري)

(١) رواه الشافعي (٣٥) ، والترمذي (٦٦) وحسنه ، وأبو داود (١٣) .

(٢) واسمه : « كفاية النبي في شرح التبيه » للشيرازي . وابن الرفعة هو الإمام أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الفقيه الشافعي المتوفى (٧١٠) هـ .

(٣) وقد نظم التاج السبكي ذلك فقال رحمه الله :

وأفضل المياه ماء قد نبع من بين أصابع النبي المتبع
بإيه ماء زمزم فالكوثر فيل مصر ثم باقي الأنهر

(رابعها منجس بما وصل إليه من نجاسة وهو أقل)
(من قلتين أو بها تغيراً مع كونه بالقلتين قدراً)

أي : المياه المذكورة على أربعة أقسام كما أشار إليه بقوله : (ثم المياه أربع أيضاً تعد) بالوقف **أحدها** : ماء طاهر في نفسه مطهر لغيره غير مكروه استعماله وهو الماء المطلق ، وهو ما أشار إليه الناظم بقوله : (إما يكون طاهراً مطهراً . أي مطلقاً وليس مكروهاً يرى) والمطلق : هو ما يقع عليه اسم ماء بلا قيد بإضافة كء ورد ، أو بصفة كء دافق ، أو بلام عهد ، كقوله ﷺ : « نعم إذا رأيت الماء »^(١) يعني المني ، ويتعين الماء المطلق لرفع حدث وإزالة نجس . أما تعيينه في رفع الحدث - وهو أمر اعتياري يقوم بالأعضاء يمنع من صحة الصلاة حيث لا مخرج له - فلقوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ﴾ [النساء : ٤٣] وفي إزالة الخبث فلقوله ﷺ : « نعم إذا أعراني في المسجد : » صبوا عليه ذنوباً من ماء » أخرجه مسلم (٢٨٤) والأمر في الآية والحديث للوجوب على الأصل ولا صارف عنه ، والماء ينصرف عند الإطلاق إلى المطلق لتبادره إلى الأذهان ، فلو طهر غيره من المائعات لما وجب التيمم عند فقد ، ولا غسل البول به ، ولا يقاس عليه غيره ؛ لأن الطهر به عند الإمام تعبدية ، وعند غيره معقول المعنى لما فيه من الرقة واللطفة التي لا توجد في غيره .

تنبيه : دخل في الماء جميع أنواعه بأي صفة كان ، وكذا متصاعد من بخار مرتفع من غليان الماء ، وخرج به ما لا يسمى ماء كتراب التيمم ، وحجر الاستنجاء ، وأدوية الدباغ ، والشمس والنار وغيرها .

تنبيه آخر : قوله في الحديث : « ذنوباً » هو - بفتح الذال المعجمة وضم النون - : الدلو المملوء ماء أو القرية من المملوءة . وقيل : الدلو مطلقاً ولو فارغاً . وقال إمامنا وغيره : هو الدلو العظيم . وقيل : إنه لا يسمى ذنوباً حتى يشد فيه الحبل . قوله : « من ماء » بيان للذنوب باعتبار ما يوضع فيه ، أو متعلق بمحذوف : أي ذنوباً مملوءاً من ماء .

ثانيها : ماء طاهر في نفسه مطهر لغيره مكروه استعماله شرعاً وتنزيهاً في الطهارة وهو الماء المشمس : أي المشمس ولو بلا قصد في قطر حار في إناء من شأنه الانطباع غير التقدين ، واستعمل في البدن وهو حار ولم يضق الوقت ووجد غيره ، وإلى هذا القسم أشار الناظم بقوله : (أو طاهراً مطهراً لكنه مشمس بقطر حر يكره)^(٢) ويخرج بقوله : بقطر حر القطر البارد أو

(١) رواه البخاري (٢٨٢) ، ومسلم (٣١٣) عن أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) لم يرد نص عن رسول الله ﷺ بالكراهة ، قال الشافعي رحمه الله في « الأم » ٣/١ : ولا أكره الماء المشمس إلا من جهة الطب .

المعتدل ، ويكره شديد السخونة والبرودة لمنعه الإسباغ ، وكذا مياه ثمود ، وكل ماء مغضوب عليه كماء ديار قوم لوط ، وماء البئر التي وضع فيها السحر لرسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى مسح ماءها حتى صار كنفاعة الحناء ، وماء ديار بابل .

وثالثها : ماء طاهر في نفسه غير مطهر لغيره ، وهو الماء القليل المستعمل في فرض الطهارة عن حدث كالغسل الأولى ، وإلى هذا القسم أشار الناظم بقوله : (أو طاهراً ولم يكن مطهراً . لكونه مستعملاً) أما كونه طاهراً فلأن السلف الصالح كانوا لا يحتززون عما يتطاير عليهم منه ، وأما كونه غير مطهر فلأن السلف الصالح أيضاً لم يجمعوا المستعمل في أسفارهم القليلة الماء ليتطهروا به ، بل عدلوا عنه إلى التيمم ، والمراد بالفرض ما لا بد منه أتم الشخص بتركه أم لا ، فيشمل وضوء الصبي والحنفى الذي لا يعتقد وجوب النية ، وما استعمل في غسل ميت أو كتابية لتحل لمسلم ، أو مجنونة ، أو ممنوعة من غسل حيض أو نفاس ليحل وطؤها . أما المستعمل في نقل الطهارة كالغسل الثانية أو الثالثة أو الغسل المسنون ، والوضوء المجدد فالأصح أنه طهور ، ولو جمع المستعمل فبلغ قلتين فطهور .

فائدة : لا يثبت للماء حكم الاستعمال ما دام متردداً على المحل ، ومن هذا القسم ما أشار إليه الناظم بقوله : (أو غيراً * بطاهر مخالط كثير) والمعنى : ومثل الماء المستعمل الماء المتغير طعمه أو لونه أو ريحه بطاهر مستغنى عنه لا يمكن فصله عنه - كمسك وزعفران وماء شجر وملح جبل - تغيراً يمنع إطلاق اسم الماء عليه ، سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً ؛ لأنه لا يسمى ماء . ولهذا لو حلف لا يشرب ماء أو وكل في شراؤه فشرّب ذلك أو اشتراه له وكيّله لم يحنث ولم يقع الشراء له ، (سواء) التغير (الحسي والتقديري) كما أشار إليه الناظم من زيادته على أصله ، حتى لو وقع في الماء ما يوافقه في الصفات كماء الورد المنقطع الرائحة فلم يتغير ، ولو قدرناه بمخالف وسط - كلون العصير وطعم الرمان وريح اللادن^(١) لغيره - ضرر ، بأن تعرض عليه جميع هذه الصفات لا المناسب للواقع فيه فقط ، ولا يقدر بالأشد كلون الحبر وطعم الخل وريح المسك ، بخلاف الحبث للغلظة . واحتراز بقوله : بطاهر عن النجس وبالمخالط عن المجاور الطاهر كعود ودهن ولو مطيبين وكافور صلب ، فلا يضر التغير به لإمكان فصله وبقاء اسم الإطلاق . ولا يضر تغير بمكث وطين وطحلب وما في مقرّه وممرّه .

(١) اللادن : بفتح الدال المعجمة صمغ يهلك قاله في «الوسيط» ، وقال التبرائوي في حاشيته على «الإقناع» : اللبان الذكر . وقال في «القاموس» : رطوبة تملق بشعر الخمرى ولحائها ، إذا رعت نباتاً يعرف بقلسوس أو قستوس . وقال في «معجم متن اللغة» : من العلوك أو هو دواء أو ندى يعلق بالغنم .

رابعها : ماء نجس ، أي : متنجس ، وهو مراد الناظم بقوله : (رابعها متنجس) بتشديد الجيم المفتوحة (بما وصل . إليه من نجاسة) أي : يدركها الطرف (وهو أقل . من قلتين) : أي بثلاثة أربال فأكثر تغير أم لا ؛ لمفهوم حديث القلتين الآتي ، وخبر مسلم [٢٧٨] : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، لأنه لا يدري أين باتت يده » نهاه عن الغمس خشية النجاسة ، ومعلوم أنها إذا خفيت لا تغير الماء ، فلولا أنها تنجسه بوصولها لم ينه .

فائدة : قوله في الحديث : « إذا استيقظ أحدكم من نومه » أي : ولو بالنهار ، والتقيد بالليل في رواية لأبي داود [٥٥] : « كان إذا قام من الليل » جري على الغالب ، وسببه أن أهل الحجاز كانوا يقتصرون على الاستنجاء بالأحجار وبلادهم حارة ، فإذا نام أحدهم عرق محل النجو فلا يأمن النائم أن تطوف يده على ذلك المحل النجس فتنجس . وفي الحديث فوائد كثيرة نبه على بعضها النووي في «مجموعه» :

منها : أن الماء القليل إن أورد عليه نجس وإن قلّ ولم يغيره تنجس به ؛ لأن ما تعلق باليد ولا يرى قليل ، وكان من عادتهم استعمال ما صغر من الآنية التي لا تسع قلتين .

ومنها : الفرق بين ورود الماء على النجس وعكسه حيث ينجس الماء في الثاني دون الأول ، وإلا لم يكن للنهي معنى .

ومنها : أن موضع الاستنجاء لا يظهر بالحجر بل يبقى نجساً ، لكنه معفو عنه في حق الصلاة فقط حتى لو انغمس المستنحي بالحجر في ماء دون القلتين نجسه .

ومنها : يندب الأخذ بالاحتياط في العبادات وغيرها ما لم يخرج من حد الاحتياط إلى حد الوسوسة .

ومنها : ندب غسل المتنجس ثلاثاً كما يأتي ، لأنه إذا أمر به في النجاسة المتهمة ففي الحقيقة أولى .

ومنها : أنه يكره غمس اليد في الإناء قبل غسلها ثلاثاً إذا قام من النوم أو شك في نجاسة يده بلا نوم كما يأتي إن شاء الله تعالى .

وقول الناظم : (أو بها تغيراً . مع كونه بالقلتين قدراً) معناه : أو كان الماء كثيراً بأن بلغ قلتين فأكثر فتغير بسبب النجاسة فهو متنجس بخروجه عن الطهورية ، ولو كان التغير يسيراً حسياً أو تقديرياً وذلك للإجماع المخصص لخبر القلتين الآتي ، وخبر الترمذي [٦٦] وغيره : « الماء لا ينجسه شيء » كما خصص مفهوم خبر القلتين الآتي ، فالتغير الحسي ظاهر ، والتقديري بأن وقعت فيه نجاسة مائعة توافقه في الصفات كبول انقطعت رائحته ، ولو فرض مخالفاً له في أغلب الصفات كلون الحبر وطعم الخل وريح المسك لغيره فإنه يحكم بنجاسته ، فإن لم يتغير فطهور لخبر : « إذا بلغ

الماء قلتين لم يحمل الخبث « قال الحاكم [١٣٣/١] : على شرط الشيخين ، وفي رواية لأبي داود [٦٥] وغيره بإسناد صحيح : « فإنه لا ينجس » . وهو المراد بقوله : « لم يحمل الخبث » أي : يدفع النجس ولا يقبله ، وحاصل ما تقدم أن الماء ينقسم إلى قسمين : قليل ، وكثير . فالقليل ينجس بمجرد ملاقة النجاسة تغير أم لا . والكثير لا ينجس إلا بتغير أحد أوصافه الثلاثة .

تنبيه : يستثنى من النجس ميتة ما لا نفس له سائلة^(١) أصالة كما سيأتي ، وكذا نجس لا يدركه بصر معتدل أيضاً كما يأتي . وخرج بقول الناظم : (بما وصل . إليه من نجاسة) ما إذا تغير بجيفة على الشط فلا ينجس لأنه مجرد تروح ، وقد انتفى الشرط من الاتصال المذكور . والألف في قوله : مطهراً ، و غيراً ، و تغيراً ، للإطلاق . و قدراً مبني للمفعول .

(والقلتان نصف ألف قريباً برطل بغداد الذي قد جرباً)

لما ذكر القلتين في قوله : نصف ألف ؛ جره ذلك إلى ذكر وزنها بالرطل الشرعي ويزن (٤٣٢) غراماً فقال : (والقلتان) بالوزن [اليوم تعادل : (٢١٦) كيلو غراماً] (نصف ألف) أي خمس مئة رطل بكسر الراء أفصح من فتحها . وقوله : (قريباً) أي : تقريباً . فيعنى عن نقص رطل أو رطلين . وقوله : (برطل بغداد) بإعجام الذالين ، وإهمالهما ، واختلافهما ، وفيها لغات آخر ، والمعنى : والقلتان خمس مئة رطل بالبغدادى تقريباً في الأصح أخذاً من رواية البيهقي [٢٦٢/١] وغيره عن ابن عمر : « إذا بلغ الماء قدر قلتين أو ثلاث - بقلال هجر - لم ينجسه شيء » . والقللة في اللغة : الجرة العظيمة ، سميت بذلك لأن الرجل العظيم يقلها بيده ، أي : يرفعها . وهجر - بفتح الهاء والجيم - : قرية بقرب المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام تجلب منها القلال . وروى إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن ابن جريج أنه قال : رأيت قلال هجر فإذا القلة منها تسع قربتين وشيئاً ، أي : من قرب الحجاز ، فاحتاط الشافعي فحسب الشيء نصفاً ، إذ لو كان فوقه لقال : تسع ثلاث قرب إلا شيئاً ، على عادة العرب . فتكون القلتان خمس قرب . والغالب أن القربة لا تزيد على مئة رطل ببغدادى ، وهو مئة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم في الأصح ، فالجموع منه خمس مئة رطل ، - وبالمصري أربع مئة رطل ، وبالدمشقي مئة رطل وسبعة أرباط وسُبع رطل - وبالمساحة في المربع : ذراع وربيع طولاً وعرضاً وعمقاً بذراع الآدمي وهو مكعب طول ضلعه (٦٠) سنتماً تقريباً .

(وكل شيء مائع مع كثرته كالماء في التنجيس حال قلته)
(ولو جرى قليل ما على محل نجاسة أزالها ثم انفصل)

(١) يعني أنه ليس له دم أحمر .

(ولم يزد وزناً ولا تغيراً فطاهر ولم يكن مطهراً)

في هذه الآيات مسائلتان مزيدتان على الأصل .

المسألة الأولى : إن غير الماء من المائعات - وإن كثر - كالماء القليل في تنجسه بمجرد ملاقة النجس وإن بلغ قلالاً ، وهذا معنى قوله : (وكل شيء مائع) إلى آخر البيت . والفرق من وجوه : منها : ثبوت القوة لنجس الماء ، إذ له قوة مكاثرة وقوة مباشرة ، بخلاف غيره من المائعات . ومنها : أن غير الماء من المائع لا يشق حفظه من النجس وإن كثر بخلاف كثير الماء . ومنها : أن وصف الطهوية قام بالماء أولاً وبالذات في أصل الخلقة كما وقع في مقام الامتنان في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] وفي خبر : « الماء طهور لا ينجسه شيء » ولا كذلك غيره ، فامتاز جانب الماء بهذا الشرف العظيم عن جانب غيره كما لا يخفى .

المسألة الثانية : أن غسالة النجاسة طاهرة غير مطهرة إذا لم تتغير وطهر المحل ، ولم يزد وزنها بعد اعتبار ما يشربه المحل من الماء ويعطيه من الوسخ ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (ولو جرى قليل ماء) بالقصر للوزن (على محل . نجاسة) إلى آخره . واحتراز بالقليل عن الكثير فإنه لا ينجس إلا بالتغير كما مر ، أما إذا انفصل الماء القليل متغيراً أو غير متغير لكن زاد وزنه على ما كان بعد اعتبار ما تقدم فهو نجس . وذكر الناظم حكم هذه المسألة لأنها من تنمة قسم الماء الطاهر غير المطهر ، وفي صنعه هذا لطف حيث ذكر الماء المستعمل في الحدث والخبث معاً . والألف في قوله : تغيراً مطهراً للإطلاق .

خاتمة : تشتمل على مسائل مثورة تتعلق بالباب .

الأولى : لو زال تغير الماء الحسي أو التقديري بنفسه بأن لم يحدث فيه شيء كأن زال بطول المكث ، أو بما انضم إليه بفعل أو غيره ، أو أخذ منه والباقي قلتان طهر لزوال سبب التنجس . فإن زال تغيره بمسك أو نحوه كزعفران أو بتراب لم يطهر ؛ لأننا لا ندري أن أوصاف النجاسة زالت أو غلب عليها ما ذكر فاستترت .

الثانية : لو تنجس فم حيوان طاهر من هرة أو غيرها ثم غاب وأمكن وروده ماءً كثيراً ثم ولغ في طاهر لم ينجسه مع حكمنا بنجاسة فمه ، لأن الأصل نجاسة فمه وطهارة الماء ، وقد اعتضد أصل طهارة الماء باحتمال ولوغه في ماء كثير فرجح .

الثالثة : لو كُتِبَ طشت على طيبخ نجس فغرق ونجز فالعرق والزنجار نجسان ، قاله سليم الرازي المتوفى ٤٤٧ هـ رحمه الله تعالى . فيؤخذ منه أن بخار الماء النجس حكمه حكم أصله .

الرابعة : لو غُرف بكفه جُئِب نوى رفع الجنابة ، أو محدث بعد غسل وجهه الغسلة الأولى على ما قاله الزركشي وغيره ، أو الغسلات الثلاث على ما قاله ابن عبد السلام ، وهو أوجه إن لم يرد الاختصار على أقل من ثلاث من ماء قليل ، ولم ينو الاغتلاف بأن نوى استعمالاً أو أطلق صار مستعملاً ، فلو غسل بما في كفه باقي يده لا غيرها أجزأه . وقول الجويني في « تبصرته » : إذا نوى بعد غسل وجهه رفع الحدث والماء بكفه ، ثم غسل به ساعده ارتفع به حدث كفه دون حدث ساعده ، ضعيف . أما إذا نوى الاغتلاف بأن قصد نقل الماء من الإناء والغسل به خارجه لم يصح مستعملاً .

فصل : في السواك والآنية

أما الفصل فمعناه لغة : الحاجز بين الشيئين . واصطلاحاً : اسم الجملة مختصة من الباب مشتملة على مسائل غالباً . وأما السواك فهو - بكسر السين - مشتق من ساك فاه : إذا ذلك ، وهو لغة : الدلك وآلته . وشرعاً : استعمال عود أو نحوه . وأما الآنية فهي جمع إناء وجمعها أوانٍ ، واستعمال الآنية في المفرد ، والأواني في أقل من تسعة مجاز .

(سنّ السواك مطلقاً لكنه لصائم بعد الزوال يكره)
(وأكدوه للصلاة والوضوء وبعد نوم أو لأزم يعرض)

أي : (سنّ السواك مطلقاً) عند الصلاة وغيرها لصحة الأحاديث في استحبابه كل وقت (لكنّه . بعد الزوال) أي زوال الشمس في الصيام : أي في نهاره ولو نفلًا (يكره) تنزيهاً لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك يوم القيامة » متفق عليه^(١) إلا «يوم القيامة» فلمسلم . والخلوف - بضم الخاء - : تغير رائحة الفم ، والمراد بالخلوف بعد الزوال لحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أعطيت أمتي في رمضان خمساً ... ثم قال : وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك »^(٢) والمساء : بعد الزوال . وأطيبية الخلوف تدل على طلب إبقائه ففكره إزالته ، وتزول الكراهة بالغروب لأنه ليس بصائم الآن ، ويحصل السواك بكل خشن يزيل القلق من أراك أو غيره ، والأراك أولى من غيره من العيدان ، وعود النخل أولى من غير الأراك . ويسن أن يستاك باليمنى من

(١) رواه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٠٣) .

يمين فمه لشرف اليمنى ولينو به السنة . ويسن أن يعود له لصغير ليألفه ، وأن يستاك في عرض الأسنان ظاهراً وباطناً في طول الفم ، ويجزىء طولاً لكن مع الكراهة ، فقد قيل : إن الشيطان يستاك طولاً ، إلا في اللسان فيسن أن يستاك فيه طولاً ، ذكره ابن دقيق العيد . وفي نسخة :

(والاستيياك كل وقت يستحب وفي الزوال في الصيام يجتنب)

بدل قوله : (سنّ السواك) إلى آخر البيت . وقول الناظم لطف الله تعالى به : (وأكدوه) أي : العلماء (للصلاة) أي : فرضاً أو نفلًا ، وإن لم يكن فمه متغيراً ، أو استاك في وضوئها لخبر : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » [رواه مسلم (٢٥٢) عن أبي هريرة] أي : أمر إيجاب ، وخبر : « ركعتان يستاك فيهما أفضل من سبعين ركعة لا يستاك فيهما »^(١) ، (و) أكدوه أيضاً عند (الوضوء) لخبر : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » أي : أمر إيجاب ، ومحلّه فيه بعد غسل الكفين على ما قاله ابن الصلاح وابن النقيب في « عمدته » وكلام الإمام وغيره يميل إليه . وقال الغزالي كالماوردي : محله قبل التسمية ، والأول هو الظاهر . والتصرّح بالوضوء هو من زيادة الناظم على أصله . (و) أكدوه أيضاً (بعد نوم) أي : بعد القيام منه لخبر : « كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه » [رواه أبو داود (٥٥)] أي : يدلّكه بالسواك وأكدوه أيضاً (أو لأزم) بفتح الهمزة وسكون الزاي (يعرض) للشخص من السكوت الطويل والإمساك عن الأكل والكلام الكثير ونحو ذلك . ويتأكد أيضاً لقراءة قرآن ، أو حديث أو لعلم شرعي ، ولذكر الله تعالى ، ولدخول منزل ، وعند الاحتضار لما قيل فيه إنه يسهل خروج الروح .

ومن فوائده : أنه يطهر الفم ، ويرضي الرب^(٢) ، ويبيض الأسنان ، ويطيب النكهة . ويقطع البلغم ، ويسوي الظهر ، ويشدّ اللثة ، ويبطئ الشيب ، ويصفي الخلقة ، ويزكي الفطنة ، ويضاعف الأجر ، وغير ذلك ، وقد أوصلها بعضهم إلى سبعين ، وذكر منها أنه يذكر الشهادة عند الموت عكس ما في الجشيشة الخ ... فيسن ، كذا قال الزركشي .

تنبيه : يسن التخليل قبل السواك وبعده . ومن أثر الطعام ، وكون الخلال من عود السواك^(٣) ويكره من نحو الحديد . وقد روى أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » أنه عليه السلام قال : « نقوا أفواهكم

(١) أخرجه هكذا أبو بكر بن أبي شيبة ١٧٠/١ عن حسان بن عطية ، وفي الأصل : رواه الحميدي بإسناد جيد ، ولم أجده .

(٢) لحديث عائشة عند ابن حبان (١٠٦٧) ولفظه : « السواك مطهرة » الخ .

(٣) لعله أراد عود الخلة ، وهو نبت عشبي طيب الرائحة يقلل من تشنجات عضلات الحالب وانقباضها ؛ ويساعد على ارتخائها فتوسعه ويساعد على إنزال الحصة البولية ، انظر : « النباتات الطبية وفوائدها » ص ٦٦-٦٧ .

بالخلال، فإنها مجلس الملكين الكريمين الخافطين، وإن مدادهما الرقيق وقلمهما اللسان، وليس عليهما شيء أضر من بقايا الطعام بين الأسنان»^(١).

(وجاز أن تستعمل الأواني وإن تكن من أنفاس الأعيان)
(إلا من التقدين فاحكم في الإناء بحرمه استعماله والافتنا)
(لاضبة من فضة صغيرة في العرف أو لحاجة كبريه)

أي: (وجاز أن تستعمل الأواني) أي: الطاهرة سواء كانت من نحاس أو من غيره (وإن تكن) الأواني (من أنفاس الأعيان) كياقوت وزبرجد وفيروز وبلور ومرجان وعقيق؛ لأنه لم يرد فيها نهي ولا يظهر فيها معنى السرف، ولا يعرفها إلا الخواص. أما الأواني النجسة فيحرم استعمالها فيها تنجس به كإلقاء قليل ومائع. وقول الناظم: (إلا من التقدين) أي: إلا من الأواني المتخذة من الذهب والفضة، (فاحكم) أيها الفقيه (في الإناء) المتخذ منهما (بحرمه استعماله) واقتناؤه. أما الاستعمال فلقوله ﷺ: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة»^(٢) ففيه تحريم استعمال آنية الذهب والفضة وصحافهما على الرجال وغيرهم من النساء والخنايا بإدراج النساء في ضمير الذكور تعليلاً على قول المحققين، وحقيقة على قول غيرهم؛ لأن علة الحرمة في استعمال عنيهما النقد والسرف والخيلاء وهي مشتركة للرجال وغيرهم. (و) أما (الافتنا)؛ فلأن ما حرم استعماله حرم اقتناؤه كالطنبور، وخص الأكل والشرب بالذكر لغلبيتها في الاستعمال لا للتقييد، وخص الإناء بالشرب، والصحفة بالأكل لأنهما معدان لهما غالباً. والصحفة: بفتح الصاد دون القصعة. ويحرم على الولي أن يسقي الصغير بمسقط^(٣) من أنيتهما. ويحل استعمال مطلي بذهب أو فضة في الأصح.

تنبيه: شمل كلامه الإناء الصغير والكبير حتى خلال وميل الاكتحال، وإذا احتيج إلى الاكتحال بالمرود من الفضة أو الذهب لجلاء العين جاز، والتصریح بحل الأواني النفيسة والاقتناء من زيادة الناظم، وكذا حكم الضبة وهو قوله: (لاضبة من فضة صغيرة) أي: فلا يحرم الإناء المضيب بها للصغر، ولا يكره للحاجة لما روى البخاري [٥٦٣٨] عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح رسول الله ﷺ عند أنس بن مالك رضي الله عنه وكان قد انصدع - أي: انشق - فسلسلته بفضة - أي: شده بخيط فضة - والفاعل هو أنس كما روى البيهقي. قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا. ففيه جواز استعمال المضيب للحاجة بضبة

(١) لم أجده في فهرس «تاريخ أصبهان» لكن ذكره السيوطي في كتابه: «الحبائك في أخبار الملائك» (٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٧) (٥)، والبخاري (٥٦٣٣) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٣) آلة يوضع فيها الدواء ليصب منه في الأنف.

فضة صغيرة بلا كراهة، فإن كانت كبيرة للحاجة كما قال الناظم: (أو لحاجة كبيرة) فمكروه، ومثل ذلك الصغيرة لزينة. وخرج بقوله صغيرة للحاجة الكبيرة للزينة فحرام، ومرجع الكبيرة والصغيرة العرف. وحكم استعمال موضع الضبة كغيره، وخرج بالفضة ما ضيب بالذهب فحرام مطلقاً؛ لأن الخيلاء فيه أشد منه في الفضة، خلافاً للرافعي في تسويته بينهما فيما ذكر.

تنبيه: المراد بالحاجة غرض الإصلاح لا عجز عن غير الذهب والفضة، فإن العجز عن غيرهما يبيح استعمال الإناء الذي كله ذهب أو فضة فضلاً عن المضيب به.

خاتمة: سَمَرُ الدراهم في الإناء كالنضيب فيأتي فيه التفصيل السابق، بخلاف طرحها فيه لا يحرم به استعمال الإناء مطلقاً، وكذا لو شرب بكفه وفي أصبعه خاتم، أو في فمه دراهم، أو شرب بكفه وفيها دراهم.

ويستحب تغطية الأواني ليلاً ونهاراً لئلا يقع فيها شيء يُفسد الماء ونحوه أو يؤدي المستعمل، وتكفي التغطية ولو يعود بأن يعرض على الإناء لخبر^(١): «خمرو الآنية ولو أن تعرضوا عليها عوداً، وأن يسمي الله تعالى، وإيكاء السقاء، وإغلاق الباب مسمياً أيضاً، وكف الصبيان والماشية أول ساعة من الليل، وإطفاء السراج للنوم. والحكمة في كف الصبيان في أول ساعة من الليل أن الشياطين ينتشرون تلك الساعة؛ لأن الظلام أجمع للقوة الشيطانية من غيره، وكذلك كل سواد، والذكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً ذلك الوقت، وقيل غير ذلك.

باب الوضوء

هو - بضم الواو - الفعل، وهو استعمال الماء في أعضاء مخصوصة مفتتحاً بنية، وهو المراد هنا - ويفتحها - ما يتوضأ به، وقيل: بفتحها فيهما، وقيل: بضمها فيهما، والأصل فيه قبل الإجماع خبر مسلم (٢٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تُقبلُ صلاة بغير طهور» وفرض مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة، وموجبه الحدث مع القيام إلى نحو الصلاة، ويتعلق غرض الناظم كأصله بالكلام على فروضه وسنته.

وبدأ بالفرض فقال:

(فرض الوضوء نية مع غسله لوجهه وغسل وجه كله)

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٢٠١٢) (٩٧) الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «إذا كان مُنَحَّ الليل - أو أمسيتم - فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب. واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. ولوكوا قُرْبَكُمْ واذكروا اسم الله. وخمروا آتيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً. وأطفئوا مصابيحكم».

(فرض الوضوء) أي : فروضه : ستة :

أولها : (نية) والكلام عليها من سبعة أوجه مجموعة في قول بعضهم :

حقيقة حكم محل وزمن كيفية شرط ومقصود حسن

فحقيقتها لغة : القصد . وشرعاً : قصد الشيء مقترناً بفعله . وحكمها : الوجوب لقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] قال الماوردي : والإخلاص في كلامهم النية ، والخبر : « إنما الأعمال بالنيات »^(١) ومحلها : القلب ، وموافقة اللسان له سنة . وزمنها : أول الفروض كغسل أول جزء من الوجه . وإنما لم يوجبوا المقارنة في الصوم لعسر مراقبة الفجر وتطبيق النية عليه . وكيفية : تختلف بحسب الأبواب : فيكفي هنا نية رفع الحدث ، أو نية استباحة شيء مفتقر إلى وضوء ، أو أداء فرض الوضوء ، أو الوضوء فقط من غير تعرض للفرضية ، بخلاف الغسل لأن الوضوء لا يكون إلا عبادة ، والغسل قد يكون عادة وعبادة . فلو نوى الطهارة عن الحدث صح . وشرطها : إسلام الناوي والعلم بالنوي وغيره ، وعدم إتيانه بما ينافي بأن يستصحبها حكماً ، وأن لا تكون معلقة . فلو قال : إن شاء الله ؛ فإن قصد التعليق أو أطلق لم تصح ، وإن قصد التبرك صحت ، والمقصود بها : تمييز العبادة من العادة كالجلوس في المسجد للاعتكاف تارة ، وللإستراحة أخرى ، أو تمييز رتبته كالصلاة تكون للفرض تارة ، وللنفل أخرى . ويجب أن تكون النية عند أول مغسول من أجزاء الوجه كما قال الناظم : (مع غسله . لوجهه) لتقترن بأول الفرض ، فلا يكفي إقترانها بما بعد الوجه قطعاً لخلو أول المغسول وجوباً عنها ، ولا بما قبله من السنن لأن المقصود من العبادات أركانها ، والسنن توابع هذا إذا عزبت قبل غسل شيء من الوجه ، فإن بقيت إلى غسل شيء منه كفى ، بل هو أفضل لثواب على السنة السابقة ، لأنها إذا خلعت عن النية لم يحصل له ثوابها .

فرع : من دام حدثه كمستحاضة ، ومن به سلس بول أو ريج كفاه نية الاستباحة دون الرفع لبقاء حدثه ، ومن نوى بوضوئه تبرداً ، أو شيئاً يحصل بدون القصد كتنظيف مع نية معتبرة أجزأه حصول ذلك وإن لم ينو . ولو نوى أن يصلي بوضوئه ولا يصلي به لم يصح وضوؤه لتلاعبه وتناقضه ، وكذا لو نوى به الصلاة بمكان نجس .

الفرض الثاني : غسل الوجه ، وإليه أشار الناظم بقوله : (وغسل وجه كله) أي : كل وجهه ، أي : ظاهر كل وجهه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ [المائدة : ٦] وللإجماع . والمراد بالغسل الانغسال . ثم حدّه طولاً : ما بين منابت شعر رأسه وتحت منتهى الحية - بفتح اللام على الأفصح - وهما العظامان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى ؛ وعرضاً : ما بين أذنيه ؛

(١) رواه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه .

لأن الوجه ما تقع به المواجهة وهي تقع بذلك ، فمنه موضع الغضم : وهو الشعر النات على الجهة أو بعضها ، ومنه منتهى اللحيين ، والبياض الذي بين الأذن والعدار . وليس مه باطن أنف وفم وعين ، كما استفيد من قولنا ظاهر ، فلا يجب غسلها ، بل ولا يستحب ، بل يكره ، ويجب غسل ذلك إن تنجس . وليس من الوجه أيضاً موضع التحذيف بل هو من الرأس ، ولا الصدغان^(٢) ، ولا الزعتان : وهما بياضان يكتنفان الناصية ، فلا يجب غسل الثلاثة ، بل يسن خروجاً من خلاف من أوجهه .

تنبيهان - الأول : يجب غسل شعور الوجه مطلقاً ظاهراً وباطناً ، إلا ما كثف وتميز من لحية وعارض من ذكر ، لا خارج عن حد الوجه^(٣) فيجب غسل الظاهر فقط ، والكثيف : ما يستر البشرة عند المخاطبة ، والتميز ما يمكن إفراده بالغسل .

الثاني : لابد من غسل جزء من نحو الرأس وتحت الحنك والأذنين ؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وقول الناظم (مع) بسكون العين .

الفرض الثالث : غسل اليدين .

(وغسل كل ساعد ومرفق . فإن أبين بعضه فما بقي)

من كفيه وذراعيه مع المرفقين ، وهو مراد الناظم بقوله : (وغسل كل ساعد ومرفق) بكسر الميم وفتح الفاء أفصح من المرفقين ، قال الله تعالى : ﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ [المائدة : ٦] أي : مع المرافق ، والمرفق : عظم الذراع مع عظم الساعد ، وقيل : عظم الذراع فقط . وروى أبو هريرة رضي الله عنه في صفة وضوء رسول الله ﷺ : أنه توضأ فغسل وجهه وأسيغ الوضوء ، ثم غسل يده اليمنى حتى شرع في العضد ، ثم اليسرى كذلك ، إلى أن قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ^(٤) . فإن قطع بعض ما يجب غسله من اليدين وجب غسل ما بقي منه ؛

(١) بضم الصاد ، وهما عظامان فوق الأذنين مما يلي العينين ، والشعر المتدلي على هذا الوضع .

(٢) في النسخ : « وخارج من ذكر وغيره » . قال في « نهاية المحتاج » ١٧١/١ : فإن خرجت عن حد الوجه وكانت كثيفة وجب غسل ظاهرها فقط . فتأمل .

(٣) رواه مسلم (٢٤٦) عن نعم بن عبد الله الجهم قال : رأيت أبا هريرة يتوضأ ، فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد - أي : أدخل الغسل فيه - ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد . ثم مسح رأسه . ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق . ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ . وقال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطبل غرته وتحجبله » .

الغرة : بياض في جبهة الفرس . والتحجبل : بياض في يديها ورجليها . قال العنماء : متى النور الذي يكون في مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجبل بغرة الفرس .

لأن الميسور لا يسقط بالمعسور ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله من زيادته : (فإن أُبين بعضه فما بقي) أي : يجب غسله ، أو من المرفق بأن سلت الإبرة وبقي العظمان المسميان برأس العضد فيجب غسله ، أو رأسه أو فوقه ندب غسل باقي عضده .

تنبيهان - أحدهما : يجب غسل شعر اليدين ظاهراً وباطناً وإن كثر لندرتيه ، وغسل ظفر وإن طال ، وغسل باطن ثقب وشقوق فيهما وإن لم يكن غور في اللحم ، وإلا وجب غسل ما ظهر منه فقط ، ويجري هذا في سائر الأعضاء كما يقتضيه كلام « المجموع » في باب صفة الغسل .

ثانيهما : لو عجز عن الوضوء لقطع يديه مثلاً وجب عليه أن يحصل من يوضئه ولو بأجرة مثل ، والنية من الآذن ، فإن تعذر عليه ذلك تيمم وصلى وأعاد لندرة ذلك .

(ومسح بعض الرأس مطلقاً بما غسله رجله مع كعبيهما)

الفرض الرابع : (مسح بعض الرأس) وقول الناظم : (بما) أي : بما يسمى مسحاً ولو لبعض بشرة رأسه ، أو بعض شعره ولو واحدة ، أو بعضها في حد الرأس بأن لا يخرج بالمد عنه من جهة نزوله ، فلو خرج به عنه منها لم يكف ، قال الله تعالى : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ أي : ببعضها كما هو مقرر في المطولات ، بيداً أو نحوها . وروى مسلم [(٢٧٥) (٨٣)] : أنه ﷺ مسح بनावيته وعلى عمامته .

فروع - الأول : يكفي غسل بعض الرأس لأنه مسح وزيادة . **الثاني :** لو قطر الماء على رأسه أو تعرض للمطر وإن لم ينو المسح أجزأه . **الثالث :** لو حلق رأسه بعد مسحه لم تجب إعادته في الأصح .

والفرض الخامس : ما أشار إليه الناظم بقوله : (وغسله رجله مع كعبيهما) أي : وقدرهما إن فقدتا ، وهما : العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم ، ففي كل رجل كعبان ، قال الله تعالى : ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ [المائدة : ٦] أي : معهما ، ودل على دخولهما في الغسل فعله ﷺ كما مر في المرفقين .

تنبيه : تجب إزالة ما تحت الأظافر من وسخ يمنع من وصول الماء ، وإزالة ما في شقوق الرجلين من عین : كشمع وحناء . قال الجويني رحمه الله : إن لم يصل إلى اللحم ؛ ويحمل على ما إذا كان في اللحم غوراً أخذاً مما مر في « المجموع » .

(والسادس الترتيب مثل ما ذكر وغطسة تكفي وإن لم يستقر)

أي (و) الفرض (السادس : الترتيب) في أفعاله (مثل ما ذكر) من غسل الوجه أولاً مقترناً بالنية ، ثم غسل اليدين ، ثم مسح بعض الرأس ، ثم غسل الرجلين على ما مر ؛ لفعله ﷺ للوضوء المأمور به ، رواه مسلم [٢٢٦] وغيره ، ولقوله في حجته : « نبدأ بما بدأ الله به » رواه النسائي [٢٣٩/٥] بإسناد صحيح ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولأنه تعالى ذكر ممسوحاً بين مغسولات ، وتفريق المتجانس لا ترتكبه العرب إلا لفائدة ، وهي هنا وجوب الترتيب لاندبه بقرينة الأمر في الخبر ، والآية فيها بيان الوضوء الواجب ، وأشار الناظم بقوله من زيادته : (وغطسة تكفي وإن لم يستقر) أي : أنه لو اغتسل محدث حدثاً أصغر بنية رفع الحدث أو نحوه ولو متعمداً ، أو بنية رفع الجنابة غلطاً صح ، وإن لم يمكث قدر الترتيب ، وهو مراده بقوله : (وإن لم يستقر) لأنه يكفي لرفع أعلى الحدثين ، فلأصغر أولى ، ولتقدير الترتيب في لحظات لطيفة .

فروع : لو ترك الترتيب ولو سهواً ، أو وضأه أربعة بلا إذنه دفعة حصل غسل الوجه فقط إن نوى عنده ، وإلا لم يحصل شيء ، ولو نكس وضوءه أربع مرات أجزأه حصول كل عضو في مرة على الترتيب الملاحظ فيه . ولو شك في تطهير عضو قبل الفراغ طهره وما بعده ، أو بعد الفراغ لم يؤثر .

ولما فرغ الناظم من الكلام على فروضه شرع يتكلم على بعض سننه إذ هي كثيرة ، وذكر في المطولات أنها نحو الخمسين سنة . ثم قال :

(وهاك عشرراً كلها تسنُّ له النطق فيه أولاً بالبسملة)

أي : (وهاك) بمعنى خذ (عشرراً) من الأشياء (تسنُّ له) أي : الوضوء :

أولها : (النطق فيه أولاً بالبسملة) لقوله ﷺ : « توضعوا باسم الله » رواه ابن حبان [٦٥٤٤٦] عن أنس أي : قائلين ذلك ، وإنما لم تجب لآية الوضوء المبينة لواجباته ، وأما خير : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله » [رواه الترمذي (٢٥) ، وأبو داود (١٠١)] فضيع ، أو محمول على الكمال كما في خير : « لا صلاة لرجل المسجد إلا في المسجد »^(١) أي : كاملة ، وأقلها بسم الله ، وأكملها إكمالها . ويستحب أن يقول بعدها : الحمد لله على دين الإسلام ونعمته ، الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً . زاد الغزالي بعدها في « بداية الهداية » : ﴿ رب أعوذ بك من هزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ [المؤمنون ٩٧-٩٨] . وقول الناظم أولاً : مراده به أول الوضوء وهو من زيادته . وأول الوضوء غسل الكفين ، فينوي الوضوء ويسمي الله عنده بأن يقرن النية بالبسملة عند أول

(١) رواه عن أبي هريرة الحاكم ٢٤٦/١ ، والدارقطني ٤٢٠/١ .

غسلهما ، ثم يتلفظ بالنية ، ثم يكمل غسلهما ؛ لأن التلفظ بالتسمية والنية^(١) سنة ، ولا يمكن أن يتلفظ بهما في زمن واحد ؛ فإن تركها أوله ولو عمداً سنت في أثائه ، فيقول : بسم الله أوله وآخره ، كما في الأكل . وبما تقرّر علم أنه لا يأتي بها بعد فراغه كما في « المجموع » لفوات محلها . والظاهر أنه يأتي بها بعد فراغ الأكل ، ومثله الشرب ليتقياً الشيطان ما أكله .

تنبيه : تسن التسمية لكل أمر ذي بال ، أي : حال يهتم به شرعاً من عبادة وغيرها كغسل وتيمم وذبح وجماع وتلاوة ولو من أثناء سورة كالصلاة وحج وذكر . وتكره لمكروه أو محرم ، والأوجه كما قاله الأذرع رحمه الله : إنها تحرم لحرم ، وهي سنة عين كما في الغسل والتيمم ، وسنة كفاية كما في الأكل والجماع .

(والغسل للكفين خارج الوعاء مضمض واستنشق وليجمعاً)

الثانية من سنن الوضوء : (الغسل للكفين) أي : إلى الكوعين (خارج الوعاء) ع بكسر الواو ، أي : الإناء قبل المضمضة وإن تيقن طهرهما أو توضأ من نحو لإبريق للاتباع ، رواه الشيخان . فإن شك في طهرهما بنوم سلقاً أو غيره غسلهما قبل إدخالهما الإناء الذي فيه ماء قليل أو مائع وإن كثر ثلاثاً ، وإن أدخلهما قبل ذلك كره تنزيهاً لخبر البخاري (١٦٢) . ومسلم (٢٧٨) : « إذا استيقظ أحدكم من نومه » وقد قدمناه بفوائده ، ولا تزول الكراهة إلا بالتثليث ، وإن تيقن الطهر بواحدة للخبر ، فإن الشارع إذا غيّا حكماً بغاية فإنما يخرج عن العهدة باستيفائها . وهذه الغسلات هي المطلوبة بعينها أول الوضوء ، لكن ندب تقديمها عند الشك على غمس يده ، وخرج بقولنا : قليل الماء الكثير ، فلا يكره غمسهما فيه قبل تثليثهما ، ولو تيقن نجاسة يده حرم الغمس المذكور قبل غسلهما ؛ لما في ذلك من التضمخ بالنجاسة .

فروع : إذا كان الماء في إناء كبير أو في صخرة مجوفة لا يمكن أن يصب منه على يديه ، وليس معه إناء صغير يغترف به منه فطريقه أن يأخذ الماء بضمه أو بطرف ثوبه أو باستعانة غيره ، ثم يغسل به كفيه .

السنة الثالثة : المضمضة ، وهي إدخال الماء في فمه سواء مجه أم لا .

والرابعة : الاستنشاق وهي جعل الماء في الأنف وإن لم يصل إلى الخيشوم وذلك للاتباع ، رواه الشيخان^(٢) ، وهذا مراد الناظم بقوله : (ومضمض واستنشق) بنون التوكيد الخفيفة . وأما خبر : « تمضمضوا واستنشقوا » فضعيف . والمضمضة مقدمة على الاستنشاق شرطاً لا سنة ، فالواو في كلام الناظم بمعنى ثم ، وقدمت عليه لشرف منافع الفم على منافع الأنف ، لأنه مدخل الطعام والشراب للذين بهما قوام الحياة ، وحل الأذكار الواجبة والمندوبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويسن أن يبالغ فيها غير الصائم . وقول الناظم : (وليجمعاً) بصيغة الأمر وألف التثنية أشار به إلى أن جمعاً بثلاث غرفات أفضل من الفصل مطلقاً ، وذلك بأن يتمضمض ثم يستنشق من كل منها ؛ لأن أحاديثه كثيرة صحيحة ، بل قال الإمام النووي رحمه الله : لم يثبت في الفصل شيء اهـ . والتصريح بهذه الكيفية من زيادة الناظم ، وهي أفضل كيفيات خمس . ثانيها وثالثها : أن يغترف غرفة واحدة يتمضمض منها ثلاثاً ، ثم يستنشق منها ثلاثاً ، أو يتمضمض منها ثم يستنشق مرة ؛ وكذلك ثانية وثالثة . ورابعها : أن يغترف غرفتين يتمضمض من واحدة ثلاثاً ثم يستنشق بالأخرى ثلاثاً . وخامسها : أن يغترف ست غرفات يتمضمض من ثلاث ثم يستنشق بثلاث ، وهذه أنظف الكيفيات وأضعفها . والسنة تتأذى بواحدة من هذه الكيفيات ، إذ الخلاف في الأفضل . ويسن الاستنثار^(٣) بأن يخرج بعد الاستنشاق ما في أنفه من ماء وأذى ينخسه اليسرى .

(وامسح جميع الرأس أو ما قد ستر والأذنين باطناً وما ظهر)
(بما وخلل سائر الأصابع ولحية كثيفة في الواقع)

أي : (و) السنة الخامسة : (مسح جميع الرأس) للاتباع رواه الشيخان^(٤) . السنة في كيفية مسح جميع الرأس : أن يضع يديه على مقدمه ويلصق مسبحته بالأخرى وإبهاميه على صدغيه ، ثم يذهب بهما إلى قفاه ، ثم يردهما إلى ما بدأ منه ، هذا إذا كان له شعر ينقلب وإلا فليقتصر على الذهاب ، وهو مخير بين أن يمسحه كله أو يمسح ما أقبل منه ويقيم بالمسح على نحو عمامة كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (أو ما قد ستر) أي : ستر الرأس من نحو عمامة كخمار وقلنسوة ، وإن لبس ما ذكر على حدث وذلك لخبر مسلم [(٢٧٤) (٨٣)] : أنه ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته . ولا بد من مسح البعض كما مر .

(١) رواه عن عبد الله بن زيد البخاري (١٨٥) ، ومسلم (٢٣٥) .

(٢) لحديث أبي هريرة عند البخاري (٣٢٩٥) ومسلم (٢٣٨) قال : « إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثر ... » .

(١) فائدة : عذ بعض الفقهاء من السنن التلفظ بالنية ليستجمع المرء فكره مع فعله عند كل عبادة ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « إنما لكل امرئ ما نوى » .

والسنة السادسة : مسح جميع الأذنين باطنهما وظاهرهما^(١) بماء جديد ، وهو مراد الناظم بقوله : (والأذنين باطناً وما ظهر) وقوله : (بما) بالقصر للوزن ، أي : بماء جديد أي : من غير بلل الرأس ؛ لأنها ليسا منه ولا من الوجه كما قال إمامنا رحمه الله في « المختصر » . والأصل في ذلك قول عبد الله بن زيد : رأيت النبي ﷺ يتوضأ ، فأخذ لأذنيه ماء خلاف الماء الذي أخذه لرأسه ، يأخذ لصاحيه أيضاً ماء جديداً . وكيفية المسح : أن يدخل مسبحته في صاحيه ويديرهما في المعاطف ، ويمر إبهاميه على ظهرتي أذنيه ، ثم يلمص كفيه وهما مبلولتان بالأذنين استظهاراً .

تنبيه : سكوت الناظم كأصله عن مسح الرقبة يفيد عدم سنته وهو كذلك ، بل قال النووي : إنه بدعة .

والسنة السابعة : تحليل أصابع اليدين والرجلين والحية الكثيفة ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (واخلل) بصيغة الأمر ، أي : خلل أيها المتوضئ (سائر) أي : جميع (الأصابع) وحية كثيفة (أي : خللها أيضاً) . أما تحليل أصابع اليدين والرجلين فلخير لقيط بن صبرة - بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة - : « أسبغ الوضوء واخلل بين الأصابع » رواه الترمذي [٧٨٨] وغيره^(٢) . وصححه . والتحليل في أصابع اليدين بالتشبيك بينهما ، وفي أصابع الرجلين بيداً بتخصر الرجل اليمنى ويحتم بتخصر الرجل اليسرى ، فيخلل بتخصر يده اليسرى أو اليمنى كما رجحه في « المجموع » من أسفل الرجلين . وأما التحليل للحية الكثيفة فلما روى الترمذي [٣١] وصححه : أنه ﷺ كان يخلل لحيته . ومثل اللحية المذكورة كل شعر يكفي غسل ظاهره . والتحليل بالأصابع من أسفله ، روى أبو داود [١٤٥] أنه ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكه فخلل به لحيته ، وقال : « هكذا أمرني ربي » أما ما يجب غسله من ذلك كالخفيف والكثيف الذي في حدّ الوجه من لحية غير الرجل وعارضه فيجب إيصال الماء إلى ظاهره وباطنه ومنايته بتحليل أو غيره .

تنبيه : إيصال الماء إلى ما بين الأصابع واجب بتحليل أو غيره إذا كانت ملتفة لا يصل الماء إليها إلا بالتحليل أو نحوه ، فإن كانت ملتحة لم يجر فتحها ، بل يحرم . وقول الناظم : (في الواقع) تكملة .

(١) لحديث الربيع عند الحاكم ١٥٢/١ ، ورواه من حديث المقدم بن معدي كرب أبو داود (١٢٣) .

(٢) ورواه أبو داود (١٤٢) ، وابن ماجه (٤٤٨) أيضاً .

(وقدم اليمنى على الشمال مثلثاً في كلها موالى)

أي : والسنة الثامنة : تقديم غسل اليد اليمنى على اليسرى كما قال : (وقدم اليمنى) أي المتوضئ (على الشمال) لشرفها ، ولقوله ﷺ : « إذا توضأتم فابدؤوا بيمينكم »^(١) ولأنه ﷺ كان يحب التيامن ، ويقال فيه : التيامن والتيمّن ، والمراد به الجانب الأيمن في تنعله وترجله ، أي : تسريح شعره وطهوره ، وفي شأنه كله ، أي : مما كان من باب التكريم والتزيين كلبس الثوب والسراويل والخف ، ودخول المسجد ، والخروج من الحلاء ونحوه ، وتقليم الظفر ، وتنظيف الإبط ، والتختم ، والاستياك ؛ وذلك لشرف الأيمن ، ويرجى أن يؤخذ بها الكتاب يوم القيامة فقدّمت في أعمال البر ، بخلاف ما ليس من باب التكريم والتزيين كدخول الحلاء ونحوه ، والخروج من المسجد ، والاستنجاء ، ونزع الثوب والنعل ؛ فإنما يبدأ فيه باليسر ويفعل باليد اليسرى لمناسبتها لذلك ، وعلى ما تقرر يُحمّل خبر أبي داود [٣٢] عن عائشة : كان رسول الله ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه ، ويجعل يساره لما سوى ذلك . فلو عكس كأن قدم غسل اليسرى في الوضوء على اليمنى لم يؤثر في الصحة ، لكن يكره كراهة تنزيه ؛ للنهي عنه في خبر ابن حبان ، ومنع من حمله على التحريم الإجماع على عدم تحريمه كما منع من حمل الأمر بالابتداء بالأيمن في خبر ابني خزيمة [١٧٨] وحبان [١٩٠] عن أبي هريرة : « إذا توضأتم فابدؤوا بيمينكم » على الجواب .

تنبيه : يُستثنى من سنّ التيامن فيما مرّ الخدان والعينان والأذنان والمنخران والكفان ، فلا يسن التيامن فيهما ، بل المعية ، إلا أن يكون أقطع فيسن التيامن .

فرعان مهمان : أحدهما : لو تعارض التنعل والخروج من المسجد خرج منه بيساره ، ووضعها على نعله اليسرى بلا لبس ، ثم خرج باليمنى ولبسها ، ثم لبس اليسرى . **ثانيهما :** يستحب إذا ثأب أن يضع يده على فيه ، كما رواه مسلم [٢٩٩٥]^(٢) وهل يضع اليمنى تبرّكاً بها أو اليسرى لأنها لتنتحية الأذى ؟ فيه احتمالان للمحب الطبري ، قال : والثاني أنسب .

والسنة التاسعة : التثليث كما قال الناظم : (مثلثاً في كلها) ويستوي في ذلك الممسوح والمغسول والتحليل والمفروض والندوب ؛ وذلك لما رواه مسلم [٢٣٦] : أنه ﷺ توضأ

(١) رواه عن أبي هريرة أبو داود (٤١٤١) ، والترمذي (١٧٦٦) ، وابن ماجه (٤٠٢) ، والبيهقي ٨٦/١ أيضاً .

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ثأب أحدكم فليمسك يده على فمه فإن الشيطان يدخل » .

ثلاثاً ثلاثاً؛ وإنما لم يجب التثليث لأنه ﷺ توضعاً مرة مرة ، وتوضاً مرتين مرتين ، وتكره الزيادة على الثلاث والنقص عنها إلا لعذر مما يأتي . ويأخذ الشاك باليقين ، فإذا شك هل غسل ثلاثاً أو مرتين أخذ بالأقل ، وغسل الأخرى .

تنبيه : قد يسقط سن الثلاث لعارض ، بل قد يجب الاختصار على مرة ، كما إذا ضاق وقت الفرض بحيث لو اقتصر عليها لصلى فيه ، ولو زاد عليها لخرج عنه ؛ وكما إذا خاف من عطش محترم ولو مალأ إن زاد عليها . وإدراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه ، ولا يجزئ تعدد قبل تمام العضر ، أي : الذي يجب استيعابه بالتطهير ، بخلاف الرأس فإنه لو مسح بعضه ثلاثاً حصل التثليث ، ولو توضأ مرة مرة لم تحصل فضيلة التثليث كما في « المجموع » عن الجويني ، وأقره وهو الراجح .

والسنة العاشرة : الموالاة - كما قال الناظم : (موالى) - بالوقف أي : بين الأعضاء بالتطهير بحيث لا يجف الأول قبل الشروع في الثاني ، مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص نفسه والزمان والمكان ، ويقدر المسوح مغسولاً ، وإن زاد على مرة بالأخيرة . وإنما سنت للخروج من خلاف من أوجبها، وإنما لم تجب لظاهر الآية السابقة ، ولما صح عن ابن عمر أنه توضأ في السوق إلا رجله ، ثم دعي لحنازة فدخل المسجد ، ثم مسح على خفيه بعد ما جف وضوؤه وصلى . وقد تجب لعارض كضيق وقت ، ونحو استحاضة .

خاتمة : يسن أن يقول آخر الوضوء مستقبل القبلة رافعاً يديه إلى السماء : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ لخبر مسلم [٢٣٤] : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » إلى قوله : « ورسوله فُتِّحَتْ له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » . وزاد الترمذي [٥٥] على مسلم : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » . ورواه الحاكم [٥٦٤/١] عن أبي سعيد على شرط مسلم مصححاً : « سبحانه اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . وأوله : « من توضأ ثم قال : » إلى آخره « كتب في رقبته ، ثم طبع بطابع ، فلم يكسر إلى يوم القيامة » أي : لم يتطرق إليه إبطال . وفي طابع لغتان : فتح الموحدة وكسرها ، ومعناه : الخاتم . ويسن أن يصلي على رسول الله ﷺ . وقوله في الحديث : « فأحسن الوضوء » أي : بإتيان

الأكمل الوارد فيه من تسمية وسواك ومضمضة واستنشاق وغرة وتحجيل وتثليث ومسح كل الرأس وموالاة وغير ذلك . وقوله : « فتحت » بالتخفيف والتشديد كما قرئ بهما في السبع^(١) .

ولما كان المتوضئ مخيراً بين غسل رجله ومسح خفيه ذكر الناظم حكم المسح على الخفين عقيب الوضوء ، فقال :

باب المسح على الخفين

وأخباره كثيرة ، وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة رضي الله عنهم . وقال بعض المفسرين : إن قراءة الجر في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٢) المسح على الخفين .

(مسحهما يجوز في الوضوء مع ثلاثة من الشروط تتبع)
(أن يُلبَسَا من بعد طهر يكمل ويستترا محل فرض يغسل)
(ويصلحاً لمشييه متابعاً وطهر كل زيد شرطاً رابعاً)

(مسحهما) أي : الخفين (يجوز في الوضوء) بدلاً عن غسل الرجلين فالواجب على لابسهما الغسل أو المسح ، لكن الغسل أفضل لأنه الأصل . نعم إن أحدث لابسه ومعه ما يكفي المسح فقط وجب كما قاله الروياني ، ولوترك المسح رغبة عن السنة ، أو شكاً في جوازه بأن لم تطمئن نفسه إليه ، أو خوف فوت الجماعة أو عرفة ، أو إنقاذ أسير ، أو نحوها فالمسح أفضل . بل يكره تركه في الأولين ، وكذلك القول في سائر الرخص ، واللائق في الأخيرين الوجوب . وخرج بقول الناظم من زيادته : في الوضوء إزالة النجاسة والغسل ولو مندوباً فلا مسح فيها ، وبمسحهما مسح خفف رجل مع غسل الأخرى فلا يجوز ؛ فالأقطع لو لبس خفاً في السالبة إن بقي بعض المقطوعة فلا يكفي ذلك حتى يُلبَس ذلك البعض خفاً .

وإنما يصح المسح بأربعة شرائط كما أشار إليه الناظم بقوله : (مع . ثلاثة من الشروط تتبع) .

(١) أي قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاؤهما فتحت ﴾ [الزمر/٧١] فقد خفف التاء القراء الكوفيون - وهم عاصم وحمزة والكسائي ، وشددوا غيرهم .

(٢) هي قراءة أبي عمرو وابن كثير وحمة وشعبة وأبي جعفر وخلف من العشرة المشهورة .

الشرط الأول : ما أشار إليه الناظم بقوله : (أن يلبس من بعد طهر يكمل) أي : يتم من الحدثين ؛ لخبر أبي بكرة رضي الله عنه : أُرخص النبي ﷺ للمسافر — أن يسمح على الخفين — ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوماً وليلة ، إذا تطهر فليس خفيه أن يمسخ عليهما .^(١) فلو لبسهما قبل غسل رجليه وغسلهما في الخف لم يجز المسح ، إلا أن يزرعهما من موضع القدم ثم يدخلهما في الخفين ، ولو أدخل إحدهما في الخف بعد غسلها ثم غسل الأخرى وأدخلها لم يجز المسح ، إلا أن يزرع الأولى من موضع القدم ثم يدخلها في الخف ، ولو غسلهما في ساق الخفين ثم أدخلهما موضع القدم جاز المسح ، ولو ابتداء اللبس بعد غسلهما ثم أحدث قبل وصولهما إلى موضع القدم لم يجز المسح .

الشرط الثاني : ما أشار إليه بقوله : (ويسترا) أي : يسترا (محل فرض يغسل) وهو القدم بكعبيه من سائر الجوانب لا من الأعلى ، فلو رأى القدم من أعلى كأن كان واسع الرأس لم يضّر ، عكس سائر العورة ، فإنه من الأعلى والجوانب لا من الأسفل ، فإن القميص مثلاً في ستر العورة يتخذ لستر أعلى البدن ، والخف يتخذ لستر أسفل الرجل ، فإن قصر عن محل الفرض أو كان به تفرق في محل الفرض ضرّ .

الشرط الثالث : ما أشار إليه بقوله : (ويصلح) أي : وأن يصلح (لمشيته متابعاً) لتردده لحاجته عند الخطّ والترحال وغيرهما مما جرت به العادة ولو كان لا يسه مقعداً ، بخلاف ما لا يمكن المشي فيه لما ذكر ، فلا يكفي المسح عليه .

الشرط الرابع : ما أشار إليه بقوله : (وطهر كل) أي : من الخفين ، فلا يصح المسح على خف اتخذ من جلد ميتة قبل الدباغ ؛ لعدم إمكان الصلاة فيه . وفائدة المسح وإن لم تنحصر فيه فالقصد الأصلي منه الصلاة وغيرها تبع لها ، ولأن الخف بدل عن الرجل وهو نجس العين وهي لا تطهر عن الحدث ما لم تزل نجاستها فكيف يمسخ على البدل وهو نجس العين ، والمتنجس كالنجس كما في « المجموع » لما ذكر . نعم لو كان على الخف نجاسة معفو عنها ومسح من أعلاه

(١) أخرجه الشافعي (١٢٣) في « ترتيب المسند » ومابن الحاصرتين منه ، والبيهقي ٢٧٦/١ وزاد نسبه الحفاظ في « تلخيص الحبير » ١٦٦/١ إلى ابن خزيمة ، وقال : واللفظ له ، وابن حبان ، وابن الجارود ، وابن أبي شيبة ، والدارقطني ، والترمذي في « العلل » وصححه الخطابي أيضاً ، ونقل البيهقي أن الشافعي صححه في « سنن » حرمة . ويؤيده حديث علي عند مسلم (٢٧٦) : جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام وليالين للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم .

ما لا نجاسة عليه صح مسح ، فإن مسح على النجاسة زاد التلوّث ، ولزمه حينئذ غسله وغسل يديه . ذكره في « المجموع » ثم بين الناظم أن الشرط الرابع من زيادته بقوله : (زيد شرطاً رابعاً) .

(ويمسح المقيم في إقامته مقدار يوم كامل بلبسته)
(ويمسح المسافر الموالي ثلاثة تعد بالليالي)

أي : (ويمسح المقيم) ولو عاصياً (في إقامته) ومثله المسافر سفرأ قصيراً أو طويلاً وهو عاص بسفره ، وكذا كل سفر يمتنع فيه القصر (مقدار يوم كامل بلبسته) فيستبيح بالمسح ما يستبيحه بالوضوء في هذه المدة (ويمسح المسافر) أي : سفر قصير ، ولعله مراد الناظم بقوله : (الموالي . ثلاثة أيام) (تعد بالليالي) فيستبيح بالمسح ما يستبيحه بالوضوء في هذه المدة ، والأصل في ذلك الخبر المأثور ، والمراد بقوله الليالي : ثلاث ليال متصلة بها ، سواء سبق اليوم الأول ليلته أم لا ، فلو أحدث في أثناء الليل أو اليوم اعتبر قدر الماضي منه من الليلة الرابعة أو اليوم الرابع ، وعلى قياس ذلك يقال في مدة المقيم وما ألحق به .

(ثم ابتداء المدتين بالحدث وهو الذي من بعد لبس قد حدث)

أي : (ثم ابتداء المدتين) أي : مدة المسح في حق المقيم ، ومدة المسح في حق المسافر كائن (بالحدث) أي : بآخر الحدث (وهو الذي من بعد لبس) الخف (قد حدث) لأن وقت جواز المسح يدخل بذلك ، فاعتبر مدته منه . فإذا أحدث ولم يمسخ حتى انقضت المدة لم يجز المسح حتى يستأنف لبساً على طهارة ، أو لم يحدث لم تحسب المدة ولو بقي شهراً لأنها عبادة مؤقتة ، فكان ابتداء وقتها من حين جواز فعلها كالصلاة . وفي البيت ضرب من الجناس التام المماثل .

(ومن يسافر بعد مسح في الحضر والعكس لم يستوف مدة السفر)

أي : (ومن يسافر) أي : سفر قصير (بعد) ما (مسح) على خفيه أو أحدهما في (الحضر . والعكس) أي : ومن يقيم بعد مسح لهما في السفر (لم يستوف مدة السفر) بل يتم كل منهما مسح مقيم تغليلاً للحضر لأصالته ، فيقتصر في الأول على مدة الحضر ، وكذا في الثاني إن أقام قبل استيفائه مدته ، وإلا وجب النزاع ، ويجزئه ما زاد على مدة المقيم .

تنبيه : سكت الناظم كأصله عن كيفية المسح للخف ، وكيفيته : أن يضع يده اليسرى تحت العقب واليمنى على ظهر الأصابع ، ثم يمر باليمنى إلى آخر ساقه ، واليسرى إلى أطراف الأصابع من تحت مفرجاً بين أصابع يده . وهذه الكيفية سنة ، ويكره استيعابه بالمسح ، وتكراره ، وغسل الخف ، ويكفى مسمى مسح - كمسح الرأس - في محل الفرض بظاهر أعلى الخف ، لا بأسفله وباطنه وعقبه وحرفته إن لم يرد الاقتصار على شيء منها ، كما ورد الاقتصار على الأعلى فيقتصر عليه وقوفاً على محل الرخصة .

(ومبطلات المسح بعد صحته ثلاثة وهي انقضاء مدته)
(كذاك خلع خفه من رجله وكل شيء موجب لغسله)

أي : (ومبطلات) حكم (المسح بعد صحته) في حق لابس الخف (ثلاثة وهي) أولها : انقضاء المدة المحدودة في حقهما ، فليس لأحدهما^(١) أن يصلي بعد (انقضاء مدته) وهو بظهر المسح في الحالين . وثانيها : ما أشار إليه بقوله : (كذاك خلع خفه من رجله) أي : من رجله ، أو أحدهما ، أو بظهور بعض الرجل . وثالثها : ما أشار إليه بقوله : (وكل شيء موجب لغسله) أي : ما يوجب الغسل من جنابة أو حيض أو نفاس أو ولادة ، فيزوع ثم يتطهر ثم يلبس ، حتى لو اغتسل لابساً لا يمسح بقية المدة كما اقتضاه كلام الرافعي ، وذلك لحر صفوان : كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا مسافرين - أو سفراً - أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة . رواه الترمذي [٩٦] وغيره وصححه ، وقيس بالجنابة ما في معناها ، ولأن ذلك لا يتكرر تكرار الحدث الأصغر . واعلم أن من فسد خفه ، أو ظهر شيء مما ستره به من رجل ولفافة وغيرهما ، أو انقضت المدة وهو بظهر المسح في الثلاثة لزمه غسل قدميه فقط ؛ لبطلان طهرهما دون غيرهما بذلك ، وخرج بظهر المسح طهر الغسل فلا حاجة إلى غسل قدميه .

فائدة : قال في « الإحياء » : يستحب لمن أراد أن يلبس الخف أن ينفضه لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو شوكة أو نحو ذلك ، واستدل لذلك بما رواه الطبراني [في الكبير] (٧٦٢٠) عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما »^(٢) .

ولما عقب الناظم باب الوضوء بالمسح لأنه رخصة فيه عقب ذلك بباب الاستنجاء ، فقال :

(١) أي كل من القيم والمسافر .

(٢) حديث ضعيف ، ومعناه حديث أبي هريرة في البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفض فراشه بدخلة إزاره ؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه ... » .

باب الاستنجاء

وأخره عن الوضوء إعلاماً بجواز تقديم الوضوء عليه وهو كذلك ، بخلاف التيمم لأن الوضوء يرفع الحدث ، وارتضاعه يحصل مع قيام المانع . والاستنجاء : طهارة مستقلة على الأصح ، وهو استفعال من طلب النجاء وهو الخلاص من الشيء ، وهو مأخوذ من نجوت الشجرة وأنجيتها ، أي : قطعها ، لأن المستنجي يقطع الأذى عن نفسه . وقد يترجم عن هذا الباب بالاستطابة : وهي طلب الطيب ، فكأن قاضي الحاجة يطلب طيب نفسه بإخراج الأذى ، وقد يعبر عنه بالاستجمار : وهو الحصى الصغار ، وتطلق الثلاثة على إزالة ما على المنفذ ، لكن الأولان يعمان الحجر والماء ، والثالث مختص بالحجر .

(ويجب استنجاء كل محدث من كل رجس خارج ملوث)
(بالماء أو ثلاثة أحجار ينقي بهن موضع الأقدام)
(والجمع أولى وليقدم الحجر والماء أولى وحده إن اقتصر)

أي : (ويجب استنجاء كل محدث . من كل رجس) أي : نجس (خارج ملوث) ولو نادراً كدم وودي إزالة للنجاسة ، لا على الفور بل عند الحاجة إليه . وقوله : (بالماء أو ثلاثة أحجار) أشار به إلى أنه يجوز له أن يقتصر على الماء فقط ؛ لأنه الأصل في إزالة النجاسة ، وأن يقتصر على ثلاثة أحجار لأنه ﷺ جوزه بها حيث فعله ، كما رواه البخاري . وأمر بفعله بقوله كما رواه إمامنا الشافعي [٦٣] قدس الله روحه : « وليستنجد بثلاثة أحجار » الموافق له ما رواه مسلم [٢٦٢] وغيره من نبيه ﷺ عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار .

واعلم أن الواجب في الاستنجاء بالحجر أمران : أحدهما : ثلاث مسحات بأن ينقي بكل مسحة الحبل ولو كانت بأطراف حجر لخبر مسلم [٢٦٢] عن سلمان : نهانا رسول الله ﷺ أن يستنجي أحدنا بدون ثلاثة أحجار . وفي معناها ثلاثة أطراف ، بخلاف رمي الجمار لا يكفي له حجر له ثلاثة أطراف عن ثلاث رميات ؛ لأن القصدة ثم عدد الرمي ، وهنا عدد المسحات . ثانيهما : إنقاء الحبل كما أشار إليه بقوله : (ينقي بهن) أي : بالأحجار وما في معناها (موضع الأقدام) - بالمعجمة - أي : الحبل ، فإن لم ينق بالثلاثة وجب الإنقاء برابع فأكثر إلى أن لا يبقى إلا أثر لا يزيله إلا الماء أو صغار الخرف . ويسن بعد الإنقاء إن لم يحصل بوتر الإتيار بواحدة ، كأن حصل برابعة فيأتي بخامسة ، لما رواه الشيخان [البخاري (١٦١) ، ومسلم (٢٦٧)] عن أبي هريرة

أن النبي ﷺ قال : « إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترأ » وصرفه عن الوجوب رواية أبي داود [٣٥] وهي قوله ﷺ : « من استجمر فليوتر ، من فعل فقد أحسن ، ومن لا ، فلا حرج » .

وأشار بقوله : (والجمع أولى وليقدم الحجر) إلى أن الأفضل أن يستنجي بالأحجار ثم يتبعها بالماء ؛ لأن العين تزول بالحجر ، والأثر يزول بالماء من غير حاجة إلى مخامرة نجاسة . فإن أراد الاقتصاد على أحدهما فالماء أفضل ، فإنه يزيل العين والأثر ، وإليه أشار الناظم بقوله من زيادته : (والماء أولى وحده إن اقتصر) أي : على أحدهما .

تنبيهات : أولاها : شمل إطلاقه كأصله حجارة الذهب والفضة إذا كان كل منهما قالعاً ، وحجارة الحرم فيجوز الاستنجاء بها على الأصح . **ثانيها :** دخل في معنى الحجر الوارد كل جامد طاهر قالع غير محترم كخشب وخزف ، لحصول الغرض به كالحجر ، فخرج بالجامد المائع غير الماء الطهور كماء ورد ، وبالطاهر النجس كالبر ، والمتنجس كالماء القليل الذي وقعت فيه نجاسة ، وبالقالع نحو الزجاج والقصب الأملس . وبغير محترم المحترمة كمطعم آدمي كالخبز ، أو الجن كالعظم ، لا مطعم البهائم كالخشيش ، فيجوز ، والمطعم لها وللأدميين يعتبر فيه الأغلب ، وإن استويا فوجهان بناء على ثبوت الربا فيه ، والأصح الثبوت كما قاله الروياني والماوردي ، وإنما جاز بالماء مع أنه مطعم لأنه يدفع النجس عن نفسه ، ومن المحترم ما كتب عليه اسم معظم أو علم حديث أو فقه . **ثالثها :** شرط الاستنجاء بالحجر وما ألحق به - لأن يجزئ - أن لا يجف النجس الخارج ، فإن جف تعين الماء ، ولا ينتقل عن المحل الذي أصابه عند خروجه واستقر فيه ، وأن لا يطرأ عليه أجنبي نجساً كان أو طاهراً رطباً ولو بلل الحجر ، أما الجاف الطاهر فلا يؤثر ، فإن طرأ ما ذكر تعين الماء ، **رابعها :** لو ندر الخارج كالدم والودي والمذي ، أو انتشر فوق عادة الناس وقيل عادة نفسه ، ولم يجاوز في الغائط صفحته : وهي ما انضم من الألبين عند القيام ، وفي البول حشفته : وهي ما فوق الختان أو قدرها من مقطوعها جاز الحجر وما في معناه . **خامسها :** لا يجب الاستنجاء لدود وبعير خرج بلا تلوين ؛ لفوات مقصود الاستنجاء من إزالة النجاسة أو تخفيفها ، ولكن يسن خروجاً من الخلاف . **سادسها :** الواجب في الاستنجاء أن يغلب على ظنه زوال النجاسة ، فلا يضر شم راحتها بيده ، فلا يدل على بقائها على المحل وإن حكمنا على يده بالنجاسة ؛ لأننا لم نتحقق أن محل الريح باطن الإصبع الذي كان ملاصقاً للمحل ؛ لاحتمال أنه في جوانبه فلا ينجس بالشك ، ولأن هذا المحل قد خفف فيه في الاستنجاء بالحجر فخفف فيه هنا بغلبة ظن زوال النجاسة . **سابعها :** يسن تقديم القبل على الدبر في الاستنجاء بالماء ، عكس

الاستنجاء بالحجر . **ثامنها :** قال في « الإحياء » [١٣٧/١] يقول بعد فراغ الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق ، وحصن فرجي من الفواحش ^(١) .

(وليجنب قبلتنا بعورته قبلاً ودبراً عند فقد سترته)
(وكذا القعود صوب شمس وقمر وتحت كل ثمرة من الشجر)
(والظل والطريق والأحجار وكل ماء لم يكن بجاري)
(وحمل ذكر والكلام والعبث وطهره بالماء موضع الخبث)

ذكر في الآيات من آداب قاضي الحاجة أموراً :

أولها : يندب لقاضي الحاجة أن يجتنب استقبال القبلة واستدبارها إذا كان في غير المعد لذلك مع ساتر مرتفع قدر ثلثي ذراع تقريباً فأكثر، بينه وبينه ثلاثة أذرع فأقل بذراع الآدمي ، وإرخاء ذيله كاف في ذلك فيهما ، وهو حيثن خلاف الأولى ، ويجرمان في البناء غير المعد لقضاء الحاجة ، وفي الصحراء بدون الساتر المتقدم ذكره ، وهذا مراده بقوله : (وليجنب قبلتنا بعورته . قبلاً ودبراً) - يسكون الباء الموحدة فيهما - أي : استقبلاً واستدباراً (عند فقد سترته) المذكورة ، والأصل في ذلك حديث الصحيحين [البخاري (٣٩٤) ، ومسلم (٣٦٤)] أنه ﷺ قال : « إذا أتيت الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ، ولكن شرقوا أو غربوا » . وفيهما : أنه ﷺ قضى حاجته في بيت حفصة مستقبل الشام مستدبر الكعبة ^(٢) . وعن جابر رضي الله عنه : نهى النبي ﷺ أن تستقبل القبلة ببول ، فرأيت قبل أن يقبض بعمام يستقبلها . رواه الترمذي [٩] وحسنه . فحملوا الأول المفيد للحرمة على الفضاء وما ألحق به لسهولة اجتناب المخاذاة فيه ، بخلاف البناء غير المذكور مع الصحراء ، فيجوز فيه ذلك كما فعله ﷺ بياناً للجواز ، وإن كان الأولى لنا تركه كما مر . أما في المعد لذلك فلا حرمة فيه ولا كراهة ولا خلاف الأولى . قال : في « المجموع » : ويستثنى من الحرمة ما لو كانت الريح تهب عن يمين القبلة وشمالها فإنهما لا يجرمان للضرورة ، وإذا تعارض الاستقبال والاستدبار تعين الاستدبار . ولا يحرم ولا يكره استقبال القبلة ولا استدبارها حالة الاستنجاء والجماع وإخراج الريح ؛ إذ النهي عن استقبالها واستدبارها مقيد بحالة البول والغائط .

(١) وذكر نحوه الحافظ العراقي في « تخرج الإحياء » ١٣٢/٣ عن أم معبد عند الخطيب في « التاريخ » ٢٦٨/٥ بسند ضعيف ، مع نقص ، وزيادة أفاظ أخرى .

(٢) رواه البخاري (١٤٨) ، ومسلم (٢٦٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ثانيها : يندب لقاضي الحاجة أن لا يستقبل الشمس والقمر ببول أو غائط ، فيكره له ذلك ، وهذا مراده بقوله : (كذا القعود صوب شمس وقمر) واقتصر الناظم على حكم الاستقبال ، ولم يذكر الاستدبار كأصله تبعاً لما نقله النووي في أصل « الروضة » عن الجمهور أنه يكره الاستقبال دون الاستدبار . وقال في « المجموع » : وهو الصحيح المشهور ، وهذا هو المعتمد . وإن قال في « التحقيق » [ص ٨٤] : إنه لا أصل للكره ، فاختار إباحته ، والذي جرى عليه الأصل هو ما جرى عليه ابن المقري^(١) .. وحكم استقبال بيت المقدس واستدباره حكم استقبال الشمس والقمر واستدبارهما .

ثالثها : يندب لقاضي الحاجة أن يجتنب ذلك (تحت كل مئبر من الشجر) ولو كان الشجر مباحاً وفي غير وقت الثرة صيانة لها من التلوّث عند الوقوع فتعافها النفس ، ولم يحرموه لأن التنجيس غير متيقن . نعم إذا لم يكن عليها ثمر ، وكان يجري عليها الماء من مطر أو غيره قبل أن يثمر لم يكره ، كما لو بال تحتها ثم أورد عليها ماء طهوراً .

رابعها : يندب لقاضي الحاجة أن يجتنب ذلك في (الظل) للنهي عن التخلي في ظلهم ، أي : في الصيف ، ومثله موضع اجتماعهم في الشمس في الشتاء .

خامسها : يجتنب ذلك في (الطريق) أي : المسلك ؛ لقوله ﷺ « اتقوا اللعائن » ، قالوا : وما اللعائن ؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس ، أو في ظلهم [رواه مسلم (٢٦٩)] تسبياً بذلك في لعن الناس لهم كثيراً ، فنسب إليهما بصيغة المبالغة ؛ إذ أصلهما الملاعنان فحوّل للمبالغة ، والمعنى : احذروا سبب اللعن المذكور .

سادسها : يجتنب ذلك في (الأبحار) - بتقديم الجيم - جمع جحر - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة - وهو الحرق النازل المستدير للنهي عنه في خير أبي داود^(٢) وغيره ؛ لما يقال : إنه مسكن الجن ، ولأنه قد يكون فيه حيوان ضعيف فيتأذى ، أو قوي فيؤذيه أو ينجسه . ومثله الشرب : وهو - بفتح السين والراء - الشق المستطيل .

سابعها : يجتنب ذلك في (كل ماء لم يكن بجاري) بزيادة الياء ، وهو الماء الراكد للنهي عنه في حديث مسلم^(٣) ، ومثله الغائط ، بل أولى . والنهي في ذلك للكرهية إن كان الماء قليلاً

لإمكان طهره بالكرهية ، وفي الليل أشد كراهية ؛ لأن الماء بالليل مأوى الجن . أما الجاري ففي « المجموع » عن جماعة الكراهية في القليل منه دون الكثير ، أي : ولكن يكره في الليل لما مر ، ويكره أيضاً قضاء الحاجة بقرب الماء الذي يكره قضاؤها فيه لعموم النهي عن البول في الموارد ، وصب البول في الماء كالبول فيه .

ثامنها : يجتنب مريد قضاء الحاجة (حمل ذكر) الله ، أي : لا يحمل في الخلاء ذكر الله تعالى ، أي : مكتوب ذكر من قرآن أو غيره تعظيماً له ، وقد كان ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه وكان : نقشه ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، فإن سها أو تعدد حتى جلس لقضاء حاجته وهو حامل لذلك ضم كفه عليها ووضعها في عمامته أو غيرها .

تاسعها : يجتنب ندباً (الكلام) ذكراً كان أو غيره ، فيكره ذلك حال قضاء الحاجة إلا لضرورة كإندار أعمى ، فلا يكره بل يجب ، فإن عطس حمد الله بقلبه ، ولا يجري لسانه ، أي : بكلام يُسمع به نفسه .

عاشرها : يجتنب (العيث) فلا يعيث بيده ، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، ولا ينظر إلى فرجه ، ولا إلى الخارج منه ، ولا إلى السماء^(١) .

حادي عشرها : يجتنب ندباً (طهره بالماء) في (موضع الحبث) فلا يستنجي بماء في مجلسه إن لم يكن معداً لذلك ، لئلا يعود عليه الرشاش فينجسه بخلاف المستنجي بالحجر والمعد لذلك ؛ للمشقة في المعد لذلك ، وللفقد العلة في الاستنجاء بالحجر . وما تضمنه البيت الأخير من زيادة الناظم ، إلا قوله : والكلام .

ولنختم الباب بمسائل تتعلق بالباب تيمناً للفائدة ، فنقول : يندب أن يقدم داخل الخلاء يسارته والخارج يمينته ، وأن يقول عند دخوله إلى مكان قضاء حاجته : « بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الحبث والخبثا^(٢) » وعند انصرافه : « غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني » . للاتباع رواه النسائي^(٣) ، ومعنى « وعافاني » أي : من احتباسه أو من نزول الأمعاء

(١) لأحاديث وردت - ولو ضعيفة - في ذلك .

(٢) رواه البخاري (١٤٢) ، ومسلم (٣٧٥) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أي : في « عمل اليوم والليلة » (٧٩) . بلفظ : « غفرانك » فقط ، ورواه أيضاً أبو داود (٣٠) ، والترمذي (٧) كلهم

عن عائشة رضي الله عنها ، والقسم الباقي أخرجه عن أنس ابن ماجة (٣٠١) بسند فيه ضعف .

(١) أي في كتابه : « روض الطالب » مختصر « روضة الطالبين » للنووي . انظر « أسنى المطالب » ٤٦/١ .

(٢) (٢٩) عن عبد الله بن سرجس قال : نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الجحر .

(٣) (٢٨١) عن جابر : أنه نهى أن يبال في الماء الراكد .

معه . ويسن أن يبعد عن الناس في الصحراء وما ألحق بها في البنيان إلى حيث لا يسمع للخارج منه صوت ، ولا يشم له ريح ، فإن تعذر عليه الإبعاد عنهم سن لهم الإبعاد عنه كذلك . ولا يبول في موضع هبوب ريح وإن لم تكن هابئة ؛ إذ قد تهب بعد شروعه في البول قترد عليه الرشاش ، ولا في مكان صلب . ولا يبول قائماً . ويعتمد في قضاء الحاجة يساره ؛ لأن ذلك أسهل للخروج الخارج . ويندب أن يرفع لقضاء الحاجة ثوبه عن عورته شيئاً فشيئاً إلا أن يخاف تنجيس ثوبه ، فيرفعه بقدر حاجته ويُسبِّله شيئاً فشيئاً قبل انقضاء قيامه . ويكره إطالة المكث في محل قضاء الحاجة ؛ لما روى أنس عن لقمان : أنه يورث وجعاً في الكبد . ولا يدخل الحلاء حافياً ولا مكشوف الرأس ؛ للتباعد^(١) . ويسن أن يستبرئ من البول عند انقطاعه بنحو تنحج ونثر ذكر وغير ذلك .

باب نواقض الوضوء

أي : ما ينهي به الوضوء .

(نواقض الوضوء خمس خارج من مخرجه لا المني الخارج)
(ونوموه إلا مع التمكن وما أزال العقل كالجنون)
(ومس فرج آدمي ببطن كف ولمس أنثى رجلاً حيث انكشف)
(لا لمس أنثى محرماً أو في الصغر ولا بسن أو بظفر أو شعر)

(نواقض الوضوء خمس) فقط ، ولا يخالف من جعلها أربعة كـ « المنهاج » ؛ لأن مفهوم قول « المنهاج » : إلا نوم ممكن مقعده ؛ هو منطوق الثاني هنا ، وعلة النقص بها غير معقولة المعنى ، فلا يقاس عليها غيرها ، فلا نقض بالبلوغ بالسنة ، ولا بمس الأمرد الحسن ، ولا بمس فرج بهيمة ، ولا بأكل لحم الخزور ، ولا بالقهقهة في الصلاة ، ولا بالنجاسة الخارجة من غير الفرج كالفصد والحجامة ، ولا بنزع الخف ؛ لأن نزعته يوجب غسل الرجلين فقط ، على الأصح .

أحدها : (خارج من مخرجه) أي : المتوضئ الحي الواضح ، أي : من قبله أو من دبره ، سواء كان الخارج عينا أم ريحاً ، طاهراً أم نجساً ، جافاً أم رطباً ، معتاداً كبول أم نادراً ، انفصل أم لا ، قليلاً أم كثيراً ، طوعاً أم كرهاً^(٢) أما الخشئ المشكل فإن خرج الخارج من مخرجه جميعاً فهو

(١) روى البيهقي في « السنن » ٩٦/١ عن حبيب بن صالح مرسلًا قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحلاء لبس حذاءه وغطى رأسه .

(٢) لعموم الآية في قوله تعالى : ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ النساء : ٤٢ .

محدث ، وإن خرج من أحدهما فلا نقض . ويستثنى مما ذكره ما زاده على أصله بقوله : (لا المني الخارج) منه أولاً ، كأن أمني بمجرد نظر أو احتلام ممكناً مقعده ، فلا ينتقض وضوؤه بذلك ؛ لأنه أوجب أعظم الأمرين وهو الغسل بخصوصه ، فلا يوجب أدونهما وهو الوضوء بعمومه ، كزنا المحصن لما أوجب أعظم الحدّين لكونه زنا المحصن ، فلا يوجب أدونهما لكونه زنا . أما مني غيره أو منيه إذا عاد فينقض خروجه لفقد العلة .

تنبيه : تعبيره بمخرجه كتنبيه أصله بالسيلين جري على الغالب ؛ إذ للمرأة ثلاثة مخرج : اثنان في قبلها وواحد في دبرها . فلو خلق لإنسان فرجان فإنه ينتقض بالخارج من كل منهما .

ثانيها : (نومه) أي : المتوضئ (إلا مع التمكن) لقوله ﷺ : « العينان وكاء السه ، فمن نام فليتوضأ » رواه أبو داود [٢٠٣] وغيره . والسّه - بسين مهملّة مشددة مفتوحة وهاء - : حلقة الدبر ؛ والوكاء - بكسر الواو والمد - : الخيط الذي يربط به الشيء . والمعنى فيه : أن اليقظة هي المحافظة لما يخرج ، والنائم قد يخرج الشيء منه ولا يشعر به . أما إذا نام وهو ممكن ألبه من مقره من أرض أو غيرها فلا ينتقض وضوؤه^(١) ، ولو كان مستنداً إلى ما لو زال لسقط ، لا من خروج شيء حيث من دبره . ولا عبرة باحتمال خروج ريح من قبله لأنه نادر .

تنبيه : دخل في ذلك ما لو نام محتباً ، وأنه لا فرق بين التحيف وغيره ، وهو ما صرح به في « الروضة » وغيرها . نعم إن كان بين مقعده ومقره تجافٍ نقض كما نقله في « الشرح الصغير » عن الروياني وأقره ، ولا تمكين لمن نام على قفاه ملصقاً مقعده بمقره ، ولو نام متمكناً فسقطت يده على الأرض لم ينتقض وضوؤه ما لم تزل أليته عن التمكين قبل انتباهه . ويسن الوضوء من النوم ممكناً خروجاً من الخلاف .

فائدة : من خصائصه ﷺ أنه لا ينتقض وضوؤه بنومه مضطجماً ، وكذا سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - على الأوجه .

ثالثها : (ما) أي : شيء (أزال العقل) الغريزي (كالجنون) والشكر وإن لم يأنم به والمرض والإغماء ؛ لأن ذلك أبلغ من النوم ، ولا فرق بين أن يكون متمكناً أم لا . قال الغزالي رحم الله روحه : الجنون يزيل العقل ، والإغماء يغمره ، والنوم يستره . وقد علم من كلام الناظم كاصله أن أوائل السكر الذي لا يزول به الشعور لا ينقض ، وهو كذلك .

(١) الحديث مسلم (٣٧٦) عن أنس قال : أثبت الصلاة والنبي ﷺ يناجي - يحدث ويكلم - رجلاً ، فلم يزل يناجيه حتى نام أصحابه ثم جاء فصل بهم .

رابعها : (مسّ فرج الآدمي) من نفسه أو غيره ذكرًا أو أنثى، متصلًا أو منفصلًا (بيطن كفت) بغير حائل؛ لقوله ﷺ: «من مسّ فرجه فليتوضأ» رواه الترمذي [٨٢] وصححه، ولخير ابن حبان [١١١٨]: «إذا أفضى أحدكم بيده إلى فرجه وليس بينهما ستر ولا حجاب فليتوضأ». والإفضاء لغة: المس ببيطن الكف، فثبت النقض في فرج نفسه بالنص، ففي فرج غيره أولى؛ لأنه أفحش لهلك حرمة غيره، والمراد ببيطن الكف: الراحة مع بطون الأصابع. وبفرج المرأة: ملتقى الشفرين على المنفذ، فلا نقض بمسّ الأنثيين، ولا بباطن الأكيين، ولا بما بين القبل والدبر، ولا بالعانة. وينقض مسّ حلقة الدبر؛ لأنه فرج وقياساً على القبل بجامع النقض بالخارج من كل منهما، والمراد بهذا ملتقى المنفذ لا ما وراءه. وينقض فرج الميت والصغير ومحل الحب والذكر الأشلّ وباليدين الشلاء. وخرج يقول الناظم: ببيطن كفت؛ رؤوس الأصابع وما بينها وحرفها وحرف الكف، فلا نقض بذلك لخروجها عن سمت الكف، فضابط ما ينقض ما يُستتر عند وضع إحدى اليدين على الأخرى مع تحامل يسير. وبفرج الآدمي فرج الهيمة والطيور، فلا نقض بمسه قياساً على عدم وجوب ستره وعدم تحريم النظر إليه.

خامسها : (لمس أنثى) يبشرتها (رجلاً) أي: بشرته (حيث انكشف) أي: بغير حائل لقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٤٣] أي: ﴿لَمَسْتُمْ﴾ كما في قراءة^(١) مُبَيَّنَّة؛ فَعَطَفَ اللّمس على الجيء من الغائط، ورتب عليهما الأمر بالتييم عند فقد الماء، فدل على أنه حدث، لا جامعته لأنه خلاف الظاهر. ولا فرق في ذلك بين أن يكون بشهوة أو إكراه أو نسيان، أو يكون الرجل ممسوحاً أو خصياً أو عنيباً، أو المرأة عجوزاً شوهاء؛ إذ ما من ساقطة إلا ولها لاقطة، أو كافرة بتمجس أو غيره، أو حرّة أو رقيقة أو أحدهما ميتاً، لكن لا ينتقض وضوء الميت. واللمس: الجس باليد، والمعنى فيه: أنه مظنة ثوران الشهوة، ومثله في ذلك باقي صور الالتقاء فألحق به، بخلاف النقض بمسّ الفرج كما مر فإنه مختص ببيطن الكف، لأن المس إنما يثير الشهوة ببيطن الكف، واللمس يثيرها به وبغيره. والبشرة: ظاهر الجلد، وفي معناه: اللحم كلحم الأستان واللثة وباطن العين، وخرج بقوله: حيث انكشف؛ ما إذا كان على البشرة حائل ولو رقيقاً. نعم لو كثر الوسخ على البشرة من العرق فإن لمسه ينقض، لأنه صار كالجزء من البدن، بخلاف ما إذا كان من غبار. وبالرجل والمرأة الرجلان والخثيان، والخثني مع الرجل أو المرأة ولو بشهوة؛ لانتفاء مظنتها، واحتمال التوافق في صورة الخثني. والمراد بالرجل: الذكر إذا بلغ حداً يشتهي، لا البالغ، وبالمرأة: الأنثى إذا بلغت كذلك، لا البالغة. ويستثنى من ذلك

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف أي من القراءات الثميرة المشهورة.

ما ذكره الناظم زيادة على أصله بقوله: (لا لمس أنثى محرماً) أي: رجلاً محرماً، أي: لا ينقض لمس محرّم بنسب أو رضاع أو مصاهرة ولو بشهوة، لأنه ليس مظنة للشهوة بالنسبة إليها كالمرأة. ولا تنقض صغيرة ولا صغير لم يبلغ كل منهما حد الشهوة عرفاً، كما أشار إليه بقوله من زيادته أيضاً: (أو في الصغر) لانتفاء مظنة الشهوة، بخلاف ما إذا بلغاها وإن انتفت بعد ذلك لنحو هرم كما أشار إليه فيما سبق. (ولا بسين أو بظفر أو شعر) أو عظم؛ لأن معظم الالتذاذ في هذه إنما هو بالنظر دون اللمس. ولا ينقض العضو المباني غير الفرج. والتصريح بالسن والظفر والشعر من زيادة الناظم أيضاً. وقوله: أو بظفر، بسكون الفاء.

ولما قدم الناظم الكلام على ما يتعلق بالوضوء المسمى بالطهارة الصغرى عقب ذلك بالكلام على الغسل المسمى بالطهارة الكبرى، فقال:

باب الغسل

لمشاركة كل منهما في الطهارة بالماء لم يقدم الأكبر على الأصغر؛ لتكرّر الأصغر خمس مرات فصاعداً في اليوم واليلة بخلاف الأكبر. والغسل - بفتح الغين وضمها - لغة: سيلان الماء على الشيء مطلقاً. وشرعاً: سيلانه على جميع البدن بنية. والغسل بالكسر: ما يغسل به الرأس من نحو سدر وخطمي كصابون.

(وجوبه بستة أشياء ثلاثة تختص بالنساء)
(الحيض والنفاس والولادة عند انقطاع الكُلِّ للعباده)
(واشترك النساء مع الرجال في الموت والجماع والإنزال)

(وجوبه) أي: الغسل كائن (بستة أشياء : ثلاثة) منها (تختص بالنساء) وهي (الحيض) لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْحَيْضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي: الحيض، ولخير البخاري [٣٣١] أنه ﷺ قال لفاطمة بنت أبي حبيش - بضم المهملة وفتح الموحدة بعدها مثناة تحية ثم شين معجمة - : «إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي». (والنفاس) لأنه دم حيض مجتمع. (والولادة) ولو علقه أو مضغه، ولو بلا بلل لأنه منّي منعقد لا يتخلو عن بلل غالباً، فأقيم مقامه كالنوم مع الخارج، وتفطر به المرأة على الأصح في «التحقيق» وغيره، ويعتبر مع خروج كل وانقطاعه القيام إلى الصلاة أو إلى نحوها كما في الرافعي و«التحقيق»، وكما

أشار إليه الناظم بقوله من زيادته: (عند انقطاع الكل للعبادة) وإن صحح في «المجموع» أن موجب الانقطاع فقط، فهذه الثلاثة تختص بالنساء.

(واشترك النساء مع الرجال. في) ثلاثة أيضاً: أولها: (الموت) لمسلم غير شهيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الجنائز لحديث الحرم الذي وقصته ناقته فقال ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر» رواه الشيخان [البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦)]، وظاهره الوجوب، وهو من فروض الكفايات. والوقص: كسر العنق. وثانيها: (الجماع) أي: التقاء الختانين بإدخال حشفة ولو بلا قصد، أو كان الذكر أشل أو غير منتشر أو قدرها من مقطوعها فرجاً من امرأة، أو كان على الذكر خرقه ملفوفة ولو غليظة؛ لقوله ﷺ: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل». أي: وإن لم ينزل رواه ابن حبان^(١) [١٨٣١] والختانان جري على الغالب، فلو أدخل حشفته أو قدرها من مقطوعها في فرج بهيمة أو دبر كان الحكم كذلك؛ لأنه جماع في فرج، وليس المراد بالتقاء الختانين انضمامهما؛ لعدم إيجابه الغسل بالإجماع بل تحاذيهما. يقال: التقى الفارسان: إذا تحاذيا وإن لم ينضما، وذلك إنما يحصل بإدخال الحشفة في الفرج؛ إذ الختان محل القطع في الختان، وختان المرأة فوق مخرج البول، ومخرج البول فوق مدخل الذكر، ويجنب صبي أو مجنون أو لَجًا أو أُولجَ فيها، ويجب عليهما الغسل بعد التكميل، وصح من يميز، ويجزئه ويؤمر به كالوضوء، وإيلاج الخنثى لا أثر له في الغسل. وثالثها: (الإنزال) أي: خروج المني، أي: مني الشخص نفسه الخارج أول مرة، والأصل في ذلك قوله ﷺ: «إنما الماء من الماء» رواه مسلم [٣٤٣] عن أبي سعيد، ولا فرق في وجوب الغسل بخروج المني بين أن يكون من طريقه المعتاد وإن لم يكن مستحكماً، أو من غيره إذا كان مستحكماً مع انسداد الأصلي وخروج من تحت الصلب. فإن خرج غير المستحكم من غير المعتاد كأن خرج لمرض فلا يجب به الغسل، ولا يجب بخروج مني غيره منه، ولا بخروج منيه منه بعد استدخاله، ويعرف المني بتدفقه، أو لذة مع فتور الذكر، وانكسار الشهوة عقبه، وإن لم يتدفق لقلته، أو خرج على لون الدم، أو ربح عجين حنطة أو نحوها، أو ربح طلع رطباً، أو ربح بياض بيض دجاج أو نحوه جافاً، وإن لم يلتد ولم يتدفق كأن خرج باقي منيه بعد غسله. أما إذا خرج من قبل المرأة مني جماعها بعد غسلها فلا تعيد الغسل إلا إن قضت شهوتها، فإن لم يكن لها شهوة كصغيرة أو كانت ذات شهوة كبيرة ولم تقض شهوتها كنائمة لا إعادة عليها. فإن فقدت الصفات المذكورة في الخارج فلا غسل عليها؛ لأنه ليس بمني وهذه الخواص تشترك فيها الرجال والنساء على الراجح.

(١) في النسخ: رواه مسلم، ولم أجده عنده، لكن بهذا اللفظ عثرتُ الباب. في كتاب الحيض باب نسخ «الماء من الماء».

فروع: لو أحس بزول المني فأمسك ذكره فلم يخرج منه شيء فلا غسل عليه، كما علم مما مر وصرح به في «الروضة».

تتمة: إذا احتمل كون الخارج منياً أو غيره كودي أو مذي تحير بينهما على المعتمد، فإن جعله منياً اغتسل، أو غيره توضأ وغسل ما أصابه؛ لأنه إذا أتى بمقتضى أحدهما برىء منه يقيناً، والأصل براءته من الآخر ولا معارض له، وإذا اختار أحدهما وفعله اعتد به، فإن لم يفعله كان له الرجوع عنه وفعل الآخر إذ لا يتعين عليه باختياره شيء.

(وإن ترد فروضه فالنيه والغسل للنجاسة العينية)
(وأن يعم الماء سائر البدن مع الشعور ظاهراً وما بطن)
(ويستحب قبله الوضوء له والنطق في ابتدائه بالبسملة)
(والبعد باليمين فالشمال مدلكاً مثلثاً موالى)

أي: (وإن ترد) أيها المخاطب (فروضه) أي: الغسل ولو مستنواً فهو ثلاثة على ما صححه الرافعي من عدم الاكتفاء بغسلة عن الحدث والخبث، وفرضان على ما صححه النووي في كتبه من الاكتفاء لهما بغسلة وهي المذهب.

الأول: (النية) لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» [رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)] فينوي رفع الجنابة إن كان جنباً، ورفع حدث الحيض إن كانت حائضاً، أو لتوطأ كما في «الروضة» وأصلها، أو الغسل من الحيض كما قاله ابن المقرئ، أو رفع الحدث سواء أضافه إلى الأكبر أم لا، أو ينوي استحابة مفتقر إلى غسل، أو أداء فرض الغسل، أو فرض الغسل، أو الغسل المفروض، أو أداء الغسل، وكذا الطهارة للصلاة. أما إذا نوى الغسل فقط فإنه لا يكفي، بخلاف الوضوء لأن الوضوء لا يكون إلا عبادة كما مر. وتكون النية مقرونة بأول ما يغسل من البدن، سواء كان من أعلاه أو من أسفله، إذ لا ترتيب فيه، فلو نوى بعد غسل جزء منه وجب إعادة غسله. قال في «المجموع»: وإذا اغتسل من إناء كإبريق ينبغي له أن ينوي عند غسل محل الاستنجاء بعد فراغه منه؛ لأنه قد يغفل عنه، أو يحتاج إلى المسّ فيتنقض وضوؤه، أو إلى كلفة في لفّ خرقه على يده.

فروع: لو نوى شخص رفع الجنابة وحدثه الحيض أو عكسه، أو نوى رفع جنابة الجماع وجنابته باحتلام أو عكسه، صحّ مع الغلط دون العمد كتنظيره في الوضوء، ذكر ذلك في «المجموع».

والثاني : (الغسل) بفتح الغين المعجمة (للنجاسة العينية) فإن لم تُزَلْ بقي الحدث ، ومحل الخلاف في النجاسة الحكمية كما في « المجموع » ويرفعهما الماء معاً ، والأصح أنه يكفي لهما غسلة واحدة ، فإن واجبها غسل العضو وقد حصل ، فعلم من صنع الناظم أن النجاسة إن كانت عينية ولم تُزَلْ بقي الحدث ، وهذا محل وفاق ، فتعبيره أوضح من تعبير أصله بإزالة النجاسة إن كانت على بدنه .

الثالث : (أن يعم الماء سائر) أي : جميع (البدن . مع) جميع أجزاء (الشعور ظاهراً وما بطن) أي : وباطناً وإن كثف^(١) . ويجب نقض الضفائر إن لم يصل الماء إلى باطنها إلا بالنقض ، لكن يعفى عن باطن الشعر المعقود ، ولا يجب غسل الشعر النابت في العين والأنف وإن كان يجب غسله من النجاسة لغلظها .

تبييه : دخل في قول الناظم : سائر البدن ؛ الأظفار ، وما يظهر من صماخي الأذن ، ومن فرج المرأة عند قعودها لقضاء الحاجة ، وما تحت القلفة^(٢) ، وموضع شعر نتفه قبل غسله ، ولا يجب في الغسل مضمضة ولا استنشاق .

ولما فرغ من فروض الغسل ذكر سننه ، قال : (ويستحب قبله) أي : الغسل (الوضوء له) كاملاً للاتباع ، رواه الشيخان^(٣) . قال في « المجموع » عن الأصحاب : وسواء قُدم الوضوء كله أم بعضه ، أم أخره أم فعله في أثناء الغسل فهو محصل للسنة ، لكن الأفضل تقديمه . ثم إن تجردت جنباته عن الحدث كأن احتلم وهو جالس متمكن نوى سنة الغسل ، وإلا نوى رفع الحدث الأصغر ، وإن قلنا باندراجه خروجاً من خلاف من أوجبه ، فإن ترك الوضوء أو المضمضة كره له ، ويسن له أن يتدارك ذلك . (و) يستحب (النطق في ابتدائه) أي : الغسل (بالبسملة) كالوضوء بقصد التبرك ، وذكر التسمية من زيادته . (و) يستحب (البدء) أي : الابتداء (باليمين فالشمال) والمعنى : يستحب تقديم غسل جهة اليمين من جسده ظهراً وبطناً على جهة اليسار ، بأن يفيض الماء على شقه الأيمن ، ثم الأيسر ؛ لأنه ﷺ كان يحب التيامن في طهوره . متفق عليه [البخاري (١٦٨) ، ومسلم (٢٦٨)] ويستحب كذلك كما أشار إليه بقوله من زيادته : (مدلكاً) فبدلك ما وصلت إليه يده من بدنه احتياطاً ، وخروجاً من خلاف من أوجبه ، ويتعهد معاطفه بأن يأخذ الماء بكفه فيجعل على المواضع التي فيها انعطاف والتواء

(١) لحديث أبي داود (٢٤٩) عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ترك موضع شرة من جنبه ، لم يغسلها ، فُعل به كذا وكذا من النار » قال علي : فمن ثم عادت رأسي ، وكان يجر شعره .

(٢) القلفة : هي ما يزال عند ختان الطفل من مقدم ذكره .

(٣) رواه البخاري (٢٤٨) ، ومسلم (٣١٦) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

كالأذنين ، وطبقات البطن ، وداخل السرة ؛ لأنه أقرب إلى النقطة بوصول الماء ، ويتأكد في الأذن ، فيأخذ كفاً من ماء ويضع الأذن عليه برفق ليصل الماء معاطفه وزيادة . ويستحب التلث^(١) تأسيساً به ﷺ كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (مثلثاً) وكيفية ذلك أن يتعهد ما ذكره ، ثم يغسل رأسه ويدلكه ثلاثاً ، ثم باقي جسده كذلك بأن يغسل ويدلك شقه الأيمن المقدم ، ثم المؤخر ثم الأيسر كذلك ؛ للأخبار الصحيحة الدالة على ذلك . ولو انغمس في ماء : فإن كان جارياً كفى في التلث أن يمر عليه ثلاث جريات ، لكن قد يفوته ذلك لأنه لا يتمكن منه غالباً تحت الماء ، إذ ربما يضييق نفسه . وإن كان راكداً انغمس فيه ثلاثاً بأن يرفع رأسه منه ، وينقل قدميه أو ينتقل فيه من مقامه إلى آخر ثلاثاً ، ولا يحتاج إلى انفصال جملة ولا رأسه كما في التسييع من نجاسة الكلب ، فإن حركته تحت الماء كجري الماء عليه . ويستحب الموالاة كما أشار إليه بقوله : (موالى) وهي غسل العضو قبل جفاف ما قبله كما في الوضوء .

فائدة : إن قيل : لِمَ جاء في الكتاب العزيز كيفية الوضوء دون كيفية الغسل ؟ فالجواب : لما كان الغسل من الجنابة معلوماً قبل الإسلام من شرع إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يحتاج إلى بيان كيفية ، بخلاف الوضوء ، كذا قال بعضهم .

حاشية : لا يسن تجديد الغسل ، بخلاف الوضوء فيسن تجديده إذا صلى بالأول صلاة ما . ويسن أن لا ينقص ماء الوضوء عن مدٍّ : [٠,٧٨٠ كغ] والغسل عن صاع : [٣,١٢٠ كغ] تقريباً^(٢) . قال في « الإحياء » : لا ينبغي أن يخلق رأسه أو يقلم أو يستحد أو يخرج دماً أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب ، إذ يُردُّ إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ، ويقال : إن كل شرة تطالب صاحبها بجنباتها . ويجوز أن يتكشف للغسل في خلوة أو بحضرة من يجوز نظره إلى عورته ، والستر أفضل .

(١) لحديث مسلم (٢٣٠) أن عثمان رضي الله عنه قال : ألا أريكم وضوء رسول الله ﷺ ؟ ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً .

(٢) لما في حديث أنس عند مسلم (٣٢٥) ، والبخاري (٢٠١) قال : كان النبي ﷺ يتوضأ بالماء ، ويغسل بالصاع ، إلى خمسة أمداد ، والصاع يعادل أربعة أمداد .

فصل : في الأغسال المسنونة

(وهالك أيضاً عدّ أغسال تسن سبعة وعشرة عدّاً حسن)
 (لجمعة والعيد والكسوف وغسل الاستسقاء والخسوف)
 (ومن يغسل ميتاً ومن دخل في ديننا من بعد كفر اغتسل)
 (ومن به إغماء أو جنون إذا أفاق غسله مسنون)
 (وقاصد الدخول في الإحرام كذا دخول البلدة الحرام)
 (وللوقوف بعدها في عرفه وللمبيت بعد بالمزدلفة)
 (وفي منى ثلاثة للرامي وللطواف سائر الأيام)

اعلم أن الأغسال المسنونة كثيرة ، ذكر الناظم منها كأصله سبعة عشر غسلًا بقوله : (وهالك) إلى آخر البيت : أي خذ عدّها عدّاً حسناً .

فالأول من السبعة عشر - بتقديم السين على الموحدة - : الغسل (لجمعة) لمن يريد حضورها وإن لم تجب عليه لخبر : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل »^(١) أي : أراد مجيئها ، وصرّفه عن الوجوب خبر الترمذي [٤٩٧] وحسنه : « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل » أي : فبالسنة أخذ ، أي : فقد تمسك بما جوّزته السنة من الاقتصاد على الوضوء ، ونعمت هي ، أي : رخصة الوضوء . وبدأ الناظم كأصله بغسل الجمعة ؛ لأنه أكد الأغسال على الراجع ، ويدخل وقت غسلها بالفجر الصادق ؛ لأنه مضاف في الأدلة إلى اليوم ، ومن ذهابه إلى المصل أفضل . ويكره تركه بلا عذر على الأصح ، فإن عجز عن الماء تيمم بنية الغسل وحاز الفضيلة .

تنبيه : لا يبطل غسل الجمعة بالحدث ولا بالجنابة فيغتسل . (و) **الثاني والثالث** : غسل (العيد) ين ، الأضحى والفطر^(٢) ، إذ مراد الناظم الجنس لكل أحد وإن لم يحضر الصلاة لأنه يوم زينة ، فالغسل له بخلاف الجمعة . ويدخل وقت غسلها بنصف الليل ، ويندب أن يكون بعد الفجر وإن لم يصل ، لأن الغسل لليوم لا للصلاة كما ذكرناه . (و) **الرابع** : غسل صلاة

(١) رواه البخاري (٨٧٧) ، ومسلم (٨٤٤) عن ابن عمر .

(٢) روى ابن ماجه (١٣١٥) بسند فيه ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله يغتسل يوم الفطر ، ويوم الأضحى . ويؤيده حديث مالك ١٧٧/١ أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصل .

(الكسوف) بالكاف للشمس . (و) **الخامس** : (غسل) صلاة (الاستسقاء) عند الخروج لها . (و) **السادس** : غسل صلاة (الخسوف) بالخاء المعجمة للقمر ، ويدخل وقت الخسوف بالقمر ، والكسوف بأولهما كما في « المجموع » .

تنبيه : تخصيص الخسوف بالقمر والكسوف بالشمس هو الأفصح كما في « الصحاح » ، وحكي عكسه ، وقيل : الكسوف أوله فيهما ، والخسوف آخره ، وقيل غير ذلك . (و) **السابع** : غسل (من) أي : الذي (يغسل ميتاً) - بتشديد الياء المكسورة - أي : الغسل من غسل الميت ولو مسلماً ؛ لعموم قوله ﷺ : « من غسل ميتاً فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ » رواه الترمذي [٩٩٣] وحسنه ، وابن حبان [١١٦١] عن أبي هريرة وصححه ، وصرّفه عن الوجوب خبر : « ليس عليكم في غسل ميتكم غسل إذا غسلتموه » رواه الحاكم [٣٧٦/١] ثم لا فرق في ستّو الغاسل بين كونه طاهراً أو كونه جنباً أو حائضاً .

تنبيه : يسن الوضوء من مسه . **والثامن** : غسل الكافر ولو مرتداً إذا أسلم ، وهو مراد الناظم بقوله : (ومن دخل في ديننا) أي : معاشر المسلمين (من بعد كفر اغتسل) تعظيماً للإسلام ، وقد أمر ﷺ قيس بن عاصم بالغسل لما أسلم^(١) ، وإنما لم يجب لأن جماعة أسلموا ولم يأمرهم النبي ﷺ بالغسل ، هذا إن لم يعرض له في كفره ما يوجب الغسل ، وإلا وجب على الأصح ، ولا عبرة بالغسل في الكفر في الأصح .

تنبيهان : أحدهما : قد علم من كلام الناظم أن وقت الغسل بعد إسلامه ؛ تصحح النية ، ولأنه لا سبيل إلى تأخير الإسلام بعده ، بل المصرّح به في كلامهم تكفير من قال لكافر جاءه ليسلم : اذهب فاغتسل ثم أسلم ، لرضاه ببقائه على الكفر تلك اللحظة . **ثانيهما** : يسن للكافر إذا أسلم حلق شعر رأسه ؛ لخبر أبي داود [٣٥٦] « ألق عنك شعار الكفر » . ويسن غسل بدنه بماء وسدر^(٢) إن تيسر ، وإلا فغيره كأشنان^(٣) فيما يظهر . **والتاسع** : غسل من به إغماء ولو لحظة . (و) **العاشر** : غسل (من به إغماء أو جنون . إذا أفاق غسله مسنون) كل منهما إن لم يتحقق منهما إنزال للاتباع في الإغماء ، رواه الشيخان [البخاري (٦٦٥) مختصراً ، ومسلم (٤١٨)] . وفي معناه الجنون ، بل أولى ؛ لأنه كما قاله الشافعي قدس الله روحه : قلّ من جُنّ ، إلا وأنزل . (و) **الحادي عشر** : غسل (قاصد الدخول في الإحرام) بجمّ أو عمرة أو بهما ولو في حال حيض المرأة أو نفاسها . **والثاني عشر** : الك (دخول) في (البلدة الحرام) أي : مكة شرّفها

(١) رواه أبو داود (٣٥٥) ، والترمذي (٦٠٥) .

(٢) هو نبت يستعمل كمكثف وينوب عنه الصابون وأمثاله .

الله تعالى ، ولو كان حلالاً على المنصوص في « الأم » . ومن ثم قال السبكي رحمه الله تعالى :
وحينئذ لا يكون هذا من أغسال الحج من جهة أنه لا يقع فيه .

تنبيه : يستثنى من إطلاق الناظم كأصله : ما لو أحرم المكّي بعمرة من قريب كالتميم واغتسل ، لم يندب الغسل لدخول مكة . (و) الثالث عشر : (للوقوف بعدها في عرفه) والأفضل كونه بنمرة ، ويحصل أصل السنة في غيرها ، وقبل الزوال بعد الفجر ، كتقريبه من ذهابه في غسل الجمعة . (و) الرابع عشر : الغسل (للمبيت .. بالمزدلفة) على طريقة لبعض العراقيين تبع الناظم أصله فيها ، وهو المذهب في « الروضة » حكاه في « الزوائد » عن الجمهور ، ونص الإمام على استحبابه للوقوف بمزدلفة بعد صبح يوم النحر ، وهو الوقوف بالمشرع الحرام . والخامس عشر : الغسل لرمي الجمار الثلاث في كل يوم من أيام التشريق ، وهذا مراد الناظم بقوله : (وفي منى ثلاثة للرامي) فلا غسل لرمي جمرة العقبة يوم النحر اكتفاء بغسل العيد كما قاله في « الروضة » ولأن وقته متسع بخلاف رمي أيام التشريق . (و) السادس عشر : الغسل (للطواف سائر الأيام) أي : لكل من طواف الإفاضة والوداع ، وهذا ما جرى عليه النووي في « المنسك الكبير » وهو خلاف الراجح ، والمعتمد عدم الاستحباب كما يقتضيه كلام « المنهاج » .

تنبيهان : أحدهما : أكد هذه الأغسال غسل الجمعة كما مر ، ثم غسل غاسل الميت .
ثانيهما : قال الزركشي : قال بعضهم : إذا أراد الغسل للمسنونات نوى أسبابها ، إلا الغسل من الجنون فإنه ينوي الجنابة ، وكذا المغمي عليه ، ذكره صاحب « الفروع » انتهى .

تكملة : يسن الغسل من الحجامة ، ومن الخروج من الحمام عند إرادة الخروج منه ، وللاعتكاف ، ولكل ليلة من رمضان ، ولدخول الحرم ، ولخلق العانة^(١) ، ولبلوغ الصبي بالسن ، ولدخول المدينة الشريفة ، وعند سيلان الوادي^(٢) ، وتغير رائحة البدن ، وعند كل اجتماع من مجامع الخير . أما الصلوات الخمس فلا يسن الغسل لها ، لما في ذلك من المشقة .

ولما فرغ الناظم من الطهارة المائية وضوءاً وغسلاً شرع في الطهارة الترابية كلاً وبعضاً لوقوعها بدلاً عنها ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ [المائدة : ٦] فقال :

باب التيمم

وهو لغة : القصد ، يقال : يمت فلاناً ، وتيممته ، وتأممته ، وأتمته ، أي : قصدته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثُ مِنْهُ تَفْقُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] قال الشاعر :

وما أدري إذا يمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيه
وشرعاً : إيصال التراب إلى الوجه واليدين بشرائط مخصوصة . وقد جمع الشاعر بين المعنيين بهجو القوم بقوله :

تيممتمكم لما فقدت أولي النهى ومن لم يجد ماءً تيمم بالثراب
وهو رخصة مطلقاً على المعتمد ، ونخصت بهذه الأمة ، والأكثر على أنه فرض سنة ست من الهجرة ، وأجمعوا على أنه مختص بالوجه واليدين وإن كان الحدث أكبر ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [المائدة : ٦] أي : تراباً طهوراً . وخبر مسلم [٥٢٢] : « جعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً » . يعني : مطهراً . قال الخطابي في معناه : إن من كان قبلنا لم تبيح لهم الصلاة إلا في البيع والكنائس ، أي : بخلاف هذه الأمة المحمدية ، فوسّع الله لها في فعل صلاتها ، أي : في أي بقعة من بقاع الأرض تشريفاً لها . قال بعض مشايخنا : وما قاله يرجع إلى صدر الحديث . وأما قوله : « تربتها طهوراً » فالتربة من لغات التراب ، وفيه إشارة إلى أنها في زمن من تقدّم من الأنبياء وأممهم لم تكن كذلك بل كانت طاهرة غير مطهرة ، والله أعلم .

(شروطه وجود عذر كسفر أو مرض يفضي مع الماء للضرر)
(ووقت فعل ماله تيمم وسعيه في الوقت في تحصيل ما)
(والفقد بعد سعيه المذكور وأخذ ترب خالص طهور)
(شروطه) أي التيمم : جمع شرط - وسياقي تعريفه في كتاب الصلاة - أمور .

أحدهما : (وجود عذر) وهو العجز عن استعمال الماء ومثله بقوله : (كسفر) أي : فقدته لسبب سفر (أو مرض يفضي مع الماء) أي : مع استعماله الماء إلى (الضرر) والمعنى : خوف محذور من استعمال الماء بسبب بطء براء أو مرض أو زيادة ألم أو شين فاحش في عضو ظاهر ؛ للعذر وللآية السابقة . والشين : الأثر المستكره من تغير لون أو نحول أو استحشاف وثغرة تبقى ولحمة تزيد .

(١) أي الشعر الثابت حول فرج الذكر والأنثى .

(٢) وذلك إذا نزل المطر بعد صلاة الاستسقاء .

والظاهر : ما يبدو عند المهنة غالباً كالوجه واليدين ، وخرج بالفاحش اليسير كقليل سواد ، وبالظاهر الفاحش في الباطن ، فلا أثر لخوف ذلك .

تنبيه : يعتمد في خوف ما ذكر عُدْلُ في الرواية ، ويلحق بما ذكر حاجته إلى الماء لعطش حيوان مخترم ولو كان حاجته لذلك في المستقبل ، صوناً للروح أو غيرها عن التلف ، فيتيمم مع وجوده . والعطش المبيح للتييم يعتبر بالخوف في المرض .

ثانيها : دخول وقت الصلاة كما أشار إليه بقوله : (ووقت فعل ما له تيما) بألف الإطلاق ، فلا يتيمم لمؤقت فرضاً كان أو نفلًا قبل دخول وقته ؛ لأن التيمم طهارة ضرورة ، ولا ضرورة قبل الوقت ، والوقت شامل لوقت الجواز ووقت العذر . ويدخل وقت صلاة الجنابة بانقضاء غسل الميت أو تيممه .

ويتيمم للنفل المطلق في كل وقت أرادته ، إلا وقت الكراهة إذا أراد إيقاع الصلاة فيه .

تنبيه : يشترط العلم بالوقت ، فلو تيمم شاكاً فيه لم يصح وإن صادفه .

ثالثها : يشترط ، أي : للتييم (سعيه في الوقت في تحصيل ما) بالقصر للوزن ، أي : طلب الماء بعد دخول الوقت بنفسه أو بمأذونه مما جوزه فيه من رحله ورقفته المنسوين إليه ، ويستوعبهم كأن ينادي فيهم : مَنْ معه ماء يجود به ؟ ثم إن لم يجد الماء في ذلك نظر حواليه يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً إلى الحد الآتي وخص موضع الخضرة والطير بمزيد احتياط إن كان بمسئو من الأرض ، فإن كان ثَمَّ وَهْدَةٌ^(١) أو جبل تردد إن أمن - مع ما يأتي - نفساً واختصاصاً ومالاً يجب بذله ماء الطهارة إلى حد يلحقه فيه غوث رفته لو استغاث بهم فيه مع شغلهم بأشغالهم ، فإن لم يجد ماء تيمم ، كظن فقده .

رابعها : (الفقد) للماء (بعد سعيه المذكور) أي : تعذر استعماله شرعاً ، فلو وجد خابية مسيلة بطريق لم يجز الوضوء منها ، أو حساً كأن يحول بينه وبينه سبع أو عدو .

تنبيه : اعلم أن للمسافر أربعة أحوال : الحالة الأولى : أن يتيقن عدم الماء فيتيمم حينئذ بلا طلب ، إذ لا فائدة فيه سواء كان مسافراً أم لا ، وفقده في السفر جري على الغالب . الحالة الثانية : أن لا يتيقن العدم بل جوز وجوده وعدمه ، فيجب عليه طلبه في الوقت قبل التيمم

(١) الوهدة : المنخفض من الأرض .

ولو بمأذونه كما مر . الحالة الثالثة : أن يتوهم ماءً بمحل يصله مسافر لحاجته كاحتطاب واحتشاش ، وهو فوق حد الغوث [ويقدر بـ : (١٤٥) متراً] فيطلبه بتردده ، وإن تيقن وجود الماء في حد القرب فيجب طلبه منه [ويقدر بـ : (٢٥٨٠) متراً] ، إن أمن غير اختصاص ، ومال يجب بذله لماء طهارته ثمناً وأجرة من نفس وعضو ، ومال زائد على ما يجب بذله للماء ، وانقطاع عن رفته ، وخروج وقت ؛ وإلا فلا يجب طلبه ، بخلاف مَنْ معه ماء ولو توضع به لخرج الوقت ، فإنه لا يتيمم لأنه واجد للماء ، ولم يعتبروا هنا الأمن على الاختصاص ولا على المال الذي يجب بذله ، بخلافه فيما مر لتيقن وجوده الماء . الحالة الرابعة : أن يكون الماء فوق ذلك المحل المتقدم ، ويسمى حد البعد فيتيمم ، ولا يجب قصد الماء لبعده ، فلو تيقنه آخر الوقت فانتظاره أفضل من تعجيل التيمم ؛ لأن فضيلة الصلاة بالوضوء ولو آخر الوقت أبلغ منها بالتييم أوله ، وإن ظنه ، أو ظن أو تيقن عدمه ، أو شك فيه آخر الوقت فتعجيل الصلاة بالتييم أفضل لتحقيق فضيلته دون فضيلة الوضوء .

خامسها ، أي : الشروط (أخذ ترب خالص طهور) أي : بجميع أنواعه حتى ما يداوى به لقوله تعالى : ﴿ فتييموا صعيداً طيباً ﴾ [المائدة : ٦] أي : تراباً طهوراً كما فسره ابن عباس وغيره ، والمراد بالطهور : الطاهر ودخل في التراب المذكور المحرق منه ولو أسود ما لم يصير رماداً كما في « الروضة » وغيرها ، والأعفر والأصفر والأحمر والأبيض والمأكول سفهاً . وخرج بالتراب النورة والزرنخ وسحاقة الخرف ونحو ذلك . وخرج بخالص ما لو خالطه جص أو دقيق أو نحوه ، أو اختلط به رمل ناعم يلصق بالعضو ، فإنه لا يكفي وإن قل الخليط ؛ لأن ذلك يمنع وصول التراب إلى العضو ، أما الرمل الذي لا يلصق بالعضو فإنه يجوز التيمم به إذا كان له غبار ؛ لأنه من طبقات الأرض والتراب جنس له . وخرج بالطهور المتنجس ، والمستعمل وهو ما بقي بعضوه أو تآثر منه حالة التيمم ، كاللتقاط من الماء ، ويؤخذ من حصر المستعمل في ذلك صحة تيمم الواحد أو الكثير من تراب يسير مرات وهو كذلك . وقول الناظم : تُرَّب ، لغة في التراب .

فرع : ولو وجد ماء صالحاً للغسل لا يكفي وجب استعماله في بعض أعضائه مرتباً إن كان حدثه أصغر ، أو مطلقاً إن كان غيره كما يفعل من يغسل كل بدنه ، ويكون استعماله قبل التيمم عن الباقي .

تنبيه : يشترط قصد التراب لقوله تعالى : ﴿ فتييموا صعيداً طيباً ﴾ [المائدة : ٦] أي : اقصدوه ، فلو سفته ربح على عضو من أعضاء التيمم ، فردده عليه ونوى لم يكف ، وإن قصد بوقوفه في مهبط ربح للتييم لانتفاء القصد من جهته بانتفاء النقل المحقق له .

(أما الفروض مطلقاً فالنيه فيستبجح القرية المنويه)
(ومسح كل الوجه واليدين مرتبتين أي بضربتين)

فروض التيمم أربعة، وجعلها في « المنهاج » خمسة فزاد النقل، وجعلها في « الروضة » سبعة فجعل التراب والقصد ركنين، وأسقط في « المجموع » التراب وعُدّها ستة وجعله شرطاً . وما في « المنهاج » أولى، إذ لو حسن عُدّ التراب ركناً لحُسّن عُدّ الماء ركناً في الطهر . وأما القصد فداخل في النقل الواجب قرن النية به . **الفرض الأول** : (النية) أي : نية استحابة الصلاة ونحوها مما تفتقر استحابته إلى طهارة كطواف وحمل مصحف وسجود تلاوة ، فلو نوى فرض التيمم أو التيمم المفروض لم يكف ، ويجب قرن النية بالنقل واستدامتها إلى مسح شيء من الوجه . وقد أشار الناظم بقوله من زيادته : (فيستبجح القرية المنويه) إلى ما لا يستباح له .

تنبيه : وإن نوى استحابة فرض ونقل أبيح له عملاً بنيته ، أو فرضاً فقط فله النقل معه ، أو نفلاً فقط أو نوى الصلاة وأطلق صلى به النقل ، ولا يصلي به الفرض ، ولو نوى بتيممه صلاة الجنابة فالأصح أنه كالتيمم للنقل . **الفرض الثاني** : (مسح كل الوجه) حتى ظاهر مسترسل لحيته والمقبل من أنفه على شفتيه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ [المائدة : ٦] . **الفرض الثالث** : مسح كل (اليدين) مع المرفقين للآية . **الفرض الرابع** : الترتيب كما قال الناظم : (مرتبتين) لما مر في الوضوء ، ثم لا فرق في ذلك بين التيمم عن حدث أصغر أو أكبر أو غسل مسنون أو وضوء مجدد أو غير ذلك مما يطلب له التيمم . **الفرض الخامس** : على ما جعله في « المنهاج » نقل التراب إلى العضو الممسوح بنفسه أو بمأذونه ، فلو كان على العضو تراب فردّه عليه من جانب إلى جانب لم يكف ، ولو نقله من وجهه إلى يد أو من يد إلى أخرى كفى لوجود مسمى النقل . وأشار الناظم بقوله من زيادته : (أي بضربتين) إلى أنه يجب مسح وجهه ويديه بضربتين لخبر الحاكم [١٧٩/١ و ١٨٠ عن ابن عمر] : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة لليدين »^(١) . وروى أبو داود [٣٣٠] : أنه ﷺ تيمم بضربتين مسح بإحدهما وجهه ، وبالأخرى ذراعيه .

تنبيه : لا يتعين الضرب ، فلو وضع يديه على تراب ناعم وعلق بها غبار كفى ، ولا يجب الترتيب في نقل التراب إلى العضوين بل هو مستحب ، فلو ضرب بيديه التراب دفعة واحدة أو ضرب اليمين قبل اليسار ومسح يمينه وجهه ، ويساره يمينه أو عكس جاز ؛ لأن الغرض الأصلي المسح ، والنقل وسيلة إليه .

(١) ورواه الدارقطني ١٨٠/١ وزاد فيه : « إلى المرفقين » . وقال كذا رواه علي بن طبيان مرفوعاً ووقفه يحيى القطان وهشيم وغيرهما وهو الصواب .

(وسن بسم الله والتوالي مقدم اليمنى على الشمال)

ذكر فيه من سنن التيمم ثلاثة أشياء : أحدها : (بسم الله) في أوله كالوضوء والغسل ولو المحدث حدثاً أكبر . **ثانيها** : (التوالي) : الموالاة كالوضوء ؛ لأن كلاً منهما طهارة عن حدث ، وإن اعتبرنا هناك الجفاف اعتبرناه هنا أيضاً بتقديره . **ثالثها** : تقديم (اليمنى) من اليدين (على الشمال) منهما .

ومنه : سنة البداءة بأعلى وجهه ، وتخفيف الغبار ، وتفريق أصابعه في أول الضربتين ، وتحليل أصابعه بعد مسح اليدين ، وأن يأتي بالشهادتين بعده .

(وأبطلوه بارتداد يحصل وكل ما به الوضوء يبطل)
(ورؤية الما غير محرم بما قضاؤها من بعده لن يلزما)

(وأبطلوه بارتداد يحصل) أي : التيمم ، أي : أبطله العلماء بأمر ثلاثة : أحدها : الردّة أعاذنا الله تعالى منها ، بخلاف الوضوء لقوته وضعف بدله ، لكن تبطل نيته إن وقعت في أثناءه فيجب تجديد نية الوضوء . **ثانيها** : (وكلّ) بالجر (ما) أي كل الذي (به الوضوء يبطل) وتقدم بيانه في بابه . **ثالثها** : (رؤية الماء) أي : الطهور في غير الصلاة وإن ضاق الوقت ، بالإجماع كما نقله ابن المنذر والخير أبي داود [٣٣٢] : « التراب كافيك ولو لم تجد الماء عشر حبيبات ، فإذا وجدت الماء فأمسّه جلدك »^(١) . رواه الحاكم [١٧٦/١ - ١٧٧] وصححه ، ولأنه لم يشرع في المقصود فصار كما لو رآه في أثناء التيمم .

تنبيه : وجود ثمن الماء عند إمكان شرائه كوجود الماء ، وكذا توهم الماء وإن زال سريعاً ؛ لوجوب طلبه ، بخلاف توهم السترة ؛ لأنه لا يجب عليه طلبها ؛ لأن الغالب عدم وجدانها بالطلب للبخل بها . ومن التوهم رؤية سراب ، وهو ما يُرى نصف النهار كأنه ماء ، أو رؤية غمامة مطبقة بقربه ، أو رؤية ركب طلع أو نحو ذلك مما يتوهم معه الماء . ووجود ما ذكر قبل تمام تكبيره لإحرام كوجوده قبل الشروع فيها ، وإنما يبطله وجود الماء وتوهمه إذا لم يقترن بمنع يمنع من استعماله كعطش أو سبُع ؛ لأن وجوده والحالة هذه كالعدم . فإن وجده في صلاة

(١) أوردته هكذا الحافظ بن حجر في « تلخيص الحبير » ١٥٤/١ .

وحدث أبي داود (٣٣٢) والنسائي في « الكبرى » (٣١١) والبيهقي في « السنن » ٢٢٠/١ عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين .. بألفاظ متقاربة .

لا يسقط قضاؤها بالتيمم بأن صلى في مكان يغلب فيه وجود الماء بطل تيممه ؛ إذ لا فائدة بالاشتغال بالصلاة ؛ لأنه لا بد من إعادتها ، فإن أسقط التيمم قضاءها لم يبطل تيممه ، لأنه شرع في المقصود ، فكان كما لو وجد المكفر الرقبة بعد الشروع في الصوم ، ولأن وجود الماء ليس حدثاً لكنه مانع من ابتداء التيمم . وبما تقرّر ظهر معنى قول الناظم : (ورؤية الماء غير محرم بما) الخ واعلم أن قطع الصلاة التي تسقط بالتيمم ليتوضأ ويصلي بدلها أفضل من إتمامها ، إلا إذا ضاق وقت الفريضة فيحرم قطعها كما جزم به في « التحقيق » والألف في قوله : (لن يلزم) للإطلاق .

(ومن به جيرة تيمم) عن العليل بعد مسحها بما)
(وغسل ما ييلو من الصحيح) في وقت طهر عضوه الجريح)
(وحيث صلى فالتقصا لم يلزم) ما لم تكن بموضع التيمم)
(أو وضعت بغيره على حدث) ولم يجز تيمم مع الخبث)

في هذه الأبيات مسألتان - الأولى : (من به جيرة) - وهي خشية أو نحوها كقصبة توضع على الكسر ويشد عليها ليحبر الكسر - (تيمم) بألف الإطلاق وجوباً ؛ لما روى أبو داود [٣٣٦] والدارقطني [١٨٣/١] بإسناد كل رجاله ثقات عن جابر في المشجوج الذي احتلم واغتسل فدخل الماء شجته فمات ، فقال النبي ﷺ : « إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب رأسه بخرقه ، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده » . وقول الناظم : (عن العليل) أشار به إلى أن التيمم بدل عن غسل العضو العليل ، وأما المسح فبدل عن غسل ما تحت أطرافه من الصحيح كما في « التحقيق » وغيره ؛ ولذا قال الناظم : (بعد مسحها بما) بالقصر للوزن ، أي : حيث عسر نزاعها لخوف محذور مما تقدم بيان ذلك ، أي : أن صاحب الجيرة يمسح بالماء عليها ، وكذا اللصوق - بفتح اللام - والشقوق التي في الرجل إذا احتاج إلى تقطير شيء فيها يمنع من وصول الماء ، ويجب مسح كلها بالماء استعمالاً له ما أمكن ، بخلاف التراب لا يجب مسحها به وإن كانت في محله ؛ لأنه ضعيف فلا يؤثر من وراء حائل ، ويمسح الجنب ونحوه متى شاء ، والمحدث وقت غسل عليه . ويشترط في الساتر ليكفي ما ذكر : أن لا يأخذ من الصحيح إلا ما لا بد منه للاستمسك^(١) ، ويجب (غسل ما ييلو من الصحيح) لأنها طهارة ضرورة ، فاعتبر الإتيان فيها

(١) وقد نظم بعضهم الأحوال التي تعاد الصلاة فيها والتي لا تعاد لصاحب الجيرة فقال :

ولا يثبُتُ والستر قدر العلة أو قدر الاستمسك في الطهارة

وإن يزد عن قدره فأعيد ومطلقاً وهو بوجه أو يبد

فائدة : من وضع الجيرة على مذهب أبي حنيفة : يمسح عليها ويصلي ولا يعيد ولا حاجة لأن يتيمم .

قال الله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ ، وقال ﷺ : « إن هذا الدين يسر » ، وقالوا : من قلده عالماً لقي الله سالماً .

بأقصى الممكن ، ويتيمم وجوباً كما مر . وإذا امتنع استعمال الماء في عضو من محل الطهارة لنحو مرض أو جرح ولم يكن عليه ساتر وجب التيمم ؛ فلما يبقى موضع العلة بلا طهارة ، فيمر التراب ما أمكن على موضع العلة إن كان بموضع التيمم ، ويجب غسل الصحيح بقدر الإمكان كما قال الناظم : (في وقت طهر عضوه الجريح) أي : المجروح ، راجع لقوله : تيمم ؛ وأشار به إلى أن المحدث حدثاً أصغر يتيمم وجوباً وقت غسل عليه لاعتبار الترتيب في الوضوء ، فلا ينتقل عن العضو المعلوم إلا بعد طهارته أصلاً وبدلاً ، مقدماً ما شاء منهما في العضو الواحد .

فروع : الفصد كالجرح الذي يخاف من غسله ما مر ، فيتيمم له إن خاف من استعمال الماء وعصائه كاللصوق . (وحيث صلى) صاحب الجيرة التي مسح عليها ، وغسل الصحيح وتيمم (فالتقصا) (لم يلزم) أي : لم يلزمه القضاء (ما لم تكن) أي : الجيرة (بموضع التيمم) أي : على محله ووضعت بطهر ، أما إذا كانت بمحل التيمم فإنه يجب القضاء بلا خلاف ، كما قاله في « الروضة » لتقصان البدل والمبدل جميعاً . (أو وضعت بغيره) أي : محل التيمم (على حدث) فإنه يجب نزاعها إن أمكن بلا ضرر يبيح التيمم ؛ لأنه مسح على ساتر ، فاشتراط فيه الوضع على طهر كالحف ، فإن تعذر نزعه مسح وصلّى وقضى ؛ لفوات شرط الوضع على طهارة ، فانتفى تشبيهه حينئذ بالحف .

تنبيه : يجب القضاء أيضاً إن أمكن النزاع ولم يفعل وكان وضعها على طهر . والتصرح بالإعادة فيما إذا كانت بأعضاء التيمم من زيادة الناظم .

المسألة الثانية : (لم يجز) ولم يصح (تيمم مع الخبث) أي : قبل زوال النجاسة عن البدن ، فإن عجز عن إزالتها صحّ مع الإعادة عند ابن حجر ، ولا يصح عند الرملي كفساقد الطهورين .

(وأوجبوا إعادة التيمم لكل فرض لا لنفل فاعلم)

أي : (وأوجبوا) أي : العلماء (إعادة التيمم . لكل فرض) فلا يصلي بتيمم غير فرض ؛ لأن الوضوء كان لكل فرض لقوله تعالى : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ والتيمم بدل عنه ، ثم نسخ ذلك في الوضوء بأنه ﷺ صَلَّى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد^(١) . فبقي التيمم على ما كان عليه . ولما روى البيهقي [٢٢١/١] بإسناد صحيح موقوفاً على ابن عمر ، وروى عن علي ، وعمرو بن العاص ، وابن عباس : يتيمم لكل صلاة وإن لم يحدث ؛ لأنه طهارة ضرورة . ومثل فرض الصلاة في ذلك فرض الطواف وخطبة الجمعة ، فيمتنع الجمع بينهما بتيمم واحد .

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧) وأبو داود (١٧٢) والترمذي (٦١) والنسائي (٨٦/١) من حديث بريدة رضي الله عنه .

كطوافين مفروضين ، وبين طواف فرض وفرض صلاة ، وبين صلاة الجمعة وخطبتها على ما رجحه الشيخان^(١) ، وهو المعتمد لأن الخطبة قائمة مقام ركعتين . وقوله : (لا لنقل فاعلم) أشار به إلى أنه يصلي بتميم واحد ما شاء من النوافل لأن النوافل كثيرة ، فيؤدي إيجاب التيمم لكل صلاة منها إلى الترك وإلى حرج عظيم ، فخفف في أمره كما خفف بترك القيام فيها مع القدرة ، وبترك القبلة في السفر كما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله .

فرع : لو تيمم لنافلة متميم كان له أن يصلي به الجنازة .

خاتمة : يقضي وجوباً متميم ولو في سفر لفقد ماء بمحل ينذر فيه فقده ، بخلافه بمحل لا ينذر فيه ذلك ولو مقيماً ، ومتميم لعذر كفقده ماء . وخرج في سفر معصية كآبق ؛ لأن عدم القضاء رخصة فلا تناط بسفر المعصية . وعلى فاقد الطهورين — وهما الماء والتراب — كمحيوس بمحل ليس فيه واحد منهما أن يصلي الفرض لحزمة الوقت ويعيد إذا وجد أحدهما ، وإنما يعيد بالتيمم في محل يسقط به الفرض ؛ إذ لا فائدة بالإعادة في محل لا يسقط به الفرض . أما النفل فلا يفعل قطعاً . واعلم أن صلاته توصف بالصحة ، ولهذا قال في « المجموع » : تبطل بالحدث والكلام ونحوهما .

ولما قدم الناظم ما لا يجوز مع الخبث ، أي : النجس احتاج إلى بيان النجاسة ، فقال :

باب النجاسة

أي : وإزالتها . وهي لغة : كل ما يستقذر . وشرعاً : مستقذر يمنع من صحة الصلاة حيث لا مرخص . وعرفها بعضهم بقوله : كل عين حرم تناولها على الإطلاق مع إمكان تناولها ، لا لحرمتها ، واستقذارها ، وضررها في بدن أو عقل . خرج بالإطلاق : السم ، فإنه مباح قليله الذي لا يضر ، وبالإمكان : الحجر ونحوه ، وبعدم الحرمة : الآدمي ، وبلاستقذار : المخاط والمني ونحوهما ، وبتضرر البدن والعقل : التراب والحشيش المسكر . وزاد بعضهم بعد قيد الإطلاق : في حال الاختيار ، فإن الضرورة لا تحريم معها ، وأسقط قيد الإمكان ؛ لأن ما لا يمكن تناوله لا يوصف بمحل ولا حرمة فلا يحتز به .

(١) الشيخان هما الرافعي والنووي .

(وعين كل خارج ميقن من أي فرج نجس إلا المني)
 (وكل حي طهره تحتها لا الكلب والخنزير مع فرعيهما)
 (وكل ميت نجس بغير شك لا الآدمي والجراد والسمك)
 (وكل جزء في الحياة منفصل كميته الحي الذي منه فصل)
 (وجلد كل ميتة وعظمها كذا الشعور حكم كل حكمها)
 (وعين كل مائع إن أسكرا نجاسة كالخمر لا ما خذرا)
 (وليعف عما لم يسئل له دما فلا يضر ميتة قليل ما)
 (إن لم يكن مع طرح أو تغيير وعن دم ونحوه يسير)

تضمنت هذه الآيات مسائل — الأولى : (وعين كل خارج ميقن . من أي فرج) قبلاً أو دبراً (نجس) سواء كان معتاداً كالبول والغائط ، أو نادراً كالودي والمذي ، وسواء كان ذلك من حيوان مأكول أم لا ؛ للأحاديث الدالة على ذلك . والمذي — بالذال المعجمة — ماء أبيض رقيق يخرج بلا شهوة قوية عند ثورانها . والودي — بالمهمله — : ماء أبيض كدر ثخين يخرج عقب البول أو عند حمل شيء ثقيل ، ويستثنى من الخارج ما ذكره بقوله : (إلا المني) فإنه طاهر من جميع الحيوانات (لا الكلب والخنزير مع فرعيهما) وفرع أحدهما . أما مني الآدمي فلما في « صحيح مسلم » [٢٨٨] عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت تحكه من ثوب رسول الله ﷺ ، ثم يصلي فيه . وأما مني غيره من الحيوان المأكول وغيره فقياساً عليه بجامع أنه أصل الحيوان .

تنبيه : يستحب غسل المني كما في « المجموع » للأخبار الصحيحة فيه ، وخروجاً من الخلاف .

فائدة : البيض المأخوذ من الميتة طاهر إن كان متصلباً ، وإلا فلا .

الثانية : (كل حي طهره تحتها) أي : الحيوان كله طاهر العين حالة حياته . ثم اعلم أن الأصل في الأعيان جماداً كان أو حيواناً الطهارة ؛ لأنها مخلوقة لمنافع العباد ، ولا تحصل أو تكمل إلا بالطهارة ، ويستثنى من هذا الأصل أشياء إذا ذكرت علم أن ماعداها على الأصل :

فمما يستثنى من الحيوانات ما ذكره بقوله : الكلب ولو معلماً ؛ لما رواه مسلم [٢٧٩] (٩١) من قوله ﷺ : « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات » أي : مطهره ، ولا حدث يطهر عنه فتعين الخبث ، ولأنه ﷺ دعي إلى دار فلم يجب ، وإلى أخرى

فأجاب ، فقيل له في ذلك فقال : في دار فلان كلب ، قيل له : وفي دار فلان هرة ، فقال : « إنها ليست بنجس ، إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات »^(١) .

والخنزير : لأنه أسوأ حالاً من الكلب ، إذ لا يقتنى ولا ينتفع به ، ذكره الرافعي ، واستدل الماوردي على نجاسته بقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَحْمَ خنزير فإنه رجس ﴾ [الأنعام : ١٤٥] فقال : الضمير يعود لنفس الخنزير ؛ لأن لحمه قد علمت نجاسته بدخوله في عموم الميتة ، واعترض في « المهمات » على الرافعي فقال : وينتقض بالحشرات ، أي : فإنها لا تقتنى ، أي : ولا ينتفع بها ، وهي طاهرة ، وأجيب بأن الحشرات لا تدخل في ذلك إذ لا تقبل الانتفاع ، بخلاف الكلب والخنزير فإن كلاهما ينتفع به ويقتنى ، وجاز ذلك في الكلب ، وامتنع من الخنزير .

وفرع كل منهما إما مع الآخر أو مع حيوان غيره سواء كان النجس أباً أو أمّاً كالمتولد بين خنزير وشاة^(٢) ، وسواء كان المذكور ولداً أو ولد ولد وإن سفل تغليباً للنجاسة .

قاعدة : الفرع يتبع الأب في النسب ، والأم في الرق والحرية ، وأشرفهما في الدين ، وإيجاب البذل^(٣) ، وتقرير الجزية^(٤) ، وأخفهما في عدم وجوب الزكاة^(٥) ، وأخسهما في النجاسة ، وتحريم الذبيحة والمناكحة .

ومما يستثنى من غير الحيوان المسكر ، وسيأتي قريباً .

الثالثة : (كل ميت) بسكون الياء (نجس ...) الخ والمراد به : ما زالت حياته لا بذكاة شرعية ، فيدخل ما مات حتف أنفه من مأكول أو غير مأكول ، وما ذُكي منه مع فقد بعض

(١) لم أجده بهذه القصة لكن أخرجه عن أبي قتادة ابن حبان (١٢٩٩) ، وأبو داود (٧٥) ، والترمذي (٩٢) وقال : هنا حديث حسن صحيح ، وقال : وهذا أحسن شيء روي في هذا الباب . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٢) وهذا قرص وغثيل .

(٣) مثاله : الحيوان المتولد بين صيد بري مأكول كحمير الوحش وغيره كحمير أهلي إذا قتله الحرم وجب بدله من المأكول . لقوله تعالى « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » . الآية - [المائدة : ٩٥] .

(٤) إذا كان أبو الذمي يقر بالجزية بأن كان كتابياً أقر أبه بها أيضاً ، وإلا فلا .

(٥) لو فرضت عليه الزكاة بتصابين أخذنا منه بالأخف منها .

وقد نظم هذه القاعدة أحدهم فقال :

ينبغ السر في انتساب أباه ولأب في الرق والحرية
والزكاة الأخف ، والدين الأعلى والذي اشتد في جزاء ودية
وأخس الأصلين رجساً وذمماً ونكاحاً والأكل والأضحية

فتبع أشرف الأيوبي في الدين ، والأشد في جزاء الصيد للمحرم ، وفي الدية . كما تتبع أخس الأيوبي في النجاسة ، والأسن في الأضحية كالمتولد مثلاً من بين معز وغنم .

الشروط ؛ لقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ [المائدة : ٣] وتحريم ما ليس بمحترم ولا ضرر فيه يدل على النجاسة .

تنبيه : خرج بالتعريف المذكور الجني ، فإن ذكاته بذكاة أمه^(١) ، والصيد الذي لم تدرك ذكاته والمتردّي إذا ماتا بالسهم ، ودخل في نجاسة الميتة ميتة دود نحو خل وتفاع فإنها نجسة ، لكن لا تنجسه لعسر الاحتراز عنها ، ويجوز أكله معه لعسر تمييزه ، ودخل فيها جميع أجزائها من عظم وشعر وصوف ووبر وغير ذلك ؛ لأن كلاً منها تحله الحياة وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (وجلد كل ميتة وعظمها) إلى آخر البيت فيستثنى من الميتة ما ذكره بقوله : (لا الآدمي) أي : لا ميتة الآدمي ، فإنها طاهرة لقوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] وليس من التكريم نجاسة ميتته ، وكذا الملك والجني ، وسواء المسلم وغيره . وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ [التوبة : ٢٨] بأن المراد نجاسة الاعتقاد واجتماعهم كالنجس ، لا نجاسة الأبدان ، وقوله : (والجراد والسملك) لما صح عن رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان : الجراد والحوث ، والكبد والطحال »^(٢) ولقوله في البحر : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته »^(٣) .

الرابعة : الجزء المنفصل من الحي كما تضمنه قوله : (وكل جزء في الحياة منفصل . كميته الحي الذي منه فصل) والمعنى : أن الجزء الذي ينفصل من حي حكمه حكم ميتة ذلك الحيوان إن كانت طاهرة كالآدمي والسملك والجراد فهو طاهر ، وإن كانت نجسة فهو نجس كآلية الغنم مثلاً سواء أبين بنفسه أم أبانه غيره ؛ لقوله ﷺ فيها رواه أبو داود [٢٨٥٨] وقال : حسن^(٤) ، والعمل عليه عند أهل العلم فيما يقطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة . وذكر هذه المسألة من زيادة الناظم .

تنبيه : يستثنى من ذلك شعر الحيوان المأكول وريشه فإنهما طاهران إن انفصلا منه في حال حياته لقوله تعالى : ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ [النحل : ٨٠] وللحاجة إليه في الملابس كما دلت عليه الآية فهي مخصصة لعموم الحديث السابق ، والصوف والوبر كالشعر . ويستثنى أيضاً السملك وفأرته : وهي نافجتة فإنهما طاهران إذا انفصلا في حياة الظبية ، وإلا فإن انفصلا بعد موتها فهما نجسان .

(١) لما سيأتي في آخر باب الصيد والذباح بإذنه تعالى

(٢) رواه الشافعي عن ابن عمر رضي الله عنهما ٢/٦٠٧ ، وابن ماجه (٣٣١٤) ، والبيهقي ٢٥٤/١ .

(٣) رواه أبو داود (٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) ولفظه : عن أبي واقد قال : قال النبي ﷺ : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة » .

وأخرجه عن زيد بن أسلم الترمذي (١٤٨٠) بأتم منه وقال : حسن غريب .

الخامسة : المسكر المائع نجس كما قال : (وعين كل مائع إن أسكرا . نجاسة كالخمر) وهي المتخذة من ماء العنب ، وسواء المحترمة وغيرها ، وكالنبذ أيضاً وهو ما اتخذ من غير العنب كالعسل ، أما الخمر فاستدل على نجاسته الشيخ أبو حامد وابن عبد البر بالإجماع . وقال النووي في « مجموعه » : وأقرب ما يقال - أي : في الدليل على نجاستها - ما ذكره الغزالي : أنه حكم بنجاستها تغليظاً وزجراً عنها قياساً على الكلب وما ولغ فيه . وأما النبيذ : فإنه ملحق بها في التحريم ، فكذا في النجاسة . وخرج بالمائع الجامد كالخشيش والبنج ، فإنهما طاهران ولو أسكرا ، كما قال : (لا ما خدرا) بالخاء المعجمة والدال المهملة المشددة المفتوحة ، وهذه المسألة من زيادته .

السادسة : (يعفى عن ما) أي : الذي (لم يسئل له دماء) من الحيوانات عند شق عضو منها كالذباب والزنبور والقمل والبراغيث ونحوها (فلا يضر ميتة) بهاء الضمير (قليل ماء) - بالقصر للوزن - إذا وقع فيه ، أي : ولا المائع أيضاً بشرط أن لا يطرحه طارح ولم يغيره ، كما قال : (إن لم يكن مع طرح أو تغيير) وذلك لمشقة الاحتراز عنه ، ولخير البخاري [٣٣٢٠] : « إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه كله ثم ليترعه ، فإن في أحد جناحيه داء » - وهو في اليسار كما قيل - « وفي الآخر شفاء » وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء ، وقد يفضي غمسه إلى موته ، فلو نجس المائع لما أمر به ، وقيس بالذباب ما في معناه من كل ميتة لا يسيل دمه ، فلو شككنا في سيل دمه امتحن بمثلها فيجرح للحاجة . قال الغزالي في « فتاويه » : ولو كانت مما يسيل دمه لكن لا دم فيها أو فيها دم لا يسيل لصغرها فلها حكم ما يسيل دمه ، أما لو طرحت فيه بعد موتها قصداً أو غيرته الميتة لكثرتها تنجس جزءاً كما جزم به في « الشرح الصغير » و « الحاوي » .

تنبيه : اعلم أن ما لا يدركه البصر يعفى عنه أيضاً ولو من النجاسة المغلظة لمشقة الاحتراز عن ذلك ، وقوله : (وعن دم ونحوه يسير) أشار به إلى أنه يعفى عن اليسير في العرف من الدم ونحوه كالقيح الأجنيين ، سواء كان من نفسه كأن انفصل منه ثم عاد إليه ، أو من غيره غير دم الكلب والخنزير وفرع أحدهما ، لأن جنس الدم يتطرق إليه العفو فيقع القليل منه في محل المساحة . قال في « الأم » : والقليل ما تعافاه الناس ؛ أي : عدوه عفواً . أما دم نحو الكلب فلا يعفى عن شيء منه لغلظه كما صرح به في « البيان » . وأما دم الشخص نفسه الذي ينفصل كدم الدمايل والقروح وموضع الفصد والحجامة فيعفى عن قليله وكثيره ، انتشر بقرق أم لا . ويعفى عن دم البراغيث والقمل والبق ، ونيم الذباب ، وعن قليل بول الخفاش وروثه ، وبول الذباب ، لعموم البلوى ومشقة الاحتراز عنها . واعلم أن محل العفو عن سائر الدماء ما لم يختلط بأجنبي ، فإن اختلط به ولو دم نفسه كأن خرج من عينيه دم أو دميت لثته لم يعف عن شيء منه . نعم

يعفى عن ماء الطهارة إذا لم يعتمد وضعه عليها ، وينبغي أن يلحق بماء الطهارة ما يتساقط من الماء حال شربه أو من الطعام حال أكله ، كما قاله بعض مشايخنا . والألف في قوله : تحتاً وأسكرا وخدرا للإطلاق . وقوله : مع طرح أو تغيير . بدرج المهمة .

(والغسل في الأبوال والأرواث محتم بل سائر الأخبثات)
(بغسله تعمه وتذهب بالعين منه والثلاث تندب)
(إلا صبيّاً بال قبل أكله خبزاً فيكفي رشه عن غسله)

أي : (والغسل في الأبوال والأرواث . محتم) أي : واجب (بل سائر الأخبثات) غسلها واجب سواء كانت من مأكول أو غيره ، وهذه هي النجاسة المتوسطة ، وسيذكر الخففة والمغلظة بعدها ، ويكفي غسل ذلك مرة^(١) كما أشار إليه بقوله : (بغسله تعمه) لما رواه أبو داود [٢٤٧] ولم يضعفه فيكون حسناً أو صحيحاً - عن ابن عمر : كانت الصلاة خمسين ، والغسل من الجنابة والبول سبع مرار ، فلم يزل عليه السلام يسأل ربه حتى جعلت الصلاة خمساً ، والغسل من الجنابة مرة واحدة ، وغسل البول من الثوب مرة ، ولأنه عليه السلام أمر بصبّ ذنوب على بول الأعرابي وذلك في حكم غسلة واحدة^(٢) . ثم اعلم أن النجاسة على قسمين : حكمية ، وعينية . فالحكمية كبول جف فلم يدرك له صفة فيكفي جري الماء عليها مرة . والعينية تجب إزالة صفاتها من لون وطعم وريح كما قال : (وتذهب . بالعين منه) إلا ما عسر زواله من لون أو ريح ، فلا تجب إزالته بل يطهر المحل . أما إذا اجتماعا فتجب إزالتهما مطلقاً ؛ لقوة دلالتهما على بقاء العين ، كما يدل على بقاء الطعم وحده وإن عسر زواله . ولا تجب الاستعانة في زوال الأثر بغير الماء إلا إذا تعينت . وشرط ورود ماء قلّ لا إن كثر على المحل ؛ لئلا يتنجس الماء لو عكس ، فلا يطهر المحل ، وقوله : (والثلاث تندب) أشار به إلى أنه إذا طهر المحل يندب التثليث ، بأن يغسل مرتين آخرين لتكامل الثلاث ، فإن المزيل للنجاسة واحدة وإن تعددت كما يأتي في غسلات الكلب ، ولأن ذلك يستحب عند الشك في النجاسة لخير : « إذا استيقظ أحدكم من نومه » [رواه مسلم (٢٧٨) عن أبي هريرة] فعند تحققها أولى . وقدم الناظم حكم الغسلات في : كتاب الطهارة ، ثم شرع في حكم النجاسة الخففة بقوله : (إلا صبيّاً بال قبل أكله . خبزاً) بسكون الباء الموحدة

(١) الحديث البخاري (٢٢٧) عن أسماء قالت : جاءت امرأة النبي عليه السلام فقالت : أرأيت إحدانا تحيض في الثوب ، كيف تصنع ؟ قال : « تحته ثم تفرسه بالماء وتنضجه وتصل فيه » .

(٢) حديث أنس رضي الله عنه قال : جاء أعرابي فيال في طائفة المسجد ، فزجره الناس ، فهاهم النبي عليه السلام فلما قضى بوله أمر النبي عليه السلام بذنوب من ماء فأهريق عليه . رواه البخاري (٢٢١) ، ومسلم (٢٨٤) .
الذنوب : هو الدلو المملوء ماءً ، ويسمى السجل كما جاء في رواية أخرى أيضاً .

(فيكفي رشه عن غسله) ومعناه : إلا بول الصبي الذي لم يأكل الطعام للتغذي قبل مضي حولين ، فإنه يطهر برش الماء عليه بأن يرش عليه ماء يغيره ويغلبه بلا سيلان ، والأصل في ذلك ما رواه الشيخان [البخاري (٢٢٣) ، مسلم (٢٨٧)] عن أم قيس بنت محصن^(١) : « أنها جاءت بابن لها صغير لم يأكل الطعام ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره ، فبال على ثوبه فدعا النبي ﷺ بماء ، فنضحه عليه ولم يغسله » فخرج بالصبي الأنثى والخنثى ، فلا يكفي في بولهما الرش . أما الأنثى فلحديث : « يغسل من بول الجارية ، ويرش من بول الغلام »^(٢) . وأما الخنثى فلاحتمال الأثوثة . وفرق بينهما بوجوه . منها : أن الائتلاف يحمل الصبي أكثر ، فخفف في بوله . ومنها : أن بوله أرق من بولها ، فلا يلصق بالخل لصوق بولها به . ومنها : ما نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه : إن الله تعالى لما خلق آدم خلق حواء من ضلعه القصير ، فصار بول الغلام من الماء والطين ، وبول الجارية من اللحم والدم . وخرج بالأكل للتغذي أكله غير اللبن للتحنيك أو للتداوي ، فلا يغسل من بوله . ونقل عن نص الشافعي : أن الرضاع بعد الحولين بمنزلة الطعام والشراب .

تبيه : لابد من النضح من البول إزالة أوصافه كبقية النجاسات .

(والشرط في نجاسة الكلاب سبع وإحداهن بالتراب)

شرع في حكم النجاسة المغلظة بقوله : (والشرط في نجاسة الكلاب . سبع وإحداهن بالتراب) . أي في إزالتها سبع من الغسلات بالماء الطهور ، إحداهن - في غير أرض ترابية - بالتراب الطهور ، بأن يكون قدراً يكدر الماء ويضل بواسطته إلى جميع أجزاء المحل ، ولابد من مرجه بالماء . إما قبل وضعهما على المحل أو بعده ، بأن يوضعا ولو مرتين ثم يمزجا قبل الغسل وإن كان المحل رطباً ؛ إذ الطهور الوارد على المحل باقٍ على طهوريته ، خلافاً للإسنوي في اشتراط المزج قبل الوضع على المحل . والكلاب : جمع كلب ، ومثله الخنزير ، وفرع أحدهما ، فيغسل الإناء وكل جامد ولو معضاً من صيد أو غيره وجوباً من ولوغ كل من الكلب والخنزير ، وفرع أحدهما ، وكذا ملاقة شيء من أجزاء كل منهما ، سواء في ذلك لعابه وسائر رطوباته وأجزائه الجافة إذا لاقت رطباً سبع مرات على ما تقرّر . والأصل في ذلك قوله ﷺ : « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب » رواه مسلم [(٢٧٩) (٩١)]^(٣) . وفي رواية الدارقطني [(٦٥/١)]

(١) وهو أحد صبية وضعهم النبي ﷺ في حجره الشريف نظم أحدهم أسماءهم فقال :

قد بال في حجر النبي أطفال حسن حسين ابن الزبير بالوا

كذا سليمان بن هشام وابن أم قيس جاء في الختام

(٢) رواه الترمذي (٦١٠) وقال حسن صحيح من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

« إحداهن بالبطحاء »^(١) . وفي رواية صحيحة : « أخراهن ، أو أولاهن »^(٢) . دلت الأحاديث على وجوب ذلك في لعابه ، ففي غيره منه بطريق الأولى ؛ لكون فيه أطيب ما فيه . وقضية كلام الناظم : إحداهن بالتراب يعني : في أي الغسلات يحصل ، وهو كذلك . وحكي في « المجموع » الاتفاق عليه ، لكن جعله في الأولى أولى ليستغني عن التعفير فيما لو أصابه شيء من الغسلات ، ولا يحمل هنا المطلق على المقيد ، لتعارض القيد فيتنساقطان ، ويرجع إلى التخيير بين أفراد المطلق ، ولأنه لا يقوم له من صابون أو نحوه مقامه . وهو كذلك للحديث ، ولأنه أمر به فلم يقم غيره مقامه كالتيميم ، ولا يكفي ذرّ التراب على المحل من غير مزج ، ولا مزجه بغير الماء من المائعات ، فأفهم إطلاقه الاكتفاء بما ذكر بالغسلات وإن تعدّد الكلاب والولغات وهو كذلك . واعلم أن النجاسة إذا لم تزُل إلا بست غسلات مثلاً حُسبت كلها واحدة كما صححه النووي ، وأن التراب النجس والمستعمل لا يكفي ، وخرج بقوله : في أرض غير ترابية ، الأرضُ الترابية ، فيكفي تسبيحها بماء وحده ، إذ لا معنى له لترتيب التراب هنا .

فرعان - أحدهما : لو أكل لحم نحو كلب لم يجب تسبيح محل الاستنجاء كما نقل عن النص . ثانيهما : لو أدخل كلب رأسه في إناء فيه ماء قليل : فإن خرج فمه جافاً لم يحكم بنجاسته ، أو رطباً فكذا في أصح الوجهين عملاً بالأصل ، ورطوبته يحتمل أنها من لعابه .

(ثم الدباغ آلة التطهير في جلد غير الكلب والخنزير)

(والخمر إن تحللت تطهر لنا ما لم يكن بطرح عين في الإناء)

لما ذكر الناظم النجاسات وأقسامها ذكر ما يطهر منها وهو شيان : الجلد بدينغ ، والخمر ينقلب خلاً ، ليعلم أن ما عداهما من النجاسات لا يطهر بالدينغ ولا بالاستحالة . أما الدينغ فلائنه شرع لإزالة ما يطرأ على العين ، وذلك لا يتأتى فيها ، بل الغسل يزيل نجاستها . وأما الاستحالة فلائنه العين باقية . وإنما تغيرت صفتها .

وقد ذكر الشيء الأول بقوله : (ثم الدباغ آلة التطهير . في جلد غير الكلب والخنزير) والمعنى : أن جلود الميتة تطهر بالدباغ ، وهو : إنقاء الجلد من الفضلات ، بحيث لو نقع في الماء لم يعد إليه التن والفساد ، وسواء في ذلك جلد المأكول وغيره ، إلا الكلب والخنزير - أي : وفرعهما - فلا يطهر بالدينغ ؛ إذ الحياة أقوى أسباب الطهارة ، فإن لم يكن معها طاهراً فلا يطهر بغيرها ، ودليل ذلك ما رواه مسلم [(٣٦٦)] : « إذا دُبغ الإهاب فقد طهر »^(٣) وحديث : أمر

(١) من حديث علي وهو حديث ضعيف .

(٢) أخرجه الترمذي (٩١) وقال : حسن صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

رسول الله ﷺ أن يُستمتع بجلود الميتة إذا دبغت^(١). وهو حسن، كما قاله في «المجموع» وحديث: «طهور كل أديم دباغه» رواه الدارقطني [٤٩١] عن عائشة [وقال: إسناده حسن ورجاله ثقات]. وما رواه أبو داود [٤١٢٦] عن ميمونة [وغيره^(٢)] بإسناد حسن: أنه ﷺ قال في شاة ميتة: «لو أخذتم إهابها؟» فقالوا: إنها ميتة، فقال: «يطهره الماء والقرظ» وقول الناظم: جلد - يخرج الشعر، فلا يظهر بالدبغ؛ إذ لا يتأثر به. قال في «المجموع» وعليه فيعفى عن قليله الذي يبقى على الجلد ويحكم بطهارته، أي: يعطى حكم الطاهر ليوافق قولهم: إنه يتأثر بالدبغ. وشمل إطلاقهم الطهارة بالدبغ: ظاهر الجلد وباطنه، وما لو كان الاندباغ من فاعل، وما لم يكن كما لو وقع جلد في مدبغة فاندبغ فإنه يطهر. وشمل أيضاً الاندباغ المنقي للجلد على الوجه المذكور: ما حصل بكل حريف طاهر أو نجس كالشَبَّ وزرق الطيور ونحوهما. ولا يحصل بالترتيب والتشميس؛ إذ الفضلات لا تزول بذلك، ولا يجب الماء في أثناء الدباغ. وأعلم أن الجلد بعد الاندباغ المذكور يصير كجامد تنجس فيحتاج إلى الغسل، لأن المستفاد من دباغه إنما هو طهارته، فإن أدوية الدباغ تنجست بملافة الجلد واتصلت به، فصار بذلك كالثوب المتنجس.

ثم ذكر الناظم الشيء الثاني بقوله: (والحمر إن تخللت) سواء كانت محترمة وهي التي عصرت لا بقصد الحمرة، أو غير محترمة بنفسها (تطهر لنا) لأن علة النجاسة والتحريم الإسكار وقد زال، ويطهر دهنها^(٣) معها وإن علّت حتى ارتفعت، وتنجس بها ما فوقها منه، وتشرب منها للضرورة، وكذا تطهر إن نقلت من شمس إلى ظل وعكسه، أو فتح رأس الدن لزوال الشدة من غير نجاسة خلفتها (ما لم يكن) التخلل (بطرح عين) كالبصل والخبز الحار ولو قبل التخمير (في الإناء) فإنها لم تطهر، لتنجس المطروح فيها، فينجسها بعد انقلابها خلاً. والحمرة: هي المتخذة من ماء العنب، ويؤخذ من الاقتصار عليها أن النبيذ - وهو المتخذ من غير العنب كالتمر - لا يطهر بالتخلل، وبه صرح القاضي أبو الطيب، لتنجس الماء به حال الاشتداد، فينجسه بعد الانقلاب خلاً. وقال البغوي: يطهر؛ واختاره السبكي لأن الماء من ضرورته.

تنبيهان - أحدهما: لو وقع في الحمر شيء بغير طرح كالقاء ربح: لم تطهر معه على الأصح. **ثانيهما:** الحمر مؤنثة كما استعملها الناظم، وقد تذكر على ضعف، ويقال فيها: خمرة بالناء على لغة قليلة. وقوله: لنا، تكملة.

(١) رواه أبو داود (٤١٢٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الدارقطني ٥/١ قال محققه في «التعليق المغني» على «سنن الدارقطني»: ورواه مالك والنسائي وابن حبان.

(٣) الدن: إناء كبير أطول من الحب لا يقعد إلا أن يحفر له في الأرض.

خاتمة: يجوز إمساك ظروف الحمر والانتفاع بها واستعمالها إذا غسلت، وإمساك المحترمة لتصير خلاً. وغير المحترمة يجب إراقها، فلو لم يرقها فتخللت ظهرت على الصحيح لما مر. وأعلم أن ما خلا الحيض مما تقدم يشترك فيه الرجال والنساء، ومن ثمّ قدّم الناظم المشترك وآخر الحيض المختص بالنساء ليوافق التابع متبوعه، فقال:

باب الحيض

أي: والنفاس والاستحاضة، وقد ذكرها على هذا الترتيب:

(كل الدماء من سائر الفروج ثلاثة تعدّ بالخروج)
(نفاس أو حيض أو استحاضه وفهما يحتاج للرياضه)
(فالحيض ما تأتي به الجبله وليس عن وضع ولا عن علّه)
(ثم النفاس بعد وضع ثم ما عداها استحاضة فليعلمها)
(كخارج قبل تمام تسع سنين أو مع طلقها والوضع)

وأعلم أن الدماء التي تخرج من فرج المرأة ثلاثة فقط: (نفاس، أو حيض، أو استحاضة. وفهما يحتاج للرياضة) إذ لكل من الثلاثة حدّ يميزه.

فالحيض لغة: السيلان. تقول العرب: حاض الوادي: إذا سال، وحاضت الشجرة: إذا سال صمغها. وشرعاً: دم جبلة، أي: تقتضيه الطباع السليمة كما قال: (فالحيض ما تأتي به الجبله) يخرج من فرج المرأة من أقصى رحمها على سبيل الصحة من غير سبب الولادة في أوقات معلومة، كما قال: (وليس عن وضع ولا عن علة) فاحترز بقوله: وليس عن وضع؛ عن النفاس، وبقوله: ولا عن علة؛ عن الاستحاضة. والأصل في الحيض قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي: الحيض، وخبر الصحيحين^(١): «هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم».

فائدة: للحيض عشرة أسماء: حيض، وطمث بالثلثة، وضحك، وإكبار، وإعصار، ودارس، وعراك بالعين المهملة، وفراك بالقاء، وطمس بالسين المهملة، ونفاس.

فائدة أخرى: الذي يحيض من الحيوان على ما قال الجاحظ أربعة: المرأة، والضبع، والأرنب، والخفاش، وجمعها بعضهم:

(١) رواه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أَرَانَبٌ يَجِضُ نَ وَالنِّسَاءُ ضَبْعٌ وَخَفَاشٌ لَهَا دَوَاءٌ

وزاد عليه غيره أربعة أخرى وهي : الناقة ، والكلبة ، والوزغة ، والحِجْرَة : الأنثى من الخيل .

(ثم النفاس) لغة : الولادة . وشرعاً : هو الدم الخارج من فرج المرأة (بعد وضع) أي : عقب فراغ الرحم من الحمل ، وسمي نفاساً ، لأنه يخرج عقب نفس .

فائدة : يقال نفست المرأة - بضم النون وفتحها والفاء المكسورة - فيهما : إذا ولدت . ويقال في الحيض : نفست - بفتح النون وكسر الفاء - لا غير .

(ثم ما عداها) أي : الحيض والنفاس (استحاضة) وهو الدم الخارج لعلة من عرق من أدنى الرحم يقال له : العاذل بالذال المعجمة ، ويقال : بالمهمل ، كما حكاه ابن سيده ، وقال فيه : العاذر : بمعجمة وراء مهمل ، ذكره الناظم بقوله من زيادته : (كخارج قبل تمام تسع . سنين أو مع طلقها والوضع) أي : والخارج مع الولد : فإن ذلك دم فساد . ولا يقال لدم الطلق والخارج مع الولد : حيض ؛ لأن ذلك من آثار الولادة ، ولا : نفاس ؛ لتقدمه على خروج الولد ، بل : دم فساد كما مر . نعم المتصل من ذلك بحيضها المتقدم حيض . واعلم أن الاستحاضة حدث دائم فلا يمنع الصوم والصلاة وغيرهما مما يمنع الحيض كسائر الأحداث للضرورة ، فتغسل المستحاضة فرجها قبل الوضوء أو التيمم إن كانت تتييم ، وبعد ذلك تعصبه وتوضأ ، ويكون ذلك وقت الصلاة لأنها طهارة ضرورة ، فلا تصح قبل الوقت كالتيمم ، وبعد ما ذكر تبادر بالصلاة قليلاً للحدث ، فلو أخرت الصلاة لمصلحة الصلاة كستر العورة ، وانتظار جماعة ، واجتهاد في قبلة ، وذهاب إلى المسجد ، وتحصيل سترة لا يضر ؛ لأنها لا تعدّ بذلك مقصرة ، وإن أخرت لغير مصلحة الصلاة ضرر فيُبطل وضوءها ، فيجب إعادته للاحتياط لتكرّر الحدث والنجس مع استغنائها عن احتمال ذلك ؛ لقدرتها على المبادرة . ويجب الوضوء لكل فرض ولو مندوراً كالتيمم لبقاء الحدث ، وكذا يجب تجديد العصاة وما يتعلق بها من غسل قياساً على تجديد الوضوء . ولو انقطع دمها قبل الصلاة ولم تعد انقطاعه وعوده ، أو اعتادت ذلك ووسع زمن الانقطاع بحسب العادة وضوءاً والصلاة : وجب الوضوء وإزالة ما على الفرج من الدم . وقول الناظم : فليعلمنا بألف الإطلاق أو التثنية .

(والحيض نصف شهرها أقصاه) وليلة يومها أدناه)

(وستة أو سبعة لما غلب) وكونه من بعد تسع قد وجب)

(أقل طهر بين حيضها جعل) كنصف شهر ثم أقصاه جهل)
(وإن أردت قدره في الغالب) ففضل شهر بعد حيض غالب)
(وغاية النفاس للستين) وغالباً يكون أربعيناً)
(ولحظة أقله إذا حصل) وقد ترى ولادة بلا بلل)
(وإن أردت مدة الحمل الأقل) فنصف عام بين وضع وحبل)
(وبالسنتين أربع للأكثر) وغالباً بتسعة من أشهر)

اشتملت هذه الآيات على مسائل - إحداها : أكثر الحيض نصف شهر خمسة عشر يوماً وإن لم تتصل الدماء ، والمراد : وخمس عشرة ليلة ، وإن لم يتصل دم اليوم الأول بليته ، كأن رأت الدم أول النهار ؛ للاستقراء . (وليلة يومها أدناه) أي : أقله زمناً ، أي : مقدار يوم وليلة ، وهو أربعة وعشرون ساعة فلكية ، وغالبه : ستة أو سبعة كما قال : (وستة أو سبعة لما غلب) وذلك لخبر أبي داود [٢٨٧] وغيره أنه ﷺ قال لحمنة بنت جحش رضي الله عنها : « تحيضي في علم الله تعالى ستة أيام أو سبعة أيام ، ثم اغتسلي ، فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت فضلي أربعاً وعشرين أو ثلاثاً وعشرين ليلة وأيامها ، وصومي فإن ذلك يجزئك ، وكذلك فافعلي في كل شهر كما تحيض النساء وكما يطهرن ، ميقات حيضهن وطهرهن^(١) » . وقوله : تحيضي - بناء فوقية مفتوحة ، وحاء مهمل مفتوحة ، ومثناة تحتية مشددة مفتوحة - معناه : التزمي الحيض وأحكامه فيما أعلمك الله من عادة النساء من ستة أو سبعة ، والمراد غالبهن ؛ لاستحالة اتفاق الكل عادة . ثانيها : أقل زمن تحيض فيه المرأة تسع سنين قمرية كما في « المحرر » ولو في البلاد الباردة للوجود ؛ لأن ما ورد في الشرع ولا ضابط له شرعي ولا لغوي يتبع فيه الوجود كالقبض والحرز ، وهذا معنى قوله : (وكونه) أي : الحيض (من بعد تسع) أي : من السنين القمرية (قد وجب) . قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه : أعجل من سمعت من النساء يحضن نساء هامة يحضن لتسع ؛ أي : تقريباً لا تحديداً ، فيتسامح قبل تمامها بما لا يسع حيضاً وطهراً دون ما يسعها ، ولا حدّ لأكثر السن ، فقد لا تحيض المرأة أصلاً كما يأتي . ثالثها : (أقل) زمن (طهر بين حيضها) أي : المرأة (جعل) بينائه للمفعول (كنصف شهر) وهو خمسة عشر يوماً ؛ لأن الشهر غالباً لا يخلو

(١) في النص تقدم وتأخير وتامه : « وإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر ، فتغتسلين وتجمعين بين الصلاتين الظهر والعصر ، وتؤخرين المغرب وتعجلين العشاء ، ثم تغتسلين وتجمعين بين الصلاتين ، فافعلي ، وتغتسلين مع الفجر فافعلي ، وصومي إن قدرت على ذلك » فقال رسول الله ﷺ : « وهذا أعجب الأمرين إلي » . ورواه أيضاً الترمذي (١٢٨) وقال : حديث حسن صحيح ، والشافعي في « الأم » ٥١/١ ، وأحمد ٤٣٩/٦ وقال الترمذي : سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فقال : هو حديث حسن صحيح .

عن حيض وطهر، وإذا كان أكثر الحيض خمسة عشر يوماً لزم أن يكون أقل الطهر كذلك، وخرج بقوله: بين حيضها؛ الطهر بين الحيض والنفاس، فإنه يجوز أن يكون أقل من ذلك سواء تقدم الحيض على النفاس إن قلنا: إن الحامل تحيض؛ وهو الأصح، أم تأخر عنه، وكان طروؤه بعد بلوغ النفاس أكثره كما في «المجموع». أما إذا طرأ قبل بلوغ أكثره فلا يكون حيضاً إلا إذا فصل بينهما خمسة عشر يوماً. وقوله (ثم أقصاه جهل) بالبناء للمفعول أيضاً؛ أفاد به أنه لا حد لأكثر الطهر بالإجماع، فقد لا تحيض المرأة في عمرها إلا مرة، وقد لا تحيض أصلاً. وقوله: (وإن أردت قدره ..) إلى آخر البيت. معناه: وإن أردت أيها المخاطب غالب الطهر في الشهر بعد غالب الحيض المتقدم ذكره. رابعها: (غاية النفاس) أي أكثره (لستينا) بالاتباع يوماً بلياليها (وغالباً يكون أربعين): يوماً بلياليها. (ولحظة أقله إذا حصل) أي: النفاس اعتباراً بالوجود في الجميع كما مر في الحيض (وقد ترى) المرأة (ولادة بلا بلل) والتصریح بهذه من زيادته. خامسها: (وإن أردت مدة الحمل الأقل) أي: معرفتها، فأقله ستة أشهر كما قال: (فنصف عام بين وضع وحبل) ولحظتان، أي: لحظة للوطء، ولحظة للوضع، مع إمكان اجتماعهما بعد عقد النكاح كما أفاده بقوله: بين وضع وحبل. والدليل على أن أقل الحمل ستة أشهر ما روي أنه أتى إلى عثمان رضي الله عنه بامرأة ولدت لسته أشهر، فتشاور القوم في رحمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزل الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] قال الماوردي: فرجع عثمان ومن حضر من القوم فصار إجماعاً. ويقال: إن الحسين بن علي رضي الله عنهما ولد بعد ستة أشهر من ولادة أخيه الحسن، وإن عبد الملك بن مروان ولد لسته أشهر. وأكثر الحمل أربع سنين كما أشار إليه بقوله: (وبالسنين أربع للأكثر) للاستقراء كما أخبر بوقوعه إمامنا الشافعي. وكذا الإمام مالك حكي عنه أنه قال: جارتنا امرأة محمد بن عجلان امرأة صدق وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثني عشر سنة، تحمل كل بطن أربع سنين^(١)، وقد روي هذا عن غير المرأة المذكورة. وغالب الحمل تسعة أشهر كما أشار إليه بقوله: (وغالباً تسعة من أشهر) للاستقراء أيضاً.

باب ما يحرم على المحدث

(وتحرم الصلاة كالنطوف من حائض ومسها للمصحف)
 (والنطق بالقرآن إن لم تقصد أذكاره ولبثها في المسجد)
 (كذا الدخول حيث تنضح الدماء والبصوم واستمتاع زوجها بما)
 (يكون بين سريرة وركبه بوطئها ولمسها لا رؤيته)
 (وصومها من قبل الاغتسال يحل دون سائر الخصال)
 (وما عدا الثلاثة المؤخره حرمة بالجنابة المؤثره)
 (وكل ما حرّمه بالحيض حلّ لمحدث إلا الثلاثة الأول)
 هذا شروع في الأحكام المترتبة على الحدث الأكبر . (و) اعلم أن الحيض (تحرم) به أمور .
 أولها : (الصلاة ..) فرضها ونفلها ، وكذا سجدة التلاوة والشكر^(١) .

ثانيها : الطواف فرضه وواجبه ونفله ، سواء كان في ضمن نسك أم لا ، لقوله ﷺ : « الطواف صلاة إلا أن الله أحلّ فيه الكلام ، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير » رواه الحاكم [٤٥٩/١] عن ابن عباس وقال : صحيح الإسناد .

ثالثها : (مسها للمصحف) سواء في ذلك ورقة المكتوب فيه وغيره لقوله تعالى : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [الواقعة : ٧٩] وكذا يحرم عليها حمله ، أي : المصحف ؛ لأنه أبلغ من المس . نعم يجوز حمله للضرورة كخوف عليه من غرق أو حرق أو نجاسة أو وقوعه في قاذورة أو في يد كافر ولم تتمكن من الطهارة ، بل يجب أخذه حيثئذ كما في « التحقيق » و « المجموع » فإن قدرت على التيمم وجب ، ويخرج بالمصحف غيره كتوراة ، وإنجيل ، ومنسوخ تلاوة من القرآن وإن لم ينسخ حكمه ، فلا يحرم .

تبيه : يحلّ حمله في متاع تبعاً له إذا لم يكن مقصوداً بالحمل ، بأن قصد حمل غيره أو لم يقصد شيئاً لعدم الإخلال بتعظيمه حيثئذ ، بخلاف ما إذا كان مقصوداً بالحمل ولو مع الأمتعة

(١) لقوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ [النساء : ٤٣] ولحديث مسلم (٢٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقبل صلاة بغير طهور » .

(١) أي مع قوله تعالى وعزّ : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ [لقمان : ١٤] فصاله : فطامه لمن أكمل الرضاعة .

(٢) وإن الطب اليوم لم يعتبر هذه المدة فليتحقق من هذه المسألة التي مرجعها إلى العرف والاستقراء .

فإنه يحرم ، وإن كان ظاهر كلام الشيخين يقتضي الحل في هذه الصورة ، كما لو قصد الجُنب القراءة وغيرها .

رابعها : (النطق بالقرآن) أي : شيء منه ولو بعض آية ؛ للإخلال بالتعظيم ، سواء قصدت مع ذلك غيره أم لا ؛ لقوله ﷺ كما رواه الترمذي [(١٣١) عن ابن عمر رضي الله عنهما] وغيره : « لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن » و« يقرأ » : زوي بكسر الهمزة على النهي ، وبضمها على الخبر المراد به النهي ، ذكره في « المجموع » وضعفه ، لكن له متابعات تجبر ضعفه ، وأفاد الناظم بقوله من زيادته : (إن لم تقصد . أذكاره) يحل لها أذكار القرآن وغيرها ، كما أعظمه وأخباره ، كقولها عند الركوب : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » [الزخرف : ١٣] أي : مطيقين ، وعند المصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » [البقرة : ١٥٦] ، وعند افتتاح الأكل : « بسم الله الرحمن الرحيم » وعند انتهائه : « الحمد لله رب العالمين » فإن قصدت القرآن وحده أو مع الذكر حرم ، وإن أطلقت فلا ، كما نبه عليه النووي في « الدقائق » لعدم الإخلال بحرمته لأنه لا يكون قرآناً إلا بالقصد .

خامسها : (لبثها) أي : مكثها (في المسجد) أي : وكذا ترددها لقوله تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل » [النساء : ٤٣] قال ابن عباس وغيره : أي : لا تقربوا مواضع الصلاة ؛ لأنها ليست فيها عبور سبيل ، بل في مواضعها وهو المسجد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا أحلّ المسجد لحائض ولا جنب » رواه أبو داود [٢٣٢] . وخرج بالمثل والتردد العبور للآية المذكورة^(١) إن لم تخف الحائض تلويثه . أما إذا خافت تلويثه فيحرم كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (كذا الدخول حيث تنضح الدماء) صيانة للمسجد عن التلويث ، وكل ما في معناها ملحق بها كسلس البول ، ومن به جراحة نضاجة للدم . وخرج بالمسجد المدارس والرُّبُط ومصل العید ونحو ذلك .

سادسها : (الصوم) فرضه ونفله ، فليس للحائض أن تصوم ، لقوله ﷺ مجبياً : « أليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم ؟ »^(٢) ويجب قضاء الصوم الفرض ، بخلاف الصلاة ، لقول عائشة رضي الله عنها : إن المرأة كان يصيبها ذلك الحيض ، فتؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر بقضاء

(١) ولحديث عائشة رضي الله عنها - رواه مسلم (٢٩٨) - قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « ناوليني الخمرة من المسجد » فقلت : إني حائض ، فقال : « إن حيضتك ليست في يدك » .

الخمرة : ما يفرش للصلاة كالسجادة ونحوها .

(٢) رواه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

- الصلاة . رواه الشيخان^(١) وانهقد الإجماع على ذلك . والمعنى فيه : أن الصلاة تكثر فيشق قضاؤها ، بخلاف الصوم .

سابعها : (استمتاع زوجها بما) أي : الذي (يكون بين سرّة وركبة) ولو بلا شهوة ؛ لقوله تعالى : « فاعتزلوا النساء في الحيض » [البقرة : ٢٢٢] وخبر أبي داود [٢١٢] بإسناد جيد : أنه ﷺ سئل عما يحلّ للرجل من امرأته وهي حائض ، فقال : « ما فوق الإزار » وخصّ بمفهومه : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »^(٢) . ولأن الاستمتاع بما تحت الإزار يدعو إلى الجماع لحديث : « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه »^(٣) .

تنبيه : قوله في الحديث : « يوشك » بكسر الشين المعجمة أفصح من فتحها كما ذكره النووي في « رياض »^(٤) . وخرج بما بين السرة والركبة هما وباقي الجسد فلا يحرم الاستمتاع بها .

وأشار الناظم بقوله : (بوطنها) إلى ثامن المحرمات وهو الوطء ، ولو بعد انقطاع الحيض وقبل الغسل لقوله تعالى : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » [البقرة : ٢٢٢] ووطؤها في الفرج كبيرة من العامد العالم بالتحريم المختار ، فيكفر مستحلّه^(٥) كما قال في « المجموع » ويسن للواطئ المتعمد المختار العالم بالتحريم في أول الدم وقوته التصديق بمثقال إسلامي من الذهب الجاهل^(٦) ، وفي آخر الدم وضعفه بنصف مثقال . وكما يحرم الوطء يحرم المس لما بين سرتها وركبتها كما قال الناظم : (ولمسها) أي : ولو بلا شهوة (لا الرؤية) أي : النظر ولو بشهوة فإنه لا يحرم ؛ إذ ليس هو أعظم من تقبيلها في وجهها بشهوة .

وأعلم أن دم الحيض إذا انقطع لزم إمكانه ارتفع عنها سقوط الصلاة ، ولم يحلّ مما حرم به قبل الغسل أو التيمم غير الصوم ؛ لأن تحريمه بالحيض لا بالحديث وقد زال ، وهذا معنى قول

(١) البخاري (٣٢١) ، ومسلم (٣٣٥) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

(٢) رواه عن أنس رضي الله عنه مسلم (٣٠٢) ، ولفظ ابن ماجه (٦٤٤) صرح بالمراد فقال : « إلا الجماع » .

(٣) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٤) أي كتابه : « رياض الصالحين » (٥٨٨) باب : الورع وترك الشهوات ، ولم يضبطه النووي في « رياضة » ولا في « أريبته » ولا بـ « شرح صحيح مسلم » ولا في « الأذكار » . قال في « اللسان » ٥١٣/١٠ : ولا يقال : يوشك .

لكن ضبطت بالقلم .

(٥) لأنه صار معلوماً من الدين بالضرورة .

(٦) ويعادل بالوزن ٤,٢٣١ غراماً .

الناظم من زيادته : (وصومها) أي : الحائض (من قبل الاعتسال) أي : أو التيمم (يحل دون سائر) أي : باقي (الحصال) الحرمه ، فإنها باقية إلى أن تطهر بماء أو تيمم . أما ما عدا الاستمتاع فإن المنع منه إنما هو لأجل الحدث والحدث باق . وأما الاستمتاع فلقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي : يغتسلن .

تنبيه : كما يحل الصوم بانقطاع الدم يحل أيضاً الطلاق والطهر . أما الطلاق فلزوال المعنى المقضي للتحريم وهو تطويل العدة . وأما الطهر فإنها مأمورة به ، فقول الناظم : دون سائر الحصال ، أي : التي ذكرها تبعاً للأصل فلا اعتراض عليه ، وقوله : (وما عدا الثلاثة المؤخره . حرمه بالجنبه المؤثره) أشار به إلى أنه يحرم على الجنب خمسة أشياء وهي : الصلاة ، والطواف ، وقراءة القرآن ، ومس المصحف وحمله ، والمكث في المسجد ، أي : للمسلم ، أي : وكذا التردد فيه بغير عذر لما سبق ، وقد مرّ الكلام سابقاً عليه ولا بد من زيادته هنا ، وأنه يجوز لمن به حدث أكبر إجراء القرآن على قلبه ونظره في المصحف وقراءة ما نسخت تلاوته وتحريك لسانه بحيث لا يُسمع نفسه بلأنها ليست بقراءة قرآن . وإن الكافر لا يمنع من القراءة لأنه لا يعتقد حرمه ذلك كما قاله الماوردي . وأما تعليمه وتعلمه فيجوز إن رجي إسلامه ، وإلا فلا . وخرج بالمكث والتردد العبور ، وبالمسلم الكافر ، فإنه يمكن من المكث في المسجد على الأصح في « الروضة » وأصلها ؛ لأنه لا يعتقد حرمه ذلك ، وليس للكافر ولو غير جنب دخول المسجد إلا أن يكون لحاجة كإسلام وسماع قرآن لا كأكل وشرب ، وأن يأذن له مسلم في الدخول إلا أن يكون له خصومة وقد قعد الحاكم للحكم فيه ، وخرج بالمسجد المدارس ونحوها ، وبغير عذر ما إذا حصل له عذر ، كأن احتلم في المسجد وتعذر عليه الخروج لإغلاق باب ، وخوف على نفسه أو عضوه أو ماله ، فلا يحرم عليه المكث ، لكن يجب عليه التيمم إن وجد غير تراب المسجد كما ذكره في « الروضة » فإن لم يجد لم يجز أن يتيمم به ، فلو خالف وتيمم به صح تيممه كالتييمم بالتراب المغصوب ، والمرأى بتراب المسجد : الداخل في وقفه ، لا لمجموع من ريح ونحوه .

تنبيه : لا بأس بالنوم في المسجد لغير الجنب ولو لغير أعزب ، فقد ثبت أن أصحاب الصفة وغيرهم كانوا ينامون فيه في زمنه عليه السلام . نعم إن ضيق على المصلين أو شوش عليهم حرم النوم فيه ، قاله في « المجموع » [١٧٤/٢] . قال : ولا يحرم إخراج الريح فيه ، لكن الأولى اجتنابه

لخير : « من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »^(١) .

فائدة : قال صاحب « التلخيص » : ذكر من خصائصه عليه السلام دخول المسجد جنباً ، ومال إليه النووي .

وقول الناظم : (وكل ما حرّمته بالحيز حلّ . لمحدث) أي : حدثاً أصغر فهو المراد عند الإطلاق ، (إلا الثلاثة الأول) بضم الميمزة وفتح الواو ، وأشار إلى أنه يحرم على المحدث ثلاثة أشياء : الصلاة ، والطواف ، ومس المصحف ، وحمله على ما تقدم إيضاحه في الكلام على ما يحرم بالحيز . واعلم أنه يحرم على المحدث حدثاً ولو أصغر مس خريطة وصندوق فيهما مصحف ، وما كتب لدرس قرآن كلوح ، ويحلّ للمحدث قلب ورق المصحف يعود ونحوه ، ولا يجب منع الصغير المميز من حمل المصحف واللوح للتعلم إذا كان محدثاً ولو حدثاً أكبر كما في « فتاوى » النووي . أما غير المميز فيحرم تمكينه من ذلك ؛ لئلا ينتهكه . وبما تقرّر علم أن المحرمات بالحيز : ثمانية ، وبالجنبه : خمسة ، وبالحدث الأصغر : ثلاثة .

خاتمة : يجب على المرأة تعلم ما تحتاج إليه من أحكام الحيض والاستحاضة والنفاس ، فإن كان زوجها عالماً لزمه تعليمها ، وإلا فلها الخروج لسؤال العلماء ، بل يجب ويحرم عليه منعها ، إلا أن يسأل هو ويخبرها فتستغني بذلك ، وليس لها الخروج إلى مجلس ذكر أو تعلم إلا برضاه ، وإذا انقطع دم النفاس والحيض وتطهرت فللزواج أن يطأها في الحال من غير كراهة^(٢) . وقد حكى حجة الإسلام الغزالي أن الوطء قبل الغسل يورث الجذام في الولد ، وقد قدمنا تحريمه قبل الغسل . ولو أخبرته بحيضها ، ولم يمكن صديقها : لم يلتفت إليها ، وإن أمكن ، وصديقها : حرم وطؤها ، وإن كذبها : فلا ؛ لأنها ربما عانده ، ولأن الأصل عدم التحريم ، بخلاف من علق به طلاقها فأخبرته به ، فإنها تطلق وإن كذبها ؛ لتقصيره في تعليقه بما لا يعرف إلا من جهتها ، ولا يكره ما طبخته ، ولا استعمال ما مسته من ماء أو عجين أو نحوه .

وهنا انتهى ما يتعلق بالطهارة . ولما قدم الطهارة وما يتعلق بها لتقديم الشرط على مشروطه واهتماماً بها وبعموم الحاجة إليها عقبها بكتاب الصلاة ، فقال :

(١) رواه البخاري (٨٥٤) ، ومسلم (٥٦٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بألفاظ متقاربة ، وهذا الحديث يشمل كل رائحة كريهة وتما عمت به البلوى رائحة الدخان .

(٢) لقوله تعالى ذكره : ﴿ فإذا تطهروا فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

كتاب الصلاة

وهي في اللغة : عبارة عن الدعاء . قال الله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [النوبة : ١٠٣] أي : أَدْعُ لهم . وفي الشرع : عبارة عن أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم^(١) بشرائط مخصوصة ، وسميت الصلاة الشرعية صلاة ؛ لاشتغالها على الدعاء ، كما سميت قرآناً في قوله تعالى : ﴿ وَقرآن الفجر ﴾ [الإسراء : ٧٨] لاشتغالها عليه . وقدم الناظم المكتوبات لأنها أهم وأفضل ، فقال :

(مفروضها خمس فوقت الظهر)	(من الزوال ينتهي بالعصر)
(إذ صار ظل كل شيء مثله)	(بعد الزوال غير ظل قبله)
(والعصر يأتي مع مصير ظله)	(بعد الزوال زائداً عن مثله)
(وإن يصير مثليه ظل طاري)	(بعد الزوال فهو الاختياري)
(وبعده الجواز ما لم تغرب)	(وبالعروب جاء وقت المغرب)
(لظهوره والستر والأذان مع)	(إقامة وخمس ركعات يسع)
(وفي القديم يلزم امتداده)	(إلى العشاء والراجح اعتداده)
(ووقته في الاختيار ما مضى)	(على الجديد ينقضي إذا انقضى)
(ثم العشاء من بعد حمرة الشفق)	(وينتهي إذا بدا فجر صدق)
(مختاره لثلاث ليل يجري)	(جوازه إلى طلوع الفجر)
(والصبح بالفجر الأخير يشرع)	(وينتهي بالشمس حين تطلع)
(ووقته المختار للإسفار)	(ثم الجواز للطلوع الجاري)

(مفروضها) أي : الصلاة : في كل يوم وليلة (خمس) صلوات معلومة من الدين بالضرورة ، والأصل فيها : الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [النساء : ٧٧] أي : حافظوا عليها دائماً بالكمال بإكمال واجباتها وسننها . وقوله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [النساء : ١٠٣] أي : محتمة مؤقتة . وأما السنة فقوله ﷺ : « بني الإسلام

(١) الحديث الترمذي وحسنه (٣٢٨) عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

على خمس^(٢) الخبر المشهور . وقوله : « فرض الله تعالى على أمي ليلة الإسراء خمسين صلاة ، فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمساً في كل يوم وليلة »^(٣) . وقوله للأعرابي حين قال هل علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع »^(٤) . وكان فرض الصلاة ليلة المعراج قبل الهجرة بستة أشهر . ولما صدر الأصحاب تبعاً للشافعي رحمه الله تعالى الباب بذكر المواقيت لأن بدخولها تجب الصلاة ، وبخروجها تفوت ، فتبهم الناظم أعلى الله درجته . والأصل في المواقيت قوله تعالى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ [الروم : ١٨١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما^(٥) : إن الآية جامعة للصلوات الخمس أراد بقوله : ﴿ حين تمسون ﴾ صلاة المغرب والعشاء^(٦) و ﴿ حين تصبحون ﴾ : صلاة الصبح ، و ﴿ عشياً ﴾ : صلاة العصر ، و ﴿ حين تظهرون ﴾ : صلاة الظهر . وقوله ﷺ : « أمي جبريل عند البيت مرتين ، فصلّى بي الظهر حين زالت الشمس ، وكان الفيء قدر الشراك ، والعصر حين كان ظله - أي : الشاخص - مثله ، والمغرب حين أفطر الصائم - أي دخل وقت إفطاره - والعشاء حين غاب الشفق الأحمر ، والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله ، والعصر حين صار ظله مثليه ، والمغرب حين أفطر الصائم ، والعشاء إلى ثلث الليل ، والفجر فأسفر ، ثم التفت فقال : يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين » . رواه أبو داود [٣٩٣] والترمذي [١٤٩] وحسنه .

ولما كانت الظهر أول صلاة ظهرت لأنها أول صلاة صلاها جبريل بالنبي ﷺ وقد بدأ الله تعالى بها في قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ [الإسراء : ٧٨] بدأ الناظم بها فقال : (فوقت الظهر) أي : صلاته ، وسميت بذلك لأنها تفعل وقت الظهرية ، أي : في شدة الحر ، وقيل : لأنها ظاهرة وسط النهار ، وقيل : إنها أول صلاة ظهرت كما مر في الزوال ، أي : أول وقتها من زوال الشمس ، وهو ميل الشمس عن وسط السماء المسمى بلوغها إليه بحالة الاستواء إلى جهة المغرب ، لا في الواقع بل في الظاهر ؛ لأن التكليف إنما يتعلق به ، وذلك بزيادة ظل الشيء على

(١) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) من حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الحاكم ٤١٠/٢ - ٤١١ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٥) وفي بعض روايات هذا الأثر قال ابن عباس رضي الله عنهما مجيباً لنافع بن الأزرق عن صلاة العشاء : بقوله تعالى :

﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ [النور : ٥٨] وبهذا يكون ذكر الصلوات الخمس في القرآن .

ظله حالة الاستواء، ويحدوثة إن لم يبق عنده ظل، وذلك يتصور في بعض البلاد كمكة وصنعاء اليمن في أطول أيام السنة، قاله في «الروضة» كأصلها. وقول الناظم: (ينتهي بالعصر * إذ صار ظل كل شيء مثله. بعد الزوال غير ظل قبله) أشار به إلى آخر وقت الظهر، وهو إذا صار ظل كل شيء مثله غير ظل الزوال الموجود عند الزوال، وإذا أردت معرفة الزوال فاعتبره بقامتكم أو شاخص تقيمه في أرض مستوية وعَلِّمْ على رأس الظل؛ فما زال الظل ينقص من الخط فهو قبل الزوال، وإن أخذ الظل في الزيادة عُلِّم أن الشمس زالت. قال العلماء: وقامة كل إنسان ستة أقدام ونصف بقدمه.

تنبيه: قال الأئمة: للظهر ثلاثة أوقات: وقت فضيلة أوله، ووقت اختيار إلى آخره، ووقت عذر وقت العصر لمن يجمع.

وقال القاضي: لها أربعة أوقات: وقت فضيلة أوله إلى أن يصير ظل الشيء مثل ربه، ووقت اختيار إلى أن يصير مثل نصفه، ووقت جواز إلى آخره، ووقت عذر وقت العصر لمن يجمع، ولها وقت ضرورة وسيأتي، ووقت حرمة وهو آخر وقتها بحيث لا يسعها ولا عذر وإن وقعت أداء، ويجريان في سائر أوقات الصلاة.

وقول الناظم: (والعصر) أي: صلاتها، وسميت بذلك لمعاصرتها وقت الغروب (يأتي) أول وقتها (مع) بسكون العين (مصير ظله . بعد الزوال زائداً عن مثله) والمعنى: إذا صار ظل كل شيء مثله وزاد أدنى زيادة لحديث جبريل، والزيادة على ضرورة ظل كل شيء مثله من أول وقت العصر، وإنما اعتبرت لتحقق المعرفة بدخول وقت العصر لأنه قد لا يعرف إلا بها. وقيل: من وقت الظهر، وقيل: فاصلة بينهما. وقوله: (وإن) أي: وقت (يصير مثليه ظل طاري . بعد الزوال فهو الاختياري) أي: وقت الاختيار إذا صار ظل كل شيء مثليه بعد ظل الاستواء إن كان؛ لحديث جبريل، وسمي مختاراً؛ لما فيه من الرجحان على ما بعده. وفي «الإقليد»: سمي بذلك لاختيار جبريل إياه. وقوله في الحديث: « والوقت ما بين هذين » محمول على وقت الاختيار: (وبعده) وقت (الجواز ما لم تغرب) أي: الشمس، وأعاد الناظم الضمير عليها وإن لم يتقدم لها ذكر للعلم بها كما في قوله تعالى: ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص: ٣٢] ودليل ذلك قوله ﷺ: « من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » متفق عليه^(١). وقوله ﷺ: « وقت

(١) رواه البخاري (٥٥٦)، ومسلم (٦٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

العصر: ما لم تصفر الشمس» رواه مسلم (٦١٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

تنبيه: للعصر سبعة أوقات: وقت فضيلة أول الوقت، ووقت اختيار، ووقت عذر وقت الظهر لمن يجمع، ووقت ضرورة، ووقت جواز بلا كراهة، ووقت كراهة، ووقت حرمة وهو إخراجها بحيث لا يسعها. وإن قلنا أداء.

وقول الناظم: (وبالغروب جاء وقت المغرب) أي: دخل وقت صلاتها لحديث جبريل. وسميت بذلك لفعلها عقب الغروب، والاعتبار بدخول قرص الشمس وهو ظاهر في الصحارى، ويعرف في العمران بزوال الشعاع من رؤوس الجبال وإقبال الظلام من المشرق. وإلى متى يمتد؟ ففي القول الجديد: يمتد بمقدار ما يتطهر ويستتر العورة ويؤذن لوقتها ويقم، وبمقدار خمس ركعات كما في «المنهاج»، وأشار إليه الناظم بقوله (لطهره). إلى آخر البيت لأن جبريل عليه السلام صلاها في اليومين في وقت واحد بخلاف غيرها، كذلك استدلل به أكثر الأصحاب. ورُدُّ بأن جبريل عليه السلام إنما يبين الوقت المختار وهو المسمى بوقت الفضيلة، وأما الوقت الجائر وهو محل النزاع فليس فيه، أي: في حديث جبريل تعرُّض له، وإنما استثنى بعض قَدَّر هذه الأمور للضرورة. والمراد بالخمس: المغرب وستنها البعدية. وذكر الإمام سبع ركعات، فزاد ركعتين قبلها بناء على أنه يسن ركعتان قبلها، (و) هو ما رجحه النووي رحمه الله (في) القول القديم، و(القديم يلزم امتداده) أي: وقت المغرب (إلى العشاء) حتى يغيب الشفق الأحمر (والراجح اعتداده) فقد قال النووي رحمه الله في «المنهاج»: قلت: القديم أظهر. قال في «المجموع» بل هو جديد أيضاً؛ لأن الشافعي رضي الله عنه علق القول به في «الإملاء» - وهو من كتب الجديد - على ثبوت الحديث فيه، وقد ثبت فيه أحاديث في مسلم [٦١٢] منها: « وقت صلاة المغرب ما لم يغيب الشفق ». وعلى هذا للمغرب ثلاثة أوقات: وقت فضيلة واختيار أول الوقت، ووقت جواز ما لم يغيب الشفق، ووقت عذر وقت العشاء لمن يجمع، ولها أيضاً: وقت ضرورة، ووقت حرمة.

تنبيه: تعبير الناظم بالطهر الشامل للغسل والتيمم وإزالة الخبث أولى من تعبير أصله بالوضوء.

فرع: لو شرع في المغرب في الوقت المضبوط جاز أن يستديمها إلى غروب الشفق على الأصح؛ لأن النبي ﷺ قرأ سورة الأعراف في المغرب.

وقول الناظم : (ثم العشاء) بالقصر ، أي : يدخل وقتها (من بعد حمرة الشفق) أي : إذا غاب الشفق الأحمر لما سبق ، وخرج بالأحمر الأصفر والأبيض ، وهذا في النواحي التي يظهر فيها غيبوبة الشفق . أما الساكنون بناحية يقصر ليلهم ولا يغيب عنهم الشفق فيصلون العشاء إذا مضى من الزمان قدر ما يغيب فيه الشفق في أقرب البلاد إليهم . ذكره القاضي حسين في « فتاويه » وقوله : (وينتهي) أي : وقت العشاء بمعنى ينقضي (إذا بدا) أي : ظهر (فجر صدق) أي : صادق لخير : « ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يدخل وقت الصلاة الأخرى » رواه مسلم [٦٨١] . خرجت الصبح بدليل ، بقي على مقتضاه في غيرها ، وخرج بالصادق الكاذب . والصادق : هو المنتشر ضوءه معترضاً بنواحي السماء ، بخلاف الكاذب فإنه يطلع مستطيلاً بأعلاه ضوء كذب السرحان - بكسر السين - كما قاله ابن الحاجب : وهو الذئب ، ثم يعقبه ظلمة ، وشبه بذئب السرحان لظوله ، وقوله : (مختاره ثلث ليل يجري) الخ أشار به إلى أن آخر وقت العشاء في الاختيار إلى ثلث الليل لحديث جبريل السابق .

تنبيه : للعشاء سبعة أوقات : وقت فضيلة ، ووقت اختيار ، ووقت جواز ، ووقت حرمة ، ووقت ضرورة ، ووقت علم وقت المغرب لمن يجمع ، ووقت كراهة وهو ما بين الفجرين كما قاله الشيخ أبو حامد . وقول الناظم : (والصبح) أي : صلاته وهو - بضم الصاد وكسرهما - لغة : أول النهار ؛ فلذلك سميت به هذه الصلاة ، وقيل : لأنها تقع بعد الفجر الذي يجمع بياضاً وحمرة ، والعرب تقول : وجه صبيح ؛ لما فيه من بياض وحمرة . وقوله : (بالفجر الأخير يشرع) أي : أول وقتها طلوع الفجر الثاني وهو الصادق لحديث جبريل (وينتهي بالشمس حين تطلع) لحديث مسلم [٦١٢] : « وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس » والمراد بطلوعها هنا : طلوع بعضها ، بخلاف غروبها كما مر ، إلحاقاً لما لم يظهر بما ظهر فيهما ، ولأن وقت الصبح يدخل بطلوع بعض الفجر فناسب أن يخرج بطلوع بعض الشمس . وقوله : (ووقته المختار للإسفار) بكسر الهمزة ، أي : الإضاءة لخير جبريل المائي (ثم الجواز) أي : وقته (للطلوع) أي : إلى طلوع الشمس كما مر فلها ستة أوقات : وقت فضيلة أول الوقت ، ووقت اختيار ، ووقت جواز بلا كراهة إلى الاحمرار ، ثم وقت كراهة ، ووقت حرمة ، ووقت ضرورة . واعلم أن صلاة الصبح بهارية ، ولا يكره تسميتها غداة كما في « الروضة » ، والأولى عدم تسميتها بذلك ، وتسمى : صبحاً وفجراً . ويكره تسمية المغرب بعشاء ، وتسمية العشاء عتمة ، ويكره النوم قبل صلاة العشاء ، والحديث بعد فعلها إلا في خير^(١).

(١) لحديث أبي برزة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن النوم قبلها ، والحديث بعدها . يعني : العشاء الآخرة . رواه البخاري (٥٤٧) ، والنسائي ٢٦٢/٢ ، وابن ماجه (٧٠١) .

حاشية : في « شرح المسند » للرافعي : أن الصبح كانت صلاة آدم ، والظهر كانت صلاة داود ، والعصر كانت صلاة سليمان ، والمغرب كانت صلاة يعقوب ، والعشاء كانت صلاة يونس ، ورد في ذلك خير - فجمع الله سبحانه وتعالى ذلك لتبيننا عليه وعليهم الصلاة والسلام - ولأتمته تعظيماً له لكثرة الأجور له ولأتمته ، وحكمة اختصاص الصلاة بهذه الأوقات تعبدية كما قاله أكثر العلماء ، وأبدى غيرهم له حكماً من أحسنها تذكر الإنسان بها نشأته ، إذ ولادته كطلوع الشمس ، ونشوؤه كارتفاعها ، وشبابه كوقوفها عند الاستواء ، وكهولته كميلها ، وشيخوخته كغروبها . زاد بعضهم : وفناء جسمه كتمحاق أثرها وهو الشفق الأحمر ، فوجبت حينئذ تذكيراً بذلك ، كما أن كاله في البطن وتيؤه للخروج كطلوع الفجر الذي هو مقدمة لطلوع الشمس . والحكمة في كون الصبح ركعتين لبقاء كسل النوم ، والعصرين أربعاً توفر النشاط عندهما بمعاطاة الأسباب ، والمغرب ثلاثاً لأنها وتر النهار ، وألحقت العشاء بالعصرين لينجبر نقص الليل على النهار إذ فيه فرضان ، وفي النهار ثلاثة ؛ لكون النفس على الحركة فيه أقوى . وقيل غير ذلك .

فصل : عقده الناظم كأصله لبيان من يجب عليه الصلاة وبيان النوافل مبتدئاً بالأول فقال :

(فرض الصلاة لازم الأنام بالعقل والبلوغ والإسلام)
(والظهر من حيض ومن نفاس قدر الصلاة باتفاق الناس)

(فرض الصلاة لازم الأنام) بشروط أربعة - أحدها : (العقل) فلا تجب على مجنون .
وثانيها : البلوغ فلا تجب على صغير ؛ لعدم تكليفهما ورفع القلم عنهما كما صح في الحديث^(١) .
وثالثهما : (الإسلام) فلا تجب على كافر أصلي وجوب مطالبة بها في الدنيا لعدم صحتها منه ، لكن تجب عليه وجوب عقاب عليها في الآخرة لتمكنه من فعلها بالإسلام . ورابعها : ما زاده بقوله : (والظهر من حيض ومن نفاس) فلا تجب على حائض ونفساء^(٢) لعدم صحتها منهما ، فمن اجتمعت فيه هذه الشروط وجبت عليه الصلاة بالإجماع وإلا فلا . ولا قضاء على الكافر إذا أسلم ترغيباً له في الإسلام ، فإن كان مرتدّاً وجب عليه القضاء بعد إسلامه تغليظاً عليه ، ولأنه حق لزمه بإقراره ، فلا يسقط عنه بالشبهة كالإقرار بالمال . ولا قضاء على الحائض أو النفساء إذا طهرتا ، ولا على مجنون أو مغمي عليه إذا أفاقا .

(١) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل أو يفقه » رواه أحمد ١٠٠/٦ ، وأبو داود (٤٣٩٨) ، والنسائي ١٥٦/٦ ، وابن ماجه (٢٠٤١) واللفظ له .

(٢) لقول عائشة رضي الله عنها : ولا تؤمر بقضاء الصلاة . رواه البخاري (٣٢١) ، ومسلم (٣٣٥) .

تنبيهان - أولهما أشار الناظم بقوله من زيادته : (قدر الصلاة باتفاق الناس) إلى أنه يشترط أن يخلو من الموانع قدر الطهارة والصلاة ، أي : أخف ما يجزىء كركعتين في صلاة المسافر . **ثانيهما** : لو زالت هذه الأسباب المانعة من وجوب الصلاة وقد بقي من الوقت قدر تكبيرة فأكثر وجبت الصلاة ، وكذا التي قبلها إن كانت تجمع معها ، ويسمى هذا وقت ضرورة . ثم قال :

(ويضرب الصبي بعد عشر وبعد سبع يكتفى بالأمر)

أي : (يضرب الصبي) أي : والصبي على ترك الصلاة (بعد عشر) من السنين (وبعد سبع) من السنين (يكتفى) بالبناء للمفعول (بالأمر) أي : إذا ميّز والدليل على ذلك قوله ﷺ : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، وإذا بلغ عشرًا فاضربوه عليها » صححه الترمذي [٤٠٧] وغيره^(١) . وظاهر كلام الناظم أنه يشترط تمام العاشرة ، لكن قال الصيمري والشيخ العلامة جمال الدين : إنه يضرب في اثنتائها ، وصححه الإسنوي وجزم به ابن المقرئ ، وهو الظاهر لأنه مظنة البلوغ .

تنبيه : أحسن ما قيل في حدّ التمييز أن يصير الطفل بحيث يأكل ويشرب ويستنجي وحده ، ومقتضى ما في « المجموع » أن التمييز وحده لا يكفي في الأمر ، بل لابد معه من السبع . وقال في « الكفاية » : إنه المشهور ، ويرشد إليه قول الناظم : بعد سبع . قال في « المجموع » : والأمر والضرب واجبان على الولي أباً كان أو جدّاً أو وصياً أو قيماً من جهة القاضي . قال في « الروضة » : يجب على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الطهارة والصلاة والشرائع .

تنبيه آخر : لو بلغ الصبي بالسن في الصلاة وجب عليه إتمامها وأجزأته ولو جهله ؛ لأنه صلى الواجب بشروطه ، وإن بلغ بعد فعلها بالسن أو بغيره فلا يجب عليه إعادتها .

ثم شرع في النوع الثاني فقال :

(١) رواه أبو داود (٤٩٤) من حديث سيرة بن معبد الجهني رضي الله عنه .

باب النفل

(والنفل أقسام فخمس تفعل) جماعة كالفرض وهي أفضل ()
 (وهن الاستسقاء والكسوف) للشمس والعيدين والخسوف ()
 (ومنه سبع عشرة لا تشرع) جماعة بل للفروض تتبع ()
 (من قبل فرض الصبح ركعتان) والظهر أيضاً بعدها ثنتان ()
 (وأربع من قبل فرض الظهر) وأربع كذلك قبل العصر ()
 (من بعد فرض المغرب اثنتان) ثم العشاء بعدها ثنتان ()
 (وركعة لوتره وهي الأقل) فإن يصل قبلها عشرًا كمل ()
 (كذا الضحى ونفل ليل يوجد) مع التراويح الثلاث أكدوا ()
 (ثم الضحى أقلها ثنتان) ولم يزد الجمل عن ثمان ()
 (أما صلاة الليل فالتهجد) وهو الذي من بعد نوم يوجد ()
 (وللتراويح اعتبر عشرين في) شهر الصيام كل ليلة تقي ()

اعلم أن (النفل) وهو في اللغة : الزيادة ، وفي الاصطلاح : ما عدا الفرائض . وسمي بذلك لأنه زائد على ما فرض الله تعالى ، والمسنون والمستحب والمرغب فيه والتطوع ألفاظ مترادفة وهو الزائد على الفرائض . وإن أفضل عبادات البدن بعد الإسلام الصلاة ، ففرضها أفضل الفروض ، وتطوعها أفضل التطوع ، وهو (أقسام : فخمس) منه (تفعل . جماعة كالفرض وهي أفضل) من الذي لا تسن فيه الجماعة ، نعم تفضل رتبة الفرائض على التراويح ، والتصريح بالترتيب من زيادته (وهن) أي : الخمس (الاستسقاء ، والكسوف . للشمس ، والعيدين والخسوف) للقمر . وسأتي الكلام إن شاء الله تعالى عليها في أبوابها . وأفضلها العيدين والكسوفان والاستسقاء (ومنه) أي : من النفل (سبع عشرة) ركعة (لا تشرع . جماعة) أي : لا تسن جماعة فيها (بل للفروض تتبع) . والحكمة فيها تكميل ما نقص من الفرائض بنقص نحو خشوع كتركه تدبر قراءة ، فمن فضلها أنها جابرة للفرائض يوم القيامة . وهي ما تضمنه قول الناظم : (من قبل فرض الصبح ركعتان . والظهر أيضاً بعدها ثنتان) أي : ركعتان (وأربع) أي : وأربع ركعات (من قبل فرض الظهر . وأربع) أي : وأربع ركعات (كذلك قبل العصر * من بعد فرض المغرب اثنتان) أي : ركعتان (ثم العشاء) بالمد (بعدها ثنتان) أي : ركعتان . واعلم أن الناظم كأصله لم يبين المؤكد من غيره ، وبيانه : أن المؤكد من الرواتب عشر : ركعتان قبل الصبح ،

وركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء لخبر الصحيحين [البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٧٢٩)] عن ابن عمر أنه ﷺ كان يصلي ما ذكر، ويسن المواظبة عليها. وأما غير المؤكد فهو أن يزيد ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها، لخبر: «من صلى أربع ركعات قبل الظهر، وأربعاً بعدها حرّمه الله على النار» رواه الترمذي (٤٢٧) و(٤٢٨) من حديث أم حبيبة وصححه. وأربع قبل العصر لخبر: «رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً» رواه ابن خزيمة (١١٩٣) وحبان (٢٤٥٣) وصححه من حديث ابن عمر.

تبييه: من غير المؤكد ركعتان خفيفتان قبل المغرب، وركعتان قبل العشاء. والجمعة كالظهر فيما مر. وقول الناظم: (وركعة لوتره وهي الأقل) أشار به إلى أن من القسم الذي لا يسن جماعة الوتر، وأقله ركعة. لأنه ﷺ أوتر بواحدة كما رواه مسلم^(١) من حديث ابن عباس. وأدنى الكمال ثلاث، وأكمل منه خمس ثم سبع ثم تسع ثم إحدى عشرة، وهي أكثره كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته: (فإن يصلّ قبلها عشرًا كمل) بتخفيف الميم المفتوحة، وذلك للأخبار الصحيحة، فلا تصح الزيادة عليها كسائر الرواتب، والدليل على أن الوتر سنة قوله ﷺ: «الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر... بثلاث فليفعل..»^(٢) وقوله: «حق» فليس بواجب. ووقته بين صلاة العشاء وطلوع الفجر الثاني لقوله ﷺ: «إن الله أمدكم بصلاة وهي خير لكم من حمر النعم، وهي الوتر، فجعلها لكم فيما بين العشاء إلى طلوع الفجر»^(٣). ويسن جعله آخر الليل لخبر الصحيحين^(٤): «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً» فإن كان له تهجد آخر الوتر إلى أن يتهجد، وإلا أوتر بعد فريضة العشاء وراتبها. هذا ما في «الروضة» كأصلها. وقيده في «المجموع» بما إذا لم يثق بيقظته آخر الليل، وإلا فتأخيره أفضل. فإن أوتر ثم تهجد لم تندب إعادته لقوله ﷺ: «لا وتران في ليلة»^(٥).

تبييه: لا كراهة في الاختصار على ركعة في الوتر خلافاً لما في «الكفاية» عن أبي الطيب، ولمن زاد على ركعة الفصل بين الركعات بالسلام، وهو أفضل من الوصل بتشهد في الأخيرة أو تشهدين في الأخيرتين، وليس في الوصل غير ذلك. وتسن جماعة في وتر رمضان، وسيأتي في كلام الناظم ندب القنوت فيه في النصف الأخير من رمضان.

(١) لكن روى مسلم (٧٥٢) بلفظ: «الوتر ركعة من آخر الليل» عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٢) عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (١٤١٨). من حديث خارجة بن حذافة العدوي رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه النسائي في الكبرى (١٣٨٨) قال عنه الحافظ في «الفتح» ٤٨١/٢: حديث حسن، من حديث قيس بن طلق رضي الله عنه.

واعلم أن النوافل المؤكدة بعد الرواتب ثلاثة، وهي ما تضمنه قوله: (كذا الضحى ونفل ليل يوجد. مع التراويح الثلاث أكدوا) يعني: العلماء. ثم شرع في بيانها مبتدئاً منها بالضحى فقال: (ثم الضحى أقلها ثنتان) أي: ركعتان، وأكثره ثمان كما قال: (ولم يزد الجلل) أي: العلماء أو معظمهم (عن ثمان) وهو ما في «المجموع» عن الأكثرين، وصححه في «التحقيق» وهو المعتمد. وقيل أكثره اثنتان عشرة ركعة كما في «المنهاج»، وهي صلاة الإشراف كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ [ص: ١٨] الإشراف: صلاة الضحى. ويسن أن يسلم من كل ركعتين، ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال، والاختيار فعلها عند مضي ربع النهار. (وأما صلاة الليل فالتهجد) وهو لغة: رفع النوم بالتكلف، واصطلاحاً: صلاة التطوّع بالليل بعد النوم كما قال: (وهو الذي من بعد نوم يوجد) وقد واطب عليه النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ وقال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧] وقال ﷺ: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل» رواه مسلم (١١٦٣) عن أبي هريرة [ومن أراد أن يجزئ الليل نصفين فالنصف الأخير أولى لقوله تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧] فحثّ على الاستغفار في السحر، والسحر نصف الليل الأخير، فهو شامل لمحل الرحمة والمغفرة. وإن أراد أن يجزئه ثلاثة أجزاء، فالثالث الأوسط للمتهجد أفضل^(١). قال الشافعي: لأن الغفلة فيه أكثر والعبادة فيه أثقل، وقد قال ﷺ: «ذاكرُ الله في الغافلين كشجرة خضراء بين أشجار يابسة»^(٢). ويتأكد الدعاء والاستغفار في جميع ساعات الليل، وفي النصف الأخير أكد، وعند السحر أفضل. وقد ذكر الوليد النيسابوري أن المتهجد يشفع في أهل بيته. ومن النوافل المؤكدة صلاة التراويح وهي عشرون ركعة في كل ليلة من رمضان^(٣)، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: (وللتراويح اعتبر عشرين في. شهر الصيام كل ليلة تفي). وقد اتفقوا على سنتها، وعلى أنها المرادة من قوله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤) وتسن جماعة، وأن يسلم من كل ركعتين^(٥). وسميت كل أربع منها ترويجة لأنهم كانوا يتروحون عقبها، أي: يستريحون. قال الحلي: والسّر في كونها عشرين أن الرواتب، أي: المؤكدة في غير رمضان عشر، فضوعفت لأنه وقت جدّ وتشمير.

(١) ودليل مشروعته قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك..﴾ [الإسراء: ٧٩].

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١٨١/٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) لأخبار أوردها ابن أبي شيبة ٣٩٣/٢ منها: كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة، ويوتر بثلاث.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) لحديث عمر: «صلاة الليل مثنى مثنى» رواه البخاري (٩٩٠)، ومسلم (٧٤٩)، وأبو داود (١٢٩٥).

تمة : من القسم الذي لا تندب الجماعة فيه تحية المسجد ، وهي ركعتان قبل الجلوس لكل داخل^(١)، وتحصل بفرض أو نفل آخر ، وتكرر بتكرر الدخول على قرب ، وتفوت بجلوسه قبل فعلها وإن قصر الفصل ، إلا إن جلس سهواً وقصر الفصل . ومنه أشياء آخر تطلب من المبسوطات .

خاتمة : أفضل القسم الذي لا تسن فيه الجماعة الوتر ، ثم ركعتا الفجر^(٢)، وهما أفضل من ركعتين في جوف الليل ، ثم باقي رواتب الفرائض ، ثم الضحى ، ثم ما يتعلق بفعل غير سنة الوضوء كركعتي الطواف والإحرام والتحية ، وهذه الثلاثة في الأفضلية سواء . ويسن أن يفصل بين سنة الصبح والفريضة باضطجاع على يمينه للاتباع^(٣)، وأن يقرأ في أولى ركعتي الصبح ، والمغرب ، والاستخارة ، وتحية المسجد ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ [الكافرون] وفي الثانية الإخلاص^(٤) .

باب شروط الصلاة

اعلم أن الشروط جمع شرط ، وهو - بسكون الراء - لغة : العلامة . وفي التنزيل : ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ [عند : ١٨] أي علاماتها ، واصطلاحاً : ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته . والمانع لغة : الحائل ، واصطلاحاً : ما يلزم من وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته ، ثم اعلم أيضاً أن الركن كالشرط في أنه لا بد منه ، ويفارقه بأن الشرط هو الذي يتقدم على الصلاة ، وتجب استدامته فيها كالطهر والستر . والركن : ما تشتمل عليه الصلاة كالركوع والسجود .

(شروطها أربعة لذي الفطن طهر اللباس والمكان والبدن)
(وستر لون عورة وإن خلا وعلمه بالوقت وليستقبلا)
(وترك الاستقبال في نفل السفر وشدة الخوف المباح مغتفر)

(شروطها) أي : الصلاة (أربعة) أولها : (طهر اللباس والمكان والبدن) من نجس لا يعفى عنه ، فلا تصح صلاته مع شيء من ذلك ولو مع جهله بوجوده أو بكونه مبطلاً لقوله تعالى : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ [الذثر : ٤] واحترزت بقولي : لا يعفى عنه ، عما يعفى عنه كدم نحو البراغيث والبراث كما تقدم في باب النجاسة وإن كثر لعموم البلوى به . نعم إن حمل ما أصابه من نحو ثوب في كفه أو غيره أو فرشته وصلى عليه لم يعف عنه إن كثر ، ويعفى عن أثر محل استجماره وإن عرق ؛ لجواز الاقتصار فيه على الحجر في حقه لا في حق غيره ، ولو حمل مستجمرأ في صلاته بطلت إذ لا حاجة إلى حمله فيها .

تنبيه : يستثنى من المكان ما لو كثر ذرق الطيور فيه ، فإنه يعفى عنه للمشقة ، وقيد في « المطلب » العقوب بما لم يتعمد المشي عليه . وزاد غيره : إلا أن يكون رطباً أو رجله مبلولة .

فروع : لو صلى بنجس غير معفو عنه لم يعلمه ، أو علمه ثم نسي فصل ، ثم تذكر وجبت الإعادة . وتجب إعادة كل صلاة تيقن فعلها مع النجس ، بخلاف ما احتمل حدوثه بعدها . ويشترط أيضاً لصحة الصلاة الطهر من الحدث الأصغر والأكبر عند القدرة ، فلو لم يكن متطهراً عند إحرامه مع قدرته على الطهارة لم تنعقد صلاته ، فإن أحرم ثم أحدث بطلت صلاته ، ولو مع سبقه في غير الحدث الدائم ، وهذا الشرط داخل في كلام الناظم ، فهو نوع بديع أتى به وهو

(١) لحديث أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » رواه البخاري (٤٤٤) ، ومسلم (٧١٤) (٦٩) .

وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان لي دين على النبي ﷺ فقضاني وزادني ، فدخلت عليه المسجد فقال لي : « صل ركعتين » . رواه البخاري (٤٤٣) ، ومسلم (٧١٥) واللفظ له .

(٢) لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » رواه مسلم (٧٢٥) .

(٣) لما روى البخاري (٦٢٦) ، ومسلم (٧٣٦) (١٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأول من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر بعد أن يستبين الفجر ، ثم اضطجع على شقه الأيمن - أي في حجرته الشريفة - حتى يأتيه المؤذن للإقامة .

(٤) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٧٢٦) أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

الاكتفاء . وثانيها : (ستر لون عورة) أي عن : العيون (وإن خلا) أي : وإن كان خالياً في ظلمة عند القدرة لقوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] قال ابن عباس : المراد به الثياب في الصلاة^(١) ، فإن عجز وجب أن يصلي عارياً ، ويتم ركوعه وسجوده ، ولا إعادة عليه . وإنما وجب الستر في الخلوة لإطلاق الأمر بالستر ، ولأن الله تعالى أحق أن يستحيا منه^(٢) . ويجب ستر العورة في غير الصلاة أيضاً ولو في الخلوة ، إلا الحاجة كاستئصال وعورة الذكر ومن بهارق : ما بين ستره وركبته^(٣) . وعورة الحرة : غير الوجه والكفين إلى الكوعين^(٤) . والختني كالأنثى رقاً وحرية . والسرة والركبة ليستا من العورة على الأصح . وشرط الساتر : جزم يمنع إدراك لون البشرة لا حجمها كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : لون ولو بطين ونحو ماء كدر كء صاف متراكم بخضرة ، فخرجت الظلمة ونحوها . ولا يكفي ثوب رقيق ولا مهلهل لا يمنع إدراك اللون ، ولا زجاج يحكي اللون . والستر بثوب أو جلد أو حشيش أو ورق ونحو ذلك ، ويستتر العورة من الأعلى والجوانب لا من الأسفل ، فلو رُئيت عورته من

(١) أخرجه ابن جرير في « التفسير » (١٤٥٠٧) بلفظ : أمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم .

(٢) أخرج الترمذي (٢٧٩٥) عن حكيم قال : قلت يابني الله عورتنا ما تأتي منها وما نذر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » قلت يارسول الله : إذا كان القوم بعضهم في بعض قال : « إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يراها » قال : قلت يابني الله إذا كان أحدنا خالياً قال : « فالله أحق أن يستحى منه من الناس » وقال الترمذي : حديث حسن ، ورواه أيضاً أبو داود (٤٠١٧) .

ولحديث أبي سعيد عند مسلم (٣٣٨) أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد » .

(٣) أخرج الطبراني عن ابن عباس (١٠٧٧٣) بسند ضعيف : « لا بأس أن يقلب الحارية إذا أراد أن يشترها ما خلا عورتها ما بين ركبتيها إلى معقدي إزارها » . وأبو داود (٤٩٦) عن ابن عمر وفيه : « فلا ينظر إلى ماذون السرة وفوق الركبة » .

(٤) لحديث الترمذي (٢٧٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار » وحسنه . والعورة للمرأة خصصت مواضعها بالآية الكريمة : قال تعالى : ﴿ ولا يبدن زينتهن ﴾ [النور : ٣١] فمن مواضعها القبط ، والقلادة ، والسوار ، والإكليل ، والتاج ، والدملج ، والوشاح ، والخلخال وغيرها . وقال تعالى مشيراً إلى دفع أسباب الفتنة : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ [النور : ٣٠] .

وروى حذيفة عن رسول الله ﷺ : « النظرة سهم من سهام إبليس مسموم ، فمن تركها من خوف الله أثابه الله جلاً وعزاً إيماناً يحد حلاوته في قلبه » رواه الحاكم ٣١٤/٤ . وقال الشاعر يصف هذا الواقع الأليم :

كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا طرف يقلبه	في أعين الغيـد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضُر مهجته	لامرحباً بـرور عاد بالضرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر

جيبه : - فتحة قميصه - في ركوع لم يكف فليزرها أو يشد وسطه ، ولو ستره بلحيته أو ستر خرق ثوبه بكفه كفى .

تنبيه : يسن للرجل أن يلبس للصلاة أحسن ثيابه ، وأن يصلي في ثوبين لظاهر قوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم ﴾ [الأعراف : ٣١] والثوبان أهم الزينة . وفي الخبر : « إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبيه ، فإن الله أحق أن يتزين له »^(١) ويكره أن يصلي في ثوب فيه صورة ، وأن يصلي الرجل مثلاً ، والمرأة متقبية ، إلا أن تكون في مكان ، وهناك أجناب لا يجترزون عن النظر إليها ؛ فلا يجوز لها رفع النقاب . وسكت عن قول أصله : بلباس طاهر ؛ للاستغناء عنه بما تقدم من اشتراط الطهارة في اللباس (و) ثالثها : أي : المصلي ، أي : أو ظنه (بالوقت) أي : بدخوله بالاجتهاد^(٢) كما دل عليه كلام « المجموع » ، فلو صلى بدونه لم تصح صلاته وإن وقعت في الوقت . ورابعها : استقبال القبلة - أي : الكعبة^(٣) كما قال : (وليستقبلا) بلام الأمر : أي : بالصدر لا بالوجه - لصلاة القادر عليه لقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٥٠] والتوجه لا يجب في غير الصلاة فتعين أن يكون فيها^(٤) ، فلا تصح الصلاة بدونه إجماعاً ، بخلاف العاجز عنه كمريض لا يجد من يوجهه للقبلة ومربوط على خشبة ، فيصلي بحاله ويعيد . وقول الناظم : (وترك الاستقبال في نفل السفر ، وشدة الخوف المباح مغتفر) أشار به إلى أنه يجوز للمصلي ترك الاستقبال في حالتين : الحالة الأولى : في نفل السفر المباح ولو قصيراً إلى صوب مقصده فلا تباع في الراكب ، رواه الشيخان^(٥) ، وقيس به الماشي . ثم إن كان المسافر راكباً وأمكنه التوجه في جميع صلاته وإتمام ركوعه وسجوده لزمه ذلك ، وإلا فالأصح : إن سهل عليه التوجه وجب في التحرم فقط ، وإلا فلا . ويكفيه إيماء بركوعه ، وسجوده أخفض . وإن كان ماشياً لزمه إتمام ركوعه وسجوده ، والتوجه فيهما ، وفي إحرامه ، وجلسه بين السجدين ، ولا يمشي إلا في قيامه واعتداله وتشهده وسلامه . وخرج بنفل السفر نفل الحضر ، فلا يجوز .

(١) أخرجه البيهقي في « السنن » ٢٣٦/٢ عن ابن عمر .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ [النساء : ١٠٣] .

(٣) كان التوجه للكعبة بعد الهجرة كما في الآية الكريمة الآتية وحديث الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يؤجه نحو الكعبة فأنزل الله عز وجل : ﴿ قد ترى قلبك وجهك في السماء ﴾ فتوجه نحو الكعبة . رواه البخاري (٣٩٠) ، ومسلم (٥٢٥) .

(٤) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٤٤٩٢) ، ومسلم (٣٩٧) : « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة وكبر » .

(٥) من حديث ابن عمر البخاري (١٠٩٧) ، ومسلم (٧٠٠) .

والحكمة في التخفيف أن الناس محتاجون إلى الأسفار ، فلو شرط فيها الاستقبال للنفل لأدى ذلك إلى ترك أورادهم أو معاشهم . ويشترط في السفر أن لا يكون معصية ، وأن يقصد به محلاً معيناً ، فيمتنع ذلك على العاصي بسفره ؛ والهاشم . **الحالة الثانية** : في صلاة شدة الخوف المباح من قتال أو غيره ، فرضاً كانت أو نفلاً ، فليس بشرط فيها لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة : ٢٣٩] قال ابن عمر : مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . رواه البخاري [٤٥٣٥] في التفسير . وقول الناظم : المباح ؛ يرجع لكل نافلة السفر وصلاة شدة الخوف كما تقرر . وقوله : الفطن - بكسر الفاء وفتح الطاء وبعدها نون - جمع فطنة^(١) . والألف في قوله : خلا و ليستقبلا ؛ للإطلاق .

تتمة : من شروط الصلاة أيضاً : العلم بكيفية الصلاة ، بأن يعلم فريضتها ، وتميز فرضها من سنتها . نعم إن اعتقدها كلها فرضاً ، أو بعضها ولم يميز ، وكان عامياً ولم يقصد فرضاً بنفل : صحت .

ولما كان الركن كالشروط في أنه لا بد منه كما مر أيضاً عقب الناظم الشروط بالأركان ، فقال :

باب أركان الصلاة

وتقدم معنى الركن . واعلم أن الصلاة تشتمل على شروط وأركان وسنن ، وهي الأبعاد التي تجبر بسجود السهو ، وهيآت وهي التي لا تجبر . وقد شبهت الصلاة بالإنسان : فالركن ك رأسه ، والشروط كحياته ، والبعض كأعضائه ، وهيآت كشعره .

(أركانها على الطريق الآتية	بعشرة تعدّ مع ثمانية)
(نيتها مع لفظ تكبير صدر	مع القيام في الفروض إن قدر)
(وبعده القراءة المستكملة	فاتحة الكتاب منها البسملة)
(وبعدها اركع واطمئن راکعاً	ثم اعتدل ولتطمئن رافعاً)
(واسجد إذا ثم اطمئن ساجداً	وبعده اجلس واطمئن قاعداً)
(وبعده اسجد سجدة كالسابقه	واعدهما ركناً بلا مفارقه)
(وهكذا في كل ركعة خلا	تكبيرة مع نية فأولاً)
(واجلس أخيراً وأت بالتشهد	وبعده صلّ على محمد)
(ونية الخروج في قول هُجر	مُسَلِّماً مرتباً كما ذكر)

(أركانها) أي : الصلاة (على الطريق الآتية ..) في النظم ثمانية عشر ركناً ، كما في « التنبيه » يجعل الطمأنينة في الركوع والاعتدال والجلوس بين السجدين وفي السجدين ونية الخروج أركاناً ، وجعلها في « الروضة » سبعة عشر ؛ لأن الأصح أن نية الخروج لا تجب ، وفي « المنهاج » ثلاثة عشر يجعل الطمأنينات كالهيات التابعة ، والخلاف لفظي .

فالركن الأول : (نيتها) أي : الصلاة لأنها واجبة في بعض الصلاة ، وهي أولها لا في جميعها فكانت ركناً كالتكبير والركوع ، والدليل على وجوبها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] قال الماوردي : والإخلاص في كلامهم هو النية ، وقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » [رواه البخاري (١)] وأجمعت الأمة على اعتبار النية في الصلاة ، وبدأ بها لأن الصلاة لا تتعدى إلا بها ، فإن أراد أن يصلي فرضاً وجب قصد فعلها وتعيينها ونية الفرضية^(٢) ، ولا تجب الإضافة إلى الله تعالى لأن

(١) جمعها بعضهم فقال :

ياسألني عن فروض النية

القصد والتعيين والفرضية

(١) الفطنة : كالفهم ، وهي ضد العبادة ، وقد فطن لهذا الأمر - بالفتح - يَفْطِنُ فِطْنَةً ، وَفَطَنَ فِطْنًا وَفَطَنًا وَفُطِنَ وَفُطِنًا وَفُطِنًا .. اهـ « لسان العرب » .

العبادة لا تكون إلا له ، لكن يستحب كنية استقبال القبلة ، وعدد الركعات والنفل ذو الوقت أو السبب كالفرض في اشتراط قصد فعل الصلاة وتعيينها ، كصلاة الكسوف وراتية العشاء . قال في « المجموع » : وكسنة الظهر التي قبلها أو التي بعدها ، ويكفي في النفل المطلق نية فعل الصلاة ، والنية بالقلب . ويندب النطق بالمنوي قبيل التكبير ليساعد اللسان القلب ، ولأنه أبعد عن الوسواس .

فرع : تصح نية الأداء بنية القضاء وعكسه عند جهل الوقت بغير ونحوه . ولو نوى الصلاة ودفع الغريم صحت صلاته ؛ لأن دفعه حاصل وإن لم ينو ، بخلاف ما لو نوى بصلاته فرضاً ونفلًا غير تحية وسنة وضوء ؛ لتشريكه بين عبادتين لا تندرج إحداهما في الأخرى . ولو صلى لنواب الله أو هرب من عقابه صحت صلاته ، خلافاً للفخر الرازي .

والركن الثاني : تكبيرة الإحرام كما قال : (مع) أي : بسكون العين - (لفظ تكبير صدر . مع القيام) أي : في القيام ، لخبر المصلي صلاته^(١) : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم ارفع حتى تحادل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اقل ذلك في صلاتك كلها » رواه الشيخان^(٢) وللاتباع مع خبر : « صلوا كما رأيتموني أصلي »^(٣) والمراد كما علمتموني أصلي ، والرؤية يعبر عنها بالعلم ، قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ [الفيل : ١] أي : ألم تعلم ذلك ؟ وإذا كان المراد العلم شمل الحديث قوله وفعله ، وسميت تكبيرة الإحرام بذلك ؛ لأنه يحرم بها على المصلي ما كان حلالاً له قبلها من مفسدات الصلاة كالأكل والشرب والكلام ونحو ذلك . وكيفيتها : أن يقول القادر على النطق بها : الله أكبر ، أو الله الأكبر ، لأنه لفظ يدل على التكبير وعلى زيادة مبالغة في التعظيم وهو الإشعار بالتحصيص ، فصار كقوله : الله أكبر من كل شيء ، ولا تضرب زيادة لا تمنع الاسم ك : الله أكبر وأجل ، و : الله الجليل أكبر في الأصح ، وكذا كل صفة من صفاته تعالى إذا لم يطل بها الفصل كقوله : الله عز وجل أكبر ، بخلاف ما لو تخلل غير صفاته تعالى كقوله : الله هو الأكبر ، أو طالت صفاته كقوله : الله لا إله إلا هو الملك القلوس أكبر ، فإنه يضر . وعلم من قول الناظم : نيتها مع لفظ تكبير ؛ أنه يجب قرن النية بتكبيرة الإحرام ؛ لأنها أول الأركان ، بأن يقرنها بأوله ويستصحبها إلى آخره . واختار النووي في « شرح المذهب » و « الوسيط » تبعاً للإمام

والغزالي الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام بحيث يعدّ مستحضرًا للصلاة اقتداء بالأولين في تسامحهم بذلك . وقال ابن الرفعة : إنه الحق ، وصوبه السبكي . والوسوسة عند تكبيرة الإحرام من تلاعب الشيطان ، وهي تدل على خيل في العقل ، أو جهل في الدين .

تنبيه : يجب أن لا يأتي بما ينافي النية ، ومن عجز عن النطق ترجم ، ووجب التعلم إن قدر . والركن الثالث : (القيام في الفروض إن قدر) عليه لقوله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ولو بمعين بأجرة فاضلة عن مؤنته ومؤنة مؤنه يومه وليلته ، فتجب حالة الإحرام به ؛ لخبر البخاري [١١١٧] عن عمران بن حصين قال : كانت بي بواسير ، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة ، فقال : « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » . زاد النسائي : « فإن لم تستطع فمستلقياً ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها^(١) » وأجمع الأمة على ذلك ، وهو معلوم من الدين بالضرورة ، وشرطه نصب فقام ظهره ، أي : عظامه ، فلو وقف منحنيًا إلى قدميه أو خلفه ، أو مائلاً على يمينه أو يساره بحيث لا يسمى قائماً لا يصح قيامه . والانحناء السالب للاسم : أن يكون إلى الركوع أقرب كما في « المجموع » وخرج بالفرض النفل ، فللقادر على القيام النفل قاعداً أو مضطجعاً مع القدرة^(٢) ، وبالقادر العاجز كما سيأتي ، ولا تصح صلاة صبي قاعداً وإن كانت نفلًا كما في « البحر » وكذا المعادة .

فروع : ولو خاف راكب سفينة غرقاً أو دوران رأس فإنه يصلي من قعود على الأصح ، ولا إعادة عليه . ولو كان به سلس بول لو قام سال بوله وإن قعد لم يسلم ، فإنه يصلي من قعود على الأصح ، ولا إعادة عليه . ولو قال طيب ثقة لمن يعينه ماء : إن صليت مستلقياً أمكن مداواتك ، فله ترك القيام على الأصح .

(١) ورواه الترمذي (٣٧٢) ، وأبو داود (٩٥٢) ، وابن خزيمة (٩٧٩) و (١٢٥٠) ، وابن ماجه (١٢٢٣) ، ولم ينسبه المزني (١٠٨٣٢) إلى النسائي . قال ابن حجر في « فتح الباري » ٥٨٨/٢ : قوله « فعل جنب » : في حديث علي عند الدارقطني : « على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة بوجهه » وهو حجة للجمهور في الانتقال من القعود إلى الصلاة على الجنب . وعن الحنفية وبعض الشافعية : يستلقي على ظهره ويجعل رجله إلى القبلة . وقال الترمذي عقب الحديث : قال بعضهم : يصلي مستلقياً على قفاه ، ورجلاه إلى القبلة . وقال البيهقي في « شرح السنة » ١١٢/٤ : وإن صلى قائماً فذهب قوم إلى أنه يصلي مستلقياً ورجلاه إلى القبلة . وهذا عند العجز عن الاضطجاع ، ثم ينتقل إلى الصلاة بالإشارة بالرأس ، ثم بإيماء الطرف ، ثم بإجراء القرآن والذكر على اللسان ، ثم على القلب . لأنهم جعلوا مناط التكليف بالصلاة حضور العقل فيأتي بما يستطيعه بدليل قوله ﷺ : « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » . رواه مسلم .

(٢) لحديث عمران بن أبي العيص (١١١٦) : « من صلى قائماً فهو أفضل ، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم ، ومن صلى قائماً فله نصف أجر القاعد » . التام : المضطجع على جنب .

(١) وهو : خلاد بن رافع بن مالك الخزرجي رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٧٩٣) ، ومسلم (٣٩٧) . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٦٣١) . عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

والركن الرابع : قراءة سورة الفاتحة كما قال : (وبعده) أي : القيام (القراءة للمستكملة) بيان شروطها الآتية: (فاتحة الكتاب) في كل ركعة في قيامها أو بدله للمنفرد وغيره ؛ لقوله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » متفق عليه [البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤)] ، ولفعله ﷺ مع خير : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [رواه البخاري (٦٣١)] إلا في ركعة مسبوق فلا تجب فيها ، بمعنى أنه لا يستقر وجوبها عليه لتحمل الإمام لها عنه . وقوله : (منها) أي : الفاتحة (البسمة) لأنه ﷺ عدها آية منها ، صححه ابن خزيمة [٤٩٩] والحاكم [٢٣٢/٢] وهي آية من كل سورة سوى ﴿ براءة ﴾ . والسنة أن يصلها بالحمدلة ، وأن يجهر بها حيث يشرع الجهر بالقراءة ، ويجب رعاية حروف الفاتحة ، فلو أبدل حرفاً منها بآخر لم تصح قراءته لتلك الكلمة لتغييره النظم ، ولو أبدل ذال ﴿ الذين ﴾ المعجمة بالمهملة لم تصح ، وكذا لو أبدل حاء ﴿ الحمد لله ﴾ بالهاء ، ولو نطق بالقاف مترددة بينها وبين الكاف كما ينطق بها العرب صح مع الكراهة كما جزم به الروياني وغيره . ويجب رعاية تشديداتها وهي أربع عشرة : منها ثلاث في البسمة ، فلو خفف منها تشديده بطلت قراءته لتلك الكلمة ، ولو شدد الخفف أساء وأجزأ كما قاله الماوردي . ويجب ترتيها ، وهو أن يأتي بها على نظمها المعروف لأنه مناط البلاغة والإعجاز ، وموالاتها بأن يأتي بكلماتها على الولاة للاتباع فيقطعهما تخلل ذكر - أجنبي لا يتعلق بالصلاة^(١) - وإن قل ، وسكوت طال عرفاً بلا عذر فيها ، أو سكوت قصد به قطع القراءة ، بخلاف سكوت قصير لم يقصد به القطع ، أو طويل ناسياً ، أو تخلل ذكر بعذر من جهل أو سهو أو إعياء ، أو تعلق ذكر بالصلاة كتأمينه لقراءة إمامه وفتح عليه إذا توقف فيها^(٢) . فإن عجز عن جميع الفاتحة لعدم معلم أو مصحف أو غير ذلك فسبح آيات عدد آياتها يأتي بها ولو متفرقة ، ولا ينقص حرف منها عن حروف الفاتحة . وإن عجز عن القرآن أتى بسبع أنواع من ذكر أو دعاء ، فإن عجز عن ذلك كله لزمه وقفة قدر الفاتحة ، ولا يترجم عنها بخلاف التكبير لقوات الإعجاز فيها دونه .

تنبيه : يجوز في قول الناظم فاتحة الكتاب ؛ الرفع خير مبتدأ محذوف ، والنصب بتقدير : أعني . وقوله المستكملة ؛ بفتح الميم وكسرها والفتح أنسب .

(١) قال المؤلف في « مواهب القصد » ص : ٤٢ ، وقال الخطيب في « المغني » ١/ ٥٨١ : كالتحميد عند العطاس ، وإجابة المؤذن ... لأن الاشتغال به يوم الإعراس عن القراءة فليستأتمها . هذا إن تعمد .

(٢) قال في « الزبد » :

وبالسكوت انقطعت إن كرا
أول مع قصد لقطع ما قرا
لابسجوده وتأمين ولا
سؤاله لما إمامه تلا

والركن الخامس : الركوع كما قال : (وبعدها) أي : الفاتحة (اركع) لقوله تعالى : ﴿ اركعوا ﴾ [الحج : ٧٧] ولخير : « إذا قمت إلى الصلاة »^(١) وللإجماع . وأقله في حق القائم أن ينحني انحناء خالصاً لا اغتناس فيه ، وقدر يبلوغ راحتيه ركبتيه إذا أراد وضعهما ، فلا يحصل مع اغتناس ؛ لأنه لا يسمى ركوعاً . وأكملة : تسوية ظهره وعنقه فيجعلهما كالصفيحة الواحدة ، ونصب ساقيه وفخذه ، وأخذ ركبتيه بيديه ، وتفرقة أصابعه للقبلة . وقد كان ﷺ يستوي بحيث لو صب الماء على ظهره لاستمسك . أما ركوع القاعد فأقله أن ينحني بحيث تحاذي جبهته ما قدّم ركبتيه ، وأكملة أن يحاذي موضع سجوده .

تنبيه : يشترط أن لا يقصد بهويه غير الركوع ، فلو قرأ في صلاته آية سجدة فهوى لسجدة التلاوة ، ثم بدا له أن يجعله ركوعاً بعد ما بلغ حد الركوع لم يكف .

والركن السادس : الطمأنينة فيه ، أي : في الركوع ، بحيث يستقر كل عضو في محله كما كان عليه أولاً كما قال : (واطمئن راکعاً) لحديث النبي صلاته المتقدم . وأقله : أن تستقر أعضاؤه راکعاً ، بحيث ينفصل رفعه من ركوعه عن هويه ، فلا يقوم زيادة الهوي مقام الطمأنينة .

والركن السابع : الاعتدال كما قال : (ثم اعتدل) ولو نافلة كما صححه في « التحقيق » لحديث النبي صلاته ، ويحصل بعوده كما كان عليه قبل ركوعه قائماً أو قاعداً .

والركن الثامن : الطمأنينة فيه كما قال : (ولتطمئن رافعاً) بأن تستقر أعضاؤه على ما كان قبل ركوعه بحيث ينفصل ارتفاعه عن ركوعه إلى ما كان ، فلو ركع عن قيام فسقط عن ركوعه قبل الطمأنينة فيه عاد وجوباً إليه واطمأن ثم اعتدل . أو سقط عنه بعد ما نهض معتدلاً ثم سجد ، وإن سجد ثم شك هل أتم اعتداله : اعتدل وجوباً ثم سجد .

تنبيه : يشترط أن لا يقصد غيره ، فلو رفع فزعاً من شيء كحية لم يكف .

والركن التاسع : السجود كما قال : (واسجد إذا) أي : بعد اعتدالك مطمئناً لقوله تعالى : ﴿ اركعوا واسجدوا ﴾ [الحج : ٧٧] ولخير : « إذا قمت إلى الصلاة » وهو لغة : التظان والميل . وأقله مباشرة بعض جبهته ما يصلي عليه من أرض لخبر : « إذا سجدت فمكّن جبهتك ، ولا تنقر نقرأ » رواه ابن حبان [١٨٨٧] عن ابن عمر في « صحيحه » وإنما اكتفي

(١) أي : في حديث النبي صلاته .

(٢) أي : في حديث النبي صلاته .

(٣) بإسناد ضعيف .

ببعض الجهة لصدق اسم السجود عليها بذلك ، وخرج بالجهة الجبين والأنف فلا يكفي وضعهما ، ولا يجب وضع كل يديه وركبتيه وقدميه كما صححه النووي ، بل يكفي وضع جزء من هذه الأعضاء . والعبرة في اليدين ببطن الكف وسواء الأصابع والراحة ، وفي الرجلين ببطن الأصابع .

تنبيه : لا بد أن يضع بعض الجهة المذكورة مكشوفاً إذا لم يكن عذر ، فلو سجد على عصابة جرح أو غيره لضرورة بأن يشق عليه إزالتها صح ولا إعادة عليه ، وإن سجد على متصل به جاز إن لم يتحرك بحركته . ولو سجد على شيء في موضع سجوده كورقة فالتصقت بجهته وارتفعت معه وسجد عليها ثانياً ضَرَّ . وإن نأهاها ثم سجد - ولو عليها - لم يضر . ويشترط في السجود التنكيس ، وهو ارتفاع أسافله على أعاليه ، والتحامل على ما يسجد عليه ، بحيث لو سجد على قطن أو حشيش لا تنكس . ويجب أن لا يهوي لغير السجود كما في الركوع .

والركن العاشر : الطمأنينة فيه كما قال : (ثم اطمئن ساجدا) لحديث المسيء صلاته .

والركن الحادي عشر : الجلوس بين السجدين كما قال : (وبعده اجلس) بين السجدين ولو في نفل ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان إذا رفع رأسه لم يسجد حتى يستوي جالساً^(١) .

والركن الثاني عشر : الطمأنينة فيه كما قال : (واطمئن قاعدا) لحديث المسيء صلاته . ويجب أن لا يقصد به غيره كما مر في الركوع ، فلو رفع فرعاً من شيء لم يكف . ويجب عليه أن يعود إلى السجود كما قال ، أي : (وبعده اسجد سجدة كالسابقة) أي : كالأولى في الأقل والأكمل (واعددهما) أي : السجدين أيها الفقيه (ركناً) واحداً (بلا مفارقة) لاتحادهما ، كما عدّ بعضهم الطمأنينة في محالها الأربع ركناً واحداً كذلك .

تنبيه : يجب أن لا يطول الجلوس والاعتدال لأنهما ركنان قصيران ليسا مقصودين لذاتهما بل للفصل . والسنة أن يرفع مكرراً وأن يجلس مفترشاً ، وأن يقول في الجلوس : « رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني » - رواه الترمذي [٢٨٤] وجاء في رواية أبي داود [٨٥٠] « وعافني » بدل : « واجبرني وارفعني » . قال في : « الأذكار » (١٦٠) وإسناده حسن - للاتباع .

وما تقدم من الأركان يفعل في كل ركعة ، إلا تكبيرة الإحرام والنية فإنهما في أول ركعة فقط كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : (وهكذا في كل ركعة) إلى آخر البيت .

(١) فائدة : روى البخاري (٨٢٣) عن مالك بن الحويرث أنه رأى النبي ﷺ يصلي فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعداً . هذا ما يسمى بجلسة الاستراحة وهي مندوبة لفعله ﷺ لها .

والركن الثالث عشر : الجلوس الأخير كما قال : (واجلس أخيراً) لأنه محل ذكر واجب ، فكان واجباً كالقيام لقراءة الفاتحة .

والركن الرابع عشر : التشهد فيه كما قال : (وأت بالتشهد) أي : في الجلوس لقول ابن مسعود : كنا نقول قبل أن يفرض التشهد : السلام على الله ، السلام على جبرائيل وميكائيل . فقال رسول الله ﷺ : « لا تقولوا هكذا ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله .. » إلى آخره . رواه الدارقطني [٣٥٠/١] فقله : كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد^(١) : دليل على أنه فرض ، وأيده قوله ﷺ : « قولوا » . وأقل التشهد : التحيات لله ، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . وأعلم أن التحيات جمع تحية : وهي الملك والبقاء الدائم ، وقيل : العظمة ، وقيل : السلامة من النقص . وإنما اجتمعت لأن كل واحد من ملوكهم كان له تحية يُحيا بها ، فقيل لنا قولوا : التحيات لله ، أي : الألفاظ الدالة على الملك مستحقة لله . والمباركات معناها : الناميات ، والصلوات : هي الصلوات الخمس ، وقيل : كل صلاة ، وقيل : الرحمة ، وقيل : الأدعية . والطيبات معناها : الكلمات الطيبات ، وهي ذكر الله تعالى ، وقيل الأعمال الصالحة . والسلام معناها : اسم الله عليك، وعلينا أي الحاضرين من إمام ومأموم وملائكة وغيرهم . والعباد جمع عبد . والصالحين جمع صالح : وهو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحق العباد . والرسول : هو الذي يبلغ خبر من أرسله .

والركن الخامس عشر : الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير كما قال : (وبعده) أي : التشهد الأخير (صل على محمد) ﷺ لقوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] وقد أجمع العلماء على أنها لا تجب في غير الصلاة ، فتعين وجوبها فيها ، والقائل بوجوبها مرة في غيرها محجوج بإجماع مَنْ قبله . وأقل الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله : اللهم صل على محمد وآله . وأكملها : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد . وفي بعض طرق الحديث زيادة على ذلك .

تنبيه : آل إبراهيم : إسماعيل وإسحاق وأولادهما ، وخص إبراهيم بالذكر لأن الرحمة والبركة لم يجتمعا لنبي غيره ، قال تعالى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [هود : ٧٣] .

(١) هكذا رواه البيهقي في « السنن الكبرى » ٣٧٨/٢ ولفظه : كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل خلفه السلام على جبرائيل وميكائيل فعلمنا رسول الله ﷺ التشهد . وكذلك رواه ابن مسعود عن الخزومي .

فائدة : كل الأنبياء من بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من إسحاق عليه السلام ، وأما إسماعيل عليه السلام فلم يكن من نسله نبي إلا نبينا ﷺ . قال ابن أبي بكر الرازي : ولعل الحكمة في ذلك انفراده بالفضيلة ، فهو أفضل الجميع عليه الصلاة والسلام . ويسن الدعاء بعد التشهد الأخير ؛ ومأثوره أفضل ، ومنه : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » [رواه مسلم (٧٧١) عن علي] وغير ذلك من الأدعية المأثورة .

والركن السادس عشر : (نية الخروج) من الصلاة مقترنه بالتسليم الأولى (في قول هُجر) أي : ترك ، والأصح أنها لا تجب قياساً على سائر العبادات ، ولأن النية السابقة منسحبة على جميع الصلاة ، ولكن تسن خروجاً من الخلاف .

والركن السابع عشر : التسليم الأولى كما قال : (مسلماً) لخبر مسلم^(١) [٤٩٨] ، ولحديث : « تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم »^(٢) قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وأقله : السلام عليكم . فلا يكفي السلام عليهم . ولا تبطل به الصلاة لأنه دعاء لغائب ، ولا عليك ، ولا عليكما ، ولا سلامي عليكم ، ولا السلام عليكم فإن تعمد ذلك مع علمه بالتحريم بطلت صلاته . وأكمله : السلام عليكم ورحمة الله ، لأنه المأثور . وتسن : وبركانه كما صححه في « المجموع » وصوبه . والمعنى في السلام : أن المصلي كان مشغولاً عن الناس وقد أقبل عليهم .

والركن الثامن عشر : ترتيب الأركان كما قال : (مرتباً كما ذكر) بالبناء للمفعول في عدها المشتغل على وجوب قرن النية بالتكبير ، وجعلها مع القراءة في القيام ، وجعل التشهد والصلاة على النبي ﷺ في القعود . فالترتيب عند من أطلقه مراد فيها عدا ذلك ، وعده من الأركان بمعنى الفروض صحيح ، ومعنى الإجزاء فيه تغليب . والدليل على وجوب الترتيب الاتباع كما في الأخبار الصحيحة مع خبر : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [رواه البخاري (٦٣١)] . أما السنن فترتيب بعضها على بعض كالاستفتاح والتعوذ ، وترتيبها على الفرائض كالفتاحية والسورة شرط في الاعتداد بها سنة لا في صحة الصلاة . فإن ترك الترتيب : فإن كان في الأركان الفعلية فسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في بيان سجود السهو . وإن كان في القولية : فإن قدم قولياً على قولياً كالصلاة على

(١) عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير ... وكان يختتم الصلاة بالتسليم .

(٢) رواه أبو داود (٦١) ، والترمذي (٣) عن علي رضي الله عنه بهذا اللفظ . وقال : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن .

النبي ﷺ على التشهد ، أو فعلياً على قولي كأن قدم السلام على التشهد فلا تبطل الصلاة بل يعيد ما قدمه . فإن سلم عامداً أو لم يعده بطلت .

ولما فرغ الناظم من بيان الأركان شرع في بيان السنن فقال :

فصل : في بيان سنن الصلاة

قبل الدخول فيها وبعده

(وللصلاة ستان قبلها وستان في خلال فعلها)
(فالأول الأذان والإقامة لفرضها حتى القضا إذ رامة)
(والثاني أول التشهدين في كل فرض فوق ركعتين)
(كذا القنوت آخر إذا اعتدل في الصبح بل في الخمس إن أمر نزل)
(كذا قنوت الوتر في قيامه من نصف شهر الصوم لاختتامه)

أي : (وللصلاة) المكتوبة (ستان قبلها) أي : قبل الدخول فيها (وستان في خلال فعلها) أي : بعد الدخول فيها . (فالأول) من الستين اللتين قبلها (الأذان) بالمعجمة ، ويقال : التأذين والأذين ، فهو لغة : الإعلام^(١) ، ومنه قوله تعالى : (وأذن في الناس بالحج) [الحج : ٢٧] أي : أعلمهم . وشرعاً : قول مخصوص يعرف به وقت الصلاة المفروضة^(٢) ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ وإذا ناديتُم إلى الصلاة ﴾ [البقرة : ١٨٠] وخبر الصحيحين : « إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم » [البخاري (٦٢٨) ومسلم (٦٧٤)] . (و) الثاني منها : (الإقامة) وهي في الأصل مصدر أقام ، وسمي الذكر المخصوص بها ، لأنه يقيم إلى الصلاة . فالأذان والإقامة مشروعان بالإجماع ، فهما سنة للمكتوبة كما قال الناظم من

(١) وهو شعار خاص لدخول أوقات الفرائض الخمس لا غير ، كما أن التكبير شعار العبد ، والتلبية شعار الحرم بالتسليم .

(٢) يشترط له مايلي : الذكورة والتبذير والإسلام ورفع الصوت وترتيب الكلمات .

ويسن له : التوجه للقبلة ، والطهارة ، والقيام ، والثاني ، ومعرفة المواقيت ، والتشبيب بالفجر - يقول : الصلاة خير من النوم مرتين - ، والترجيع : وهو قول الشاهدين بصوت منخفض قبل أن يجهر بهما ، والالتفات في الحبلتين يميناً وشمالاً ، وأن يقول بعدهما : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وعدم التقطيط .

ومن آداب : أنه من أذن فليقيم ، وأن يضع أصبعه على أذنه - ليراه من لا يسمعه ، أو يسمع أكثر - وأن يقف على مرتفع - إذا لم يكن ناقل للصوت - وأن يكون متبرعاً ، ثقة ، مأموئاً - إذا كان يقف على المنارة - ولا يزيد في كلماته ، وأن يصلي على النبي ﷺ كل من المؤذن والمستمع عقبه بما ورد .

زيادته : (لفرضها) أي : الصلاة ولو فائتة كما قال : (حتى القضاء إذ) أي : وقت (رامة) أي : قصده دون غيرها من الصلوات كالسنن وصلاة الجنائز والمنذورة ، ويقال في العيد ونحوه : الصلاة جامعة .

تنبيه : يُشرع الأذان في أذن المولود المني والإقامة في اليسرى كما سيأتي إن شاء الله في العقيقة . ويشرع أيضاً إذا تغوّلت الغيلان ، أي : تمرّدت الجان لخبر ورد فيه^(١) . ويندب الأذان للمنفرد ، وأن يرفع صوته به إلا بموضع وقعت فيه جماعة ، قال في « الروضة » كأصلها : وانصرفوا . ويؤذن للأولى فقط من صلاة والاها . ومعظم الأذان مثنى ، ومعظم الإقامة فرادى ، وعدد كلمات الأذان تسعة عشر كلمة . وقد بينا الأذان وما يتعلق به بياناً شافياً في « شرح الزيد »^(٢) . وقول الناظم : (والثان) بحذف الياء تخفيفاً ، أي : من الستين اللتين في خلال فعلها ، أي : الصلاة (أول التشهدين) والأول (في كل فرض فوق ركعتين * كذا) الثاني منهما القنوت^(٣) .

واعلم أن سنن الصلاة بعد الدخول فيها أبغاض وهيئات ، فالأبغاض ثمانية المذكور منها في النظم شيان : الأول : التشهد الأول كله أو بعضه ، والمراد به اللفظ الواجب في التشهد الأخير دون ما هو سنة فيه . والثاني : (القنوت آخر إذا اعتدل) أي (في) ثانية (الصبح) كله أو بعضه (بل) يقنت (في) الصلوات (الخمس إن أمر نزل) بالمسلمين ، أي : نزل بهم نازلة ، لكن ليس هذا من الأبغاض ، ولفظ القنوت : « اللهم اهديني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت »^(٤) . و - بل - في قول الناظم انتقالية لا إبطالية . وقوله : (كذا) أي : كما يسن (قنوت) في اعتدال

(١) عن أبي سعيد عند ابن عدي ١٧٦٠/٥ : « إذا تغوّلت الغول فأذنوا بالصلاة » بإسناد ضعيف .

(٢) واسمه : « مواهب الصدق في حل ألفاظ الزيد » ص ٤٥ .

(٣) سئل أنس رضي الله عنه أقت النبي ﷺ في الصبح قال : نعم ، فقل : أو قنت قبل الركوع أو بعد الركوع ؟ قال : بعد الركوع يسيراً . رواه أحمد ١١٣/٣ ، والبخاري (١٠٠١) ، ومسلم (٦٧٧) ، وأبو عوانة ٢٨١/٢ ، وأبو داود (١٤٤٤) ، والنسائي ٢٠٠/٢ ، والدارمي ٣٧٥/١ ، وابن ماجه (١١٨٤) ، والطحاوي ١٤٣/١ ، والبيهقي في « السنن » ٢٠٦/٢ .

(٤) رواه عن سبط النبي ﷺ الحسن رضي الله عنه أحمد ١٩٩/١ ، وأبو داود (١٤٢٥) ، والترمذي (٤٦٤) ، والنسائي ٢٤٨/٣ ، وابن ماجه (١١٧٨) ، والبيهقي ٢٠٩/٢ ، والدارمي ٣٧٣/١ ، والحاكم ٢٧٢/٣ بإسناد صحيح .

ركعة (الوتر .. من نصف شهر الصوم لاختتامه) أي : إلى آخره ، سواء صلى التراويح أم لا ، وهو كقنوت الصبح في أفضاه وجيره بالسجود . ويسن للمنفرد وإمام قوم محصورين رضوا بالتطويل أن يقول بعده قنوت سيدنا عمر رضي الله عنه وهو مشهور^(١) .

تنبيه : يسن أن يقنت الإمام بلفظ الجمع وأن يرفع يديه ، ويؤمن المأموم للدعاء ، ويقول الثناء سرّاً ، ويستمع لإمامه كما في « الروضة » كأصلها ، وإن لم يسمعه قنت . والثالث من الأبغاض : القعود للتشهد الأول . والرابع من الأبغاض : الصلاة على النبي في التشهد الأول . والخامس : القيام للقنوت الرابع . والسادس : الصلاة على النبي ﷺ بعد القنوت . والسابع : الصلاة على آل بعد القنوت . والثامن : الصلاة على آل في التشهد الأخير بناء على أنها سنة فيه وهو الراجح ، وسميت هذه أبغاضاً لقرنها بالجهر بالسجود من الأبغاض الحقيقية . أي : الأركان . وخرج بها بقية السنن كأذكار الركوع والسجود فلا يسجد لتركها .

تنبيه : لا تسن الصلاة على آل في التشهد الأول على المعتمد وإن خالف فيه بعضهم .

وأما الهيئات فقد ذكرها الناظم بقوله :

فصل : في الهيئات

وهي جمع هيئة ، والمراد بها ما عدا الأبغاض .

(وهذه هيأتها المذكورة في خمس عشرة خصلة محصورة)
(رفع اليدين مع تحريم ومع ركوعه والرفع منه إذ رفع)
(ووضع اليمنى على اليسرى كذا توجهه وذكره الترمذي)
(والجهر والأمرار والتأمين في أم القرآن ثم سورة قفي)
(والنطق بالتكبير كلما انتقل وجملة التسميع كلما اعتدل)
(كذلك التسبيح في الركوع وفي السجود موضع الخضوع)

(١) ولفظه : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونعوب إليك ، ونؤمن بك ، ونوكل عليك ، تنبي عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم لك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونغمد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . رواه عبد الرزاق (٤٩٦٨) (٤٩٦٩) ، والبيهقي في « السنن » ٢١٠/٢ - ٢١١ وفي « معرفة السنن » (٣٩٠٨) مختصراً وقال : روي عن عمر صحيحاً وموصولاً . ورواه عن أبي عبد الرزاق (٤٩٧٠) ، وعن عليّ عبد الرزاق (٤٩٧٨) . نغمد : نسارع ونبادر . يفجرك : يخالفك . ملحق : لاحق .

(والافتراش في الجلوس الأول أما الأخير فالتورك الجلي)
 (وبسطه الشمال من يديه موضوعتين قرب ركبتيه)
 (وقبضه اليمنى سوى المنيحة فلم تزل مبسوطة مسيحه)
 (ترفع مع تشهد مشيرة بذلك والتسليم الأخيرة)

(وهذه هيأتها) أي : الصلاة (المذكورة) في الأصل (في خمس عشر خصلة محصورة) فيه ، وإلا فهي كثيرة . الأولى : (رفع اليدين مع تحريم) أي : رفع كفيه للقبلة مكشوفتين منشورة الأصابع متفرقة وسطاً عند ابتداء تكبيرة الإحرام مقابل منكبيه بأن تحاذي أطراف أصابعهما أعلى أذنيه وراحته منكبيه (ومع ركوعه) أي : وعند الركوع ، (و) عند (الرفع منه إذ رفع) أي : مع ابتداء رفع رأسه للاعتدال للاتباع .

تيسيه : يسن الرفع عند التكبير أيضاً عند القيام إلى الثالثة من التشهد الأول كما صوّبه في « المجموع » وفي « زوائد الروضة » ، وجزم به في « شرح مسلم » أيضاً .

فائدة : قال ابن العماد في « كشف الأسرار » : الحكمة في رفع الأيدي والجهر بالتكبير : قيل : ليستدل الأعمى بالتكبير والأصم برفع اليدين على انتقالات الصلاة . وقيل : لأن الكفرة كانت إذا صلت جعلت أصنامها تحت آباطها ، فشرع رفع اليدين تذكيراً من فعلهم وآلتهم التي كانوا يعبدونها . **والثانية :** (وضعه) أي : المصلي بطن كفت (اليمنى على) ظهر (اليسرى) بأن يقبض في قيامه أو بدله يمين كوع يساره وبعض ساعدها ورسغها تحت صدره فوق سترته للاتباع . والقصد من القبض المذكور تسكين اليدين ، فإن أرسلهما بلا عبث فلا بأس ، والحكمة فيه أن يكونا فوق أشرف الأعضاء وهو القلب . والكوع : العظم الذي يلي إبهام اليد ، والعظم الذي يلي إبهام الرجل بوع . يقال : الغبي الذي لا يعرف كوعه من بوعه . والرسغ : المفصل الذي بين الكف والساعد . وفيما ذكر نظم^(١) ذكرته في شرحي على « الزيد » . **والثالثة :** (توجه) نحو قوله تعالى : ﴿ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين ﴾ [الأنعام : ٧٩] ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ﴿ وأنا من المسلمين ﴾^(٢) للاتباع . **والرابعة :** تعوذ للقراءة لقوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [التحل :

(١) وهو : وعظم يلي الإبهام كوع ومابيلي لخصره الكرسوع والرسغ في الوسط

وعظم يلي إبهام رجل ملقب يوع فخذ بالعلم واحذر من الغلط

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي كرم الله وجهه . وفيه أيضاً لفظ : « وأنا أول المسلمين » كما في الآية الكريمة . ولعل معناها : أبادر وأسارع إلى الإسلام والطاعة امتثالاً لأمره تعالى .

٩٨] ويسن الإصرار بدعاء الافتتاح والتعوذ في السرية والجهرية كسائر الأذكار المسنونة . (و) الخامسة : (الجهر) أي : في موضعه ، فيسن لغير المأموم أن يجهر في الصباح ، وأولني العشائين والجمعة والعيدين وخسوف القمر والاستسقاء والتراويج ووتر رمضان وركعتي الطواف ليلاً ووقت الصباح ، ويسر في غير ما ذكر ، إلا في نافلة الليل المطلقة فيتوسط فيها بين الإصرار والجهر إن لم يشوش على نائم أو مصل أو نحوه . والعبارة في الجهر (والإصرار) في الفريضة المقضية : بوقت القضاء لا بوقت الأداء .

فائدة : الحكمة في الجهر بالليل دون النهار ؛ لأن صلاة الليل في الأوقات المظلمة ، فاستحب الجهر فيها ليعلم المار أن ههنا جماعة تصلي ، ولأن الكفار إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، فأمرنا بالجهر وقت اشتغالهم بالنوم وترك الجهر في وقت حضورهم لئلا يلفغوا فيه ، وإنما استحب الجهر في صلاة الجمعة والعيدين لحضور أهل البوادي والقرى كي يسمعه فيتعلموه ، ذكره ابن العماد . (و) السادس : (التأمين في . أم القرآن) بغير همز للوزن ، أي : التأمين عقب الفاتحة بعد سكتة لطيفة لقارئها في الصلاة وخارجها ؛ للاتباع . وأمين : اسم موضوع لاستجابة الدعاء ، ومعناها : اللهم استجب ، وفيها لغتان : المد والقصر ، والمد أفصح وأشهر ، وسن في جهرية جهر بها ، وأن يؤمن المأموم مع تأمين إمامه لخبر الصحيحين [البخاري (٧٨٠) ، ومسلم (٤١٠) عن أبي هريرة] : « إذا آمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

فائدة : آمين أربعة أحرف ، يخلق الله تعالى من كل حرف ملكاً يقول : اللهم اغفر لمن يقول آمين ، ذكره النووي في « تهذيبه » [١٢/٢] وقال : هذا ما ذكره التلبي عن وهب بن منبه . **السابعة :** السورة بعد قراءة الفاتحة كما قال (ثم سورة تفي) أي : كاملة ولو قصيرة في ركعتين أوليين لغير المأموم من إمام ومنفرد جهرية كانت الصلاة أو سرية للاتباع . ويسن تطويل قراءة الأولى على الثانية^(١) ، ويحصل أصل السنة بقراءة شيء من القرآن ، لكن السورة أحب كما أفاده الناظم ويسن للصبح طوال المفصل ، والظهر قريب منها ، والعصر والعشاء أوساطه ، وللمغرب قصاره^(٢) ، ولصبح الجمعة في الأولى : ﴿ آلم تنزيل ﴾ [السجدة] ، وفي الثانية : ﴿ هل أتى ﴾ [الدھر]^(٣) وأول

(١) رواه البخاري (٧٥٩) ، ومسلم (٤٥١) عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه .

(٢) لحديث أبي سعيد رضي الله عنه ، عند مسلم (٤٥٢) قال : كنا نخرز قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر ... وحديث أبي هريرة عند النسائي ١٦٧/٢ ، وابن ماجه (٨٢٧) ... ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ، ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ، ويقرأ في الصبح بطول المفصل . وعن ابن عمرو رضي الله عنهما فيما روى أبو داود (٨١٤) قال : مامن المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة .

(٣) أخرجه البخاري (٨٩١) ، ومسلم (٨٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المفصل : الحجرات على الأصح ، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره ، وقيل : لقلة المنسوخ فيه . ولا سورة للمأموم في الجهرية ، بل يسمع لقراءة إمامه ، وإن لم يسمعها ليعد أو غيره قرأ السورة على الأصح ، (و) الثامنة : (النطق بالكبير كلما انتقل) أي : عند ابتداء الخفض كركوع وسجود ، وعند ابتداء الرفع من السجود ، ويمدحه إلى انتهاء الجلوس والقيام . والتاسعة : (جملة التسميع) أي : قول : سمع الله لمن حمده ، أي : تقبل منه ، ولو قال : من حمد الله سمع له ؛ كفى (كلما اعتدل) بأن يتدلى به مع ابتداء رفع رأسه من الركوع ، فإذا انتصب قال : ربنا لك الحمد ، أو : اللهم ربنا لك الحمد ، ويواو بينهما . قيل : « ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد » للاتباع في ذلك كله ، رواه مسلم [٤٧٧] عن أبي سعيد ، ويزيد منفرد وإمام محصورين رضوا بالتطويل : « أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » . ويجهز الإمام بالتسميع ، ويسر بما بعده ، ويسر المأموم والمنفرد بالجميع ، والبلغ كالإمام ، وغالب الناس الآن على خلاف ذلك لكثرة جهل الأئمة والمؤذنين بسنة سيد المرسلين . والعاشرة : ماتضمنه قوله : (كذلك التسييح في الركوع) أن يقول : سبحان ربي العظيم ثلاثاً ؛ للاتباع [رواه مسلم (٧٧٢) عن حذيفة] ، ويزيد منفرد وإمام من مر : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ونحيي وعظمي وعصبي » [رواه مسلم (٧٧١) عن علي رضي الله عنه] ، « وما استقلت به قدمي » [رواه أحمد ١١٩/١] . (و) الحادية عشرة : التسييح (في السجود) الذي هو (موضع الخضوع) بأن يقول : سبحان ربي الأعلى ؛ للاتباع [رواه مسلم (٧٧٢)] ، ويزيد منفرد وإمام من مر : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » [رواه مسلم (٧٧١)] .

تنبيه : تكره القراءة في الركوع وغيره من بقية الأركان غير القيام كما في « المجموع »^(١) ويسن الدعاء في السجود لخبر [مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة] « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء في سجودكم »^(٢) والحكمة في اختصاص « العظيم » بالركوع و« الأعلى » بالسجود

(١) لما روى مسلم (٤٧٩) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا وإني نبيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً » .

(٢) فائدة في فضل السجود روى مسلم (٤٨٩) عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيت بوضوئه وحاجته . فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : « أو غير ذلك » . قلت : هو ذاك قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود » . وروى مسلم (٤٨٨) عن ثوبان قال رسول الله ﷺ : « عليك بكثرة السجود لله ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » .

كما في « المهمات » : أن الأعلى أفضل تفضيل ، والسجود في غاية التواضع لما فيه من وضع الجبهة التي هي أشرف الأعضاء على مواطئ الأقدام ، ولهذا كان أفضل من الركوع ، فجعل الأبلغ مع الأبلغ . انتهى . قلت : وفي قول الناظم : موضع الخضوع ، إشارة إلى هذا المعنى .

فائدة : ورد عنه ﷺ : « .. إن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود »^(١) .. . قال النووي في « شرح مسلم » : والمراد بالسجود : الأعضاء السبعة^(٢) ، ويرحم الله القائل :

يا رب أعضاء السجود عتقتها من فضلك الوافي وأنت الباقي
والتعق يسري بالغنى يا ذا الغنى فامنن على الفاني بعثت الباقي

والثانية عشرة : (الاقتراش) وهو : أن يجلس على كعب يساره بحيث يلي ظهرها الأرض ، وينصب يمينه ويضع أطراف أصابعه منها للقبلة ، يفعل ذلك (في الجلوس) للتشهد (الأول) ومثله الجلوس بين السجدين ، وجلوس المسبوق وجلوس الساهي وجلوس المصلي قاعداً للقراءة (أما) الجلوس (الأخير) فالمستحب فيه التورك ، وهي الهيئة : الثالثة عشرة : (التورك) وهو كالاقتراش ، لكن يُخرج يساره من جهة يمينه ، ويلصق وركه بالأرض للاتباع^(٣) . والحكمة في ذلك التمييز بين جلوس التشهدين ليعلم المأموم حالة الإمام . والرابعة عشرة : (بسطه) أي : المصلي (الشمال من يديه) مع ضم أصابعها في تشهد إلى جهة القبلة بلا تفرج بينها لتوجه كلها للقبلة حالة كون يديه (موضوعتين قرب ركبتيه) بأن يضع كفه اليمنى على فخذه الأيمن وكفه اليسرى على فخذه الأيسر قريباً من أطراف الركبة بحيث تسامت رؤوسها الركبة . وقوله : (وقبضه اليمنى سوى المسيحة) - وهو بكسر الباء - التي بين الإبهام والوسطى ، سميت بذلك لأنه يشار بها إلى التوحيد ، وتسمى بالسبابة أيضاً لأنه يشار بها عند المخاصمة والسب ، لأنها (لم تزل ميسوطة مسيحة) و (ترفع) بالبناء للمفعول (مع تشهد مشيرة . بذلك) التشهد . والمعنى : يشير بها عند قوله لا إله إلا الله ؛ للاتباع [رواه مسلم (٥٨٠) عن ابن عمر] ويديم رفعها ، ويقصد من ابتدائه بهزمة إلا الله : أن العبود واحد ليجمع في توحيده بين اعتقاده وقوله وفعله . وخصت المسيحة بذلك لأن لها اتصالاً بنياط القلب ، فكأنها سبب لحضوره . ويكره تحريكها ، ولا تبطل به الصلاة .

(١) أخرجه عن أبي هريرة أو أبي سعيد النسائي ٢٢٩/٢ ، وبنحوه ابن خزيمة في « التوحيد » ص : ٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٢) لحديث ابن عباس : أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ، ولا يكف شعراً ولا ثوباً : الجبهة ، واليدين ، والركبتين والرجلين . رواه البخاري (٨٠٩) .
(٣) رواه مسلم (٥٧٩) عن ابن الزبير رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه ، وفرش قدمه اليمنى .

تنبيه : الأفضل قبض الإبهام بجنبها بأن يضعها تحتها على طرف راحته للاتباع. (و) الخامسة عشرة : (التسليمة الأخيرة) للاتباع ، رواه مسلم [(٥٨٢) عن سعد رضي الله عنه] . ولو اقتصر الإمام على تسليمة سن للمأموم تسليمتان ؛ لأنه خرج عن المتابعة بالأولى ، بخلاف التشهد الأول لو تركه الإمام لزم المأموم تركه لوجوب المتابعة قبل السلام . ويسن أن يأتي بالتسليمتين ، بأن يفصل بينهما كما صرح به الغزالي في « الإحياء » وأن تكون الأولى يمينا والثانية شمالاً ، ملتفتاً في الأولى حتى يرى خده الأيمن فقط ، والثانية حتى يرى خده الأيسر كذلك ، فيبتدئ الإمام السلام مستقبل القبلة ، ثم يلتفت ويتم سلامه بتمام التفاته ناوياً السلام على من التفت هو إليه من ملائكة ومؤمني إنس وجن ، فينوي بكرة النبي من على يمينه ، وبكرة اليسرى من على يساره ، ومن خلفه ، ويخص المأموم إمامه بأيهما شاء ، والأولى أولى . وينوي المأموم الرد على من يسلم عليه من إمام ومأموم ، فينوي به من على يمين المسلم بالتسليمة الثانية ، ومن على يساره بالأولى ، ومن خلفه وأمامه بأيهما شاء . ويسن للمأموم أن لا يسلم إلا بعد فراغ الإمام من التسليمتين كما في « التحقيق » .

تنبيه : قد علمت أن التسليمة الثانية سنة ، وعمل سننها ما لم يعرض له عقب الأولى ما ينافي صلاته ، فإن عرض له ذلك وجب الاقتصار على الأولى ، وذلك كان خرج وقت الجمعة بعد الأولى ، أو انقضت مدة المسح ، أو شك فيها ، أو تحرق الحفت ، أو نوى المقاصر الإقامة ، أو انكشفت عورته ، أو سقط عليه نجس لا يعفى عنه ، أو تبين له خطؤه في الاجتهاد ، أو عتقت أمة مكشوفة الرأس ، أو وجد العاري ستره ، ففي هذه الصور كلها يقتصر على تسليمة واحدة وجوباً كما مر .

فصل : في بيان ما يختلف فيه حكم الذكر والأنثى في الصلاة .

(في خمسة تخالف الأنثى الذكر)	(في الحكم ندباً أو وجوباً معتبر)
(فمرفقيه سن أن يياعدا)	(عن جانبيه راکعاً وساجداً)
(وأن يقل بطنه عن الفخذ)	(عند السجود وهي ضمت حيثئذ)
(وجهه يسن بالغروب)	(إلى طلوع الشمس في المكتوب)
(والسنة التسبيح للذكور)	(إن نابههم شيء من الأمور)
(وتحفض الأنثى بكل حال)	(صوتاً لها بحضرة الرجال)
(وتضفي الأنثى بطن كنفها)	(ظهر اليد الشمال بعد كشفها)
(وعورة الرجال حيث تشرط)	(من سرّة لركبة هنا فقط)

(وعورة الحرة دون ميين ما كان غير الوجه والكفين)
(وإن تكن رقيقة فكذلك وسوف يأتي حكم عورة النظر)

أي (في خمسة) من الأشياء (تخالف الأنثى) ولو صغيرة مميزة ومثلها الخنثى (الذكر) ولو صيماً مميزاً (في الحكم) حالة الصلاة (ندباً أو وجوباً) فتعير الناظم أحسن من تعير أصله بالرجل والمرأة (فمرفقيه سن أن يياعدا . عن جانبيه راکعاً وساجداً) أي : في ركوعه وسجوده للاتباع^(١) . وسن (أن يقل) بضم حرف المضارعة أي : يرفع (بطنه عن الفخذ) بفتح الفاء وكسر الحاء المعجمة ، أي : الفخذين (عند السجود) لأنه أبلغ في تمكين الجبهة والأنف من محل سجوده . وقال في « شرح مسلم » : وأبعد من هيات الكسالى (وهي) الأنثى (ضمت) بعضها على بعض (حيثئذ) فتخالف الذكر في أنها تضم بعضها على بعض ، وأن تلتصق مرفقها لجنبها في الركوع والسجود ، وأن تلتصق بطنها لفخذها في السجود . (وجهه) أي : الذكر (يسن بالغروب إلى طلوع الشمس في) الفرض (المكتوب) كما تقدم بيانه مستوفياً (وتحفض الأنثى) صوتها (بكل حال . صوتاً لها) ودفعاً للفتنة ، وإن كان الأصح أن صوتها ليس بعورة إذا صلت (بحضرة الرجال) الأجانب . (والسنة التسبيح للذكور) بأن يقولوا : سبحان الله (إن نابههم شيء من الأمور) أي : أصابههم كتنبيه إمام على سهوه ، وإذن لداخل ، وإنذار أسمى خيف وقوعه في محذور لغير الصحيحين^(٢) « من نابه - أي : أصابه - شيء في صلاته فليسبح » وإنما « التصفيق للنساء » [رواه البخاري (١٢٠٤) ، ومسلم (٤٢٢)] ولا بد في التسبيح من قصد الذكر ، أو الذكر والإعلام ، وإلا بطلت الصلاة . (وتضفي) بفتح المثناة الفوقية ، وصاد مهملة ، وفاء مكسورة بعدها قاف (الأنثى بطن كنفها) اليمنى (ظهر اليد الشمال بعد كشفها) أو بالعكس ، فلو ضربت بطن اليمنى على بطن اليسار على وجه اللعب بطلت صلاتها وإن كان قليلاً ، ولو صفق الرجل وسبحت المرأة جاز لكن خالفاً السنة . (وعورة الرجال) أي : الذكور (حيث تشرط) أي : سترها في الصلاة (من سرّة لركبة هنا فقط) لغير البيهقي [في « السن الكبرى » ٢/٢٢٦] : « إذا زوج أحدكم أمته عبده أو أجيده فلا ينظر ، أي الأمة ، إلى عورتها »^(٣) والعورة : ما بين السرة والركبة .

(١) رواه البخاري (٨٠٧) ، ومسلم (٤٩٥) عن ابن بجة .

(٢) رواه عن سهل البخاري (١٢١٨) ، واللفظ لمسلم (٤٢١) .

(٣) ورواه أبو داود (٤١١٣) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما ، و (٤١١٤) عنه أيضاً بلفظ : « إذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيده فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة » . وأخرجه البيهقي ٢/٢٢٦ أيضاً ، وفي سند كل ضعف ، وأما حديث ابن عباس - الذي تقدم قبل - : « عورتها ما بين معقد إزرها إلى ركبتيها » قال عنه البيهقي ٢/٢٢٧ : فهذا إسناده لا تقوم الحجة بطله .

(وعورة الحرة) أي : الأنثى (دون مين) بفتح الميم . أي : شك^(١) (ما كان غير الوجه والكفين) أي : جميع بدنهما لقوله تعالى : ﴿ولا يبدن زينةن إلا ما ظهر منها﴾ [النور : ٣١] قال ابن عباس وعائشة : هو الوجه والكفان (وإن تكن) الأنثى (رقيقة) أي : أمة أو مبعوضة^(٢) (فكالذكر) عورتها ما بين السرة والركبة ، وألحقت بالرجل بجامع أن رأس كل منهما ليس بعورة . (وسوف يأتي حكم عورة النظر) في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى .

تنبيه : الألف في قول الناظم : يباعدوا وساجدا ؛ للإطلاق ، وقوله : ظَهَرُ - بالنصب - مفعول لقوله : تصفق .

فصل : في مبطلات الصلاة

(والمبطلات للصلاة تعتبر لمن أراد عدها إحدى عشر) وهي الكلام العمد أو ما أشبهه إذا بدا حرفان نحو القهقهة (والفعل إن يكثر ولاءً والحدث وما طرى من نجس إذا مكث) ومثل ذلك انكشاف عورته وأن يصير تاركاً لقبلة (وأكله وشربه وردته أو غيرت بعد انعقاد نية)

اعلم أن (المبطلات للصلاة) المتعقدة أمور ، ذكر الناظم منها تبعاً لأصله (إحدى عشر) شيئاً . الأول : (وهي الكلام العمد) أي : النطق بكلام البشر بلغة العرب وبغيرها بمجردين ، أفهما : كقم أم لا : كعن ومن ، أو حرف مفهم نحو : في من الوقاية ، وع من الوعي ، وكذا مدة بعد حرف . وإن لم يفهم نحو : آ ، والمد ألف ، أو واو ، أو وياء ، فالمدود في الحقيقة حرفان ، وذلك لقوله ﷺ : «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»^(٣) والحرفان من جنس الكلام ، وتخصيصه بالفهم فقط اصطلاح حادث للنحاة . وخرج بالعمد من سبق لسانه إلى الكلام ، وفي معناه : من تكلم ناسياً أنه في الصلاة ، أو تكلم جاهلاً بتحريم ما تكلم به إن نشأ ببادية بعيدة عن العلماء أو قرب عهده بالإسلام ، فإن كلاً منهما يعذر في يسير الكلام^(٤) ، فلا

تبطل صلاته بخلاف الكثير عرفاً . ويعذر في تلفظه بالنذر ، وفي إجابة النبي ﷺ في عصره إذا دعاه . وخرج بكلام البشر كلام الله والذكر والدعاء .

الثاني : (ما أشبهه) الكلام (إذا بدا) أي : ظهر به (حرفان نحو القهقهة) في الضحك والبكاء ، ولو من خوف الآخرة ، والأنين ، والتأوه ، والنفخ من الفم أو الأنف ، والتنحنح . أما التيسم فإنه لا يبطل الصلاة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام تيسم في الصلاة ، فلما سلم قيل له في ذلك ، قال : «مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر غبار وهو راجع من طلب القوم فضحك إلي» فتيسمت له^(٥) ويعذر في اليسير عرفاً من التنحنح ونحوه للغلبة ، ولا يعذر^(٦) في يسيره للجهر وسائر السنن . ولو نطق بنظم القرآن بقصد التفهيم : ك ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ [مريم : ١٢] - مفهماً به من استأذنه أن يأخذ شيئاً - إن قصد مع التفهيم قراءة لم تبطل ، وإلا بطلت .

فروع : لا تجب إجابة الأوبين في الصلاة ، بل تحرم في الفرض ويجوز في النفل ، والأولى الإجابة فيه إن شق عليهما عدمه .

فروع : لو سلم إمامه فسلم معه ، ثم سلم الإمام ثانياً فقال له المأموم : قد سلمت قبل هذا ، فقال : كنت ناسياً لم تبطل صلاة واحد منهما ، ويسلم المأموم ، ويندب له سجود السهو لأنه تكلم بعد انقضاء القدوة .

(و) الثالث : من مبطلات الصلاة : (الفعل) أي العمل الذي ليس من جنس الصلاة^(٧) (إن يكثر ولاءً) بالمد في العرف كالمشي والضرب في غير صلاة شدة الخوف ، فتبطل الصلاة بثلاث خطوات ، أو ضربات متواليات ، بخلاف القليل كخطوتين ، والكثير المتفرق ؛ لأنه ﷺ صلى وهو حامل أمانة ، فكان إذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها^(٨) . وكثير الفعل إذا كان لشدة حرب ، وخفيفه كتحريك أصابعه في سبحة ، فلا تبطل ، وتبطل بالوثبة الفاحشة .

تنبيه : سهو الفعل المبطل كعمده كالوثبة . واعلم أن القليل من الفعل الذي يبطل إذا تعمده - بلا حاجة - مكروه ، إلا في مندوب كقتل حية وعقرب فلا يكره ، بل يندب .

(١) في «القاموس» و «المختار» : أنه الكذب .

(٢) الأمة : هي الرقيقة ، والمبعضة : هي التي بعضها حرّ وبعضها رقيق .

(٣) رواه مسلم (٥٣٧) عن معاوية السلمى ، وقامه : «إنما هو التسييح والتكبير وقراءة القرآن» ، وخير زبدين أرقم رضي الله عنه قال : كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية : ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت رواه البخاري (٤٥٣٤) ومسلم (٥٣٩) .

(٤) وهو ما لا يزيد على ست كلمات تقريباً كما في حديث ذي اليمين الآتي في سجود السهو .

(١) رواه عن جابر بن عبد الله أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٣٢٠/١ ، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢٥٢/٢ ، وقال : وفيه الوازع بن نافع تكلموا فيه .

(٢) أي في التنحنح لأجل أن يأتي بسنة من هيئات الصلاة .

(٣) لقوله عز ذكره : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ .

(٤) رواه مالك ١٧٠/١ ، والبخاري (٥١٦) ، ومسلم (٥٤٣) عن أبي قتادة رضي الله عنه .

فرع : ولو فعل واحدة من الفعل الكثير بنية الثلاث بطلت صلاته . كما قاله العمراني^(١) .

(و) الرابع من المبطلات : (الحدث) فإن أحدث قبل التسليم الأولى عمداً كان أو سهواً بطلت صلاته ؛ لبطلان طهارته بالإجماع .

(فرع) لو صلى ناسياً للحدث أثيب على قصده لا على فعله أيضاً . ويسن لمن أحدث في صلاته أن يأخذ بأنفه ، ثم ينصرف ليوهم أنه رفع سترأ على نفسه .

(و) الخامس من المبطلات : (ما طرى من نجس) أي : ما حدث من نجاسة لا يعفى عنها في ثوبه^(٢) أو بدنه (إذا مكث) فلو وقعت عليه نجاسة رطبة أو يابسة فأزالها في الحال بقطع ثوب أو نفخ لم تبطل . ولا يجوز أن ينحي النجاسة بيده أو كفه ، فإن فعل بطلت صلاته .

والسادس من المبطلات : (انكشاف عورته) أي : المصلي ، أي : شيء منها وإن لم يقصر ، كما لو طيرت الريع سترته إلى مكان بعيد ، فإن أمكن ستر العورة في الحال بأن كشفت الريع ثوبه فردّه في الحال لم تبطل صلاته لانتفاء المحذور ، ويغفر هذا العارض اليسير .

(و) السابع من المبطلات : (أن يصير) المصلي (تاركاً لقلبته) كأن يستديرها أو يتحوّل ببعض صدره عنها بغير عذر ، فإن كان بعذر فقد عُلم حكمه مما تقدم في محله .

(و) الثامن والتاسع من المبطلات : (أكله وشربه) وإن قلّ ، فإن أكل عمداً أو شرب أو وضع سكرة بفيه فذابت بطلت صلاته ، بخلاف ما لو أكل أو شرب ناسياً ، أو جهل تحريم ذلك ، فإن صلاته لا يبطلها القليل من ذلك ، ويبطلها الكثير . وفرّق بين الصلاة والصوم بحيث لا يبطله كثير الأكل والشرب ناسياً ، بأن المصلي ملتبس بهيئة يبعد معها النسيان ، بخلاف الصوم فإنه كفّ ، وتعرف الكثرة والقلّة بالعرف .

والعاشر من المبطلات : الردّة كما قال الناظم : (وردته) أي : عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالى^(٣) . لقوله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

(١) هو يحيى بن سالم أبي الخير بن أسعد العمراني فقيه كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن صاحب « البيان » في فروع الشافعية يقع في تسع مجلدات ، و « مناقب الشافعي » و « مقاصد اللمع » وغيرها توفي بذي سفال باليمن عام ٥٥٨ هـ ترجمه السيكي في « الطبقات » ٣٣٦/٧ - ٣٣٨ وغيره .

(٢) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِيَايَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] .

(٣) سقط العاشر من الشرح ، واستدركته من تعليقات شيخنا الجليل محمد حسن جنيكة الميداني عليه رحمت الله ورضوانه .

أعمالهم ﴿ [البقرة : ٢١٧] . وقال لرسوله الأعظم ﷺ : ﴿ لَيْسَ أَشْبَرُكَتَ لِحَبِطُنْ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

فرع : المضغ من الأفعال ، فتبطل بكثيره وإن لم يصل إلى الجوف شيء من المضغ .

والحاددي عشر من المبطلات : تغيير النية كما قال : (أو غيّرت) بينائه للمفعول (بعد انعقاد) الصلاة (نيته) كأن نوى الخروج من الصلاة ، أو عزم على قطعها ، أو تردّد فيه ، أو علق الخروج منها بشيء^(١) ، أو صرف نية فرضه إلى غيره نقل أو فرض آخر . ثم إن كان منفرداً أو أدرك جماعة سنّ له صرف فرضه إلى نقل ليدرك فضيلتها .

تتمة : من مبطلات الصلاة : تطويل الركن القصير عمداً ، وهو الاعتدال والجلوس بين السجدين ؛ لأنهما غير مقصودين كما في « المنهاج » وهو المعتمد . وتخلف المأموم عن إمامه بركنين عمداً . وكذا تقدمه عليه بهما عمداً بغير عذر . وابتلاع نخامة نزلت من رأسه إن أمكنه مجها ولم يفعل .

فصل : معقود لبيان ما تشتمل عليه الصلاة

وما يجب عند العجز عن القيام

(وكل ما في الخمس مرّ وانجلى)	قولاً وفعلأ خذّه أيضاً مجملاً)
(فالركعات سبع عشرة ثرى)	والسجعات ضعفها بلا اثيراً)
(والخمس فيها عشر تسليمات)	وتسعة من التشهدات)
(تسبيحها مثلثاً بها مئة)	ونصفها بعد ثلاث منشأه)
(وجملة التكبير حيث يُجمع)	فإنها تسعون ثم أربع)
(وجملة الأركان من بعد المئة)	عشرون ثم ستة مُجرّاة)
(منها ثلاثون ابتداءً خصصت)	بالصبح فافهم كيف منه لُخصّت)
(والمغرب اختصت من الأركان)	بأربعين بعدها ركان)
(وقد بقي خمسون ثم أربعة)	على رباعي فقط موزعة)
(وكل ذاك بالبدية يعلم)	وجملة الأركان ليست تفهم)

(١) ولو محلاً عادة .

أي (وكل ما في) الصلوات (الخمس مَرَّ وانجلى) عليك أيها الفقيه (قولاً وفعلًا) أي : من قول وفعل (خذهُ أيضاً مجعلاً) تشبيهاً لذهنك وتنميًا لفائدتك . (فالركعات) في الفرائض في اليوم والليلة غير يوم الجمعة وسفر القصر (سبع عشرة تُرى) أي : تُعلم . والحكمة في ذلك أن زمن اليقظة في اليوم والليلة سبع عشرة ساعة ، فإن النهار المعتدل اثنتا عشرة ساعة ، وسهر الإنسان من أول الليل ثلاث ساعات ومن آخره ساعتان ، لكل ساعة ركعة جبراً لما يقع فيها من الخلل كما قاله الرازي . (والصلوات ضعفها بلا امترا) أي : أربع وثلاثون سجدة ، في كل ركعة سجدة . (والخمس فيها عشر تسليمات . وتسعة من الشهادات) إذ في الثانية تشهد واحد ، وفي كل من الباقي تشهدان و (تسييحها) حالة كونك (مثلثاً) في كل سجدة ، أي : وفي كل ركوع كما مر (بها) أي : الصلوات (مئة . ونصفها بعد ثلاث منشأة) أي : زائدة ، والمعنى : مئة وثلاث وخمسون تسييحة ، إذ في كل ركعة تسع تسييحات مضروبة في سبعة عشر فيبلغ ذلك . وبيان ذلك وإيضاحه في الثانية ثمانية عشر ، وفي الثالثة سبعة وعشرون ، وفي الرابعة مئة وثمانية . (وجملة التكبير) في الصلوات الخمس (حيث يُجمع فإنها تسعون) تكبيرة ، بتقديم المثناة على السين ، (ثم أربع) تكبيرات ، إذ في كل رابعة اثنتان وعشرون تكبيرة مع تكبيرة الإحرام ، وفي الثانية إحدى عشرة تكبيرة ، وفي الثالثة سبعة عشر تكبيرة ، فجعلتها أربع وتسعون تكبيرة . (وجملة الأركان) في الصلوات الخمس مئة وستة وعشرون ركناً كما قال : (من بعد المئة عشرون ثم ستة) وكان الأولى أن يقول : ثم سبعة ؛ إذ الترتيب ركن كما مر ولكن تبع أصله في ذلك ، ثم تفصيلها بقوله (مُجرّاه) - بضم الميم ، وفتح الجيم ، وزاي بعدها همزة - على الصلوات (منها ثلاثون ابتداء) للتفصيل (خصصت . بالصبح ..) ، وهي : النية ، وتكبيرة الإحرام ، والقيام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والطمأنينة فيه ، والرفع من الركوع ، والطمأنينة فيه ، والسجود الأول ، والطمأنينة فيه ، والجلوس بين السجدين ، والطمأنينة فيه ، والسجدة الثانية ، والطمأنينة فيه ، والركعة الثانية كالأولى ما عدا النية وتكبيرة الإحرام ، وتزيد الركعة الثانية أيضاً : الجلوس للتشهد ، وقراءة التشهد ، والصلاة على النبي ﷺ بعده ، والتسليم الأولى وسكت عن الترتيب وقد علمت أنه ركن . وعدّ كل سجدة ركناً ، وهو خلاف ما قدمه في الأركان من عدّها ركناً واحداً وهو خلاف لفظي . (والمغرب اختصت من الأركان . بأربعين بعدها ركنان) وكان الأولى أن يقول : بثلاث وأربعين لما عرفت أن الترتيب ركن أولها النية وآخرها التسليم الأولى (وقد بقي) من الأركان (خمسون) ركناً ، (ثم أربعة) أركان (على) فرض (رباعي فقط موزّعه) . والمعنى : في كل الصلاة الرباعية أربعة وخمسون ركناً ، وكان الأولى أن يقول : خمسة وخمسون بزيادة الترتيب . أولها النية ، وآخرها التسليم الأولى كما علمت من صلاة الصبح ، فلا تطيل بذكره .

تنبيه : عدد ركعات الفرائض يوم الجمعة خمس عشرة ركعة ، وثلاثون سجدة ، وثمانون تكبيرة ، ومئة وخمس وثلاثون تسييحة ، وثمان تشهدات . وعدد ركعات الفرائض في سفر القصر للقاصر إحدى عشرة ركعة ، فيها أحد عشر ركوعاً ، واثنتان وعشرون سجدة ، وإحدى وستون تكبيرة ، وتسع وتسعون تسييحة ، وتسع تشهدات . وأما السلام فلا يختلف عدده في كل الأحوال . وقول الناظم : أيضاً . مأخوذ من آض : إذا رجع . وقوله : تُرى ، و : بلا امترا ، تكملة . وقوله : فافهم كيف منه لخصت ، تكملات ، أشار به إلى تدقيق النظر في فهم كلام الأصل ، بل هذا المحل من مشكلات الكتاب كما أشار إليه الناظم في بعض النسخ (وكل ذاك بالبدية يعلم . وجملة الأركان ليست تفهم) لكن ما سلكناه تبعنا فيه بعض الشراح المعتبرين ، والله أعلم .

(ومن يصلّ الفرض عند عجزه عن القيام جالساً فليجزه)
(وإن يكن مع عجزه لم يستطع أيضاً جلوساً فليصل مضطجّع)

اعلم : أن من عجز عن القيام في الفرض صلى جالساً كما تضمنه البيت الأول ، وذلك للحديث السابق^(١) وللإجماع ، ولا ينقص ثوابه عن ثواب المصلي قائماً لأنه معذور . وقد قال العلماء في قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] إن معناه : الذين يصلون قياماً مع القدرة عليه ، وقعوداً مع العجز (عن القيام) ، وعلى جنوبهم مع العجز عن القعود . وليس المراد بالعجز عدم الإمكان فقط ، بل خوف الهلاك وزيادة المرض وحقوق المشقة الشديدة في معناها . ولو صلى المعذور قاعداً فلا يتعين للقعود هيئة ، بل يجزئه جميع هيئات القعود لإطلاق الخبر ، لكن اقترانه أفضل من غيره من الجلوسات ؛ لأنها هيئة مشروعة في الصلاة فكانت أولى من غيرها . ويكره الإقعاء هنا وفي سائر جلسات الصلاة ، بأن يجلس المصلي على وركيه ناصباً ركبتيه ، بأن يلصق أليته على قدميه بموضع صلاته ، وينصب فخذه وساقيه كهيئة المستوفز . ومن الإقعاء نوع مستحب عند النووي ، وهو أن يفرش رجله ويضع أليته على قدميه . وقوله : (وإن يكن مع عجزه لم يستطع . أيضاً جلوساً) بأن ناله من الجلوس تلك المشقة الحاصلة من القيام (فليصل مضطجّع) - بالوقف للوزن - لجنبه مستقبل القبلة بوجهه ومقدم بدنه وجوباً ، والأفضل أن يكون على الأيمن . ومن عجز عن الاضطجاع صلى مستلقياً على ظهره وأخصاه^(٢) للقبلة ، ويركع ويسجد بقدر إمكانه ، فإن قدر على الركوع فقط كرّره للسجود ، فإن عجز عما ذكر أوما برأسه .

(١) انظر الصفحة : ٩٣ والتعليقات عليه لإتمام الفائدة .

(٢) الأخص في باطن القدم ؛ ما لم يُصب الأرض ، والمقصود : أن يكون أسفل القدمين لجهة القبلة .

والسجود أخفض من الركوع ، فإن عجز فبصره ، فإن عجز أجرى أفعال الصلاة ونوى بقلبه ولا إعادة عليه ، ولا تسقط عنه الصلاة وعقله ثابت لوجود مناط التكليف .

خاتمة : سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) عن رجل يتقي الشبهات ويقتصر على مأكل يسد الرمق من نبات الأرض ونحوه ، فضعف بسبب ذلك عن الجمعة والجماعات والقيام في الفرائض . فأجاب بأنه : لا خير في ورع يؤدي إلى إسقاط فرائض الله تعالى .

باب سجود السهو

في الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً ؛ وهو لغة : نسيان الشيء والغفلة عنه . واصطلاحاً : الغفلة عن شيء في الصلاة .

(سن السجود عند فعل ما نهي)	(عن فعله أو ترك مأمور به)
(فحيث كان الفعل عمداً يطل)	(فاسجد له إن كان سهواً يحصل)
(والترك للمأمور ترك فرض)	(أو غيره من هيئة أو بعض)
(فالفرض ليس بالسجود ينجز)	(بل فعله محتم وإن ذكر)
(بعد السلام والزمان يقرب)	(على البناء ثم السجود يندب)
(وإن يكن من بعد فعل مثله)	(فمثله يكفي إذاً عن فعله)
(والبعض حيث فات لا يستدرك)	(بل يحرم استدراكه إذ يترك)
(إن كان بعده بفرض اشتغل)	(ويندب السجود جبراً للخلل)
(وتشارك الهيئة لا يعود)	(لفعلها ولا له سجود)

أي : (سن السجود) للسهو للأحاديث الصحيحة^(٢) (عند فعل ما نهي . عن فعله أو ترك مأمور به) في الصلاة ، (فحيث كان الفعل عمداً يطل) الصلاة كزيادة ركوع أو سجود (فاسجد له) أي المصلي (إن كان) حصل منك هذا الفعل (سهواً) فإن (يحصل) منك عمداً بطلت صلاتك . أما ما لا يطل عمده الصلاة كالاتفات والخطوتين فإنك لم تسجد لسهوه . هذا إذا لم يطل بسهوه ككلام كثير في الأصح ، فإن أبطل سهوه فلا سجود ؛ لأنه ليس في صلاة . واعلم أن تطويل الركن القصير يطل عمده في الأصح فيسجد لسهوه ، وهذا هو القسم الأول .

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه صلى النبي ﷺ الظهر أو العصر ، فسلم ، فقال له ذو الدين : الصلاة يا رسول الله ، أتقصت ؟ فقال النبي ﷺ : « أحق ما يقول ؟ » . قالوا : نعم . فصل ركعتين آخرين ، ثم سجد سجدتين . رواه البخاري (١٢٢٧) .

ولحبر ابن حنبل رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين من بعض الصلوات ، ثم قام فلم يجلس ، فقام الناس معه ، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه ، كبر قبل التسليم ، فسجد سجدتين وهو جالس ، ثم سلم . رواه البخاري (١٢٢٤) ، ومسلم (٥٧٠) ، ومالك ٩٦/١ ، وفي الباب أيضاً : عن معاوية عند الحارثي في « الاعتبار » ص ٨٦ . وعن عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٩٨) ، وابن ماجه (١٢٠٩) . نظرنا : انتظرنا .

(١) هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسين بن محمد السلمي الدمشقي الشافعي ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . إمام عصره ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمنه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق والشجاعة ، وقوة الجنان وسلطنة لسان .

ولد في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وخمس مئة ، نشأ فقير الحال في دمشق فسمع من كبار علمائها كالحافظ الكبير علي بن عساكر ، وسيف الدين الأمدي ، وعبد اللطيف البغدادي ، وبركات الخشوعي ، وعبد الصمد الحرساني وغيرهم .

ثم زار بغداد لسماع الحديث فسمع من أبي حفص عمر بن طبرزد وغيره ولم يمكث بها طويلاً .

درس الشيخ بعدة مدارس في دمشق ثم مارس الإفتاء ثم نال منصب الخطابة في الجامع الأموي في عام ٦٣٧هـ .

ولما سلم الملك الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة صفد وغيرها للفرنج اختياراً أنكر عليه ولم يدع له في الخطبة وذهبه على فعلته فغضب عليه وسجنه ، ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحبها نجم الدين أيوب القضاء . ثم الخطابة في جامع عمرو ابن العاص في سنة ٦٣٩هـ ثم عزل نفسه ولزم بيته مرتين . قال فيه أبو الحسين الجزار :

سار عبد العزيز في الحكم مسيراً لم يسره سوى ابن عبد العزيز
كان صلباً في حكمه وقضائه ، جريئاً يجابه الأخطار ، له مواقف طارت بشهرته على مرور الأيام .

من آثاره العلمية :

قواعد الأحكام - الإشارة إلى الإيجاز - الفتاوى - التفسير - واختصار النهاية وغيرها .

توفي بمصر سنة ستين وست مئة ومكانته في الأمة الإسلامية شهد جنته الملك الظاهر وخصته ورجال الدولة والجند وتخلق لا يمحسون ودفع بسفح المقطم رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

تلاميذه : منهم ابن دقيق العيد ، وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأغر ، وعلاء الدين الباجي ، والحافظ أبو محمد الدمياطي ، وأبو شامة المقدسي ، وهبة الله القفطي ، وتاج الدين الفركاح .

وأما القسم الثاني فقد ذكره بقوله : (والترك للمأمور) به في الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً ثلاثة أشياء ، وهي (ترك فرض . أو) ترك (غيره من هيئة أو بعض) وقد تقدم لك بيانها فيما سبق . (فالفرض) المتروك سهواً (ليس بالسجود ينجبر . بل فعله محتم) أي : واجب إن ذكره قبل سلامه ؛ لأن حقيقة الصلاة لا تتم بدونه (وإن ذكر) بالبناء للمفعول (بعد السلام والزمان يقرب) أي : قريب ولم يطرأ نجاسة أتى به وجوباً (على البناء) عليه لبقية الصلاة . وإن تكلم قليلاً أو استدبر القبلة أو خرج من المسجد (ثم السجود يندب) فإن طال أو وطئ نجاسة استأنفها ، والمرجع في طول الفصل وقصره إلى العرف . وقوله : (وإن يكن من بعد فعل مثله) مما شملته نية الصلاة (فمثله يكفي إذاً عن فعله) المتروك ، وما بعد المتروك إلى فعل مثله لغو ؛ لوقوعه في غير محله . نعم إن لم يكن المثل من الصلاة كسجدة تلاوة لم يجزه .

تنبيه : محل ما ذكر إذا عرف الركن وموضعه ، فإن لم يعرف أخذ باليقين وأتى بالباقي على الترتيب ، ويسجد للسهو . وإن كان المتروك النية أو تكبيرة الإحرام وجوز أن يكون أحدهما استأنف - أعاد - الصلاة ، والشك في ترك الركن قبل السلام كتيقن تركه .

فروع : لو علم في آخر صلاته أنه ترك سجدة من الركعة الأخيرة سجد ثم تشهد ، أو من غيرها أو شك لزمه ركعة فيها ، أو علم في قيام ثانية مثلاً ترك سجدة من الأولى ، فإن كان جلس بعد سجدته التي فعلها سجد من قيام وإلا فليجلس مطمئناً ثم يسجد ، أو علم في آخر رباعية ترك سجدتين أو ثلاث جهل محلها فيها وجب ركعتان ، أو أربع جهل محلها وجب سجدة . ثم ركعتان ، أو خمس أو ست فتلاث ، أو سبع جهل محلها فسجدة ثم ثلاث ، وفي ثمان سجديات سجدتان وثلاث ركعات ، ويتصور ذلك بترك طمأنينة أو سجود على عمامة . (والبعض) المتروك عمداً أو سهواً (حيث فات لا يستدرك . بل يحرم استدراكه إذ يترك * إن كان) المصلي (بعده بفرض اشتغل) أو تلبس كأن تذكر بعد انتصابه ترك التشهد الأول ، فيحرم عليه العود لأنه تلبس بفرض ، فلا يقطع لسنة ، فإن عاد عالماً بالتحريم بطلت صلاته ؛ لأنه زاد قعوداً عمداً ، أو عاد له ناسياً أنه في صلاة فلا تبطل لعذره ، ويلزم القيام عند تذكره ، ولكنه يسجد للسهو كما قال : (ويندب السجود جبراً للخلل) لأنه زاد جلوساً في غير موضعه ، أو جاهلاً بتحريم العود فلا تبطل في الأصح^(١) كالناسي ، لأنه مما يخفى على العوام ، ويلزمه القيام عند العلم ، ويسجد للسهو ، هذا في المنفرد والإمام ، أما المأموم فلا يجوز له أن يتخلف عن إمامه للتشهد ، فإن تخلف بطلت صلاته

لفتح المخالفة . وإذا انتصب المأموم ناسياً وجلس إمامه للتشهد الأول وجب عليه العود للمتابعة ، فإن لم يُعَد بطلت صلاته إذا لم ينو المفارقة .

فرعان : أحدهما : لو ركع قبل إمامه ناسياً تخير بين العود والانتظار ، أو عامداً سن له العود .

ثانيهما : نسي قنوتاً فذكره في سجوده لم يعد له لتلبسه بفرض ، وسجد للسهو ، أو قبله عاد وسجد للسهو إن بلغ أقل الركوع في هويته ؛ لأنه زاد ركوعاً سهواً والعمد به مبطل ، إذ ضابط ذلك كما مر : ما أبطل عمده كركوع أو سجود يسجد للسهو ، وما لا :^(٢) كالالتفات والخطوتين لم يسجد للسهو . وقول الناظم : (وتارك الهيئة لا يعود) إلى آخر البيت أشار به إلى أن هيئة الصلاة إذا تركت لا تجبر بسجود السهو ، بخلاف الأبعاد ، فلو سجد لها ظاناً جوازها بطلت صلاته ، إلا أن يكون قريب العهد بالإسلام أو نشأ بيادية بعيدة عن العلماء ، قاله البغوي في « فتاويه » .

(ومن يشك في صلاته اعتمد يقينه ويعد أن ينسي سجدة)

(ثم السجود سجدتان بعد ما يتمها وقبل أن يسلم)

فيهما مسألتان . الأولى (من يشك في صلاته) في عدد ما أتى به من الركعات أهمي ثلاثة أم رابعة (اعتمد يقينه) بالنصب بزرع الحافض ، أي : اعتمد على يقينه ، وهو العدد الأقل لأنه الأصل (وبعد أن ينسي) على ما بقي وجوباً (سجد) للسهو ؛ للتردد في زيادته ، ولا يرجع إلى قول الغير وإن كان جمعاً كثيراً ؛ لأنه تردد في فعل نفسه ، فلا يجوز له الرجوع إلى فعل الغير ، كالحاكم إذا نسي حكمه فلا يرجع إلى قول الشهود عليه . قال الزركشي : محله إذا لم يبلغوا عدد التواتر ، وهو بحث حسن ، وقضيته كما قال بعض المتأخرين من مشايخنا : أنه لو صلى في جماعة بلغوا هذا الحد أنه يكفئ بفعلهم . وخرج بقول الناظم : في صلاته ؛ ما إذا شك بعد فراغه من الصلاة ، أي : في غير النية وتكبيرة الإحرام ؛ لأن الظاهر وقوع الصلاة عن تمام ، ولأن اعتبار حكم الشك حينئذ يؤدي إلى المشقة . ودليل ما تقرّر خبر أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام قال : « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثة أم أربعاً ، فليطرح الشك ، ولين على ما استيقن ثم ليسجد سجدتين قبل أن يسلم ، فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته ، وإن كان صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيباً للشیطان »^(٣) .

(١) أي : ملا يطل عمده .

(٢) رواه مسلم (٥٧١) ، وأبو داود (١٠٢٤) ، والنسائي ٢٧/٣ ، وابن ماجه (١٢١٠) . ترغيباً : إذلالاً وإغاطة .

(١) في النسخ للطبوعة : الأصل ، والتصويب من « الإقناع » هامش « حاشية البجيرمي » ٩٠/٢ .

المسألة الثانية : (سجود) السهو وإن كثر (سجدتان) لاقتصاره ﷺ عليهما في قصة ذي اليمين مع تعدده ، فإنه عليه السلام من اثنتين ، وتكلم ، ومشي^(١) .

وكيفيتها : كسجود الصلاة فيما مر في محله . وحكى بعضهم أنه يقول فيهما : سبحان من لا يسو ولا ينام . ومحله : بعد ما يتم المصلي الصلاة وقبل السلام . وقوله : (قبل أن يسلم) بألف الإطلاق ، أي : بعد التشهد وقبل السلام ، سواء كان السهو بزيادة أو نقص لخبر الصحيحين^(٢) : أنه عليه السلام قام من ركعتين من الظهر ولم يجلس ، ثم سجد في آخر الصلاة قبل السلام سجدة . قال الزهري : وفعله قبل السلام هو آخر الأمرين من فعله ﷺ .

تنبيه : قد يتعدّد سجود السهو صورة لا حكماً في صور .

منها : لو سها الإمام الجمعة وسجدوا للسهو فبأن فواتها أتموها ظهراً وسجدوا ثانياً آخر الصلاة ؛ لتبين أن السجود الأول ليس في آخر الصلاة .

ومنها : ما لو ظن سهواً فسجد فبان عدم السهو سجد للسهو لأنه زاد سجدة من سهواً .

ومنها : ما لو سجد في آخر الصلاة المقصورة فلزمه الإتمام سجد ثانياً .

ومنها : لو اقتدى مسبق بمن سها بعد اقتدائه أو قبله وسجد الإمام فالصحيح أن المأموم يسجد معه للمتابعة ، ثم يسجد أيضاً في آخر صلاته لأنه محل السجود .

خاتمة : لو سلم ناسياً لسجود السهو ثم عاد وشك في ترك ركن لزمه تداركه كما يقتضيه كلامهم ، ومراؤهم بالسلام الذي لا يؤثر بعده الشك : سلام لا يحصل بعده عود إلى الصلاة . وسهو المأموم حال قدوته بحمله إمامه ، ويلحق المأموم سهو إمامه ، فإن سجد إمامه للسهو لزمه متابعتة وإن لم يعرف أنه سها . حملاً على أنه سها . فلو ترك المأموم المتابعة عمداً بطلت صلاته ؛ لخالفته حال القدوة ، فإن لم يسجد الإمام كأن تركه عمداً أو سهواً سجد المأموم بعد سلام الإمام ، جبراً للخلل .

فصل : في بيان الأوقات التي تكره فيها الصلاة

- (كل صلاة لم يكن لها سبب في الخمسة الأوقات حتى تجتنب)
 (من بعد فرض الصبح من وقت الأدا إلى طلوع الشمس عند الابتداء)
 (وبعد ذلك الطلوع المعتبر إلى ارتفاع الشمس رحاً في النظر)
 (وعند الاستواء إلا الجمعة - فالتفعل فيها جائز إن أوقعت -)
 (وبعد فرض العصر لاصفرارها عند الغروب ثم لاستارها)

اعلم أن الأوقات التي تكره فيها الصلاة بلا سبب خمسة أوقات ، والكراهة للتحريم كما صححه في « الروضة » و « المجموع » هنا ، وإليه أشار الناظم بقوله : حتى ، أي : وجوباً تجتنب ، وإن صحح في « التحقيق » وفي الطهارة من « المجموع » أنها كراهة تنزيه . وقول الناظم : (كل صلاة لم يكن لها سبب) أي : متقدم أو مقارن لا متأخر (في الخمسة الأوقات) الآية (حتى تجتنب) أي لا يصلي فيها في غير حرم مكة . أما ما لها سبب غير متأخر فإنها تصح كفاية ، وصلاة كسوف ، واستسقاء ، وطواف ، وتحية مسجد ، وسنة وضوء ، وسجدة تلاوة ، وشكر ، وصلاة جنازة . وأما ما لها سبب متأخر كركعتي الاستخارة والإحرام فإنها لا تنعقد ، كالصلاة التي لا سبب لها .

تنبيه : محل ما تقدم : إذا لم يتحرر به وقت الكراهة بنية التحية فقط ، أو قرأ آية سجدة ليسجد فيها ، فإن تحرّاه لم تصح للأخبار الصحيحة كخير : « لا تحرّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بقرني شيطان »^(١) ثم بين الناظم الأوقات المكروهة مبتدئاً بأولها ، فقال : (من بعد فرض الصبح في وقت الأدا . إلى طلوع الشمس) وارتقاها للنهي عنه في الصحيحين^(٢) . **وثانيها :** (عند) طلوعها كما قال : (وبعد ذلك الطلوع المعتبر) سواء صلى الصبح أم لا (إلى ارتفاع الشمس رحاً في النظر) أي : رأي العين ، وإلا فالمسافة بعيدة . (و) **ثالثها :** (عند الاستواء) حتى تزول لما روى مسلم [٨٣١] عن عقبه بن عامر : ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ يهانا أن نصلي فيهن أو نقر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضيق الشمس للغروب حتى تغرب^(٣) .

(١) رواه مسلم (٨٢٨) (٢٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) لحديث أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » رواه البخاري (٥٨٦) ، ومسلم (٨٢٧) . بنحوه .

(٣) بازغة : ظاهرة بكاملها . قائم الظهيرة : وقت استوائها .

(١) روى البخاري (١٢٢٩) ، ومسلم (٥٧٣) عن أبي هريرة بمعناه وفيه : ثم سلم ، ثم قام إلى خشية في مقدم المسجد ... فقال : « لم أنس ولم تقصر » . وذو اليمين : رجل يقال له الخرباق كان في يديه طول .

(٢) تقدم هذا الحديث عن ابن جينة فانظره .

والظاهرة : شدة الحر ، وقائمتها : يكون البعير باركاً فيقوم من شدة حر الأرض ، وتضيف - بمثابة من فوق وضاد معجمة ثم مثناة من تحت مشددة - أي : تميل . والمراد بالدفن في هذه الأوقات أن يترقب الشخص هذه الأوقات لأجل الدفن . وسبب الكراهة كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال : « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان ، فإذا ارتفعت فارقتها ، فإذا استوت قارنها ، فإذا زالت فارقتها ، فإذا أذنت للغروب قارنها ، فإذا غربت فارقتها » رواه الشافعي بسنده عن الصنابحي في ترتيب « مسنده » (١٦٣) وقرن الشيطان : قومه وهم عبدة الأوثان يسجدون للشمس في هذه الأوقات . وقيل : إن الشيطان يدنو من الشمس برأسه في هذه الأوقات ، فيكون الساجد للشمس ساجداً له . وإعلم أن وقت الاستواء لطيف لا يسع الصلاة ولا يكاد يُشعر به حتى تزول الشمس ، إلا أن التحريم يمكن إيقاعه فيه فلا تصح الصلاة . ويستثنى من ذلك ما أفاده الناظم بقوله : (إلا الجمعة) سواء أدرك الجمعة أم لا ، أي : يوم الجمعة (فالنفل فيها) في وقت الاستواء (جائز إن أوقعه) فيه لاستثنائه في خبر أبي داود^(١) . والأصح جواز الصلاة في هذا الوقت مطلقاً سواء حضر الجمعة أم لا . (و) رابعها : (بعد فرض) صلاة (العصر) أداء ولو مجموعة في وقت الظهر (لاصفراها) أي : الشمس (عند الغروب) للنهي عنه في خبر الصحيحين^(٢) . (و) خامسها : ما تضمنه قوله : (ثم لاستئارها) أي : عند غروبها للنهي عنه في خبر مسلم (٨٢٥) عن أبي مريّة^(٣) . أما حرم مكة فلا تكره فيه صلاة في شيء من هذه الأوقات مطلقاً لخبر : « يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » رواه الترمذي [٨٦٨] وغيره^(٤) وقال : حسن صحيح . ولما فيه من زيادة فضل الصلاة . وخرج بحرم مكة حرماً المدينة فإنه كغيره .

تنبيه : قد علم مما تقرر انقسام النهي في هذه الأوقات إلى ما يتعلق بالزمان ، وهو ثلاثة أوقات : عند الطلوع ، وعند الاستواء ، وعند الغروب . وإلى ما يتعلق بالفعل وهو وقتان : بعد الصبح أداء ، وبعد العصر كذلك .

(١) (١٠٨٣) عن أبي قتادة عن النبي ﷺ أنه كره الصلاة نصف النهار ، إلا يوم الجمعة ، وقال : « إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة » وقال أبو داود : هو مرسل . أبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة رضي الله عنه .

(٢) البخاري (٨٨٥) ، ومسلم (٢٢٨) (٢٨٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ، ولا عند غروبها » . لا يحرى : لا يقصد .

(٣) ولقطة : أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر ، حتى تغرب الشمس ، وعن الصلاة بعد الصبح ، حتى تطلع الشمس .

(٤) والشافعي انظر « ترتيب مسنده » (١٧٠) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه .

باب صلاة الجماعة

أقلها إمام ومأموم ، والأصل فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] الآية ، أمر بها في الخوف ففي الأمن أولى . قال الرازي رحمه الله عن بعضهم : صلاة الجماعة هي الحبل الذي أمرنا بالاعتصام به قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وسماها حبلاً لأن طريق الحق ضيق دقيق ، وقد زلق فيه أكثر الخلق . فمن تمسك بهذا الحبل فقد سلم من الزلق . وفي الصحيحين : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »^(١) وفي رواية [عن أبي مريّة] : « بخمس وعشرين درجة »^(٢) قال البرماوي في « شرح البخاري » : رواية السبع والعشرين ، لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة والرواتب عشرة ، فضوعف أجر الجماعة بهذا الاعتبار . ورواية الخمس والعشرين لأن الرواتب خمسة فتضربها في نفسها فتبلغ خمساً وعشرين . وجمع غيره بين الروايتين من وجوه . الأول : أن رواية الأولى لبعد المنزل عن المسجد ، والثانية لقربه . والثاني : الرواية الأولى في الجمع الكثير^(٣) ، والثانية في القليل ، فإن الكثير أفضل إلا في مسائل . منها : ما لو تعطل مسجد قريب لغيبته ، أو كان إمام الكثير فاسقاً أو مخالفاً في بعض الأركان ، أو كان القليل في المسجد الحرام أو الأقصى فالانفراد في هذه أفضل من الجماعة في غيرها كما نقل عن المتولي . الثالث : لعله ﷺ أخبر بالخمسة أولاً ، ثم أخبره الله تعالى بزيادة الفضل فأخبر به . الرابع : السبع والعشرون لمن أدرك الصلاة بكاملها ، والخمس والعشرون لمن أدرك بعضها في الجماعة . الخامس : لأن السبع لمن هو أعلم وأكثر خشوعاً ، والخمس لمن هو أقل . قال الغزالي في « الإحياء » عن أبي سليمان الداراني : لا يقوت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أذنبه . وفي « بستان العارفين » للنووي رحمه الله أنه قال : مكثت عشرين سنة لم أحتمل ، فتركت صلاة العشاء حول الكعبة فأصبحت جنباً . وفات عمر رضي الله تعالى عنه صلاة الجماعة فتصدق بأرض قيمتها مئة ألف . وكان ولده عبد الله إذا فاتته صلاة الجماعة صام يوماً وأحيا ليلة وأعتق رقبة .

(١) رواه البخاري (٦٤٥) ، ومسلم (٦٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٦٤٨) ، ومسلم (٦٤٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي شبة في « المصنف » ٤٨١/٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما - موقوفاً - قال : فضل صلاة الجماعة على صلاة الوحدة خمس وعشرون درجة ، فإن كانوا أكثر فعل عدد من في المسجد ، فقال رجل : وإن كانوا عشرة آلاف ؟ قال : نعم ، وإن كانوا أربعين ألفاً .

وكان الأولون يحملون النعش إلى باب من تخلف عن الجماعة ، وكانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، وسبعة إذا فاتتهم الجماعة .

(صلاتنا جماعة أمر ندب في الخمس والمنصوص أنها تجب)

(صلاتنا) معشر المسلمين (جماعة) أي : في جماعة في المكتوبات المفروضة (أمر ندب في الخمس) أي : سنّ وأكد ، أي : ولو للنساء للأحاديث الواردة فيها ، وهذا ما قاله الرافعي وكذا الأصل ، (و) الأصح (المنصوص) كما قاله النووي وما زاده الناظم : (أنها تجب) فهي في غير الجمعة فرض كفاية لرجال أحرار مقيمين غير عراة في أداء مكتوبة ، فتجب بحيث يظهر شعار الجماعة^(١) بإقامتها في البلدة الصغيرة ، وفي الكبيرة تقام بمحالٍ يظهر بها الشعار ، ويسقط الطلب بطائفة وإن قلّت ، فإن أطبقوا على إقامتها في البيوت ولم يظهر لها شعار لم يسقط الفرض ، فإن امتنعوا كلهم من إقامتها قاتلهم الإمام أو نائبه دون آحاد الناس ، وهكذا لو تركها أهل محلة في القرية الكبيرة أو البلد . ولا تجب على النساء ، ولا على من فيه رقّ ، ولا على المسافرين ، ولا على العراة ، ولا في مقضية خلف مقضية من نوعها ، بل تسن . أما مقضية خلف مؤداة ، أو بالعكس ، أو خلف مقضية ليس من نوعها فلا تسن ، ولا في المنذورة بل ولا تسن . أما الجمعة فالجماعة فيها فرض عين كما سيأتي . واعلم أن الجماعة لغير المرأة في المسجد أفضل منها في غير المسجد ، وجماعة المرأة في البيت أفضل منها في المسجد . ويكره لدنوات الهيئات حضور المسجد مع الرجال . وإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام فضيلة ، وإنما تحصل بالاشتغال بالتحريم عقب تحريم إمامه مع حضوره تكبيرة إحرامه ، وتترك فضيلة الجماعة في غير الجمعة ما لم يسلم الإمام ، أما الجمعة فإنها لا تترك إلا بركة كما يأتي وأدلة ما ذكر شهيرة .

فائدة : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح إلى المسجد فوجد الناس قد صلّوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها ، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » رواه أبو داود [٥٦٤] والحاكم ٢٠٨/١ وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(والشرط في المأموم لا الإمام نيتها في حالة الإحرام)

اعلم أن للاقتداء شروط . الشرط الأول : يجب على المأموم أن ينوي الانتماء بالإمام والاقتداء به كما قاله (والشرط) إلى آخر البيت ، لأن التبعية عمل فافتقرت إلى نية ، فإن لم ينو مع تحرّم انعقدت صلاته فرادى ، إلا الجمعة فلا تنعقد أصلاً ؛ لاشتراط الجماعة فيها . ولا يشترط تعيين الإمام ، فإن عين الإمام ولم يشر إليه وأخطأ بطلت صلاته . وقول الناظم : لا الإمام أشار به إلى أن نية الإمام الإمامة لا تشترط ، أي : في غير الجمعة ، بل تستحب ليحوز فضيلة الجماعة ، فإن لم ينو لم تحصل له ؛ إذ ليس للمرء من عمله إلا ما نوى . أما في الجمعة فيشترط أن يأتي بها فيها ، فلو تركها بطلت جمعته .

تنبيه : الصلاة المعادة كالجمعة إذ لا تصح فرادى فلا بد من نية الإمامة فيها .

(وتقتدي النساء بالرجال ولا يصح عكسه بحال)
(ولا اقتداء مشكل بنفسه ولا بأنثى بخلاف عكسه)
(وغيره بمثله فليقتد ولا تصح قدوة بمقتدي)
(ولا اقتداء قارئ لل فاتحه بمسقط بعض الحروف الواضحة)
(أو مدغم وليس في محله أو مبذل ويقتدي بمثله)

(ومقتدي النساء) أي : الإناث (بالرجال) أي : الذكور (ولا يصح عكسه بحال) أي : لا يقتدي الرجال بالنساء ؛ لقوله ﷺ : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة »^(١) . وروى ابن ماجة (١٠٨١) عن جابر^(٢) : « لا تؤمن امرأة رجلاً » (ولا يصح) اقتداء) خنثى (مشكل بنفسه) أي : بخنثى مشكل لجواز أن يكون الإمام امرأة والمأموم رجلاً (ولا بأنثى) كذلك (بخلاف عكسه) فيصح اقتداء خنثى بانثى أنوثته بامرأة ، ورجل بخنثى^(٣) بانثى ذكوره مع الكراهة ، قاله الماوردي . وتصح قدوة المرأة بالمرأة والخنثى ، كما يصح قدوة الرجل وغيره بالرجل .

تنبيه فيه توضيح لما تقرر : اعلم أن قدوة الرجل بالرجل ، وقدوة الخنثى بالرجل ، وقدوة المرأة بالرجل ، وقدوة المرأة بالخنثى ، وقدوة المرأة بالمرأة صحيحة ؛ وأن قدوة الرجل بالخنثى ، وقدوة الرجل بالأنثى ، وقدوة الخنثى بالخنثى ، وقدوة الخنثى بالمرأة باطلة . فهذه تسع صور : خمسة صحيحة ، وأربعة باطلة . وبما تقرر علم قوله : (وغيره بمثله فليقتد . ولا تصح) لشخص (قدوة) في صلاة

(١) رواه البخاري (٤٤٢٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) والبيهقي في « السنن الكبرى » ١٧١/٣ . وفي إسناده عبد الله العدوي قال في « التقريب » متروك ، ورماه وكيع بالوضع ، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف .

(٣) في الأصل : أو برجل ، وهو خطأ ، والتصويب من « الإقناع » على هامش « حاشية البجيرمي » ١٢٦/٢ .

(١) لحديث أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية » رواه أبو داود (٥٤٧) ، وابن حبان (٢١٠١) . استحوذ عليهم : أي غلبهم واستولى عليهم .

(بمقتدي) بالإمام حال اقتدائه ؛ لأنه تابع لغيره يلحقه سهوه ، ومن شأن الإمام الاستقلال وحمل سهو الغير ، فلا يجتمعان . (ولا) يصح (اقتداء قارئ للفاتحة) وهو من يحسنها (بمسقط بعض الحروف الواضحة) : بأمي أمكنه التعلم ، وهو من يخلُ بحرف كتخفيف مشدد من الفاتحة بأن لا يحسنه (أو مدغم ..) أي : يدغم بإبدال في غير محل الإدغام^(١) ، بخلافه بلا إبدال كتشديد اللام أو الكاف من مالك^(٢) ، ويسمى هذا بالأرت بالثناة . (أو مبدل ..) وهو من يبدل حرفاً بحرف ، كمن يأتي بالثلثة بدل السين فيقول : المتقيم ، ويسمى هذا بالألثغ ، فإن أمكن الأمي التعلم ولم يتعلم لم تصح صلاته ، وإلا صحت كإقتدائه بمثله فيما يخلُ به .

فائدة : الأمي نسبة إلى الحالة التي ولدته أمه عليها . وقيل : هي نسبة إلى أمة العرب لأنها لم تحسن الكتابة ولا القراءة .

تنبيه : يكره الاقتداء بنحو ثناء كفافاً ولاحن بما لا يغير المعنى كضم هاء الله ، فإن غير المعنى في الفاتحة كأنعمت بضم أو كسر ، أو لم يحسن اللحن الفاتحة : فكأمي فلا يصح اقتداء القارئ به . وإن كان اللحن في غير الفاتحة صحت صلاته والقراءة به حيث كان عاجزاً عن التعلم ، أو جاهلاً بالتحريم ، أو ناسياً كونه في الصلاة وأن ذلك لحن ، لكن القدوة به مكروهة . فأما القادر العالم العامد فلا تصح صلاته ولا القدوة به .

تصميم : يجوز للمتوضئ أن يأتى بالتصميم الذي لا إعادة عليه ، وبما يحسن الخف ، وللقائم أن يقتدي بالقاعد والمضطجع ، وأن يأتى العدل بالفاسق مع الكراهة ؛ والحرُّ بالعيد ، والبالغ بالمرهق ، لكن البالغ أولى من الصبي ، والحرُّ البالغ العدل أولى من الرقيق ، والعيد البالغ أولى من الحرِّ الصبي ، والمبعض أولى من كامل الرق ، والأعمى والبصير في الإمامة سواء . ويقدم الوالي بمحل ولايته على غيره ، إلا أنه يقدم المعير على المستعير كإمام راتب . نعم إن ولي الإمام الأعظم فهو مقدم على الوالي ، ويقدم الساكن في مكان سكناه ولو بإعارة على غيره ، ويقدم الأفقه ، فالأقر ، فالأورع ، فالأقدم هجرة ، فالأسن ، فالنسب ، فالأنظف ثوباً ، وبدناً ، وصناعة ، فالأحسن صورة ، وصوتاً .

(ومطلقاً صحت صلاة المقتدي إن كان مع إمامه في المسجد)

(ولا يضر فيه بُعد مطلقاً أو حائل بنحو باب أغلقا)

(١) كمن يقرأ ﴿ المستقيم ﴾ جاء أو سين مشددة فيكون لفظه : المقيم أو المقيم مثلاً ، فلتصح إمامته .

(٢) قال في « معني المحتاج » ٢٣٩/١ : فإنه لا يضر .

(وإن يكن كل بغير مسجد) أو فيه شخص منهما فليقتد (بشرط قرب وانتفاء الحائل) فإن يكن مع رابط مقابل (لنافذ لموضع الإمام) صح اقتداء سائر الأقوام (وذرع حدّ القرب حيث يعتبر) هنا ثلاث من مئتين تختبر (وحيث صحت قدوة فجوز) بكل شخص مسلم مميز (بشرط علم المقتدي بحاله) وما جرى عليه في انتقاله (ولم يجوز للمقتدي التقدم) في موقف وبالفساد يحكم)

الثاني من شروط الاقتداء : اجتماع الإمام والمأموم في مكان واحد كما عهد في الجماعات في الأعصر الحالية . ولا اجتماعهما أربعة أحوال ، لأنها إما أن يكونا بمسجد أو بغيره من فضاء أو بناء ، أو يكون أحدهما بمسجد والآخر خارجه . فإن كانا بمسجد ففي أي موضع صلى المأموم فيه وهو عالم بصلاة الإمام كفاه ذلك في صحة اقتدائه ، وهذا معنى قول الناظم :

(ومطلقاً صحت صلاة المقتدي إن كان مع إمامه في المسجد)

(ولا يضر ..) حائل من أبنية نافذة إليه كبر وسطح (بنحو باب أغلقا) أي : أو لم يغلّق أيضاً ، وسواء كان أحدهما أعلى من الآخر أم لا ؛ لأنه كله مسجد مبني للصلاة ، فالجتماع فيه يجتمعون لإقامة الجماعة مؤدّون لشعائرها ، فلا يضرهم بُعد المسافة واختلاف الأبنية .

تنبيه : المساجد المتلاصقة التي تفتح أبواب بعضها إلى بعض كمسجد واحد ، وإن انفرد كل واحد منها بإمام وجماعة . (وإن يكن كل بغير مسجد) من فضاء أو بناء (أو فيه) أي : المسجد (شخص منهما) كأن صلى الإمام في المسجد والمأموم خارجه (فليقتد) المأموم بالإمام (بشرط قرب) أي : من المسجد بأن لا يزيد ما بينهما على ثلاث مئة ذراع^(١) تقريباً كما يأتي (و) بشرط (انتفاء الحائل) كالجدار الذي لا باب فيه والباب المغلق . فإن حال ما ذكر منع الاقتداء لعدم الاتصال ، وكذا الباب المردود والشباك المشاهد يمنع لحصول الحائل من وجه ، إذ الباب المردود مانع من المشاهدة ، والشباك المشاهد مانع من الاستطراق . أما الباب المفتوح فيجوز اقتداء الواقف بمخاضه ، والصف المنصل به ، وإن خرجوا عن المحاذة كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (فإن يكن مع رابط مقابل * لنافذ لموضع الإمام) إلى آخر البيت ، بخلاف العادل عن محاذته ، فلا يصح اقتدائه ؛ للحائل . وقوله من زيادته : (وذرع حدّ القرب) أي : المسجد (حيث يعتبر . هنا

(١) يقدر الذراع بـ (٤٨) ساني متر تقريباً ، فالمسافة لا تزيد عن (١٤٤) متراً تقريباً .

ثلاث من معين تختبر) من آخر المسجد؛ لأن المسجد كله شيء واحد؛ لأنه محل للصلاة، فلا يدخل في الحد الفاصل، فلو كان المأموم في المسجد والإمام خارجه اعتبرت المسافة من طرفه الذي يلي الإمام. واعلم أنه لا يضّر في جميع ما ذكر شارع وإن كثر طرقه، ونهر وإن أحوج إلى سباحة؛ لأنهما لم يعدا للحيلولة. ثم زاد الناظم على أصله قوله: (وحيث صحت قدوة فجوز) أيها الفقيه القدوة (بكل شخص مسلم مميز) فلا تصح القدوة بالكافر المعلن، وكذا الخفي في الأصح. فلو صلى الكافر لم يحكم بإسلامه سواء كان بدار الحرب أم بدار الإسلام، وإذا سمعناه يتلفظ بالشهادتين ترتيباً وموالة وهو مكلف مختار أو مكره وهو حرّي أو مرتد فإننا نحكم بإسلامه. ولا تصح القدوة بغير المميز، وقد مرّ حدّ التمييز في محله.

الثالث: من شروط الاقتداء علم المأموم بأفعال الإمام كما قال: (بشرط علم المقتدي بحاله) أي: الإمام (وما جرى عليه في أفعاله) ليتمكن من متابعتها، ويحصل علمه برؤية إمام، أو بعض الصفوف، أو سمع صوت الإمام، أو صوت تابعه: وهو المبلغ الثقة وإن لم يكن مصلياً، أو بهدية ثقة بجنب أعمى أصم، أو بصير أصم في ظلمة^(١).

الرابع: من شروط الاقتداء: عدم تقدم المأموم على إمامه في المكان كما قال الناظم من فوائد المزيدة: (ولم يجوز للمقتدي التقدم) أي: على الإمام (في موقف) فإن تقدم عليه في أثناء صلاة بطلت، أو عند التحريم لم تنعقد كما قال: (وبالفساد يحكم) والاعتبار في التقديم وغيره للقائم بالعقب: وهو مؤخر القدم، لا الكعب، وللقاعد بالألية كما أفق به البغوي، وللمضطجع بالجنب، وللمستلقي بالرأس على المعتمد. والألف في قول الناظم: أغلقا، للإطلاق.

- (وشرطها توافق انتظام صلاتي المأموم والإمام)
(فالخمسة بالكسوف والجنائز وعكسه في الكل غير جائز)
(وفرضها بنفلها والعكس صح كذا القضاء بالأدأ على الأصح)

الخامس: (وشرطها) للاقتداء: (توافق انتظام صلاتيه) هما في الأفعال الظاهرة، فلا يصح اقتداء مع اختلافهما كمكتوبة وخسوف أو جنازة لتعذر المتابعة، ويصح اقتداء مفترض بمتنفل، ومؤدّ بقاض، وبالعكس، ولا يضّر اختلاف نية (المأموم والإمام) وما تضمنته هذه الآيات من زيادة الناظم.

(١) كذا في «روض الطالب» ٢٢٣/١.

تنبيه: من شروط الاقتداء: موافقته في سنن تفحش مخالفته فيها فعلاً وتركاً كسجدة تلاوة، وتشهد أول على تفصيل فيه، بخلاف ما لا تفحش فيه المخالفة كجلسة الاستراحة^(١) ومنها تبعية إمامه بأن يتأخر تحرمه عن تحريم إمامه، فإن خالف لم تنعقد صلاته.

خاتمة: يستحب تسوية الصفوف^(٢)، قال عليه السلام: «إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف»^(٣) وقال: «من سدّ فرجة رفع الله له بها درجة، وبنى له بيتاً في الجنة»^(٤) وقال عليه السلام: «إن الله وملائكته يصلون على أهل الصف الأول» قالوا: يا رسول الله وعلى الثاني؟ قال: «وعلى الثاني»^(٥) وقال عليه السلام: «لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار»^(٦) وقال عليه السلام: «ومن وصل صفّاً وصله الله، ومن قطع صفّاً قطعه الله»^(٧) قال النووي في «شرح المذهب»: ويسعى الإنسان إلى الصف الأول ما لم يخف فوات الركعة الأخيرة.

(١) وهي جلسة خفيفة عقب سجدتي الركعة الأولى والثالثة قبل أن يقوم، وذلك لما أخرج البخاري في «الجامع الصحيح» (٨٢٣) من حديث مالك بن الحويرث اللبّي رضي الله عنه أنه رأى النبي عليه السلام يصلي، فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعداً. قال في «الفتح» ٣٠٢/٢: وفيه مشروعية جلسة الاستراحة، وأخذ بها الشافعي وطائفة من أهل الحديث.

(٢) لحديث الثعلب بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «لَتَسَوُّنُ صفوفكم أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين وجوهكم» رواه مسلم (٤٣٦)، وأبو داود (٦٦٣). ولحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «سَوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة» رواه مسلم (٤٣٤)، وابن ماجه (٩٩٣).

(٣) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها ابن حبان (٢١٦٠)، وأبو داود (٦٧٦). وابن ماجه (١٠٠٥).

(٤) رواه عن عروة بن الزبير ابن أبي شيبة ٣٨٠/١، وعن عائشة ابن خزيمة (١٥٥٠)، وابن ماجه (٩٩٥). وفيه إسماعيل ابن عياش قد ضعف.

(٥) رواه عن البراء رضي الله عنه ابن حبان (٢١٥٧)، وابن ماجه (٩٩٧)، وأبو داود الطيالسي (٧٤١)، وأبو داود السجستاني (٦٦٤)، والدرامي ٢٨٩/١.

(٦) أخرجه عن أم المؤمنين عائشة ابن حبان (٢١٥٦)، وأبو داود (٦٧٩)، وعن أبي سعيد مسلم (٤٣٨) به ومطولاً، وأبو داود (٦٨٠)، والنسائي ٨٣/٢.

(٧) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، والنسائي ٩٣/٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٠١/٣ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وعبد الرزاق (٢٤٦٩) نحوه.

باب صلاة المسافر

شرعت تخفيفاً عليه لما يلحقه من تعب السفر^(١)، وهي نوعان: القصر، والجمع المختص بالمسافر، وذكر فيه الجمع للمقيم بالمطر، وأهمهما القصر، وبدأ به كغيره فقال:

(قصر الرباعي جائز وليعتبر له شروط ستة وهي السفر)
 (وأن يكون جائزاً وأن يرى ستة عشر فرسخاً فأكثر)
 (ونية القصر مع الإحرام وترك الاقتداء بذی إتمام)
 (وكونه مؤدياً لكن قصر حيث القضاء والفوات في السفر)

(قصر) الفرض المكتوب (الرباعي) دون الثنائي والثلاثي (جائز) والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [نساء: ١٠١] الآية . قال يعلى بن أبي أمية: قلت لعمر: إنما قال الله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ وقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »^(٢) (وليعتبر . له) أي: للقصر (شروط ستة ..) أولها: (السفر) في جميع الصلاة، فلو انتهى سفره فيها كأن بلغت سفينته دار إقامته، أو شك في انتهائه أتم لزوال سبب الرخصة في الأولى، وللشك فيه في الثانية، وهذا الشرط من زيادة الناظم . (و) ثانيها: (أن يكون جائزاً) بأن يكون سفره في غير معصية، سواء كان واجباً كسفر حج، أو مندوباً كزيارة قبر النبي ﷺ، أو مباحاً كسفر تجارة، أو مكروهاً كسفر منفرد . أما العاصي بسفره ولو في أثنائه كآبق وناشزة فلا يقصران؛ لأن السفر سبب للرخصة فلا يناط بالمعصية . (و) ثالثها: (أن يرى) بالبناء للمجهول . والمعنى: تكون مسافة السفر المباح (ستة عشر فرسخاً فأكثر) وهي: ثمانية وأربعون ميلاً هاشمية ذهاباً، وهي مرحلتان، وهما سير يومين معتدلين بسير الأنقال^(٣)، ولو قطع هذه المسافة في لحظة بر أو بحر فإنه يقصر . أما الإياب فلا يحسب مع الذهاب، حتى لو قصد مكاناً على مرحلة بنية أن لا يقيم فيه بل يرجع، فليس له القصر وإن ناله مشقة مرحلتين متواليتين؛ لأنه لا يسمى سفرًا طويلاً . والغالب في الرخص الاتباع^(٤) . والمسافة تحديد لا تقرب؛ لثبوت التقدير بالأميال عن الصحابة، ولأن القصر

(١) قال ﷺ: « السفر قطعة من العذاب » رواه ابن حبان (٢٧٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٦٨٦)، وهذا يدل على أن رخصة القصر ليست خاصة بحالة الحرف .

(٣) وهي مسافة (٨١) كم فصاعداً ولو كان السفر جواً .

(٤) كما في القاعدة الفقهية: الرخص تناط بقدرها .

على خلاف الأصل، فيحتاج فيه بتحقيق تقدير المسافة . وقد قال بعض الفضلاء في مقدار ما تعرف به مسافة القصر شعراً:

إن البريد من الفرساخ أربع ولفرسخ فثلاث أميال ضغ
 والميل ألف أي من الباعات قل والباع أربع أذرع فتبيع
 ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها العشرون ثم الأصبع
 ست شعيرات فبطن شعيرة منها إلى ظهر لأخرى توضع
 ثم الشعيرة ست شعيرات غدت من شعر بغل ليس عن ذا مدفع

وخرج بالهاشمية - المنسوبة لبني هاشم - الأموية المنسوبة لبني أمية، فالسافة فيها أربعون، إذ كل خمسة منها قدر ستة هاشمية . (و) رابعها: (نية القصر مع) تكبيرة (الإحرام) لأنه خلاف الأصل وهو الإتمام . (و) خامسها: (ترك الاقتداء بذی إتمام) فلو اقتدى به ولو في جزء من صلاته كأن أدركه في آخر صلاته لزمه الإتمام لخبر الإمام أحمد، عن ابن عباس: سئل: ما بال المسافر يصلي ركعتين إذا انفرد وأربعاً إذا اقتدى بمقيم؟ فقال: تلك السنة . (و) سادسها: (كونه مؤدياً) للصلاة المقصورة في أحد أوقاتها الأصلي أو العذري أو الضروري، فلا تقصر فائتة الحضر في السفر؛ لأنها ثبتت في ذمته تامة، وتقضى فائتة سفر قصر في سفر قصر كما قال الناظم: (لكن قصر . حيث القضاء والفوات في السفر) .

تنبيه: بقي من الشروط قصد موضع معلوم معين أول سفره ليعلم أنه طويل أم لا؟ فلا قصر للهائم: وهو من لا يدري أين يتوجه وإن طال سفره لانتفاء علمه بطوله أوله، ولا لطالب غريم أو آبق متى وجده ولا يعلم موضعه . وإنه يشترط للقصر مجاوزة سور مختص بما سافر منه كبلد وقرية . وإن كان داخله أماكن خربة ومزارع، فإن لم يكن له سور مختص به فأوله مجاوزة العمران، وإن تخلفه خراب لا مجاوزة بساتين ومزارع، ولو كان فيها قصور أو دور تسكن في بعض فصول السنة على الظاهر في « المجموع » خلافاً لما في « الروضة » وأصلها؛ لأنها ليست من البلد . وأوله لساكين خيام مجاوزة حلة^(١) فقط مع مجاوزة عرض واد سافر في عرضه، ومع مجاوزة عرض مهبط إن كان في ربوة، ومع مجاوزة مصعد إن كان في وهدة^(٢) . هذا إن اعتدلت الثلاثة، فإن أفرطت سعتها اكتفى بمجاوزة الحلة عرفاً . وينتهي سفره ببلوغ مبدأ سفره من سور أو غيره، من وطنه أو من موضع آخر

(١) الحلة: بكسر الحاء، هي بيوت مجمعة أو متفرقة بحيث يجتمع أهلها للسمر في موضع واحد، ولهم مواضع مشتركة كالمدارس والمرافق العامة، وتدعى اليوم بمجمع سكني .

(٢) المنخفض من الأرض، وهي عكس الربوة .

رجع من سفره إليه أولاً ، وقد نوى قبل بلوغه وهو مستقل إقامة به وإن لم يصلح بها ، إما مطلقاً وإما أربعة أيام صحاح ، وقد علم أن أربه لا يتقضي فيها ، وإن توقعه كل وقت قصر ثمانية عشر يوماً صحاحاً .

ويشترط أيضاً العلم بجواز القصر ، فلو قصر جاهلاً به لم تصح صلاته لتلاعبه كما في « الروضة » وأصلها .

ولما فرغ الناظم من أحكام القصر شرع في أحكام الجمع بالسفر :

(والجمع بين ظهره وعصره في وقت فرض منهما كقصره)
(كذلك جمع مغرب مع العشا في وقت أي ذنك الفرضين شا)

يجوز للمسافر سفر قصر (الجمع بين) صلاتي (ظهره وعصره . في وقت ...) أيهما شاء تقدماً وتأخيراً (كذلك) يجوز له (جمع مغرب مع العشا . في وقت أي ذنك الفرضين شا) : تقدماً وتأخيراً ، والجمعة كالظهر في جمع التقديم ، والأفضل للسائر وقت الأولى التأخير ، ولغيره التقديم للاتباع .

تنبيه : يشترط لجمع التقديم أربعة شروط . الأول : الترتيب لأن الوقت لها ، والثانية تبع . والثالث : نية الجمع في الأولى ، لتمييز التقديم المشروع عن التقديم سهواً وعثاً . والرابع : لا يطول بينهما فصل عرفاً . والرابع : دوام سفره إلى عقد الثانية ، فلو أقام قبله فلا جمع لزوال السبب .

ويشترط للتأخير أمران فقط : أحدهما : نية الجمع في وقت الأولى ما بقي قدر يسعها ، تمييزاً له عن التأخير تعدياً . وثانيهما : دوام سفره إلى تمامها ، فلو أقام قبله صارت الأولى قضاءً ؛ لأنها تابعة للثانية في الأداء للعذر ، وقد زال قبل تمامها . وقول الناظم : العشا ، و : شا ؛ بالقصر فيهما .

ثم شرع في الجمع في المطر فقال :

(وللمقيم الجمع بالتقديم بمطر مقارن التسليم)
(من أول الفرضين والتحريم أيضاً بكل منهما فليعلم)

أي : يجوز (للمقيم الجمع بالتقديم) في وقت الأولى (بمطر) ولو كان ضعيفاً بحيث يبل الثوب ونحوه كتلج وبرد ذاتين ، والأصل في ذلك ما في الصحيحين [البخاري (٥٤٣) ، ومسلم (٧٠٥)] (٥٠) عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ صلى بالمدينة الظهر والعصر جمعاً ، والمغرب والعشاء

جمعاً . زاد مسلم (٧٠٥) (٤٩) : من غير خوف ولا سفر . قال الشافعي كالك : أرى ذلك في المطر ، ولا يجوز ذلك تأخيراً . وشرط التقديم : أن يوجد نحو المطر عند التحريم بهما ليقارن الجمع ، وعند تحلله من الأولى ليتصل بأول الثانية ، كما تضمنه قول الناظم من زيادته : (مقارن التسليم * من أول الفرضين) إلى آخره . ويؤخذ مما مر اعتبار امتداده بينهما وهو ظاهر ، ولا يضّر انقطاعه في أثناء الأولى والثانية أو بعدها .

تنبيه : يشترط أن يصلي جماعة بمصلى بعيد عن باب داره عرفاً بحيث يتأذى بذلك في طريقه إليه ، ولا جمع بغير السفر ونحو المطر كمرض^(١) وريح وظلمة وخوف ووحل ، وهو المشهور ؛ لأنه لم ينقل ، ولخير المواقيت ، فلا يخالف إلا بصريح .

حاشية : قد جمع في « الروضة » ما يختص بالسفر الطويل وما لا يختص ، فقال : الرخص المتعلقة بالطويل أربع : القصر ، والفطر ، والمسح على الخف ثلاثة أيام ، والجمع على الأظهر . والذي يجوز في القصر أيضاً أربع : ترك الجمعة ، وأكل الميتة وليس مختصاً بالسفر ، والتفهل على الراحلة على المشهور ، والتميم ، وإسقاط الفرض به على الصحيح فيها ولا يختص هذا بالسفر أيضاً ، نبه عليه الرافعي ، وزيد على ذلك صور : منها ما لو سافر المؤدع ولم يجد المالك ولا وكيله ولا الحاكم ولا الأمين فله أخذها معه على الصحيح . ومنها ما لو استصحب معه امرأة زوجته بقرعة فلا قضاء عليه ، ولا يختص بالطويل على الصحيح .

(١) قال في « أسنى المطالب » ١/ ٢٤٥ : من المختار جواز الجمع بالمرض ... وعلى المختار في المرض يستحب أن يراعي الأفق بنفسه .

باب صلاة الجمعة

بضم الميم وإسكانها وفتحها ، وحكي كسرهما ، وجمعها جمعات وجمع ، وسميت بذلك لاجتماع الناس لها ، وقيل : لما جمع في يومها من الخير ، وقيل : إنه جمع فيه خلق آدم ، وقيل : لاجتماعه مع حواء فيه في الأرض . وكان يسمى في الجاهلية يوم العروبة ، أي : البين العظم ، وهي أفضل الصلوات ، ويومها أفضل الأيام ، وهي بشروطها الآتية فرض عين لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] وقوله ﷺ : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم »^(١) وفي الخبر : « من ترك ثلاث جُمُعات تهاوناً طبع الله على قلبه »^(٢) . وليست الجمعة ظهراً مقصورة وإن كان وقتها وقته وتدارك به ، بل هي صلاة مستقلة ؛ لأنه لا يغني عنها ، ولقول عمر رضي الله تعالى عنه : الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ ، وقد خاب من افترى . والجمعة كسائر الفرائض الخمس في الأركان والشرايط ، وتختص بأمور تشترط في لزومها ، وأمور في صحتها ، وآداب ووظائف تشرع وستأتي كلها . وقد بدأ الناظم بالقسم الأول فقال :

(لها شرط سبعة تلزمها كون المصلي عند ذاك مسلماً)
(مكلفاً مستوطناً حرّاً ذكراً ذا صحة بحيث لم ينل ضرراً)

(لها) أي : لصلاة الجمعة ، أي : للزومها (شروط سبعة ..) بتقديم السين على الموحدة .
أولها : الإسلام ، وهو شرط في كل عبادة . ثانيها وثالثها : (كون المصلي عند ذاك مسلماً . مكلفاً) أي : بالغاً . عاقلاً ، فلا جمعة على صبي ولا على مجنون ، والتكليف أيضاً شرط في كل عبادة . قال في « الروضة » : والمغنى عليه كالمجنون ، بخلاف السكران فإنه يلزمه قضاؤها ظهراً كغيرها ورابعها : كونه (مستوطناً) محلها ، أي : مقياً إقامة تمنع حكم السفر ، فلا جمعة على مسافر سفرّاً مباحاً ولو قصيراً لاشتغاله . وخامسها : كونه (حرّاً) فلا تجب على من فيه رق ؛

(١) رواه النسائي ٨٩/٣ من حديث حفصة رضي الله عنها ، وله لفظ آخر : « على كل محتلم رواح الجمعة » رواه أبو داود (٣٤٢) ، وابن خزيمة (٧٢١) ، وابن الجارود (٢٨٧) ، وابن حبان (١٢٢٠) وإسناده صحيح .

(٢) رواه ابن الجارود (٢٨٨) ، وأبو داود (١٠٥٢) ، والنسائي (١٣٦٩) ، والبيهقي ١٧٢/٣ ، وأحمد ٤٢٤/٣ من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه .

ونحوه حديث مسلم (٨٦٥) عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أنهما سمعا النبي ﷺ يقول : « ليتين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » .

لنقصه ولا اشتغاله بحقوق السيد عن التهيؤ لها ، وبمثل ذلك المكاتب ؛ لأنه عبد ما بقي عليه درهم .
وسادسها : كونه (ذكر) أ ، فلا تجب على امرأة وختنى لنقصهما . وسابعها : كونه (ذا صحة بحيث لم ينل) أي : ينله (ضرر) في حضورها ، فلا تجب على مريض ، ولا على معذور بمريض في ترك الجماعة مما يتصور هنا ، وتلزم الشيخ الحرم والزمن إن وجداً مركباً ملكاً أو إجارة أو إعارة ولو آدمياً كما قاله في « المجموع » ولم يشق الركوب عليهما كمشقة المشي في الوحل لانقضاء الضرر ، وتلزم الأعمى إن وجد قائداً ، فإن لم يجده لم يلزمه الحضور وإن كان يحسن المشي بالعصا ، خلافاً للقاضي حسين لما فيه من التعرض للضرر .

فروع : يحرم على من تلزمه الجمعة السفر ولو طاعة بعد فجر يومها ، إلا أن تمكنه الجمعة في مقصده أو طريقه أو يتضرر بتخلفه عن الرفقة .

قاعدة : الناس في الجمعة على ستة أقسام . الأول : من تلزمه وتتعدد به وهو من اجتمعت فيه الصفات المعتبرة . الثاني : من تتعدد به ولا تلزمه : وهو من له عذر على الأصح . الثالث : من لا تلزمه ولا تتعدد به ولا تصح منه : وهو المجنون والمغنى عليه والكافر الأصلي . الرابع : من لا تلزمه ولا تتعدد به لكن تصح منه : وهو الصبي المميز والعبد والمسافر والمرأة والختنى . الخامس : من تلزمه ولا تصح منه : وهو المرتد . السادس : من تلزمه وتصح منه وفي انعقاده به خلاف : وهو المقيم غير المستوطن .

ثم شرع في شروط الصحة فقال :

(والشرط فيها أن تقام في بلد) بأربعين واستدامة العدد)
(وكونها جماعة في كلها) أو ركعة وكونهم من أهلها)
(وخطبتان قبلها مع طهر) في وقتها وذاك وقت الظاهر)
(مع القيام والجلوس المعتبر) للفصل بين الخطبتين إن قدر)
(والحمد لله مع الصلاة) على النبي والأمر بالخيرات)
(وكونه للمؤمنين داعياً) وآية من القرآن تالياً)
(وحيث ضاق الوقت أو شرط عدم) فالظاهر عند يأسهم منها لزماً)
(فلا تقام في ذوي البوادي) ولو أقاموا عمرهم بوادي)

(والشرط فيها) أي : في صحتها مع شروط غيرها أمور : أولها : (أن تقام في بلد) أي : أن تقام في خطبة أبنية أوطان المجمعين من البلد ؛ لأن الجمعة لم تقم في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين إلا كذلك ، سواء المساجد وغيرها ، بخلاف الصحراء وإن كان بها خيام ، كما يأتي في

كلام الناظم قريباً ، ولو انهدمت الأبنية وأقام أهلها للعمارة لزمتهم الجمعة ؛ لأنها وطنهم سواء كانوا في مظال أم لا .

فائدة : في « فتاوى » الزار : أنه إذا كان البلد كبيراً وحرب ماحولاً المسجد لم يزل حكم الوصلة عنه ، ويجوز إقامة الجمعة فيه ولو كان بينهما فراسخ أهـ . والضابط فيه : أن لا يكون بحيث تقصر الصلاة قبل مجاوزته كما قالوه في الفضاء المعداد من خطة البلد ، فإن الجمعة تجوز فيه إن كان كذلك . **ثانيها :** أن تقام (بأربعين) رجلاً ولو بالإمام . **ثالثها :** (استدانة العدد) المذكور في دوامها كالوقت ، فلو انفضوا فيها بطلت فيتمها الباقيون ظهراً ، أو في الخطبة لم يُحسَب ركنٌ منها فَعَلَهُ حالٌ نقصهم لعدم سماعهم له ، فإن عادوا قريباً عرفاً جاز بناء على ما مضى منها ، فإن عادوا بعد طول الفصل وجب استئنافها ؛ لانتهاء الموالاة التي فعلها النبي ﷺ والأئمة بعد فيجب اتباعهم فيها كنقصهم بين الخطبة والصلاة ، فإنهم إن عادوا قريباً جاز البناء ، وإلا وجب الاستئناف كذلك . **رابعها :** (كونها جماعة في كلها . أو) في (ركعة) منها ولو الأولى^(١) لأنها لم تقم في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين إلا كذلك ، فلا تصح فرادى . **خامسها :** (كونهم) أي : الأربعين (من أهلها) أي : الجمعة ، لحديث جابر رضي الله عنه قال : مضت السنة أن في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة . رواه الدارقطني ٤/٢ ، والبيهقي ١٧٧/٣ ، وهم الأحرار الذكور المكلفون لحديث طارق بن شهاب عن النبي ﷺ قال : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض » رواه أبو داود (١٠٦٧) ولحديث جابر عند الدارقطني ٣/٢ عن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة ، إلا امرأة ومسافراً وعبدًا ومريضاً » المستوطنون بمحلها لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفاً إلا لحاجة . **سادسها :** (خطبتان قبلها) أي : الصلاة للاتباع رواه الشيخان^(٢) . **سابعها :** الظهر من حَدَث أصغر أو أكبر ، وخبث مخففاً أو مغلظاً أو متوسطاً كما جرى عليه السلف والخلف ، وإليه أشار الناظم بقوله : (مع طهر) . **ثامنها :** الوقت كما قال : (في وقتها وذاك وقت الظهر) للاتباع رواه الشيخان [البخاري (٤١٦٨) ، ومسلم (٨٦٠) عن سلمة بن الأكوع] مع خبر : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث] فيشترط الإحرام بحيث يسعها ، وسيدكر الناظم قريباً حكم ضيق الوقت . واعلم أن المراد

بالشروط التي ذكرت ما لا بد منها . **تاسعها :** (القيام) للقادري في الخطبتين ، فإن عجز فيه خطب جالساً . **عاشرها :** (الجلوس المعتبر . للفصل بين الخطبتين إن قدر) عليه للاتباع - كما سيأتي - بطمأنينة في جلوسه كما في الجلوس بين السجدين . ومن خطب قاعداً للعذر فصل بينهما بسكنة أو قيام وجوباً .

واعلم أن أركان الخطبتين خمسة ، أشار الناظم إلى أولها : بقوله : (والحمد لله) أي : للاتباع^(٣) . وإلى ثانيها بقوله : (مع الصلاة على النبي ﷺ) لأنها عبادة فاقتضت إلى ذكر رسول الله ﷺ كالصلاة ، ولفظ الحمد والصلاة متعين للاتباع ، فلا يجوز الشكر والثناء ولا إله إلا الله ونحو ذلك ، ولا يتعين لفظ الحمد ، بل يجزىء حمد الله أو الله الحمد أو نحو ذلك ، ويتعين لفظ الجلالة ، فلا يجزىء الحمد للرحمن ولا نحوه ، ويجزىء أصلي أو نصلي على محمد ونحو ذلك ، ولا يتعين لفظ محمد ، بل يكفي أحمد أو الماحي أو الحاشر أو نحو ذلك ، ولا يكفي رحم الله محمداً ، ولا الإتيان بلفظ الضمير وإن تقدم اسمه عليه . وإلى ثالثها : بقوله : (والأمر بالخيرات) أي : الوصية بالتقوى أي : للاتباع رواه مسلم (٨٦٢) عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما ويقرأ القرآن ويذكر الناس . ولا يتعين لفظ الوصية بالتقوى إذ الغرض الوعظ والحمل على طاعة الله تعالى ، فيكفي : أطيعوا الله وراقبوه . وفي كلام الناظم إشارة بذلك . ولا يكفي التحذير من الاغترار بالدنيا وزخرفها . وهذه الثلاثة أركان في كل من الخطبتين . وإلى رابعها بقوله : (وكونه للمؤمنين داعياً) بما يقع عليه اسم دعاء للمؤمنين والمؤمنات بأخروي في الخطبة الثانية ؛ لأن الدعاء يليق بالخوانيم ، ولو خص به الحاضرين كقوله : رَحِمَكُمُ اللهُ ؛ كفى . ولا بأس بالدعاء للسلطان بعينه كما في « زوائد الروضة » إن لم يكن في وصفه مجازفة . ويسن الدعاء لأئمة المسلمين وولاء أمورهم بالإصلاح والإعانة على الحق والقيام بالعدل ونحو ذلك . وإلى خامسها بقوله : (وآية من القرآن تالياً) أي : قراءة آية في إحداها للاتباع ، رواه الشيخان^(٤) وسواء في ذلك الوعد والوعيد والحكم والقصص ، ويعتبر فيها كونها مفهومة .

تنبيه : يشترط الولاء بين الخطبتين وبين أركانها ، وبينهما وبين الصلاة ، وستر العورة فيهما ، وإسماع الأربعين - الذين تتعقد بهم الجمعة - أركانها .

(١) الحديث : « من أدرك ركعة من صلاة الجمعة وغيرها فليصِف إليها أخرى وقد تمت صلاته » وفي رواية : « فقد أدرك الصلاة » . رواه النسائي ٢٧٤/١ ، وابن ماجه (١١٢٣) ، والدارقطني ١٢/٢ من حديث ابن عمر ، وأبي هريرة .
(٢) عن ابن عمر رضي الله عنه ولفظه : كان النبي ﷺ يخطب قائماً ، ثم يقعد ، ثم يقوم كما تفعلون الآن . رواه البخاري (٩٢٠) و (٩٢٨) ، ومسلم (٨٦١) ، والشافعي (٤١٩) ، ورواه الشافعي أيضاً في « مسنده » (٤١٨) من حديث جابر قال : كان النبي ﷺ يخطب خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس .

(١) روى مسلم (٨٦٧) عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الناس . يحمد الله ويشي عليه بما هو أهله ثم يقول : « من يهده الله فلا مضيل له . ومن يضلل فلا هادي له . » وخير الحديث كتاب الله .

(٢) لعله حديث مسلم (٨٦٢) عن جابر بن سمرة السابق ، ورواه أيضاً ابن حبان (٢٨٠٣) بإسناد حسن والدارمي (٣٦٦/١) ، وأبو داود (١٠٩٤) .

ويسن ترتيب أركان الخطبتين بأن يبدأ بالحمد ، ثم بالشهادتين^(١) ، ثم الصلاة ، ثم الوصية ، ثم القراءة ن ثم الدعاء كما جرى عليه السلف والخلف ، وكون الخطبتين على منبر ، فإن لم يكن فعلى مرتفع ، وأن يسلم على من عند المنبر ، وأن يقبل عليهم إذا صعد المنبر ونحوه وانتهى إلى الدرجة التي يجلس عليها المسبأة بالمستراح ، وأن يسلم عليهم ، ثم يجلس ، فيؤذن واحد للاتباع في الجميع ، وأن تكون الخطبة فصيحة جزلة ، لا مبتذلة ولا ركيكة ، قريبة للفهم لا غريبة وحشية ، وأن تكون متوسطة^(٢) ، وأن لا يلتفت في شيء منها ، وأن يشغل يسراه بنحو سيف ، ويمناه بحرف المنبر ، وأن يكون جلوسه بين الخطبتين بقدر سورة الإخلاص ، وأن يقيم بعد فراغه من الخطبة مؤذناً ، ويبدأ رليبلغ الخراب مع فراغه من الإقامة فيشرع في الصلاة ، وأن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة ، وفي الثانية سورة المنافقين جهراً للاتباع^(٣) ، وزيادة الناظم الحسنة في هذا المحل غير خافية . وأما قوله : (وحيث ضاق الوقت أو شرط عدم) إلى آخره ، أشار به إلى أن الوقت المعتبر فيما مر إذا ضاق عن الصلاة وعن خطبتها أو خرج ، أو عدم شرط من شروط صحتها كأن فقد العدد أو الاستيطان فإنها تصلح حينئذ ظهراً ، كما لو فات شرط القصر يرجع إلى الإتمام ، فعلم أنها إذا فاتت لا تقضى جمعة بل ظهراً ، ولو خرج الوقت وهم فيها وجب الظهر بناءً إلحاقاً للدوام بالابتداء فيسروا بالقراءة من حينئذ . وقوله من زيادته : (فلا تقام في ذوي البوادي) إلى آخره . أشار به إلى أن أهل الخيام لو لازموا موضعاً من الصحراء ولم يبلغهم النداء من محل الجمعة لا جمعة عليهم ، ولا تصح منهم لأنهم على هيئة المستوفزين وليس لهم أبنية المستوطنين ، ولأن قبائل العرب كانوا مقيمين حول المدينة ، وما أمرهم ﷺ بها . وقول الناظم : من القرآن بغير همزة .

(ولا يجوزُ جمعُتان في بلدٍ) إلا كبيراً فليجز فيه العددُ
(لا مطلقاً بل قدر ما يحتاج له) فإن تكن زيادة فباطلةُ
(إذا علمنا أنها تخلفت) عن جُمع لو جمعوا بها كُفّت
(ولا يضرُّ كون غير الزائدة) تعاقبت إذ كلها كواحدةُ
(وحيث ما لم يعلم التقدم) وغيره فالظاهر بعد يلزم

اعلم أنه قد بقي من الشروط أن لا يسبقها ولا يقارنها جمعة في محلها وإن عظم ، كما قال الشافعي قدس الله تعالى روحه ورزقنا فتوحه ؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لم يقيموا سوى جمعة واحدة ، ولأن الاختصار على واحدة أفضى إلى المقصود من إظهار شعار الاجتماع واتفاق الكلمة . قال الشافعي : ولأنه لو جاز فعلها بمسجدين لجاز في مساجد العشائر ، ولا يجوز إجماعاً إلا إذا كبر المحل وعسر اجتماعهم في مكان واحد ، بأن لا يكون في محل الجمعة موضع يسعهم بلا مشقة ولو بغير مسجد ، فيجوز التعدد للحاجة بحسبها ؛ لأن الشافعي رضي الله عنه دخل بغداد وأهلها يقيمون بها جمعتين ، وقيل : ثلاثاً ؛ فلم ينكر عليهم ، حملة الأكثرين على عسر الاجتماع . قال الروياني : ولا يحتمل مذهب الشافعي غيره . قال الصيمري : وبه أفتى الزني بمصر ، وهذا معنى قول الناظم : (ولا يجوز جمعتان في بلد) إلى قوله : (بل قدر ما يحتاج له) . واعلم أن ظاهر النص منع التعدد مطلقاً كما اقتصر عليه صاحب « التنبيه » كالشيخ أبي حامد ومن تبعه ، فالاحتياط لمن صلى جمعة ببلد تعددت فيه الجمعة بحسب الحاجة ، ولم يُعلم سبقُ جمعة أن يعيدها ظهراً ، أما لو سبقها في محل لا يجوز التعدد فيه فالصحيحة السابقة لاجتماع الشرائط فيها واللاحقة باطلة ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (فإن تكن زيادة فباطلة) إلى قوله : (كفت) والمعتبر سبق التحريم بتمام التكبير ، وهو الرأى وإن سبقه الآخر بالهمزة . ثم أشار بقوله : (ولا يضرُّ كون غير الزائدة) إلى آخر البيت ، إلى أنهما لو وقتنا معاً ، أو شك في المعية فلم يدر أوقتنا معاً أو مرتباً : استؤنفت الجمعة إن اتسع الوقت ؛ لتوافقهما في المعية ، فليست إحداها أولى من الأخرى ، ولأن الأصل في صورة الشك عدم جمعة مجزئة . وأشار بقوله : (وحيث ما لم يعلم التقدم) إلى آخر البيت ، أنه إذا سبقت إحداها الأخرى ، ولم تتعين كأن سمع مريضان تكبيرتين مثلاً خفيتين ، وجهلاً التقدم فأخيرا بذلك ، أو تعينت ونُسيت بعده : صلّوا ظهراً ؛ لأننا تيقنا وقوع جمعة صحيحة في نفس الأمر ، ولم يمكن إقامة جمعة بعدها ، والطائفة التي صححت لها الجمعة غير معلومة ، والأصل بقاء الفرض في كل طائفة فوجب عليهما الظهر . وقول الناظم : جُمع ؛ بضم الجيم وفتح الميم . وقوله : جُمعوا ، بضم الجيم وكسر الميم المشددة . وقوله : وحيث ما لم يُعلم ؛ بينائته للمفعول ، وما تضمنته هذه الآيات من زيادته .

ثم شرع في بيان آداب الجمعة وتسمى هيئاتها :

(والغسل مندوب وتنظيف البدن) وأخذ أظفار وطيب فليسن
(واللبس للبيض والإنصاف) لخطبة وتحرّم الصلاة
(إلا صلاة ركعتين تندب) لداخل أخف قدر يطلب

- (١) حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء » رواه ابن حبان (٢٧٩٦) و (٢٧٩٧) بسند صحيح .
(٢) حديث عمار رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة - أي علامة - من فقهه فأصلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحراً » رواه مسلم (٨٦٩) .
(٣) رواه الشافعي (٤٣٠) و (٤٣١) و (٤٣٢) ، والبخاري (٨٩١) ، ومسلم (٨٧٩) و (٨٨٠) ، والنسائي ١٥٩/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

هيات الجمعة أمور : أحدها : (الغسل مندوب) لم يرد حضورها وإن لم تجب عليه ، بل يكره تركه ، وقد مرّ الكلام عليه في باب الغسل^(١) ، وأعادناه هنا تنميّاً للسنن المتعلقة بالجمعة .

(و) ثانياً : (تنظيف البدن) بإزالة الروائح الكريهة كالصنابون فيزال بالماء ونحوه . قال الشافعي رضي الله عنه : من نظف ثوبه قلّ همّه ، ومن طاب ريحه زاد عقله . **(و) ثالثاً :** (أخذ أظفار) إن طالت ، وكذلك الشعر فينتف إبطه ، ويقص شاربه ، ويحلق عاتقه . ويستحب أن يتنظف باستعمال السواك ، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يقلّم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج للصلاة^(٢) . **(و) رابعاً :** (طيب فليسن) أي : استعماله^(٣) ، وأحبه للرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه ، وللنساء ما ظهر لونه وخفى ريحه . **(و) خامساً :** (اللبس للبياض) من الثياب ، فهي أفضل من غيرها لخبر : « اليسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم »^(٤) . ويسن للإمام أن يزيد في حسن الهيئة والعمّة والارتداء للاتباع^(٥) ، ولأنه منظور إليه^(٦) . وفي تعبير الناظم بالبياض موافقة للفظ الحديث . **(و) سادساً :** (الإنصات لخطبة) وهو السكوت مع الإصغاء إليها والاستماع إليها لقوله تعالى : ﴿ وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ذكر المفسرون أنها نزلت في الخطبة ، وسُميت قرآناً لاشتغالها عليه ، وصرّف الأمر عن الوجوب خبر : إن رجلاً دخل والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقال : متى الساعة ؟ فأومأ الناس إليه بالسكوت فلم يقبل ، وأعاد الكلام فقال له النبي ﷺ في الثانية : « ماذا أعددت لها ؟ » قال : حبّ الله ورسوله ، قال : « إنك مع من أحببت »^(٧) فلم ينكر عليه الكلام ولم يبين له وجوب السكوت . ويجب ردّ السلام ، ويسن تشميت العاطس ، ورفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ عند قراءة الخطيب ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وإن اقتضى كلام « الروضة » إباحة الرفع ، وصرح القاضي أبو

(١) روى الشافعي في « مسنده » (٣٩٢) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من جاء إلى الجمعة فليغتسل » ، و(٣٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » .

(٢) رواه الزائر والطبراني في « الأوسط » وفيه إبراهيم بن قدامة ، قال الزائر : ليس بحجة إذا انفرد وقد انفرد ، ووقع ابن حبان كما في « الجمع » ١٧٠/٢ - ١٧١ ، وزاد السيوطي في « المحصولات » ص ٥٥ - ٥٦ نسبتاً إلى البيهقي في « الشعب » .

(٣) روى الشافعي في « مسنده » (٣٩٠) عن ابن السبّاق أن النبي ﷺ قال في جمعة من الجمع : « يا معشر المسلمين إن هذا اليوم جعله الله عيداً للمسلمين فاجتسلوا ، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك » . في الحديث تأكيد أمر النظافة والتجمل والبعّد عما يتأذى منه الناس .

(٤) رواه الترمذي (٩٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند حسن صحيح .

(٥) لما روى أحمد (٧١١٧) والنسائي (١٨٥/٣) عن أبي رزمة قال : رأيت رسول الله ﷺ يخطب وعليه بردان أخضران .

(٦) لحديث أبي سعيد عند مسلم (٨٨٩) ، والنسائي (١٨٧/٣) وفيه : قام فأقبل على الناس وهم جلوس في مصلاهم .

(٧) رواه ابن حبان (١٠٥) بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه بالفاظ متقاربة .

الطيب بكرهته . (وتحرم الصلاة) أي : يحرم ابتداؤها إذا جلس الخطيب على المنبر (إلا صلاة ركعتين) تحية المسجد ، فإنها (تندب . لداخل) لصلاة الجمعة والإمام يخطب . ويستحب تخفيفهما كما قال الناظم : (أخفّ قدر يطلب) ليتفرّغ لسماح الخطبة ، ولخير مسلم : [(٨٧٥) (٥٩)] « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين ، وليتجوّز فيهما » هذا إن صلى سنة الجمعة ، وإلا صلاها مخففة وحصلت التحية ، ولا يزيد على ركعتين بكل حال .

تنبيه : المراد بالتخفيف فيما ذكر الاقتصار على الواجبات كما قال الزركشي لا الإسراع ، ويدل له ما ذكره من أنه إذا ضاق الوقت وأراد الوضوء اقتصر على الواجبات ، والتصرّح بلبس البياض وتحريم الصلاة من زيادته .

تنبيه : يسن أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها لقوله ﷺ : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين »^(١) وفي رواية للبيهقي [٢٤٩/٣] : « من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » . وأخرج الترمذي [عن أبي هريرة (٢٨٨٩)] : « من قرأ ﴿ حَمِّ ﴾ الدخان في ليلة الجمعة غفر له » . وأخرج ابن مردويه عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ الدخان ليلة الجمعة ، أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة »^(٢) . ويكثر الدعاء يومها وليلتها^(٣) ، وكذلك الصدقة وفعل الخير والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لخبر : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ »^(٤) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غُفرت له ذنوب ثمانين سنة »^(٥) والأخبار الواردة في ذلك كثيرة .

(١) أخرجه البيهقي ٢٤٩/٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ورواه أيضاً النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٩٥٢) ،

والحاكم ٥٦٤/١ ، وصححه ووافقه الذهبي بلفظ : أن النبي ﷺ قال : « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة » .

(٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٢٤/٦ .

(٣) رواه الشافعي في « مسنده » (٣٧٧) ، والبخاري (٩٣٥) ، ومسلم (٨٥٢) أن النبي ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها إنسان مسلم وهو قائم يصلي ، يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه ، وأشار بيده يقللها » عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ساعة : مبهمة . يوافقها : يصادفها . يقللها : يبين أنها فترة قصيرة ، وهذا نوع من الترغيب فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها .

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) ، وابن حبان (٩١٠) من حديث أوس بن أوس .

(٥) أخرجه عن أنس مرفوعاً الخطيب في « التاريخ » ٤٥٩/١٣ وفي سنده محمد بن جعفر المطري لم يكن بثقة فالحديث ضعيف .

باب صلاة العيد

أي : عيد الفطر وعيد الأضحى ، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] والمشهور في التفسير أن المراد به صلاة الأضحى . وأول عيد صلّاه النبي ﷺ عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة . واشتقاق العيد من العود لتكرره كل عام ، وقيل : لعود السرور بعوده ، وقيل : لكثرة عوائد الله على عباده فيه . وجمعه أعياد ، وإنما جمع بالياء وإن كان أصله بالواو للزومها في الواحد ، وقيل : للفرق بينه وبين أعواد الخشب .

(وأكّدوا الصلاة للعيدين) في حق ذي التكليف ركعتين (ووقتها من الطلوع يحسب إلى الزوال والقضاء ينذب) سبعاً سوى تكبيرة الإحرام (يكبر الإنسان في القيام مع الجميع قبل أن يسلم) مسبحاً محمداً مهللاً (وبعد تكبير قيام الثانية يأتي بخمس مثل سبع ماضية) (وبعدها يسن خطبتان كجمعة في سائر الأركان) (يستفتح الأولى بتكبيرات تسع وفي الأخرى بسبع يأتي) (يعلم الأقوام حُكْمَ الفطر ويوم عيد النحر حُكْمَ النحر)

(وأكّدوا) أي : العلماء (الصلاة للعيدين) فهي سنة مؤكدة لأنها ذات ركوع وسجود ، ولا أذان لها كصلاة الاستسقاء ، والصارف عن الوجوب خير : هل عليّ غيرها ؟ قال : « لا إلا أن تطوع »^(١) وقد واظب النبي ﷺ عليها . وتشترع جماعة في غير الحاج بمنى ، بل تسن له منفرداً ، وتشترع للمنفرد والعبد والمرأة والحنثي والمساfer . وهي (في حق ذي التكليف) بالبلوغ والعقل صلاة (ركعتين) بالإجماع يُحرّم بنية صلاة عيد الفطر أو الأضحى ، هذا أقلها وسيأتي أكملها . (ووقتها من الطلوع ..) للشمس أوله (إلى الزوال) يوم العيد ، ويسن تأخيرها لترتفع الشمس قدر رح للاتباع ، وبيان وقتها من زيادته ، وكذا قوله : (والقضاء ينذب) وأفاد به أنه ينذب قضاؤها . وأما أكملها فقد بينه بقوله : (يكبر الإنسان في القيام) من الركعة الأولى (سبعاً) - بتقديم السين

(١) رواه مالك ١٧٥/١ ، والبخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) ، والنسائي ٢٢٦/١ - ٢٢٨ ، وأبو داود (٣٩١) عن

طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه .

على الموحدة - (سوى تكبيرة الإحرام) لما رواه الترمذي [٥٣٦] وحسنه : أنه ﷺ كبر في العيدين في الأولى سبعاً قبل القراءة ، وفي الآخرة خمسا قبل القراءة . عن عمرو بن عوف المزني . ويسن أن يقف بين كل اثنتين كآية معتدلة (مسبحاً محمداً مهللاً ..) ويحسن في ذلك أن يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ؛ لأنه لائق بالحال ، وهي الباقيات الصالحات . ثم يتعوذ بعد التكبيرة الأخيرة ، ثم يقرأ الفاتحة كغيرها من الصلوات ، وإليه أشار الناظم بقوله من زيادته : (قبل أن يسلماً * وبعد تكبير قيام) الركعة (الثانية) قبل التعوذ والقراءة (يأتي بخمس ...) للخبر المذكور ، ويسن أن يجهر ويرفع يديه في الجميع ، وأن يضع يمينه على يسراه تحت صدره بين كل تكبيرتين كما في تكبيرة الإحرام .

فروع : لو شك في عدد التكبيرات أخذ بالأقل كما في عدد الركعات ، ويندب أن يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى [سورة] ﴿ ق ﴾ وفي الثانية [سورة] ﴿ اقرب ﴾ أو [سورة] ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ في الأولى وسورة ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ في الثانية جهراً للاتباع . وقوله : (وبعدها) أي : الصلاة (يسن خطبتان . كجمعة في سائر الأركان) وأما شروط خطبتي الجمعة كالقيام فيها ، والجلوس بينهما ، والطهارة ، والستر ، فلا تشترط في خطبتي العيد و (يستفتح) ندباً الخطبة (الأولى بتكبيرات . تسع) بتقديم المثناة على السين ، والخطبة الثانية (بسبع يأتي) بتقديم السين على الموحدة ، والإفراد في الجميع تشبيهاً للخطبتين بصلاة العيد ، فإن الركعة الأولى تشتمل على تسع تكبيرات ، فإن فيها سبع تكبيرات وتكبيرة الإحرام وتكبيرة الركوع ، والركعة الثانية على سبع تكبيرات ، فإن فيها خمس تكبيرات وتكبيرة القيام وتكبيرة الركوع . ولو فصل بين التكبيرات بالحمد والتهليل والثناء جاز ، والتكبيرات ليست من الخطبة وإنما هي مقدمة لها . وزاد الناظم على أصله قوله : (يعلم الأقوام) إلى آخر البيت . والمعنى : أنه يسن أن يعلمهم في عيد الفطر أحكام زكاة الفطر ، وفي عيد الأضحى أحكام الأضحية .

تنبيه : يسن الغسل للعيدين كما مرّ في بابه ، ويسن أن يذهب للصلاة من طريق طويل ماشياً بسكنية ، ويرجع في أخرى قصير كجمعة ، وأن يأكل قبلها في عيد الفطر ، والأولى أن يكون على تمر وترّاً ، ويمسك عن الأكل في عيد الأضحى . والألف في قوله : مهلاً ، ومبسلاً ، للإطلاق .

(و يشترع التكبير في المساجد) وغيرها أيضاً بلفظ وارد (من الغروب ليلة التعييد) إلى الدخول في صلاة العيد (وبعد أن يصلي المكتوبه) وغيرها من سنة مطلوبه (من صبح يوم قبل يوم نحره) لآخر التشريق بعد عصره

أي : (ويشترع التكبير) ندباً لكل أحد غير الحاج برفع صوت (في المساجد . وغيرها أيضاً) كالمنازل والأسواق (بلفظ وارد) وصيغته المحبوبة : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر والله الحمد . واستحسن في « الأم » [٢١٤/١] أن يزيد بعد التكبيرة الثالثة : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله والله أكبر . وقوله فيكبر (من الغروب ليلة التعميد) أي : عيد الفطر والأضحى (إلى الدخول في صلاة العيد) إذ الكلام مباح إليه ، فالتكبير أولى ما يشتغل به ؛ فإنه ذكر الله وشعار اليوم . (وبعد أن يصلي) - بفتح الياء - الصلاة (المكتوبة . وغيرها من سنة مطلوبة) أي : نافلة ولو فائتة وصلاة جنازة يشترع التكبير أيضاً (من) بعد (صبح يوم) بالتثنية (قبل يوم نحره) وهو يوم عرفة (لآخر) أيام (التشريق) الثلاث (بعد) صلاة (عصره) للاتباع . ويكبر الحاج عقب كل صلاة من ظهر يوم النحر ؛ لأنها أول صلاة بعد انتهاء وقت التلبية ، إلى عقب صبح أيام التشريق ؛ لأنه آخر صلاته بمنى ، وقبل ذلك لا يكبر بل يلي الحاج ؛ لأن التلبية شعاره . وأما الصلوات في عيد الفطر فلا يسن التكبير عقبها لعدم وروده . واعلم أن التكبير عقب الصلوات يسمى مقيداً ، وما قبله مطلقاً ومرسلاً .

فائدة : تكبير عيد الفطر أفضل^(١) من تكبير عيد النحر ، وصلاة عيد النحر^(٢) أفضل من صلاة عيد الفطر .

خاتمة : يستحب إحياء ليلة العيد بالعبادة ولو كانت ليلة جمعة من صلاة وغيرها من العبادات ، لخبر : « من أحيا ليلتي العيد لم يموت قلبه يوم تموت القلوب »^(٣) والمراد بموت القلوب : شغفها بمحبة الدنيا ، وقيل : الكفر ، وقيل : الفزع يوم القيامة . ويحصل الإحياء بمعظم الليل ، وقيل : بصلوة العشاء جماعة ، والعزم على صلاة الصبح في جماعة كما نقل ابن عباس ، والدعاء فيهما ، وفي ليلة الجمعة ، وليلة أول جمعة في رجب وليلة النصف من شعبان مستجاب ، فيستحب .

(١) لقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَا كَمَ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

(٣) ذكره بهذا اللفظ الغزالي في « الإحياء » ٣٦١/١ ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٩٨/٢ بلفظ : « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يموت قلبه يوم تموت القلوب » وقال : رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » عن عبادة رضي الله عنه ، وفيه عمر بن هارون البلخي والغالب عليه الضعف ، وأشار النووي في « أذكاره » (٤٩٧) ٢/ وقال : لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها .

باب صلاة الكسوفين

ويقال فيهما : خسوفان ، وقدما أن الأفصح تخصيص الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر كما في « الصحاح » والأصل في مشروعية صلاة الكسوفين قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت : ٣٧] قال بعض المفسرين : أراد صلاة الكسوف . وقوله ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » رواه مسلم [٩٠٤] .

(يسن ركعتان للكسوف وللخسوف بالأداء المعروف)
(فليأت بالقيام مرتين كذا الركوع في كلا الشنتين)
(يطيل في قراءة الجميع مع تطويله التسييح كلما ركع)
(مخففاً سجوده إذا سجد ورجحوا تطويله فليعتمد)
(وفي كسوف الشمس من صلى أسرّ وسن جهر في الصلاة للقمر)
(وحيث فاتت فيهما فلا قضا والخطبتان سنة كما مضى)

اعلم أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة للخبر المذكور وغيره ، وهي (ركعتان) فيخبر بنية صلاة الكسوف أو الخسوف ، ويقرأ الفاتحة ، ثم يركع ، ثم يعتدل ، ثم يسجد السجدة بالطمأنينة في محلها ، فهذه ركعة ، ثم يصلي ثانية كذلك ، هذا أقلها ، وأكملها فيما ذكره الناظم بقوله :

(فليأت بالقيام مرتين كذا الركوع في كلا الشنتين)

ففي كل ركعة قيامان وركوعان كما فعله النبي ﷺ (يطيل في قراءة الجميع مع . تطويله التسييح كلما ركع) فيستحب تطويل قراءة القومات الأربع وتطويل تسييح الركوعات . وأما السجدة فلا يطيل فيها على الأصح في الراجح كما يزيد في التشهد ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (مخففاً سجوده إذا سجد) وقال النووي : الصحيح المختار أنه يطيل السجود ، وقد ثبت إطالته في أحاديث كثيرة في الصحيحين عن جماعة من الصحابة . ولو قيل : يتعين الجزم به لكان قولاً صحيحاً ؛ لأن الشافعي قال : إذا صح الحديث فهو قوي - أو مذهبي - ، وقد صح الحديث . وإلى هذا أشار الناظم بقوله من فوائده المزيدة : (ورجحوا تطويله فليعتمد) .

فيقرأ في الأولى بعد الفاتحة وما يتقدمها من دعاء الافتتاح والتعوذ البقرة أو قدرها إن لم يحسنها ، وفي الثاني كمثتي آية منها ، والثالث مئة وخمسون منها ، والرابع مئة منها تقريباً ، ويسبح في كل من الركوع والسجود الأول قدر مئة آية من البقرة ، والثاني ثمانين ، والثالث سبعين ، والرابع خمسين . وخرج بما ذكره الجلوس بين السجدين والاعتدال من الركوع الثاني فلا يطولهما . وتسبب الجماعة فيها (وفي كسوف الشمس مَنْ صلى أسراً) قراءته ؛ لأنها نهارية (وسن جهر في الصلاة للقرع) أي : لخسوفه ؛ لأنها صلاة ليلية للاتباع^(١) فيها .

(وحيث فاتت فيما فلا قضا) لزوال المعنى الذي لأجله شرعت هذه الصلاة ، وفوات صلاة كسوف الشمس : بالانجلاء ، أو غروبها كاسفة ، وفوات صلاة الخسوف : بالانجلاء ، أو طلوع الشمس ، لا بطلوع الفجر .

واعلم أنه لا يجوز زيادة ركوع ثالث فأكثر لطول مكث الكسوف ، ولا إسقاط ركوع للانجلاء (والخطبتان سنة كما مضى) فيسن خطبتان بعد الصلاة جماعة كخطبتي الجمعة يحث فيها على التوبة والخير ، ويحرضهم على الإعتاق^(٢) والصدقة ، ويحذرهم الغفلة والاعتزاز .

خاتمة : يستحب لكل أحد عند حضور الزلازل والصواعق والريخ الشديدة والخسوف ونحوها التضرع بالدعاء ونحوه والصلاة في بيته منفرداً ، كما قاله ابن المقري تبعاً للنص .

واعلم أن الرياح أربع : الصبا تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وهي من تجاه باب الكعبة ، والدبور^(٣) وهي من ورائها تقابل الصبا من الغرب ، والجنوب من جهة يمينها - أي الركنين اليمينين - ، والشمال من جهة شمالها ، ولكل منها طبع : فالصبا حارة يابسة ، ويقال هي من ريح الجنة والله أعلم . جعلنا الله تعالى من أهلها وأحبابنا آمين .

(١) رواه البخاري (٢٠٤٤) ، ومسلم (٩٠١) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) روى البخاري (١٠٥٤) وغيره عن أسماء رضي الله عنها قالت : لقد أمر رسول الله ﷺ بالعاتقة في كسوف الشمس .

(٣) روى مسلم (٩٠٠) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور » : وجمع أسماء هذه الرياح أحدهم فقال من الرجز المشطور : وبدلت والدهر ذو تبدل هيفاً دبوراً بالصبا والشمال .

باب صلاة الاستسقاء

وهي لغة : طلب السقيا . وشرعاً : طلب سقيا العباد من الله تعالى عند الحاجة إليها لقوله تعالى : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ [نوح : ١٠ - ١١] . والاستسقاء ثلاثة أنواع : أدناها الدعاء المجرد ، وأوسطها الدعاء خلف الصلوات وفي خطبة الجمعة ، وأفضلها الاستسقاء بصلاة وخطبة كما يأتي ، والأصل فيها الاتباع ، رواه الشيخان^(١) وغيرهما .

(يسن عند قلة الأمطار	صلاة الاستسقاء في الأقطار)
(ويستحب بعدد أن يكرروا	صلاة الاستسقاء إذ لم يطرروا)
(فليجهر الإمام قبل بالندا	بأمرهم بأن يصالحوا العدا)
(وتوبة من كل ذنب موبق	وكررة الخيرات والتصدق)
(وصومهم ثلاثة أياما	وليخرجوا في رابع صياما)
(إلى المصلى مظهري التخضع	بأخشن الثياب والتخضع)
(وخطبتان بعدها كالعيد	في القول والأفعال والتأكيد)
(لكن هنا يسن للخطيب	زيادة الترغيب والترهيب)
(كذا الدعاء بالجهر والإسرار	ويؤجل التكبير باستغفار)
(وليذع أيضاً بالدعا المأثور	عن النبي بلفظه المستور)
(وليجعلن أعلى الرداء أسفلة	كذا اليسار لليمين حوكة)
(وليفعلوا كفعله وإن دعا	سراً دعوا وأمنوا إن أسمعوا)
(وسبحوا للرعذ أو برق يرى	واغتسلوا في سيل وإذ إن جرى)

أي : (يسن عند قلة الأمطار) أو انقطاع الماء أو ملوحته (صلاة الاستسقاء في الأقطار) أي : النواحي ، فهي سنة مؤكدة للمقيم والمسافر وأهل القرى والبوادي والأمصار ؛ لاستواء الكل في الحاجة . وهي ركعتان كصلاة العيدين في كفيتهما المتقدمة ، وتصل في أي كان من ليل أو

(١) عن عبد الله بن زيد بن عاصم المازني رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ يستسقي فوجهه إلى القبلة يدعو ، وحول رداءه ، ثم صلى ركعتين جهر فبهما بانفرد . رواه البخاري (١٠٢٤) ، ومسلم (٨٩٤) (٤) .

اللهم اسقنا غيثاً هنيئاً مريئاً ، غدقاً مجللاً سحاً طبقاً دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والأواء والضنك ما لا يشكى إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً^(١) .

تنبيه : اللأواء بفتح اللام المشددة وبالهززة الساكنة والمد : شدة الجوع ، ولفظ الحديث : « والأواء » والأصل عبر عنه بمعناه فقال : والجوع . ويسن للخطيب عند استقباله القبلة أن يحول رداءه للتفاؤل بتحويل الحال من الشدة إلى الرخاء^(٢) ، فقد كان عليه السلام يحب الفأل الحسن^(٣) ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (وليجعلن أعلى الرداء أسفله . كذا اليسار لليمين حوله) وعكسه ، والمعنى : يسن تحويل رداءه بأن يجعل يمينه يساره وعكسه ، ويسن رفع ظهر يده إلى السماء في الدعاء ، رواه مسلم [٨٩٦] وحكمته أن القصد رفع البلاء ، بخلاف القاصد حصول شيء يجعل بطن يديه إلى السماء . (وليفعلوا) أي : الناس ، كما أفاده الناظم من زيادته : (كفعله) وهم جلوس تبعاً له ، (وإن دعا) الخطيب (سراً دعوا وأمنوا) على دعائه (إن أسمعا) إن دعا جهراً ، وكل ذلك مندوب (وسبحوا للرعد) أي : عنده (أو) عند (برق يري) بينائه للمجهول ، كما رواه مالك [٩٩٢/٢] في « الموطأ » عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي ﴿ يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ [الرعد : ١٥] وقيس بالرعد البرق ، والمناسب أن يقول عنده : سبحان من ﴿ يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ [الرعد : ١٤] وفي « الأم » : عن الثقة ، عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق ملك له أجنحة يسوق بها السحاب . قال الإسني : فيكون المسموع صوته ، أي : صوت تسبيحه أو صوت سوقه على اختلاف فيه ، وأطلق الرعد عليه مجازاً . ويسن أن لا يتبع بصره البرق ؛ لما في « الأم » عن عروة بن الزبير أنه قال : إذا رأى أحدكم البرق والوَدَق فلا يشير إليه بيده . والودق بالمهمله : المطر ، وفيه زيادة المطر . ويسن أن يقول عند نزول المطر : اللهم صيباً - أي : عطاءً - نافعاً ، وأن يدعو بما شاء عند نزوله . وروى البيهقي [٣٦٠/٣] خبر : « تفتح أبواب السماء ، ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء

الصفوف ، وعند نزول الغيث ، وعند أوقات الصلاة ، وعند رؤية الكعبة »^(٤) . وأن يقول بعده : مطرنا بفضل الله وبرحمته^(٥) . ويكره أن يقول : مطرنا بنوء كذا ، فإن اعتقد أنه الفاعل حقيقة كفر . ولو تضرعوا بكثرة المطر فالتسنة أن يسألوا الله تعالى رفعه بأن يقولوا ما قاله عليه الصلاة والسلام لما شكى إليه ذلك : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » [رواه مسلم (٨٩٧)] وقد أفادت الواو أن طلب المطر حوالينا القصد منه بالذات وقاية أذاه ، ففيها معنى التعليل ، أي : اجعله حوالينا ؛ لئلا يكون علينا . وفيه تعليمنا آداب الدعاء حيث لم يدع برفعه مطلقاً ؛ لأنه قد يحتاج لاستمراره بالنسبة لبعض الأودية والمزارع ، فطلب رفع ضرره وبقاء نفعه ، وإعلامنا بأنه ينبغي لمن وصلت إليه نعمة من ربه أن لا يستخبط لعارض قارتها ، فليسأل الله رفعه وإبقائها ؛ لأن الدعاء بدفع الضرر لا ينافي التوكل . والتوكل : التفويض ، ويستحب لكل أحد أن يظهر لأول مطر السنة ويكشف من جسده غير عورته ليصبيه شيء من المطر تبركاً ؛ للاتباع . وأن يغتسل أو يتوضأ في الوادي إذا سال ماؤه كما قال الناظم : (واغتسلوا في سيل واد إن جرى) والأفضل الجمع بين الغسل والوضوء ، فإن لم يجمعهما فليتوضأ^(٦) . والوادي : اسم للحفرة على المشهور ، والألف في قول الناظم : أسمعاً ؛ للإطلاق .

خاصة : يكره سبّ الرياح . ويسن الدعاء عندها لخبر : « الرياح من روح الله تعالى - أي : رحمته - تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها ، وسلوا الله خيرها ، واستعينوا بالله من شرّها »^(٧) . وقد كان عليه السلام إذا عصفت الرياح قال : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرّها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به »^(٨) .

(١) روى الشافعي بإسناد مرسل في « الأم » ٢٢٣/١ - ٢٢٤ أن رسول الله ﷺ قال : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث » وله شاهد عند أبي داود (٢٥٤٠) لبعض فقراته بسند صحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » ١٩٢/١ ، والبخاري في الأذان : (١٥٦) ، ومسلم في الإيمان : (١٢٥) .

(٣) رواه مسلم (٨٩٨) عن أنس قال : أصابنا نحن مع رسول الله ﷺ مطر . قال : فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر . قلنا : يا رسول الله ! لم صنعت هذا ؟ قال : « لأنه حديث عهد بربه تعالى » . والمراد بتكوين ربه إياه ومعناه أن المطر رحمة ، وهي قرية العهد بخلق الله تعالى لها ، فيتبرك بها .

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧) ، وابن ماجه (٣٧٢٧) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه مسلم (٨٩٩) عن عائشة رضي الله عنها .

(١) أخرجه مسلم (٨٩٧) ، وأبو داود (١١٦٩) ، وما ذكر عن الشافعي في « الأم » بألفاظ متقاربة .

(٢) لحديث ابن ماجه (١٢٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً يستسقي ، فصل بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة ، ثم خطبنا ودعا الله ، وحول وجهه نحو القبلة رافعاً يديه ، ثم قلب رداءه ؛ فجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن .

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٦) عن أنس ولفظه : كان ﷺ يعجبه الفأل الصالح الكلمة الحسنة .

باب كيفية صلاة الخوف

وهو ضد الأمن، وحكم صلاته حكم صلاة الأمن، وإنما أفردته كغيره بباب؛ لأنه يحتمل في الصلاة عنده في الجماعة وغيرها ما لا يحتمل فيها عند غيره كما سنذكره، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية، والأخبار الآتية بصفتها، وتجوز في الحضر كالسفر خلافاً لما لك، ثم قال:

(أنواعها ثلاثة فإن رَأَوْا أعداءهم في غير قبلة دَنَوْا)
 (صلى الإمام ركعة بطائفه وغيرها عند العدو واقفه)
 (وأكملت لنفسها ولتنصرف إلى العدو موضع الأخرى تقف)
 (ولتأت الأخرى بالإمام تقتدي يؤمها في ركعة وليقعد)
 (وأكملت لنفسها كما دُكِّر وسلمت مع الإمام المنتظر)

(أنواعها) أي: صلاة الخوف (ثلاثة): أحدها: أن يكون العدو في غير جهة القبلة كما قال: (فإن رَأَوْا) أي: المسلمون (أعداءهم في غير قبلة دنوا) أي: قربوا، أو في قبلة وثم سائر وهم قليل وفي المسلمين كثرة وخيف هجوم الأعداء ففترقهم الإمام فرقتين، بحيث يكون كل فرقة تقاوم العدو، وفرقة تقف في وجه العدو للحراسة، وفرقة تقف خلفه، فيصلي بالفرقة التي خلفه ركعة، أي: من الثانية، بعد أن ينحاز بهم بحيث لا يبلغهم سهام العدو، ثم إذا قام للثانية فارقت بالنية وتم لنفسها الركعة الثانية، وتنصرف بعد سلامها إلى جهة العدو، وتقف موضع الأخرى للحراسة، ولتأت الطائفة الأخرى بعد ذهاب أولئك إلى جهة العدو والإمام قائم في الثانية، ويطيل القيام ندباً إلى حقوقهم فيصلي بها بعد اقتدائها به ركعة، فإذا جلس الإمام للتشهد قامت لثانيتها وهو منتظر وهي غير منفردة بل مقتدية به ولحقته وهو جالس، ثم يسلم بها لتحوز فضيلة التحلل معه كما حازت الأولى فضيلة التحرم معه، وهذه صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع رواها الشيخان^(١).

تنبيه: إن صلى الإمام مغرباً على كيفية ذات الرقاع ففرقة ركعتين، وبالثانية ركعة، وهو أفضل من عكسه الجائز أيضاً، وينتظر مجيء الثانية في جلوس تشهده، أو في قيام الثالثة وهو

(١) رواه البخاري (٤١٢٩) ومسلم (٨٤٢) عن صالح بن خوات عن شهد رسول الله ﷺ.

أفضل، أو صلى رباعية فبكل ركعتين، فلو فرقهم أربع فرق وصلى بكل فرقة ركعة صحت صلاة الجميع.

(وإن يكن في القبلة الأعداء صف إمامنا أصحابه كما عرف)
 (وليحرموا جميعهم وليركعوا مع الإمام كلهم وليركعوا)
 (وليُسَوِّ مَعَهُ للسجود أهل صف وغيرهم بالسيف للأعداء وقف)
 (وليسجد الذين قد تخلفوا عند انتصاب غيرهم وليقفوا)
 (وفعلهم في الركعة الأخرى انعكس فليسجد الإمام بالذي حرس)
 (في غيرها وليحرس الذي سجد ويسجدون بعده إذا قعد)
 (ويجلسون كالذين قبلهم وسلموا مع الإمام كلهم)

ثانيها: أن يكون العدو (في) جهة (القبلة) ولا سائر بيننا وبينهم وفيها كثرة بحيث تقاوم كل فرقة العدو، فيصفهم الإمام صفين فأكثر خلفه (وليحرموا جميعهم) معه ويستمرون معه إلى اعتدال الركعة الأولى كما قال: (وليركعوا. مع الإمام كلهم وليركعوا) فإذا سجد الإمام في الركعة الأولى سجد معه أحد الصنفين، ووقف الصف الآخر على حالة الاعتدال يحرسهم كما قال: (وغيرهم بالسيف للأعداء وقف) فإذا رفع الصف الساجد من السجدة الثانية سجد الحارسون لإكمال ركعتهم كما قال: (وليسجد الذين قد تخلفوا. عند انتصاب غيرهم) ولحقوه في الركعة الثانية كما قال: (وليقفوا) أي: يتبعوا له، وسجد مع الإمام في الركعة الثانية من حرس أولاً، وحرس الفرقة الساجدة أولاً مع الإمام، فإذا جلس الإمام للتشهد سجد من حرس في الركعة الثانية، وتشهد الإمام بالصنفين وسلم بهم كما قال: (وفعلهم في الركعة الأخرى انعكس) إلى آخر الآيات، وهذه صفة صلاة رسول الله ﷺ بعسفان. وقول الناظم: معه يسكون العين.

(ثالثها عند التحام حريهم فليحرموا مع اختلاطهم بهم)
 (وَيُزْعَ كُلُّ مَا يَكُونُ واجبا مهما استطاع ماشياً وراكباً)
 (ولا يضر ترك الاستقبال ولا كثير الفعل مع توالي)
 (ومن يصب سلاحة منهم دم ولم يضعه فالقضاء يلزم)

ثالثها: أن تكون الصلاة في شدة الخوف وإن لم يلتحم القتال بحيث لم يأمنوا هجوم العدو لو ولَّوْا عنه وانقسموا، فيصلي كل واحد حيث يشاء، ويراعي الواجب عليه في الصلاة كيفما أمكنه راكباً وماشياً، مستقبل القبلة وغير مستقبلها، فيعذر كل منهم في ترك الاستقبال عند العجز عنه، بسبب العذر للضرورة كما أفاده الناظم بقوله: (ولا يضر ترك الاستقبال) قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ

فرجاًلاً أو ركبناً ﴿البقرة: ٢٣٨﴾ قال ابن عمر في تفسيرها : مستقبل القبلة وغير مستقبلها . قال نافع : لا أراه ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ ، فلو انحرف عن القبلة لجماح الدابة وطال الزمان بطلت صلاته . وقول الناظم : (فليحرموا مع اختلاطهم بهم) أفاد به أن الجماعة أفضل من انفرادهم كما في الأمن ؛ لعموم الأخبار في فضل الجماعة . وقد صرح ابن الرفعة وغيره بجواز اقتداء بعضهم ببعض وإن اختلفت الجهة وتقدموا على الإمام . وقوله من زيادته : (ولا كثير الفعل مع توالي) أفاد به أنه لا تضر الأعمال الكثيرة كالضربات والطعنات المتوالية لحاجة القتال ، قياساً على ما ورد في المشي وترك الاستقبال ، ولا يعذر في الصباح لعدم الحاجة إليه لأن الساكن أهيب . وقوله من زيادته أيضاً : (ومن يصب سلاحه منهم دم) إلى آخره ، أشار به إلى أنه يجب أن يلقي السلاح إذا دمي دماً لا يعفى عنه ، فإن عجز عن ذلك شرعاً بأن احتاج إلى إمساكه أمسكه للحاجة ، ويقضي لندرة عذره كما في « المجموع » عن الأصحاب ، خلافاً لما في « المنهاج » .

تنبيهات : أحدها : لو لم يتمكنوا من الركوع والسجود اقتصرنا على الإيماء بهما ، وجعلوا السجود أخفض من الركوع . **ثانيها :** كالخوف في القتال الخوف على معصوم من نفس ، أو عضو ، أو منفعة ، أو مال ولو لغیره ، من نحو سب كحية ، وحرق ، وغرق . **ثالثها :** محل ما تقدم إذا خيف فوات الوقت كما صرح به ابن الرفعة وغيره . **رابعها :** أسقط الناظم وأصله نوعاً رابعاً وهي صلاة بطن نخل ، وهي مذكورة في المبسوطات ، وأشارت إليها في « شرح الزيد » .

فصل في اللباس

عقده الناظم كأصله لبيان ما يجوز لبسه للمحارب وغيره وما لا يجوز ، وقد بدأ الناظم . بما لا يجوز ، فقال :

(على الرجال يحرم الحرير) وجاز أن يكسّى به الصغير (ومثله الإبريسم المركب) مع غيره إن كان وزناً يغلب (وكالحرير ليس خاتم الذهب) وكل ذلك للنساء مستحب (ومما دعت له ضرورة لبس) وفي الصلاة لم يجز لبس التنجس)

اشتملت هذه الأبيات على مسائل :

الأولى : يحرم (على الرجال ..) في حال الاختيار وكذا الخنثى (الحرير) أي : استعماله بلبس أو فرش أو تدثر أو جلوس عليه أو استناد إليه ، وذلك لخير : نهانا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباغ وأن نجلس عليه . رواه البخاري عن البراء [٥٨٤٩] . والحرير : ما يحلّ عن الدودة

بعد موتها ، ومثله القز وهو ما قطعه الدودة وخرجت منه ، وهو كمد اللون . وقد علل الإمام الغزالي رحمه الله الحرمة على الرجل بأن في الحرير خنثوة لا تليق بشهامة الرجال .

الثانية : يجوز للوليّ لباس الصغير الحرير ولو في غير يوم عيد كما قال من زيادته : (وجاز أن يكسّى به الصغير) لأنه غير مكلف ، وألحق به المجنون ، وكذا يجوز له تزيينه بحليّ الذهب والفضة .

الثالثة : (ومثله) الحرير في التحريم (الإبريسم) وهو بكسر الهمزة والراء ويفتحها ، وفتح الهمزة وكسر الراء ثلاث لغات : الحرير (المركب . مع غيره) من قطن أو كتان ، فيحرم استعماله ، (إن كان) الحرير أكثر (وزناً يغلب) تغليباً للأكثر ، بخلاف ما إذا استويا ؛ لأنه لا يسمى ثوب حرير عرفاً .

الرابعة : يحرم على الرجال والخنثى التختيم بـ (... خاتم الذهب) لخير أبي داود [عن علي (٤٠٥٧)] بإسناد صحيح : أنه ﷺ أخذ في يمينه قطعة من حرير ، وفي شماله قطعة من ذهب وقال : « هذان - أي : استعمالهما - حرام على ذكور أمتي ، حلّ لإناثهم »^(١) وخرج بالتختيم اتخاذ الأنف والأذن والسن^(٢) ، فإنه لا يحرم اتخاذها من ذهب على مقطوعهما وإن أمكن اتخاذها من الفضة .

الخامسة : يحلّ (.. للنساء) بل (مستحب) استعمال الحرير لفرش وغيره ، والتختيم بالذهب للخير المأثور .

السادسة : يجوز لبس الحرير في حالة الضرورة كحرّ وبرد مهلكين أو مضرين ، إزالة للضرر ، ويجوز أيضاً لفجأة حرب ولم يجد غيره يقوم مقامه ، ولحاجة كجرب ودفع قمل ، وكذا ستر العورة في الصلاة وعن عيون الناس ، وفي الخلوة على الأصح إذا لم يجد غيره . وهذا معنى قوله من زيادته : (وما دعت له ضرورة لبس) بالبناء للمفعول .

السابعة : يحلّ لبس الثوب المتنحس في غير الصلاة المفروضة ونحوها كالطواف المفروض أو خطبة الجمعة إذا لم يتنجس بدنه بواسطة رطوبة ، بخلاف لبسه في ذلك بعد الشروع فيه فيحرم

(١) وابن ماجه (٣٥٩٥) ، والبيهقي ٤٢٥/٢ ، وابن حبان (٥٤٣٤) وحسنه .

(٢) الحديث عرفة رضي الله عنه : أمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب . رواه الترمذي (١٧٧٠) ، وأبو داود (٤٢٣٢) ، والنسائي ١٦٤/٨ ، وابن حبان (٥٤٦٢) وغيرهم .

(٣) وذلك لخيرين به لزوجه لا لتظهر زينتها أمام الأجانب لتفتنهم . روى ابن حبان (٥٩٦٧) عن أسامة قال : قال رسول الله ﷺ « ما تركت بعدني فتنة أضرب على الرجال من النساء » . وقال ﷺ فيما رواه أيضاً ابن حبان (٥٩٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه : « ويل للنساء من الأحرار : الذهب والمصفر » .

سواء اتسع الوقت أم لا لقطعه الفرض ، بخلاف النفل فإنه لا يحرم لجواز قطعه . أما إذا لبسه قبل إحرامه بفرض أو نفل موسع فالحرمة على تلبسه بالعبادة الفاسدة لا على لبسه . قال شيخنا شمس الدين الخطيب - رحمه الله تعالى - في شرحه على « المنهاج »^(١) : فاستفد ذلك فإنه موضع مهم . ولا يحل لبس جلد كلب وخنزير ، وكذا جلد ميتة قبل دبح إلا لضرورة كحرق ونحوه . فقول الناظم من زيادته : (وفي الصلاة لم يجز لبس النجس) بكسر الجيم ، مراده المتنجس بدليل ما ذكرناه .

مخالفة : يحل استصباح بنجس كمتنجس في غير المسجد ؛ لأنه ﷺ سئل عن فأرة وقعت في سمن فقال : « إن كان جامداً فألقوها وما حولها ، وإن كان مائعاً فاستصبحوا به ، أو فانتفعوا به »^(٢) لا دهن نحو كلب كخنزير ، فلا يحل به الاستصباح لغلظ نجاسته .

ولما أنهى الكلام على أحكام صلاة القتال ذكر أحكام الموتى وما يتعلق بها ، فقال :

كتاب الجنائز

بفتح الجيم جمع جنازة بالفتح والكسر ، وقيل : بالفتح : اسم للميت في النعش ، وبالكسر : للنعش وعليه الميت ، وقيل بالعكس . من جنزه ، أي : ستره . وصلاتها شرعاً : أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختمة بالتسليم ، بلا ركوع ولا سجود ، بل تضرع ودعاء وتوسل إلى الحي الذي لا يموت بالعبارة وترك المؤاخدة للميت .

(وينبغي للمرء شغل فكره بموته مهياً لأمره)
(وللمريض تنبذ الوصيّة وردّه مظالم البريئة)
(وحيث مات غمضت عيناه مستقبلاً وليّت أعضاه)

اعلم أن كلمة (ينبغي) تحتل الوجوب والندب ، وهي هنا للندب ، فينبغي (للمرء) المكلف صحيحاً كان أو مريضاً أن يشتغل فكره بموته ، بل يكثر من ذكره لأن ذلك أجزر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة ، ولخير : « أكثروا من ذكر هادم اللذات » يعني الموت ، صححه ابن حبان [٢٩٩٢] عن أبي هريرة والحاكم [٣٢١/٤] وقال : إنه على شرط مسلم . زاد النسائي ٤/٤ : « فإنه ما ذكر في كثير » أي : من الدنيا « إلا قلله ، ولا قليل من العمل إلا كثره » وهادم - بالذال المعجمة - معناه : القاطع ، وأما بالمهملة فمعناه : المزيل للشيء من أصله . واللذات المقطوعة بالموت ثلاث . أذونها : الحسية وهي قضاء شهوتي البطن والفرج ومقدماته ، وأوسطها : اللذة الجلية الحاصلة من الاستعلاء والرياسة . وأعلاها : اللذة العقلية الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها ، وهي اللذة على الحقيقة . قال في « المجموع » : قال الشيخ أبو حامد الإسفرايني : يستحب الإكثار من ذكر هذا الحديث ، وهو ما رواه الترمذي عن ابن مسعود [٢٤٥٨] بإسناد حسن^(١) أنه ﷺ قال لأصحابه : « استحيوا من الله حق الحياء » . قال : قلنا يارسول الله : إنا نستحي والحمد لله ، قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن

(١) وأخرجه الحاكم ٣٢٣/٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وابن أبي شيبة ٢٢٣/١٣ ، وأبو يعلى (٥٠٤٧) ، والبيهقي في الشعب (٧٧٣٠) و « الأداب » (١٠١٥) ، وأحمد (٣٦٧١) لكن قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث غريب . إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبيان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .

(١) يعني كتابه « مغني المحتاج » ومؤلفه هو محمد بن أحمد الشربيني المتوفى (٩٧٧) هـ .

(٢) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أبو داود (٣٨٤٢) ، والبيهقي في « السنن » ٣٥٢/٩ .

فعل ذلك فقد استحميا من الله حق الحياء . ويستعد للموت بالتوبة وردّ المظالم - أي : إلى أهلها - بالمبادرة ؛ لئلا يفجأه الموت المفوت لهما ، وهذا معنى قول الناظم : (مهيباً لأمره * وللمرضى تندب الوصية . ورده مظالم البرية) أي : الخلق ، فهو أولى بذلك من غيره ؛ لتزول مقدمات الموت به . واعلم أن المشهور وجوب التوبة وردّ المظالم فوراً ، لا كما جرى عليه الناظم من عطفه ردّ المظالم على المنسوب ، وهو ما جرى عليه في « الإرشاد »^(١) تبعاً للقمولي ، وليحسن المريض ظنه بالله تعالى (وحيث مات غمضت عيناه) ندباً لئلا يقع منظره . قيل : إن العين أول شيء يخرج منه الروح وأول شيء يسرع إليه الفساد . ويسن أن يقول من يغمضه : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ^(٢) . (مستقبل) أي : ويسن أن يوجهه للقبلة كمحضر ، ويوضع على بطنه شيء ثقيل ، ويشدّ لحياه بعصابة عريضة (ولينث أعضاءه) أي : وتلين أعضاؤه ليسهل غسله ، ويستتر جميع بدنه بثوب خفيف ، ويوضع على سرير ونحوه ، وتترع عنه ثيابه التي مات فيها ؛ لئلا يسرع إليه الفساد ، ويسادر بغسله إذا تيقن موته بظهور شيء من أماراته كاسترخاء قدم ، وميل أنف ، وانخساف صدغ ، وأدلة ما ذكرناه كثيرة ، وما تضمنته هذه الآيات من فوائد الناظم الزيدة . وقوله : شغل ؛ بفتح الشين المعجمة .

فائدة : الموت مفارقة الروح الجسد ، والروح عند جمهور المتكلمين جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتياك الماء بالعود الأخضر ، وهو باق لا يفنى عند أهل السنة . وقوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ [الزمر : ٤٢] تقديره : عند موت أجسادها . وعند جمع منهم : عَرْضٌ ، وهو الحياة التي صار البدن بوجودها حياً . وأما الصوفية والفلاسفة فليست عندهم جسماً ولا عرضاً ، بل هو جوهر مجرد غير متحيز ، يتعلق بالبدن تعلق التدبير ، وليس داخلياً فيه ولا خارجاً عنه .

(والغسل والتكفين والصلاة)	والدفن للأموات واجبات
(إلا الشهيد فالصلاة تحرم)	وغسله وإن تفاحش الدم
(والسقط كالشهيد في الصلاة)	إن لم تبين أمارة الحياة
(وواجب التجهيز إن تخلقا)	فإن تبين فكالكبير مطلقا
(وتحرم الصلاة مطلقا على)	ذي ذمة وجاز أن يغسلا
(والدفن والتكفين لازمان)	ومثله ذو العهد والأمان
(ويستتر الحربي بالتراب)	وجاز أن يُرمى إلى الكلاب

(١) ص : ٤٣ ، ومؤلفه : إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله ابن المقرئ البجلي المتوفى سنة (٨٣٧) هـ .

(٢) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما أبو داود (٣٢١٣) وابن ماجه (١٥٥٠) ، والترمذي (١٠٤٦) وابن حبان (٣١٠٩) واللفظ له ، والحاكم ٣٦٦/١ قال الترمذي : حسن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وانظر « تلخيص الجبير » ١٣٠/٢ .

فيها مسائل . **الأولى :** غسل الميت المسلم وتكفينه بساتر العورة والصلاة ودفنه من فروض الكفاية على من علم بحاله من المسلمين بالإجماع لخبر : « فرض على أمي غسل موتاه ، والصلاة عليها ، ودفنها »^(١) .

الثانية : الشهيد لا يغسل ولا يصل عليه ، فيحرم ذلك لما روى جابر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد ولم يغسلهم^(٢) . ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ، والحر والعبد ، والبالغ والصبي ، والفاسق ، والمحدث حدثاً أكبر ، وهو من مات بسبب القتال مع الكفار في وقت قيام القتال ، سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ ، أو عاد إليه سلاح نفسه ، أو سقط عن دابته ، أو وطئته الدواب ، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به كافر أو مسلم ، وسواء وجد به دم أم لا ، مات في الحال أو بقي زمناً ومات بذلك السبب قبل انقضاء الحرب أو بعده ، وليس فيه إلا حركة مذبح . ويجب غسل نجس أصابه غير دم شهادة وإن أدى ذلك إلى زوال دمها . ويسن تكفينه في ثيابه التي مات فيها فقط^(٣) . والحكمة في أنه لا يغسل ولا يصل عليه : إبقاء أثر الشهادة عليه ، والتعظيم له باستغناؤه عن تطهيره ودعاء القوم له ، وسُمي شهيداً ؛ لأن الله تعالى ورسوله شهدا له بالجنة . وقيل : لأنه حيّ بنص القرآن . وقيل : لأن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام لأنهم أحياء ، وأرواح غيرهم إنما تشهد يوم القيامة . وقيل : لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد الله له من الثواب والكرامة . أما الشهيد العاري عما ذكر كالغريق ، والمبطون^(٤) ، والميت عشقاً^(٥) ، والميتة طلقاً^(٦) ، والمقتول في غير القتال المذكور ظلماً ، فيغسل ويُصلّى عليه وله ثواب الشهيد . ومن هذا القسم اللديغ ، وصاحب الهدم ، وذات الجنب ، والمحموم ، وطالب العلم على طلبه ، ومن مات على وضوئه ، والمسحور ، والمسموم ، ومن أكله

(١) لم أجد هنا اللفظ ولكن يؤيده قوله ﷺ في حديث أم عطية : « اغسلها ثلاثاً » أخرجه البخاري (١٢٥٣) ومسلم (٩٣٩) ، وحديث ابن عباس عند البخاري (١٢٦٧) ، ولقطة : « اغسلوه بماء وسدر » .

(٢) رواه عنه البخاري (١٣٤٣) ، والترمذي (١٠٣٦) ، والنسائي ٦٢/٤ ، وابن ماجه (١٥١٤) قال : كان النبي ﷺ يجمع الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم قال يقول : « أقيم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال : « أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة » وأمر بدفنهم في دماهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم .

(٣) لحديث جابر عند البخاري (١٣٤٦) وغيره أن النبي ﷺ قال : « ادفونهم بدماهم » ، ولحديث ابن عباس قال أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن يُترع عنهم الحديد والجلود وقال : « ادفونهم بدماهم وثيابهم » رواه أحمد (٢٢١٧) وأبو داود (٣١٣٤) بإسناد ضعيف .

(٤) لحديث أبي هريرة عند مسلم (١٩١٥) ، وحديث عتبة بن عامر أخرجه النسائي ٣٧/٦ .

(٥) لأن ألف فيه الشيخ أحمد الغماري رسالة سماها : « درة الضعيف عن حديث : من عشق ففح » عن ابن عباس .

(٦) رواه أحمد ٤٤٥٥ - ٤٤٦ ، ومالك ١٨١/١ ، وأبو داود (٣١١١) ، والنسائي ١٣/٤ - ١٤ ، وابن ماجه (٢٨٠٣) ، والحاكم ٣٥٢/١ وصححه .

سبع ، ومن قتل دون نفسه وأهله وماله ، والمؤذن المحتسب ، والغريب^(١) ، ومن يلزم الوتر والضحي ، ومن يسأل الشهادة بصدق . وقد نظم ابن العماد رحمه الله تعالى في شهداء الآخرة نظماً بديعاً على ما ذكرناه .

واعلم أن الشهداء ثلاثة : شهيد في حكم الآخرة بمعنى أنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، والمراد بحكم الآخرة أن له ثواباً خاصاً وهو من قتل في قتال الحريين بسببه وقد قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . وشهيد الآخرة دون الدنيا : وهو من قتل ظلماً بغير ذلك ونحوه مما مر . وشهيد في الدنيا دون الآخرة : وهو من قتل في قتال الحريين بسببه وقد غلّ من الغنيمة ، أو قتل مديراً أو قاتل رياء أو نحوه . وقول الناظم : (وإن تفاحش الدم) من زيادته ، وأفاد به أن دم الشهادة لا يُزال بخلاف النجاسة كما مر .

الثالثة : (السقط) بتثنية السين (كالشهيد في الصلاة) أي : في أنه لا يُصلى عليه (إن لم تبين) أي : تظهر فيه (أمانة الحياة) ، فيجهز بلا صلاة عليه ، وفارقت الصلاة غيرها بأن الصلاة أوسع باباً من غيرها ، فإن ظهرت أمانة الحياة باختلاج ونحوه فقد أشار إليه الناظم بقوله : (وواجب التجهيز) إلى آخر البيت . وحاصل ما في مسألة السقط أنه إن لم يعلم حياته ولم يظهر خلقه فلا تجوز الصلاة عليه ، ولا يجب غسله ، ويسن ستره بخرقه ودفنه . فإن علمت حياته بصياح أو غيره ، أو ظهرت أمانة الحياة باختلاج أو تحرك فككبير ، فيغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن ؛ لتيقن حياته وموته بعدها في الأولى ، وظهور أمارتها في الثانية ، وإن لم يعلم حياته وظهور خلقه وجب تجيزه بلا صلاة عليه . واعلم أن السقط : النازل قبل تمام أشهره ، فإن بلغها فكالكبير كما أفتى به شيخ شيخنا الشهاب الرملي^(٢) رحمه الله تعالى .

الرابعة : (تحرم الصلاة مطلقاً ..) على الذمي ، ويجوز غسله ولا يجب ، ويجب (تكفينه) و (دفنه) ومثله المعاهد والمستأمن ، ولا يجب تكفين الحربي ومثله المرتد والزنديق ولا دفنهم ، بل يجوز إغراء الكلاب على جيفهم ، لكن الأولى مواراتهم لئلا يتأذى الناس برائحهم ، وهذه المسألة وشعبها من زيادته . وقوله : وواجب . بغير تنوين ، والألف في قوله : يغسل . للإطلاق .

(١) رواه عن ابن عباس الدارقطني في « علله » وصححه ، والشهاب القضاعي (٨٣) .

(٢) هو أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان أبو العباس الرملي صاحب « الزيد » في الفقه الشافعي المتوفى (٨٤٤ هـ) . وأما شمس الدين الرملي فهو محمد بن أحمد بن حمزة الشافعي الصغير ، فقيه الديار المصرية - نسبهما إلى الرملة من فلسطين - ولد في المنوفية بمصر ولي الافتاء ، وجمع فتاوى أبيه ، وصنف شروحاً منها : « غاية البيان في شرح زيد ابن رسلان » و« نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج » ، وغيرها توفي (١٠٠٤ هـ) .

فصل : في بيان غسل الميت وتكفينه ودفنه

(وغسله كالحي لكنّ ذا تُدبّ نيتته لغاسل ولم تجب)
(وكونه وترأ كغسل الحيّ أوله بالسدر والخطمي)
(وآخرأ بخالص الطهور وفيه شيء قلّ من كافور)

أقل الغسل : تعميم بدنه بالماء مرة ، لأن ذلك هو الفرض في الغسل من الجنابة في حق الحي ، ولا تجب نية الغاسل ؛ لأن القصد بغسل الميت النظافة ، وهي لا تتوقف على نية . وأكمله ما أشار إليه الناظم بقوله : (وكونه وترأ) أي : يندب كون الغسل وترأ (كغسل الحي) . والماء البارد أولى من المسخن إلا الحاجة ، ويكون في (أول) أي : غسله . (بالسدر) أي (وخطمي)^(١) بكسر الخاء وضمها ، فالواو في كلامه بمعنى أو ، ويصّب عليه ماء قراحاً من فرقته إلى قدمه بعد زوال السدر ثلاثاً والماء قراح . ويسن أن يُجعل في الماء القراح كافور لا يفحش التغيير به ، أو صلباً فهو مندوب في كل غسلة ، إلا أنه في الأخيرة أكد تقوية للجسد ومنعاً للهوام والنتن . هذا حاصل كلام الناظم . ولا يقرب المحرم طيباً بخلاف المعتدة .

توضيح لما تقرر : يسن أن يغسل في خلوة لا يدخلها إلا الغاسل ومن يعينه والولي ، وفي قميص بال أو حقيق ؛ لأنه أستر له على مرتفع كلوح ، وبماء بارد إلا الحاجة كوسخ وبرد ، وأن يجلسه برفق مائلاً إلى ورائه ، ويضع يمينه على كتفه وإبهامه في نقرة قفاه لئلا يميل رأسه ، ويسند رأسه بركبته اليمنى ، ويمرّ يساره على بطنه بمبالغة ليخرج ما فيه ، ثم يضجعه لقفاه ، ويغسل بخرقه ملفوفة على يساره سوأتيه ، ثم يلقيها ويلفّ خرقه أخرى على اليد وينظف أسنانه ومنخره ، ثم يوضع كالحي ، ثم يغسل رأسه فلحيته بنحو سدر ، ويسرح شعرها إن تلبد بمشط واسع الأسنان برفق ، ويرد المنتف إلى ، ثم ينظف شقه الأيمن ثم الأيسر ، ثم يحرفه إلى شقه الأيسر فيغسل شقه الأيمن مما يلي قفاه ، ثم يحرفه إلى شقه الأيمن فيغسل شقه الأيسر كذلك ، مستعيناً في ذلك كله بنحو سدر ، ثم يزيله بماء من فرقته إلى قدميه ، ثم يعمه كذلك بماء قراح فيه قليل كافور كما مر ، فهذه غسلة . ويسن ثانية ، وثالثة كذلك . ويسن أن يكون الغاسل أميناً ، فإن رأى خيراً سنّ ذكره ، أو ضده حرم ذكره ، إلا لمصلحة كبدعة .

فرع : من تعذر غسله يُمّم كما في غسل الجنابة .

(١) أي : كالصابون وغيره من مزيلات الأوساخ .

(وإن ترد أقل واجب الكفن فذاك ثوب ساتر كل البدن)
 (والأفضل التكفين في ثلاث لفائف والخمس للإناث)
 (من الثياب البيض لكن يلزم أن لا يكون في الحياة يحرم)
 (ولا يجوز ستر رأس المحرم كوجه أنثى أحرمت فليحرم)

أقل الكفن ثوب ساتر واحد (والأفضل) أي : الأكمل للرجال (التكفين في ثلاث لفائف) تستر كل لفافة جميع البدن ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة^(١) . ويجوز رابع وخامس بلا كراهة ، والأفضل (للإناث) أي : والخنثى خمسة : إزار ، وقميص ، فخمارة وهو ما يغطي به الرأس ، فلفافتان . ومن كون ما ذكر (من الثياب البيض) لخبر : « وكفنوا فيها موتاكم »^(٢) والزيادة على خمسة مكروهة للرجل والمرأة ؛ للسرف ، ويكفن الميت بما له لبسه حياً ، فيجوز تكفين المرأة بالحرير والمزعر ، بخلاف الرجل والخنثى ، وإليه أشار الناظم بقوله من زيادته : (لكن يلزم . أن لا يكون في الحياة يحرم * ولا يجوز ستر رأس المحرم * كوجه أنثى أحرمت فليحرم) ذلك إبقاء لأثر الإحرام ، وتكره المغالاة في الكفن ، والمغسول والقطن أولى من غيرهما ، ومحل الكفن أصل التركة ، فإن لم يكن للميت تركة فعلى من عليه نفقته من قريب وسيد ، وكذا الزوج المورس في الأصح . ويسن أن لا يعد لنفسه كفناً ؛ لئلا يحاسب على اتخاذه ، إلا أن يكون من جهة أثر حل أو أثر ذي صلاح فحسن . ولا يكره أن يعد لنفسه قبراً يدفن فيه . قال العبادي : ولا يصير أحق به ما دام حياً . وقول الناظم : لفائف ، بالصرف للوزن . وقوله : فليحرم . تكملة وإيضاح ، وذكر ذلك من زيادة الناظم . ثم شرع في بيان كيفية الصلاة على الميت المسلم غير الشهيد كما مر والسقوط في بعض أحواله ، وهي من خواص هذه الأمة كما قاله الفاكهاني في « شرح الرسالة »^(٣) :

(ثم الصلاة ولتكن بالنية ومطلقاً ينوي بها الفرضية)
 (وليأت بالتكبير أربعاً ولا أم القرآن بعد أولاهها تلا)
 (وبعد ثانيها إذا يصلي على النبي المصطفى الأجل)
 (وليدع بعد ثالث التكبير لميت وسن بالمأثور)

(١) أخرجه البخاري (١٢٧١) ومسلم (٩٤١) وأبو داود (٣١٥١) والنسائي (٣٥/٤) .

(٢) رواه عن ابن عباس أحمد (٣٤٢٦) ، وأبو داود (٣٨٧٨) ، وابن ماجه (٣٥٦٦) ، والترمذي (٩٩٤) ، والحاكم (٣٥٤/١) ، والبيهقي (٢٤٥/٣) .

(٣) أي « الرسالة » في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني واسمه : عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى (٣٨٦) هـ .

والفاكهاني هو : عمر بن علي بن سالم السكندري المتوفى عام (٧٣٤) هـ .

(وبالدعاء المأثور بعد الرابعة وألزموا المأموم بالمتابعة)
 (فبين لا إن خمس الإمام ويعدهن الواجب السلام)

اعلم أن أركان الصلاة على الميت سبعة : ذكر الناظم كأصله بعضها .

الركن الأول : النية كغيرها من الصلوات ، ويكفي نية الفرض من غير تعرض إلى فرض الكفاية على الأصح ، ولا يحتاج إلى معرفة الميت وتعيينه ، بل لو نوى الصلاة على من يصلي عليه الإمام جاز ، فإن عينه كزيد أو رجل ولم يشر إليه وأخطأ في تعيينه فبان عمراً أو امرأة بطلت صلاته ، فإن أشار إليه صحت كما في « زوائد الروضة » تعليلاً للإشارة .

تنبيه : يجب على المأموم نية الاقتداء .

والركن الثاني : القيام كغيرها من الفرائض .

والركن الثالث : أربع تكبيرات للاتباع ، رواه الشيخان^(١) ، فلو زاد عليها لم تبطل صلاته ؛ لأنه زاد ذكراً . وإذا زاد إمامه عليها لم يسن له متابعتها في الزائد ؛ لعدم سنه للإمام ، بل يفارقه ويسلم ، أو ينتظره ليسلم معه وهو أفضل ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله من فوائده المزیدة في آخر الأبيات : (وألزموا المأموم بالمتابعة * فبين) أي : في التكبيرات ، (لا إن خمس الإمام) .

والركن الرابع : قراءة الفاتحة^(٢) عقب التكبيرة الأولى أو بدلها عند العجز عنها ، ويسن التعوذ قبلها لا دعاء الافتتاح لبناء هذه الصلاة على التخفيف .

تنبيه : قول الناظم كأصله : (أم القرآن بعد أولاهها تلا) هو ظاهر كلام الغزالي ، وتبعه الرافعي وصححه النووي في « التبيين » لكن الراجح كما رجحه في « المنهاج » أنها تجزئ في غير الأولى من الثانية والثالثة والرابعة ، وجزم به في « المجموع » .

والركن الخامس : الصلاة على النبي ﷺ بعد التكبيرة الثانية كما أشار إليه الناظم بقوله : (وبعد ثانيها إذا يصلي . على النبي المصطفى الأجل) ﷺ للاتباع^(٣) ، وأقلها : اللهم صل على محمد . ويسن الصلاة على الآل .

(١) البخاري (١٣٣٣) ، ومسلم (٩٥١) في حديث نعي النجاشي وفيه : فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات . وروى البيهقي ٤٤/٤ : أن ابن عمر كان يرفع يديه في جميع تكبيرات الجنائز .

(٢) رواه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ البيهقي ٣٩/٤ . ورواه عن ابن عباس البخاري (١٣٣٥) وقال : لتعلموا أنها سنة .

(٣) رواه البيهقي في « السنن » ٤٠/٤ عن رجال من أصحاب النبي ﷺ ، وعن عبادة أيضاً .

وأخرجه النسائي ٧٥/٤ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أيضاً .

فصل : في بيان الحمل والدفن وغيرهما

(ثم الرجال بعد يحملونه للقبر حتى ثم يلحدونه)
 (ويستحب سله من رأسه إذا أرادوا وضعه برمسه)
 (وكونه على اليمين يضجع وأوجبوا استقباله إذ يوضع)
 (والجمع بين اثنين في قبر مُنْع فإن دعت ضرورة لم يمتنع)
 (وجائز إن كان محرمة بينهما أو ملك أو زوجة)
 (وواجب في القبر منع الرائحة بعمقه كذا السباع الجارحة)
 (ويستحب بسطة وقامة وأن يكون فوقه علامة)
 (وأن يُعزى أهله إذا قضى إلى ثلاث بعد دفن قد مضى)

لا يحمل الميت ولو أنثى إلا الرجال ؛ لضعف النساء عن حمله فيكره لمن ذلك ، وحمل الجنائز بين العمودين - بأن يضعهما رجل على عاتقيه ورأسه بينهما ، ويحمل المؤخرتين رجلان - أفضل من التبريع ؛ وهو أن يتقدم رجلان ويتأخر آخران . ويحرم حملها على هيئة مزرية كحملها في قفة ، أو هيئة يخاف منها سقوطها ، والأفضل المشي أمامها بقرنها بحيث لو التفت لرآها . ويسن الإسراع بها إن أمن تغير الميت بالإسراع ، وإلا فيتأني به ، فإن خيف تغيره بالتأني أيضاً زيد في الإسراع . ويسن لغير الذكر ما يستره كالقبة . ويكره اللغظ في الجنائز ، بل المستحب التفكير في الموت وما بعده ، ويكره اتباعها بنار في مجمرة أو غيرها . ولا يكره الركوب في رجوعها . وذكر الحمل من زيادة الناظم . ثم شرع في بيان الدفن على الوجه الأكمل بقوله : (ثم يلحدونه) أي : يدفنونه في لحد^(١) - يفتح اللام وضمها وسكون الحاء فيهما - ، وهو : أن يحفر في أسفل جانب القبر القبلي مائلاً عن الاستواء قدر ما يسع الميت ويستره ، فهو أفضل من الشق - يفتح المعجمة - إن صلبت الأرض ، وهو : أن يحفر قعر القبر كالنهر ويبنى حافته بلبن ويجعل الميت بينهما . أما الأرض الرخوة فالشق أفضل خشية الانهيار . (ويستحب سله) أي : استدخاله (من) قبل (رأسه) برفق (إذا أرادوا وضعه برمسه) أي : قبره ، لما روي : أنه ﷺ سل من قبل رأسه . ويقول الذي يلحده : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ؛ للاتباع^(٢) ويستحب إضجاعه (على اليمين) ويجب وضعه في

(١) الحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « اللحد لنا ، والشق لغيرنا » . رواه أبو داود (٣٢٠٨) ، والترمذي (١٠٤٥) ، والنسائي ٨٠/٤ ، وابن ماجه (١٥٥٤) ، والطبراني (١٢٣٩٦) ، وصححه ابن السكن كما في « خلاصة البدر المنير » (٩٣٧) .

(٢) رواه أبو داود (٣٢١٣) ، والترمذي (١٠٤٦) ، والبيهقي في « السنن » ٥٥/٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

والركن السادس : الدعاء للميت بخصوصه بنحو : اللهم ارحمه ، اللهم اغفر له ، بعد التكبيرة الثالثة ، كما قال : (وليدع بعد ثالث التكبير . لميت وسن بالمأثور) أي : الوارد كقوله : اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ؛ اللهم من أحبيته منا فأحبه على الإسلام والسنة ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان والرحمة ؛ اللهم هذا عبدك وابن عبدك ، خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوته وأحباؤه فيها إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به منا ؛ اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزل به ، وأصبح فقيراً إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه ، وقد جئناك راغبين إليك ، تشفعاء له عندك ؛ اللهم إن كان محسناً فرد في إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته ، ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له في قبره ، وجاف الأرض عن جنبه حتى تبعه آمناً إلى جنتك يا أرحم الراحمين^(١) . جمع ذلك الشافعي رحمه الله « الأم » ٢٤٠/١ من الأخبار ، واستحسنه الأصحاب . ويؤث الضمائر في المرأة . ويقول في الطفل بعد الأول : اللهم اجعله فرطاً لأبويه ، وسلفاً وذخراً وعظماً واعتباراً وشفيعاً ، وثقل به موازينهما ، وأفرغ الصبر على قلوبهما ، ولا تفتنهما بعده ، ولا تحرمهما أجره ؛ ويقول بعد الرابعة : « اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفضلنا بعده »^(٢) واغفر لنا وله . كما استحسنته الأصحاب ، وإليه أشار الناظم بقوله : (وبالدعاء المأثور بعد الرابعة) .

تنبيه : يشترط لصحة هذه الصلاة شروط غيرها من الصلوات ، وتقدم طهر الميت . وتسن الجماعة فيها لقوله ﷺ : « ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه » رواه مسلم عن ابن عباس (٩٤٨) . ويكفي في إسقاط فرضها ذكر ولو صبيماً ميمراً ، ويجب تقديمها على الدفن .

والركن السابع : السلام بعد التكبيرة الرابعة كسلام غيرها من الصلوات في كفيته وتعدده . وقول الناظم : أم . بالنصب معمول لقوله : تلا . وقوله : القرآن . بغير همز .

(١) فعن عوف بن مالك أخرجه مسلم (٩٦٣) ، والنسائي ٧٣/٤ ، وابن ماجه (١٥٠٠) .

وعن أبي إبراهيم الأشيلي الأنصاري عن أبيه أخرجه الترمذي (١٠٢٤) ، والنسائي ٧٤/٤ .

وعن أبي هريرة أحمد ٣٦٨/٢ ، والترمذي (١٠٢٤) ، وأبو داود (٣٢٠١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

للحدِّ وغيره مستقبل القبلة ، بأن يوجهه في قبره بوجهه وبدنه إليها لشرفها ، كما فعل رسول الله ﷺ ، فلو دفن مستدبراً أو مستلقياً نبش ووجهه للقبلة ما لم يتغير ، فإن تغير لم ينبش وجوباً .

فرع : لو ماتت ذمية في بطنها جنين مسلم جعل ظهرها للقبلة توجيهاً للجنين المسلم إلى القبلة ، فإنَّ وَجْهَ الجنين إلى ظهر الأم . وأين تدفن ؟ قيل : في مقابر المسلمين ، وقيل : في مقابر الكفار ، وقيل : بينهما . قال في « الروضة » والثالث هو الصحيح الذي قطع به الأكثرون ، ونقله صاحب « الحاوي » عن أصحابنا .

فائدة : يستحب أن يخو من دنا من القبر ثلاث حثيات يقول مع الأولى : ﴿ منها خلقناكم ﴾ ومع الثانية : ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ ومع الثالثة : ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [طه : ٥٥] زاد المحب الطبري عند الأولى : اللهم لقنه عند المسألة حجته ، وعند الثانية : اللهم افتح أبواب السماء لروحه ، وعند الثالثة : اللهم جاف الأرض عن جنبيه . (والجمع بين اثنين) ابتداء (في قبر منع) بل يفرد كل واحد بقبر حالة الاختيار للاتباع (فإن دعت ضرورة) كأن كثرت الموتى وعسر أفراد كل ميت بقبر (لم يمتنع) فيجمع بين اثنين وثلاثة وأكثر في قبر بحسب الضرورة ، ولا يجمع رجل وامرأة في قبر إلا لضرورة ، فيحرم عند عدمها كما في الحياة . قال ابن الصلاح : ومحل إذا لم يكن بينهما محرمة أو زوجية ، وإلا فيجوز الجمع . وأشار الناظم إلى هذا بقوله من زيادته : (وجائز إن كان محرمه . بينهما أو ملك أو زوجية) قال الإسنوي : وهو متجه ، والذي في « المجموع » أنه لا فرق ، فقال : إنه حرام حتى في الأم مع ولدها ، وهذا هو الظاهر كما جرى عليه شيخنا الشمس الخطيب في شروحه ، إذ العلة في منع الجمع الإيذاء ؛ لأن الشهوة قد انقطعت فلا فرق بين المحرم وغيره ، ولا بين أن يكون من جنس واحد أم لا .

تنبيه : يسن أن يحجز بين الميتين بتراب حيث جمع بينهما كما جزم به ابن المقرئ في « شرح إرشاده » ولو اتحد الجنس . وأقل القبر : حفرة تمنع الرائحة والسبع ، كما أشار إليه : (وواجب في القبر) إلى آخر البيت . ويستحب أن يعمق القبر بسطة وقامة^(١) من رجل معتدل لهما وهما أربعة أذرع ونصف ، كما صوّبه النووي خلافاً للرافعي في قوله : إنها ثلاثة أذرع ، وأن يكون فوقه علامة بأن يضع عند رأسه حجراً أو خشبة أو نحو ذلك ؛ لأنه عليه السلام وضع عند رأس عثمان بن مظعون

(١) ورد عن عمر أنه قال : عمقوا إلى قدر قامة وسطة . رواه ابن المنذر عنه كذا ذكره ابن الملحق في « خلاصة البدر المنير »

(٩٨٤) . ولحديث : « احفروا وأوسعوا وعمقوا » رواه أبو داود (٣٢١٥) ، والترمذي (١٧١٣) ، والنسائي

٨٠/٣ - ٨١ ، وابن ماجه (١٥٦٠) ، من حديث هشام بن عامر ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

صخرة وقال : « أتعلم بها قبر أخي لأدفن إليه من مات من أهلي »^(١) . والدفن بالمقبرة أفضل منه بغيرها لينال الميت دعاء الماتين والزائرين . (ويستحب أن يعزى أهله) إلى ثلاثة أيام ، أي : الميت ، أي : جميع من أصيب به بأن حصل له عليه وَجَد من أقاربه وغيرهم (إذا قضى) أي : مات ، قبل الدفن وبعده ، لما رواه ابن ماجه [١٦٠١] ، والبيهقي [٥٩/٤] بإسناد حسن : « ما من مسلم يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » نعم ، الشابة لا يعزى أجنبي إنما يعزى محارمها وزوجها . والتعزية بعد الدفن أولى لاشتغالهم قبله بتجهيزه ، إلا إن أفرط جزعهم ففقدوها أولى ليصبرهم ، ومعناها : الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر ، والتحذير من الوزر بالجزع ، والدعاء للميت بالمغفرة ، وللمصاب بجزع المصيبة . وتمتد التعزية (إلى ثلاث) أي : أيام (بعد دفن قد مضى) بيانه . ووافق الناظم كأصله في هذا الكلام « المجموع » ، وظاهر كلام « الروضة » وأصلها أن ابتداء الثلاثة من حين الموت ، وبه صرح جمع منهم القاضي أبو الطيب والبندنجي وابن الصباغ والماوردي وابن أبي الدم والغزالي في « خلاصته »^(٢) وهو المعتمد . ومحل ما ذكر في الحاضر ، أما الغائب فتمتد إلى قدومه . ويقال في تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله أجرك ، وأحسن عزائك ، وغفر لميتك . ويستحب أن يبدأ قبله بما ورد من تعزية الخضر عليه السلام أهل بيت رسول الله ﷺ بموته : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله فقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حُرِّم الثواب . ويقال في تعزية الكافر بالكافر - فهي غير مندوبة بل جائزة - وصيغتها : أخلف الله عليك ، ولا نقص عددك ؛ لأن ذلك ينفعن في الدنيا بكثرة الجزية ، وفي الآخرة بالفداء من النار . وقول الناظم يُضَجُّ ، ويوضُّع ، ومنع ، ويعزى . بالبناء للمفعول .

(وحيث لا لطم ولا نواح وشق جيب فالبكاء مباح)

(ويكره التجصيص والبناء ولا تُجَزُّ بناء في مكان سُبُلًا)

اعلم أن البكاء على الميت جائز قبل الموت وبعده ، لكن قبل الموت أولى من بعده كما قاله في « الروضة » ، لكن يكون من غير لطم ، أي : ضرب خد ، ولا نواح وهو رفع الصوت بالتندب ، أي : ولا جزع ، وشق ثوب ، أي : هذه الأمور محرمة ؛ لقوله عليه السلام : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الحيوب ودعا بدعوى الجاهلية »^(٣) وفي خبر : النائحة إذا لم تنب ، تقام يوم القيامة وعليها

(١) أخرجه عن المطلب أبو داود (٣٢٠٦) .

(٢) أي : « خلاصة المختصر ونقاوة المعاصر » في الفقه لخص فيه : « مختصر المرئي »

(٣) أخرجه أحمد ٤٥٦/١ ، والبخاري (١٢٩٤) ، ومسلم (١٠٣) ، والنسائي (١٨٦٠) ، والترمذي (٩٩٩) ، وابن ماجه (١٥٨٤) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

سريال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم [٩٣٤] - والسريال : القميص ، والدرع : قميص فوقه - ويحرم أيضاً تسويد الوجه ، وإلقاء الرماد على الرأس ، ورفع الصوت بإقراط في البكاء ، وتغيير الزيّ ، ولبس غير ما جرت العادة به كما في زماننا هذا ، ولو فعل أهل الميت شيئاً من ذلك لم يعدّب بصنيعهم لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء : ١٥] بخلاف ما إذا أوصى به كقول طرفة بن العبد :

إذا متّ فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

ويكره تخصيص القبر ، أي : تبييضه بالخص وهو الجبس ، والبناء على القبر نحو قبة كبيت ؛ للنبي عنهما في « صحيح مسلم » . أما التطين فإنه لا بأس به ، وتركه الكتابة عليه . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (ولا تُجَزَّ بِناء في مكان سُبُلًا) وأفاد به : لو بني عليه في مقبرة مسبله وهي التي جرت عادة أهل البلد بالدفن فيها حرم وهدم ؛ لأنه يضيق على الناس ، ثم لا فرق بين أن يبني قبة أو بيتاً أو مسجداً أو غير ذلك . قال الدميري : ومن المسبل قرافة مصر . قال ابن عبد الحكم : ذكر في « تاريخ مصر » أن عمرو بن العاص أعطاه الموقس فيها مالا جزيلاً ، وذكر أنه وجد في الكتاب الأول أنها تربة الجنة ، فكتب عمر بن الخطاب في ذلك فكتب إليه : إني لا أعرف تربة الجنة إلا لأجساد المؤمنين فاجعلوها لموتاكم . والألف في قوله : سُبُلًا للإطلاق .

خاتمة : يسن وضع الجريد الأخضر على القبر وكذا الریحان ونحوه من الشهيء الرطب ، ولا يجوز للغير أخذه من على المقبر قبل يسه ؛ لأن صاحبه لم يعرض عنه إلا عند يسه ؛ لزوال نفعه الذي كان فيه وقت رطوبته ، وأن يُرَشَّ على القبر ماء طهور بارد ، لا ماء ورد فيكره ؛ لأنه إضاعة مال . قال السبكي : ولا بأس بيسيره إن قصد به حضور الملائكة فإنها تحب الرائحة الطيبة انتهى . ولعل هذا هو المانع من حرمة إضاعة المال كما قاله بعض المتأخرين . ويكره المبيت بالمقبرة لما فيها من الوحشة . وتندب زيارة القبور للرجال وتركه للنساء ، ويستحب الإكثار منها ، ومن الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل . ويسن أن يقف جماعة بعد دفن الميت عند قبره ساعة يسألون له التثبيت^(١) . ويسن تلقين الميت المكلف بعد الدفن لحديث ورد فيه^(٢) ، ولنحو جيران أهل الميت تهيئة

(١) لحديث أبي داود (٣٢٢١) عن عثمان بن عفان قال قال النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : « استغفروا لأخيكم وسلموا له بالتثبيت ، فإنه الآن يسأل » . والحاكم ٣٧٠/١ ، والبيهقي ٥٦/٤ أيضاً .

(٢) لحديث أبي أمامة عند الطبراني في « الكبير » ٢٩٨/٨ . وفي « الدعاء » (١٢١٤) ، وإسناده ضعيف جداً ، ولغظ الحديث : عن أبي أمامة قال : أمرنا رسول الله ﷺ فقال : « إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره ، فليقيم أحدكم على رأس قبره ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا ينيبه ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فإنه يقول : ارشد رحمك الله ، ولكن لا تشعرون فليقل : اذكر ماخرجت عليه من الدنيا » =

طعام يشبعهم يوماً وليلة^(٣) ، ويحرم تهيئته لنحو نائحة كنادية لأنها إغاة على معصية ، وأما إصلاح أهل الميت طعاماً وجمع الناس عليه بدعة غير مستحبة كما قاله ابن الصباغ^(٤)

= شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنت رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً . فإن منكرأ ونكيرأ يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلقا متقعد عند من لقن حجته فيكون الله عز وجل حجيجه دونهما . فقال رجل : يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمه ؟ قال : « ينسبه إلى حواء عليها السلام ، يا فلان ابن حواء » .
(١) لحديث عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً .. » رواه أبو داود (٣١٣٢) .
(٢) هو عبد السيد بن محمد عبد الواحد ، أبو النصر ، ابن الصباغ . كان فقيهاً ، أصولياً ، محققاً ، ورعاً ، زهواً ، زاهداً ، ثباً ، صالحاً . ولد في سنة أربع مئة في بغداد وكان أحد كبار فقهاء الشافعية فيها حيث كانت إليه الرحلة في عصره ، تولى التدريس بالمدرسة النظامية أول ما افتتحت .

مؤلفاته :

— الشامل في الفقه .

— تذكرة العالم في الأصول .

— العدة في أصول الفقه .

وقد عمي في آخر حياته . وكانت وفاته في عام ٤٧٧ هـ ببغداد رحمه الله تبارك وتعالى .

كتاب الزكاة

اعلم أن الزكاة في اللغة عبارة عن النمو والبركة . يقال : زكا الزرع : إذا نما ، وزكت النفقة : إذا بورك فيها . وفي الشرع : عبارة عما يخرج من مال أو بدن على وجه مخصوص ، والأصل فيها قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ١١٠] وأخبار كخير : « بني الإسلام على خمس »^(١) وهي أحد أركان الإسلام ، وبهذا الخير يكفر جاحدها وإن أتى بها . هذا في الزكاة المجمع عليها دون المختلف فيها كالركاز ، ويقابل الممتنع من أدائها ، وتؤخذ منه قهراً كما فعل الصديق رضي الله عنه ، وكان فرضها في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر .

(وجوبها في خمسة قد انحصر) وهي المواشي والزرع والثمر
(والرابع النقصان ثم المتجر) خامسها وكلها ستذكر
(بشرط كون الشخص حرّاً مسلماً) وملكه منها نصاباً تماماً
(والحول إلا في الزرع والثمر) والسوم وهو في المواشي معتبر
(وسومها معناه أن لا تأكل) في الحول إلا ما يباح من كلا
(أما المواشي ههنا فهي النعم) من إبل وبقر ومن غنم)

انحصر وجوب الزكاة في خمسة أشياء من أنواع المال . أولها : المواشي ، وثانيها : الزرع ، وثالثها : الثمر ، ورابعها : النقدان ، وخامسها : المتجر ، أي : التجارة ، وكلها ستذكر مبينة . وهذه الأنواع ثمانية أصناف من أجناس المال : الإبل ، والبقر ، والغنم ، والذهب ، والفضة ، والزرع ، والنخل ، والكرم . ولهذا وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس . وإنما تجب الزكاة (بشرط) أي : بشروط : أولها : (كون الشخص حرّاً) كلاً أو بعضاً ، فلا زكاة على رقيق ولو مكاتباً ؛ إذ ملك المكاتب ضعيف ، وغيره لا ملك له ، فإن عجز المكاتب صار ما بيده لسيده ، ويتبدىء حوله من حيثئذ ، وإن عتق ابتداء حوله من حين عتقه .

(١) أخرجه عن ابن عمر أحمد ٢٦/٢ ، والبخاري (٨) ، ومسلم (١٦) ، والترمذي (٢٦٠٩) ، والنسائي ١٠٧/٨ ، والطبراني (١٣٢٠٣) ، وابن منده في « الإيمان » (٤٠) ، وأبو عبيد في « الإيمان » (٥٩) ، والأجري في « الشريعة » ص ١٠٦ .

وثانيها : كونه (مسلماً) فلا تجب على الكافر الأصلي وجوب مطالبة بها في الدنيا ، لكن تجب عليه وجوب عقاب ، وتسقط عنه بالإسلام ترغيباً فيه . أما المرتد قبل وجوبها فإن عاد إلى الإسلام لزمته لتبين بقاء ملكه ، فإن هلك مرتدّاً فلا .

وثالثها : كون (ملكه منها) أي : من الأنواع المتقدمة (نصاباً ..) من إبل أو بقر أو غنم . والمعنى يجمعها اسم الأنعام لأنها مختصة بهذا الاسم لغة ، قال الله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ [النحل : ٥] ثم قال : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴾ [النحل : ٨] ففصل ذلك عن الأنعام ، فلا تجب الزكاة في الخيل ، ولا في الرقيق ، ولا في المتولد بين غنم وطيء .
تبيين : أولهما : الإبل بكسر الباء جمع لا واحد له من لفظه ، وتسكن باؤه للتخفيف . والبقر : اسم جنس للذكر والأنثى ، سمي بذلك لأنه يقر الأرض ، أي : يشقها بالحراثة . والغنم : اسم جنس للذكر والأنثى ، لا واحد له من لفظه .

وثانيهما : استفدنا من قول الناظم : (وجوبها في خمسة) أشياء (قد انحصر) إلى آخره نفي الزكاة عما لم يذكر ، إذ لا نص فيما ليس بنام ، ولا يعد للنماء ، فلا يلحق بالمنصوص عليه لأنه ليس في معناه . وتفسير السوم من زيادة الناظم ، والألف في قوله : تماماً وتأكلاً ؛ للإطلاق .

(ونبتدي بالإبل في الحساب) وفي بيان الفرض والنصاب
(فـدون خمس لم تجب زكاة) وبعدها في كل خمس شاة
(من بعد حول إن تكن من ضان) أو شاة معز سنها حولان
(والخمس والعشرون فرضها جعل) بنت مخاض بعد حول من إبل
(وفرض ست مع ثلاثين اجعلا) بنت لبون بعد عامين أقبلا
(وستة وأربعين حقاً) بعد الثلاث فهي مستحقة
(إحدى وستون المؤدى جدعة) وهي التي في السن وقت أربعه
(وإن تكن سبعين مع ست وجب) بنتا لبون والمعيب يجتنب
(وإن تكن تسعين معها واحدة) فحقتان بالنصوص الواردة
(أو كان مع عشرين من بعد المئة) واحدة تكن ثلاث مجزئة
(إن كان كل أمهـا لبون) وبعده ذاك ضابط يكون
(بنت لبون كل أربعين) وحقه في كل ما خمسينا

أي : (ونبتدي بالإبل) بسكون الباء (في الحساب) لأنها أشرف أموال العرب (وفي بيان الفرض والنصاب) وهو القدر الذي تجب فيه الزكاة ، فنقول : (فـدون خمس) من الإبل (لم

تجب (فيها) زكاة (لخبر : « ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة »^(١)) (وبعدها) أي : الخمس (في كل خمس شاة) وفي عشر شاتان ، وفي خمس عشرة ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه . وقوله : (من بعد حول) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أن الشاة الواجبة جذعة ضأن لها سنة ، أو ثنيّة مَعَز لها سنتان ، والمُخْرَج مخير بين الجذعة والثنية ، ويعتبر كونها صحيحة وإن كانت إبله مراضاً ؛ لأنها وجبت في الذمة ، ويجزى كونها ذكراً وإن كانت إبله إناثاً . وإنما وجبت الشاة وإن كان وجوبها على خلاف الأصل للرفق بالفريقين ؛ لأن إيجاب البعير يضّر بالمالك ، وإيجاب جزء من بعير وهو الخمس مضّر به وبالفقراء . (والخمس والعشرون فرضها جُعل . بنت مخاض بعد حول من إبل) أي : لها سنة وطعنت في الثانية ، وسميت بذلك لأن أمها آن لها بعد ولادتها أن تحمل مرة أخرى فتصير من المخاض ، أي : الحوامل : (وفرض ست مع ثلاثين اجعلا . بنت لبون) أي : من الإبل (بعد عامين ..) أي : لها سنتان وطعنت في الثالثة ، وسميت بذلك لأن أمها آن لها أن تلد فتصير لبوناً أي : ذات لبن (وستة وأربعين جُفَ) من الإبل - بكسر الحاء - تجب فيها (بعد ثلاث) أي : لها ثلاث سنين وطعنت في الرابعة ، وسميت بذلك لأنها استحققت أن تتركب ويتركها الفحل ويحمل عليها ، وهذا معنى قوله : (فهي مستحقة) بكسر الحاء ، أي : لما ذكر . ويجوز فتحها : مستحقة للأخذ عما ذكر . و (إحدى وستون المؤدى) عنها (جذعة) - بالذال المعجمة - من الإبل (وهي التي في السن وقت) - بالفاء المشددة - (أربعة) من السنين وطعنت في الخامسة ، وسميت بذلك لأنها أجذعت مقدم أسنانها ، أي : أسقطته ، وقيل : لتكامل أسنانها ، وهو آخر أسنان الزكاة . واعلم أن الأنوثة معترة في الجميع ؛ لما فيها من رفق الدر والنسل . (وإن تكن سبعين مع ستّ وجب) فيها (بنتا لبون) من الإبل الصحيحة ، كما قال من زيادته : (والمُعَيَّب يجنب * وإن تكن تسعين معها واحده . فحقتان) من الإبل تجب فيها (بالنصوص الواردة) فيها كخبر أبي بكر رضي الله عنه في كتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين ، رواه البخاري [١٤٥٤] عن أنس^(٢) . (أو كان مَع عشرين من بعد المئه . واحدة تكن

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد البخاري (١٤٥٩) ، ومسلم (٩٧٩) ، وأبو داود (١٥٥٨) . والنسائي ١٧/٥ و ١٨ ، والدارمي ٣٨٤/١ ، وابن ماجه (١٧٩٣) . الذود من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . واللفظة مؤنثة ولا واحد لها من لفظها كالنعم اهـ نهاية ١٧١/٢ .

(٢) أن ابا بكر رضي الله عنه كتب لما وجهه إلى البحرين لجمع الزكاة : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله ، فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سأل فوقها فلا يعط - في أربع وعشرين من الإبل فما دونها - من الغنم - في كل خمس شاة ، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى ، فإن لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر ، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى ، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الحمل ، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة ، فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين

ثلاث مجزئة * إن كان كلّ) بالثنتين (أمها لبون) والمعنى : في مئة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون من الإبل ، ثم يستمر ذلك إلى المئة والثلاثين فيعتبر الواجب فيها وفي كل عشرة بعدها : في كل أربعين من الإبل بنت لبون منها ، وفي كل خمسين حقة منها كما قال : (وبعد ذلك ضابط يكون) إلى آخره .

تنبيهان : أحدهما : المقادير الزائدة بين النصب لا يتعلق بها شيء من الزكاة ، وتسمى أوقاصاً .

ثانيهما : لو اجتمع عنده فرضان كمئتي بعير لم يتعين أربع حقائق ، بل هُنَّ أو خمس بنات لبون ، فإن وجدا عنده تعين الأخط ، أو أحدهما أخذ ، ولا يكلف الآخر . والألف في قوله : اجعلا ، واقبلا ؛ للإطلاق ، وقوله : اقبلا ؛ تكملة .

فصل : في بيان نصاب البقر والغنم

وما يجب إخراجه

(ثم الثلاثون التي من البقر فيها تباع سنّة حول دَكر)
(والأربعون فرضها مُسِنَّة وسنّها حولان فَادِر السُّنّة)
(وهكذا بمقتضى الحساب تكرر الفرضين والنصاب)

أول نصاب البقر ثلاثون (ففيها تباع .. ذكر) سنة سنة ، سمي بذلك لأنه يتبع أمه في الرعي ، أو لأن قرنه يتبع أذنه (والأربعون فرضها مسنة ، وسنّها حولان ..) وسميت بذلك لتكامل أسنانها ، جاء بذلك خبر رواه الترمذي [٦٢٣] وغيره^(١) وصححه الحاكم [٣٩٨/١] وغيره (وهكذا بمقتضى الحساب . تكرر الفرضين والنصاب) ففي كل ستين تنبعان ، وفي كل سبعين تباع مسنة ، وفي ثمانين مستنان ، وفي تسعين ثلاثة أتباع ، وفي مئة مسنة وتنبعان ، وفي مئة وعشرة مستنان وتبيع ، وفي مئة وعشرين ثلاث مسنات ، أو أربعة أتباع . وقوله : فادر السُّنّة ؛ تكملة .

===== مئة ففيها حقتان طروقتا الحمل . فإذا زادت على عشرين ومئة ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة ... وفي صدقة الغنم في سائتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومئة شاة ، فإذا زادت على عشرين ومئة إلى مئتين شاتان ، فإذا زادت على مئتين إلى ثلاث مئة ففيها ثلاث ، فإذا زادت على ثلاث مئة ففي كل مئة شاة ، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها إلخ .

(١) أبو داود (١٥٧٦) : عن معاذ رضي الله عنه قال : بعني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبيعة ، ومن كل أربعين بقرة مسنة .

(وإن ترد أدنى نصاب في الغنم فأربعون فيه شاة حيث تم)
 (إحدى وعشرين أجمعن مع المته فصا اثنتان قدر فرض أجزيه)
 (والمئتان حيث زادت واحده فيها ثلاث من شياه وارده)
 (وحيث صارت أربعاً مئينا فيها شياه أربع يقينا)
 (وهكذا تكرر للشاة من بعد ذا بعدد المئات)

(وإن ترد) أيها الفقيه معرفة (أدنى) أي : أقل ، أي : أول (نصاب في الغنم . فأربعون فيه شاة) أي : في نصابها شاة (حيث تم) النصاب جذعة من الضأن لها سنة ، أو ثنية من المعز لها سنتان . وفي مئة و (إحدى وعشرين) شاتان ، وفي مئتين وواحدة ثلاث شياه ، وفي أربع مئة أربع شياه ، ثم في كل مئة شاه . هذا ملخص كلام الناظم ، فلو تفرقت ماشية المالك في أماكن فهي كالتي في مكان واحد ، حتى لو ملك أربعين شاة في بلدين لزمته الزكاة . ولو ملك ثمانين في بلدين في كل أربعين لا يلزمه إلا شاة واحدة وإن بعدت المسافة بينهما ، خلافاً للإمام أحمد ، فإنه يلزمه عند التباعد شاتان .

فصل : في زكاة خلطة الأوصاف

وتسمى خلطة الجوار وبيان الاشتراك وشروطها

(وفي الخليطين الزكاة تعتبر زكاة شخص واحد فقط ومَر)
 (أن يتحد مراحها والمشرَب ومسرح الجميع ثم المحلب)
 (والفحل والمرعى كذلك الراعي ومطلقاً في شركة الشياخ)

اعلم أن الخلطة نوعان : خلطة جوار ، وخلطة اشتراك وقد يعبر عنها بخلطة الأعيان .

وقد ذكر الناظم النوع الأول بقوله : (وفي الخليطين الزكاة تعتبر . زكاة شخص واحد فقط ومَر) ويشترط لتأثير الخلطة أن يكون المجموع نصاباً ، وأن يكون الخليطان من أهل وجوب الزكاة ، وأن تدوم الخلطة في جميع السنة . وتختص خلطة الجوار بالاشتراك في أمور^(١) :

(١) لحديث أنس المطول المتقدم رواه البخاري (١٤٥٠) وفيه : « ولا يجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع ، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية .. » . وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرواه الدارقطني ١٠٤/٢ ، والبيهقي ١٠٦/٤ . ولفظه : « لا يفرق بين مجتمع ، ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة ، والخليطان ما اجتماعا في الحوض والفحل والراعي » .

الأول : اتحاد المراح ، قال : (أن يتحد مراحها) وهو - بضم الميم - مأواها ليلاً .

الثاني : اتحاد المشرَب وهو - بفتح الميم - موضع شرب الماشية سواء كان من نهر أو من غيره .

والثالث : اتحاد المسرح وهو - بفتح الميم وإسكان السين - اسم للموضع الذي تسرح فيه ثم تساق إلى المرعى .

والرابع : اتحاد المحلب وهو - بفتح الميم - موضع الحلب .

والخامس : اتحاد الفحل الذي يضربها ، إلا إذا اختلف النوع كضأن ومعز ، فلا يضرب اختلافه قطعاً للضرورة .

والسادس : اتحاد المرعى وهو - بفتح الميم - اسم للموضع الذي ترعى فيه .

والسابع : اتحاد الراعي ، ومعناه كما في « الروضة » : أن لا يختص أحدهما براع ، ولا يضرب تعدد الرعاة ، ولا يشترط اتحاد الحالب الذي يحلب اللبن على الأصح كجأراً صوف الغنم والإناء الذي يحلب فيه ؛ ولهذا عدل الناظم عن قول أصله : والحالب واحد ؛ لضعفه ، وأبدله بقوله : (كذلك الراعي) فإذا وجدت هذه الشروط صار المالان كالمال الواحد .

تنبيه : الأظهر تأثير خلطة الثمر والزروع والنقد وعروض التجارة باشتراك أو مجاورة كما في الماشية ، وإنما يؤثر خلطة الجوار في الثمر والزروع والشجر بشرط أن لا يتميز الناطور ، وهو - بالمهملة أشهر من المعجمة - حافظ الزروع والشجر ، والجرين وهو - بفتح الجيم - موضع تجفيف الثمار ، والبيدر وهو - بفتح الموحدة والدال المهملة - موضع تصفية الخنطة ؛ وفي النقد وعروض التجارة بشرط أن لا يتميز الدكان والحارس ومكان الحفظ ، وكذا الميزان والوازن والنقاد والمنادي والحراث وجذاذ النخل والكيال والحمال والمتعهد والملقح والحصاد . وإنما اعتبر الاتحاد في ذلك ليجتمع المالان كالمال الواحد ولتخف المؤنة .

وأما النوع الثاني : وهو خلطة الاشتراك وفيه مثل خلطة الجوار ، وهو المراد بقول الناظم من زيادته : (ومطلقاً في شركة الشياخ) والمراد منها أن لا يتميز نصيب أحدهما عن الآخر ، كإشية ورثها اثنان أو ابتاعها ، فهي شائعة بينهما .

فصل : في بيان نصاب الزروع والثمار

وما يجب إخراجها

(وتـلـزمُ الزكاة في الزروع)	(بشرط كونها من المزروع)
(وأن يكون الحب قوتاً مدخراً)	(وما على نخل وكرم من ثمر)
(ثم النصاب خمسة من أوسق)	(والفرس عُشر ما بسيل قد سقي)
(وما سقي بالنضح نصف عشره)	(وقسط كل منهما بقدره)
(وكل وسق كيله بالصاع)	(ستون أي في سائر البقاع)
(وقدر هذا الصاع بالأمداد)	(أربعة في سائر البلاد)
(ووزن هذا المد بالعراقي)	(رطل وثلاث وهو باتفاق)
(والخلف في رطل العراق قد سما)	(في وزنه أي كم يكون درهم)
(قال النواوي مئة ورُبْعُها)	(وبعدها ثلاثة تتبعها)
(واجمع لها أربعة الأسباع)	(من درهم أيضاً بلا نزاع)

اعلم أن الزكاة تجب في الأقوات ، وهي من الحبوب : الحنطة والشعير والأرز والعدس والحمص والبقلا والدخن والذرة واللوبياء والماش والمهرطمان وهو الجلبان ، ومن الثمار : النخل والعنب . ووجه وجوب الزكاة في هذه الأشياء أن النبي ﷺ أخذ الزكاة من كثير منها ، وألحق الباقي به لشمول معنى الاقتيات لجميعها وصلاحتها للاختار وعظم منافعها ، وما عدا هذه لم يختلف قول الشافعي في معظمها : إنه لا زكاة فيها . ولا يكفي في وجوب الزكاة كون الشيء مقتاتاً على الإطلاق ، بل الشرط أن يكون ينبت الآدميون ، وهذا مراد الناظم بقوله من فوائده الزائدة : (وتلزم الزكاة في الزروع . بشرط كونها من المزروع) بأن يزرعه المالك أو نائبه ، فلا زكاة فيما انزوع بنفسه أو زرعه غيره بغير إذنه . (وأن يكون الحب قوتاً مدخراً . وما على نخل وكرم من ثمر) أما الزيتون والزعفران والورس والقرطم والعسل فلا تجب الزكاة في شيء منها . (ثم النصاب) المعتبر في المعتبرات (خمسة من أوسق) لقوله ﷺ : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة »^(١) والأوسق جمع وسق بفتح الواو وكسرهما ، وسمي به لأنه يجمع الصيعان (والفرس) في خمسة أوسق (عُشر ما) أي : الذي (بسيل) - بالتينوين - أو بماء السماء ، أو بماء انصب من جبل ، أو نهر ، أو عين (قد سقي) .

(١) رواه البخاري (١٤٠٥) ، ومسلم (٩٧٩) . أوسق جمع وسق ، والوسق ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد ، والمد رطل وثلاث بالبغدادي ، ويعادل بالحجم مكعباً طول ضلعه ٩٧/٧٤ سنتي متراً ، وقدرها جماعة بتسع مئة ليتر كيلاً .

وما سقي بالدولاب^(١) الفرض فيه نصف عشره لقوله ﷺ : « فيما سقت السماء و العيون أو كان عشرياً العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر »^(٢) . وقد انعقد الإجماع على ذلك كما قال البيهقي^(٣) وغيره ، والمعنى فيه كثرة المؤنة وخفتها كما في المعلوفة والسائمة . والعثري - بفتح المهملة والمثلثة ، وقيل : بإسكانها - ما سقي بالسيل . والناضح : ما يسقى عليه من بعر أو نحوه ، والأنثى ناضحة . وفيما سقي بالتنوين كالنضح والمطر يقسط باعتبار مدة عيش الثمر والزروع ونمائها لا بأكثرهما ، ولا بعدد السقيات كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (وقسط كل منهما بقدره) فلو كانت المدة من يوم الزرع مثلاً إلى يوم الإدراك ثمانية أشهر واحتاج في أربعة منها إلى سقية فسقي بالمطر ، وفي الأربعة الأخرى إلى سقيتين فسقي بالنضح وجب ثلاثة أرباع العشر ، وكذا لو جهلنا المقدار في نفع كل منهما باعتبار المدة أخذنا بالأوسق ، أو احتاج في ستة منها إلى سقيتين فسقي بماء السماء ، وفي شهرين إلى ثلاث سقيات فسقي بالنضح وجب ثلاثة أرباع العشر ورابع نصف العشر ، ثم أخذ في بيان الوسق بقوله من فوائده الزيدة : (وكل وسق كيله بالصاع . ستون) صاعاً ، وقدر هذا الصاع بالأمداد أربعة (ووزن هذا المد بالعراقي) أي : بالبغدادي (رطل وثلاث ، وهو باتفاق) الشيخين النووي والرافعي . (والخلف) بينهما (في رطل العراق قد سما . في وزنه أي كم يكون درهما) قال الإمام النووي : إنه مئة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم ، وهو مراد الناظم بقوله : (قال النواوي) إلى آخر الآيات . وقال الرافعي : مئة وثلاثون درهماً ، والنصاب المذكور تحديداً كما في نصاب المواشي وغيرها ، والعبرة فيه بالكيل . على الصحيح . وإنما قدر بالوزن استظهاراً ؛ فالوسق بالوزن ألف رطل وست مئة رطل بالعراقي ، وكيله بالإردب المصري ستة أرباب ورابع إردب ، كما قاله القموني ، يجعل القدحين صاعاً لزكاة الفطر ، خلافاً للسبكي في جعلها خمسة أرباب ونصف وثلاث ؛ لأنه جعل الصاع قدحين إلا سبكي مد . وقول الناظم : مدخر ؛ وقوله : في سائر البقاع ، تكملة وإيضاح ، وكذا قوله : في سائر البلاد .

تتمة : إنما تجب الزكاة فيما ذكر بِلُؤْ صلاح الثمرة ؛ لأنه حينئذ ثمرة وهو قبل ذلك بقل ، فالحول غير شرط هنا كما مرت الإشارة إليه . قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١]

(١) ويشمل اليوم أي آلة يدوية ، أو بواسطة حيوان ، أو مضخة كهربائية أو على البترول ويجمعها : ماسقي بكلفة .

(٢) رواه البخاري (١٤٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، العثري من الشجر : ماسقته السماء أو انتص بعروقه من الأرض . وروى مسلم (٩٨١) عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال : « فيما سقت الأنهار والغمم العثري ، وفيما سقي بالسانية نصف العشر » ، وفي رواية أبي داود (١٥٩٩) : « أو كان بعلاً العشر » .

السانية : آلة تستعمل لرفع الماء ، وتسمى الدولاب أيضاً البعل : ما سقته السماء .

(٣) انظر « السنن » ١٣٠/٤ - ١٣١ .

باب : زكاة النقدين

وفيه زكاة المعدن والركاز والتجارة ، والمراد بالنقدين : الذهب ، والفضة . والأصل في ذلك قبل الإجماع مع ما يأتي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ [شوبة : ٣٤] والكنز : هو الذي لم تؤد زكاته .

واعلم أن الذهب والفضة من أشرف نعم الله تعالى على عباده ، إذ بهما قوام الدنيا ونظام أحوال الخلق ، فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تقضى بهما ، بخلاف غيرهما من الأموال ، فمن أبطل الحكمة التي خلقها الله كمن حبس قاضي البلد ومنعه أن يقضي حوائج الناس . ثم قال :

(وتلزم الزكاة في النقدين وإن يكونا غير مضرابين)
 (سوى حلي المرأة المباح ولو كسيراً قابل للإصلاح)
 (فمن حوى عشرين مثقالاً ذهب حولاً ففيها نصف مثقال وجب)
 (أو مئتين من دراهم الورق فخمسة دراهم للمستحق)
 (وخذ لكل زائد بقدره ونسبة المأخوذ ربع عشره)
 (وإن يكن من معدن يستخرج فربع عشر منه حالاً يخرج)
 (وفي الركاز الخمس فوراً يخرج وهو الدفين الجاهلي المخرج)

أي : (وتلزم الزكاة في النقدين) للآية المارة وغيرها من الأخبار الصحيحة (وإن يكونا غير مضرابين * سوى حلي المرأة المباح) من ذهب وفضة كخلخال ، فلا تلزم الزكاة فيه ؛ لأنه معد لا استعمال مباح ، فأشبه العوامل من النعم^(١) . وأشار الناظم بقوله من زيادته : (ولو كسيراً قابل الإصلاح) إلى أنه لو انكسر الحلي المباح للاستعمال وقصد إصلاحه وأمكن بلا صوغ فإنه لا تلزم الزكاة فيه وإن دام أحوالاً ؛ لدوام صورة الحلي وقصد إصلاحه ، ويزكى المحرم من حلي أو من غيره كالأواني بالإجماع ، وكذا المكروه كالضبة الكبيرة من الفضة للحاجة والصغيرة للزينة ، ومن المحرم الميل للمرأة وغيرها فيحرم عليها . نعم لو اتخذ شخص ميلاً من ذهب أو فضة لجلاء عينه فهو

(١) ولأثر يروى عن جابر : لا زكاة في الحلي ، وأثار أخرى عن ابن عمر وعائشة أيضاً . انظر « تلخيص الجبر » ١٧٦/٢ . وأما حديث : المرأتين اللتين أتتا رسول الله ﷺ وفي أيديهما سواران من ذهب فقال لهما : « أتوديان زكاته ؟ » قالتا : لا . فقال لهما رسول الله ﷺ : « أتجنان أن يسوركا الله بسوارين من نار ؟ » قالتا : لا . قال : « فأديا زكاته » رواه الترمذي (٦٣٧) وضعفه ، وأبو داود (١٥٦٣) ، والنسائي ٣٨/٥ . وقد كان شيخنا حسن حينكة رحمه الله تعالى يقول : يجب الزكاة في الحلي بشروط ١- أن يكون فيه تبذير . ٢- أن يكون مُحَرَّمًا كأن يصاغ بتصاوير . ٣- أن يراه غير مُحَرَّم أو عشير .

مباح ، فلا زكاة فيه . والسوار والخلخال للبس الرجل بأن يقصد اتخاذهما فهما محرمان بقصده ، فلو اتخذ الرجل سواراً مثلاً بلا قصد لا للبس ولا لغيره ، أو يقصد إجارتها لمن له استعماله بلا كراهة ، فلا زكاة فيه . لانتفاء القصد المحرم والمكروه . وخرج بالنقدين سائر الجواهر كاللؤلؤ والياقوت ، فلا زكاة فيهما ؛ لعدم وروده في ذلك إذا تقرر هذا (فمن حوى عشرين مثقالاً ذهب) بالوقف للوزن (حولاً^(١) أي : في حوّل بأن استقر النصاب بتأمله في جميع الحوّل (ففيها نصف مثقال) تحديداً (وجب) إخراجها (أو) حوى (مئتين من دراهم الورق) بكسر الراء ، أي : الفضة (فخمسة دراهم) تعطى (للمستحق) الآتي ، وذلك لقوله ﷺ : « ليس في أقل من عشرين ديناراً شيء ، وفي عشرين نصف مثقال »^(٢) وقوله ﷺ : « وفي الرقة ربع العشر »^(٣) . (وخذ لكل زائد) على النصاب ولو يسيراً (بقدره) أي : بحسابه ، أي : ولا وقص في الذهب والفضة لعدم وروده ، ولا مكان التجزئ بلا ضرر ، بخلاف النعم كما مر ، فالمأخوذ من النقدين ربع العشر كما أشار إليه الناظم بقوله : (ونسبة المأخوذ ربع عشره) والمراد بالوزن وزن مكة ؛ لقوله ﷺ : « المكّيال مكّيال المدينة ، والوزن وزن مكة »^(٤) وهذا المقدار تحديد ، فلو نقص في ميزان وتم في آخر فلا زكاة للشك في النصاب . والمثقال لم يتغير جاهلية ولا إسلاماً ، وهو اثنان وسبعون حبة ، وهي شعيرة معتدلة لم تقشر وقطع منها ماديّ وطال .

تنبيه : لا يكمل نصاب أحد النقدين بالآخر ، ويكمل الجيد بالبرديء من الجنس الواحد وعكسه ، ولا شيء في المغشوش حتى يبلغ خالصه نصاباً . وقول الناظم : (وإن يكن) أي : ما ذكر من نصابي الذهب والفضة (من معدن) بكسر الدال وفتحها ، أي : مكان يخلقه الله فيه (يستخرج) ذلك ، أي : يستخرجه من هو من أهل الزكاة من أرض مباحة أو مملوكة له (فربع عشر منه حالاً يخرج) فيشترط فيه النصاب لا الحوّل ؛ لأن الحوّل إنما يعتبر لأجل تكامل الثماء ، والمستخرج من المعدن ثماء في نفسه ، فأشبه الثمار والزروع ، ووقت الإخراج عقب التخليص والتنقية من التراب ونحوه . وقوله : (دراهم) بالصرف للضرورة . (وفي الركاز الخمس) أي : لما رواه

(١) الحديث : « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » . رواه عن علي رضي الله عنه أبو داود (١٥٧٣) ، والبيهقي ٩٥/٤ . وعن أنس وعائشة الدارقطني ٩١/٢ .

(٢) وفي رواية أبي داود (١٥٧٣) عن علي رضي الله عنه : « وليس عليك شيء حتى يكون عشرين ديناراً فإذا كان لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ؛ ففيها نصف دينار ، وما زاد فبحسب ذلك » .

(٣) رواه البخاري (١٤٥٤) عن أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٣٣٤٠) ، والنسائي ٢٨٤/٧ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح قاله ابن الملقن في « خلاصة البدر المنير » (١٠٥٥) .

تنبيه : علم مما تقرر أن الشروط ثلاثة : الإسلام ، وغروب الشمس من آخر يوم من رمضان ، واليسار . وبقي شرط رابع وهو الحرية ، فلا فطرة على رقيق لا عن نفسه ولا عن غيره ، فإذا تقرر ذلك فليخرج الإنسان ندباً يوم العيد قبل صلاته للاتباع ، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذر كغيبه ماله أو المستحقين . واعلم أن الفطرة قد يؤديها الإنسان عن نفسه وقد يؤديها عن غيره ، لقوله ﷺ : « أدوا الصدقة عمن تمونون »^(١) وجهات التحمل ثلاثة : القرابة ، والنكاح ، والمالك ، وكلها تقتضي لزوم الفطرة في الجملة . وقد ذكر الناظم الثلاثة بقوله : عن نفسه ؛ أي : فليخرج عن نفسه والأهل والأزواج والقرابة والعبيد - أي : الأرقاء - من المسلمين . وضابط ذلك أن من لزمه فطرة نفسه لزمه فطرة من لزمه نفقته بملك أو قرابة أو زوجية إن كانوا مسلمين ووجد ما يؤدي عنهم . وكلام الناظم شامل لذلك ، إذ قوله صادق بالزوجية والقرابة كما قررت ، لكن يستثنى من هذا الضابط مسائل :

منها : لا يلزم المسلم فطرة الرقيق والقريب والزوجة الكفار وإن وجبت نفقتهم ، لقوله ﷺ في الخير السابق : « من المسلمين » .

ومنها : لا يلزم العبد فطرة زوجته حرة كانت أو غيرها وإن أوجبنا نفقتها في كسبه ونحوه ؛ لأنه ليس أهلاً لفطرة نفسه فكيف يتحمل عن غيره ؟

ومنها : مسائل آخر تطلب من كتب المذهب المبسوطة ، فلا نطيل بها . وقول الناظم : (صاعاً لكل واحد) أشار به إلى أن الواجب في الفطرة عن كل نفس صاع للخير المار . وتقدم معرفة وزن الصاع في زكاة النبات ، والأصل فيه الكيل ، وإنما قدره العلماء بالوزن استظهاراً ، والعبارة بالصاع النبوي إن وجد أو معياره ، فإن فقد أخرج قدر يتيقن أنه لا ينقص عن الصاع . قال في « الروضة » : قال جماعة : الصاع أربع حفنات بكف رجل معتدله . انتهى . وهو بالكيل المصري قدحان ، وينبغي أن يزيد شيئاً يسيراً لاحتقال اشتغالهما على طين أو تبن أو نحو ذلك . وقد قال ابن الرفعة : كان قاضي القضاة عماد الدين السكري رحمه الله تعالى يقول حين يخطب بمصر خطبة عيد الفطر : والصاع قدحان بكيل بلدكم هذه سالم من الطين والعيب والغلت^(٢) ، ولا يُجزىء في

بلدكم هذه إلا القمح . انتهى . وقد قال القفال الشاشي في « محاسن الشريعة » معنى لطيفاً في إيجاب الصاع ذكرته في « شرح الزبد » [ص : ٦٩] فليراجعه من أراد^(٣) . وقول الناظم من زيادته : (أو ما وجد) أشار به إلى أن من أيسر بيع صاع لزمه إخراجه كما هو الأصح ، ولو وجد بعض الصيغان قدم نفسه ثم زوجته ثم ولده الصغير ثم الأب ثم ولده الكبير . ويجب أن يكون الصاع (من غالب الأقوات في ذلك البلد) إن كان بلداً ، أو في غيره من غالب قوت محله ؛ لأن ذلك يختلف باختلاف النواحي . والمعتبر في القوت غالب قوت السنة كما في « المجموع » لا غالب القوت وقت الوجوب ، خلافاً للغزالي في « وسيطه » ، وجنس الصاع الواجب الذي فيه العشر أو نصفه . ويجزى الأقط للغبوة في « الصحيحين » وهو لبن يابس غير متزوع الزبد ، وفي معناه لبن وجبن لم ينزع زبداهما . وقوله من زيادته : (ولم تجب) أي : الفطرة (عن) امرأة (ناشز) ، وهي الخارجة عن طاعة زوجها ؛ لسقوط نفقتها كما يأتي في باب النشوز إن شاء الله تعالى ، بل تخرج عن نفسها . (و) لا عن (كافر) لما تقدم . وقوله : (بل الأدا في الحال عن مسافر) ردّ به على قول مرجوح : إن زكاة العبد الغائب لا تجب إلا عند عودته . والمذهب كما في « المنهاج » وغيره : العبد إذا انقطع خبره عن تواصل الرفاق يجب إخراج فطرته في الحال ، ولا يقاس على زكاة المالك الغائب ؛ لأن المهلة شرعت لمعنى الثماء وهي غير معتبرة ، ولعل ما جرى عليه الناظم سبق قلم أو نظر ، أو لعله قال : ولا الأدا في الحال عن مسافر ، فصحفه كاتب والله أعلم .

تنبيهان : أولهما : يجب صرف زكاة الفطر على الأصناف الثمانية . وقيل : يكفي الدفع إلى ثلاثة من الفقراء والمساكين ؛ لأنها قليلة في الغالب ، وبهذا قال الإصطخري . وقيل : يجوز صرفها لواحد ، وهو مذهب الأئمة الثلاثة وابن المنذر . وحكى الرافعي عن صاحب « التنبيه » جواز صرفها إلى واحد . قال الأذري : وعليه العمل في الأعصار والأمصار وهو المختار ، والأحوط دفعها إلى ثلاثة .

ثانيهما : لو دفع فطرته إلى فقير ممن تلزمه الفطرة فدفعها الفقير إليه عن فطرته جاز للدافع أخذها .

فصل : في قسم الصدقات

أي : الزكاة على مستحقها ، وسميت بذلك لإشعارها بصدق باذنها .

(١) وهو : أن الناس تمتنع غالباً من الكسب في العيد وثلاثة أيام ، ولا يجد الفقير من يستعمله فيها لأنها أيام سرور وراحة عقب الصوم ، والذي يتحصل من الصاع عند جمعه خبزاً ثمانية أرطال ، ... وهي كفاية الفقير في أربعة أيام .

(٢) من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الدارقطني ١٤١/٢ ، ومن طريقه البيهقي ١٦١/٤ ، ومن حديث علي كرم الله وجهه الشافعي (٦٥٦) ، والبيهقي ١٦١/٤ ونحوه حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « ابدأ بنفسك ، ثم بمن تعول » رواه البخاري (١٤٢٦) ، ومسلم (١٠٤٢) .

(٣) قال في « القاموس » أَلْت بالتحريك : الغلط في الحساب .

(وتدفع الزكاة للأصناف)
 (فقيرنا ومثله مسكيننا)
 (مكاتب وغارم وغازي)
 (والواجب استيعابهم بالقسمة)
 (وعند فقد بعضهم من البلد)
 (وواجب ثلاثة فأكثر)
 (وأوجبوا حيث الإمام فرقا)
 (ولم تقع عن فرض من أعطاهما)
 (أو لغني أو رقيق مطلقا)
 (لكن لغاز أجزأت مع الغني)
 (وعدهم في الذكر غير خاف)
 (وعامل وداخل في ديننا)
 (مع منشيء الأسفار أو مجتاز)
 (إن يوجدوا ويحصروا في البلدة)
 (فليقتصر على الذي منهم وجد)
 (من كل صنف أهله لم يحضروا)
 (تعميمهم ولو بنقل مطلقا)
 (لكافر ولا لآل طه)
 (ومن عليه ذو الزكاة أنفق)
 (وغارم لفتنة قد سكتنا)

(وتدفع الزكاة) المتقدم ذكرها (للأصناف) الثانية المذكورين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة : ٦٠] وهذا مراده بقوله : (وعدهم في الذكر) أي القرآن (غير خاف) . وقد علم بالخصر أنها لا تنصرف لغيرهم وهو يجمع عليه ، وإنما الخلاف في استيعابهم . فالأول من الأصناف المذكورة : الفقير ، وهو من لا مال له ولا كسب لائق به يقع جميعهما أو مجموعهما وقعا من كفايته مطعما وملبسا ومسكنا أو غيرها مما لا بد منه ، كمن يحتاج إلى عشرة ولا يملك ولا يكتسب إلا درهمين أو ثلاثة أو أربعة ، وسواء كان ما يملكه نصابا أم أقل أم أكثر . والثاني : المسكين ، وهو من له مال أو كسب لائق به يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه ، كمن يملك أو يكسب سبعة أو ثمانية ولا يكفيه إلا عشرة ، ولا يمنع فقر الشخص مسكنته وثيابه وعبدته الذي يحتاجه لخدمته وماله الغائب بمرجلتين والمؤجل وكسب غير لائق . والثالث : العامل على الزكاة كساع يجيبها ، أو كاتب يكتب ما أعطاه أرباب الأموال ، وقاسم وحافظ للأموال ، وحاشر يجمع أرباب الأموال ويحشرهم ليأخذ الساعي منهم الزكاة ، لا والٍ وقاضٍ فلا حق لهما في الزكاة ، فإن رزقهما في خمس الخمس المرصد للمصالح . والرابع : المؤلفة قلوبهم ، وهو جمع مؤلف ، وهو من أسلم ونيته في الإسلام ضعيفة كما قال الناظم : (وداخل في ديننا) فيتألف ليقوى إيمانه ، أو من أسلم ونيته في الإسلام قوية ولكن له شرف في قومه يتوقع بإعطائه إسلام غيره ، أو متألف على قتال مانعي الزكاة أو أعادينا . والخامس : الرقاب وهم المكاتبون كتابة صحيحة لغير مرك ، فيعطون ولو بغير إذن ساداتهم ولو قبل حلول النجوم ما يعينهم على العتق إن لم يكن معهم ما يفي بنجومهم . أما مكاتب المركي فلا يعطى من زكاته شيئا لعود الفائدة إليه مع كونه ملكه .

والسادس : الغارم وهو ثلاثة أقسام : من استدان لنفسه في مباح وهو معسر ، والغارم لإصلاح ولو غنيا ، والغارم للضمان إن أعسر مع المدين ، أو هو وحده وقد ضمن بغير إذنه . والسابع : سبيل الله تعالى وهو الغازي الذكر المتطوع بالجهاد ، فيعطى ولو غنيا إعانة له على الغزو . والثامن : ابن السبيل ، وهو منشيء سفر من بلد مال الزكاة ، أو مجتاز في سفره إن احتاج ولا معصية بسفره . (والواجب استيعابهم) أي : الأصناف الثمانية (بالقسمة) بأن يحضروا أو يحضروا في البلدة ؛ لأن الله تعالى أضاف الصدقة إليهم بلام التليك ، وشرك بينهم بلام التشريك . (وعند فقد بعضهم من البلد ..) فيقتصر في الإعطاء (على الذي منهم وجد) وجوبا ، وتعميم من وجد منهم واجب أيضا إن لم يحضروا بالبلدة أو انحصروا ولا وفي بهم المال (ثلاثة فأكثر . من كل صنف أهله لم يحضروا) لذكره في الآية بصيغة الجمع ، وهو المراد بـ ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الذي هو للجنس ، إلا العامل فإنه يسقط إذا قسم المالك . (وأوجبوا حيث الإمام) أو نائبه (فرقا . تعميمهم) أي : الأصناف (ولو بنقل) الزكاة ، إذ يجوز له نقلها (مطلقا) بخلاف المالك فإنه يحرم عليه ، فلا يجوز نقل الزكاة من بلد وجوبها مع وجود المستحقين إلى بلد آخر ، فإن عدت الأصناف في بلد وجوبها أو فضل عنهم شيء رد نصيب البعض أو الفاضل عنه إلى الباقي إن نقص نصيبهم عن كفايتهم .

توضيح لما تقدم : يجب تعميم الأصناف الثمانية في القسم إن أمكن ، بأن قسم الإمام ولو نائبه ووجدوا لظاهر الآية ، فإن لم يمكن بأن قسم المالك إذ لا عامل ، أو الإمام ووجد بعضهم وجب الدفع إلى من يوجد منهم ، أو تعميم من وجد منهم ، وعلى الإمام تعميم أحاد كل صنف ، وكذلك إن انحصروا بالبلد وفي بهم المال ، فإن لم ينحصروا أو انحصروا ولا وفي بهم المال لم يجز الاقتصار على أقل من ثلاثة من كل صنف لما مر .

تنبيه : لو امتنع المستحقون من أخذ الزكاة قوتلوا .

فرع : لو كان له دين على غيره فقال : جعلته عن زكاتي لم يُجزه على الصحيح حتى يقبضه ، ثم يردّه إليه . ولا تصح الزكاة للكافر كما أشار إليه الناظم بقوله : (ولا تقع) أي : الزكاة (عن فرض من أعطاهما . لكافر) لخبر الصحيحين [البخاري (١٣٩٥) ، ومسلم (١٩)] : « صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » . (ولا لآل طه) ﷺ ، وهم بنو هاشم^(١) وبنو المطلب^(٢) ، فلا تحمل لهم

(١) وهو أبو - جد النبي ﷺ - عبد المطلب ، واسمه عمرو ، ولقب بهاشم لكثرة ما هشم من الحزب لإطعام الناس .

(٢) والمطلب هو ابن عبد مناف أخو هاشم الأصغر ، ولقوله ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم ، شيء واحد » رواه البخاري

لقوله ﷺ : « إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنما لا تحلّ لحمد ولا لآل محمد » رواه مسلم [١٠٧٢] ، وقال : « لا أحلّ لكم أهل البيت من الصدقات شيئاً ، إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم ، أو يغنيكم »^(١) ولا تحلّ أيضاً لمواليهم لخير : « مولى القوم من أنفسهم »^(٢) نعم يجوز أن يكون الحمال والكيال والوزان والحافظ كافراً أو هاشمياً أو مطلبياً ، ولا يجوز دفع الزكاة أيضاً لغني بمال حاضر عنده أو كسب لائق به يكفي ، ولا لرفيق غير مكاتب ؛ إذ لاحق فيها لمن به رِقٌّ غير المكاتب ، وهذا مراده بقوله : (أو لغني أو رقيق مطلقاً) أو لمن تلزم المزكي نفقته كما قال : (ومن عليه ذو الزكاة أنفقاً) أي : بزوجية أو بعضية ، أي : لا تدفع إليهم باسم الفقراء أو المساكين لغناهم بذلك ، وله دفعها إليهم من سهم باقي الأصناف إن كانوا بتلك الصفة ، إلا المرأة لا تكون عاملة ولا غازية كما في « الروضة » . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (لكن لغاز أجزأت مع الغني) لما مر (وغارم لفتنة قد سكننا) كأن خاف فتنة بين فئتين تنازعنا في قتيل لم يظهر قاتله ، فيحمل الدية تسكيناً للفتنة ، فيعطى ولو غنياً ترغيباً في هذه المكرمة . وقول الناظم : يحصروا بمشاة تحتية مضمومة ، وحاء مهملة ساكنة ، وصاد مهملة مفتوحة ، وراء : من الحصر ، والألف في قوله : فرقا ، فاتفقا ، وسكننا ؛ للإطلاق .

خاصة : يسن للإمام أن يعلم شهراً لأخذ الزكاة ، ويسن أن يكون المحرم ؛ لأنه أول السنة الشرعية . قال النووي رحمه الله تعالى : يستحب لكل من أعطى زكاة أو صدقة أو كفارة أو نذراً أو نحوها أن يقول : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

كتاب الصيام

اعلم أن الناظم كغيره عقب كتاب الزكاة كتاب الصيام لمشاركته للزكاة في تركية الأبدان . والصيام والصوم لغة : الإمساك ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم : ﴿ إني نذرت للرحمن صوماً ﴾ [مريم : ٢٦] أي : إمساكاً وسكوتاً عن الكلام . وشرعاً : إمساكاً عن المفطرات على وجه مخصوص مع النية . والأصل في وجوبه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] أي : من الأمم الماضية ، قيل : ما من أمة إلا وقد فرض الله عليها الصيام ، إلا أنهم ضلوا عنه . أو التشبيه في أصل الصوم دون وقته ، وخبر : « بُني الإسلام على خمس »^(١) . وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة . وأركانه ثلاثة : صائم ، ونية ، وإمساك عن المفطرات . واعلم أنه لا يكره ذكر رمضان بغير شهر لعدم ثبوت نهي فيه ، بل ورد : « من صام رمضان »^(٢) « من قام رمضان »^(٣) الحديثان المشهوران .

(وبأئتيها شعبان للكمال) أو حكم قاض قبل بالهلال (شهر الصيام واجب الصيام بالعقل والبلوغ والإسلام) (وقدرة على أداء الصوم مع نية فرضاً لكل يوم) (وواجب تقديمها عن فجره وأجزأت في النفل قبل ظهره)

يجب صوم رمضان بإكمال شعبان ثلاثين يوماً ، أو رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ، أو حكم القاضي لقوله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين »^(٤) . وتثبت رؤيته في حق من لم يره بشهادة عدل لقول ابن عمر : أخبرت النبي ﷺ أنني رأيت الهلال ، فصام وأمر الناس بصيامه . رواه أبو داود [٢٣٤٢] ، وصححه ابن حبان [٣٤٤٧] ، والمعنى في ثبوته بالواحد الاحتياط للصوم . وهي شهادة حسبة ، ويكفي فيها : أشهد أنني رأيت

(١) لم أجد هذا اللفظ ولكن يؤيده مع خير مسلم قوله تعالى : ﴿ وآعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ الأنفال : ٤١ .

الغنيمة : المال المأخوذ من الكفار بالقتال . فأربعة الأخماس تدفع لأهل الحرب خاصة . والخمس يقسم على خمسة أسهم : سهم للرسول ، وسهم لذوي القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل . قاله الجمهور .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعن أبي رافع رواه أبو داود (١٦٥٠) ، والترمذي (٦٥٧) وقال : حسن صحيح .

(١) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٨) و (٤٥١٥) ، ومسلم (١٦) .

(٢) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٣٨) ، والنسائي ١٥٧/٤ ، وابن ماجه (١٦٤١) ولفظه : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٤١) ولفظه : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له » من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (١٩٠٩) ، ومسلم (١٠٨١) (١٩) .

الهلل ، والظاهر كما قال الأذري : إن الأمانة الدالة كروية القناديل المعلقة بالمناظر في آخر شعبان في حكم الرؤية . وإذا ثبت رمضان برؤية هلاله بمكان ثبت حكمه في حق من بمكان اتحد مطلعته بمطلع مكان الرؤية دون غيره على المتمد . ويجب الصوم أيضاً على من أخبره موثق به بالرؤية إذا اعتقد صدقه وإن لم يذكره عند القاضي . أما لو عرفه حاسب أو منجم فلا يلزمه به الصوم ، ولا يجوز لغيرهما ، ويجوز لهما ويجزئهما عن فرضهما على المتمد .

تنبيهات : الأول : محل ثبوت رمضان بعدل في الصوم . قال الزركشي : وتوابعه كصلاة التراويح ، والاعتكاف والإحرام بالعمرة المعلقين بدخول رمضان ، إلا في غير ذلك كدين مؤجل ، ووقوع طلاق وعق معلقين به .

الثاني : لا عبرة بقول من قال : أخبرني النبي ﷺ في النوم بأن الليلة أول رمضان . فلا يصح الصوم به بالإجماع ؛ لفقد ضبط الرأي لا للشك في الرؤية .

الثالث : مما عمت به البلوى تعليق القناديل ليلة الثلاثين من شعبان ، فتبيت النية اعتياداً عليها ، ثم تزال ويعلم بها من نوى ، ثم تبين نهائياً أنه من رمضان ، وقد أفتى بعض المتأخرين بصحة صومه بالنية المذكورة ؛ لبنائها على أصل صحيح ولا قضاء عليه ، فإن نوى عند الإزالة تركه لزمه قضاؤه .

الرابع : يثبت الشهر بالشهادة على الشهادة ، وإذا ثبت (شهر الصيام ..) بما تقدم وجب صومه (بالعقل) فلا يجب على مجنون ، إلا إذا أتم بمزيل عقله من شراب أو غيره فيجب ، ويلزمه قضاؤه بعد الإفاقة . (والبلوغ) فلا يجب على صبي كالصلاة ، ويؤمر به لسبع إن أطاق ، ويضرب على تركه لعشر . (والإسلام) فلا يجب على الكافر الأصلي ، بمعنى أنه لا يطالب به كالمسلم ، وإلا فهو مخاطب بفروع الشريعة على الأصح (وقدرة على أداء الصوم) فلا يجب على من لا يطيقه حساً أو شرعاً ككبر أو مرض لا يرجى برؤه أو حيض أو نحوه . وبما تقرر علم أن شرط وجوب الصيام أربعة : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والإفاقة . والتصريح بالإفاقة من زيادة النظم ، وكذا ما تضمنه البيت الأول ونصف البيت الثاني . وأما شروط الصحة فهي أربعة أيضاً ، وهي : الإسلام ، والعقل ، والنقاء عن الحيض والنفاس ، والوقت القابل ؛ ليخرج العیدان وأيام التشريق كما يأتي قريباً إن شاء الله تعالى . والنية فرض في الصوم كما قال : (مع نية) خبر : « إنما الأعمال بالنيات »^(١) ومحلهما القلب ولا تكفي باللسان قطعاً ، ولا يشترط التلفظ بها قطعاً . ويشترط لفرض

(١) أخرجه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

الصوم من رمضان أو غيره تنبيه ، وهو إيقاع النية ليلاً لقوله ﷺ : « من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له » رواه الدارقطني ١٧٢/٢ وقال : رجاله ثقات^(١) . وهو محمول على الفرض . وقول الناظم : (فرضاً) منصوب بتزاع الخافض ، أي : مع نية في الفرض . وقوله : (لكل يوم) أفاد به أنه لا بد من التبييت لكل يوم لظاهر الخبر ، ولأن صوم كل يوم عبادة مستقلة لتدخل اليومين بما يناقض الصوم ، كالصلاة يتخللها السلام ، ولا يشترط للتبييت النصف الأخير من الليل ، ولا يضر الأكل والجماع بعدها ، ولا يجب تجديدها إذا نام بعدها ثم انتبه ليلاً . (وواجب تقديمها عن فجره) أي : عليه لما مر ، ويجب التعيين في الفرض بأن ينوي كل ليلة أنه صائم غداً من رمضان ، أو عن نذر ، أو عن كفارة . (وأجزأت) أي : النية (في النفل قبل ظهره) أي : الزوال . ويشترط حصول شرط الصوم من أول النهار بأن لا يسبقها مناف للصوم .

تنبيه : ظاهر كلام الناظم أنه لو تسحر ليتقوى على الصوم لم يكن نية ، وبه صرح في « العدة » . والمتمد أنه لو تسحر ليصوم ، أو شرب ليدفع العطش نهائياً ، أو امتنع من الأكل أو الشرب أو الجماع خوف طلوع الفجر كان : تلك نية إن خطر بباله الصوم بالصفات التي يشترط التعرض لها ؛ لتضمن كل منها قصد الصوم . ولا يشترط التعرض للفرضية على الأصح في « المجموع » وإن كان مقتضى كلام « المنهاج » الاشتراط . ولا يشترط تعيين السنة كما لا يشترط الأداء . وكال تعيين في رمضان أن ينوي صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى . واعلم أن الصبي في تبييت النية لصحة صومه كالبالغ .

فرع : لو نوى ليلة الثلاثين من شعبان صوم غدٍ عن رمضان إن كان منه فكان منه لم يقع عنه ، إلا إذا اعتقد كونه منه بقول من يثق به من عبد أو امرأة أو فاسق أو مراهق ، فيصح ويقع عنه .

(وشرطه الإمساك عن تعاطي) مُفْطِرٌ عَمْدًا كَالاستِعْطَا (وأكله وشربه وحرقته) وَوُطْئُهُ وَفِيءُهُ وَوَرْدَتُهُ (كذلك الإنزال عن مباشرة) وَمَا بِإِحْلِيلٍ وَأَذَنَ قَطْرَةٍ (والحيض والنفاس والجنون) وَافْعَلْ ثَلَاثًا فَعَلَهَا مَسْنُون (فالفطر عَجَلٌ وَالسحور أَخَرٌ) وَقَوْلًا هَجَرَ فِي الصَّيَامِ فَاهْجَرَ (وشرطه) أَي : الصَّوْمِ (الإمساك عن تعاطي . مُفْطِرٌ) أَي : (عَمْدًا) وَمِثْلُ الْمَفْطَرِ بِأَشْيَاء .

منها : الاستعاط ، فيبطل الصوم بوصول شيء إلى الدماغ باستدخاله في الأنف .

ومنها : الأكل والشرب عمدًا ، فيبطل بهما الصوم . وإن أكل أو شرب ناسياً لم يفطر .

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورواه النسائي ١٩٦/٤ من حديث حفصة رضي الله عنها بلفظه أيضاً .

وإن كثر لخير الصحيحين : « من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه »^(١) . والحاصل أن ما وصل من عين وإن قلت كسمسة عمداً إلى مطلق الجوف من منفذ مفتوح أبطل الصوم ، سواء كان محل الغذاء أو الدواء كباطن الحلق والبطن والأمعاء وباطن الرأس ؛ لأن الصوم هو الإمساك عن كل ما يصل إلى الجوف ، فلا يضرب وصول دهن أو كحل بتشرب المسام ، كما لا يضرب اغتساله بالماء وإن وجد أثر الماء بباطنه . ولا يضرب وصول ريقه من معدن جوفه ، أو وصول ذباب أو بعوض ، أو غبار طريق ، أو غربة دقيق جوفه ؛ لعسر التحرز عنه . والتقطير في باطن الأذن مفطر ، ولو سبق ماء المضمضة أو الاستنشاق إلى جوفه نظر ؛ إن بالغ أفطر ، وإلا فلا .

ومنها : (حُفَنَتْه) أي : الصائم وهو - بضم المهملة - إدخال دواء أو نحوه في شرج فهي مبطل للصوم ، ومثلها دخول طرف أصبع في فرج حالة الاستنجاء ؛ فيفطر به ، والتقطير في باطن الإحليل أو إدخال أنبوب أو نحوه فيه مفطر ، وإذا أدخل الميسور مقعدته بأصبعه لم يفطر كما صححه البغوي لاضطراره إليه .

ومنها : وطؤه ، فيبطل الصوم بإدخال حشفته أو قدرها من مقطوعها عمداً مختاراً عالماً بالتحريم فرجاً ولو دبراً من آدمي أو غيره أنزل أم لا ، فلا يفطر بالوطء ناسياً ، ولا ممن أكره عليه إن قلنا بتصوره وهو الأصح ، ولا مع جهل تحريمه كالأكل والشرب .

ومنها : قيؤه عمداً ، فيبطل به الصوم وإن تيقن أنه لم يرجع منه شيء إلى الجوف ، بخلاف ما لو كان ناسياً .

ومنها : ردته لمنافاته العبادة أعادنا الله تعالى منها .

ومنها : الإنزال ولو قطرة عن مباشرة بنحو لمس كقبلة بلا حائل ؛ لأنه يفطر بالإيلاج من غير إنزال ، فبالإنزال مع نوع شهوة أولى ، بخلاف ما لو كان بمحائل أو بنظر أو فكر ولو بشهوة ؛ لأنه إنزال بغير مباشرة كاحتلام . ويعزم نحو اللبس كالقبلة إن حرك شهوة خوف الإنزال ، وإلا فتركه أولى .

(و) منها : (ما) أي : الذي (بإحليل وأذن قطره) فيبطل به الصوم كما مرت الإشارة إليه ، وهذا من زيادة الناظم . فيجب الإمساك عن تعاطي هذه الأمور كلها عمداً .

(١) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري (١٩٣٣) ، ومسلم (١١٥٥) ، ولفظ الترمذي (٧٢١) : « فإنما هو رزق رزقه الله » ثم قال : حسن صحيح ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(و) من مبطلات الصوم أيضاً : (الحيض) للإجماع على تحريمه وعدم صحته ، (والنفاس) دم يخرج عقيب الولادة ، (والجنون) لمنافاته العبادة . ومن مبطلات الصوم أيضاً : الولادة على الأصح في « التحقيق » ، وهو المعتمد خلافاً لما في « المجموع » من إلحاقها بالاحتلام ؛ لوضوح الفرق .

ثم أشار الناظم إلى بعض سنن الصوم ولو نفلاً بقوله : (وافعل) أيها الصائم (ثلاثاً فعلها مسنون * فالفطر عجل) هذا أولها ، فيسن تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس لخبر الصحيحين : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر »^(١) . زاد الإمام أحمد (١٤٧/٥) عن أبي ذر : « وأخروا السحور » ولما في ذلك من مخالفة اليهود والنصارى . ويكره تأخيرها إن قصد ذلك ورأى أن فيه فضيلة ، وإلا فلا بأس به ، ونقله في « المجموع » ويسن كونه على رطب ، فإن لم يجده فعلى تمر ، فإن لم يجده فعلى ماء . وقوله : (والسحور آخر) هذا ثانيها ، فيسن تأخير السحور ما لم يقع في شك في طلوع الفجر للخبر المار ، ولأنه أقرب إلى التقوى في العبادة ، فإن شك في ذلك كأن تردّد في بقاء الليل لم يسن له التأخير ، ويسن السحور لخبر : « تسحروا فإن في السحور بركة »^(٢) ويحصل بقليل من الطعام وكثيره ، ويدخل وقته بنصف الليل . وقوله : (وقول هجر في الصيام فاهجر) هذا ثالثها ، فيسن ترك الهجر من الكلام . واعلم - أرشدني الله وإياك - أن الشراح للأصل اختلفوا في قوله : وترك الهجر ؛ فضبطه بعضهم بفتح الهاء ، أي : ترك الهجران من الكلام جميع النهار ، واستدل لذلك بأنه عليه السلام رأى رجلاً قائماً فسأل عنه ، فقالوا : هذا أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال عليه السلام : « مروه أن يتكلم ، وأن يستظل ، وليقعد ، وليتم صومه » رواه البخاري [٦٧٠٤] قال : ولهذا يكره صمت يوم إلى الليل ، كما جزم به صاحب « التنبيه » وأقره . وضبطه بعضهم بضم الهاء وهو الاسم من الإهجار ، وهو الإفحاش في النطق من غيبة وغيرها . ووافقه الناظم بقوله : وقول هجر ؛ أي : فيصون الصائم لسانه عن قبيح الكلام كالكذب والغيبة والتمية والمشاقة وغيرها . فإن قيل : ترك الفحش من الكلام واجب ، فكيف يحسن عده من السنن ؟ فالجواب أن المعنى أنه يسن للصائم من حيث الصوم ، فلا يبطل صومه بارتكاب ذلك ، بخلاف ارتكاب ما يجب اجتنابه من حيث الصوم كالاستقاء^(٣) . قال السبكي رحمه الله : وحديث « خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء : الكذب ، والغيبة ،

(١) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري (١٩٥٧) ، ومسلم (١٠٩٨) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٢) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري (١٩٢٣) ، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من ذرعه فيء - وهو صائم - فليس عليه قضاء ، وإن استقاء فليقض » أخرجه أبو داود (٢٣٨٠) ، والترمذي (٧٢٠) ، وقال : حديث حسن غريب .

والنخمة ، والنظر بشهوة ، واليمين الكاذبة ^(١) : ضعيف ، ولم يصح . قال الماوردي : فالمراد بطلان الثواب لا الصوم . قال : ومن هنا حسن عَدَّ الاحتراز عنه من آداب الصوم وإن كان واجباً مطلقاً . ثم اعلم أنه قد بقي من سنن الصوم أمور :

منها ترك الشهوات التي لا تبطل الصوم كشم الرياحين والنظر إليها ، وترك نحو حجم وفصد ، وترك ذوق طعام أو غيره ، وترك غَلَك بفتح العين . ويسن الغسل عن الحدث الأكبر ليلاً ، وأن يقول عند فطره : اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ^(٢) ؛ وأن يكثر تلاوة القرآن ومدارسته في رمضان ، وأن يعتكف فيه لا سيما في العشر الأواخر منه ، لرجاء أن يصادف ليلة القدر التي هي كما قال الله تعالى : ﴿ خير من ألف شهر ﴾ [القدر: ٣] وأدلة ما ذكرناه شهيرة .

(والصوم في العيدين والتشريق لم يجز بحال بل فساده انحتم)
(ويوم شك مثلها فليمتنع ما لم يوافق عادة التطوع)
(أو صامه عن نذره أو عن قضا أو كان عن كفارة فيرتضى)
(لكن على ذي الرؤية المحققه صيامه وكل من قد صدقه)

(الصوم في العيدين) الفطر والأضحى (و) أيام (التشريق) الثلاثة (لم يجز بحال بل فساده انحتم) أما صوم العيدين فبالإجماع المسند إلى نهي الشارع ﷺ في خبر الصحيحين ^(٣) ، وأما أيام التشريق فللنهي عن صيامها كما رواه أبو داود [٢٤١٨] ^(٤) . وفي مسلم : عن كعب بن مالك [١١٤٢] : « أيام منى أيام أكل وشرب » وزاد في [١١٤١] عن ثبينة الهذلي : « وذكر لله تعالى » ^(٥) . (ويوم شك

(١) قال السيوطي في « الجامع الصغير » أخرجه الأزدي في « الضعفاء والمتروكين » ، والديلمي في « الفردوس » عن أنس . قال العزيري في « السراج المنير » ٢/٢٣٩ : بإسناد فيه كذاب . قال : المناوي : هو سعيد بن عنبسة فالخليفة موضوع .

(٢) قال المناوي في « أذكاره » (٥٣٩) : وروينا في « سنن » أبي داود (٢٣٥٨) عن معاذ بن زهره أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال : « اللهم الخ ... » هكذا رواه مرسلأ . فمعاذ بن زهره مرسل مقبول ، وبقي رجاله ثقات وهو في « مراسيله » (٩٩) .

(٣) روى مسلم (١١٣٨) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نهي عن صيام يومين ، يوم الأضحى ، ويوم الفطر . وروى الشيخان البخاري (١٩٩٠) ، ومسلم (١١٣٧) ، وأبو داود (٢٤١٦) ، والترمذي (٧٧١) عن مولى ابن أزهري سعد بن عبيد قال : شهدت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العيد فقال : هذان يومان نهي رسول الله ﷺ عن صيامهما يوم فطركم من صيامكم ، واليوم الآخر تأكلون من نسككم .

(٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : فهذه الأيام التي كان رسول الله ﷺ يأمرنا بإفطارها ، وينها عن صيامها . قال مالك : وهي أيام التشريق .

(٥) ورواه الدارقطني ١٨٦/٢ عن عبد الله بن حذافة السهمي بلفظ : « أيام منى أيام أكل وشرب وبعال » والبعال : ملاعبة الرجل أهله .

مثلها) أي : الأيام المذكورة (فليمتنع) صومه لتحريمه كما في « الروضة » و « المنهاج » و « المجموع » لقول عمار بن ياسر : من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصي أبا القاسم ﷺ ^(١) . (ما لم يوافق) صومه (عادة التطوع) كأن كان يسرد الصوم ، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً ، أو الاثنين والخميس ، فوافق صومه يوم الشك (أو صامه عن نذره أو عن قضا . أو كان) صومه (عن كفارة فيرتضى) صومه ولا يحرم ، بل يجب في النذر والقضاء والكفارة . ويسن فيما إذا وافق عادة تطوعه . ويوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إذا تحدث الناس برؤية الهلال ولم يشهد بها أحد ، أو شهد بها عدد من صبيان أو عبيد أو فسقة وظن صدقه . ومن انفرد برؤية الهلال وجب عليه الصوم ، وكذا من اعتقد صدقه كما مر أول الباب ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله من فوائده المزينة : (لكن على ذي الرؤية المحققة . صيامه) أي : يوم الشك وجوباً (وكل من قد صدقه) .

تتمة : يحرم الصوم بعد نصف شعبان ما لم يكن عن سبب ^(٢) ، أو وافق عادة له ، أو وصله بالنصف الأول ، بأن صام الخامس عشر واستمر صائماً ، فإن أفطر بعد ذلك ولو يوماً واحداً امتنع عليه الصوم بعد ذلك ، ومتى اعتاد صوم الاثنين والخميس في النصف الأول كان له صوم ذلك في النصف الثاني .

فصل : في بيان ما تجب فيه الكفارة والغدية

وغير ذلك مما يأتي

(ومن يجامع عامداً نهاراً فبالقضا ألزمه والكفارة)
(إعتاق عبد مؤمن وما به عيب يخل بعد باكتسابه)
(لكنّه إن لم يجد يصوم شهرين مع تابع يدوم)
(أو لم يطق فليطعمن مما غلب ستين مسكيناً لكل مدّ حب)
(وبعد ذا لم يسقط الوجوب بالعجز لكن يسقط الترتيب)

أي : (ومن يجامع) بتغيب جميع الحشفة أو قدرها من مقطوعها (عامداً) مختاراً عالماً بالتحريم في فرج ولو دبراً من آدمي أو غيره (نهاره) أي : في نهار رمضان وهو مكلف صائم أثم

(١) رواه أبو داود (٢٣٣٤) ، والترمذي (٦٨٦) وصححه ، ولحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه » أخرجه البخاري (١٩١٤) ، ومسلم (١٠٨٢) .

(٢) روى أبو داود (٢٣٣٧) ، والترمذي (٧٣٨) وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا » .

بالجماع بسبب الصوم (فبالقضاء ألزمه) أيها الفقيه ، وألزم الموطوعة المكلفة به أيضاً لإفساد صومه بالجماع (و) عليه وحده (الكفارة) فألزمه بها دونها ؛ إذ لم يؤمر بها إلا الرجل المواقف ، مع الحاجة إلى البيان ، ولتقصان صومهما بتعريضه للبطلان بعروض الحيض أو نحوه ، فلم يكمل حرمة حتى يتعلق بها الكفارة ، ولأنها غرم مالي يتعلق بالجماع فيختص بالرجل الواطئ كالمهر ، وتكرر الكفارة بتكرر الفساد ، كأن جامع في يومين ولو من رمضان واحد وإن لم يكفر عن الأول ؛ إذ كل يوم عبادة برأسها ، بخلاف ما إذا تكرر الجماع في يوم واحد لعدم تكرار الفساد ، ولا كفارة على من أفسده بغير جماع أو بجماع في غير رمضان كنذر وقضاء ؛ لأن النص إنما ورد في إفساده في صوم رمضان بجماع ، ولا على مسافر أفطر بالزنا ؛ لأن إثمه ليس لترك الصوم بل له مع الزنا .

فرع : لا كفارة على من جامع عامداً بعد الأكل ناسياً وظن أنه أفطر بالأكل ؛ لأنه يعتقد أنه غير صائم ، وإن كان الأصح بطلان صومه بهذا الجماع ، كما لو جامع على ظن بقاء الليل فبان خلافه . والكفارة المذكورة مرتبة ، فيجب أولاً (إعتاق عبد مؤمن وما به . عيب يُخلّ بعد باكتسابه) أي : بعمله كما يأتي إن شاء الله تعالى في الظهار (لكنه إن لم يجد) الرقية المؤمنة السليمة من العيوب المضرة بالعمل (يصوم . شهرين مع تنابع يدوم) فإن لم يستطع صومها فإطعام ستين مسكيناً كما قال : (أو لم يطق فليطعمن مما غلب) من القوت (ستين مسكيناً) أو فقيراً (لكل) مسكين (مدّ حب) غالب في البلد ، والأصل في ذلك خبر الصحيحين^(١) عن أبي هريرة : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت وأهلك ، قال : « وما أهلكك ؟ » قال : وقعت زوجتي في رمضان ، قال : « هل تجد ما تعتق رقية ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ » قال : لا ، فأني النبي ﷺ بقرق فيه تمر ، قال : « تصدّق بهذا » قال : على أفقر منا يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتها - أي : جبلها - أهل بيت أحوج إليه منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال : « اذهب فأطعمه أهلك » والعزق بفتح العين والراء المهملة : مكثل ينسج من خوص النخل ، فكان فيه قدر خمسة عشر صاعاً ، وقيل : عشرون . وقول الناظم من زيادته : (وبعد ذا لم يسقط الوجوب) الخ أشار به إلى أنه لو عجز عن جميع الحصص المذكورة استقرت الكفارة في ذمته ، فإذا قدر على خصلة منها فعلها ، كما لو كان قادراً عليها وقت الوجوب ، وإن قدر على الأكثر رتب .

تنبيهان : الأول : له العدول عن الصوم إلى الإطعام لشدة الغلظة وهو - بفتح الغين ولام ساكنة - شدة الحاجة للنكاح . الثاني : لا يجوز صرف الكفارة إلى عياله كالزكاة وسائر

(١) البخاري (١٩٣٣) و (٦٦٦٩) ، ومسلم (١١٥٥) والمذيعادل : ٥٥٠ غراماً .

الكفارات ، وأما قوله في الخبر : « أطعمه أهلك » ففي « الأم » كما قال الرافعي : يحتمل أنه أخبره بفقره فصرفه إليه صدقة . وقيل غير ذلك . وقول الناظم : بعد باكتسابه ؛ بزيادة : بعد ، وقوله : يدوم ؛ تكملة ، وقوله : فليطعمن ؛ بنون التوكيد الخفيفة .

(ومن يمّت بلا قضاء إن قصر)	كان الوليّ بعد عجزه مخيراً)
(إن شاء صام صومه أو أطعما)	عن كل يوم مدّ حبّ قدماً)
(وجائز للشخص في سنن الكبير)	ترك الصيام إن تحقق الضرر)
(ولا قضاء بل تعين الأدا)	عن كل يوم مدّ حبّ للقداء)
(وحامل ومرضع تضررت)	بصومها أو ضرّ طفل أفطرت)
(وإن يكن خوفاً على طفل وجب)	مع القضاء عن كل يوم مدّ حب)
(وفطر ذي تمرض وذو سفر)	قصر مباح والقضاء لم يغتفر)
(وكل شخص بالقضاء تأخرا)	حتى أتى شهر الصيام كفرا)
(وعدة الأمداد كالأيام)	وكرّرت تكرّر الأعوام)

اشتملت هذه الأبيات على مسائل .

الأولى : (من يمّت) وعليه صيام من رمضان أو كفارة أو نذر (بلا قضاء ..) بعد التمكن منه تقصيراً (كان الوليّ بعده مخيراً) بين شيئين : (إن شاء صام) عنه (صومه) الذي عليه كما هو المذهب القديم وهو المعتمد (أو) إن شاء (أطعما . عن كل يوم) فاته (مدّ حبّ) وهو رطل وثلاث بغدادين من طعام يجزىء في الفطرة ، كما قال : (قدّما) أي : قدّم بيانه في زكاة الفطر . أما من مات قبل تمكنه من قضاء الصوم كأن مات عقب رمضان واستمر به العذر إلى أن مات فلا فدية عليه إن فاته بعذر ، وإلا فكمن مات بعد تمكنه منه .

الثانية : (جائز للشخص في سنن الكبير) بأن صار شيخاً أو صارت عجزاً تركه (..) إن تحقق الضرر) أي : بأن كان يلحقه مشقة ، ومثله المريض الذي لا يرجى برؤه ، (ولا) يجب (قضاء) بل يطعم إن كان حراً عن كل يوم مدّاً كما قال : (بل تعين الأدا) إلى آخر البيت ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] إذ المراد : يطيقونه حال الشباب ثم يعجزون عنه بعد الكبر ، أو أن كلمة « لا » مقدرة ، أي : لا يطيقونه . أما الرقيق فلا فدية عليه لكبر أو مرض أو مات رقيقاً .

الثالثة : الحامل ولو من زنا والمريض ولو مستأجرة أو متبرعة : إن خافتا من حصول ضرر بالصوم كالضرر الحاصل للمريض على أنفسهما أي : ولو مع الولد أفطرتا وجوباً كما قال : (وحامل

ومرضع تضررت . بصومها أو ضر طفل أفطرت) ويجب عليهما القضاء بلا فدية كالمرض ، وإن خافا منه على أولادهما فقط بأن تخاف الحامل من إسقاطه ، والمرضع أن يقل لبنها فيهلك الولد أفطرتا أيضاً ، ويجب عليهما القضاء للإفطار والفدية كما قال : (وإن يكن خوفاً على طفل وجب . مع القضاء عن كل يوم مد حب) وهو رطل وثلاث وعادل : ٥٥٠ غراماً وذلك لقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية ﴾ [البقرة : ١٨٤] قال ابن عباس : إنها نسخت إلا في حق الحامل والمرضع ، رواه البيهقي عنه^(١) . والأصح أنه يلحق بالمرضع في لزوم ما مر من أفطر لإنقاذ مشرف على الهلاك بغرق أو غيره ؛ لأنه فطر ارتفق به شخصان فيتعلق به بدلان : القضاء ، والفدية .

فائدة : مصرف الفدية الفقراء والمساكين فقط دون بقية الأصناف ، ولا يجب الجمع بينهما ، وله صرف أمداد من الفدية إلى شخص واحد ، لا صرف مد إلى شخصين .

الرابعة : المريض وإن تعدى بسببه ، والمسافر سقراً طويلاً مباحاً يفطران بنية الترخص ويقضيان ، كما قال : (وفطر ذي قرض وذو سفر) إلى آخر البيت ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر ﴾ أي : فأفطر ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ولا بد في فطر المريض من مشقة تبسح له التيمم ، فإن خاف على نفسه الهلاك أو ذهاب منفعة عضو وجب عليه الفطر لقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] ولمن غلب عليه الجوع والعطش حكم المريض . وأما المسافر السفر المذكور^(٢) فيجوز له الفطر إن لم يتضرر به ، ولكن الصوم أفضل ، فإن تضرر به فالفطر أفضل .

الخامسة : من ترك قضاء رمضان بعد تمكنه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد بمجرد دخول رمضان ، ويتكرر بتكرر السنين على الأصح كما أفاده بقوله من زيادته : (وكل شخص بالقضا تأخراً ..) إلى آخره ، والألف في : قصر ، وأطعما ، وتأخرا ، وكفرا ؛ للإطلاق . وقوله : إن تحقق ؛ يجوز بناؤه للفاعل والمفعول . وقوله : بلا قضا ؛ بالقصر . وقوله : أو ضر ؛ - بفتح الضاد المعجمة بعدها راء مفتوحة - معناه ضرر ، فأدغم الراء في الراء للوزن . وقوله : مع القضا ؛ بالقصر . وقوله : مباح ؛ بالرفع خير لقوله : وفطر . ولنختم الباب بشيء من الصوم المستون ، ففي الصحيحين^(٣) أنه ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه

عن النار سبعين خريفاً » فيسن صوم الاثنين ، والخميس ، ويوم عرفة ، وتاسوعاء ، وعاشوراء ، وستة من شوال ، لأدلة شهيرة . ويكره أفراد يوم الجمعة أو السبت ، أو الأحد بالصوم . وصوم الدهر مكروه لمن خاف ضرراً أو فوت حق ، ومستحب لغيره . ويحرم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه . ومن تلبس بصوم تطوع أو صلاة نافلة فله قطعها ، وحرم قطع صوم واجب أو صلاة واجبة ، وأفضل الشهور بعد رمضان شهر الله المحرم ، ثم رجب ، ثم باقي الأشهر الحرم ، ثم شعبان ، والله أعلم .

باب الاعتكاف

اعلم أن الناظم عقب الصوم بباب الاعتكاف لمشاركتهما في العبادة البدنية . والاعتكاف لغة : لزوم الشيء وحبس نفسه عليه خيراً كان أو شراً . وشرعاً : اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] وخير الصحيحين : أنه ﷺ اعتكف العشر الأوسط من رمضان ، ثم اعتكف الأواخر ولازمه حتى توفاه الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه من بعده^(١) . وهو من الشرائع القديمة لقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين ﴾ [البقرة : ١٢٥] وأركانته : لبث ، ونية ، ومعتكف فيه ، وكلها ستأتي :

- (والاعتكاف سنة وليعتبر وجوبه في حق من له نذر)
- (وليس من شروطه الصيام بل شرطه التمييز والإسلام)
- (ولبثه بمسجد والنية ولينو في منزهة الفرضيه)
- (وبالجئون والجماع يطول كذا يحبس ونفاس يحصل)
- (وبالخروج يطول المنذور لكن لعذر يخرج المعذور)

(الاعتكاف سنة) مؤكدة ، فقد ورد : « من اعتكف فوافق ناقة فكأنما أعتق نسمة »^(٢) فهو مستحب في جميع الأوقات ، وفي العشر الأخير من رمضان أكد اقتداء برسول الله ﷺ وطلباً لليلة القدر ، ولا يجب إلا بالنذر كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : (وليعتبر . وجوبه في حق من له نذر * وليس من شروطه الصيام) بل يسن أن يكون مع الصيام خروجاً من خلاف من جعله شرطاً

(١) بالفاظ متقاربة عن عائشة رضي الله عنها رواه البخاري (٢٠٢٦) ، ومسلم (١١٧٢) .

(٢) قال ابن حجر في « تلخيص الجريد » ٢٣١/٢ : رواه العقيلي في « الضعفاء » من حديث أنس بن عبد الحميد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ : « من رابطه بدل : « من اعتكف » وأنس هذا منكر الحديث . فوافق : الوقت بين الحليتين . النسمة : النفس أو الإنسان .

(١) في « السنن الكبرى » ٢٣٠/٤ ، وأبو داود (٢٣١٨) قال : كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، وهما يطيقان الصيام ، أن يفطرا ويطعما كل يوم مسكيناً ، والحبل والمرضع إذا خافا - يعني على أولادهما - أفطرتا وأطعمتا . وزاد البيهقي : مكان كل يوم مسكيناً . وكذا نقله السيوطي في « الإكليل » ص ٣٩ .

(٢) أي الطويل الذي لا يقل عن (٨٣) كيلو متراً بشرط أن يكون سقراً مباحاً لا لعصية ، وأن يستغرق السفر سائر اليوم .

(٣) البخاري (٢٨٤٠) ، ومسلم (١١٥٣) (١٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فيه^(١) : (بل شرطه التمييز والإسلام) فلا يصح اعتكاف صبيٍّ غير مميز ولا كافر . وشرطه أيضاً : العقل ، والنقاء عن حيض ونفاس وجنابة ، فلا يصح اعتكاف مجنون وسكران ومغمى عليه ، لعدم نية الكافر ومن لا عقل له ، ولا اعتكاف حائض ونفساء وجنب ؛ حرمة المكث في المسجد عليهم . (و) شرطه : (لبثه) بقدر ما يسمى عكوفاً ، أي : إقامة ، فلا يكفي مجرد عبوره ، ولا أقل ما يكفي في طمأنينة الصلاة . ويسن أن يكون يوماً كاملاً خروجاً من الخلاف ، فإن من قال : إن الصوم في الاعتكاف شرط لا يصح اعتكافه أقل من يوم . وشرطه : أن يكون (بمسجد) فلا يصح في غيره للاتباع ، رواه الشيخان^(٢) . وللإجماع ، ولقوله تعالى : ﴿ ولا تبشروهن بأنكن عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] والجامع وهو مسجد الجمعة أفضل للاعتكاف من بقية المساجد ؛ للخروج من الخلاف ، وللاستغناء عن الخروج للجمعة . (و) شرطه : (النية) في ابتدائه كالصلاة لأنها تميز العبادات عن العادات ويتعرض في نذره للفرضية ، كما أفاده بقوله من زيادته : (ولْيَتَوَكَّرْ في منزهة الفرضية) وأعلم أنه لا يفتر شيء من العبادات إلى المسجد إلا التحية والاعتكاف والطواف . (وبالجنون) أي : والإغماء (والجماع) وإن لم يتزل (يبطل) الاعتكاف المنذور فيه التوالي إذا كان ذاكرة له عالماً بتحريم الجماع فيه ، سواء جامع في المسجد أم عند الخروج منه ؛ لاستصحاب حكم الاعتكاف عليه حينئذ و (كذا) يبطل (بحيض ونفاس يحصل) في امرأة لا تحلو عنه غالباً (وبالخروج) من المسجد بكل بدنه بلا عذر (يبطل) الاعتكاف (المنذور) وغيره وإن قلَّ زمنه لما فاتته من اللبث . (لكن لعذر) من بول وغائط وغسل من جنابة أو حيض أو نفاس إن طال مدة الاعتكاف بأن كانت لا تحلو عنه غالباً ، أو مرض لا يمكن المقيم معه (يخرج المعذور) ويجب قضاء أوقات الخروج بالأعذار التي لا ينقطع التتابع بها ، إلا أوقات قضاء الحاجة .

تنبيه : يبطل أيضاً بالمباشرة بشهوة فيما دون الفرج إن أنزل وإلا فلا . ولا ينقطع التتابع بالخروج مكرهاً بغير حق ، ولا بخروج مؤذن راتب إلى منارة للمسجد منفصلة عنه أو عن رحبته قريبة منها ؛ لألفة صعودها للأذان ، وألف الناس صوته^(٣) . ولو نذر مدة متتابعة لزمه التتابع فيها ،

وفي مدة الأيام يلزمه اعتكاف الليالي المتخللة بينها في الأرجح ، والصحيح أنه لا يجب التتابع بلا شرط ، ولو نذر يوماً لم يجز تفريق ساعاته .

خاتمة : لو عين الناذر في نذره مسجد مكة أو المدينة أو الأقصى تعين^(٤) ، فلا يقوم غيرها مقامها لمزيد فضلها ، ويقوم مسجد مكة مقام الآخرين لمزيد فضله عليهما ، ويقوم مسجد المدينة مقام الأقصى لمزيد فضله عليه . ولو عين غير الثلاثة مسجداً لم يتعين . ولا يضر في الاعتكاف التطيب والترتيل باغتسال وقص شارب ولبس ثياب حسنة ونحو ذلك . فإن اشتغل المعتكف بالقرآن والعلم فزيادة خير لأنه طاعة في طاعة . ولا يكره له الصنائع في المسجد كالخياطة والكتابة ما لم يكثر منها ، فإن أكثر منها كرهت ، إلا كتابة العلم فلا يكره الإكثار منها ، فإنها طاعة كتعليم العلم ، ذكره في « المجموع » . وله أن يأكل ويشرب ويغسل يديه فيه ، والأولى أن يأكل في سفرة أو نحوها ، وأن يغسل يده في طشت أو نحو ليكون أنظف للمسجد .

(١) لحديث أبي هريرة بتخصيصها : « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » رواه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٠٧) .

ولبيان عظم منزلتها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » رواه البخاري (١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) .

وروى الزوار والطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الصلاة في المسجد الحرام مئة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسة مئة صلاة » قال الزوار : إنسانه حسن . انظر « الفتح » ٦٧/٣ .

(١) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه » رواه الدارقطني ١٩٩/٢ ، والحاكم ٤٣٩/١ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، والبيهقي ٣١٩/٤ وقال عطاء : ذلك رأي ، هذا هو الصحيح موقوف ورفعه ونعم .

(٢) لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه . رواه البخاري (٢٠٣٣) ، ومسلم (١١٧٢) (٦) ، ولقولها أيضاً : وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل علي رأسه وهو في المسجد فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا الحاجة إذا كان معتكفاً . رواه البخاري (٢٠٢٩) ، ومسلم (٢٩٧) .

(٣) قال البيهقي ٣٥٨/٢ : أي اعتادوه . وكذا يحصل الشعار بالأذان على سطح المسجد أو مرتفع آخر .

كتاب الحج

اعلم أن الحج لما كان واجباً على التراخي ناسب أن يحتّم به ربع العبادات ، وهو بفتح المهملة وكسرهما لغتان قرئ بهما في السبع . وهو لغة : القصد . وشرعاً : قصد الكعبة للنسك الآتي بيانه . وهو فرض على المستطيع لقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] وخير : « بُني الإسلام على خمس »^(١) وحديث : « حُجُّوا قبل أن لا تحجوا »^(٢) وهو معلوم من الدين بالضرورة ، يكفر جاحده إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء . وهو من الشرائع القديمة ، روي أن آدم لما حج قال له جبريل : إن الملائكة كانوا يطوفون بهذا البيت قبلك بسبعة آلاف سنة . وأول من حج آدم عليه السلام كما قال صاحب « التعجيز » قال : إنه حج أربعين سنة من الهند ماشياً . وقيل : ما من نبي إلا حجه . وقد اختلفوا في السنة التي فرض فيها الحج ، فقيل : في سنة خمس ، وقيل : في سنة ست ، وقيل : سنة سبع ، وقيل : سنة ثمان ، والمشهور سنة ست .

فائدة : لم يحج النبي ﷺ بعد الهجرة سوى حجة الوداع ، وتسمى : حجة الإسلام ، وقد حج قبل النبوة وبعدها حجّات لا يعرف عددها ، واعتمر بعد أن هاجر أربع مرات : عمرة الحديبية ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجعرانة في آخر وقعة حنين ، وعمرة مع حجته . ففي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ اعتمر أربع عُمرٍ^(٣) .

تنبيه : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : من مات ولم يُزكَّ ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا ؛ وكان تفسير قوله تعالى : ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وكان يقول : هذه الآية من أشدّ شيء على أهل التوحيد .

(١) تقدم وأخرجه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة الدارقطني ٣٠٢/٢ بسند ضعيف وتامه : « قيل : ما شأن الحج ؟ قال : تقعد أعرابها على أذنان أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد » .

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٨) و(١٧٧٩) ، ومسلم (١٢٥٣) وهي : عمرة الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة حيث صالحهم ، وعمرة الجعرانة في ذي القعدة ، وعمرة مع حجته .

(كل امرئ فملزم كما أمر بأن يحج مرة ويعتمر)
(إن كان حراً مسلماً مكلفاً وأمكن المسير والخوف انتفى)
(وواجباً لذاته والراحلة زيادة عن كل ما يحتاج له)

اعلم أن الحج لا يجب في العمر بأصل الشرع إلا مرة واحدة ، وقد يجب أكثر من مرة لعارض كئذ وقضاء عند فساد التطوع . وإن العمرة فرض في الأظهر لقوله تعالى : ﴿ وأنتموا الحج والعمرة لله ﴾ [البقرة : ١٩٦] أي : اتّوا بهما تأمّين ، ولا تجب في العمر إلا مرة واحدة . إذا تقرر ذلك فكل امرئ ملزم (بأن يحجّ مرة ويعتمر * إن كان حراً) فلا يجبان على من فيه رق ؛ لأن منافعه مستحقة لسيدته ، وفي إيجاب ذلك إضرار بسيدته ، (مسلماً) فلا يجبان على كافر أصلي وجوب مطالبة كالصلاة ، فإن أسلم وهو معسر بعد استطاعته في الكفر فلا أثر لها إلا في المرتد ، فإن كلاً من الحج والعمرة يستقر في ذمته باستطاعته في الردة ، ذكره في « المجموع » (مكلفاً) بالبلوغ والعقل ، فلا يجبان على صبيّ ومجنون لعدم تكليفهما كسائر العبادات . (وأمكن المسير) إلى مكة المشرفة بأن يكون قد بقي من الوقت ما يتمكن فيه من المسير المعتاد لأداء النسك على المعتمد كما نقله الرافعي عن الأئمة ، وإن اعترضه ابن الصلاح بأنه شرط لاستقراره لا لوجوبه ، فقد صوب الإمام النووي ما قاله الرافعي . وقال السبكي : إن نص الشافعي أيضاً يشهد له . ويشترط للوجوب أيضاً أمن الطريق ولو ظناً في كل مكان بحسب ما يليق به كما قال : (والخوف انتفى) فلو خاف في طريقه على نفسه أو عضوه أو نفس محترمة معه أو عضوها أو ماله ولو يسيراً سُبُحاً أو عدواً أو رصدياً ولا طريق له سواه لم يجب النسك عليه لحصول الضرر .

تنبيه : يجب ركوب البحر إن غلبت السلامة في ركوبه وتعين طريقاً كسلوك طريق البرّ عند غلبة السلامة ، فإن غلب الهلاك أو استوى الأمران لم يجب ، بل يَحْرُمُ لما فيه من الخطر .

تنبيه ثان : شرط صحة كل من الحج والعمرة الإسلام فقط ، فللولي أن يحرم عن الصبيّ والمجنون ، ويصح إحرام المميز بإذن الولي^(١) ، وإنما يصح مباشرته من المسلم المميز . وإنما يقع عن فرض الإسلام بالمباشرة إذا باشر المكلف الحرّ ، فيجزىء من الفقير دون الصبيّ والعبد إذا كمالاً بعده^(٢) .

(١) روى مسلم (١٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء ، فقال : « من القوم ؟ » قالوا : المسلمون ، فقالوا من أنت ؟ قال : « رسول الله » فرفعت إليه امرأة صبياً ، فقالت : ألهذا حج ؟ قال : « نعم ، ولك أجر » .

(٢) روى الحاكم ٤٨١/١ وصححه ، والبيهقي ٣٢٥/٤ عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما صبي حج ثم بلغ فعليه حجة أخرى ، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة أخرى » .

ويعتبر في لزومهما الاستطاعة ، فلا يجبان على غير مستطيع لفهوم الآية ، وهي نوعان : استطاعة مباشرة ، واستطاعة تحصيلها بغيره . وقد ذكر الناظم النوع الأول بقوله : (وواجداً لزياده والراحله)^(١) إلى آخر البيت ، والمعنى : أن يكون واجداً لكل ما يحتاج إليه من مأكل ومشروب وملبوس ، حتى السفرة التي يأكل عليها في ذهابه إلى رجوعه إلى بلده وإن لم يكن له بها أهل وعشيرة ؛ لما في الغربة من الوحشة وانتزاع النفس إلى الأوطان . فلو لم يجد ما ذكر لكن كان يكسب في سفره ما يفي بمؤنته وسفره طويل مرحلتان فأكثر لم يكلف الحج ؛ لأنه قد ينقطع عن الكسب لعارض ، ويتقدير أن لا ينقطع فالجمع بين تعب السفر والكسب تعظم فيه المشقة ، وإن قصر سفره وهو يكسب في كل يوم كفاية أيام كُلف الحج بأن يخرج له لقلة المشقات ، بخلاف ما إذا كان لا يكسب في كل يوم إلا كفاية يومه فلا يلزمه ؛ لأنه قد ينقطع عن كسبه في أيام الحج فيتضرر . ولابد أن يكون واجداً للراحلة الصالحة لثلثه بشراء أو استئجار ، بثمن أو أجرة مثل لمن بينه وبين مكة مرحلتان فأكثر ، قدر على المشي أم لا ، لكن يتدب للقادر على المشي الحج خروجاً من خلاف من أوجبه ، ومن بينه وبين مكة دون مرحلتين وهو قوي على المشي يلزمه الحج لعدم المشقة ، فلا يعتبر في حقه وجود الراحلة ، فإن لحقه بالراحلة مشقة شديدة اشترط وجود مَحْمَل^(٢) وشريك يجلس في الشق الآخر . ويشترط كون الزاد والراحلة فاضلين عن دينه ومؤنة من عليه نفقتهم مدة ذهابه وإيابه ، كما أفاده بقوله من زيادته : (عن كل ما يحتاج له) والأصح اشتراط كونه فاضلاً عن مسكنه ، وعبد يحتاج إليه لخدمته . ويشترط وجود الماء والزاد في المواضع المعتاد حمله فيها ، وهو القدر اللائق به في ذلك الزمان والمكان ، وعلف الدابة في كل مرحلة . ويشترط في المرأة أن يخرج معها زوج أو محرم أو نسوة ثقات^(٣) ، والأصح أنه لا يشترط محرم أو زوج لإحداهن ، وأنه يلزمها أجرة المحرم إذا لم يخرج إلا بها .

وأما النوع الثاني : وهو استطاعة تحصيله بغيره ، فمن مات وفي ذمته حج وجب الإحجاج عنه من تركته ، والمعضوب العاجز عن الحج بنفسه لكبر أو غيره إن وجد أجرة من يحج عنه بأجرة المثل لزمه الحج بها ، ويشترط كونها فاضلة عن الحاجات المذكورة فيمن يحج بنفسه ، لكن لا يشترط نفقة العيال ذهاباً وإياباً .

- (١) سئل رسول الله ﷺ عن تفسير السيل فقال : « زاد وراحلة » رواه الحاكم ٤/٤٨١ ، والبيهقي ٣٢٧/٤ عن ابن عمر وروى عن الحسن مرسلاً ، وعن ابن عباس موقوفاً .
- (٢) أو أي وسيلة نقل حديثة أخرى كالسيارة والطائرة .
- (٣) لخير ابن عمر رضي الله عنهما : « لا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم » رواه البخاري (١٠٨٧) ، ومسلم (١٣٣٨) ، وأبو داود (١٧٢٧) ، ولخير أبي هريرة رضي الله عنه : « لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو حرمة منها » رواه مسلم (١٣٣٩) ، وأبو داود (١٧٢٣) .

فائدة : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة » متفق عليه^(١) .

وروى ابن حبان [١٨٨٧] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « إن للحاج حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كُتِبَ له بها حسنة أو حُطَّت عنه بها خطيئة ، فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادي شعئاً غيماً ، اشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم ، وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج ، وإذا رمى الجمار لا يدرى أحد ما له حتى يوفاه يوم القيامة ، وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، وإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »^(٢) .

ورواه الأزرقي^(٣) في « تاريخ مكة » من حديث أنس رضي الله عنه بزيادته وقال : « إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفّاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة وحط عنك خطيئة ورفعك درجة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل ، وأما طوافك بين الصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة . وزاد في الوقوف فيقول : أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولن شفعم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة ترميها تكفير كبيرة من الكبائر الموبقات ، وأما نحررك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقها حسنة ، ويُمحى عنك بها خطيئة ، وقال في الطواف : وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ، فإنك تطوف ولا ذنب لك فيأتي مَلَكٌ حتى يضع يده بين كفتيك ثم يقول : اعمل فيما يُستقبل فقد غفر لك ما مضى ... »^(٤) .

ثم شرع الناظم في بيان أركان الحج والعمرة فقال :

(أركانه الإحرام والوقوف مع حلق وسعي والطواف إذ رجع)
(وكلها غير الوقوف تعتبر أركان كل عمرة بها اعتمر)

- (١) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٣٤٨) ، ولحديث أبي هريرة أيضاً : « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري (١٥٢١) ، ومسلم (١٣٥٠) .
- (٢) وأخرج عبد الرزاق في « المصنف » (٨٨٣٠) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (١٣٥٦٦) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ٢٩٤/٦ ، والبرز (١٠٨٢) وقال : لا تعلم له أحسن من هذا الطريق .
- (٣) وهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد البجلي الأصل ، المؤرخ أبو الوليد الأزرقي من أهالي مكة المكرمة . المتوفى ٢٥٠ هـ . وكتابه « التاريخ » يسمى : « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » .
- (٤) وأخرجه أيضاً البزار (١٠٨٣) ، والطبراني في « الأحاديث الطوال » (٦١) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ٢٩٤/٦ - ٢٩٥ ، وذكره الهيثمي في « المجمع » ٢٧٥/٣ - ٢٧٦ وقال : رواه البزار وفيه إسماعيل بن رافع ، وهو ضعيف .

(أركانه) أي : الحج ستة . الأول : (الإحرام) بالنية بأن ينوي الدخول في الحج لخبر : «إنما الأعمال بالنيات»^(١) ويستحب اللفظ بما نواه فيقول بقلبه ولسانه : نويت الحج وأحرمت به لله تعالى ، لبيك اللهم لبيك .. إلى آخره . وينعقد معيناً بأن ينوي حجاً أو عمرة أو كلاهما ، ومطلقاً بأن لا يزيد في النية على نفس الإحرام^(٢) ، وسمي الإحرام بذلك لاختصاصه بدخول الحرم وتحريم الأنواع الآتية .

تنبيه : يسن الغسل للإحرام كما مر في باب الغسل ، وأن يطيب يده للإحرام ، ولا بأس باستدامته بعد الإحرام ، وخضب يدي امرأة إلى الكوعين بالحناء ، ومسح وجهها بشيء منه ، وأن يصلي مرید الإحرام في غير وقت الكراهة ركعتين للإحرام . ويستحب دخول مكة قبل الوقوف بعرفة ، والأفضل دخولها من ثنية كداء - بالفتح والمد - وهي العليا وإن لم تكن بطريقه ، ويخرج من ثنية كُدَى - بالضم والقصر - وهي السفلى^(٣) . والثنية : الطريق الضيق بين الجبلين . وإذا دخل مكة ورأى الكعبة ندب رفع يديه وأن يقول : اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، وزد مَنْ شَرَفَهُ وكرمه من حجه أو اعتمره تشريقاً وتكريماً وتعظيماً وبرّاً رواه الشافعي (٨٧٤) ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، فحِيناً ربُّنا بالسلام . رواه الشافعي (٨٧٣) . ويدخل المسجد من باب بني شيبه وإن لم يكن بطريقه ، ويبدأ بطواف القدوم كما يأتي بيانه . ومن دخل الحرم لا نلنسك بل لنحو تجارة سنَّ له إحرام بنسك .

والركن الثاني : الوقوف بعرفة^(٤) لخبر : «الحج عرفة»^(٥) وواجبه : حضور جزء من أرضها وإن كان ماراً في طلب آبق بشرط كونه محرماً أهلاً للعبادة لا مغمى عليه جميع وقت الوقوف ، ولا بأس بالنوم . ووقت الوقوف من وقت زوال الشمس يوم عرفة إلى فجر يوم النحر^(٦) ، وليحذر الإنسان من التقصير في يوم عرفة فإنه أعظم الأيام ، والموقف أعظم المواقف والجامع ، يجمع فيه الأولياء والخواص ، ويكثر البكاء مع ذلك ، فهناك تسكب العبرات ، وتقال العثرات ، وترجى الطلبات .

(١) تقدم مرات ، وأخرجه البخاري (١) .

(٢) أي الدخول بالنسك والشروع في أعماله .

(٣) لحديث عائشة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما جاء إلى مكة دخلها من أعلاها وخرج من أسفلها . أخرجه البخاري (١٥٧٧) .

(٤) لقوله تعالى وعزَّ : ﴿ فإذا أنضمتم من عرفات ﴾ [البقرة : ١٩٨] .

(٥) أخرجه عن عبد الرحمن بن يعمر الديلمي بلفظه ابن ماجه (٣٠١٥) . وابن الجارود (٤٦٨) والبيهقي (١٧٣/٥) بلفظ : «الحج عرفات ثلاثاً ..» وأبو داود بلفظ : «الحج يسوم عرفة» (١٩٤٩) ، والترمذي (٨٨٩) ، والنسائي (٢٦٤/٥ - ٢٦٥) ، وابن حبان (٣٨٩٢) وصححه .

(٦) وفي تمام الحديث السابق : «الحج عرفات ، فمن أدرك عرفة ليلة جمع قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك ...» .

وينبغي أن يستفرغ الإنسان جهده في الذكر والدعاء وقراءة القرآن ، وأن يدعو بأنواع الأدعية ، ويأتي بأنواع الأذكار^(١) ، ويدعو منفرداً ومع جماعة ، ويدعو لنفسه ولوالديه ولشائخه وأقاربه وأصحابه وأصدقائه وأحبائه وسائر من أحسن إليه وجميع المسلمين . وفي «الموطأ»^(٢) : «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له» .

فائدتان : الأولى : في كتاب «الدعوات»^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «من قرأ قل هو الله أحد يوم عرفة ألف مرة أعطي ما سأل»^(٤) .

الثانية : في التعريف بغير عرفة خلاف . ففي البخاري أول من عرف بالبصرة ابن عباس ومعناه أنه إذا صلى العصر يوم عرفة أخذ في الدعاء والذكر والضراعة كما يفعل أهل عرفة ولهذا قال الإمام أحمد أرجو أنه لا بأس به وقد فعله الحسن وجماعة وكرهه جماعة منهم الإمام مالك^(٥) .

والركن الثالث : الخلق أو التقصير^(٦) لتوقف التحلل عليه مع عدم جبره بالدم كالطواف ، وأقله ثلاث شعرات ، أي : أقل ما يجرى حلقاً أو تقصيراً أو تنفلاً أو إحراقاً أو قصاً أو بنورة .

(١) روى الترمذي (٣٥٢٠) بإسناد ليس بالقوي عن علي رضي الله عنه قال : أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة في الموقف : «اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيراً مما نقول : اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي ولك رب تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما نتجي به الرخ» .

(٢) في الأصل : في الصحيحين ، وهو غلط ، وأخرجه مالك ٢١٥/١ و ٤٢٢ - ٤٢٣ بإسناد مرسل . وأخرجه الترمذي (٣٥٧٩) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي ...» وقال : حسن غريب ، وفي سننه حماد بن أبي حميد قال عنه الترمذي : ليس بالقوي .

وقال عنه النووي في «الأذكار» (٥٠٠) : ضعف الترمذي إسناده .

(٣) وفي هذا الاسم عدة مؤلفات : فلبهقي ت : ٤٥٨ هـ ، وللمستغفري ت : ٤٣٢ هـ ، وللواحد ت : ٤٦٨ هـ ، وللغزالي ت : ٥٠٥ هـ ، ولعمر بن محمد النسفي ت : ٥٣٧ هـ ، ولعبد الكريم السمعاني ت : ٥٦٢ هـ ، وللبيهقي ت : ٢٢٢ هـ ، ولابن جزى الكلبي ت : ٧٤١ هـ ، ولنفخر الدين الرومي ت : ٨٦٤ هـ .

(٤) لم أجده .

(٥) قال أبو شامة المتوفى ٦٦٥ هـ عليه رحمة الله تعالى في كتابه : «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ص : ٤٨ وما بعدها قال ابن وهب : سمعت مالكا يسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر واجتماعهم للدعاء فقال : ليس هذا من أمر الناس ، وإنما مفاتيح هذه الأشياء من البدع .

وروي محمد بن وضاح أن الناس اجتمعوا بعد العصر من يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ يدعون فخرج نافع مولى ابن عمر فقال : يا أيها الناس إن الذي أنتم فيه بدعة ، وليست بسنة أدركت الناس ولا يصنعون هذا .

وحين استخلف عمر بن عبد العزيز فحضر فلما كان يوم عرفة صلى عمر العصر فلما فرغ انصرف إلى منزله فلم يخرج إلى المغرب ، ولم يقعد للناس . اهـ . ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «الباعث» وأضرابه .

(٦) لقوله تعالى : ﴿ علقين رؤوسكم ومقصرين ﴾ [الفتح : ٢٧] . وقال جل وعزَّ : ﴿ ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى حبله ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

والركن الرابع : السعي^(١) ، لما روى الدارقطني [٢٥٥/٢] وغيره^(٢) بإسناد حسن كما في «المجموع» أنه ﷺ استقبل القبلة وقال : « يا أيها الناس اسعوا ، فإن السعي قد كتب عليكم » .

وواجبات السعي ثلاثة^(٣) : الأول : أن يبدأ بالصفاء^(٤) ويحتم بالمروة ، وعوده منها إليه مرة أخرى . والثاني : أن يكون سبعاً . والثالث : أن يسعى بعد طواف ركن أو قدوم ، بحيث لا يتخلل بين السعي وطواف القدوم الوقوف بعرفة . ومن سعى بعد طواف قدوم لم يسن له إعادته .

ويستحب أن يرقى الذكر على الصفا والمروة قدر قامة ، فإذا رقى قال : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، والله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما أولانا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير^(٥) . ثم يدعو بما شاء ديناً ودنياً ، ويعيد الذكر والدعاء ثانياً وثالثاً ، وأن يمشي أول السعي وآخره ، وأن يعدو في الوسط ، وموضع التوعين معروف هناك . وأما المرأة فلا ترقى على الصفا والمروة لأنه أستر لها . وإنما

وقال ﷺ : « اللهم ارحم الخلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ، قال : « اللهم ارحم الخلقين » . قالوا : والمقصرين يارسول الله . قال : « والمقصرين » رواه البخاري (١٧٢٧) ، ومسلم (١٣٠١) ، والترمذي (٩٠١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ولحديث أنس قال : لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحائق شقه الأيمن فحلقه ... ثم ناوله الشق الأيسر فقال : « احلق » فحلقه فأعطاه أبا طلحة الأنصاري فقال : « اقسمه بين الناس » . رواه مسلم (١٣٠٥) ، والترمذي (٩١٢) . هذا الحكم للرجال ، ويكره للنساء الحلق وإنما لمن التقصير لقوله ﷺ : « ليس على النساء الحلق » ، وإنما على النساء التقصير » رواه أبو داود (١٩٨٤) و(١٩٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما . وروى الترمذي (٩١٤) عن علي رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها . وروى مسلم (١٢٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل : « وليقصّر وليحلق » .

(١) لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨] . ولما رواه البخاري (١٦٤٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت : وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما .

(٢) البيهقي في «السنن» ٩٧/٥ .

(٣) وسماها بعضهم شروطاً وقد نظمها فقال :

شروط سعي سبعة وقوعه	بعد طواف صح ثم قطعته
مسافة سبعاً يطن الوادي	مع فقد صارف عن المراد
وليس منكوساً ولا معترضاً	والبدء بالصفاء كما قد فرضا

(٤) لحديث جابر رضي الله عنه : « أبداً بما بدأ الله به ؛ فبدأ بالصفاء ... » أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(٥) أخرجه بعضه مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) ، والدارمي ٤٦/٢ من حديث جابر رضي الله عنهما .

جعل التحميد والتهليل دعاء ؛ لأنه ثناء على الله تبارك وتعالى ، وقد قال ﷺ حكاية عن الله تعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين »^(١) وقد قال الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

والركن الخامس : الطواف للإفاضة لقوله تعالى : ﴿ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] وواجبات الطواف بأنواعه ثمانية^(٢) . الأول : ستر العورة . والثاني : طهره عن حدث أصغر وأكبر ، وعن نجس كما في الصلاة ، فلو زالا في الطواف جدد الستر والطهر وبني على طوافه . والثالث : جعل البيت عن يساره ماراً تلقاء وجهه . والرابع : بدؤه بالحجر الأسود محاذياً له بجميع بدنه ، فلو بدأ بغيره لم يحسب ما طافه ، فإذا انتهى إليه ابتداءً منه ، ولو مشى على الشاذوراني الخارج عن عرض جدار البيت ، أو مسّ الجدار في موازاته ، أو دخل من أحد فتحتي الحجر المحوط بين الركنين الشاميين لم يصح طوافه . والخامس : كونه سبعاً . والسادس : كونه في المسجد . والسابع : نية الطواف إن استقل بأن لم يشمله نسك . والثامن : عدم صرفه لغيره كطلب غريم .

وأما السنن : فأن يطوف ماشياً ، ويستلم الحجر أول كل طوفة ، ويقبله ويضع جبهته عليه ، فإذا عجز استلم ، فإن عجز أشار بيده ، ويراعى ذلك في كل طواف . ولا يقبل الركنين الشاميين ولا يستلمهما ، ويستلم الركن اليماني ولا يقبله ، وأن يقول أول طوافه : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ ، وليقل قبالة البيت : اللهم البيت بيتك ، والحرم حرمك ، والأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار^(٣) . وعند الانتهاء

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦) ، والدارمي ٤٤١/٢ بنحوه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

(٢) وقد نظمها بعضهم فقال :

واجبات الطواف ستر وطهر	جعله البيت يافتي عن يسار
في مرور تلقاء وجهه وبالأ	سود يبدأ محاذياً وهو ساري
مع سبع بمسجد ثم قصد	لطواف في النسك ليس بجاري
فقد صرف لغيره ذي ثمان	قد حكى نظمها نظام الدراري

(٣) ذكره في «الأذكار» ص : ٣٢١ - ٣٢٢. وروى البيهقي في «السنن الكبرى» ٧٣/٥ عن سعيد بن المسيب يقول : سمعت عن عمر رضي الله عنه كلمة ما بقي أحد من الناس سمعها غيري سمعته يقول إذا رأى البيت : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام .

وروى الشافعي (٨٧٤) ومن طريقه البيهقي ٧٣/٥ عن ابن جريج أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : « اللهم زد هذا البيت تشريقاً ، وتكريماً ، وتعظيماً ، ومهابةً ، وزد من شرفه وكرمه من حجه واعتمره تشريقاً ، وتكريماً ، وتعظيماً ، وبراً » .

إلى الركن العراقي يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشك والشقاق والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق^(١)، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد^(٢). وعند الانتهاء إلى الميزاب: اللهم أظني في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك، واسقني بكأس محمد ﷺ شرباً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً، يا ذا الجلال والإكرام. وبين الركن الشامي واليماني: اللهم اجعله حجاً مبروراً، وسعيّاً مشكوراً، وعملاً مبروراً، ونجاة لن تبور، يا عزيز يا غفور. وبين الركنين اليمانيين^(٣): ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١] ويدعو بما شاء، ومأثور الدعاء أفضل من غير المأثور.

فرع: لو شك في عدد الطواف أو السعي أخذ بالأقل.

والركن السادس: ترتيب معظم الأركان بأن يقدم الإحرام على الجميع، والوقوف على طواف الركن والحلق أو التقصير، والطواف على السعي إن لم يفعل بعد طواف القدوم. ودليله الاتباع مع خير: «خذوا عني مناسككم»^(٤) ولم يتعرض الناظم لهذا الركن كأصله. وقد عدّه في «الروضة» ركناً وفي «المجموع» شرطاً، وما في «الروضة» أنسب كما في الصلاة. وقول الناظم: (إذ رجع) أي: من منى لمكة شرفها الله تعالى.

وقوله: (وكلها غير الوقوف) إلى آخر البيت، أشار به إلى أركان العمرة وهي خمسة: الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق، والترتيب في جميع أركانها كما ذكرناه؛ وذلك لشمول الأدلة السابقة.

واعلم أن الركن والواجب عندنا مترادفان، إلا في هذا الباب فقط، فالفرض: ما لا توجد ماهية الحج إلا به، ولا يجبر تركه بدم، والواجب: ما يجبر تركه بدم، ولا يتوقف وجود الحج على فعله.

ولما فرغ الناظم مما لا يجبر تركه شرع فيما يجبر تركه فقال:

(والواجب الإحرام من ميقاته والرمي للجمار في أوقاته)

- (١) أخرجه عن أبي هريرة بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق، وسوء الأخلاق» أبو داود (١٥٤٦) بإسناد ضعيف، لأن فيه بقية بن الوليد ودويّد بن نافع، قال المنذري: فيها مقال.
- (٢) قطعة من حديث عبد الله بن سرجس أخرجه مسلم (١٣٤٣) ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعاء السفر، وكآبة المنقلب، والحرور بعد الكون، ودعوة المظلوم، ومن سوء المنظر في الأهل والمال.
- (٣) الوعاء: المشقة والشدّة. المنقلب: المرجع.
- (٤) رواه الشافعي (٨٩٨) عن عبد الله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يا بني ركن بين ركن بني جمح والركن الأسود.
- (٤) أخرجه البيهقي في «السنن» ١٢٥/٥.

(وأن يبيت الشخص في المزدلفه وفي منى الليالي المشرفة)
(وترك ما يُسمّى محيطاً ساتراً وأن يطوف للوداع آخر)

(والواجب) أي: الواجبات غير الأركان خمسة: الأول: (الإحرام من ميقاته) ولو من آخره، والأفضل من أوله. والميقات في اللغة: الحد، والمراد به هنا زمن العبادة ومكانها.

فالميقات الزماني للحج سؤال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، فلو أحرم به في غير وقته انعقد عمره، وجميع السنة وقت إحرام للعمرة.

والميقات المكاني للحج في حق من بمكة نفس مكة، وميقات المتوجه من المدينة ذو الحليفة، والمتوجه من الشام ومصر والمغرب الجحفة، وميقات المتوجه من تهامة اليمن يلملم، وميقات المتوجه من الشرق والعراق وغيره ذات عرق. والأصل في المواقيت خير الصحيحين: أنه عليه السلام وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: «هن هن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة»^(١). ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة. ومن سلك طريقاً لا ينتهي إلى ميقات، فإن حاذى ميقاتاً أحرم من محاذاته، أو ميقاتين فالأصح أنه يحرم من محاذة أبعدهما، وإن لم يحاذ أحرم على مرحلتين من مكة. ومن مسكنه بين مكة والميقات فميقاته مسكنه. ومن بلغ ميقاتاً غير مريد نسكاً ثم أراد فميقاته موضعه، وإن بلغه مريداً لم يُجز مجاوزته بغير إحرام، فإن فعل لزمه العود ليحرم منه، إلا إذا ضاق الوقت أو كان الطريق مخوفاً، فإن لم يعد لزمه دم. وإن أحرم ثم عاد فالأصح أنه إن عاد قبل تلبسه بنسك سقط الدم، وإلا فلا. وميقات العمرة لمن هو خارج الحرم ميقات الحج، ومن بالحرم يخرج إلى أدنى الحِل ولو بخطوة، فإن لم يخرج وأتى بأفعال العمرة أجزأته في الأظهر وعليه دم، فلو خرج إلى الحِل بعد إحرامه سقط على المذهب.

وأفضل بقاع الحِل الجعرانة، ثم التنعيم^(٢)، ثم الحديبية.

(و) **الواجب الثاني:** (الرمي للجمار في أوقاته) أي: جمرة العقبة بسبع حصيات، ورمي الجمار الثلاث إذا عاد إلى منى وبات فيها، وليالي التشريق الثلاث إذا لم ينفر في الثاني منها كل جمرة

- (١) أخرجه عن ابن عباس البخاري (١٥٢٤)، ومسلم (١١٨١). وقد نظم ذلك بعضهم فقال:
قرن يلملم ذات عرق كلها في البعد مرحلتان من أم القرى
ولذي الحليفة بالمرحّل عشرة وبها لجحفة سنة فاشترى ترى
- (٢) حيث أحرمت أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما كما في صحيح مسلم (١٢١١). وسمي المكان بمسجد عائشة.

بسبع حصيات ، فمجموع الرمي سبعون حصاة . ويشترط أن يبدأ بالكبرى ثم الوسطى ثم يَحْتَمُ بِجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ . وعبارة الناظم بقوله : والرمي للجمار ؛ أخصر وأجود من قول أصله : ورمي الجمار الثلاث ؛ لشموله جمرة العقبة يوم النحر كما قَدَّرْتَهُ فِي كَلَامِهِ ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ يَجِبُ تَرْكُهُ بَدَمٍ ، وَيَدْخُلُ وَقْتُهُ بِنِصْفِ لَيْلَةِ النَّحْرِ ، وَيَقْبَى وَقْتُ اخْتِيَارِهِ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِهِ . وَأَمَّا وَقْتُ الْجَوَازِ فَيَأْتِي آخِرَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . وَيَدْخُلُ رَمِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِزَوَالِ شَمْسِهِ ، وَيَخْرُجُ وَقْتُ اخْتِيَارِهِ بِغُرُوبِهَا . وَأَمَّا وَقْتُ الْجَوَازِ فَيَأْتِي آخِرَ الْوَقْتِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ .

ويشترط في رمي يوم النحر وغيره كونه سبع مرات ، وكونه بيد ، وكونه بحجر ، فيجزىء بأنواعه ، وقصد المرمى ، وتحقق إصابته بالحجر . وإذا ترك رمي يوم أو يومين عمداً أو سهواً تداركه في باقي الأيام على الأظهر ولا دم ، فإن لم يتدارك وجب الدم ، فإن ترك رمي يوم النحر أو يوم من أيام التشريق فدم ، وكذا في اليومين والثلاثة ، وكذا لو ترك الكل عند الجمهور . والمذهب تكميل الدم في ثلاث حصيات ، وفي الحصاة الواحدة مدّ طعام ، وفي الحصاتين مدان .

(و) الواجب الثالث : (أن يبيت الشخص بالزدلفة) والواجب في المبيت بها ساعة في النصف الثاني من الليل ، فإذا تَفَرَّقَ قَبْلَ النِّصْفِ الثَّانِي لَزِمَهُ الْعُودُ ، فَإِنْ لَمْ يَعُدْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ لَزِمَهُ دَمٌ . وَيَسْنُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا حَصِي الرَّمِي وَهُوَ سَبْعُونَ حَصَاةً ، مِنْهَا سَبْعُ الرَّمِي يَوْمَ النَّحْرِ ، وَالْبَاقِي لِأَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَهُوَ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ حَصَاةً لِكُلِّ جَمْرَةٍ سَبْعُ حَصِيَّاتٍ . وَيَسْنُ أَنْ يَرْمِيَ بِقَدَرِ حَصِي الْحَذَفِ^(١) وَهُوَ طَوْلُ الْأَمْتَةِ طَوْلًا وَعَرْضًا بِقَدَرِ الْبَاقِلِ^(٢) . وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الرَّمِي اسْتَنَابَ مَنْ يَرْمِي عَنْهُ .

(و) الواجب الرابع : أن يبيت (في منى) . ليالي أيام التشريق معظم الليل ، ومحل وجوب مبيت الليلة الثالثة لمن لم ينفر النفر الأول كما أشرت إليه بقولي فيما مر : إذا لم ينفر في الثاني منها ، فمن ترك المبيت في الليالي الثلاث لزمه دم ، أو في ليلة فمَدَّ ، أو ليلتين فمَدَّان . نعم يجوز تركه للمعذور كرعاء الإبل وأهل السقاية ، كالعباس^(٣) رضي الله عنه .

والواجب الخامس : التحذير عن محرمات الإحرام ، كما أفاده من زيادته بقوله : (وترك ما يُسَمَّى مَخِطًا سَاتِرًا) وسيأتي إيضاحه .

(١) حصى الحَذَفِ : أي ما يرمى من حصاة صغيرة بطرفي أصبعيه الإبهام والسبابة .

(٢) أي : حية القول .

(٣) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن العباس بن عبد المطلب استأذن النبي ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته ، فأذن له . أخرجه البخاري (١٧٤٥) ، والدارمي ٧٥/٢ ، ومسلم (١٣١٥) وغيرهم .

والواجب السادس : طواف الوداع^(١) ، كما قال من زيادته مخالفاً لأصله حيث جعله من السنن : (وأن يطوف للوداع آخر) أي : إذا أراد الخروج من مكة^(٢) ، سواء كان حجتاً أم لا ، آفاقياً^(٣) يقصد الرجوع إلى وطنه أم مكياً يسافر لحاجة ثم يعود ، وسواء كان سفره طويلاً أم قصيراً ؛ لثبوته عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلًا ، فمن تركه لزمه دم ، ومن خرج بلا وداع وعاد قبل مسافة القصر وطاف سقط عنه الدم ، أو بعدها فلا في الأصح . وللحائض النفر بلا وداع ، فلو طهرت قبل مفارقة خطة مكة لزمها العود والطواف ، أو بعدها فلا ، والنفساء كالحائض^(٤) . ولا يكتف بعهده ، فإن مكث لغير اشتغاله بأسباب الخروج كشراء الزاد وشدّ الرحلة ونحوهما لم يحتاج إلى إعادته . والأصح أن طواف الوداع ليس من المناسك . وقول الناظم : يُسَمَّى ؛ مبني للمفعول .

فائدة : قال الشافعي رحمه الله : يسن لمن فرغ من طواف الوداع أن يأتي الملتزم ، فيلصق بطنه وظهره بمحاطة البيت ، ويسط يديه على الجدار ، فيجعل اليمنى مما يلي الباب واليسرى مما يلي الحجر الأسود ويدعو بما أحب ، والمأثور أفضل ومنه : اللهم البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى صيرتني في بلادك ، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك ، فإن كنت عني راضياً فازدد عني راضاً ، وإلا فمن الآن قبل أن تنأى عن بيتك داري ، ويعد عنك مزارعي ، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي ، غير مستبدل بك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم فاصحني العافية في بدني ، والعصمة في ديني ، وأحسن منقلي ، وارزقي العمل بطاعتك ما أبقيتني ، واجمع لي خيري الدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قدير قادر على ذلك . ثم يصلي على النبي ﷺ . ويسن دخول البيت والصلاة فيه .

(١) فائدة : في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ... ﴾ حمله في ترك الإحرام من الميقات بالحج ؛ وفي المتمتع فقط . أما إذا ترك المبيت بمنى أو المزدلفة أو الرمي وقد طاف الإفاضة فقد فرغ من الحج فكيف يتأق صومها في الحج وكذلك إذا ترك الإحرام بالعمرة من الميقات إذ لا حج ، وكذلك إذا ترك طواف الوداع لأنه واجب مستقل قال بعضهم :

والصوم في الحج ببعض الصور يمنع كالصوم للمعتمر
وصوم تارك المبيتين معا والرمي أو صوم الذي ما ودعا

(٢) لما روى مسلم (١٣٢٧) عن ابن عباس قال : كان الناس ينفرون في كل وجه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت » . ورواه أبو داود (٢٠٠٢) بلفظ : « حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت » .

(٣) الأصل في هذه النسبة للأفق المفرد فيقال : الأفقي ، لأن صبيغ النسب لا تصاغ من الجمع ، والأفق يراد به كل بلد غير مكة .

(٤) روى البخاري (١٧٥٥) ومسلم (١٣٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض . وقيست بالحائض النفساء .

(ويستحب أن يلبس الفتي وأن يطوف للقُدوم إذ أتى)
 (وأن يكون مفرداً لما ذكر بأن يحج ثم بعدُ يعتمر)
 (ورَكَعتان للطواف أكداً كذا البياض والإزار والردا)

اعلم أن سنن الحج كثيرة ، وذكر الناظم منها أموراً أولها : التلبية إلا عند الرمي ، فيستحب التكبير فيه دونها ، ويستحب الإكثار منها خصوصاً عند تغاير الأحوال ، كنزول وركوب ، وصعود وهبوط ، واختلاط ، ووقفة ، وفراغ صلاة ، وغير ذلك ، ومن لا يحسن العربية يأتي بها بلسانه وصيغتها : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك »^(١) . ويسن أن يرفع الرجل صوته بها بحيث لا يضّر نفسه ، وتقتصر المرأة على سماع نفسها . وإذا رأى ما يعجبه قال : « لبيك إن العيش عيش الآخرة »^(٢) وإذا فرغ من التلبية صلى وسلم على النبي ﷺ ، وسأل الله الجنة ورضوانه ، واستعاذ به من النار .

وثانيها : طواف القدوم كما قال : (وأن يطوف للقدوم إذ أتى) للاتباع^(٣) . ولو دخل والناس في مكتوبة صلاها معهم أولاً ، ولو أقيمت الصلاة وهو في أثناء الطواف قدمت الصلاة ، وكذا لو خاف فوت فريضة أو سنة مؤكدة . ولو قدمت امرأة نهاراً وهي جميلة أو شريفة لا تبرز للرجال أخرت الطواف إلى الليل . ويختص طواف القدوم بحاج دخل مكة قبل الوقوف ومثله الحلال .

(و) ثالثها : (أن يكون مفرداً لما ذكر) من خبر مسلم [١٢٣١] عن ابن عمر قال : أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفرداً . والإفراد فسرّه الناظم بقوله : (بأن يحج ثم بعد) الحج (يعتمر) بأن يخرج إلى أدنى الحل ويحرم بالعمرة ، فإن الحج والعمرة يؤدّيان على ثلاثة أوجه : الأول : هذا . والثاني : التمتع وهو عكسه^(٤) . والثالث : القرآن بأن يحرم بهما معاً في أشهر الحج ، أو يحرم بالعمرة

- (١) أخرج هذا الشعر للحاج عن ابن عمر البخاري (١٥٤٩) ، ومسلم (١١٨٤) ، وكان ابن عمر يزيد فيها : لبيك ، لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والرياء إليك والعمل . روى الزيادة الشافعي (٧٨٩) ، ومسلم (١١٨٤) . وزاد الترمذي (٨٢٥) بعد « والخير في يديك » : لبيك . وفي غير « مسند الشافعي » : « يديك » .
 (٢) رواه الشافعي (٩٣٤) ومن طريقه البيهقي ٤٥/٥ رسلاً ، ورواه الحاكم ٤٦٥/١ ، وابن خزيمة (٢٨٣١) ومن طريقه البيهقي ٤٥/٥ أيضاً وهو حديث مرفوع من حديث ابن عباس .
 وقد اقتبسه أحداهم فقال :

- لا ترغبن إلى الباب الفاخره واذكر عظامك حين تمسي ناخره
 وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل لبيك إن العيش عيش الآخرة
 (٣) لحديث عائشة رضي الله عنها : أن أول شيء بدأ به النبي ﷺ حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف . رواه مسلم (١٢٣٥) .
 (٤) أي يعتمر أولاً ثم يتحلل ، وقبل يوم عرفة يحرم بالحج من مكة كأهل مكة .

ثم يحج قبل شروع في طواف ، ثم يعمل عمل الحج فيها ، وأفضلها لإفراد إن اعتمر عامّة ، ثم التمتع أفضل من القران ، وعلى كل من التمتع والقران دم إن لم يكونا من حاضري المسجد الحرام^(١) وهم من مساكنهم دون مرحلتين منه .

ورابعها : ركعتا الطواف كما قال : (ورَكَعتان للطواف)^(٢) : بعده ، خلف المقام ، فإن لم يتيسر ففي الحجر ، فإن لم يتيسر ففي المسجد ، فإن لم يتيسر فحيث شاء من الحرم ، ثم في أي موضع شاء من غيره . ولا تفوت إلا بموته .

وخامسها : ما تضمنه قوله : (كذا البياض والإزار والردا) والمعنى : يسن أن يلبس لإحرامه إزاراً ورداءً أبيضين جديدين ، وإلا فمغسولين ونعلين . وحذف الناظم من أصله هنا أموراً لبنائها على قول ضعيف^(٣) . ولابد أن يتجرد الرجل عند الإحرام عن الخيط وجوباً على المعتمد ، ولا نزاع على المرأة والخنثى في غير الوجه والكفين كما يأتي بيانه قريباً . وقد بقي للحج سنن كثيرة ذكرت منها جملاً في « المناسك » و« شرح الزيد »^(٤) . ثم شرع في بيان محرمات الإحرام فقال :

باب محرمات الإحرام

(وهذه عشر خصال تحرم من محرم وكلها ستعلم)
 (لبس الخيط مطلقاً من الذكر وستر بعض رأسه بلا ضرر)
 (ووجهها كُراسه إذا استتر وقلم أظفار كذا حلق الشعر)
 (وقتل صيد كالللال في الحرم والقطيع من أشجاره كالصيد ثم)
 (والوطء والنكاح والمباشرة بشهوة ومسّ طيب عاشره)
 (ثم الفدا من كل ما منها وجد إلا النكاح فهو غير منعقد)
 (والظفر فيه المدّ والظفران كالشعرتين فيما مدان)

- (١) قال تعالى في التمتع المقيس به القارن : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] .
 (٢) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً ، ثم صلى خلف للقام ركعتين . رواه البخاري (١٦٢٧) .
 (٣) وهي : المبيت بالزدلفة ، والمبيت بمنى ، وطواف الوداع لأن الأرجح وجوبها .
 (٤) ص ٧٩ - ٨٠ . ومنها أيضاً : الرمل والاضطباع في ثلاثة أشواط الطواف الأولى إذا وليه سعي ، والخروج إلى منى يوم التروية وجمعه بها الصلاة ، والدعاء عند المشعر الحرام ، وإسراعه في وادي محسر ، ودفن شعر حلق ، والتكبير عند رمي حصيات الجمار .

(والنسكان مطلقاً قد أبطلوا بالوطء إلا وطء من تحللاً)
(وواجب بالوطء هدي والقضا وكونه في فاسد به مضى)

(وهذه عشر خصال) من أمور كثيرة (تحرم من محرم) أي : على محرم بحج أو عمرة أو بهما (وكلها ستعلم) أولها : (لبس الخيط مطلقاً) أو ما في معناه كالمنسوج على هيئته واللبد، وسواء كان من قطن أو جلد أو غير ذلك في جميع بدنه إذا كان معمولاً على قدره على الهيئة المألوفة فيه ، فيخرج ما إذا ارتدى بقميص أو قباء أو اتزر بسر اويل فإنه لا فدية في ذلك ، والأصل في ذلك الأخبار الصحيحة كخبر الصحيحين [البخاري (١٥٤٢) ، ومسلم (١١٧٧)] عن ابن عمر : أن رجلاً سأل النبي ﷺ : ما يلبس المحرم من الثياب ؟ فقال : « لا يلبس القميص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف ، إلا أحداً لا يجد نعلين فيلبس الخفين ، وليقطع ما أسفل من الكعبين ، ولا يلبس من الثياب شيئاً مسه زعفران أو ورس » زاد البخاري : [١٨٣٨] « ولا تتقب المرأة ولا تلبس القفازين » وخرج بقول الناظم : (من الذكر) المرأة ، فلها لبس الخيط في الرأس وغيره ، إلا القفاز في الأظهر .

تنبيه : لو احتاج إلى لبس الخيط لمداواة أو حرّ أو برد جاز ووجبت الفدية .

(و) ثانيها : (ستر بعض رأسه) أي : الذكر ، ولو البياض الذي وراء الأذن .

وثالثها : ستر بعض الوجه من المرأة كما قال : (ووجهها) أي : المرأة (كرأسه إذا استتر) بما يعدّ ساتراً عرفاً من مخطط أو غيره كلقنسوة وعمامة وخرقة وعصابة ، وكذا طين ثخين في الأصح . ومحل التحريم إذا لم يكن عذر كما أفاده الناظم من زيادته بقوله : (بلا ضرر) فإن كان كمداواة أو حرّ أو برد جاز ووجبت الفدية ، واحتترز في ستر الرأس بالذكر عن المرأة ، وفي ستر الوجه في المرأة عن الذكر . أما ما لا يعدّ ساتراً كوضع يده أو يد غيره ، أو زنبيل أو حمل ، أو التوسد بوسادة أو عمامة ، والانغماس في الماء ، والاستظلّال بالحمل وإن مسّ رأسه فلا يحرم .

تنبيه : إذا أرادت المرأة ستر وجهها عن الناس أرخت عليه ما يستره كنجو ثوب متجاف عنه بنحو خشبة بحيث لا يقع على البشرة ، وليس لها ستر الكفين ولا أحدهما بالقفاز كما مر ، وهو شيء يعمل لليلدين يحشى بقطن وتكون له أزرار تزرّ على الساعدين من البرد تلبسه المرأة في يديها ، ومراد الفقهاء ما يشمل المحشو وغيره .

(و) رابعها : (قلم أظفار) ه من اليد أو الرجل ، والمراد إزالتها بقلم أو غيره ، وتكمل الفدية في إزالة ثلاثة أظفار .

وخامسها : حلق الشعر ، أي : إزالته من الرأس أو غيره بخلق أو غيره ، قال تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رؤوسكم ﴾ [البقرة : ١٩٦] أي : شعورها ، وشعر سائر الجسد ملحق به ، وتكمل الفدية في إزالة ثلاث شعرات .

(و) سادسها : (قتل صيد بري مأكول وحشي^(١)) كاللحلال) أي : كما يحرم على الحلال اصطیاد المأكول أو المتولد منه ومن غيره (في الحرم) بالإجماع كما قاله في « المجموع » ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ﴾ [المائدة : ٩٦] أي : أخذه ، وخبر الصحيحين [البخاري (٣١٨٩) ، ومسلم (١٣٥٣)] أنه ﷺ قال يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرام بحرمة الله ، لا يعضد شجره ، ولا ينفر صيده » أي : لا يجوز تنفير صيده لا لحرم ولا للحلال ، فغير التنفير أولى ، وقيس بمكة باقي الحرم .

تنبيه : يكره أن يفلي رأسه أو لحيته ، فإن قتل منها قملة تصدّق ولو بلقمة ندباً . وقول الناظم : (والقطع من أشجاره) أي : الحرم (كالصيد ثم) أي : هناك ، أشار به إلى أنه يحرم على المحرم والحلال قطع شجر الحرم كقتل الصيد ، فيحرم قطع كل شجر رطب غير مؤذٍ حرمي إلا اليابس ، وكذا العوسج وكل ذي شوك على الصحيح ، والمستنبت كغيره على المذهب ، والأظهر تعلق الضمان به فضمن الشجرة الكبيرة ببقرة والصغيرة بشاة ، وإن صغرت جداً فالقيمة . ويضمن الكلاء بالقيمة ، فإن أخلف فلا ، وإن كان يابساً فقطعه فلا بأس ، أو قلعه ضمن ، ويجوز ذلك للعذر كرعي البهائم فيه وأخذه لعلفها ، ويحل الإذخر وكذا غيره للدواء .

تنبيه : صيد حرم المدينة حرام ، وكذا وجّ الطائف ، ولا يضمن في الجديد .

فائدة : حدود الحرم معروفة ، ونظم بعضهم مسافتها بالأميال فقال :

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رُمّت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف ومن جدة عشر ثم تسع جعراًنه
ومن يمن سبع بتقديم سينها وقد كملت فاشكر لربك إحسانه

(١) لقوله تعالى : ﴿ لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم .. ﴾ المائدة : ٩٥ ، ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الصعب بن جثامة أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً - وهو بالأبواء أو بؤدان - فردّه عليه رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهه قال : « إنا لم نرده عليك إلا أننا حرم » رواه الشافعي (٨٤٢) ، والبخاري (١٨٢٥) ، ومسلم (١١٩٣) .

(و) **سابعها** : (الوطء) بإدخال الحشفة أو نحوها من مقطوعها ، فإنه يحرم بالإجماع ولو لبهيمه في قُبَل أو دُبُر ، ويحرم على المرأة الحلال تمكين زوجها المحرم من الجماع ؛ لأنه إغانة على معصية ، ويحرم على الحلال وطء زوجته المحرمة .

(و) **ثامنها** : (النكاح) أي : عقده بولاية أو وكالة ، وكذا قبوله أو توكيله^(١) . أما الرجعة فلا تحرم عليه على الصحيح ؛ لأنها استدامة نكاح .

(و) **تاسعها** : (المباشرة) قبل التحلل الأول فيما دون الفرج (بشهوة) لا بغيرها ، وكذا يحرم الاستمنا باليد .

(و) **عاشرها** : (مس طيب ..) أي : استعماله في بدنه أو ملبوسه ولو نعلًا كالمسك والكافور والورس والزعفران ، وعدّ من استعماله أن يأكله أو يحتقن به أو يستعط ، وأن يحتوي على جمرة عود فيتبخر به ، وأن يشد المسك أو العنبر في ثوبه ، أو تضعه امرأة في جيبها ، أو تلبس الحلي المحشوّ به ، أو يجلس أو ينام على فراش مطيب أو أرض مطيبة ، أو يدوس الطيب بنعله لأنها ملبوسة ، فيجب مع التحريم في ذلك الفدية .

تنبيهان : **أحدهما** : لو استهلك الطيب في الخاطل له بأن لم يبق له ريح ولا طعم ولا لون كأن استعمل في دواء جاز استعماله وأكله ولا فدية ، وما يقصد به الأكل أو التداوي وإن كان له ريح طيبة كالنفاخ وسائر الأبازير الطيبة كالمصطكى^(٢) لم يحرم ولم تجب فيه الفدية .

ثانيهما : من محرمات الإحرام أيضاً : دهن شعر الرأس أو اللحية بدهن غير مطيب من سمن وزبد وزيت وذائب شحم وشمع وغيرها ، لما فيه من التزيين للشعر وتنميته المتأفين لخير : المحرم أشعث أغبر . أي : شأنه المأمور به ذلك ، ففي مخالفته بالدهن المذكور الفدية . وخرج بالدهن الأكل فلا يحرم ، ولا فدية في دهن رأس أقرع وأصلع وذقن أمرد لانتهاء المعنى . وللمحرم الاحتجام والفصد ما لم يقطع فيها شعر . وقوله : (ثم الفدا) أي : الفدية الآتي بيانها في الفصل الآتي تجب (في كل ما منها) أي : من المحرمات المذكورة (وجد . إلا النكاح فهو غير منعقد) فلا تجب فيه الفدية ، إذ وجوده كالعدم . (والظفر) الواحد إذا أزاله (فيه المدّ) وهو ملء خنة من الطعام وكذا

الشعرة الواحدة (والظفران) إذا أزالهما (كالشعرتين فيهما مدان) من الطعام ، ويكمل الدم في إزالة ثلاث شعرات وثلاثة أطفار كما تقدم ، وما تضمنه هذا البيت من زيادته .

واعلم أن المعذور له الحلق إذا كثرت الهوام برأسه ، أو كانت به جراحة وأوجعه أذاها إلى الحلق وعليه الفدية . ولو نبتت شعرة أو شعرات داخل الجفن وكان يتأذى بها فله قلعها ولا فدية عليه ؛ لأن التأذي من نفس الشعر ، فهو كالصيد الصائل على المحرم ، بخلاف الصورة الأولى . ولو حلق الرأس أو قلم الظفر ناسياً وجبت الفدية على الأصح ؛ لأن الإلتافات لا فرق فيها بين العمد والخطأ كما في ضمان الأموال . وقوله : (والنسكان) أي : الحج والعمرة (مطلقاً قد أبطل . بالوطء ...) في الفرج فقط وإن لم ينزل إذا وقع في العمرة قبل الفراغ منها ، وفي الحج قبل التحلل الأول قبل الوقوف بإجماع ، وبعده خلافاً لأبي حنيفة لأنه وطء صادف إحراماً صحيحاً لم يحصل فيه التحلل الأول ولو كان المجمع في الحج والعمرة رقيقاً أو صيباً مميزاً لقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ (البقرة : ١٩٧) والرفث : الجماع ، والفسوق : العصيان ، والآية لفظها لفظ الخير ومعناها النهي ، أي : لا ترفثوا ولا تفسقوا . والأصل في النهي الفساد ، وقاسوا العمرة على الحج . أما غير المميز من صبي ومجنون فلا يفسد ذلك بجماعه ، وكذا النامي والجاهل والمكره . وواجب في الوطء المذكور هدي وهو بدنة^(١) ، فإن لم يجد فبقرة ، فإن لم يجد فسبع من الغنم ، فإن لم يجد قومت البدنة بالدرهم واشترى بالدرهم طعاماً وتصدق به ، فإن لم يجد صام عن كل مد يوماً وقد ذكره الناظم بعد . وإذا جامع المحرم لا يخرج عنه بالفساد بل يجب المضى في فاسد نسكه من حج أو عمرة ، ويجب القضاء . روي عن عمر وعليّ وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم قالوا : من أفسد حجه مضى في فاسده ، وقضى من قابل . وقول الناظم : والظفر والظفران بسكون الفاء ، والألف في قوله : قد أبطل ؛ للثنية ، وفي قوله : تحللاً ، للإطلاق .

تتميم : يحصل التحلل الأول في الحج بفعل اثنين من ثلاث ، وهي : رمي يوم النحر ، والحلق أوالتقصير ، والطواف المتبوع بالسعي إن لم يكن سعى من قبل ، ويحلّ به اللبس وستر الرأس للرجل والوجه للمرأة والحلق والقلم والطيب والصيد ، ولا يحل به عقد النكاح ولا المباشرة فيما دون الفرج ، وإذا فعل الثالث بعد الاثنين حلّ التحلل الثاني وحلّ به باقي المحرمات بالإجماع^(٢) . أما العمرة فليس

(١) وهي أثني الحمل ، وجمعها بدن ، ويقال لها أيضاً : الناقة .

(٢) وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

رمي وحلق مع طواف تبعاً بالسعي ذي ثلاثة فاستمعاً
بأثنين منها يحصل التحلل إلا النساء وبالثلاث يحصل

(١) لما روى الشافعي (٨٢٠) عن مالك عن نافع عن نبيه بن وهب عن أبان بن عثمان أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينكح الحرم ، ولا ينكح ، ولا يخطب » . ورواه الشافعي عن عثمان (٨٢١) ، وروى أيضاً عن ابن عمر (٨٢٢) قال : لا ينكح الحرم ، ولا ينكح ، ولا يخطب على نفسه ، ولا على غيره .

(٢) المصطكى ويضم : الملك الرومي اهـ « متن اللغة » .

لها إلا تحلل واحد ؛ لأن الحج يطول زمنه وتكثر أعماله ، فأبيح بعض محرّماته في وقت وبعضها في وقت آخر ، بخلاف العمرة .

ثم شرع الناظم في الفوات فقال :

(ومن يفت وقوفه تحللاً بعمرة إن كان عن حصر خلا)
 (أو فاته ركن سواه لم يحل من ذلك الإحرام إلا إن فعل)
 (وإن يفته واجب يرق دماً أو سنة فما بشيء ألزماً)

في هذه الآيات مسألتان : الأولى : من فاته الوقوف بعرفة وبفواته يفوت الحج تحلل وجوباً بعمرة ، أي : بعملها من طواف وسعي إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وحلق ؛ لأن في بقائه محرماً حرجاً شديداً يعسر احتماله . ويجب قضاء الحج الذي فاته بوقوف عرفة فرضاً كان أو تطوعاً فوراً ؛ لما رواه مالك في « الموطأ » ٣٨٣/١ بإسناد صحيح عن هبار بن الأسود : أن عمر رضي الله عنه أفنى بذلك^(١) واشتهر في الصحابة ولم ينكروه . ويجب عليه مع القضاء الهدى أيضاً ، وهو دم التمتع وسياقي بيانه .

تنبيه : إنما يجب القضاء في فوات لم ينشأ عن حصر ، فإن نشأ عنه بأن حصر فسلك طريقاً آخر فقافته الحج وتحلل بعمرة فلا إعادة عليه ؛ لأنه بذل ما في وسعه ، وهذا مراد الناظم بقوله من زيادته : (إن كان عن حصر خلا) فافهمه .

الثانية : من (فاته ركن) من أركان الحج (سواه) أي : الوقوف أو من أركان العمرة (لم يحل) بفتح المثناة التحتية وكسر المهملة ، أي : لم يخرج (من ذلك الإحرام إلا إن فعل) ذلك المتروك ولو بعد سنين ؛ لأن الطواف والسعي والحلق لا آخر لوقتها . (وإن يفته واجب) من واجبات الحج والعمرة المتقدمة عمداً أو سهواً أو جهلاً (يرق دماً) وجوباً ، وهو شاة تجزى في الأضحية ، وهو المراد هنا حيث أطلق (أو) ترك (سنة) من سنن الحج أو العمرة لم يلزمه بتركها شيء كتركها من سائر العبادات . والألف في قوله : تحللاً ، وألزمها للإطلاق . وقوله : فعل ، وألزمها ، بالبناء للمفعول .

(١) ولفظه في « الموطأ » أن هبار بن الأسود جاء يوم النحر ، وعمر بن الخطاب ينحر هديه . فقال يأمر المؤمنين . أخطأنا العدة . كنا نرى أن هذا اليوم يوم عرفة . فقال عمر : اذهب إلى مكة . فظف أنت ومن معك . وانحروا هدياً إن كان معكم . ثم احلقوا أو قصروا وارجعوا . فإن كان عام قابلاً فحجوا واهدوا . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع . قال مالك ٣٨٤/١ : ومن قرن الحج والعمرة . ثم فاته الحج فعليه أن يحج قابلاً ، ويقرن بين الحج والعمرة ، ويهدي هديين : هدياً لقرانه الحج مع العمرة ، وهدياً لما فاته من الحج .

فصل : في بيان الدماء وما يقوم مقامها

(وسائر الدماء في الإحرام محصورة في خمسة أقسام)
 (فالأول المرتب المقدر بترك أمر واجب ويجزى)
 (بذبح شاة أولاً أو صاماً للعجز عنه عشرة أياماً)
 (ثلاثاً في الحج في محله وسبعة إذا أتى لأهله)

اعلم أن المقصود بهذا الكلام على أمرين :

أحدهما : أي دم يجب على الترتيب ، وأيّ دم يجب على التخيير ، وهاتان الصفتان متقابلتان . فمعنى الترتيب : أنه يتعين عليه الذبح ولا يجوز العدول إلى غيره إلا إذا عجز . ومعنى التخيير : أنه يفوّض الأمر إلى خيrote ، فله العدول إلى غيره مع القدرة عليه .

والثاني : أي دم يجب على سبيل التقدير ، وأيّ دم يجب على سبيل التعديل ، وهاتان الصفتان متقابلتان أيضاً . فمعنى التقدير : أن الشرع قدر البدل المعدول إليه ترتيباً أو تخييراً لا يزيد ولا ينقص . ومعنى التعديل : أنه أمر فيه بالتقويم والعدول إلى الغير بحسب القيمة ، إذا تقرّر ذلك (فسائر الدماء) الواجبة (في الإحرام) بترك مأمور وارتكاب منهي (محصورة في خمسة أقسام * فالأول المرتب المقدر) وهو الدم الواجب (بترك . أمر واجب) مما مر ، ويجزى الواجب المتروك (بذبح شاة ..) مجزئة في الأضحية أو سبّع بدنة أو سبّع بقرة ، فإن لم يجد صام عشرة أيام بدلها وجوباً (ثلاثة) منها (في الحج في محله) لقوله تعالى : ﴿ فمن لم يجد - أي : الهدى - فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٦] أي : بعد الإحرام بالحج ، فلا يجوز تقديمها على الإحرام بخلاف الدم . ويستحب قبل يوم عرفة ؛ لأنه يستحب للحاج فطره ، ولا يجوز صوم شيء منها يوم النحر ولا في أيام التشريق في الجديد ، (و) صام بعد الثلاثة سبعة من الأيام (إذا أتى ...) أي : رجع إلى أهله إن أراد الرجوع إليهم لقوله تعالى : (وسبعة إذا رجعت) [البقرة : ١٩٦] ولقوله ﷺ للمستمتع : « من كان معه هدي فليهد .. » ، ومن لم يجد فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا

رجع لأهله» رواه الشيخان^(١) فلا يجوز صومها في الطريق لذلك ، فإن أراد الإقامة بمكة صام بها كما في « البحر » ، ويندب تتابع السبعة أداء كانت أو قضاء^(٢) .

تنبيهان : أحدهما لو فاتت الثلاثة في الحج بعذر أو غيره لزمه قضاؤها ، ويفرق في قضاها بينها وبين السبعة بقدر أربعة أيام : يوم النحر ، وأيام التشريق ، ومدة إكمال السير إلى أهله على العادة الغالبة كما في الأداء .

ثانيهما : قول الناظم : بترك أمر واجب ؛ شامل لثلاثة أنواع : دم التمتع ، وإنما وجب بترك الإحرام بالحج من الميقات . والثاني : دم الفوات للوقوف بعد التحلل بعمل عمرة . والثالث : الدم المنوط بترك مأمور من الواجبات المتقدمة . ووقت وجوب الدم على التمتع إحرامه بالحج ؛ لأنه حينئذ مستمتع بالعمرة إلى الحج ، والأفضل ذبحه يوم النحر . والألف في قوله : صاماً ؛ للإطلاق .

(ثاني الدماء مخير مقدر بنحو حلق من أمور تحظر)
(فالشاة أو ثلاثة أيام يصومها أو أصغ طعام)
(لستة هم من مساكين الحرم لكل شخص نصف صاع منه ثم)

(ثاني الدماء الواجبة وهو مخير مقدر) الدم الواجب (بنحو حلق من أمور تحظر) أي : تمتع من الحرم قتلهم ظفر من يد أو رجل ، إذ الفدية تكمل في إزالة ثلاث شعرات أو ثلاثة أظفار كما تقدم^(٣) ، بأن اتحد الزمان والمكان (فالشاة) تجب (أو ثلاثة أيام . يصومها) ولو متفرقة (أو أصغ طعام) يتصدق بها ، وهي ثلاثة أصغ بمد الهزمة وضم المهملة : جمع صاع (لستة هم من مساكين الحرم . لكل شخص منهم) نصف صاع منه (أي : من الطعام) ثم بفتح المثلثة ، أي :

(١) أخرجه البخاري (١٦٩١) ، ومسلم (١٢٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) نقل الجبرمي عن ابن المقرئ نظمه :

أربعة دماء حج تحصر أولها المرتب المقدر
تمتع فوت وجع قرننا وترك رمي والمبيت بمنى
وتركه الميقات والمزدلفه أو لم يودع أو كمشي أخلفه
ناذره يصوم إن دما فقد ثلاثة فيه وسعاً في البلد

(٣) ولحديث كعب بن عجرة وقد مر به رسول الله ﷺ فقال : « أؤذيك هوام رأسك ؟ » قال نعم . قال : « فالحق رأسك ، وإنسلك بدم ، أو صم ثلاثة أيام ، أو تصدق بفرق من طعام على ستة مساكين » . الفرق : ثلاثة أصغ . رواه البخاري (١٨١٤) ، ومسلم (١٢٠١) . وتشمل هذه الفدية أموراً أخرى أيضاً جمعها ابن المقرئ بقوله :

في الحلق والقلم وليس دهن طيب وتقبيـل ووطء ثني
أو بـسـن تحلل ذو إحرام هذي دماء الحج بالتمام

هناك ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه - أي : فحلق - ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

فائدة : سائر الكفارات لا يزيد المسكين فيها مد إلا في هذه :

(ثالثها مخير معدّل بقطع نبت أو بصيد يقتل)
(فإن يكن للصيد مثل في النعم فليذبح المثل ابتداء في الحرم)
(أو يشترى لأهل ذلك الحرم حباً بقدر ماله من القيم)
(أو يعدل الأمداد منه صوما يصومه عن كل مد يوماً)
(وخيروا في الصوم والإطعام في إتلاف صيد حيث مثله تُقي)

(ثالثها) أي : الدماء الواجبة وهو (مخير معدّل) الدم الواجب (بقطع نبت) حرمي (أو بصيد) مأكول بري وحشي (يقتل) ومثله المتولد من المأكول البري الوحشي ومن غيره ، كمتولد بين حمار وحشي وحمار أهلي . والصيد ضربان : ماله مثل من النعم في صورته وخلقه تقريباً فيضمن بالمثل . وما لا مثل له فيضمن بالقيمة إن لم يكن فيه نقل . ومن الأول ما فيه نقل بعضه عن النبي ﷺ وبعضه عن السلف فيبيع (فإن يكن للصيد) المقتول أو الزمن (مثل في النعم) أو شبهه ، أي : شبه صورتي من النعم (فليذبح المثل ابتداء في الحرم) ويتصدق به على مساكين وفقرائه . ففي إتلاف النعامة بدنة ، وفي البقر الوحشي أو حمارة بقرة ، وفي الغزال وهو ولد الظبية إلى أن يطلع قرنأه جفر صغير ، ففي الذكر جدي ، وفي الأنثى عناق ، فإذا طلع قرنأه سمي ظيباً والأنثى ظبية وفيهما عنز وهي الأنثى من المعز التي تم لها سنة ، وفي الأرنب عناق وهي أنثى المعز ، وفي اليربوع جفرة وهي أنثى المعز إذا بلغت أربعة أشهر ، وفي الضبع كبش ، وفي الثعلب شاة^(١) ، وما لا نقل فيه

(١) تمة : روى الترمذي (٨٣٨) وحسنه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتل الحرم السبع العادي » . لكن فيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف .

أما ما يباح قتله فقد ورد في أكثر من خير فمن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم . الغراب ، والحداة ، والعقرب ، والقسرة ، والكلب العقور » رواه البخاري (١٨٢٩) ، ومسلم (١١٤٨) . وحديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : « خمس من الدواب ليس على الحرم في قتلهن جناح » رواه البخاري (١٨٢٦) ، ومسلم (١١٩٩) .

وأما الحية فقد روى ابن عمر - كما في مسلم (١٢٠٠) عن إحدى نسوة النبي ﷺ - ثبوت قتلها . وأما الذئب فقد ثبت قتله في حديث ابن عمر رواه الدارقطني ٢٣٢/٢ .

ونهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب . النحلة ، والنملة ، والمدهد ، والصرد . رواه أحمد (٣٦٠٧) ، وأبو داود (٥٢٦٧) ، وابن حبان (٥٦٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ونهى عن قتل الخطاطيف أي : الخفاش . رواه البيهقي ٣١٨/٩ . ونهى عن قتل الضفدع رواه أبو داود (٣٨٧١) ، والحاكم ٤١١/٤ وصححه من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي رضي الله عنه .

أي : (شربنا) معاشر المسلمين (من ماء زمزم ندب) للاتباع ، رواه الشيخان ، ولخير الحاكم في « المستدرک » [٤٧٣/١]^(١) : « ماء زمزم لما شرب له » فيستحب شربه (للدين والدنيا وكل ما طلب * كالعلم والنكاح أيضاً والشفا) ويستحب لمن شربه للمغفرة أو الشفاء من مرض أن يستقبل القبلة ثم يسمي الله ثم يقول : إنه بلغني عن رسولك ﷺ أن ماء زمزم لما شرب له ، وأنا أشربه لتغفر لي ، اللهم اغفر لي . وكذا إذا شربه للشفاء ونحوه . ويسن التزود منه . وأما ما يذكر على الألسنة أن فضيلته ما دام في محله قال في « المقاصد الحسنة » [٩٢٨] : فهذا شيء لا أصل له . ولزمزم أسماء كثيرة منها : زمزم ، وهزمة جبريل ، وسقيا إسماعيل ، وبركة ، وسيدة ، ونافعة ، وعونة ، وبشرى ، وصافية ، وبرة ، وعصمة ، وسالمة ، وميمونة ، ومباركة ، وكافية ، وعافية ، ومغذية ، وطاهرة ، وحرمة ، وغير ذلك . وخواصها كثيرة . .

ويسن زيارة قبر النبي ﷺ بعد فراغ الحج لخبر : « من حج ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عدي في « الكامل » [٢٤٨٠/٧] عن ابن عمر^(٢) وغيره . وروى الدارقطني [٢٧٨/٢] وغيره عن ابن عمر : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ومفهومه أنها جائزة لغير زائره ، فزيارته ﷺ من أهم القربات وأرجح المساعي وأفضل الطلبات ، فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة يستحب لهم أن يتوجهوا إلى المدينة المنورة لزيارته ، وليكثر المتوجه إليها من الصلاة والسلام عليه ، ويزيد منها إذا أبصر جدرانها مثلاً . ويستحب أن يغتسل قبل دخوله ويلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخل المسجد قصد الروضة وهي ما بين القبر والمنبر ، وهي روضة من رياض الجنة كما في الصحيحين^(٣) ، فيصلي تحية المسجد بجانب المنبر ، ثم يأتي القبر فيستقبل رأسه ويستدير القبلة ويبعد منه نحو أربعة أذرع ، ويصير ناظراً إلى أسفل ما يستقبله من مقام الهيبة والجلال ، فارغ القلب من علائق الدنيا ، ويسلم ولا يرفع صوته فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك وعلى آلك وأصحابك وأهل بيتك وعلى النبيين وسائر الصالحين ، أشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت

(١) والحديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما . ورواه عن جابر أيضاً ابن ماجه (٣٠٦٢) قال السيوطي في حاشية الكتاب هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيراً ، واختلف الحفاظ فيه ؛ فمتمم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم من ضعفه . والمحمد الأول . وقال السندي : وقد ذكر العلماء أنهم جربوه فوجدوه كذلك . والبيهقي في « السنن » ٣٠٢/٥ . وانظر « التلخيص الخیر » ٢٦٨/٢ - ٢٦٩ .

(٢) ورواه عن ابن عمر أيضاً ٧٩٠/٢ : « من حج فزارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحني » ورواه الدارقطني ٢٧٨/٢ - قال ابن الملقن في « الخلاصة » (١٣٥٢) من رواية حاطب ، وفي إسناده مجهول . وفي رواية : « من زار قبري فله الجنة » رواه الدارقطني ٢٧٨/٢ وقال : ابن خزيمة بعد أن رواه : إن صح الخبر ، فإن في القلب من إسناده .

(٣) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (٦٥٨٨) ، ومسلم (١٣٩١) .

الأمة ، فجزاك الله عنا خيراً ، وأفضل ما جزى رسولاً عن أمته . وإن كان قد أوصاه أحد بالسلام قال : السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه ، ثم يستقبل القبلة ويدعو لنفسه ومن شاء من المسلمين ، ويعتزم هذا الوقت الشريف . وما يقول الزائر عند قبره الشريف :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعُ أعظمُهُ فطابَ مِنْ نشرهنَّ القاعُ والأَكْمُ
روحي الفداء لقمير أنت ساكنُهُ فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ
أنت الحبيب الذي تُرجى شفاعته عند الصراط إذا ما زلَّت القدمُ

وليُحذر من الطواف بقبره ﷺ . فإذا أراد السفر استحب أن يودع النبي ﷺ ويقول : اللهم لا تجعل هذا آخر العهد من حرم رسول الله ﷺ ، ويسر لي سبيل العود إلى الحرمين بمنك وفضلك ، وارزقي العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، وردنا سالمين غانمين آمين^(١) .

خاتمة : يحرم نقل تراب الحرمين وأحجارها وما عمل من طين أحدهما كإبريق إلى الحل ، فيجب رده إلى الحرم ، بخلاف ماء زمزم كما مر . ويحرم أخذ طيب الكعبة ، فمن أراد التبرك مسحها بطيب نفسه ثم يأخذها . وأما ستر الكعبة فالأمر فيه إلى الإمام يصرفه في حظ مصارف بيت المال بيعاً وعطاء لئلا يتلف بالبلل ، وبهذا قال ابن عباس وعائشة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم ، وجوزوا لمن أخذه لبسه ولو جنباً وحائضاً . ويسن للمسافر إذا رجع إلى أهله أن يحمل لهم هدية ولو حجراً ، وأن يرسل إليهم من يعلمهم بقدمه ، إلا إن اشتهر بجيئه كأن كان في قافلة أو نحوها . وهنا انتهى الكلام على ما يتعلق بربع العبادات ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) فائدة : ويستحب أن يزور الحاج مسجد قباء ، يقال : إنه أول مسجد أسس على التقوى . روى البخاري (١١٩١) ، ومسلم (١٣٩٩) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء ... راكباً وماشيئاً . وأخرج أحمد ٤٨٧/٣ ، والنسائي ٣٧/٢ ، والطبراني في « الكبير » (٥٥٥٨) عن سهل بن حنيف قال : قال النبي ﷺ : « من خرج حتى يأتي هذا المسجد فيصل فيه - يعني مسجد قباء - كانت له كعدل عمرة ، وروى الطبراني (٥٥٥٩) عنه أيضاً : « من أتى مسجد قباء فصل فيه كانت عمرة » . (٥٥٦٠) عنه أيضاً وفيه : « كعتق رقبة » . وأن يزور البقيع وشهداء أحد لعهدته ﷺ ذلك ومسجد القبايين ونحوها من البقاع التي كان فيها تلك الأحداث والوقائع والمآثر التاريخية والدينية .

كتاب البيع

اعلم أن الناظم - أعلى الله درجته - ثنى بربع المعاملات بعد ختم ربع العبادات ؛ لاحتياج قيام البنية الإنسانية إلى اكتساب ما يقوم بها من مأكل ومشروب وستر عورة ومسكن وأثمان ما يحصل ذلك ونحوه مما لا غنى عنه ، إذ الإنسان الواحد مدني الطباع يحتاج إلى ما تشتمل عليه مدينة كاملة من صناعات وبياعات وزراعات وحرف وإلى غير ذلك ، يوضح ذلك أن القرص من الخبز لا يصل إلى العبد ليلوي عليه شذقيه إلا بعد أن يعمل فيه نحو مئة صانع ، فليت شعري متى يعيش العبد القصير العمر أو طويله ليحصل بعض تلك الصناعات ؟ فسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء وهو الحكيم الخبير . وقدم الناظم من ذلك الربع كتاب البيع على غيره لتضمن البيع تحصيل الأموال واستثمارها ، والمقصود منها المعاش الدنيوي لأن يكون سبباً إلى تحصيل المقصود الأخروي إن شاء الله تعالى . والبيع لغة : مقابلة شيء بشيء . قال الشاعر :

ما بعثكم مهجتي إلا يوصلكم ولا أسلمها إلا يبدأ بيدي^(١)

وشرعاً : مقابلة مال بمال على وجه مخصوص ، والأصل فيه قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ وأحل الله البيع ﴾ [البقرة : ٢٧٥] وأخبار كخير [رافع بن خديج رضي الله عنه] سئل رسول الله ﷺ : أي الكسب أطيب ؟ قال : « عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » أي : لا غش فيه ولا خيانة ، رواه الحاكم [١٠/٢] وصححه . وأركان ثلاثة : عاقد ومعقود عليه وصيغة .

(يصح بيع حاضر يشاهد)	وبيع شيء لم يشاهد فاسد
(لكن يصح بيع شيء ملتزم)	في ذمة بالوصف بيعاً أو سلم
(إذا جرى في طاهر معلوم)	به انتفاع ممكن التسليم
(من مالك أو من له ولاية)	بصيغة صريح أو كناية

(١) وبعبارة :

فإن وفيتم بما قلتم وفيت أنا وإن غدرتم فإن الرهن تحت يدي

(يصح بيع شيء) حاضر يشاهد (لانتفاء الغرر) وبيع شيء لم يشاهد فاسد (للنهي عن بيع الغرر) (لكن يصح بيع شيء) يصح السلم فيه موصوف في الذمة ، كما قال : (ملتزم . في ذمة بالوصف) إذا وجدت الصفة المشروطة الآتي ذكرها في باب السلم على ما وصف به الشيء المسلم فيه مع بقية شروطه الآتية في بابها .

وللبيع شروط خمسة : أولها : الطهارة كما قال : (إذا جرى) أي : البيع (في طاهر) أي : أو يطهر بغسله كتوب تنجس . فلا يصح بيع كلب ولو معلماً وميتة وخمر وخنزير ونحوها لخبر الصحيحين^(١) : أنه عليه السلام نهى عن ثمن الكلب وقال : « إن الله عز وجل حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » وقيس بها ما في معناها ، ولا يصح بيع ما لا يطهر بالغسل كائنه .

ثانيها : ما أشار إليه بقوله من زيادته : (معلوم) أي : للمتعاقدین عيناً وقدرأ وصفة على ما يأتي بيانه ، حذراً من بيع الغرر المنهي عنه^(٢) كبيع أحد الثوبين أو العبدین .

ثالثها : ما أشار إلي بقوله : (به انتفاع) أي حساً أو شرعاً ، فلا يصح بيع ما لا نفع فيه لقلته : كحيتي حنطة ، أو لحسته : كحدأة ورخمة وغراب وحشرات لا نفع فيها وإن ذكر لها منافع في الخواص ، ولا بيع آلة اللهو المحرمة : كالطنبور والمزمار والرباب وإن انتفعت من نقد إذ لا نفع فيها ، ولا يصح بيع كتب الكفر والتنجيم والشعوذة والفلسفة كما جزم به في « المجموع » .

تبيه : كما لا يصح بيع ما ذكر لا يصح بيع كل سبيع لا ينفع كالأسد والذئب . ويصح بيع الفهد للصيد ، والفيل للقتال ، والنحل للعسل ، والطاووس للأنس بلونه .

رابعها وخامسها : ما ذكره بقوله من زيادته : (ممكن التسليم * من مالك أو من له ولاية) فلا بد أن يكون مقدوراً على تسليمه حساً أو شرعاً ليوثق بمحصل الغرض^(٣) ، وليخرج عن بيع الغرر

(١) أخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه البخاري (٢٢٣٦) ، ومسلم (١٥٨١) ولفظه : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وبيع الغرر .

وعن أبي مسعود الأنصاري البصري رضي الله عنه عقبة بن عمرو أنه عليه السلام : نهى عن ثمن الكلب . أخرجه البخاري (٢٢٣٧) ، ومسلم (١٥٦٧) . ورواه مسلم (١٥٦٩) من حديث جابر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه عن أبي هريرة مسلم (١٥١٣) ، وابن حبان (٤٩٥١) .

ورواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البيهقي ٣٣٨/٥ ، وابن حبان (٤٩٧٢) .

(٣) روى الترمذي (١٢٣٢) وقال : حسن صحيح ، وأبو داود (٣٥٠٣) ، والنسائي ٢٨٩/٧ ، وابن ماجه (٢١٨٧) أنه عليه السلام قال لحكم بن حزام : « لا تبع ما ليس عندك » .

المنهي عنه^(١) كما يأتي ، ولا بد أن يكون ملكاً لصاحب العقد الواقع لحديث : « لا يبيع إلا فيما تملك » رواه أبو داود [٢١٩٠] والترمذي [مختصراً (١١٨١)] وقال : إنه حسن^(٢) ، فلا يصح بيع الفضولي .

فرع : لو باع مال مورثه ظاناً حياته وكان ميتاً صح في الأظهر . ولا بد في صحة البيع من الصيغة وهي : الإيجاب من البائع ، وهو ما دلّ على التملك بذلك دلالة ظاهرة كبيعك وملكتك . والقبول : وهو ما دلّ على التملك دلالة ظاهرة كقبلت وتملكت لقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ [النساء : ٢٩] وقال ﷺ : « إنما البيع عن تراض »^(٣) أنيط البيع بالرضا وهو أمر خفي فاعتبر لفظ يدل عليه ، فلا يبيع بمعاطاة ولو في المحقرات^(٤) ، والمأخوذ بها كالمأخوذ ببيع فاسد ، فيطالب كل صاحب به بما دفعه له ويبدله إن تلف . ويجوز تقديم لفظ المشتري على لفظ البائع ، ويتعقد بالكتابة مع النية كجعلته لك بكذا ولو إلى حاضر ، لا على ماء وهواء .

تنبيه : يشترط في الإيجاب والقبول أن لا يتخللها كلام أجنبي عن العقد ، ولا سكوت طويل وهو ما أشعر بإعراضه عن القبول ، وأن يتوافق الإيجاب والقبول معنى ، فلو أوجب باللف مكسورة فقبل باللف صحيحة أو عكسه لم يصح . ويشترط أيضاً عدم التعليق والتأقيت . فلو قال : إن مات أبي فقد بعثك هذا بكذا ، أو بعثك بكذا شهراً لم يصح^(٥) . وذكر الصيغة من زيادة الناظم . ولم يتعرض كأصله لشروط العاقد ، وشروطه بائعاً أو مشترياً : إطلاقاً تصرف ، فلا يصح عقد صبي ومجنون أو محجور عليه بسفه . وعدم إكراه بغير حق ، فلا يصح عقد مكره في ماله بغير

(١) الحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهي رسول الله ﷺ عن بيع الغرر . رواه مسلم (١٥١٣) ، وأبو داود (٣٣٧٦) ، والترمذي (١٢٣٠) ، والنسائي ٢٦٢/٧ ، وابن ماجه (٢١٩٤) .
الغرر : ما خفي على المشتري علمه ، مأخوذ من قولهم طويت الثوب على غره ، أي : كسره الأول . فهو فاسد للجهل بالبيع . وقال الأزهري : بيع الغرر : ما كان على غير عهدة ولا ثقة ، وتدخل فيه البيوع التي لا يخط بكتبها المتبايعان من كل مجهول . وقال ابن الأثير : هو ما كان له ظاهر يغرر المشتري ، وباطن مجهول .

(٢) في مطبوعة الترمذي : حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن صحيح ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم . ورواه ابن ماجه (٢٠٤٧) أيضاً .

(٣) أخرجه عن أبي سعيد الخدري ابن حبان (٤٩٦٧) ، وابن ماجه (٢١٨٥) .

(٤) لعدم الإيجاب والقبول منهما وخشية الغرر ، فالبيع فاسد ، وهو من الصفات للخلاف في حكمه . واختار النووي والمتولي والبقوي انعقاده في كل ما يعده الناس بيعاً ، وخصه ابن سريج والرويان في جرت به العادة ككيلو نخير مثلاً .

(٥) لأن التوقيت بمدة يخرج عنه كونه بيعاً ويصير له إجارة .

حق لعدم رضاه ، ويصح بحق كأن توجب عليه بيع ماله لوفاء دين فأكرهه الحاكم عليه . وأن يكون بصيراً . ولا يصح شراء كافر مصحفاً ومسلماً في الأظهر إلا أن يعتق عليه^(١) .

تنبيهات : تتعلق بالباب : أولها : قال الدميري في « شرح المنهاج » : فرع : السموم التي يقتل قليلها وكثيرها ولا تستعمل في الأدوية لا يصح بيعها على الأصح ، خلافاً للغزالي وشيخه وشيخ شيخه .. وأما التي يقتل كثيرها وينفع قليلها في الأدوية كالسقمونيا والأفيون والحشخاش فصحح الشيخان جواز بيعه ، وقال القاضي أبو الطيب : يجوز بيع قليله دون كثيره ، ورد ابن الصباغ . والصواب تحريم بيع الأفيون والتجارة فيه لأنه مسكر مخدر مفسد للعقول والأبدان والأديان .

ثانيها : يصح سلم الأعمى - وإن عمي قبل تمييزه - بعوض في ذمته يُعين في المجلس ، ويوكل من يقبض عنه أو من يقبض له رأس مال السلم والمسلم فيه ، ولو كان رأى قبل العمى شيئاً مما لا يتغير قبل عقده عليه فكالبصير ، ولو اشترى البصير شيئاً ثم عمي قبل قبضه لم يفسخ البيع كما صححه النووي .

ثالثها : لا يصح بيع البصل والجزر ونحوهما في الأرض لأنه غرر .

رابعها : لو باع بنقد مثلاً وثم نقد غالب تعين ، أو نقدان مثلاً ولا غالب اشترط تعيين لفظاً . وتكفي معاينة عوض عن العلم بقدره اكتفاء بالتحقق المصحوب بالمعاينة .

خامسها : ما ذكره الناظم من أن الشروط خمسة كما هي في « المنهاج » واكتفى بالعلم عن الرؤية .

(ولا يصح مطلقاً بيع الغرر ولا مبيع قبل قبض معتبر)

فيه مسألتان : الأولى : لا يصح بيع الغرر ، وحقيقته : ما تردد بين أمرين الأغلب منهما أخوفهما ، هكذا عرفه الماوردي . وقيل : ما انطوت عنّا عاقبته ، فلا يصح بيع الضالّ والآبق والمغضوب ، فإن باعه لقادر على انتزاعه صح على الصحيح ، ولا ما لا يقدر على تسليمه كالطائر الطائر كما مر ، وما يجهل صفته كالحمل في البطن وغير ذلك . ودليل ذلك ما رواه مسلم [١٥١٣] عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ نهي عن بيع الغرر . ولا يصح بيع الغائب إلا إذا رآه قبل العقد ، وهو

(١) كأن يملك أصله أو فرعه ، وقد نظم بعضهم ضابط ملك الكافر للمسلم فقال :

ومسلم يدخل ملك كافر بالإلزام والرد بعيب ظاهر
إقبالة وفسخه وما وهب أصل وما استعقب عتقاً بسبب

مما لا يتغير غالباً كالأرض والأواني المعدنية ونحو ذلك . وتعتبر رؤية كل شيء على ما يليق به ، صي الكتاب لابد من رؤيته الورق ورقة ورقة ، وفي البياض رؤية جميع الطاقات^(١) ، وفي الدار لابد من رؤية البيوت والسقوف والسطوح والمستحم والبالوعة ، وفي البستان رؤية أشجاره ويجرى مائه ، وفي الرقيق ذكراً كان أو أنثى رؤية ما سوى العورة لا اللسان والأسنان ، ويشترط في الدابة رؤية كلها حتى شعرها ، وفي الثوب نشره ليرى الجميع ولو لم ينشر مثله إلا عند القطع ، ويشترط رؤية وجهي ما يختلف منه كأن يكون صفيحاً كدياج منقش وبسط ، بخلاف ما لا يختلف وجهه ككرباس^(٢) فيكفي رؤية أحدهما .

فرع : بيع اللبن في الضرع باطل وإن حلب منه شيء ورئي قبل البيع ؛ للنهي عنه ولعدم رؤيته ، ومثله بيع الصوف قبل الجز أو التذكية لاختلاطه بالحادث .

المسألة الثانية : لا يصح بيع المبيع قبل قبضه منقولاً كان أو عقاراً وإن أذن فيه البائع وقبض الثمن ؛ لقوله ﷺ لحكيم بن حزام : « لا تبعن شيئاً حتى تقبضه » رواه البيهقي [٣١٣/٥] وقال : إسناده حسن متصل . ومثل البيع : الهبة ، والإجارة ، والكتابة ، والقرض ، وجعله صداقاً ، وعوضاً تخلع ، وصُلح ، ورأس مال سَلَم .

تنبيه : يحصل قبض غير منقول من أرض وشجر ونحو ذلك بتخليته لمشتري ، وأن يمكنه منه ويسلمه المفتاح ، وتفرغه من متاع غير المشتري . وقبض المنقول من سفينة وحيوان وغيرهما بنقله ، مع تفرغ السفينة المشحونة بالأمعة نظراً للعرف . ويكفي في قبض الثوب ونحوه مما يتناول باليد تناول .

(باب الربا)

هو - بالقصر ، وألفه بدل من واو ، يكتب بها وبالياء أيضاً - لغة : الزيادة ، قال تعالى : ﴿ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج : ٥] أي : زادت ونمت . وشرعاً : عقد على عوض غير معلوم التماثل في معيار الشرع جالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما . وهو على ثلاثة أنواع : ربا الفضل ، وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر . وربا اليد ، وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما . وربا النسيئة ، وهو البيع لأجل ، أي : بيع مال بمال نسيئة . وزاد المتولي رابعاً وهو : ربا القرض بأن يقرضه مالاً بمثله بشرط جرّ منفعة . قال فضالة بن عبيد : كل قرض جرّ منفعة فهو وجه من وجوه الربا^(١) . والأصل في تحريم الربا قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٨] وقوله ﷺ : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه »^(٢) وهو من الكبائر^(٣) . وقال الماوردي : لم يحل في شريعة قط لقول الله تعالى : ﴿ وَأَخْذُهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نَهَوَا عَنْهُ ﴾ [النساء : ١٦١] يعني : في الكتب السالفة . ويقال : إنه علامة على سوء الخاتمة كإيذاء أولياء الله تعالى . والمراد بهذا الباب بيع ربوي وما يعتبر فيه زيادة على ما مرّ .

(بيع الطعام بالطعام يشترط له التساوي إن يكن جنساً فقط)	(كذلك الحلول والمقايضه حقيقة من مجلس المعاوضه)
(فلم يبيع بجنسه جنس فضل ولا يجوز مطلقاً إلى أجل)	(وكالطعام في جميع ما عرف نقد بنقد جنسه أو يختلف)
(ثم اعتبار العلم بالتماثل فيما يجفّ بالجفاف الكامل)	(فلا يجوز في الطعام الرطب أن يبيعه بجنسه إلا اللبن)
(والحيوان إن يبيع باللحم لم يجز بحال والفساد فيه عم)	

(١) أخرجه البيهقي ٣٥٠/٥ ، وفي الأصل : قال ابن عمر ، وهو خطأ . وروي عن علي مرفوعاً بسند ضعيف جداً ذكره في « المطالب العالية » (١٣٧٣) عن الحارث .

(٢) أخرجه عن جابر بألفاظ متقاربة مسلم (١٥٩٨) ، وأبو يعلى (١٨٤٩) .

(٣) لحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك ، والسحر ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف » رواه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (٨٩) .

(١) عبارة « الروض » ٢٠/٢ : وفي الكتب رؤية جميع أوراق المكتوب والياض : أي يشترط رؤية جميع الصفحات كتابة وبياضاً .

(٢) أي الثوب الخشن .

اعلم أن الربا إنما يجري في الذهب والفضة والمطعمات لا في غير ذلك ، والمراد بالمطعم ما قصد للطعم أو تفكهها أو تداولها ، كما يؤخذ من قوله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد »^(١) أي : مقابضة . فإنه نصّ فيه على البرّ والشعير والمقصود منهما التقوّت ، فألحق بهما ما في معناهما كالأرز والذرة . ونصّ على التمر والمقصود منه التفكه والتأدم ، فألحق به ما في معناه كالزبيب والتين . ونصّ على الملح والمقصود منه الإصلاح ، فألحق به ما في معناه كالمصطكي والزنجبيل^(٢) . ولا فرق بين ما يصلح الغذاء أو يصلح البدن ، فإن الأغذية تحفظ الصحة والأدوية تردّ الصحة . إذا تقرر ذلك فإذا بيع طعام بطعام فإن كان جنساً اشترط ثلاثة شروط : أحدها : الحلول . وثانيها : المماثلة ، أي : التساوي في القدر من غير زيادة حبة ولا نقصها . وثالثها : التقابض في المجلس للعوضين للخبر السابق . وهذا معنى قول الناظم : (بيع الطعام بالطعام يشترط) إلى قوله : (المعاوضة) . وإن كان جنسين كحنطة وشعير جاز التفاضل واشترط الحلول والتقابض . فلا يباع روي بجنسه جُزافاً وإن خرجا سواءً للجهل بالمماثلة عند العقد ، والجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة . ولا يجوز بيع الجنس بالجنس متفاضلاً ولا إلى أجل للخبر المتقدم . وقوله : (وكالطعام في جميع ما عرف . نقد بنقد جنسه أو مختلف) أشار به إلى أن النقد بالنقد كقطعان بطعام فيما مرّ .

تنبيهات : أولها : غلة الربا في الذهب والفضة جوهريّة الأثمان غالباً ، وهي منتفية عن الفلوس وغيرها من سائر العروض ، فلا ربا فيها .

ثانيها : لا أثر لقيمة الصياغة في ذلك ، فلو اشترى بدنانير ذهباً مصوغاً قيمته أضعاف الدنانير اعتبرت المماثلة ولا نظر إلى القيمة .

ثالثها : إذا أراد بيع مال الربا بجنسه مع زيادة فلا يجوز إلا بتوسط عقد آخر . مثاله : إذا أراد بيع دراهم أو دنانير صحاح بمكسورة أكثر من وزنها ، فطريقه أن يقرض الصحاح من الآخر ويستقرض منه المكسورة ثم يريء كل واحد منهما صاحبه .

رابعها : لو بيع طعام بنقد أو ثوب لم يشترط شيء من الشروط السابقة .

خامسها : المماثلة تعتبر في المكيل كيلاً وإن تفاوت في الوزن ، وفي الموزون وزناً وإن تفاوت في الكيل ، ويعتبر في كون الشيء مكيلاً أو موزوناً غالب عادة الحجاز في عهد رسول الله ﷺ لظهور أنه اطلع على ذلك وأقرّه ، وما لم يكن في ذلك العهد أو كان وجه حاله يراعى فيه عادة بلد البيع .

ثم زاد الناظم على أصله قوله : (ثم اعتبار العلم بالتماثل . فيما يجف بالجفاف الكامل * فلا يجوز في الطعام الرطب أن . يبيعه بجنسه إلا اللين) تعتبر المماثلة فيما يجف كالثمار والحبوب بالجفاف الكامل ، فلا يباع رطب المطعومات برطبها - بفتح الراء فيها - ولا بجافها إذا كانت من جنس إلا في مسألة العرايا . ولا يكفي مماثلة الدقيق والسويق والخبز ، بل تعتبر المماثلة في الحبوب حباً ، وفي حبوب الدهن كالسمسم حباً أو دهناً ، وفي العنب والرطب زيباً وتمرّاً ، وفي اللبن لبناً وسمناً خالصاً مصفى بشمس أو نار ، فيجوز بيع بعضه ببعض وزناً وإن كان مائعاً على النص . ولا يباع اللبن الحليب إلا بعد سكون رغوته ، ولا يكفي مماثلة ما أثرت فيه النار بالطبخ أو القلي أو الشّي ، ولا يضر تأثير تميز كالعسل والسمن . وقول الناظم : إلا اللين ؛ أشار به إلى جواز بيع اللبن باللبن ولو حامضاً رائباً وخائراً ومخيضاً ما لم يغل بالنار أو يخلط بالماء أو نحوه ، ومثل اللبن ما شابهه من المائعات كالأدهان والخلول . وقوله : (والحيوان إن بيع باللحم لم . يجوز بحال والفساد فيه عم) أفاد به عدم جواز بيع اللحم بالحيوان ولو لحم سملك ، سواء كان من جنسه كالحم بقر بقر ، أو من غير جنسه من مأكول وغيره كالحم غنم بقر أو غيره ؛ لأنه ﷺ نهى أن تباع الشاة باللحم ، رواه الحاكم [٣٥٢] والبيهقي [٢٩٦/٥] وقال : إسناده صحيح . ونهى^(١) عن بيع الحيوان باللحم ، رواه مالك [٦٥٥/٢] عن سعيد بن المسيب مرسلًا ، وعن سمرة أن النبي ﷺ : نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة . رواه أحمد [١٢/٥] ، وأبو داود (٣٣٥٦) ، والترمذي (١٢٣٧) وقال : حسن صحيح .

تنبيه : دخل في معنى اللحم الشحم والكبد والقلب والألية والكلية . ويصح بيع الجلد بالحيوان بعد دبغه بخلافه قبله .

ولما فرغ الناظم من صحة العقد وفساده شرع في لزومه وجوازه بسبب الخيار فقال :

(١) في الأصل : ونهى عن بيع اللحم بالحيوان رواه أبو داود عن سعيد مرسلًا ، وأسنده الترمذي عن زيد بن سلمة الساعدي .

ولم آتين وجود هذا الكلام . فأثبت حديث سمرة الموافق لهذا المقام .

ورواه الشافعي كما في « بدائع المن » (١٣٠٧) عن ابن أبي نجيح ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس عنه ﷺ .

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٣) (٨٤) ، والبيهقي [٢٧٧/٥ - ٢٧٨] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) المصطكي ، بالفتح ويضم : العلك ، والزنجبيل : نبت لاذع مطهر مضاد للحمى يوسع الأوعية الدموية ، ويزيد في التعرق ، وتلطيف درجة حرارة الجسم ، كما يدخل في الأطعمة كالباب ومطيب فاتح للشهية .

باب الخيار

والأصل في البيع اللزوم ؛ لأن القصد منه نقل الملك ، وقضية الملك التصرف وكلاهما فرع اللزوم ، إلا أن الشارع أثبت فيه الخيار وفقاً للمتعاقدين ، وهو نوعان : خيار تشبه ، وخيار نقيصة .
فخيار التشبه : ما يتعاطاه المتعاقدان باختيارهما وشبهتهما من غير توقف على فوات أمر في المبيع ، وسببه المجلس أو الشرط ، وقد شرع في بيانها :

(أما خيار مجلس التبايع فثبت للمشترى والبائع)
(فيستمر حق كل منهما حتى يرى مفارقاً أو ملزماً)
(وغيره لكل اشتراطه ثلاثة كماله إسقاطه)

إذا تم البيع ثبت لكل من المتبايعين الخيار في فسخ البيع ما لم يتفرقا أو يتخيرا ، لما روى مالك [٦٧١/٢] عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن النبي ﷺ قال : « المتبايعان كل واحد منهما على صاحبه بالخيار ما لم يتفرقا^(١) » إلا بيع الخيار » بمعنى أن يقول أحدهما لصاحبه : اختر ، أما إذا افترقا من المجلس عرفاً طوعاً ببدنها ولو نسياناً أو جهلاً فينقطع خيارهما للخبر السابق ، بخلاف ما إذا لم يتفرقا وإن طال مكثهما أو تماشيا منازل وزادت المدة على ثلاثة أيام . والتخاير أن يقولوا : تخايرنا ، أو اخترنا ، أو أمضينا العقد ، أو أجزنا ، أو ألزمناه ، وما أشبه ذلك . ولو مات أحدهما انتقل الخيار لوارثه على الأصح .

تنبيه : يثبت خيار المجلس في أنواع البيع كالصرف ، وبيع الطعام بالطعام ، والسلم ، والتولية ، والتشريك ، وصلاح المعاوضة ، وشرائه من يعتق عليه ، والهبة ذات الثواب . ولا يثبت في بيع العبد من نفسه ، والقسمة التي لا رد فيها ، والحوالة وإن جعلناها بيعاً ، ولا في الإبراء ، أو النكاح ، والهبة بلا ثواب ، وكذا الشفعة ، والإجارة ، والمساقاة ، والصدقات ، وعوض الخلع في الأصح .

ثم أشار إلى خيار الشرط بقوله : (وغيره) أي : خيار المجلس ، وهو خيار الشرط ، فيجوز (لكل) من المتبايعين (اشتراطه) لهما أو لأحدهما أو لغيرهما حتى العبد المبيع في الأظهر (ثلاثة)

(١) وانظر « تنوير الحوالك » ١٦١/٢ . ورواه البخاري (٢١١٢) ، ومسلم (١٥٣١) عنه بلفظ : أن رسول الله ﷺ قال : « البيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار ... » .

من الأيام ودونها ، أي : أقل منها ، بخلاف ما لو أطلق أو قدر بمدة مجهولة أو زادت على الثلاثة . وابتدائها من تمام العقد بالإيجاب والقبول . نعم إن شرطت في ابتداء المدة فابتدائها من الشرط في الأصح ، وإن شرط ابتدائها من التفرق أو التخيير بطل العقد للجهالة ، والأصل في ذلك خبر الصحيحين^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما : ذكر رجل لرسول الله ﷺ أنه يُخَدَع في البيوع ، فقال له : « من يبايعك فقل له : لا خلاية ، ثم أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال » وخلاية - بكسر المعجمة وبالموحدة - : الغبن والخديعة . قال في « الروضة » كأصلها : اشتر في الشرع أن قوله : « لا خلاية » عبارة عن اشتراط الخيار ثلاثة أيام .

تنبيه : متى كان الخيار لهما فملك المبيع موقوف ، فإن تم العقد بان أنه للمشتري من حين العقد وإلا فللبائع . وإن كان لأحدهما فملك المبيع له وتصرفه فيه نافذ ، وله فوائده وعليه مؤنته ، وحيث حكم بملك المبيع لأحدهما حكم بملك الثمن للآخر ، وحيث توقف فيه توقف في الثمن .

تنبيه آخر : يحصل فسخ البيع في مدة الخيار بنحو : فسخ البيع ، كرفعته . والإجازة فيه نحو : أجزت البيع ، كأرضيته . وقول الناظم : (كماله إسقاطه) أشار به إلى أنه يجوز لهما إسقاط الخيار أصلاً ورأساً . والألف في قوله : ملزماً ؛ للإطلاق .

(والمشتري يرد ما اشتراه بكل عيب عندما يراه)
(إما بشرط لم يكن موقوفاً أو بالقضاء العرفي أو بالتصريح)
(وحيث عند المشتري تعيباً فلا يرد حيث بايع أباً)

هذا النوع الثاني وهو خيار النقيصة ، وهو المتعلق بفوات مقصود مظنون نشأ الظن فيه من قضاء عرفي أو التزام شرطي أو تغير فعلي ، فالأمر الأول وهو ما يظن حصوله بالعرف وهو السلامة من العيب كما أشار إليه بقوله : (والمشتري يرد ما اشتراه . بكل عيب عندما يراه) إن كان العيب باقياً ، وتنقص العين به نقصاً يفوت به غرض صحيح ، أو تنقص قيمتها ، وغلب في جنس المبيع عدمه ، إذ الغالب في الأعيان السلامة . وخرج بالقيد الأول ما لو زال العيب قبل الرد ، وبالثاني

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٧) و (٢٤١٤) ، ومسلم (١٥٣٣) . قال النووي في « شرح مسلم » ١٧٧/١٠ : اختلف العلماء في هذا الحديث ، فجعله بعضهم خاصاً في حقه ، وأن المغالبة بين المتبايعين لازمة لا خيار للمغبون بسببها سواء قلت أم كثرت . وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وآخرين ، وهي أصح الروايتين عن مالك ، وقال : ... والصحيح الأول ، لأنه لم يثبت .. أن النبي ﷺ أثبت له الخيار ، وإنما قال له : « قل : لا خلاية » ...

قطع أصبع زائدة، ولفقة^(١) سيرة من فخذ أو ساق لا تورث شيئاً^(٢) ولا تفوت غرضاً فلا ردّ بهما، وبالثلث ما لا يغلب فيه ما ذكر كقطع سنّ في الكبر وثبوبة في أوانها في الأمة فلا ردّ به وإن نقصت القيمة، ولا مطمع في استيفاء العيوب فمنها: خصاء حيوان وجماحه وعضه ورمحه^(٣)، وزنا رقيق وسرقته وإباقه وبخره وصنانه المستحكم وبوله في الفراش في غير أوانه^(٤)، وسواء حدث العيب قبل قبض المبيع بأن قارن العقد أم حدث بعده وقبل القبض؛ لأن المبيع حينئذ من ضمان البائع، فكذا جزاؤه وصفته، أو حدث بعد القبض واستند لسبب متقدّم على القبض جهله المشتري. أما لو تعيّب عند المشتري فلا ردّ قهراً كما أفاده الناظم بقوله من زيادته: (وحيث عند المشتري تعيباً) إلى آخره. والردّ بالعيب فوري ولا يكلف غير المبادرة المعتادة، فلو علمه وحضرت الصلاة أو أكل أو لبس أو قضى حاجته أو كان في حمام أو ليل فأخر لذلك جاز. ويشترط للرد ترك الاستعمال، فلو استخدم العبد كقوله: اسقني، أو ناولني، أو أغلق الباب، أو نزل عن الدابة سرجها، أو إكافها بطل حقه، ويعذر في ركوب جموح يعسر سوقها وقودها. ولا يتوقف الردّ على حكم القاضي أو حضور الخصم، وله الردّ ولو بوكيل، وله الدفع إلى القاضي وهو آكد، فإن كان البائع غائباً ولا وكيل له حاضر ورفع المشتري إلى الحاكم وأثبت الشراء منه وتسليم الثمن إليه والعيب والفسخ به وحلف قضى له بالثمن من ماله ووضع المبيع عند عدل، وإن لم يكن له مال يبيع فيه المبيع. ولو أمكنه الإشهاد على الفسخ في طريقه لزمه، فإن عجز عن الإشهاد لم يلزمه التلفظ بالفسخ على الأصح.

فرع: لو اختلف في قَدَم عيب صدّق البائع بيمينه على حسب جوابه.

وأما القسمان الآخران وهما الالتزام والتغريم فعلي فمحلّهما المبسوطات.

تنمية: الزيادة في المبيع والثمن المتصلة كسيّمين تتبعه في الرد، كحمل قارن يبعاً فإنه يتبع أمه في الرد. والزيادة المنفصلة كالولد والأجرة لا تتبع الرد بالعيب، وهي لمن حصلت في ملكه من مشتري أو بائع وإن ردّ قبل القبض؛ لأنها فرع ملكه.

(١) أي شق. ومنه قوله تعالى: ﴿فألقى الحب﴾ الأنعام: ٩٥.

(٢) أي: عيباً ظاهراً.

(٣) أي: رقصه، ضربه برجله.

(٤) ونظمها أحدهم فقال:

ثمانية يعتادها العبد لو يُبَّ برائحة منها يرد لبائع
زنا وإباق سرقه ولواطه وتمكينه من نفسه للمضاجع
وردته إتيانه لبيبة جنائيه عمداً فجواب لها وُع
لأن العبد قد يألفها فتصعب إزالتها، وبعض العيوب الأخرى قد تزول فلا تبقى عيباً.

فصل: في بيع الثمرة والزرع قبل بدو صلاحها

- (يبيع الثمار دون شرط القطع قبل الصلاح مستحق المنع)
(إن أفردت في بيعها عن الشجر وتركه بعد الصلاح مغتفر)
(والزرع عند بيعه مثل الثمر في بيعه والأرض معه كالشجر)
(فقطعه قبل الصلاح يشترط لا بعده وإن يبيع معها سقط)

لا يصح بيع الثمار بغير شرط قطع ولا تبقية إلا بعد بدو صلاحها، فيجوز بعد بدو بشرط قطعها وبشرط إبقائها؛ لأنه عليه السلام نهي عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها^(١)، فيجوز بعد بدوّه. وقبل الصلاح إن بيعت مفردة عن الشجر فلا يجوز البيع ولا يصح للخير المذكور، إلا بشرط القطع في الحال وإن كان الشجر للمشتري، وأن يكون المقطوع منتفعاً به، وإذا كان الشجر للمشتري لم يجب الوفاء بالشرط^(٢)، وإن بيعت الثمرة مع الشجر جاز بلا شرط؛ لأن الثمرة هنا تتبع الأصل، ولا يجوز بشرط قطعها لأن فيه حجراً على المشتري في ملكه. ثم زاد الناظم على أصله أن (الزرع عند بيعه مثل الثمر) في التفصيل المذكور فيجوز بيعه بعد بدو صلاحه بشرط قطعه وبشرط إبقائه، ويصح بيعه مع الأرض من غير شرط القطع، بل لا يجوز بشرطه كما مرّ. وقد جعل الماوردي بدو الصلاح ثمانية أقسام:

الأول: باللون كصفرة الشمس وحمرة العناب^(٣).

الثاني: بالطعم كحلاوة قصب السكر وحموضة الرمان مع زوال المرورة.

الثالث: النضج في البطيخ والتين.

الرابع: بالقوة والاشتداد كالقمح والشعير.

الخامس: بالطول والامتلاء كالعلف والبقول.

(١) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٢١٢٦)، ومسلم (١٥٢٦).

(٢) قال بعضهم:

شرطت عليهم قبل تسليم مهجتي وقبل انقضاء البيع شرطاً يواصل

فلما طلبت الوصل بالشرط أعرضوا وقالوا يصح البيع والشرط باطل

(٣) حديث أنس رضي الله عنه أن النبي عليه السلام نهي عن بيع ثمر الخيل حتى ترهق، فقلنا لأنس: ما ترهقها؟ قال: نحرّ

وتصفّر. أرأيتم إن منع الله الثمرة، ثم تستحل مال أخيك؟ أخرجه البخاري (٢١٩٨)، ومسلم (١٥٥٥).

السادس : بالكبر كالثاء .

السابع : باشتقاق أكامه كالقطن والجوز .

الثامن : بانفتاحه كالورد وورق التوت .

خاتمة : لا يصح بيع حنطة في سنبلها بصافية وهو المحاقلة ، ولا رُطْب على نخل بتمر وهو المزانية^(١) ويرخص في العرايا : وهو بيع الرطب على النخل خرصاً - تخميناً وتقديراً - بتمر على الأرض كيلاً ، أو العنب في الشجر خرصاً بزبيب في الأرض فيما دون خمسة أوسق^(٢) تحديداً بتقدير الجفاف بمثله . ولا يختص بيع العرايا بالفقراء لإطلاق أحاديث الرخصة^(٣) ولا يجوز بيع مثل العرايا في باقي الثمار كالخوخ واللوز ؛ لأنها مستورة بالأوراق فلا يتأتى الخرص فيها .

باب السلم

ويقال له : السلف . والسلم لغة أهل الحجاز ، والسلف لغة أهل العراق . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في السلم^(١) . وخير الصحيحين : « من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم »^(٢) .

(هو اصطلاحاً بيع مال ملتزم في ذمة بالوصف مع لفظ السلم)
(مؤجلاً بالشرط أو معجلاً وحيث كان مطلقاً تعجلاً)

اعلم أن السلف بيع موصوف في الذمة بلفظ السلم أو نحوه ، وهذا التعريف من زيادة الناظم ، وذكر في تعاريفه عبارات أخر .

منها : أنه عقد على موصوف في الذمة ببدل يُعطى عاجلاً . ومنها : أنه تسليم عاجل في عوض يجب تعجيله . ومنها : أنه إسلاف عوض حاضر في عوض موصوف في الذمة ، ويصح حالا ومؤجلاً بأن يصرح بهما ، كما أفاد بقوله من زيادته : (مؤجلاً بالشرط) . أما المؤجل فبالنص والإجماع ، وأما المعجل فبالأولى لبعده عن الغرر . فإذا عرف ذلك فإن صرح بالحلول أو التأجيل فكذلك ، وإن أطلق فالأصح الصحة ، ويكون حالاً كالتن المطلق في البيع ، وإلى ذلك أشار بقوله من زيادته : (وحيث كان مطلقاً تعجلاً) بألف الإطلاق .

(وشرطه تسليم رأس المال مكانه مع علمه بالحال)
(وعلم كلّ منهما قدر الأجل وموضع التسليم حيث القبض حل)
(وقدر ما أسلم فيه يذكر مع نوعه وجنسه ويحصر)
(مع وصفه وشكله الذي ألف إن كانت الأغراض فيه تختلف)

(١) لما روى البخاري (٢١٨٦) ، ومسلم (١٥٤٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : نهى عن المزانية والمحاقلة . والمزانية اشتراء الثمر بالتمر على رؤوس النخل .

(٢) وهي تساوي مكعباً طول ضلعه (٩٧،٧) سم .

(٣) منها : ما رواه البخاري (٢١٩٢) ، ومسلم (١٥٣٩) (٦٤) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ رخص في العرايا أن تباع بخرصها كيلاً .

ولحديث مسلم (١٥٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ رخص في بيع العرايا بخرصها فيما دون خمسة أوسق ، أو في خمسة .

(١) ذكره ابن الجوزي في « زاد المسير » ٣٣٦/١ ، والقرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » ٣/٣٧٧ ، والبخاري في « التفسير » ٣٠٤/١ ، وابن كثير ٣٣٤/١ ويقال : دايته : أي أقرضته وأقرضتي . قال الشاعر :

دايته أروى والديسون تقضي فما طلت بعضاً وأدت بعضاً

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (٢٢٣٩) و (٢٢٤٠) ، ومسلم (١٦٠٤) . أنه ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون في ثمار السنة والسنتين والثلاث فقال : الحديث

(و شرطه) أي: السلم أمور منها (تسليم رأس المال . مكانه ...) أي: في مكانه ، أي: في مجلس العقد قبل لزومه ، فلو تفرقا قبل قبضه بطل العقد ، أو قبل قبض بعضه بطل فيما لم يقبض ، ولا تكفي الحوالة وإن جعل القبض في المجلس . فلو أطلق كأسلمت إليك ديناراً في ذمتي في كذا ، ثم عين الدينار وسلم في المجلس قبل التأخير جاز ذلك ؛ لأن المجلس حريم العقد^(١) . ولو قبضه المسلم إليه في المجلس وأودعه المسلم قبل التفرق جاز لأن الوديعة لا تستدعي لزوم الملك . وكذا يجوز ردّه إليه عن دينه كما اقتضاه كلام أصل «الروضة» في باب الربا انتهى ، ويجوز كون رأس المال منفعة وتقبض قبض العين^(٢) . (و) منها (علم كل منهما) أي: المسلم والمسلم إليه (قدر الأجل) لقوله تعالى: ﴿إلى أجل مسمى﴾ [البقرة: ٢٨٢] وللخير المأز أول الباب ، فيبطل بالأجل المجهول كقوله: في رجب ؛ مثلاً لأنه جعله ظرفاً ، فكأنه قال: يحل في جزء من أجزاءه ، بخلاف ما لو قال: إلى رجب ؛ فإنه يصح ويحل بأوله لتحقق الاسم به ويصح التأقيت بالنوروز^(٣) وهو نزول الشمس في برج میزان ، ويبعد الكفار إن عرفه المسلمون ولو عدلين منهم أو المتعاقدان . ومنها: ما أشار إليه بقوله: (وموضع التسليم حيث القبض حل) والمعنى: يشترط في المسلم المؤجل ذكر موضع قبضه^(٤) إذا عقد بموضع لا يصلح للتسليم كالبادية ، أو يصلح ولحمل المسلم فيه مؤنة لتفاوت الأغراض فيما يراد من الأمكنة . أما إذا صلح للتسليم ولم يكن لحمله مؤنة فلا يشترط ما ذكر ويتعين مكان العقد للتسليم للعرف . ويكفي في تعيينه أن يقول: تسلمه لي في بلد كذا ، إلا أن تكون كبيرة كبغداد والبصرة فيكفي إحضاره في أولها ، ولا يكفي إحضاره إلى منزله . أما السلم الحال فيتعين فيه موضع العقد للتسليم . نعم إن كان غير صالح للتسليم اشترط البيان كما قاله ابن الرفعة ، فإن عيّن غيره تعين .

(١) في الأصل مايلي: فعلم بذلك أنه لا يشترط تعيين رأس المال في العقد ، وأن الصحيح جوازه في الذمة كما قرره ، لكن يجب تعيين رأس المال الذي في الذمة قدرأ ووصفاً ليعلم ، ثم عين ويسلم في المجلس دون معين ، فإنه لا يشترط معرفة قدره بل يكفي كونه جزءاً واكتفي بالبيان كما في البيع . كذا في النسخ فأمّل . كما أني أثبت في الشرح نص الخطيب من كتابه «الإقناع» .

(٢) كذا عبارة الخطيب في «الإقناع» كما في «حاشية البحري» ٤٦/٣ ، و٥٦/٣ أيضاً .

(٣) ويقال نيروز ، وهو: يوم عيد وفرح عند الفرس عموماً في إيران ، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية مع بداية الربيع . ويوافق الثالث والعشرين من آذار .

(٤) نظم ذلك بعضهم فقال:

مهما يكن محل عقد السلم	به اتفقت الصلاح للتسلم
فواجب بيان ذلك مطلقاً	أو كان صالحاً ففيه حقاً
إن لم تكن مؤنة للحمل	فذا البيان لم يجب في كل
وإن تكن مؤنة تحققت	ففي المؤجل البيان قد ثبت

تنبيه: المراد بموضع العقد تلك المحلة لأنفس موضع العقد ويكفي ما تضمنه قوله: (وقدر ما أسلم فيه يذكر) إلى آخر البيتين ، فيشترط أن يكون المسلم فيه معلوم القدر فيذكر قدره ، أي: المسلم فيه بما ينفي الجهالة عنه من كيل فيما يكال ، أو وزن فيما يوزن ، أو عد فيما يعد ، أو ذرع فيما يذرع ، ويصح سلم المكيل وزناً والموزون الذي يتأق كيله كيلاً . وأن يكون معلوم الجنس والنوع ، وينحصر بوصفه وشكله إذا كانت الأغراض فيه تختلف اختلافاً ظاهراً ، بخلاف ما يتساهل الناس بإهمال ذكره غالباً كاللحم والسمن في الرقيق ، فلا يشترط ذكره في الأصح ، فينضبط الرقيق بالنوع: كتركبي وزنجي . فإن اختلف صنف النوع كرومي وجب ذكر لونه إن اختلف كأبيض مع وصفه كأن يصف بياضه بحمرة أو سمرة ، وذكر سنه كاهن خمس سنين ، وذكر قدّه طولاً أو غيره تقريباً للوصف والسن والقد ، حتى لو شرط كونه ابن سبع سنين مثلاً بلا زيادة ولا نقصان لم يجز لندوره . ويشترط في ماشية من إبل ويقر وغيرها ما ذكر في الرقيق ، إلا ذكر وصف اللون والقد فلا يشترط ذكرهما ، وفي طير وسمك نوع وجثة^(١) ، وفي لحم غير صيد وطير نوع كلحم بقر وذكر خصي رضيع معلوف جذع أو ضدها من فخذ أو غيرها ككتف ، ويقبل بالاعتاد من العظم إلا إن شرط نوعه ، وفي ثوب أن يذكر جنسه كقطن ونوعه وبلده الذي نسج فيه إن اختلف به الغرض ، وطوله وعرضه وغلظه وصفاته ونعمته أو ضدها ، ومطلق الثوب يحمل على الخام . ويصح السلم في المقصور وفي المصبوغ قبل نسجه ، وشرط في التمر لونه ونوعه وبلده وعتقه أو حدائته ، وصغر الحبات أو كبرها أو توسطها وسائر الحبوب كالتمر ، وفي غسل نخل كجيلي وزمانه كصيفي ولونه كأبيض . ويشترط معرفة العاقدین صفات المسلم فيه المذكورة في العقد ، فإن كانا جهلاها أو أحدهما لم يصح العقد ، وكذا معرفة غيرهما في الأصح ليرجع إليه عند تنازعهما وهو عدلان على الأصح .

(ثم الذي أسلمت فيه شرطه	إمكان ضبط لو أريد ضبطه)
(وكونه بغیره لم يختلط	أو كانت الأركان فيه تنضبط)
(ولم يكن معيناً فلو عقد	في صبرة أو بعض صبرة فسد)
(وكونه وقت الحلول يغلب	وجوده حيث الأداء يطلب)
(ولم يمنع خيار شرط فيه	لا مجلس بل ذاك يقتضيه)
(كذلك من موانع التجويز	تأثير نار ليس للتمييز)

(١) كأن يقول: من الحمام الغلابي ، أو الحيتان الكبيرة أو الصغيرة.

شرط المسلم فيه أمور : أحدها : أن يكون مضبوطاً بالصفة التي لا يضر وجودها كالحبوب والأدهان والثمار والثياب والدواب والأحجار والأخشاب والحديد والرصاص وغير ذلك من الأموال التي تنضبط بالصفات . أما ما لا ينضبط بها فلا يصح السلم فيه ، وكذا ما يعز وجوده كاللؤلؤ الكبار والياقوت وسائر الجواهر والحجارة وأختها وولدها ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (إمكان ضبط) .

وثانيها : كونه جنساً واحداً بغيره لم يختلط اختلاطاً لا ينضبط مقصوده كالمختلط المقصود الأركان التي لا تنضبط كهريسة ومعجون وغالية^(١) وخفّ مركب لاشتاله على ظهارة وبطانة ، فإن كان الخفّ مفرداً صحّ السلم فيه إن كان جديداً ، أو اتخذ من غير الجلد ؛ وإلا امتنع . ولا يصح في رؤوس الحيوان ؛ لأنها تجمع أجناساً مقصودة ، ولا تنضبط بالوصف . ولا في الجلد ؛ لاختلاف الأجزاء في الرقة والغلظ . ويصح في أسطال مربعة أو مدورة^(٢) ، ويصح في الدراهم والدنانير بغيرهما لا بمثلهما ، ولا في أحدهما بالآخر حالاً كان أو مؤجلاً .

وثالثها : ما أشار إليه بقوله : (ولم يكن معيناً) بل يشترط أن يكون ديناً ؛ لأن لفظ السلم موضوع له ، فلو أسلم في معين كأسلمت إليك هذا الثوب في هذه الصيرة أو بعضها قبل فسد ، أي : لم يتعقد سلماً لانقضاء الدينية ، ولا بيعاً لاختلاف اللفظ .

(و) رابعها : (كونه وقت الحلول يغلب . وجوده حيث الأداء يطلب) أي : عند وجود التسليم ؛ لأن المعجوز عن تسليمه يمتنع بيعه ، فيمتنع السلم فيه ، فإذا أسلم في منقطع عند الحلول كالرطب في زمن الشتاء لم يصح .

وخامسها : أن يكون العقد ناجزاً لا يدخله خيار الشرط كما قال : (ولیمتنع خيار شرط فيه) لأنه لا يحتمل التأجيل ، والخيار أعظم غرراً منه (لا) خيار (مجلس) فلا يمتنع فيه (بل ذاك يقتضيه) لعموم قوله ﷺ : « المتبايعان بالخيار ... ما لم يتفرقا »^(٣) . والسلم بيع موصوف في الذمة كما مر .

وسادسها : أن لا تدخله النار لإحالة ، أي : فيصير غير منضبط كما أشار إليه بقوله : (كذلك من موانع التجويز) إلى آخره ، فلا يصح السلم في خبز ومطبوخ ومشوي ؛ لاختلاف الغرض باختلاف تأثير النار فيه وتعذر الضبط ، بخلاف ما ينضبط تأثير ناره كالعسل المصفى بها والسكر والفسانيد^(١) والدبس^(٢) واللبأ^(٣) ، فيصح السلم فيها ، كما مال إليه ترجيح النووي في « الروضة » وهو المعتمد .

فرع : زاد الناظم على أصله باباً في الإقراض .

(١) هو عسل قصب السكر .

(٢) عصير الزبيب بعد طيبه .

(٣) بالهمز والقصر : أول ما يجلب من الغنم والبقرة مرة ، وأكثره في ثلاث حلبات ، ويقال له أيضاً : صمغة اللبن ، وشندور .

(١) طيب مزوج من أفخر الأنواع .

(٢) وذلك عند انخاد معدنها ومقاسها وشكلها .

(٣) رواه البخاري (٢١١٢) ، ومسلم (١٥٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

باب الإقراض

(والقرض للمحتاج مندوب ولم يصح إلا قرض ما فيه السلم)
(وجاز قرض الخبز لا قرض الإما إن حل وطء وليجز إن حرما)

اعلم أن الإقراض - وهو : تمليك على أن يردّ بدله - (للمحتاج مندوب) إليه لقوله تعالى : ﴿ وافعلوا الخير ﴾ [الحج : ٧٧] ولقوله ﷺ : « من نَفَسَ عن أخيه كربة من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه »^(١) . وقد روى ابن ماجه [٢٤٣١] عن أنس أنه ﷺ قال : « رأيت ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ، فقلت : يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة »^(٢) .

قال العلامة الشيخ نور الدين المحلي - رحمه الله - في توجيه كون درهم القرض بثمانية عشر ، لأن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة ، كما ورد : درهم الصدقة بعشرة ، ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من جملة مبلغ أصله وهو عشرون يتأخر للمقرض ثمانية عشر انتهى . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : الصدقة إنما يكتب لك أجرها حين تتصدق بها ، وهذا يكتب لك أجره ما كان عند صاحبه . نعم قد يجب لعارض كالمضطر ، وقد يحرم كما إذا غلب على ظنه أنه يصرفه في معصية ، وقد يكره كما إذا غلب على ظنه أنه يصرفه في مكروه . اعلم أنه لا يحلّ للشخص أن يظهر الغنى ويخفي الفاقة - الفقر - عند القرض ، كما لا يجوز له إخفاء الغنى وإظهار الفاقة عند أخذ الصدقة .

وصيغته : أقرضتك ، أو أسلفتك هذا ، أو خذته بمثله ، أو ملكتك على أن تردّ بدله . ويشترط قبوله في الأصح . ويشترط في المقرض أهلية التبرّع . ولا يجوز إقراض ما لا يسلم فيه كما قال

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مسلم (٢٦٩٩) ، وأحمد ٢٥٢/٢ ، والدارمي ٩٩/١ ، وأبو داود (٣٦٤٣) ، والترمذي (٢٦٤٦) ، وابن ماجه (٢٢٥) . وهو حديث عظيم ذو شأن رفيع في مجال الإخاء والودّ وقوة الروابط الاجتماعية .

(٢) قال البوصيري في « مصباح الزجاجة » في إسناده خالد بن يزيد ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي والدارقطني .

الناظم : (ولم . يصح إلا قرض ما فيه السلم) لصحة ثبوته في الذمة ؛ لأنه ﷺ اقترض بكرأ^(١) ، وقيس عليه غيره . أما ما لا يسلم فيه كالخارية وولدها والجواهر ونحوها فلا يجوز إقراضه في الأصح ؛ لأن ما لا ينضبط أو يندر وجوده يتعذر ويعسر ردّ مثله . (وجاز قرض الخبز) وزناً بإجماع أهل الأمصار على فعله في الأعصار بلا إنكار ، فهو مستثنى مما ذكر وإن صحح البغوي في « التهذيب » المنع . وقيل : يجوز عدداً ، ورجحه الخوارزمي في « الكافي » قال في « الروضة » : وذكر في « التتمة » وجهين في إقراض الخمير الحامض : أحدهما الجواز ورجحه بعض المتأخرين وهو ظاهر لاطراد العادة به ، خلافاً لما جزم به في « الأنوار » من المنع ، فالعبرة كما قال السبكي بالوزن كالخبز . و(لا) يجوز (قرض الإما) بـ كسر الهمزة (إن حلّ وطء) . والمعنى : لا يجوز قرض الجارية التي تحلّ للمقرض ولو غير مشتهة ؛ لأنه قد يطؤها ويردّها . أما التي لا تحلّ بمحرمة أو تمجس^(٢) أو نحوه فإنه يجوز أن يقرضها له كما قال الناظم : (وليجز إن حرما) .

تنبيه : يردّ في القرض المثل في المثل ولو في نقد بطل التعامل به ؛ لأنه أقرب إلى حقه . ويردّ في النقد إذا اقترض المثل صورة ؛ لأنه ﷺ اقترض بكرأ وردياً وقال : « إن خياركم أحسنكم قضاء » رواه مسلم [١٦٠٠]^(٣) . ولا يجوز الإقراض بشرط صحيح عن مكسر ، أو ردّ زيادة أو ردّ جيد عن رديء ، ويفسد بذلك العقد على الصحيح ، فلو ردّ هكذا بلا شرط فحسب ، بل مستحب للخير المار ، ولا يكره للمقرض أخذه . ولو شرط أن يردّ مكسراً عن صحيح أو أن يقرضه غيره لغا الشرط ، والأصح أنه لا يفسد العقد . ولو شرط أجلاً فهو كشرط مكسر عن صحيح إن لم يكن للمقرض غرض ، فإن كان كزمن نهب فكشرط صحيح عن مكسر في الأصح . وللمقرض شرط رهن وكفيل ، ويملك القرض بالقبض ، وللمقرض الرجوع عن عينه ما دام باقياً بحاله في الأصح .

(١) من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، وقامه : فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكرة . فرجع إليه أبو رافع فقال : لم أجدها إلا خياراً رباعياً فقال : « أعطه إياه . إن خيار الناس أحسنهم قضاء » .

البكر : الفتي من الإبل والرباعي : جمل خيار له ست سنين ودخل في السابعة ، وسأني تحريمه .

(٢) وذلك لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تتكحوا الشركات حتى يؤمن ﴾ البقرة : ٢٢١ .

(٣) من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، ورواه أيضاً النسائي ٢٩١/٧ .

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه بنحوه البخاري (٢٣٠٥) ، ومسلم (١٦٠١) ، والنسائي ٢٩١/٧ .

فائدة: روى ابن ماجه [٢٤٠٩] أن النبي ﷺ قال: «كان الله مع الدائن حتى يقضي دينه . ما لم يكن فيما يكره الله» . وكان عبد الله بن جعفر يقول كل ليلة لحازنه : اذهب فخذ لي بدين ، فإنني أكره أن أبيت ليلة إلا والله معي . بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ^(١) .

خاتمة: قال القرطبي : لا يتمتع القرض للأعراض لقصة أبي ضمضم ، وهو ما رواه ابن عدي في «الكامل» [٢٢٢٤/٦] والعقيلي [٩٣/٤]^(٢) والبيهقي [في «الشعب» (٨٠٨٣) و(٨٠٨٤) و(٨٠٨٢)] وأبو داود [٤٨٨٧] مرسل^(٣) لما أمر النبي ﷺ بالصدقة وحث عليها قال : اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك ، فأمر النبي ﷺ منادياً ينادي : «أين المتصدق بعرضه ؟ فقام له رجل ، فقال له النبي ﷺ : «إن الله قبل صدقتك» . وفي الأثر : «أقرض من عرضك ليوم عرضك»^(٤) .

(١) قال في «مصباح الزجاجية في زوائد ابن ماجه» : إسناده صحيح . وفي الأصل : من استقرض في حاجة غير مكروهة فالله معه . وعن عبد الله بن جعفر يقول لو كيلاه : اقترض ليكون الله معي . ولم أجده عند ابن ماجه ، وأثبت اللفظ الموجود .

(٢) في الأصل : البزار ولم أجده في «كشف الأستار» .
(٣) رواه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٤) كلهم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : «أعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟» الخ . لكن في الأصل قال : وأبو داود في «المراسيل» ولم أجده فيها ولكنه في «السنن» مرسل^(٥) عن عبد الرحمن بن عجلان ، والحديث في جميع طرقه التي تقدمت لا يخلو من ضعيف أو مجهول أو منكر الحديث ، والحديث ضعيف وهو في فضائل الأعمال ومع ذلك لا يفرح له بسند مقبول .
ورواه أبو داود (٤٨٨٦) بسند صحيح موقوفاً على قتادة رحمه الله .
(٤) وذكره في «النهاية» بلفظ : «أقرض من عرضك ليوم فقرك» أي : إذا نال أحد من عرضك فلا تجازه ، ولكن اجعله قرصاً في ذمته لتأخذه منه يوم حاجتك إليه . يعني يوم القيامة .

تتمة :

— روى ابن ماجه (٢٤٣٠) بإسناد ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ما من مسلم يقرض مسلماً قرصاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة» .
— وروى ابن حبان (٥٠٤٠) عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول : «من أقرض الله مرتين ، كان له مثل أجر أحدهما لو تصدق به» وإسناده حسن .

— وروى ابن ماجه (٢٤٣٢) عن يحيى الهنائي قال : سألت أنس بن مالك . الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدي له ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أقرض أحدكم قرصاً فأهدى له ، أو حمله على الدابة فلا يركبها ، ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك» . بإسناده ضعيف

باب الرهن

هو لغة : الثبوت والدوام ، ومنه الحالة الراهنة ، أي : الثابتة . وقال الماوردي : هو الاحتباس ، ومنه : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [الدثر : ٣٨] وشرعاً : جعل عين مال وثيقة بدين يستوفى منها عند تعذر وفائه . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿فرهان مقبوضة﴾ [البقرة : ٢٨٣] وخبر الصحيحين : أنه ﷺ رهن درعه عند يهودي يقال له : أبو الشحم ؛ على ثلاثين صاعاً من شعير لأهله^(١) . ثم قيل : إنه افتكه قبل موته لخبر : «نفس المؤمن معلقة بدينه»^(٢) أي : محبوسة في القبر غير منبسطة مع الأرواح في عالم البرزخ ، وفي الآخرة معوقة عن دخول الجنة حتى يقضى عنه ، وهو ﷺ منزّه عن ذلك . والأصح أنه لم يفتكه لقول ابن عباس : توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي . والخبر محمول على غير الأنبياء تنزيهاً لهم ، وعلى من خلف وفاء وقصّر . أما من لم يقصر بأن مات وهو معسر وفي عزمه الوفاء فلا تحبس نفسه .

واعلم أن الوثائق بالحقوق ثلاثة : شهادة ، ورهن ، وضمان . فالأولى لخوف جحد ، والأخيرتان لخوف الإفلاس .

وأركان الرهن أربعة وهي : مرهون ، ومرهون به ، وصيغة ، وعاقدان .

(يصح رهن سائر الأعيان)	(إن صح فيها البيع لا كالجاني)
(بكامل دين لازم وفي زمن)	(خيار شرط أو سواه بالنقن)
(ولا رجوع بعد قبض المرتن)	(فإن تعدى بعد قبضه ضمن)
(وحقه معلق بعينه)	(جميعها إلى وفاء دينه)
(وبامتناع رهن من الوفا)	(يباع كل الرهن أو جزء كفى)

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٦) ، ومسلم (١٦٠٣) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

(٢) أخرجه عن أبي هريرة أحمد ٤٤٠/٢ ، والترمذي (١٠٧٨) و(١٠٧٩) ، وحسنه ، و الدارمي ٢٦٢/٢ ، والطبراني (٢٣٩٠) ، وابن ماجه (٢٤١٣) ، والحاكم ٢٦/٢ و ٢٧ وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي ٧٦/٦ ، والبخاري (٢١٤٧) .

أي : (يصح رهن سائر الأعيان . إن صحَّ فيها البيع) فلا يصح رهن دين ولو ممن هو عليه^(١) ؛ لأنه غير مقدور على تسليمه ، ولا رهن منفعة كأن يرهن سكنى داره مدة ، ولا رهن عين لا يصح بيعها كوقف ومكاتب وأم ولد . و (لا) يصح رهن الجاني المتعلق برقبة مال ، كما أشار إليه بقوله من زيادته : (كالجاني) بخلاف المتعلق به قود^(٢) أو بدمته مال .

تنبيه : يُستثنى من منطوق كلامه المدبر^(٣) ، فإن رهنه باطل وإن جاز بيعه ؛ لأن السيد قد يموت فجأة ، فيبطل مقصود الرهن . والأرض المزروعة يصح بيعها ولا يجوز رهنها . ومن مفهومه الأمة التي لها ولد غير مميز لا يجوز إفراد أحدهما بالبيع ويجوز بالرهن ، وعند الحاجة يباعان ويوزع الثمن عليهما . والأصح أن يقوم المرهون وحده ثم مع الآخر فالزائد قيمته ، وهذا هو الركن الأول .

وأما الركن الثاني : وهو المرهون به ، فقد أشار إليه بقوله : (بكل دين) فلا يصح بالعين المضمونة كالمنصوبة والمستعارة ، ولا بغير المضمونة كالقراض والمودع ؛ لأن الله تعالى ذكر الرهن للمداينة ، فلا يثبت في غيرها ، ولأنها لا تستوفي من ثمن المرهون ، وذلك مخالف لغرض الرهن عند البيع . ويشترط في الدين الذي يرهن به كونه ثابتاً ، فلا يصح بغيره كنفقة زوجة في الغد ؛ لأن الرهن وثيقة حق ، فلا تتقدم عليه . وكونه معلوماً للعاقدين ، فلو جهلاه أو أحدهما لم يصح . وكونه لازماً أو آيلاً إلى اللزوم ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (لازم) فلا يصح في غير ذلك كما في الكتابة ، وجعل الجمالة قبل الفراغ من العمل . ويجوز الرهن بالثمن في مدة الخيار ، كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : (وفي زمن . خيار شرط أو سواه بالثمن) والأصل في وضعه اللزوم ، بخلاف مال الكتابة وجعل الجمالة ، وظاهر أن الكلام حيث قلنا : ملك المشتري المبيع ليملك البائع الثمن ، كما أشار إليه الإمام .

أما الركن الثالث : وهو الصيغة فلا يصح إلا بإيجاب وقبول بشرطهما المعتبر .

وأما الركن الرابع : وهو العاقد فشرطه كونه مطلق التصرف .

ولا يلزم الرهن إلا بقبضه - كما مر في البيع - بإذن من الراهن أو إقباض منه ممن يصح عقده للرهن^(٤) ، وللراهن الرجوع في المرهون ما لم يقبضه المرتهن أو نائبه (ولا رجوع) له (بعد قبض

(١) قال الجعفي ٥٩/٣ : أي ولو عند من هو عليه كأن يكون لك على شخص دين فتشتري منه شيئاً بضمن مؤجل وترهن عليه الدين الذي في دمه ، وتقدم أنه يصح بيع الدين فيكون من المشتريات من قولهم : كل ما جاز بيعه جاز رهنه .

(٢) قود : أي لقصاص قتل .

(٣) هو من يعتق دبر وفاة سيده .

(٤) أي : العاقل البالغ غير المحجور عليه .

المرتهن) ويحصل الرجوع قبل قبضه بتصرف يزيل ملكاً كهبة مقبوضة لزوال محل الرهن ، وبرهن مقبوض لتعلق حق الغير ، وتقيدهما بالقبض هو ما جزم به الشيخان . وقضيته أن ذلك بدون قبض لا يكون رجوعاً ، لكن نقل عن السبكي وغيره عن النص والأصحاب أنه رجوع وصوبه الأذري وهو المعتمد . ويحصل الرجوع أيضاً بكتابة وتدير وإحيال ؛ لأن مقصودها العتق وهو مناف للرهن ، لا بوطء وتزوج لعدم منافاتهما له ، ولا بموت عاقد وجنونه وإغمائه ، ويتخمر عصير وإباق عبد .

تنبيه : على الراهن المالك مؤنة المرهون كنفقة رقيق وعلف دابة وأجرة سقي أشجار ، ولا يمنع من مصلحة الرهن كقصص وحجامة . والرهن أمانة بيد المرتهن فلا يضمنه بمثل ولا قيمة إذا تلف ، إلا بالتعدي بالتفريط ، كما أشار إليه الناظم بقوله : (فإن تعدى بعد قبضه ضمن) لخروج يده عن الأمانة ، ولا يسقط بتلفه شيء من الدين ، كما أفاده بقوله من زيادته : (وحقه معلق بعينه) إلى آخر البيت ، ويصدق المرتهن في دعوى التلف يمينه ، ولا يصدق في الرد عنه عند الأكثرين على المعتمد .

ضابط : كل أمين ادعى الرد على من اتهمه صدق يمينه ، إلا المرتهن والمستأجر^(١) ، وينفك الرهن بالإبراء من جميع الدين ، فلو بقي منه شيء لم ينفك شيء منه ؛ لأنه وثيقة لجميع أجزاء الدين ، إلا إذا تعدد صاحب الدين كأن رهن عبداً من اثنين بدينهما عليه صفقة واحدة ، ثم برىء عن دين أحدهما أو الصفقة [انفك قسطه لتعدد الصفقة بتعدد مستحق الدين] ، وكذا إن اتحد الدائن والمدين كأن رهن نصف عبد في صفقة وباقيه في أخرى ، أو من عليه الدين كأن رهن اثنان من واحد بدين عليهما وإن اتحد وكيلهما ؛ لأن المدار على اتحد الدين وتعددده . وينفك أيضاً بفسخ الرهن إذا فسخه المرتهن ولو بدون الراهن ؛ لأن الحق له وهو جائز من جهته ، وينفك أيضاً بزوال جميع الدين بقضاء أو حوالة أو غيرهما ، وقول الناظم من زيادته : (وبامتناع راهن من الوفاء . يباع كل الرهن أو جزء كفى) أشار به إلى أن المرهون يباع عند الحاجة لوفاء الدين إن لم يوف من غيره ، ويقدم المرتهن بثمنه على سائر الغرماء ، ويبيعه الراهن أو وكيله بإذن المرتهن ، فإن لم يأذن قال له الحاكم : تأذن أو تبرىء . ولو طلب المرتهن بيعه فأبى الراهن ذلك ألزمه القاضي قضاء الدين أو بيعه ، فإن أصر على الامتناع أو أقام المرتهن حجة بالدين الحال في غيبة الراهن باعه الحاكم عليه ووفاه الدين من ثمنه .

(١) قال الجعفي ٦٦/٣ : والفرق بينهما وبين سائر الأمانة أنهما يقبضان لغرض أنفسهما المرتهن للتوثق ، والمستأجر للاقتناع بالمؤجر بخلاف غيرها فكانا كالمستعير لأنه يقبض لغرض نفسه . بخلاف الأجير كالحياط والطحان فإنهم يصدقون في دعوى الرد يمينهم لدخولهم في القاعدة .

وقد سئل الإمام السبكي رحمه الله تعالى في شخص رهن عيناً بدين مؤجل وغاب من له الدين ، فاحضر الراهن المبلغ إلى الحاكم ، وطلب منه قبضه لينفك الرهن ، هل له ذلك ؟ فأجاب بأن له ذلك ، وهو ظاهر .

فرع : ليس للراهن أن يقول للمرتن : أحضر المرهون وأنا أقضي دينك ؛ إذ لا يلزم الإحضار ، وما يحتاج إليه من مؤنة على رب المال .

تنبيه : لو اختلف الراهن والمرتن في أصل الرهن أو في قدره صدق الراهن المالك يمينه ؛ لأن الأصل عدم ما يدعيه المرتن ، هذا إن كان رهن تبرع . أما الرهن المشروط في بيع بأن اختلفا في اشتراطه فيه أو اتفقا عليه واختلفا في شيء مما مر غير الأولى فيتحاللون فيه كما في سائر صور البيع إذا اختلف فيها .

ولنختم الباب بمسألة كثيرة الوقوع ، وهي :

أن الواقف قد يوقف كتباً ويشترط أن لا يخرج منها كتاب من محل يحبسها فيه إلا برهن ، وذلك لا يصح كما صرح به الماوردی^(١) ، وإن أفق القفال بخلافه . وضعف بعضهم ما أفق به القفال^(٢) بأن الراهن أحد المستحقين ، والراهن لا يكون مستحقاً ؛ إذ المقصود بالرهن الوفاء من ثمن المرهون عند التلف ، وهذا الموقوف لو تلف بغير تعدد ولا تفريط لم يضمن ، وعلى إلغاء الشرط لا يجوز إخراجه برهن ولا بغيره ، فكأنه قال : لا يخرج مطلقاً . نعم إن تعذر الانتفاع به في المحل الموقوف فيه ووثق بمن ينتفع به في غير ذلك المحل وأن يردده إلى محله بعد قضاء حاجته جاز إخراجه كما أفق به بعض المتأخرين .

باب الحجر

هو في اللغة : المنع ، ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام - للأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً : « لقد تحجرت واسعاً »^(١) أي : رحمة الله واسعة ، فلا يجوز أن تحجرها وتمنعها من الوصول إلى غيرنا .

وفي الشرع : المنع من التصرفات المالية ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ [النساء : ٦] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً ﴾ [البقرة : ٢٨٢] الآية ، وقد فسر الشافعي رضي الله عنه السفيف : بالمبذر ، والضعيف : بالصبي والكبير المختل ، والذي لا يستطيع أن يمل : بالمغلوب على عقله ، فأخبر الله تعالى أن هؤلاء ينوب عنهم أولياؤهم ، فدل على ثبوت الحجر عليهم^(٢) .

- | | |
|-----------------------------|---------------------------|
| (والشخص ممنوع من التصرف) | بمنع من ستنة لم تخف (|
| (وهي الصبا كذا جنون يعرف) | فلا يصح معهما تصرف (|
| (ولا من المبذر السفيف) | إن كان محجوراً عليه فيه (|
| (وكالسفيه مفلس مدين) | تزيد عن أمواله الديون (|
| (لكن يصح مطلقاً في ذمته) | كذا النكاح ثم خلع زوجته (|

الحجر نوعان : نوع شرع لمصلحة المحجور عليه ، ونوع شرع لمصلحة الغير .

فالنوع الأول الذي شرع لمصلحة نفسه يضرب على ثلاثة فقط :

(١) أخرجه عن أبي هريرة الشافعي (٥٢) ، والحميدي (٩٣٨) ، وأحمد ٢/٢٨٣ ، والبخاري (٦٠١٠) ، والنسائي ١٤/٣ ، وأبو داود (٣٨٠) ، والترمذي (١٤٧) ، وابن ماجه (٥٢٩) وفيه : احتظرت - أي منعت ، وابن خزيمة (٨٦٤) ، وابن حبان (٩٨٧) ، والبيهقي (٢٩١) ، والبيهقي ٢/٤٢٨ .

(٢) وقد نظم بعضهم أقسام الحجر فقال :
ثمانية لا يشمل الحجر غيرهم تضمّنهم بيت وفيه محاسن
صبي ومجنون سفيف ومفلس رقيق ومتردد مريض وراهن

(١) هو قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردی البصري ، تفقه على الصميري بالبصرة ، وارتحل إلى الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، درس بالبصرة وبغداد ستين له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب . كان حائفاً للمذهب توفي ببغداد سنة خمسين وأربع مئة .

(٢) إمام خراسان في عصره - وهو غير القفال الشاشي الكبير محمد بن علي المتوفى سنة خمس وستين وثلاثة مئة - عبد الله بن أحمد المروزي القفال أستاذ القاضي حسين ، وقد تخرج على الشيخ أبي زيد الفاشاني ، كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وزهداً له تصانيف في الفقه توفي في سجنستان سنة سبع عشرة وأربع مئة .

أولها : الحجر على الصبي ، أي : الصغير ذكراً كان أو أنثى ولو مميزاً إلى بلوغه ، فينفك بلا قاض ؛ لأنه حجر ثبت بلا قاض ، فلا يتوقف زواله على فك قاض ، وهذا مراد الناظم بقوله : (الصُّبَا) بكسر الصاد ، أي : الصَّغِير .

وثانيها : الحجر على المجنون إلى إفاقته منه ، فينفك بلا فك قاض ، كما مر في الصبي ، وهذا مراده بقوله : (كذا جنون ..) . وقوله : (فلا يصح مَعَهُمَا) بسكون العين (تصرّف) أشار به إلى أن تصرّف كل من الصبي والمجنون غير صحيح . أما الصبي فلأنه مسلوب العبارة والولاية ، إلا ما استثني من عبادة مميز ، وإذن في دخول ، وإيصال هدية من مميز مأمون . وأما المجنون فمسلوب العبارة من عبادة وغيرها ، والولاية من ولاية نكاح وغيرها .

وثالثها : الحجر على البالغ السفه المبدّر لماله ، كأن يرميه في بحر أو نحوه ، أو يضيعه باحتيال غيب فاحش في معاملة ، أو يصرفه في محرم ، لا في خير كصدقة ، ولا في مطاعم وملابس . وقوله : (ولا من المبدّر السفه) إلى آخره ، عطف على قوله : فلا يصح معهما تصرّف ؛ فتصرّف السفه من ماله غير صحيح أيضاً ؛ لأنه مسلوب العبارة في التصرف المالي كبيع ولو بغبطة أو بإذن الولي ، ويصح إقراره بموجب عقوبة كحدّ وقود ، وتصح عبادته ببدنية كانت أو مالية واجبة ، لكن لا يدفع المال من زكاة وغيرها بلا إذن من وليه ، ولا تعيين منه للمدفع إليه ؛ لأنه تصرّف مالي . أما المالية المندوبة كصدقة التطوّع فلا تصح منه . وأفاد الناظم بقوله من زيادته : (إن كان مجبوراً عليه فيه) أن تصرّف السفه المهمل صحيح ، واختلف فيه فقيل : هو الذي لم يحجر عليه سواء بلغ رشيداً أو مبدراً ، وقيل : هو الذي طرأ عليه السفه بعد الرشد . قال الشيخ الوفاي : والطريقة الثانية هي المرجحة ، والله أعلم .

أما إذا زال المانع بالبلوغ أو الإفاقة أو الرشد فإنه يصح التصرف من حيثئذ . والبلوغ يحصل إما بإكمال خمس عشرة سنة قمرية تحديدية ، وابتدائها من انفصال جميع البدن ، أو بالإمضاء لآية : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ [نور : ٥٩] والحلم : الاحتلام ، وهو لغة : ما يراه النائم ، والمراد به هنا المنّي في نوم أو يقظة بجماع أو غيره . ووقت إمكان الإماء بكمال تسع سنين قمرية بالاستقراء ، أو حيض في حق الأنثى بالإجماع . والرشد يحصل ابتداءً بصلاح دين ومال ، فلو فسق بعد بلوغه رشيداً فلا حجر عليه ، أو بذر بعد ذلك حجر عليه القاضي لا غيره وهو وليه ، أو جُنّ بعد ذلك فوليه وليه في الصغر ، وولي الصغير أب ، فأبوه وإن علا ، فوصي ، فقاض .

وأما النوع الثاني الذي شرّع لمصلحة الغير فيضرب على المفلس ، وهو الذي ارتكبه الديون الحالة اللازمة الزائدة على ماله ، فيحجر عليه^(١) - وجوباً في ماله إن استقلّ ، أو على وليه في مال موليه إن لم يستقل - بسؤال الغرماء ، فلا حجر بالمؤجل ؛ إذ لا يطالب به في الحال ، ولا بدين غير لازم كنجوم الكتابة ؛ لتمكّن المديون من إسقاطه ، ولا بدين مساوٍ لماله أو ناقص عنه^(٢) ، ولا بدين الله تعالى . إذا تقرر ذلك فتصرّف المفلس بعد ضرب الحجر عليه غير صحيح ، كما أشار إليه الناظم بقوله : (وكالسفيه) أي : في عدم التصرّف (مُفْلِسٌ مَدِينٌ . تزيد عن أمواله الديون * لكن يصح) تصرفه (مطلقاً في ذمته) كأن باع سلماً طعاماً أو غيره ، أو اشترى بضمن في ذمته ، أو اقترض أو استأجر ؛ إذ لا ضرر على الغرماء فيه . و(...كذا) يصح (النكاح ثم) طلاقه و (خلع زوجته) واستيفاءه القصاص وإسقاطه القصاص ولو مجاناً ؛ إذ لا يتعلق بهذه الأشياء مال .

تبيينان : أحدهما : يباع في الديون بعد الحجر عليه مسكنه وخادمه ومركوبه وإن احتاج إلى خادم أو مركوب ، ويترك له دست ثوب يليق به ، ولا يجب عليه أن يؤجر نفسه لبقية الدين .

ثانيهما : إن ادّعى أنه معسر أو قسم ماله بين غرمائه وزعم أنه لا يملك غيره وأنكروا ما زعمه فإن لزمه الدين في مقابلة مال كشاء أو قرض فعليه البيّنة بإعساره في الصورة الأولى ، وبأنه لا يملك غيره في الصورة الثانية ، وإن لزمه لا في مقابلة مال صدق بيمينته سواء كان باختياره كضمان وصدق أم بغير اختيار كأرش^(٣) جنانية ، وتقبل بيّنة الإعسار في الحال ، وشرطه مشاهدة خيرة باطنه ، وليقل : هو معسر ، ولا يحض النفي كقوله : لا يملك شيئاً . وإذا ثبت إعساره لم يجب حبسه ولا ملازمته ، بل يجهل حتى يوسر . وإنظار المعسر واجب^(٤) ، وربّ الدين مخير بينه وبين الإبراء . لا يقال : التخيير بين شيئين يقتضي استواءهما في الحكم ، فكيف يخير بين واجب ومنسوب

(١) فائدة : « من أدرك مائه بعينه عند رجل قد أفلس فهو أحق به من غيره » رواه عن أبي هريرة البخاري (٢٤٠٢) ، ومسلم (١٥٥٩) .

(٢) الحديث كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ حجر على معاذ ماله في دين كان عليه . رواه الدارقطني ٢٣١/٤ ، والحاكم ٥٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) الحديث أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها ففكر دينه ، فقال رسول الله ﷺ : « تصدقوا عليه » فتصدق عليه الناس ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله ﷺ لغرمائه : « حذروا ما وجدتم ، وليس لكم إلا ذلك » رواه مسلم (١٥٥٦) ، وأحمد ٣٦/٣ ، وأبو داود (٣٤٦٥) ، والترمذي (٦٥٥) والنسائي ٣١٣/٧ ، وعبد بن حميد (٩٩٢) ، وابن ماجه (٢٣٥٦) .

(٤) دية الجراحات ، واختلاف فرق خصومة ، أو ما يدفع فرق قيمة بين السلعة المطلوبة والمعيبة .

(٥) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنُظْرَةٌ إِلَى مَسْرَةِ ﴾ البقرة : ٢٨٠ . ولحديث ابن ماجه (٢٤١٩) ، عن أبي اليسر قال قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يظله الله في ظله فليظن معسراً ، أو ليضع عنه » .

والواجب أفضل؟ لأننا نقول: إن المندوب قد يفضل الواجب كالصدقة بألف دينار تطوّع فإنها أفضل من درهم زكاة، وابتداء السلام أفضل من رده.

فروع: لو كان للولد على الوالد دين لم يحبس له به على المذهب. الخبر: «أنت ومالك لأبيك»^(١).

فروع آخر ذكره الدميري: من وقعت الإجارة على عينه لا يحبس في الديون، بل يقدم حق المستأجر كما يقدم حق المرتين، أفنى به الغزالي رحمه الله تعالى.

(وليس للرقيق فيما يبيده تصرف إلا بإذن سيده)
 (فإن شري بغير إذن واقترض يكن عليه بعد عتقه العوض)
 (وإن يعامل بعد إذن سيده يجب وفاء الدين مما في يده)
 (وإن جنى جنابة في رقه فحقها معلق بعنقه)
 (وهو القصاص إن جنى تعمدًا وفي سواه يبعه أو الفدا)
 (وحيثما جنى على الأموال فلا قصاص مطلقاً بحال)

اعلم أن تصرف الرقيق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

ما لا ينفذ وإن أذن فيه السيد كالولايات والشهادات. وما ينفذ بغير إذنه كالعبادات والطلاق. وما يتوقف على إذنه كالبيع والإجارة. فإن لم يأذن له في التجارة لم يصح شراؤه ولا اقتراضه (... إلا بأذن سيده ...) لأنه محجور عليه لحق سيده، فيستردّه البائع سواء كان في يد العبد أو يد سيده، فإن تلف في يد العبد فإنه يكون في ذمته يتبع به إذا عتق؛ لثبوته برضا مالكه ولم يأذن له فيه السيد. (فإن يعامل) أي: الرقيق (بعد إذن سيده) له (يجب وفاء الدين مما في يده) وها أنا أذكر لك ضابطاً فيما يتلفه الرقيق أو يتلف تحت يده:

اعلم أن ما يتلفه أو يتلف تحت يده إن لم يرض بغير رضا مستحقه كإتلاف أو تلف بغصب تعلق الضمان بقرنته ولا يتعلق بذمته. وإن لم يرض برضا مستحقه كما في المعاملات فإن كان بغير إذن السيد تعلق بذمته يتبع به إذا عتق سواء رآه السيد في يد الرقيق أم لا، أو بإذنه تعلق بذمته وكسبه ومال تجارته، وإن تعلق في يد السيد كان للبائع تضمين السيد لوضع يده عليه، وله مطالبة العبد أيضاً بعد العتق لتعلقه بذمته لا قبله لأنه معسر. ثم إن أذن له سيده في التجارة تصرف بحسب الإذن، فإن أذن له في نوع لم يتجاوز كالكيل، وليس له بإذن في التجارة النكاح، ولا يؤجر نفسه ولا يتبرع، ولا يعامل سيده ولا رقيقه المأذون له في التجارة ببيع وشراء وغيرهما، ولا يتمكن من عزل نفسه، ولا يصير مأذوناً له بسكوت سيده، ويقبل إقراره بديون المعاملة. ومن عرف رقب

(١) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها ابن حبان (٤٢٦٢) والحديث صحيح بشواهده.

شخص لم يجز له معاملته حتى يعلم الإذن بسماح سيده أو بيته أو شيوع بين الناس، ولا يكفي قول العبد: أنا مأذون لي، لأنه متهم. وقول الناظم من زيادته: (وإن جنى جنابة في رقه. فحقها معلق بعنقه * وهو القصاص إن جنى تعمدًا. وفي سواه يبعه أو الفدا) إلى آخره، أشار به إلى أن الرقيق إذا جنى جنابة في رقه فإنه يتعلق بحقها بقرنته، فإن جنى عمداً اقتصر منه، أو غير عمد فبيعه السيد أو ينفذه بالأقل من قيمته وأرشفه، ولا قصاص في جنائنه على الأموال في رقه إذ لا يملك شيئاً.

اعلم أن من النوع الثاني الذي شرع لمصلحة الغير: الحجر على العبد الذي لم يؤذن له في التجارة لحق سيده وقد علمت ذلك، ويضرب أيضاً على المكاتب لحق سيده والله تعالى أعلم.

(ثم المريض نافذ التصرف في قدر ثلث ماله وإن شفي)
 (فإن يزد ودأؤه مخوف فالحكم فيما زاده موقوف)
 (حتى يميز وارثوه بعده أو يطلوه إن أرادوا رده)

ويضرب على المريض المخوف عليه بما يأتي إن شاء الله تعالى في الوصية فيما زاد على الثلث لحق الورثة حيث لا دين، وفي الجميع إن كان عليه دين مستغرق. فإذا تقرّر ذلك قال الناظم: (ثم المريض نافذ التصرف. في قدر ثلث ماله وإن شفي * فإن يزد) على الثلث^(١) (ودأؤه) أي: مرضه (مخوف. فالحكم فيما زاده موقوف) على إجازة جميع الورثة بعد موته لا قبله كما هو معلوم من باب الوصية. وخرج بقوله: مخوف؛ ما إذا ظنناه غير مخوف، فإن حمل على الفجأة كوجع الضرس نفذ تصرفه، وإلا كإسهال. يوم أو يومين فمخوف.

وسأني إن شاء الله تعالى في الوصية زيادة إيضاح على هذا.

تنبيه: زاد الشيخان في هذا النوع الحجر على الرهن في العين المرهونة لحق المرتين، وعلى المرتد لحق المسلمين، وأورد عليهما في «المهمات» ثلاثين نوعاً.

(١) لقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «الثلث والثلث كثير...» أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨)، ولحديث أبي هريرة: «إن الله أعطاكم ثلث أموالكم آخر أعماركم زيادة في أعمالكم» رواه ابن ماجه (٢٧٠٩)، والبيهقي ٢٦٩/٦. وفي سنده طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفه غير واحد.

(٢) «المهمات» على «الروضة» تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الإسنوي الفقيه الأصولي صاحب التصانيف المفيدة المتوفى عام ٧٧٢هـ.

وعلى «الروضة» أيضاً «التنات» للشريف عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقي المتوفى ٨٧٤هـ.

وعلى «الروضة» «التعقيبات» وتسمى «التعليق على المهمات» للشهاب أحمد بن العماد الأقفهسي المتوفى ٨٠٨هـ.

باب الصلح

اعلم أن الناظم أعلى الله درجته عقب كأصله باب الحجر باب الصلح ؛ لأن المحبوس يسأل الصلح بحسب الإمكان لأنه يرى نفسه في أضيق مكان . والصلح لغة : قطع النزاع ، وشرعاً : عقد يحصل به ذلك ، وهو أنواع :

صلح بين المسلمين والكفار ، وبين الإمام والبيعة ، وبين الزوجين عند الشقاق . و صلح في المعاملات^(١) وهو المراد هنا . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَالصَّلَاحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء : ١٢٨] وقوله ﷺ : « الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحلّ حراماً ، أو حرّم حلالاً » رواه ابن حبان [٥٠٩١] وصححه^(٢) : والكفار كالسلمين ، وإنما خصهم بالذكر لانقيادهم إلى الأحكام غالباً ، فالصلح الذي يُحلّ الحرام كأن يصلح في خمر ، والذي يحرم الحلال كأن يصلح أن لا يتصرف في المصالح به ، ولفظه يتعدى للمتروك بمنوعن ، وللمأخوذ بعلى والباء غالباً^(٣) .

- | | |
|----------------------------|-------------------------------|
| (يصح بالإقرار في مال وما | يفضي إليه كقصاص لزما |
| (أنواعه حطيطة وعاريه | والثالث المعاوضات الجارية |
| (فإن جرى عن دينه المحقق | ببعضه فمجرىء مما بقي |
| (وإن جرى عن عبده الذي غصب | بالبعض فالباقي لغاصب وهب |
| (وإن جرى عن نحو دار جاريه | في الملك بالسكنى فصلح العاريه |
| (ولم يجب فيما مضى مقابضه | أصلاً وأما ضابط المعاوضه |
| (فصلحه عما ادعى بآخره | وكل ما في البيع فيها قد جرى |

(١) ويشمل مالي : البيع ، والإجارة ، والعارية ، والهبة ، والإبراء ، والفسخ ، والسلم ، والجعالة ، والخلع ، والمعاوضة ، والدم ، والفداء .

(٢) من حديث أبي هريرة . وعن عمرو بن عوف المزني الترمذي (١٣٥٢) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٢٥٣) .

(٣) وقد نظم بعضهم ذلك فقال :

في الصلح للمأخوذ بقاء وعلى والترك من وعن كثيراً ذا اجماعاً

(كرد عيب والتماس شفعة ومنع بيع قبل قبض السلعة)
(والشرط فيه حيث ضرر يجتنب وشرطه خصومة قبل الطلب)
الصلح قسبان : صلح على إقرار ، و صلح على إنكار .

فأما الصلح الأول ف (يصح) الصلح (بالإقرار) أي : معه (في مال) ثابت في الذمة ، فلا يصح على غير إقرار من إنكار أو سكوت كما قاله في « المطلب » عن سليم الرازي وغيره ، كأن ادعى عليه داراً ، فأنكر أو سكت ، ثم تصالحا عليها أو على بعضها ، أو على غير ذلك كتب أو دين ؛ لأنه في الصلح على غير المدعى به محرم للحلال إن كان المدعي صادقاً لتحريم المدعى به أو بعضه عليه ، أو محلل الحرام إن كان المدعي كاذباً لأخذه ما لا يستحقه .

تنبيه : إذا تصالحا ثم اختلفا في أنهما تصالحا على إقرار أو إنكار فالذي نص عليه الشافعي أن القول قول مدعي الإنكار ؛ لأن الأصل أن لا عقد ، ولو أقيمت عليه بينة بعد الإنكار جاز الصلح كما قال الماوردي ؛ لأن لزوم الحق بالبينه كلزومه بالإقرار . ولو أقر ثم أنكر جاز الصلح ، ولو أنكر فصولح ثم أقر كان الصلح باطلاً كما قاله الماوردي . (و) يصح الصلح أيضاً في كل (ما يفضي إليه) أي : المال (كقصاص لزما) أي : كالعفو عن القصاص ، كما لو ثبت له على شخص قصاص فصالحه عليه على مال بلفظ الصلح كصالحتك من كذا على ما تستحقه علي من قصاص فإنه يصح ، أو بلفظ البيع فلا .

(أنواعه) أي : الصلح (حطيطة وعارية ..) ومعاوضة . فأما صلح الحطيطة فهو الجاري على بعض العين المدعاة كمن صالح من دار على بعضها أو من ثوبين على أحدهما ، وهذا هبة لبعض العين المدعاة لمن هي في يده ، فيشترط للصحة القبول ومضي مدة إمكان القبض . ويصح في البعض المتروك بلفظ الهبة والتقليك وشبههما ، وكذا بلفظ الصلح على الأصح كصالحتك من الدار على ربعها . ولا يصح بلفظ البيع لعدم الثمن ، وهذا مراد الناظم بقوله : (وإن جرى عن عبده الذي غصب . بالبعض فالباقي لغاصب وهب) . وقوله قبل هذا : (فإن جرى عن دينه المحقق) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أن صلح الإبراء من الدين هو الاختصار من حقه على بعضه ، ويسمى صلح الحطيطة ، ويصح بلفظ الإبراء والخط ونحوهما كالوضع والإسقاط ، و بلفظ الصلح على الأصح .

وأما صلح العارية فقد أشار إليه بقوله : (وإن جرى عن نحو دار جارية . في الملك بالسكنى فصلح العارية) والمعنى : إذا صالح على منفعة العين فهو عارية تثبت فيها أحكامها ، فإن عين فيها مدة فعارية مؤقتة ، وإلا فمطلقة .

(.. وأما ضابط) صلح (المعاوضة * فصلحه عما ادعى بآخرا ...) أي : عدوله من حق المدعى به إلى غيره ، كأن ادعى عليه داراً أو شقصاً منها فأقر له بذلك ثم صالحه بمغفعة على ثوب أو نحو ذلك صح ، ويجري عليه حكم البيع (كرد عيب) أي : بعيب (والتماس) . وثبوت (شفعة . ومنع بيع قبل قبض السلعة) ونحو ذلك ، سواء عقد بلفظ الصلح أم بغيره ؛ لأن حد البيع يصدق على ذلك .

توضيح لما تقدم : اعلم أن الصلح على ضريين :

صلح على دين ، و صلح على عين . وكل منهما نوعان .

فالأول من نوع الدين : الإبراء ، وهو الاقتصار من حقه على بعضه وقد تقدم . **والثاني** من نوع الدين : معاوضة ، وهو الجاري على غير العين المدعاة ، فإن صالح على بعض أموال الربا على ما يوافق في العلة اشترط قبض العوض في المجلس ، ولا يشترط تعيينه في لفظ الصلح على الأصح . وإن لم يكن العوض ربوياً فإن كان العوض عيناً صح الصلح وإن لم يقبض في المجلس ، وهذا مراد الناظم بقوله : (ولم يجب فيما مضى مقابضة . أصلاً) ، وإن كان ديناً صح على الأصح ، ويشترط في المجلس تعيينه .

والنوع الأول من نوع العين : صلح الخطيطة الذي قررناه ، وزاده الناظم على أصله . **والثاني** من نوع العين : صلح المعاوضة وهو عدوله من حقه إلى غيره ، وقد يكون سلماً وجعالة وخلعاً وغيرها كما في المبسوطات^(١) .

وقول الناظم : (والشرط فيه حيث ضرر يجتنب) أشار به إلى أن الصلح يبطل بالشرط كصالحتك بكذا على أن تبني ، أو على أن تؤجرني المكان الفلاني بكذا ، أو على أن أبرئك من كذا إن أعطيتني الباقي ؛ لأنه إما هبة أو إبراء أو بيع أو إجارة ، وكل منهما لا يصح مع هذا الشرط ونحوه ، فكذلك ما كان في معناها . وقوله : (وشرطه خصومة قبل الطلب) من زيادته ، وأشار به إلى أنه يشترط في الصلح سبق خصومة .

تنبيه : لم يذكر الناظم القسم الثاني وهو الصلح على الإنكار ، فيبطل إن جرى على نفس المدعى ، وكذا إن جرى على بعضه في الأصح كما في « المنهاج » . فلو قال : صالحني عما تدعيه فإنه لا يكون إقراراً ؛ لأنه قد تقع الخصومة . وقول الناظم : لزماً ؛ بألف الإطلاق .

(١) « كالحاوي » للماوردي و « المجموع » و « فتح العزيز » و « التحفة » ، و « النهاية » .

فصل : في إشراع الروشن في الطريق

وما يذكر معه

(ومن له بجنب شارع بنا يجعل عليه إن أراد روشننا)
 (وشرطه لمسلم إن لم يضر كظلمة وصدمة لمن يمر)
 (ولا يجوز جعله أصلاً إذا بناه للدرب الذي لن ينفذا)
 (إلا بإذن كل أهل دربه هـم كل شخص باب داره به)
 (وحق كل واحد منهم به ما بين بابي داره ودربه)
 (فما له بنا لرضي أصحابه إحداث باب داخل عن بابه)
 (وعكسه بغير إذن يفعل لكن بشرط أن يسد الأول)
 (والصلح يجري في ممر دار ووضع أخشاب على جدار)

أي : يجوز للإنسان أن يجعل على بنائه الذي بجنب الشارع روشناً ، أي : جناحاً وهو الخارج من الخشب ، ومثله الساباط وهو السقيفة على حائطين والطريق بينهما ؛ لأنه عليه نصب يده ميزاباً في دار عمه العباس^(١) ، رواه الإمام البيهقي [٦٦/٦] وقال : إن الميزاب كان شارعاً بمسجده عليه السلام ، وشرطه كونه للمسلم . أما الكافر فليس له الإخراج إلى شوارع المسلمين وإن جاز استطرافه ؛ لأنه كإعلاء البناء على المسلم في المنع (وشرطه) أن لا يكون مضراً كما قال : (إن لم يضر) أي : المارة في مرورهم فيه (كظلمة وصدمة لمن يمر) . ويشترط ارتفاعه بحيث يمر تحته الماشي منتصباً من غير احتياج إلى تطأطؤ رأسه . ويشترط مع هذا أن يكون على رأسه الحمولة العالية كما قاله الماوردي ، وإن كان ممر الفرسان والقوافل فليرتفع ذلك بحيث يمر تحته الحمل^(٢) على البعير من أخشاب المظلة ؛ لأن ذلك قد يتفق وإن كان نادراً^(٣) . أما إذا فعل ما منع فإنه يُزال ؛ لقوله عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار »^(٤) أي : في الإسلام . والمزيل له الحاكم لا كل أحد لما فيه من توقع الفتنة ، لكن لكل المطالبة بإزالته لأنه من إزالة المنكر . (ولا يجوز جعله) أي : الروشن (أصلاً إذا بناه للدرب) المشترك (الذي لن ينفذا * إلا بأذن كل أهل دربه) و (هم) أي : أهل غير النافذ كما

(١) ذكره في « تلخيص الحبير » ٥١/٣ في الصلح وقال : ذكر ابن أبي حاتم أنه سأل أباه عنه فقال : هو خطأ ، ورواه البيهقي من أوجه أخر ضعيفة أو منقطعة . وأوردته الحاكم وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف .

(٢) بوزن المجلس هو ما يوضع على ظهر الحمل ليركبه الحجاج والكبراء والنساء .

(٣) ومن حق الطريق أن ترفع الشرفات - لأجل أن تمر سيارات النقل - نحو أربعة أمتار تقريباً ليسهل العبور بارتياح .

(٤) أخرجه مسلاً مالك ٧٤٥/٢ ، ورواه عن أبي سعيد الخدري الدارقطني ٧٧/٣ و ٢٢٨/٤ ، والبيهقي في « السنن » ٦٩/٦ ، والحاكم ٥٧/٢ - ٥٨ . وعن عبادة أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠) ، وعن ابن عباس رواه ابن ماجه (٢٣٤١) . وهو أحد أحاديث « الأربعين النووية » وإسناده حسن .

أفاده الناظم من زيادته بقوله : (كل شخص باب داره به) لا من لاصق جداره من غير نفوذ بابيه إليه . (وحق كل واحد منهم به . ما بين بابي داره ودربه) أي : تختص شركة كل منهم بما بين بابيه ورأس^(١) غير النافذ لأنه محل تردده .

تنبيه : يحرم أن يبنى في الطريق دكة أو غيرها ، أو يغرس فيها شجرة وإن انتفى الضرر . ويحرم الصلح على إشراع الجناح أو السبايط بعوض وإن صالح عليه الإمام ؛ لأن الهواء لا يفرد بالعقد . وقول الناظم : (فماله بلا رضى) أي : بغير رضاء (أصحابه) إلى قوله : (أن يسد الأول) أشار به إلى أنه لا يجوز لمن له باب في رأس الدرب المشترك تأخير الباب الجديد إلى أسفل الدرب ، إلا بإذن من تأخر باب داره من الشركاء عن باب دار المرید لذلك ، سواء أقرب من القديم أم بعد عنه ، وسواء أسد الأول أم لا ؛ وأنه يجوز لمن له باب^(٢) تقديم الباب بغير إذن بقية الشركاء في الدرب المشترك إذا سد الباب الأول لأنه ترك بعض حقه ، فإن لم يسده فلشركائه منعه .

فرع : لو كان بابه آخر الدرب فأراد تقديمه وجعل الباقي دهليزاً جاز . وقوله من زيادته : (والصلح يجري) إلى آخره ، أشار به إلى أنه يجوز الصلح بمال على مروره في درب مثلاً منعه أهله استطراراً من ليس له فيه حق لأنه انتفاع بالأرض ، ووضع أخشاب على جدار بين دارين يختص به أحد المالكين^(٣) أو يكون مشتركاً ، ولا يجبر عليه لقوله ﷺ : « لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه »^(٤) . والألف في قوله : لن ينفذا ؛ للإطلاق . وقوله : يسد ؛ بالبناء للمفعول .

(١) أي : بداية مدخل الطريق .

(٢) أي : في آخر الزقاق .

(٣) حضر رسول الله ﷺ على صنائع المعروف وخصوصاً مع الجار ومنها قوله ﷺ : « لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة على جداره » . رواه عن أبي هريرة مالك ٧٤٥/٢ ، والبخاري (٢٤٦٣) ، ومسلم (١٦٠٩) ، والبيهقي ٨٦/٦ . وعن ابن عباس رواه أحمد ٢٥٥/١ ، والبيهقي ٦٩/٦ . وعن مجمع بن جارية ورجال من الأنصار أحمد ٤٧٩/٣ - ٤٨٠ ، وابن ماجه (٢٣٣٦) ، والطبراني في الكبير ١٩٩/١٠٨٧ ، والبيهقي ٦٩/٦ و ١٥٧ . وليلعلم أن هذه الساحة لم تكن لتعليق جداره في حياته أو بعد وفاته ، ولا في حال بيعه أو في حال إعادة عمارة داره فلا يحق له أن يعد حدوده وانظر الحديث الآتي ، وحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ... » رواه البخاري (٦٤٧٥) ، ومسلم (٤٧) (٧٤) . وحديث ابن عمر رفعه : « لا يحل لأحد ماشية أحد بغير إذنه » متفق عليه ، وحديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ظلم من الأرض شيئاً طوفه من سبع أرضين » أخرجه ابن حبان (٤٧٩٠) ونحو هذا المعنى في الحديث غير قليل فتأمل . وفي الأصل : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه » أخرجه أبو يعلى (١٧٥٠) ، وأحمد ٧٢/٥ ، والبيهقي (١٠٠/٦) ، والدارقطني ٢٦/٣ من حديث أبي حرة الرقاشي وفي سنده علي بن زيد بن جعدان ضعفوه . ورواه عن أنس بسند فيه مجهول الدارقطني ٢٦/٣ ، واللفظ المثبت أخرجه عن أبي حميد الساعدي ابن حبان (٥٩٧٨) وغيره بإسناد صحيح . قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم .

باب الحوالة

هي - بفتح الحاء أفصح من كسرهما - لغة : التحوّل والانتقال . وشرعاً : عقد يقتضي نقل دين من ذمة إلى ذمة . والأصل فيها قبل الإجماع خبر الصحيحين : « مطلق الغني ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع »^(١) بإسكان التاء في الموضعين كما رواه البيهقي [٧٠/٦] هكذا . والمطل : المدافعة ، والمليء : الغني المكثّر . والأصح أن الحوالة بيع دين بدين جواز للحاجة .

وأركانها ستة : محيل ، ومحتال ، ومحال عليه ، ودين للمحتال على المحيل ، ودين على المحال عليه ، وصيغة ، وكلها تؤخذ مما يأتي .

واعلم أنه إذا كان لزيد عليك عشرة ولك على عمرو مثلهما فأحلّت زيدا على عمرو فأنت محيل ، وزيد محتال ، وعمرو محال عليه ، وقد كان لزيد عليك دين ولك على عمرو دين وجرت بينك وبين زيد مراضة بها انتقل حقه إلى عمرو ، فهذه الأمور لابد منها في وجود الحوالة .

(وجوّزوا حوالة الإنسان غريمه على غريم ثاني)
(بكلّ دين لازم معلوم لا الإبل في الديات والنجوم)
(والشرط أن يرضى بها المحيل ومن محال يوجد القبول)
(كذا اتفاق الجنس في دينيهما والنوع والأوصاف مع قدريهما)
(كذلك الحلول والتأجيل وحيث صحت بغير المحيل)
(ودينه الذي على المحال عليه صار الآن للمحتال)

(وجوّزوا) أي : العلماء (حوالة الإنسان . غريمه على غريم ثاني) فيستحب قبولها على مليء للخبر المارّ ، وصرفه عن الوجوب القياس على سائر المعاوضات ، ويعتبر في الاستحباب كما بحثه الأذرعني أن يكون المليء وقياً ولا شبهة في ماله . وإنما تصح بشروط أشار الناظم إلى أولها بقوله :

(١) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (٢٢٨٧) ، ومسلم (١٥٦٤) ، وأبو داود (٣٣٤٥) ، والترمذي (١٣٠٨) . وعن ابن عمر رواه أحمد ٧١/٢ ، وابن ماجه (٢٤٠٤) ، والبيهقي في السنن ٧٠/٦ بنحوه .

(بكل دين لازم معلوم) فيشترط كون المحال به وعليه لازماً وهو ما لا خيار فيه ، فلا تصح ممن لا دين عليه كما فهم من هذا الشرط وهو الأصح ، وتصح بالثمن في مدة الخيار وعليه لأن أصله اللزوم ، ولا يصح بالجعل قبل الفراغ ولا عليه ولا بإبل الدية ولا عليها ، وتصح بنجوم الكتابة ولا تصح عليها . ويشترط العلم بما يحال به وعليه قدرأ وصفة بالصفات المعتبرة في السلم كما أفاده بقوله من زيادته : معلوم . واعلم أن الدين إما لازم ، أو غير لازم . **فالأول** : تصح الحوالة به وعليه اتفق الدينان في سبب اللزوم أو اختلفا ، كأن كان أحدهما ثمناً والآخر أجرة أو قرضاً . **والثاني** : إن كان آيلاً للزوم كالثمن في مدة الخيار جازت الحوالة به وعليه ، وإن لم يكن آيلاً إلى اللزوم كنجوم الكتابة فقد علمت حكمه ، وبما تقرّر علم أنها لا تصح بالعين لما مرّ لأنها بيع دين بدين ، وتصح بالدين المثلي كالنقد والحبوب والعتيق والثياب . وأشار إلى الشرط الثاني بقوله : (والشرط أن يرضى بها المحيل) وإلى الثالث بقوله : (ومن محال يوجد القبول) لأن للمحيل إبقاء الحق من حيث شاء فلا يلزم بجهة ، وحق المحتال في ذمة المحيل ولا ينتقل إلا برضاه ؛ إذ الذم تتفاوت ، والأمر الوارد للندب كما مر . وعبر الناظم كأصله بالقبول المستدعي للإيجاب لإفادة أنه محل الحق والتصرف كالعبد المبيع ، ولأن الحق للمحيل فله أن يستوفيه بغيره كما لو وكل غيره في الاستيفاء . وأشار إلى الشرط الرابع بقوله : (كذا اتفاق الجنس في دينيهما) أي : موافقة ما في ذمة المحيل للمحتال من الدين المحال به ، وما في ذمة المحال عليه للمحيل من الدين المحال عليه من الجنس ، فلا يصح في الدراهم على الدنانير وعكسه (و) في (النوع و ..) الوصف والقدر و (..) الحلول والتأجيل (وفي قدر الأجل ، وفي الصحة والتكسر ؛ لأنها ليست على حقيقة المعاوضات ، وإنما هي معاوضة إرفاق أجيّزت للحاجة ، فاعتبر فيها التساوي كما في القرض . وقوله : (وحيث صحت) إلى آخره ، أشار به إلى أن المحيل يبرأ بالحوالة الصحيحة ، أي : تبرأ ذمته عن دين المحتال ويسقط دينه عن المحال عليه ، فإن تعذر أخذه منه بفلس أو غيره كجحد أو موت لم يرجع إلى محيل ، كما لو أخذ عوضاً عن الدين وتلف في يده .

خاتمة : لو شرط بسار المحال عليه أو جهله فإنه لا يرجع على المحيل ، كمن اشترى شيئاً وهو مغبون فيه ، ولا عبرة بالشرط المذكور لأنه مقصر بترك التفحص ، ولو شرط الرجوع عند التعذر بشيء مما ذكر لم تصح الحوالة . وللمحيل^(١) أن يحيل وأن يحتال من المحال عليه على مدينه .

(١) عبارة « الإقناع » والمحتال .

باب الضمان

هو لغة : الالتزام . وشرعاً يقال : الالتزام حق ثابت في ذمة الغير أو إحضار من هو عليه أو عين مضمونة أو بدن من يستحق حضوره . ويقال للعقد الذي يتحصل به ذلك ، ويسمى الملتزم لذلك ضامناً وزعياً^(١) وكفيلاً^(٢) وحميلاً وغير ذلك^(٣) . والأصل فيه قبل الإجماع أخيار كخبر : « الزعيم غارم » رواه الترمذي [١٢٦٥] وحسنه^(٤) ، وخبر الحاكم بإسناد صحيح : أنه عليه السلام تحمل عن رجل عشرة دنانير^(٥) .

وأركان ضمان المال خمسة : ضامن ، ومضمون له ، ومضمون عنه ، ومضمون به ، وصيغة .

(صح ضمان كل دين قد لزم)	مع كونه جنساً وقدرأ قد علم)
(لا نحو قرضه الذي سيفعل)	ولا ضمان الجعل أو ما يجهل)
(وصح في رد المبيع إذ يشك)	في حل مال المشتري وهو الدرك)
(ومستحق الذين مكنوه من)	تغريمه الأصيل والذي ضمن)
(فكل من وفاه منهما وجب)	سقوط ما عليهما من الطلب)
(ثم الأصيل غارم للثاني)	بإذنه في الدفع والضمان)

صح ضمان من يصح تبرّعه ويكون مختاراً ، فيصح الضمان من سكران وسفيه لم يجبر عليه ومحجور فلس كشرائه في الذمة وإن لم يطالب إلا بعد فك الحجر ، لا من صبي ومجنون ومحجور

(١) يستأنس للضمان قوله تعالى : ﴿ وأنا به زعيم ﴾ يوسف : ٧٢ ، ولأنه شرع من قبلنا ، وعلى الصحيح ليس بشرع لنا .

(٢) لما رواه ابن ماجه (٢٤٠٧) ، فقال أبو قتادة : أنا أتكفل به .

(٣) ونظمها بعضهم فقال :

ضمان بمال والزعيم به إذا يكون عظيماً والكفيل بأبدان
حميل بدييات صبر يعمها كذاك قبيل قد أنساك بإتقان

(٤) وابن ماجه (٢٤٠٥) ، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن ماجه (٢٤٠٦) ، عنه أيضاً أن رجلاً لزم غريباً له عشرة دنانير على عهد رسول الله ﷺ فقال : ما عندي شيء أعطيكم . فقال : لا والله ! لا أفارقك حتى تقضي ، أو تأتيني بحميل - أي بكفيل -

فجره إلى النبي ﷺ وقضاها عنه .

بسفه ومريض مرض الموت عليه دين مستغرق لماله في الذمة ومكره ولو بإكراه سيده ، وصح ضمان رقيق بإذن سيده لاضمانه لسيده ، ويشترط في المضمون كونه حقاً ثابتاً حال العقد ، وأن يكون لازماً كما قال : (صح ضمان كل دين قد لزم ..) أو أصله اللزوم ، فلا يصح ضمان ما لم يجب كما قاله من زيادته : (لا نحو قرضه الذي سيفعل) أي : ولا نفقة ما بعد اليوم للزوجة ؛ لأن الضمان توثقة بالحق فلا يسبق وجوبه كالشهادة . (ولا) يصح (ضمان الجعل ..) قبل الفراغ من العمل ، ولا المجهول قدره أو جنسه أو صفته لما مر ، إلا في إبل الدية فيصح ضمانها مع الجهل بصفتها لأنها معلومة السن والعدد . ويصح ضمان المهر قبل الدخول أو الموت ، وثن المبيع قبل قبضه لأنه آيل إلى الاستقرار ، ويصح بالثمن في مدة الخيار لأنه آيل إلى اللزوم بنفسه فالحق باللازم .

تنبيه : الإبراء من الدين المجهول جنساً أو قدرأ أو صفة باطل ؛ لأن البراءة متوقفة على الرضا ، ولا يعقل مع الجهالة .

ويشترط في الصيغة للضمان والكفالة الآتية لفظ يشعر بالالتزام كضمنت دينك على فلان أو تكفلت بدينه ، ويُستثنى من عدم الصحة ضمان ما لم يجب كضمان درك المبيع أو الثمن بعد قبض ما يضمن كأن يضمن المشتري الثمن ، أو البائع المبيع إن خرج مقابلته مستحقاً أو معيباً أو رديئاً أو ناقصاً لنقص صفة شرطت أو صحة وزن ، (و) لهذا أشار الناظم بقوله : (صح) أي : الضمان (في رد المبيع) وإن لم يكن بحق ثابت للحاجة إليه ؛ لأن الحاجة تدعو إلى معاملة من لا يعرف من الغرباء ولا يوثق بيده وملكه ، ويخاف عدم الظفر به لو ظهر الاستحقاق فاحتجج إلى التوثيق ، وذلك (إذ يشك . في حل مال المشتري) كما مر (وهو) ضمان (الدرر) وهو بفتح الدال مع فتح الراء وإسكانها : التبعة ، أي : المطالبة ، فالمؤاخذه سميت بذلك لالتزام الغرماء عند إدراك المستحق عين ماله ، ويسمى أيضاً ضمان العهدة . وشرط في المضمون له وهو الدائن معرفة الضامن عينه لتفاوت الناس في استيفاء الدين تشديداً وتسهيلاً ، ومعرفة وكيله كمعرفته كما أفق به ابن الصلاح وإن أفق ابن عبد السلام بخلافه ؛ لأن الغالب أن الشخص لا يوكل إلا من هو أشد منه في المطالبة . ولا يشترط رضاه لأن الضمان محض التزام لم يوضع على قواعد المعاهدات ، ولا رضا المضمون عنه ولا معرفته لجواز التبرع بأداء دين غيره بغير إذنه ومعرفته . (و) قوله : (مستحق الدين مكنوه) أي : العلماء ولو وارثاً (من تغريمه الأصيل) أي : المضمون عنه (والذي ضمن) ولو متبرعاً بأن يطالبهما جميعاً أو يطالب أيهما شاء بالجميع أو يطالب أحدهما ببعضه والآخر بباقيه . أما الضامن فلخبر « الزعيم غارم »^(١) ، وأما الأصيل فلأن الدين باق عليه ، (فكل من وفاه) أي : الدين

(١) تقدم قريباً ، وأخرجه الترمذي (١٢٦٥) وحسنه .

(منها وجب . سقوط ما عليهما من الطلب) فلو برى الأصيل من الدين برى الضامن منه ، ولا عكس في إبراء^(٢) بخلاف ما لو برى بغير إبراء كأداء كما ذكر . ولو مات أحدهما والدين مؤجل حل عليه لأن ذمته خربت^(٣) ، بخلاف الحي فلا يحل عليه لأنه يرتفق^(٤) بالأجل ، وإنما يخبر في المطالبة . (ثم الأصيل) أي : المضمون عنه (غارم للثاني) أي : للضامن (بإذنه في الدفع والضمان) فإذا غرم الضامن الحق لصاحبه رجع بما غرمه على المضمون عنه إذا كان الضمان والقضاء بإذنه ؛ لأنه صرف ماله إلى منفعة الغير بإذنه . أما إذا انتفى إذنه في الضمان والأداء فلا رجوع له لتبرعه ، فإن أذن في الضمان فقط وسكت عن الأداء رجع على الأصح لأنه أذن في سبب الأداء . ولا يرجع إذا ضمن بغير الإذن وأدى بالإذن ؛ لأن وجوب الأداء بسبب الضمان ولم يأذن فيه . نعم لو أدى بشرط الرجوع رجع كغير الضامن .

تنبيهان : أحدهما : محل الرجوع إذا أدى من ماله . أما لو أخذ من سهم الغارمين فأدى به الدين فإنه لا يرجع كما ذكره في قسم الصدقات . وإن انتفى الإذن في الضمان والأداء فلا رجوع له لتبرعه .

الثاني : حيث ثبت الرجوع فحكمه حكم القرض حتى يرجع في المتقوم بمثله صورة كما قاله القاضي حسين ، ومن أدى دين غيره بإذن ولا ضمان رجع - وإن لم يشترط الرجوع للعرف ، بخلاف ما إذا أداه بلا إذن لأنه متبرع ، وإنما يرجع^(٥) مؤد ولو ضامناً إذا أشهد بذلك ولو رجلاً ليحلف معه لأن ذلك حجة ، أو أدى بحضرة مدين ولو مع تكذيب الدائن أو في غيبته لكن صدقه الدائن لسقوط الطلب بإقراره . وقول الناظم : قد علم ، وسيفعل ويجهل ، ويشك ؛ بالبناء للمفعول .

تنمة : يصح ضمان رد العين المضمونة كالمغصوبة لأن المقصود منها المال ، بخلاف غير المضمونة كالوديعة فلا يصح ضمانها ؛ لأن الواجب على من هي تحت يده التخلية لا الرد . وأما ضمان قيمتها لو تلفت فلا يصح^(٦) لعدم ثبوتها .

(١) فلو قال للضامن أبرأتك من الضمان لم يبرأ الأصيل ، وجعل إبراء الضامن عكساً له ، فالعكس لا يأتي إلا في الإبراء من الدين .

(٢) لانقضاء محل العهدة والالتزام بموته .

(٣) يرتفق : أي يتنفع .

(٤) ما بين حاضرتين نقلته من كلام الخطيب لتوضيح المعنى .

(٥) قال ابن المقري في « روضه » ٢/٢٤٢ : ولو ضمن القيمة إن تلفت لم يصح . قال الشارح الشيخ زكريا : لما مر أنه لا يبرم

قيمة العين بتلفها ولعدم ثبوت القيمة .

فصل : في كفالة البدن

ثم أشار الناظم إلى كفالة البدن وتسمى أيضاً: كفالة الوجه وهي - بفتح الكاف - اسم لضمان الإحضار دون المال^(١) فقال :

(وجائز أن يكفل الإنسان من عليه حق آدمي بالبدن)
(فإن يسلم نفسه المكفول للمستحق يبرأ الكفيل)

كفالة البدن صحيحة لإطباق الناس عليها في الأعصار وللحاجة إليها ، واستؤنس لها بقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ﴾ [يوسف : ٦٦] إذا ثبت ذلك فتجوز الكفالة بيد من عليه مال كما قال : (وجائز أن يكفل الإنسان من . عليه حق آدمي) أي : لازم ولو عقوبة ، أو حق مالي لله تعالى (بالبدن) أي : بيد من يستحق حضوره مجلس الحكم عند الاستدعاء بخلاف عقوبة الله تعالى . وإنما تصح كفالة مَنْ ذكر بإذنه ولو بنائيه ولو كان مَنْ ذُكر صبيّاً أو مجنوناً بإذن وليه أو محبوساً وإن تعذر تحصيل الغرض في الحال ، أو ميتاً قبل دفنه ليشهد على صورته إذا تحمل الشاهد عليه كذلك ولم يعرف اسمه ونسبه . وكالبدن الجزء الشائع كئلته ، والجزء الذي لا يعيش بدونه كرأسه ، فإن تكفل بيد من عليه مال شرط لزومه للكفيل ، ثم إن عين محل التسليم في الكفالة فذاك ، وإلا تعين محلها كما في السلم فيهما . ويرأ الكفيل كما أفاده الناظم من زيادته بقوله : (فإن يسلم نفسه) إلى آخره ، فإن غاب لزومه إحضاره إن أمكن بأن عرف محله وأمن الطريق ولا حائل ولو كان في مسافة القصر ، ويمهل في مدة ذهابه وإيابه عادة ، فإن مضت المدة المذكورة ولم يحضره حبس إلى أن يتعذر إحضار المكفول بموت أو غيره أو يوفي الدين ، فإن وقاه ثم حضر المكفول قال الإسني : فالتجّه أن له الاسترداد ، ولا يطالب كفيل بمال ولا عقوبة ، وإن فات التسليم بموت أو غيره لأنه لم يلتزمه ، ولو شرط أنه يغرم المال ولو مع قوله إن فات تسليم المكفول لم تصح الكفالة؛ لأن ذلك بخلاف مقتضاها .

(١) قال الطرزي في « المغرب » : الكفالة : ضم دمة إلى دمة في حق المطالبة . ويقال للمرء كفيل أيضاً ، وتكفيل القاضي أخذه الكفيل من الخصم ، ومنه حديث الأسلمي : أنه كفّل رجلاً في نعمة . وفي « القاموس » : وقد كفّل بالرجل ، ك : ضرب ونصر وكرم وعلم ، كفلاً وكفولاً وكفالة .

باب الشركة

هي - بكسر الشين وإسكان الراء ، وفتح الشين مع كسر الراء وإسكانها - لغة : الاختلاط . وشرعاً : ثبوت الحق في شيء لائنين فأكثر على جهة الشيوخ . والأصل فيها قبل الإجماع خبر السائب بن يزيد : أنه كان شريك النبي ﷺ قبل المبعث ، وافتخر بشركته بعد المبعث^(١) . وخبر : « يقول الله تعالى أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خاناه خرجت من بينهما »^(٢) والمعنى : أنا معهما بالحفظ والإعانة فأمدتهما بالمعونة في أموالهما وأنزل البركة في تجارتها ، فإذا وقعت بينهما الخيانة رفعت البركة والإعانة عنهما . وهي معنى « خرجت من بينهما » .

وهي أربعة أنواع : شركة أبدان بأن يشترك اثنان ليكون بينهما كسبهما ببدنهما . وشركة مفاوضة كأن يشتركا ليكون كسبهما لهما وعليهما ما يعرض من غرم . وشركة وجوه بأن يشتركا ليكون بينهما ربح ما يشتركانه بموَجَل أو حالّ لهما ثم يبيعهما . وشركة عنان - بكسر العين - على المشهور من عن الشيء ظهر ، وهي الصحيحة ، ولهذا اقتصر الناظم عليها دون الثلاثة الباقية فباطلة لأنها شركة في غير مال . كالشركة في احتطاب واصطياد ، ولكثرة الغرر فيها لا سيما شركة المفاوضة . نعم إن نويًا بالمفاوضة - وفيها مالٌ - شركة العنان صحت .

وأركان شركة العنان خمسة : عاقدان ، ومعقود عليه ، وعمل ، وصيغة .

(وعقدها بصيغة في النقد صح) بل كل مثلي كحبّ في الأصح
(مع اتفاق الجنس والصفات في) مالههما والإذن في التصرف
(والخلط للمالين خلطاً يوجب) تعذر التمييز حيث يطلب
(والربح والخسران حيث يحصل) بنسبة المالين فيها يجعل
(ثم الشريك مطلقاً أمين) لكن على المفترض التضمنين)

(١) أخرجه أحمد ٤٢٥/٣ ، وأبو داود (٤٨٣٦) ، وابن ماجه (٢٢٨٧) ، والحاكم ٦١/٢ . وكذا ثبت أن البراء بن عازب وزيد بن أبي الأرقم أنهما كانا شريكين . رواه البخاري (٢٠٦٠) ، وأحمد ٣٧١/٤ .
(٢) رواه أبو داود (٣٣٨٣) ، والحاكم ٥٢/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي . قال ابن المقفّن في « خلاصة البدر المنير » (١٥٩٩) : قال الدارقطني في « علله » إرساله هو الصواب ، وأعله ابن القطان بما بان أنه ليس بعله .

(والعقد فيها جائز لن يلزما فلينفسخ بموت فرد منهما)
(كذلك الجنون والإغماء وفسخه له متى يشاء)

(وعقدها) أي : شركة العنان (بصيغة) وهي ما يدل على الإذن من كل منهما للآخر في التصرف لمن يتصرف منهما أو من أحدهما كما يأتي (في النقد صح) كالدرهم والدنانير ، (بل) صح في (كل مثلي كحب في الأصح) . أما النقد الخالص فبالإجماع . وأما المعشوش ففيه وجهان أحدهما كما في « زوائد الروضة » جوازه إن استمر رواجه . وأما غير النقد من المثلي كالبر والشعير والحديد فعلى الأظهر أنه إذا اختلط بجنسه ارتفع التمييز فأشبهه النقدين .

تنبيه : من المثلي تبر الدراهم والدنانير فتصح الشركة فيه ، ولا يصح عقد الشركة في المتقوم ؛ إذ لا يمكن الخلط في المتقومات لأنها أعيان متميزة ، ولأنه حينئذ قد يتلف مال أحدهما أو ينقص فلا يمكن قسمة الآخر بينهما .

واعلم أن شروط الشركة أربعة على المعتمد . الأول منها : أن يتفق المالان في الجنس والنوع كما قال : (مع اتفاق الجنس والصفات في . مالهما) أي : دون القدر ، إذ لا محذور في القوات فيه لأن الربح والخسران على قدرهما .

والثاني : أن يأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف كما قال : (والإذن في التصرف) لأن المال المشترك لا يجوز لأحد الشريكين أن يتصرف فيه إلا بإذن صاحبه ، ولا يعرف الإذن إلا بصيغة تدل عليه . فإن قال أحدهما للآخر : أئجر ، أو تصرف أئجر في الجميع فيما شاء ، ولا يتصرف القائل إلا في نصيبه ما لم يأذن له الآخر فيتصرف في الجميع أيضاً ، فلو اقتصر كل منهما على : اشتركتنا ؛ لم يكف في الإذن المذكور ، فلم يتصرف كل منهما إلا في نصيبه لاحتمال كون ذلك إخباراً عن حصول الشركة في المال ، ولا يلزم من حصولها جواز التصرف بدليل أن المال الموروث شركة في المال .

(و) الثالث : (الخلط للمالين خلطاً يوجب . تعذر التمييز حيث يطلب) لما مر في امتناع المتقوم ، ولا بد من كون الخلط قبل العقد ، فإن وقع بعده ولو في المجلس لم يكف ؛ إذ لا اشتراك حال العقد ، فبعد العقد بعد ذلك ، ولا يكفي الخلط مع وجود التمييز لنحو اختلاف جنس كدراهم ودنانير ، أو صفة كصحاح ومكسرة ، وحنطة جديدة وحنطة عتيقة أو بيضاء وسوداء ؛ لإمكان التمييز وإن كان فيه عسر .

تنبيهان : أولهما : محل هذا الشرط إذا أخرجنا مالين وعقدا ، فإن اشتركا فيما تصح فيه الشركة أولاً كالمعروض بإرث وشراء وغيرهما وأذن كل منهما للآخر في التجارة صحت الشركة ؛ لأن المعنى المقصود بالخلط حاصل .

ثانيهما : الحيلة في الشركة في العروض المتقومة أن يبيع بعض عرضه ببعض عرض الآخر ، ويأذن كل للآخر في التصرف ؛ لأن المقصود الخلط وهو حاصل ، بل ذلك أبلغ من الخلط لأن ما من جزء هنا إلا وهو مشترك بينهما .

والشرط الرابع : أن يكون الربح والخسران على قدر المالين باعتبار القيمة لا الأجزاء ، تساوى الشريكان في العمل أو تفاوتا فيه ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (والربح والخسران ...) إلى آخر البيت ، لأن ذلك ثمة المالين فكان ذلك على قدرهما ، فإن شرطاً خلافاً كأن شرط التساوي في الربح والخسران مع التفاضل في المالين ، أو التفاضل في الربح والخسران مع التساوي في المالين فسد العقد ؛ لأنه مخالف لوضع الشركة . ولو شرطاً زيادة في الربح للأكثر منهما عملاً بطل الشرط ، كما لو شرطاً التفاوت في الخسران . ويرجع كل منهما على الآخر بأجرة عمله في مال الآخر ، وتنفذ التصرفات منهما لوجود الإذن ، والربح بينهما على قدر المالين ، ويتسلط كل منهما على التصرف إذا وجد الإذن من الطرفين بلا ضرر ، فلا يبيع بنسيئة للغرر ، ولا يغير نقد البلد ، ولا يشتري بغيره ، ولا يسافر بالمال المشترك لما في السفر من الخطر ، فإن سافر ضمن ، فإن باع صح البيع وإن كان ضامناً ، ولا يدفعه لمن يعمل فيه لأنه لم يرض بغير يديه ، فإن فعل ضمن . هذا إن أراد فعله بغير إذن شريكه ، فإن أذن له في شيء مما ذكر جاز . وبشرط في العاقد أهلية وتوكل لأن كلاً منهما وكيل عن الآخر ، فإن كان أحدهما هو المتصرف اشترط فيه أهلية التوكل ، وفي الآخر أهلية التوكيل فقط حتى يجوز كونه أعمى قاله في « المطلب » . وتركه مشاركة الكافر ومن لا يحترز من الربا ونحوه مندوب .

ثم زاد الناظم على أصله قوله : (ثم الشريك مطلقاً أمين) فيقبل قوله في الربح والخسران وفي التلف إن ادعاه بلا سبب ، أو سبب خفي كالسرقة ، فإن ادعاه بظاهر كحريق وجهل طوبى بينة ثم يصدق في التلف به بيمينه ، فإن عرف الحريق دون عمومه يصدق بيمينه أو عمومه يصدق بلا يمين . (لكن على المفرط التضمين) أي : ضمان كما تقدم .

(والعقد فيها) أي : الشركة (جائز) من الجانبين (لن يلزما) فلكل واحد منهما فسخها متى شاء ولو بعد التصرف ، وينعزلان عن التصرف بفسخ كل منهما ، فإن قال أحدهما للآخر عزلتك أو لا تتصرف في نصيبي لم ينعزل العازل فيتصرف في نصيب المعزول . (فلينفسخ) عقدهما

(بموت فرد) أي : واحد (منهما * كذلك الجنون) يفسخ عقدهما به أيضاً (و) كذلك (الإغماء) لأنه عقد جائز من الجانبين . وقوله : (وفسخه له) أي : لعقدهما (متى يشاء) من زيادته ، وقد مرّ الكلام عليه ، وكذلك من زيادته قوله : بل كل مثلي كحجب في الأصح . والألف في قوله : لن يلزما ؛ للإطلاق .

خاتمة : لو قال من في يده المال : هو لي ، وقال الآخر : هو مشترك ، أو قال من في يده المال : هو مشترك ، وقال الآخر : هو لي ؛ صدّق صاحب اليد بيمينه لأنها تدل على الملك . ولو اشترى أحدهما شيئاً وقال : اشتريته للشركة ، أو لنفسه ؛ وكذّبه الآخر صدّق المشتري لأنه أعرف بقصده . ولو قال صاحب اليد : اقتسمنا وصار ما في يدي لي ، وقال الآخر : هو مشترك ؛ صدّق المنكر بيمينه ؛ لأن الأصل عدم القسمة .

باب الوكالة

هي - بفتح الواو وكسرها - لغة : التفويض ، يقال : وكل أمره إلى فلان : فوّضه إليه فاكتمى به . ومنه : توكلت على الله . وشرعاً : استنابة جائز التصرف مثله فيما يقبل النيابة ، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فابعثوا حكماً من أهلهم وحكماً من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] وخير الصحيحين : أنه ﷺ بعث السعاة لأخذ الزكاة^(١) . وقد وكل ﷺ عمرو بن أمية الضمري في نكاح أم حبيبة^(٢) . وقال القاضي حسين : إنها مندوب إليها لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ومن البر والتقوى أن يتوكل عن الغير بالقيام بأشغاله .

وأركانها أربعة : موكل ، ووكيل ، وموكل فيه ، وصيغة .

(يجوز أن يوكل الإنسان في)	(ما كان فيه جائز التصرف)
(بنفسه ثم الوكيل مثله)	(والقول في قبض وصرف قوله)
(بل الوكيل مطلقاً أمين)	(والمال مع تفريطه مضمون)
(فلا يبع إلا بنقده البلدة)	(معجلاً مع قبضه بالقيمة)
(ولا يبع من نفسه وطفله)	(وجاز لابن بالغ وأصله)
(وعقدها فيه الجواز قد فشا)	(فقل : لكل فسخها متى يشا)
(وحيث مات منهما شخص بطل)	(كذا الجنون مبطل إذا حصل)

(١) أخرجه عن أبي حميد الساعدي البخاري (٩٢٥) ، ومسلم (١٨٣٢) .

ورواه عن أبي هريرة البخاري (١٤٦٨) ، ومسلم (٩٨٣) ، وأخرجه عن أبي مسعود أبو داود (٩٤٧) ، وأخرجه من حديث ابن عمر الحاكم ٣٩٩/١ .

(٢) قال ابن الملقن في « خلاصته » (١٦٠٤) ذكره البيهقي في « خلاصته » . وقال ابن حجر في « التلخيص » ٥٧/٣ : بلا إسناد ، واشتهر في السير . وفي الباب : أنه ﷺ دفع ديناراً لعروة البارقي ليشترى به شاة ، فاشترى له شاتين ، وباع إحداهما بدينار فقال : « بارك الله لك في صفقة يمينك » . فكان لو اشترى التراب لربح فيه . أخرجه أحمد ٣٧٥/٤ ، ٣٧٦ ، وأبو داود (٣٣٨٤) ، و (٣٣٨٥) ، والترمذي (١٢٥٨) ، وابن ماجه (٢٤٠٢) . ورواه البخاري ضمن حديث لعروة (٣٦٤٢) وفيه إرسال ، وأنه ﷺ استتاب في ذبح الهدايا رواه البخاري (١٧١٦) ، ومسلم (١٣١٧) ، وأبو داود (١٧٦٩) عن علي رضي الله عنه . وفي قصة ماعز قال : « اذهبوا به فارجموه » رواه البخاري (٦٨١٥) و (٦٨٢٥) ، ومسلم (١٦٩١) .

(ويمنع التوكيل في الإقرار وسائر الأيمان والظهار)
(لكنه بصيغة التوكيل معترف بالحق للتوكيل)

(يجوز أن يوكل الإنسان في . ما كان فيه جائز التصرف * بنفسه) بملك أو ولاية ؛ لأنه إذا لم يقدر على التصرف بنفسه فبنائيه أولى ، وهذا في الغالب ، وإلا فقد استثنى منه مسائل طرداً وعكساً . فمن الطرد : الظاهر بحقه فلا يوكل في كسر الباب وأخذ حقه . ومن العكس : الأعمى فيوكل في تصرفاته وإن لم تصح مباشرته له للضرورة ، وغير ذلك مما هو في المسبوبات . فيصح توكيل الولي في حق محجوره أباً كان أو جدّاً في التزويج والمال ، أو قياً في المال ما لم تجر العادة بمباشرته لثله . وقول الناظم : (ثم الوكيل مثله) أشار به إلى أن الوكيل ، أي : شرط الوكيل صحة مباشرته التصرف المأذون فيه لنفسه ، وإلا فلا يصح توكيله ؛ لأنه إذا لم يقدر على التصرف لنفسه فلغيره أولى . فلا يصح توكيل صبي ومجنون ومغمى عليه ، ولا توكيل امرأة في نكاح ولا مُحَرِّم ليعقده في إحرامه ، وهذا في الغالب أيضاً ، وإلا فقد استثنى من ذلك مسائل . منها : الصبي المأذون له فيتوكل في الإذن في دخول وإيصال هدية ؛ وإن لم تصح مباشرته له بغير إذن . ومنها : المرأة فتوكل في طلاق غيرها . ومنها غير ذلك كما هو في المطولات .

وشرط في الموكل فيه أنه يملكه الموكل حين التوكيل ، فلا يصح التوكيل فيما سيملكه ، وطلاق من سينكحها ؛ لأنه لم يباشر ذلك بنفسه ، فكيف يستتبع غيره ؟ إلا تبعاً ، فيصح التوكيل ببيع ما لا يملكه تبعاً للمملوك كما نُقل عن الشيخ أبي حامد وغيره . ويشترط أن يقبل النيابة في كل عقد كبيع وهبة وكل فسخ كإقاله ، وردّ عيب وقبض وإقباض وخصومة من دعوى وجواب ، وتملك مباح كإحياء موات واصطياد واستيفاء عقوبة ، لا في إقرار فلا يصح التوكيل فيه ، ولا في التقاط^(١) ولا في عبادة كصلاة ، إلا في نسلك من حج أو عمرة ، ودفع نحو زكاة ككفارة ، وذبح نحو أضحية كعقيقة . ولا يصح في شهادة ولا في نحو ظهار ولا في نحو عتيق أرقائي ، لا في نحو كل أموري ككل قليل وكثير . ولا بد ولو من وجه كوكلتك في بيع أمواله وعتق أرقائي ، لا في نحو كل أموري ككل قليل وكثير . ولا بد من لفظ من الموكل يشعر برضاه كوكلتك في كذا ، ولا يشترط قبول الوكيل لفظاً بل معنى وهو عدم الرد ، فلو ردّ فقال : لا أقبل ، أو لا أفعل بطلت . ويصح توقيت الوكالة لا تعليقها . ويصح تعليق التصرف كوكلتك الآن في بيع كذا ، أو لا تبعه حتى يجيء رمضان . (والقول في قبض) لموكله (و) في (صرف) من مال موكله عنه (قوله) أي : الوكيل (بل الوكيل مطلقاً) ولو يجعل

(١) أي : عام ، أما لو قال له : التقط عني هذه فإنه يصح ولذا قال بعضهم :

وإن يوكل في التقاط نخصاً صح وإلا أبطأه نقصاً

(أمين . والمال مع تفريطه مضمون) كسائر الأمانة ، ويصدق بيمينه في دعوى التلف والردّ على الموكل ؛ لأنه ائتمنه ، بخلاف دعوى الردّ على غير الموكل كرسوله . وإذا تعدّى كأن ركب الدابة أو لبس الثوب تعدياً ضمن كسائر الأمانة ولا ينعزل ؛ لأن الوكالة إذن في التصرف ، والأمانة حكم يترتب عليها ، ولا يلزم من ارتفاعه بطلان الإذن . وقوله : (فلا بيع) أي : الوكيل بالوكالة المطلقة ، أي : أو يشتري (إلا بنقد البلدة) أي : بلد البيع لا بلد التوكيل (معجلاً مع قبضه) أي : حالاً ، فلا يبيع بنسيئة (بالقيمة) أي : بثمن المثل إذا لم يجد رغباً بزيادة عليه ، فإن وجده فهو كما لو باع بدونه ، فلا يصح إذا كان بغبن فاحش وهو ما لا يحتمل غالباً ، بخلاف اليسير وهو ما يحتمل غالباً فيغتفر ، فبيع ما يساوي عشرة بتسعة محتمل وبثانية لم يحتمل . أما لو خالف فباع على أحد غير هذه الأنواع وسلم المبيع ضمن بدله لتعديده بتسليمه ببيع فاسد فيسترده إن بقي ، وله بيعه بالإذن السابق ولا يضمن ثمنه ، وإن تلف المبيع غرم الموكل بدله من شاء من الوكيل والمشتري والقرار عليه .

فرع : لو قال لوكيله : بيع بكم شئت ، فله بيعه بغبن فاحش لا بنسيئة ولا بغير نقد البلد . أو : بما شئت ، أو : بما تراه ؛ فله بيعه بغير نقد البلد لا بغبن ولا بنسيئة . أو : بكيف شئت ، فله بيعه بنسيئة لا بغبن ولا بغير نقد البلد . أو : بما عَزَّ وهان ، فله بيعه بعرض وغبن لا بنسيئة ؛ وذلك لأن « كم » للعدد فيشمل القليل والكثير ، و« ما » للجنس فيشمل النقد والعرض ، لكنه في الأخيرة لما قرن بعزَّ وهان شمل عرفاً القليل والكثير أيضاً ، و« كيف » للحال فشمل الحال والمؤجل . (ولا بيع) أي : لا يجوز للوكيل أن يبيع ما وكل فيه (من نفسه و) لا من (طفله) وإن أذن له في ذلك ؛ لأنه منهم في ذلك ، بخلاف ولده الرشيد وأبيه كما أفاده الناظم من زيادته بقوله : (وجاز لابن بالغ وأصله) .

(وعقدها) أي : الوكالة (فيه الجواز قد فشا) بين العلماء (فقل) أيها الفقيه : (لكل) منهما (ففسخها متى يشاء) ولو بعد التصرف ، سواء تعلق به حق ثالث كبيع الموهون أم لا . (وحيث مات منهما شخص بطل) عقدها ، أي : انفسخ حكماً (كذا الجنون) أي : والإغماء (مبطل) لعقدها حكماً (إذا حصل) ، وتنفسخ شرعاً : - بعزل أحدهما بأن يعزل الوكيل نفسه أو يعزله الموكل . - ويتعمده إنكارها بلا غرض له فيه ، بخلاف إنكاره لها نسياناً ، أو لغرض كإخفائها من ظالم وبطورٍ رِقٍّ وحجر كحجر سفيه أو فلس عما لا ينفذ من انصف بها . - وبفسقه فيما فيه العدالة شرط كوكالة النكاح والوصاية . - وبزوال ملك موكل عن محل التصرف أو منفعته كبيع ووقف لزوال الوكالة وإيجار ما وكل في بيعه .

وقوله : (ويمنع التوكيل في الإقرار) أي : مطلقاً (وسائر الأيمان والظهار) كما مرت الإشارة إليه ، فإذا قال لغيره : وكلتك لثقتني لفلان بكذا ، فيقول التوكيل : أقررت عنه بكذا ، أو جعلته مقراً بكذا ؛ لم يصح لأنه إخبار عن حق ، فلا يقبل التوكيل كالشهادة ، لكن الموكل يكون مقراً بالتوكيل على الأصح في « الروضة » لإشعاره بثبوت الحق عليه ، وهذا مراد الناظم بقوله من فوائده المزيدة على أصله : (لكنه بصيغة التوكيل . معترف بالحق للتوكيل) .

تنبه : محل الخلاف فيما إذا قال : وكلتك لتقرّ عني ، كما تقرر . فلو قال : أقرّ عني لفلان بألف له عليّ ، كان إقراراً قطعاً . ولو قال : أقرّ له عليّ بألف دينار ، لم يكن إقراراً قطعاً ، صرح به صاحب « التعجيز »^(١) . وقول الناظم : متى يشأ ؛ بالقصر للوزن .

تسمة : من ادّعى أنه وكيل بقبض ما على زيد لم يجب دفعه إلا ببيّنة لوكانته ؛ لاحتمال إنكار الموكل لها ، ولكن يجوز له دفعه إن صدّقه في دعواه ؛ لأنه محقّ عنده . أو ادّعى أنه محال به أو أنه وارث له أو وصي أو موصي له به وصدّقه وجب دفعه له ؛ لاعترافه بانتقال الملك إليه .

باب الإقرار

هو لغة : الإثبات من : قرّ الشيء ، أي : ثبت . وشرعاً : إخبار الشخص بحق عليه ، فإن كان يحقّ له على غيره فدعوى ، أو لغيره على غيره فشهادة . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ﴾^(١) النساء : ١٣٥ فسرت شهادة المرء على نفسه بالإقرار ، وخبر الصحيحين^(٢) : « أُعْذُ يَأْنِيسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجِعْهَا » وأجمعت الأمة على المؤاخذه به .

وأركانه أربعة : مُقَرَّرٌ^(٣) ، ومُقَرَّرَ له ، ومُقَرَّرَ به ، وصيغة .

(بغير مال صح من مكلف ومطلقاً من مطلق التصرف)
(طوعاً بحق الله والإنسان ولا رجوع بعده في الثاني)
(وجائز إقراره بما جهل ثم البيان واجب إذا سئل)
(في نوعه ولو بغير جنسه فإن أبي فاحكم إذا بحبسه)
(ويقبل التفسير بالحقير وإن جرى الإقرار بالكثير)
(ولفظ الاستثناء بعده قبل ما لم يكن مستغرقاً أو منفصل)
(ويستوي الإقرار في حال المرض وغيره فلا تقدم بالعرض)

يصح الإقرار (بغير مال .. من مكلف) أي : بالغ عاقل ، فلا يصح إقرار من هو دون البلوغ ولو كان مميزاً لرفع القلم عنه ، ولا إقرار مجنون ومغمى عليه^(٤) ، (ومطلقاً) صح الإقرار (من مطلق

(١) وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ثم أقررتهم وأنتم تشهدون ﴾ البقرة : ٨٤ ، وقوله عز من قائل : ﴿ قال أقررتهم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ آل عمران : ٨١ .

(٢) رواه البخاري (٢٣١٤) و (٢٣١٥) ، ومسلم (١٦٩٧) و (١٦٩٨) . من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما .

(٣) لما في حديث أبي ذر مرفوعاً : « قل الحق وإن كان مرأ » رواه ابن حبان (٣٦١) ، والطبراني (١٦٤٨) .

(٤) لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل » - أو يفيق - رواه أحمد ١٠٠/٦ ، وأبو داود (٤٣٩٨) ، وابن ماجه (٢٠٤١) ، والنسائي ١٥٦/٦ .

(١) هذا الكتاب مختصر « الوجيز » لتاج الدين أبي القاسم عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن يونس الموصلي المتوفى

(التصَرَّف) والمعنى : إن كان الإقرار بمال اعتبر فيه الرشد ، فلا يصح إقرار سفيه بدين أو إتلاف أو نحو ذلك قبل الحجر أو بعده . نعم يصح إقراره في الباطن ، فيغرم بعد فلك الحجر إن كان صادقاً فيه . وخرج بالمال إقراره بموجب عقوبة كحدّ وقود وإن عفا عنه على مال لعدم تعلقه بالمال . وشرط المقرّ أيضاً : أن يكون مختاراً كما قال : (طوعاً) فلو أكره على الإقرار كان إقراره باطلاً لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مَطْمَعِنٌ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦] جعل الإكراه مسقطاً لحكم الكفر ، فبالأولى ما عداه . وصورة الإكراه أن يضرب ليقرّ ، فلو ضرب ليصدق في القضية فأقرّ حال الضرب أو بعده لزمه ما أقرّ به لأنه ليس مكرهاً ؛ إذ المكره من أكره على شيء واحد ، وهذا إنما ضرب ليصدق ، ولا ينحصر الصدق في الإقرار^(١) . قال الأذري رحمه الله : والولاية في زماننا يأتيهم من يتهم بسرقة أو قتل أو نحوهما فيضربونه ليقرّ بالحق ، ويراد بذلك الإقرار بما ادّعاه خصمه . والصواب أن هذا إكراه سواء أقرّ في حال ضربه أم بعده . وعلم أنه لو لم يقرّ بذلك لضرب ثانياً . انتهى . قلت : وما قاله متعين خصوصاً في زماننا الذي اشتهر فيه هذا ، كفانا الله تعالى السوء بفضله وكرمه ومحمد وآله آمين .

تنبيه : حاصل ما تقرّر أن صحة الإقرار تفتقر إلى ثلاثة شروط : البلوغ ، والعقل ، والاختيار . فإن كان بمال اعتبر فيه شرط رابع وهو الرشد ، وصح الإقرار (بحق الله) تعالى ، وينقسم إلى قسمين : أحدهما ما يسقط بالشبهة كالزنا وشرب الخمر وقطع السرقة ، واقتصر عليه الناظم تبعاً لأصله . وثانيهما ما لا يسقط بها كالزكاة والكفارة . (و) صح الإقرار بحق (الإنسان) أي : الآدمي كحدّ القذف لشخص (ولا رجوع بعده) أي : الإقرار (في الثاني) أي : حق الآدمي إذا أقرّ به لتعلق حق المقرّ له به ، إلا إذا كذبه المقرّ له . وأما الأول وهو حق الله تعالى الذي يسقط بالشبهة ، فإذا أقرّ به كان له الرجوع فيه ؛ لأن منبأه على الدرء والستر ، ولأنه ﷺ عَرَضَ لما عَرِضَ بالرجوع بقوله : « لعلك قبّلت ، لعلك لمست ، أبك جنون^(٢) » ويستفاد من ذلك أن للقاضي أن يعرّض له بذلك ، ولا يقول له : ارجع ؛ فيكون أمراً بالكذب . وخرج بالإقرار ما لو ثبت بالبيّنة ، فلا يصح رجوعه بما لا يسقط بالشبهة .

تنبيه : شرط المقرّ له كونه معيّناً ، و كونه فيه أهلية استحقاق المقرّ به ، وعدم تكذيبه للمقرّ . ويشترط في الصيغة لفظ صريح أو كناية يشعر بالالتزام كقوله : لزيد عليّ ، أو عندي كذا . وشرط المقرّ به أن لا يكون ملكاً للمقرّ حين يقرّ ، فقوله : داري أو دابتي لعمرو لغو .

(١) بل يكون في عدمه كقوله : ليس عندي مادعيت به .

(٢) لحديث ابن عباس قال : لما أتى ماعز رسول الله ﷺ قال له : « لعلك قبّلت ؟ أو غمزت ؟ أو نظرت ؟ ... » رواه البخاري (٦٨٢٤) في الحدود ، باب هل يقول الإمام للمقرّ : لعلك لمست .

فروع مهمة من « شرح المناهاج » للدميري رحمه الله : لو كتب : لزيد عليّ ألف درهم ، ثم قال للشهود : اشهدوا عليّ بما فيه ؛ فليس بإقرار ، خلافاً لأبي حنيفة لبناء أن الإقرار لا يثبت بالفعل ، بل بالقول ولم يوجد قول . ولو قال : إن شهد عليّ فلان وفلان أو شهدا بكذا فهما صادقان فهو إقرار في الأظهر وإن لم يشهدا ، فلو قال : إن شهدا عليّ بكذا صدقتهما بإقرار أيضاً . أما إذا قال : إن شهدا عليّ فهما عدلان فإنه لا يكون إقراراً بل تركية وتعديلاً . وقد أفتى الشيخ برهان الدين مدرس الفاكهية بدمشق في امرأة أشهدت على نفسها أن هذا الرجل ابن عمها وصدقها أن العصبية ثبتت ويرثها إذا ماتت ، وهي مسألة تعم بها البلوى لا سيما إذا كان المقرّ له به غائباً ، فكثيراً ما يقرّ مريض بأن له وارثاً غائباً إما ابن عم أو إخوة ، فيضع وكيل بيت المال يده على المال مدعياً أن بيت المال لا يندفع بهذه الدعوى . وأفتى الشيخ باندفاع وكيل بيت المال بذلك ، وحفظ هذا المال بمجرد هذا الإقرار حتى يحضر الغائب . قال في « فتاوى » القاضي وشيخه القفال وابن الصلاح : ما يرشد إلى ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقول الناظم : (وجائز إقراره بما جهل) بالبناء للمفعول ، أشار به إلى أنه إذا أقرّ بمجهول كشيء ، وكذا صح إقراره ويرجع إليه في بيانه كما قال : (ثم البيان واجب إذا سئل * في نوعه ولو بغير جنسه) فلو قال : له عليّ شيء أو كذا قبل تفسيره بغير عيادة مريض وسلام ونجس لا يقتضى كخزير سواء كان مالا وإن لم يتموّل كفلس وحية برّ أم لا كقود وحق شفعة وحدّ قذف وزيل ؛ لصدق كل منها بالشيء مع كونه محترماً ، فإن امتنع من البيان حُبس كما قال من زيادته : (فإن أبى فاحكم إذا بحبسه) فإن أقرّ بمال كأن وصّفه بنحو عظيم أو كبير أو كثير قبل تفسيره بما قل من المال وإن لم يتموّل كما أفاده الناظم من زيادته أيضاً بقوله : (ويقبل التفسير بالحقير * وإن جرى الإقرار بالكثير) ويكون وصفه بالعظيم ونحوه من حيث أتم غاصبه وكفر مستحله .

فائدة : قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه وقدس الله روحه : أصل ما أبني عليه الإقرار أن ألزم اليقين ، وأطرح الشك ، ولا أستعمل الغلبة . وقول الناظم : (ولفظ الاستثناء) بالمذ ، وهو هنا ما بنى الشافعي الإقرار عليه إخراج ما لولاه لدخل فيها قبله بالإلا أو نحوها (بعده) أي : الإقرار ، أي : معه بمعنى فيه (قبل) بالبناء للمفعول ؛ لكثرة وروده في القرآن والسنة وكلام العرب (ما لم يكن مستغرقاً أو منفصلاً) بالوقف للوزن ، فيصح الاستثناء^(١) في الوقف وغيره بشروط . أولها : عدم الاستغراق ، فإن استغرق المستثنى للمستثنى منه كعشرة إلا عشرة لم يصح ، وهذا الشرط زاده الناظم . ثانيها : أن يكون متصلاً بحيث يُعدّ مع الإقرار ، أي : أو غيره كلاماً واحداً ، فيضّر الفصل بينهما بكلام أجنبي أو سكوت ، ويغتفر الفصل اليسير بسكتة تنفس أو عي أو تذكر أو

(١) أي : بالإلا أو إحدى أخواتها .

(وجاز أن يبيحه نسلاً ودَرَ) أي : لبنها ، إلى أن النسل والدَر من توابع المعار ، فهي غير مضمونة ؛ لأنه لم يأخذها إلا للانتفاع بها .

فروع : لو أعاره شاة ودفعها له ومملكه درّها ونسلها لم يصح ولم يضمن آخذها الدرّ والنسل ؛ لأنه أخذها بهبة فاسدة ، ويضمن الشاة بحكم الإعارة الفاسدة . ولا تصح الإعارة فيما لا نفع فيه كالحمار الزمن . وقوله : (حيث المعير مالك المنافع) إلى آخر البيت من زيادته ، وأشار به إلى أن شرط المعير أن يكون مالكا لمنفعة المعار وإن لم يكن مالكا للعين ؛ لأن الإعارة إنما تردّ على المنفعة دون العين ، فتصح من مكترٍ لا من مستعير ؛ لأنه غير مالك للمنفعة . وإنما أبيض له الانتفاع ، فلا يملك نقل الإباحة . ويشترط في المعير أيضاً صحة تبرّعه ؛ لأنها تبرّع بإباحة المنفعة ، فلا تصح من صبيّ ومجنون ومكاتب بغير إذن سيده ومحجور سفه وفلس ، ولا بد أن يكون مختاراً ، فلا تصح من مكروه . ويشترط في المستعير تعيين وإطلاق تصرّف . وفي الصيغة لفظ يشعر بالإذن في الانتفاع كأعرتك ، أو أخذه لتنتفع به ، وأعرني مع لفظ الآخر ، أو أفعله ، وإن تأخر أحدهما عن الآخر كما في الإباحة .

وقوله : (وجائز توقيتها إلى أجل) أشار به إلى صحة العارية مطلقة من غير تقييد بزمان ومؤقتة كشره ، فلا يفترق الحال بينهما ، لكن المؤقتة يجوز فيها تكرير المستعير ما استعار له ، فإذا استعار أرضاً لبناء أو غراس جاز له أن يبني أو يغرس المرة بعد الأخرى ما لم تنقضي المدة أو يرجع المعير . وفي المطلق لا يفعل ذلك إلا مرة واحدة ، فإن قلع ما بناه أو غرسه لم يكن له إعادته إلا بإذن جديد ، إلا إن صرح له بالتجديد فيجده مرة بعد أخرى . وقوله : (كذا الرجوع قبل أن يُقضى الأجل) من زيادته ، وأشار به إلى أنه يجوز لكل من المعير والمستعير الرجوع في العارية متى شاء ؛ لأنها عقد جائز من الطرفين ، تنفسخ بما تنفسخ به الوكالة ونحوها من موت أحدهما وغيره .

تنبيه : يستثنى من رجوع المعير ما إذا أعار أرضاً لدفن ميت محترم ، فلا يرجع المعير في موضعه الذي دفن فيه ، ويمتنع أيضاً على المستعير ردّها ، فهي لازمة من جهتهما حتى يندرس أثر المدفون ، إلا عجب الذنب وهو مثل حبة الخردل في طرف العصعص لا يكاد يتحقق بالمشاهدة ؛ محافظة على حرمة الميت . ولهما الرجوع قبل وضعه في القبر لا بعد وضعه وإن لم يُؤار بالتراب ، كما رجحه في « الشرح الصغير » خلافاً للمتولي . ويستثنى أيضاً مسائل آخر تطلب من المبسوطات^(١) .

(١) كشروح « المناهج » كـ « معني المحتاج » و « نهاية المحتاج » و « تحفة المحتاج » وغيرها .

وقوله : (والمستعير ضامن في الحال) أشار به إلى أن العين المستعارة مضمونة على المستعير (إن تلفت بغير الاستعمال) المأذون فيه وإن لم يفرط كتلفها بأفة سماوية ؛ لقوله ﷺ : « على اليد ما أخذت حتى تؤدّيه »^(١) ، ولقوله ﷺ وآله وصحبه : « العارية مضمونة » رواه أبو داود [٣٥٦٥]^(٢) وغيره . وقوله : (ثم الضمان للمعار) إلى آخره ، أشار به إلى أن المعار يُضمن بقيمته يوم تلفه متقوماً كان أو مثلياً وهو ما جرى عليه الأصل كـ « الأنوار » واقتضاه كلام جمع ، لكن قال ابن أبي عصرون : يضمن المثلي بالمثلي ، وجرى عليه السبكي ، وهو الجاري على القواعد ، فهو المعتمد .

تنبيه : مؤن الرد للعارية مضمونة أيضاً^(٣) ، والرد المبرىء من الضمان أن يسلم العين للمالكها أو وكيله في ذلك ، فلو ردّ الدابة للإصطبل أو الثوب أو نحوه للبيت الذي أخذه منه لم يبرأ ، ولو لم يجد المالك فسلمها لزوجته أو ولده فأرسلها إلى المرعى فضاعت فالمالك إن شاء غرم الراد أو المستلم منه والقرار عليه . وقول الناظم : محض ؛ بالتنتين . وأثر ؛ بهمزة مفتوحة فثاء مثناة مفتوحة أيضاً .

خاتمة : لو اختلف المعير والمستعير في ردّ العارية صدّق المعير بيمينه ؛ لأن الأصل عدم الرد .

(١) أخرجه عن سمرة رضي الله عنه أبو داود (٣٥٦١) ، والترمذي (١٢٨٤) ، والنسائي في الكبرى (٥٧٨٣) ، وابن ماجه (٢٤٠٠) ، وقال الترمذي : حسن ، والحاكم ٤٧/٢ وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، أي فحينئذ يضمنها .

(٢) ولفظه : « العارية مؤداة ، والمنحة مردودة ، والدين مقضي ، والزعيم غارم » عن أبي أمامة رضي الله عنه ، ورواه أيضاً الترمذي (١٢٦٥) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه مختصراً (٢٣٩٥) ، والنسائي في « الكبرى » (٥٧٨٢) .

(٣) أي على المستعير من مالك أو نحو مكتر . ومؤنة المعار تلزم المالك لأنها من حقوق الملك .

باب الغصب

هو لغة : أخذ الشيء ظلماً . وشرعاً : الاستيلاء على حق الغير ولو منفعة كإقامة من قعد في مسجد أو سوق أو غير مال كزبل بغير حق . والأصل في تحريره قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩] وأخبار كخير : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم »^(١) ، وخير : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » رواها الشيخان^(٢) .

(كل امرئ فالغصب منه قد صدق)
 (أو عد دون أخذه مستولياً)
 (أو طار طير عند فتحه القفص)
 (وألزموه أجرة الغصب)
 (والمثل في المثلي منه للعدم)
 (من وقت غصبه إلى الانلاف)
 (كل امرئ فالغصب منه قد صدق)
 (أو عد دون أخذه مستولياً)
 (أو طار طير عند فتحه القفص)
 (وألزموه أجرة الغصب)
 (والمثل في المثلي منه للعدم)
 (من وقت غصبه إلى الانلاف)

الغصب يصدق من المرة (.. بأخذ حق غيره بغير حق) كما مر ، ولو ركب دابة لغيره ، أو جلس على فراشه فغاصب ؛ وإن لم ينقل ذلك وأن لم يقصد الاستيلاء . وهذا معنى قوله : (أو عد دون أخذه مستولياً) ولو فتح قفصاً عن طائر وهيجه فطار ضمن ، وإن اقتصر على الفتح فالأظهر أنه إن طار في الحال ضمن ، وإن وقف ثم طار فلا . ولو فتح رأس زق مطروح على الأرض فخرج ما فيه بالفتح أو منصوب فسقط بالفتح وخرج ما فيه ضمن ، وإن سقط بعرض كرج لم يضمن ، وإليه الإشارة بقوله : (أو متلفاً ...) إلى قوله : (فنقص) وما تضمنته الأبيات الثلاثة من زيادة الناظم . والبرق بكسر الزاي وضمتها . (وألزموه) أي : الغاصب مثل (أجرة) مثل (المغصوب) لمدة إقامته في يده ولو لم يستوف المنفعة . (مع والأرض للمعيب) أي : ألزموه برده ولو غرم على

رده أضعاف قيمته^(١) : وأرشد نقص عينه كقطع يده ، أو صفته كنسيان صنعة لا تنقص القيمة . ويضمن مغصوب تلف بالمثل في المثلي كما قال : (والمثل في المثلي منه للعدم) أي : للتلف لأنه أقرب للتلف^(٢) ، سواء تلف بنفسه أو بإتلاف متلف . والمثل : ما حصره كيل أو وزن وجاز السلم فيه كماء وتراب ونحاس وحديد وتبر وسبيكة ومسك وعنبر وكافور وتلج وجبن وقطن ودقيق وحبوب وتمر وزبيب وعنب ورطب ثم محل ضمان المثلي بمثله إذا كان له عند المطالبة به قيمة ، وإلا كأن تلف الماء بمفازة فطولب به عند يَم ، أي : بحر أو شاطئ نهر أو كان بالصيف وطولب به في الشتاء ضمنه بقيمة إن لم يكن له مثل ، بأن كان متقوماً فيلزم الغاصب قيمته أكثر ما كانت من حين الغصب إلى حين التلف ؛ لأنه في زمن الزيادة غاصب ، والعبرة في ذلك بتقد مكان التلف ، وإذا ادعى تلفه وأنكر المالك صدق الغاصب بيمينه على الصحيح كما أشار إليه الناظم بقوله : (وصدقوه) أي : الغاصب (عند الاختلاف) فإذا حلف غرمه المالك على الأصح .

واعلم أن زوائد المغصوب المتصلة كالتسمن والمنفصلة كالولد مضمونة على الغاصب كالأصل^(٣) ، ويضمن متقوماً أتلف بلا غصب بقيمة وقت التلف .

(١) لحديث سيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » رواه أبو داود (٣٥٦١) ، والترمذي (١٢٦٦) والحاكم ٤٧/٢ وصححه .

(٢) قال ابن الصلاح : وإنما ضمن بمثله لآية : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ... ﴾ البقرة : ١٩٤ .

(٣) لحديث رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : « من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء » وله نفقته » رواه أحمد ٤٦٥/٣ ، وأبو داود (٣٤٠٣) ، والترمذي (١٣٧٨) ، وابن ماجه (٢٤٦٦) .

(١) أخرجه من حديث أبي بكر رضي الله عنه البخاري (١٧٤١) ، ومسلم (١٦٧٩) (٣١) وغيرهم .

(٢) البخاري (٣١٩٥) ، ومسلم (١٦١٢) عن عائشة رضي الله عنها قيد شبر : قدر شبر .

باب الشفعة

هي بإسكان الفاء ، وحُكي ضمها . وهي لغة : الضم ، وشرعاً : تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملكه بعوض . والأصل فيها قبل الإجماع خبر البخاري [٢٢٥٧] عن جابر : قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم ، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة^(١) . وفي رواية لمسلم [(١٦٠٨) (١٣٤)] : قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل شركة لم تقسم رُبعةً أو حائط^(٢) . والمعنى فيه : دفع ضرر مؤنة القسمة واستحداث المرافق في الحصة الصائرة إلى الشريك الآخذ بالشفعة كمصعد وتنور وبالوعة . والرُبعة : تأنيث الربع وهو المنزل ، والحائط : البستان . وأركانها أربعة : آخذ ، ومأخوذ ، ومأخوذ منه ، وصيغة .

- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| (إن يشترك شخصان في عقار | كالأرض والبناء والأشجار) |
| (فاجعل لكل بيع تلك الحصة | وللشريك أخذها بالشفعة) |
| (إن صح قسم ذلك العقار | ولا تجوز شفعة للجار) |
| (ويلزم الشفيع ما به اشترى | من مثل أو من قيمة للمشتري) |
| (ومهر مثل إن بين طلاقها | بالشقص أو يجعله صداقها) |
| (وليستمس فوراً فحيث أخرا | مع علمه تفوته أن قصرا) |
| (وأثبتت للجمع باشتراك | ووزعت بنسبة الأملاك) |

أي : و (إن يشترك شخصان في عقار . كالأرض والبناء والأشجار) أي : ما يندرج في بيع العقار ويتبعه فيه كالبناء والأشجار النابتة وثمرة لها غير مؤبرة وأبواب منصوبة (فاجعل) أيها الفقيه (لكل) منهما (بيع تلك الحصة . وللشريك) حينئذ (أخذها بالشفعة) أما ما لا يندرج في بيع العقار كشجر جاف وزرع فلا شفعة فيه . وعلم مما تقرر أنها لا تثبت في منقول وإن بيع من عقار ؛

(١) ورواه أبو داود (٣٥١٤) ، والترمذي (١٣٧٠) أيضاً .

(٢) وتماه : لا يغل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه . فإن شاء أخذ وإن شاء ترك . فإذا باع ولم يؤذنه فهو أحق به . ورواه أحمد ٣١٢/٣ ، وأبو يعلى (٢١٧١) ، وابن حبان (٥١٧٩) أيضاً .

لأنه لا يدوم فلا يدوم ضرر الشركة فيه ، ولا في أشجار بيعت مع مغرسها فقط ، ولا في جدار مع أسفها^(١) فقط ، ولا في بناء في أرض محتكرة ولا مستأجرة أو موقوفة .

تنبيه : العقار — بفتح العين — اسم للأرض والمنزل والضياع كما في « تهذيب » النووي . وللشريك أخذها بالشفعة فيما مر (إن صح قسم ذلك العقار) أي : فيما يقبل القسمة إن طلبها الشريك بأن لا يبطل نفعه المقصود منه لو قسم بأن يكون بحيث ينتفع به بعد القسمة من الوجه الذي كان ينتفع به قبلها كطاحون وحمام كبيرين . أما ما لم ينقسم كطاحون وحمام صغيرين فلا شفعة ، كما لو كان بينهما دار صغيرة لأحدهما عشرها فباع حصته لم تثبت الشفعة للآخر لأنه من القسمة ؛ إذ لا فائدة فيها فلا يجاب طلبها لنفسه ، بخلاف العكس . ولا تثبت الشفعة لغير الشريك ولو جاراً كما قال من زيادته : (ولا تجوز شفعة للجار) أي : ولو ملاصقاً لخبر البخاري المار ، وما ورد فيه^(٢) محمول على الجار الشريك جمعاً بين الأحاديث . ولو قضى بالشفعة للجار لم ينقض حكمه ولو كان القضاء بها لشافعي كما في نظائره من المسائل الاجتهادية ، ولا تثبت لشريك بعد البيع لانتفاء الشركة عند البيع ، وتثبت لذمي على مسلم ومكاتب على سيد كعكسهما ، ولا يملك الشفيع إلا بلفظ كأخذت بالشفعة مع بذل الثمن للمشتري أو رضا المشتري بكونه في ذمته أو قضى القاضي له بالشفعة . ثم أشار الناظم إلى المأخوذ به بقوله : (ويلزم الشفيع ما) أي : الذي (به اشترى . من مثل أو من قيمة للمشتري) والمعنى : يأخذ الشفيع الشقص^(٣) من المشتري بالثمن المعلوم الذي وقع عليه عقد البيع كخلع ونكاح ، كما قال من زيادته : (ومهر مثل إن بين طلاقها) إلى آخر البيت ، فيأخذ في ثمن مثلي كنقد وجب بمثله إن تيسر وإلا فبقيته ، وفي متقوم كعبد وثوب بقيته كما في الغصب ، وتعتبر قيمته يوم العقد من بيع ونكاح وخلع وغيرها ؛ لأنه وقت ثبوت الشفعة ، ولأن ما زاد زاد في ملك المأخوذ منه . أما إذا بيع بمؤجل فالأظهر أنه مخير بين أن يعجل ويأخذ في الحال ، وأن يصبر إلى المحل ويأخذ ، ولا يبطل حقه بالتأخير .

تنبيه : لو اشترى بجزاف نقداً كان أو غيره امتنع الأخذ بالشفعة لتعذر الوقوف على الثمن ، والأخذ بالمجهول غير ممكن ، وهذا من الخيل في إسقاطها ، وصور آخر لا نظيل بها . والشفعة بعد

(١) في « القاموس المحيط » . إلأى ، مُثْلَةٌ : أصل البناء ، كالأساس .

(٢) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « جار الدار أحق بالدار » رواه ابن حبان (٥١٨٢) وصححه . وحديث عمر بن الشريد عن أبي رافع عن النبي ﷺ قال : « الجار أحق بسقيه » رواه البخاري (٦٩٧٧) ، وأبو داود (٣٥١٦) ، والنسائي ٣٢٠/٧ و « الكبرى » (٦٣٠١) . قال ابن حبان في ترجمة الحديث (٥١٨١) : أراد به الجار الذي يكون شريكاً دون الجار الذي لا يكون بشريك .

(٣) هو السهم أو النصيب أو الطائفة من الشيء المشترك فيه . وسيأتي آخر الباب ضبطه .

علم الشفيع بالبيع على الفور كما قال : (وليلتبس فوراً ..) لأنها حق ثبت لدفع الضرر فكان على الفور كالرّد بالغيب ، والمراد بكونها على الفور طلبها وإن تأخر التملك . ويستثنى من الفورية صور منها : لو قال : لم أعلم أن لي بالشفعة حقاً وهو ممن يخفى عليه ذلك . ومنها : ما لو قال العامي : لا أعلم أن الشفعة على الفور ، فإن المذهب هنا وفي الرّد بالغيب قبول قوله . فإذا علم بالبيع مثلاً فليبادر عقب علمه بالشراء على العادة ، ولا يكلف بالتدراك على خلاف العادة بالعدو ونحوه ، بل يرجع فيه العرف ، فما عدّه تقصيراً أو توانياً كان مسقطاً ، وما لا فلا ، (فحيث أخراً) الشفعة (مع علمه) بالبيع مثلاً بأن لم يطلبها مع القدرة عليها بأن لم يكن عذر (تفوته ..) الشفعة بتقصيره . أما إذا لم يعلم فإنه على شفيعته ولو مضى سنون . وخرج بعدم العذر ما إذا كان معذوراً ككونه مريضاً مرضاً يمنع من المطالبة ، أو كان محبوساً ظلماً أو بدين وهو معسر وعاجز عن البينة ، أو غائباً عن بلد المشتري ، فلا تبطل شفيعته بالتأخير . فإن كان العذر يزول عن قرب كالمصلي والآكل وقاضي الحاجة والذي في الحمام كان له التأخير أيضاً إلى زواله .

فروع : لو أخبر الشفيع بالبيع بألف فترك الشفعة فبان بخمس مئة بقي حقه في الشفعة ؛ لأنه لم يتركه زهداً بل للغلاء فليس مقصراً . وإن بان بأكثر مما أخبر به بطل حقه ؛ لأنه إذا لم يرغب فيه بالأقل فبالأكثر أولى . ولو لقي الشفيع المشتري فسلم عليه ، أو قال : بارك الله لك في صفقتك ، أو : بكم اشتريت ؛ لم يبطل حقه ، بخلاف ما لو قال له : اشتريت رخيصاً . ولو اختلفا في قدر القيمة المأخوذ بها الشقص المشفوع صُدّق المأخوذ منه بيمينه ، قاله الروايي . وقول الناظم : (وأثبتت) أي : الشفعة (للجمع باشتراك ...) إلى آخره ، أشار به إلى أنه إن كان الشفعاء جماعة من الشركاء استحقوها على قدر الأملاك لأنه حق مستحق بالملك فقسّط على قدره . مثاله : أرض بين ثلاثة لواحد نصفها ولآخر ثلثها وللآخر سدسها ، فباع الأول حصته أخذ الثاني سهمين والثالث سهماً كما صححه الشيخان وهو المعتمد . وقول الناظم : اشتري ، وأثبتت ، ووُزعت ؛ بالبناء للمفعول . وقوله : من مثله أو من قيمة ؛ بدرج الهمة للوزن .

وقوله : بالشفص — بكسر الشين المعجمة وإسكان القاف — وهو اسم لقطعة من الأرض ولطائفة من الشيء ، كما اتفق عليه أهل اللغة . والألف في قوله : أخرا ، و : قصرا ؛ للإطلاق .

باب القراض

مشتق من القرض وهو القطع ، سمي بذلك لأن المالك قطع للعامل قطعة من ماله يتصرف فيها وقطعة من الربح . ويسمى أيضاً: مضاربة ومقارضة ، وهو أن يدفع لغيره مالاً يتجر فيه والربح مشترك بينهما . والأصل فيه قبل الإجماع الحاجة ، واحتجوا له بقوله تعالى : ﴿ وآخرون يضرّبون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ [الزلزل : ٢٠] وبأنه ﷺ ضارب لخديجة بمالها إلى الشام ، وأنفذت معه عبدها ميسرة^(١) .

وله ستة أركان : مالك ، وعامل ، وعمل ، وربح ، وصيغة ، ومال .

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (يجوز دفع مبلغ لمبتغي | تجارة ببعض ربح المبلغ) |
| (إن كان نقداً خالصاً مختوماً | بسكة معينة معلوماً) |
| (ثاني الشروط إذن رب المال | للعامل المذكور في الأعمال) |
| (مفوضاً له الأمور الواقعة | لم يشترط عليه أن يراجعه) |
| (معمم الأنواع للمكاسب | أو خص نوعاً دائماً في الغالب) |
| (ثالثها تعيين ما للعامل | من حصة كنصف ربح حاصل) |
| (والمال معه مطلقاً أمانه | وبالتعدي أو جباهاً) |
| (ثم القراض جائز لن يلزم | فليفسخ بفسخ فرد منهما) |
| (وإن يؤقت أو يعلق لم يصح | وبغير الخسران مما قد ربح) |

لقراض شروط : أحدها : أن يكون عقده على ما ضرب من الدراهم الفضة الخالصة ومن الدنانير الخالصة كما قال : (إن كان نقداً خالصاً مختوماً . بسكة) ولا بد أن يكون (معيناً) بيد العامل ، وأن يكون (معلوماً) جنساً وقدرًا وصفة ، فقوله : معيناً معلوماً ؛ من فوائده المزیدة على

(١) ذكر الحبر بنحوه ابن هشام في « السيرة النبوية » ١/١٨٨ ، وأخرج البيهقي في « السنن » ٦/١١١ عن حكيم بن حزام صاحب رسول الله ﷺ أنه كان يدفع المال مقارضة إلى الرجل ، ويشترط عليه أن لا يمر به بطن واد ، ولا يتناع به حيواناً ، ولا يحمله في بحر ، فإن فعل شيئاً من ذلك فقد ضمن ذلك المال . قال : فإذا تعدى أمره ضمنه من فعل ذلك .

أصله ، فلا يجوز على الفلوس على المذهب ولا على المغشوش على الصحيح ؛ لأنه إنما جَوَزَ للحاجة ، فاختص بما يروج بكل حال وتسهل التجارة به ، ولا يصح على أحد هذين الألفين ، ولا على مجهول الصفة أو القدر للجهل بالربح، ولو قارضه على ألف وعينه في المجلس جاز كالصرف و — رأس مال — السلم كما جزم به ابن المقرئ^(١) ، فقول الناظم : معيّن ، أي : ولو في المجلس ، وتبع في ذلك غيره .

تنبيه : إنه لو قارضه على أحد هذين الألفين مثلاً ثم عينه في المجلس صح ، وبه صرح ابن المقرئ^(٢) . ويشترط في المالك والعامل ما يشترط في الموكل والوكيل .

(ثاني الشروط : إذن ربّ المال . للعامل المذكور في الأعمال) أي : في التصرف في البيع والشراء حالة كونه (مفوضاً له الأمور الواقعة) و (لم يشترط عليه) المالك (أن يراجعه) وهذا من زيادة الناظم ، وأشار به إلى أنه لا بد أن يستقل العامل بالعمل ليمتكن من العمل متى شاء ، فلا يصح بشرط أن يراجعه لأنه قد لا يجده عند الحاجة ، ولا يصح بشرط كون المال بيد غير العامل كالمالك ليوفي منه ثمن ما اشتراه العامل لذلك ، ولا يصح بشرط عمل غيره معه ، ويشترط أن لا يضيق العمل على العامل كما أشار إليه بقوله : (معمم الأنواع للمكاسب) فلا يصح على شراء برّ يطحنه ويخزّه ، أو غزل ينسجه ويبيعه ؛ لأن الطحن وما معه أعمال لا تسمى تجارة بل أعمال مضبوطة يستأجر عليها ، فلم من ذلك أن العمل لا بد أن يكون تجارة . ولا يصح على شراء متاع معين ؛ لأن المقصود من العقد حصول الربح ، وقد لا يحصل فيما يعينه فيختل . وقول الناظم : (أو خص نوعاً دائماً في الغالب) أشار به إلى أن المالك إما أن يأذن للعامل في التصرف مطلقاً كما تقرر ، أو فيما لا ينقطع وجوده غالباً . أما الإذن فيما يندر وجوده كالياقوت الأحمر والخيل البلق فيضر .

فرع : لا يصح على معاملة شخص معين كقوله : لا تبع إلا لزيد ، أو لا تشتري إلا منه .

(ثالثها) أي : الشروط (تعيين ما للعامل . من حصصة) في صلب العقد ولو قليلة (كنصف) أو ثلث (ربح حاصل) فيشترط أن يكون الربح بينهما معلوماً لهما بالجزئية كالنصف أو الثلث أو الربع ، فلو قال : على أن لك فيه شركة أو نصيباً لم يصح . ويشترط في الصيغة ما مر في البيع كقارضتك أو عاملتك في كذا على أن الربح بيننا ، فيقبل العامل لفظاً .

(١) كذا عبارته كما في « شرح الروض » ٣٨١/٢ ، لكن قال الشارح الشيخ زكريا : وقيل : لا يجوز ، والتصرّح بالترجيح من زيادته ، وبه صرح في « الشرح الصغير » وجزم به ابن الصباغ والرويان وغيرهما انتهى .

(٢) قال ابن المقرئ ما نصه : ولو أعطاه ألفين وقارضه على أحدهما لم يصح . قال الشارح : لعدم التعيين .

ويتصرف العامل بالمصلحة لا بغبن ونسيئة بلا إذن ، وعليه فعل ما يعتاد فعله كطّي ثوب ، ولا يسافر بالمال بلا إذن لما فيه من الخطر ، فإن أذن له جاز ، لكن لا يجوز في البحر إلا بنص عليه ، ولا يموت منه نفسه حضراً ولا سفراً ، (والمال مئة مطلقاً أمانة) فلا يضمن بتلف المال أو بعضه ، (وبالتعدي أو جبراً) أي : العلماء (ضمانة) لتفريطه كما لو سافر في بحر بغير إذن كما مر ، ويقبل قوله في التلف إذا أطلق ، فإن أسنده إلى سبب فعل التفصيل الآتي في الوديعة إن شاء الله تعالى ، ويقبل قوله في دعوى الردّ في الأصح ، وفي أن الشراء له لا للقراض على المشهور ، ويملك حصته من الربح بقسمة لا بظهور .

(ثم القراض جائز لن يلزما . فلينفسخ بنفسه فرد) أي : واحدٍ (منهما) ولو مات أو جُنّ أو أغمي عليه أو حجر عليه بسفه انفسخ . (و) قوله : (إن يؤت أو يعلق لم يصح) أشار به إلى أن من الشروط أن لا يقدر العمل بمدة كقارضتك على أن لا تتصرف ، أو لا تبع بعد عام ؛ لإخلال ذلك بمقصود الإقرار ، فقد لا يجد رغباً في العام ونحوه ، وأن لا يعلق القراض فإن علقه بطل كالبيع . وقوله : (ويجبر الخسران بما قد ربح) أشار به إلى أنه إذا حصل فيما بيده من المال ربح وخسران بعد جبر الخسران بالربح لاقتضاء العرف ذلك ، وكذا لو تلف بعضه بأفة سماوية بعد تصرف العامل ببيع أو شراء قياساً على ما مر ، فإن تلف قبل تصرفه فمن رأس المال في الأصح . وقوله : معه ؛ يسكون العين . والألف في قوله : لن يلزما ؛ للإطلاق . ويصح بناء قوله : ويجبر الخسران ؛ للفاعل والمفعول .

مهمة : قال إمامنا الشافعي قدس الله روحه : لا ضمان على الوكلاء ولا على الأوصياء ولا على المودعين ولا على المقارضين ، إلا أن يقصروا فيضمنوا .

وحاصل ذلك أن الأيدي ثلاثة : يد أمانة ، ويد ضمان ، ويد اختلاف قول الشافعي فيها .

أما الأولى : فهي يد الحاكم ، وأمينه ، والوصيّ ، والمرتهن ، والوكيل ، والمودع ، والمقارض ، والشريك ، والمساقى ، والمستأجر ؛ لأنهم يسكون العين لمنفعة مالكها . وبالناس إلى ذلك حاجة ، فلو قلنا : إن عليهم الضمان ، لامتنع الناس من قبول ذلك .

وأما الثانية : فيد المستعير ، والغاصب ، والحمامي^(١) ، وأخذ الشيء ببيع فاسد .

وأما الثالثة : فيد الأجير المشترك .

(١) ويقصد به من يؤتمن على المال والثياب حيث كانت حمامات الأسواق ، وكذا نحوها .

باب المساقاة

هي مأخوذة من السَّقْي — بفتح السين ، وسكون القاف — المحتاج إليه فيها غالباً ، لا سيما في الحجاز فإنهم يسقون من الأيبار لأنه أنفع أعمالها . وحقيقتها أن يعامل غيره على نخل أو شجر عنب ليتعهده بالسقي والتربة على أن الثمرة لهما . والأصل فيه قبل الإجماع خبر الصحيحين : أنه ﷺ عامل أهل خيبر^(١) . وفي رواية : أنه دفع إلى يهود خيبر نخلها وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله ﷺ شطر ثمرها^(٢) . والمعنى فيها : أن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها أو لا يفرغ له ، ومن يحسن ويتفرغ قد لا يملك الأشجار ، فيحتاج ذلك إلى الاستعمال وهذا يحتاج إلى العمل . ولو اكرى المالك لزمته الأجرة في الحال ، وقد لا يحصل له شيء من الثمار ويتهاون العامل ، فدعت الحاجة إلى تجويزها .

وأركانها خمسة : عاقد ، وصيغة ، وشجرة ، وثمره ، وعمل . فشرط العاقد ما مر في القراض . وأما الصيغة فنحو قول المالك : ساقيتك بكذا على النخل والعنب . وأما الشجرة والثمره فسيأتي بيانها .

(هي اكتراء عامل يسقي الشجر ونحوه بمحصة من الثمر)
(في النخل ثم الكرم مطلقاً تقع لا في سوى النوعين إلا بالتبع)
(وشرطها تقديرها بمدة وعلم كل قَدَر تلك الحصّة)
(ومما من الأعمال عاد للثمر فلازم للعامل الذي استقر)
(وإن يعد للأرض كالمسالك في حفرها فلازم للمالك)
(وعقدها من جانبيه قد لزم فلا يصح فسخه لمن ندم)
(وسائر الأعمال فيها جاريه كما اقتضاه عرف تلك الناحية)

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٨) و (٢٢٨٥) وفروعه ، ومسلم (١٥٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم (١٥٥١) (٥) . معنى قوله على أن يعتملوها من أموالهم : بيان لوظيفة عامل المساقاة وهو أن عليه كل ما يحتاج إليه من إصلاح الثمر واستزادته مما يتكرر كل سنة ، كالسقي ، وتقيّة الأنهار ، وإصلاح منابت الشجر ، وتلقيحه ، وتحيّة الحشيش ، والقضبان عنه ، وحفظ الثمرة وجذاذها ونحو ذلك .

اعلم أن المساقاة جائزة للحاجة إليها كما تقدم و (هي اكتراء عامل يسقي الشجر . ونحوه بمحصة من الثمر) كما مر أيضاً ، فلا يصح عقدها إلا في شجر النخل والكرم . أما النخل فللخير السابق ، ويشترط فيه أن يكون مغروساً — معيناً مرثياً بيد عامل — [وإن] لم يَبْدُ صلاحه ، ومثله العنب لأنه في معنى النخل بجامع وجوب الزكاة . ولا تصح المساقاة على غير نخل وعنب استقلالاً كتين وتفايح ومشمش وبطيخ ؛ لأنه ينمو من غير تعهد ، بخلاف النخل والعنب ، وإلى ذلك أشار بقوله من زيادته : (لا في سوى النوعين إلا بالتبع) فإن ساق عليها تبعاً للنخل أو العنب فالأصح في « الروضة » الصحة^(١) .

تنبيه : تسمية العنب بالكرم ورد النبي عنها ، ففي الخبر : « لا تسموا العنب كرمًا ، إنما الكرم الرجل المسلم » رواه مسلم [(٢٢٤٧) (٨)] . وثمرات النخيل والأعناب أفضل الثمار ، وشجرها أفضل الشجر باتفاق . واختلفوا أيهما أفضل ، والراجح أن النخل أفضل لورود : « أكرموا عماتكم النخل المطعمات في المحل ، وأنها خلقت من طينة آدم »^(٢) والنخل مقدم على العنب في جميع القرآن^(٣) ، وشبه النبي ﷺ النخلة بالمؤمن^(٤) ، فإنها تموت بقطع رأسها ، وينتفع بجميع أجزائها . وشبه النبي ﷺ عين الدجال بحية العنب^(٥) ولأنها أصل الحمر وهي أم الحياث ، والنخلة هي الشجرة الطيبة المذكورة في القرآن^(٦) ، وليس في الشجر شجر فيه ذكر وأنثى وتحتاج أنثى فيه إلى الذكر سواء^(٧)

فوائد تتعلق بالنخل أحببت إثباتها في هذا المحل : إكرام النخل المأمور به أن يقطفها ويقلمها من الجريد والكرفان والسعف والليف الزائد من غير إجحاف في ذلك ، وتذكيرها بالطلع ، وسقيها عند الحاجة إلى ذلك ، وقطع ثمرتها برفق ، وأن لا يرجعها بحجر ولا غيره ، ولا يبول تحتها

(١) قال العلامة الشيخ حسن — أجزل الله ثوابه ونور مرقدته — في تعليقه ص ١١٦ : لكن المذهب القديم يجوز المساقات في كل الأشجار ، وبه قال مالك وأحمد ، واختاره جمع من أصحابنا كذا في « فتح المعين » .

(٢) حديث لا يصح ؛ أخرجه من طريق مسرور بن سعيد التيمي عن الأوزاعي عن عروة بن روم عن علي مرفوعاً — العنقيلي في « الضعفاء » ٢٥٦/٤ ، وابن حبان في « المجروحين » ٤٤/٣ ، وابن عدي في « الكامل » ٢٤٢٤/٧ وكلهم قالوا : يروي عن الأوزاعي المتأخر ، وذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » .

(٣) وذكرت النخلة عشرين مرة ، وتقدم ذكرها على العنب في سورة البقرة : ٢٦٦ ، وسورة الأنعام : ٩٩ ، وسورة النحل : ١١ و ٦٧ ، وسورة الإسراء : ١٧ ، وسورة المؤمنون : ١٩ ، وسورة يس : ٣٤ .

(٤) أخرجه عن ابن عمر أحمد ٣١/٢ ، والبخاري (٦١٢٢) ، ومسلم (٢٨١١) ، والترمذي (٢٨٦٧) وغيرهم بلفظ : « إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم ، لا يسقط ورقها ، أخبروني ما هي ؟ . ثم قال : « هي النخلة » .

(٥) كما في حديث ابن عمر عند البخاري (٣٤٤١) ولفظه : « أعور عينه النبي كأن عينه عنبه طافية » .

(٦) لقوله تبارك وتعالى ذكره : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

(٧) وفي هذا الكلام نظر .

ولا يستجر في أصلها ، ولا تقطع إلا عند الضرورة إلى ذلك ، فإن حصل الضرر بها بأن مالت إلى ملئ أو جدار أو شارع مطروق وخشي سقوطها على شيء من ذلك أو رأى الإمام في قطعها مصلحة . وأول من غرس النخل أنوش بن شيث عليهما السلام . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يا عائشة إذا جاء الرطب فهشيني »^(١) ، وفي « صحيح » مسلم [٢٠٤٦] عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » وفي « مسلم » [٢٠٤٧] أيضاً من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي » . وفي مسلم [(٢٤٠٧) (١٥٥)] من حديث سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تصبّع بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر »^(٢) . وليس من الثمار شيء تجب فيه الزكاة إلا التمر والعنب كما مر في بابها . ولا تصح المساقاة على غيرهما من سائر الثمار إلا بالتبعية كما علم مما مر أيضاً . وذكر صاحب « العمد » أنه لو حفر نهر أو غرس شجراً أو وقف مصحفاً في حياته أو فعله عنه غيره بعد مماته كان له ثواب ذلك بعد الموت ، ذكره صاحب « الروضة » في باب الوصايا .

(وشروطها) أي : المساقاة (تقديرها بمدة) معلومة يثمر الشجر فيها غالباً كسنة أو أكثر كالإجارة ، فلو قدرت بمدة لا يثمر الشجر فيها غالباً لم تصح . وقوله : (وعلم كل قدر تلك الحصة) أشار به إلى الشرط الثاني وهو أن يعين المالك للعامل جزءاً معلوماً في الثمرة التي وقع عليها العقد كالقراض [فلو شرط بعض الثمرة لغيرهما أو كله لأحدهما أو جزءاً منها للعامل ، أ^(٣)] والمالك غير معلوم فسدت . ويشترط أن لا يشترط على العامل ما ليس من جنس أعماله ، وأن يفرد بالعمل واليد في الحديقة^(٤) . وقوله : (وما من الأعمال) إلى آخر البيتين ، أشار به إلى أن العمل فيها على قسمين : — عمل يعود نفعه إلى الثمرة لزيادتها أو صلاحها ، أو يتكرر كل سنة كسقي وتنقية مجرى الماء من طين ونحوه ، وإصلاح أجاجين — ما حول المغارس — يقف فيها الماء حول الشجر ، وتلقيح النخل ، وتنحية الحشيش ، وقضبان مضرّة للشجر ، وتعريش للعنب جرت به العادة ، فهو كله

(١) حديث ضعيف فيه حسان بن سيّاه ، وأخرجه أبو نعيم في « تاريخ أحيان » ١٩١/٢ ، والخطيب ١٠٧/٥ ، والبيهقي (٢٨٨٠) في « الزوائد » ، وابن عدي في « الكامل » ٧٨٠/٢ ، وذكره في « تنزيه الشريعة » ٢٥٥/٢ ، والبيهقي في « المجموع » ٣٩/٥ .
(٢) وفي « مستدرک » الحاكم ٢٠٤/٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير تمراتكم البرني يخرج الداء ، ولا داء فيه » .

(٣) هذه الإضافة من كتاب المؤلف « مواهب الصمد » ص : ١٠١ .

(٤) في النسخ : الطريقة ، والتصويب من « مواهب الصمد » .

على العامل دون المالك لاقتضاء العرف ذلك في المساقاة ، وإنما اعتبر فيها التكرار كل سنة لأن ما لا يتكرر يبقى أثره بعد فراغ المساقاة ، وفي تكليف العامل مثل هذا إجحاف . و [أما] عمل يعود نفعه إلى الأرض من غير أن يتكرر كل سنة يقصد به حفظ الأصول ، كبناء حيطان البستان ، وحفر نهريه ، ونصب الأبواب ، والدولاب ، ونحو ذلك ، وآلات العمل كالنفّاس والمعول والمنجل ، والطلع الذي يلقح به النخل ، والبيهمة التي تدور الدولاب ، فهو كله على المالك لاقتضاء العرف ذلك .

(وعقدها) أي : المساقاة (من جانبيه قد لزم) أي : لازم من الجانبين كالإجارة (فلا يصح فسخه لمن ندم) وهذا من زيادته^(١) . وقول الناظم : (وسائر الأعمال فيها) أي : المساقاة « جاريّة » . كما اقتضاه عرف تلك الناحية (فإن لم يكن لها عرف أو كان ولم يعرفه ؛ اشترط تفصيل الأعمال .

فصل : في المزراعة والمخابرة^(٢)

(ولم يجز للمرء دفع أرضه لمن يريد زرعها ببعضه)
(كذلك أيضاً لم يجز أن يدفع أرضاً وبذراً لا مرئى ليزرعها)
(بحصة معلومة مما زرع أو أجرة من غيره لم يمتنع)

أشار بذلك إلى حكم المخابرة والمزراعة ، ففي الصحيحين عن جابر : نبى رسول الله ﷺ عن المخابرة^(٣) . وفي « صحيح » مسلم [١٥٤٩] عن ثابت بن الضحاك : أنه ﷺ نبى عن المزراعة ، إذا تقرر ذلك فلا تصح المخابرة ، وهي إجارة الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل ، ولا المزراعة ، وهي : إجارة الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر من المالك . ومتى أفردت الأرض مخابرة أو مزراعة : فإن كان البذر للعامل فالغلة له وعليه المالك الأرض أجرة مثلها ، أو لهما فالغلة لهما وعلى كل أجرة مثل عمل الأجير في حصته . أما إذا وقع ما ذكر بأجرة من غير ما زرع بأن أكره الأرض للمزراعة بذهب أو فضة أو بغيرهما فإنه لم يمتنع على المذهب المنصوص ، بل نقل بعضهم فيه الإجماع . ولو كان بين الشجر أرض خالية من الزرع صحت المزراعة عليها مع المساقاة على الشجر ، وعلى هذا يحمل ما روي أنه عليه الصلاة والسلام ساقى أهل خيبر على نصف الثمر

(١) فائدة : عامل المساقاة أمين باتفاق الأصحاب .

(٢) هذا الفصل أضافه شيخنا في تعليقه رحمه الله تعالى .

(٣) رواه البخاري (٢٣٨١) ، ومسلم (١٥٣٦) .

والزراع^(١). بشرط أن يكون عامل المزارة هو عامل المساقاة ، ولعسر إفراد الشجر بالسقي والبياض بالمزارة جمعهما في عقد واحد ، وتقدم المساقاة .

ولنختم الباب بمسألة من الفتاوى : إذا وصل غصن شجرته بشجرة غيره فاتصل الغصن بالشجرة فأثر الغصن فالثمر للمالك أم لمالك الشجرة ؟ أجاب أن الثمرة بينهما منصفة ، لأنه حصل من ملكيهما كما لو كانت بينهما مساقاة ، وكشجرة نبتت بنفسها بعض أصلها في ملك شخص والبعض الآخر في ملك آخر فإنها تكون بينهما .

باب الإجارة

بكسر الهمزة ، وحكي ضمها وفتحها . وهي لغة : اسم للأجرة . وشرعاً : عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة بعوض معلوم . والأصل فيها قبل الإجماع^(١) خير البخاري [٢٢٦٤] : أنه ﷺ استأجر رجلاً من بني الدليل [هادياً خريئاً — ماهراً — وهو على دين قريش فدفعا إليه راحليتهما ...] . وخبر مسلم [(١٥٤٩) (١١٩)] عن ثابت : أنه ﷺ نهى عن المزارة وأمر بالمؤاجرة . والمعنى فيها أن الحاجة داعية إليها ، إذ ليس لكل أحد مركوب ومسكن وخادم ، فجوّزت لذلك كما جوّز بيع الأعيان .

وأركانها أربعة : صيغة ، وأجرة ، ومنفعة ، وعاقدان .

- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| (وكل شيء صححت إعارته | فيما مضى صحت هنا إجارته) |
| (وقدرت إما بوقت أو عمل | كالدار شهراً أو بنا هذا المحل) |
| (بأجرة قد عجلت أو أجلت | وحيثما إن أطلقت تعجلت) |
| (والعقد فيها باللزم قد وصف | ولينفسخ في مؤجر إذا تلف) |
| (لكن يخص الفسخ بالمستقبل | وحيث مات عاقد لم تبطل) |
| (ولا ضمان يلزم المستأجر | ما لم يكن في حفظه مقصراً) |

أي : (وكل شيء صححت إعارته . فيما مضى) في بابها ، أي : كل ما أمكن الانتفاع به منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة ، بعوض معلوم مع بقاء عينه (صحت هنا إجارته) بصيغة ، كأجرتك هذا الثوب ، فيقول المستأجر : قبلت الإجارة ، أو : استأجرت ، فخرج بمنفعة العين ، وبمقصودة النافهة كاستئجار تبياع على كلمة لا يتعب بها ، وبمعلومة القراض والجعالة على عمل مجهول ، وبقابلية لما ذكر منفعة البضع فإن العقد عليها لا يسمى إجارة ، وبعوض هبة المنافع والوصية بها ، وبمعلوم المساقاة والجعالة على عمل معلوم بعوض مجهول ، وببقاء عينه ما يذهب عنه

(١) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنتِ إِجَارَتُهُمْ أَوْ إِجَارَتُهُمْ أَوْ إِجَارَتُهُمْ أَوْ إِجَارَتُهُمْ ﴾ [القصص : ٢٥] ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] .

(١) انظر الحديث : عامل أهل خير . أول الباب .

في الاستعمال كالشمع للسراج ، فلا تصح الإجارة في هذه الصور . (وقد ردت إما بوقت أو عمل . كالدار شهراً أو بنا هذا المحل) أشار به إلى أنه إنما يصح إجارة ما أمكن الانتفاع به مع بقاء ما مر إن قدرت منفعة في العقد إما بوقت في المنفعة المجهولة القدر كالسكنى والرضاع وسقي الأرض ونحو ذلك ، وإما بعمل في المنفعة المعلومة القدر كبناء هذا المحل وخياطة الثوب والركوب إلى مكان ، فتعين العمل فيها طريق إلى معرفتها . وبقي قسم ثالث وهو تقديرها بهما معاً كقوله في استئجار عين : استأجرتك لتعمل لي كذا شهراً ، أما لو جمع بين الزمن ومحل العمل كاتريتك لتخطيط لي هذا الثوب النهار لم يصح ؛ لأن العمل قد يتقدم وقد يتأخر . ويشترط في العاقدين ما شرط في المتبايعين .

تنبيه : الإجارة نوعان : واردة على العين كإجارة عقار ودابة وشخص معينين . وعلى الدمة كاستئجار دابة موصوفة ، وأن يلزم ذمته خياطة جبة أو بناء^(١) .

فرع : لو اكتراه لعمل مدة فزمن الطهارة مستثنى ولا ينقص شيئاً من الأجرة ، وكذا سبوت اليهود إن اعتيدت ، فلو صلى ثم قال : كنت صليت بلا وضوء ، قال القفال : لا يمنعه من الإعادة ، لكن يسقط من الأجرة بقدر الصلاة الثانية ، ويمتنع من الثالثة لأنه تمتعت . ويشترط في الأجرة ما شرط في الثمن من كونه معلوماً جنساً وقدرًا وصفة ، إلا أن تكون معينة فتكفي رؤيتها ، فلا يصح في إجارة الدمة تسليم الأجرة في الدمة . ثم إن عين للتسليم مكاناً معين ، وإلا فموضع العقد . وقوله : (بأجرة قد عجلت أو أجلت) أشار به إلى أن الإجارة تجوز بالحلول ، والتأجيل في إجارة العين إذا كانت في الدمة كالثمن في البيع كما مر ، (وحيثما إن أطلقت) الإجارة بأن لم تقيد بتأجيل ولا تعجيل (تعجلت) كالثمن . ويملك المؤجر الأجرة بنفس العقد سواء كانت في الدمة أم معينة . (والعقد فيها) أي : الإجارة (باللزوم قد وصف . ولينفسخ) العقد (في مؤجر) بفتح الجيم (إذا تلف * لكن ينحصر الفسخ بالمستقبل) والمعنى : وتنفسخ الإجارة في المستقبل بتلف العين المستأجرة ، كانهدام كل الدار لزوال الاسم وفوات المنفعة ، وقوله : (وحيث مات عاقد لم تبطل)

(١) وإتماماً للفائدة وضعت هذه النصوص لبيان بعض صور أحكام الإيجار فمن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من استأجر أجيراً فليعلم أجره » أخرجه البيهقي ١٢٠/٦ . - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام أجره . رواه البخاري (٢٢٧٨) . - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » رواه ابن ماجه (٢٤٤٣) بسند ضعيف . - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » رواه البخاري (٢٢٢٧) و (٢٢٧٠) ، وابن ماجه (٢٤٤٢) . - وعن أبي هريرة قال : نهى النبي ﷺ عن كسب الإمام . رواه البخاري (٢٢٨٣) .

أفاد به أن الإجارة لا تبطل بموت أحد المتعاقدين ولا بموتهما سواء كانت واردة على العين أم على الدمة ، بل تبقى إلى انقضاء المدة لما مر من أنها عقد لازم فلا تنفسخ بالموت كالبيع ، ويخلف المستأجر وراثته في استيفاء المنفعة . (ولا ضمان يلزم المستأجراً) ولو بعد مدة الإجارة لأنه أمين (ما لم يكن في حفظه مقصراً) فيضمن حينئذ ، كأن ضرب الدابة أو كبها^(١) باللجام فوق العادة ، أو أركبها أثقل منه أو نام ليلاً في الثوب، أو أسكن الدار أضرمته^(٢) كالقصار والحداد .

تنبيه : محافظ الحمام أمين على ثياب من دخله ونحوها ، ولا يلزمه الحفاظ إلا باستحفاظ الداخل له ، وما يأخذه هو في مقابلة الحفاظ والإزار والسلط والحمام . وأما الماء فغير مضبوط فلا يقابل بعوض . وقول الناظم : صُحِّحت ، وقُدِّرَت ، وعُجِّلَت ، وأُجِّلَت ، وأُطْلِقَت ، ويُخَصَّ ؛ بالبناء للمفعول . وقوله وحيثما إن ؛ بزيادة إن .

تنبيه آخر : يصح عقد الإجارة مدة تبقى فيها العين غالباً ، فلا يؤجر العبد والدار أكثر من ثلاثين سنة ، والدابة عشرًا ، والثوب ستين أو سنة على ما يليق ، والأرض مئة سنة فأكثر .

خاتمة : لا أجرة لعمل كحلق رأس وخياطة ثوب بلا شرط أجرة وإن عرف ذلك العمل ؛ لعدم التزام الأجرة مع صرف العامل منفعته . هذا إن كان حرّاً مطلق التصرف ، أما لو كان عبداً أو محجوراً عليه بسفه أو نحوه فلا ، وهذا بخلاف داخل الحمام بلا إذن لأنه استوفى منفعة الحمام بسكونه فيه .

(١) كبها باللجام : جذب رأسها إليه وهو راكب عليها لتقف .

(٢) أي أكثر ضرراً منه .

باب الجعالة

هي — بتثليث الجيم كما قاله ابن مالك — لغة : اسم لما يجعل للإنسان على فعل شيء . وشرعاً : التزام عوض معلوم على عمل معين معلوم أو مجهول عسر عمله كردّ الضالّ والآبق . والأصل فيها قبل الإجماع خبر الذي رقاها الصحابي بالفاتحة على قطع من الغنم كما في الصحيحين^(١) عن أبي سعيد الخدري . وهو الراقي كما رواه الحاكم^(٢) [٥٥٩/١] . والقطع ثلاثون رأساً من الغنم . والحاجة قد تدعو إليها فجوزت كالإجارة ، ويستأنس لها بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ يوسف : ٦٥ وكان معلوماً عندهم كالوسق . وعلم أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا على الصحيح وإن ورد في شرعنا ما يقرره . ولذا قلت : ويستأنس ، ولم أقل : ويستدل .

وأركان الجعالة أربعة : عمل ، وجعل ، وصيغة ، وعاقدة .

(هي التزام من يضلّ عبده بدفع مال للذي يردّه)
(فكل شخص رده تعيناً تسليمه الجعل الذي قدعينا)

(هي) أي : الجعالة (التزام من يضلّ عبده . بدفع مال للذي يردّه) فلا بد أن يكون الجاعل مطلق التصرف بأن يكون بالغاً عاقلاً غير محجور عليه ، وأن يكون العامل أهلاً للعمل ، ولا بد من الصيغة من الجاعل وهي كل لفظ دلّ على الإذن ، والعمل بعوض معلوم سواء كان الإذن عاماً أم خاصاً كقوله : من ردّ أبقي أو أبقي^(٣) زيد مثلاً فله درهم . ولا يشترط القبول لفظاً وإن كان العامل معيناً ، فلو ردّ أبقياً أو ضالاً بغير إذن مالكة أو بإذن بلا التزام فلا شيء له . وأما العمل^(٤) : فهو كلّ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٧) ، ومسلم (٢٢٠١) ، وأبو داود (٣٤١٨) . رقاها : طيه بأن يقرأ على المريض بعض الآيات ليشفي .

(٢) ولفظ الحاكم : فقلت أنا راق ، قال : فارق صاحبنا . ورواه عبد بن حميد في « مسنده » (٨٦٦) وفيه : فانطلقت معهم فجعلت أقرأ فاتحة الكتاب وأمسح للمكان الذي لدغ حتى برأ فأعطونا . ولحديث علاقة بن صحر أنه أتى النبي ﷺ ثم أقبل راجعاً من عنده ، فمر على قوم عندهم رجل موثق بالحديد ، فقال أهله : إنه قد حدثنا أن ملككم هذا قد جاء بخير ، فهل عندك شيء ترقيه ؟ فرقته بفاتحة الكتاب فبرأ ، فأعطوني مئة شاة ، فأثبت النبي ﷺ فقال : « خلها ، فلعمرى لمن أكل برقية باطل فقد أكلته برقية حق » رواه ابن حبان (١١٢٩) بإسناد حسن في « الموارد » .

(٣) قال في « القاموس » : أبقي العبد ، كسمع وضرب ومنع أثقاً وإباقاً ككتاب : ذهب بلا خوف ، أو استخفى ثم ذهب .

(٤) أي الذي يستحق الجعل أو الأجر .

أمر فيه كلفة أو مؤنة كردّ أبقي أو ضالة أو حج أو خياطة . فلو قال : من ردّ مالي فله كذا ، فردّه من هو في يده استحقه ، أو : من دلني عليه فله كذا ، فدلّه من هو في يده لم يستحق أو غيرُهُ استحق ، ولا بد أن يكون الجعل معلوماً . فلو قال : من ردّ عبدي فله ثوب أو أرضيه ، فسدت واستحق أجره المثل . وقوله : (فكل شخص رده تعيناً) إلى آخره ، أشار به إلى أنه إذا ردّ الضالة أو ردّ غيرها من المال المعقود عليه أو فرغ من عمل الخياطة مثلاً استحق العامل حينئذ على الجاعل ذلك العوض المشروط له في مقابلة عمله .

فرع : لو قال : من ردّ عبدي من بلد كذا فله دينار ، فردّه من نصف الطريق استحق نصف الدينار ، أو من ثلثه فثلثه وهكذا ، أو من أبعد منه فلا شيء للزيادة . والجعالة جائزة من الجانبين فلكل من المالك والعامل فسخها قبل تمام العمل ، فإن فسخ المالك بعد الشروع في العمل فعليه أجره المثل لما عمله العامل ، وإن فسخ العامل قبل تمامه فلا شيء له ، إلا أن يكون بسبب زيادة الملتزم في العمل . وعلم من قول الناظم : فكل شخص رده . أن من لم يتم العمل لا يستحق شيئاً كأن ردّ الآبق فمات على باب دار مالكة أو غصب أو هرب ؛ إذ لم يحصل شيء من المقصود .

باب إحياء الموات

هو — بفتح الميم والواو — : الأرض التي لا ماء لها ولا ينتفع بها أحد ، قاله الإمام الرافعي . وقال الماوردي : هو الذي لم يكن عامراً ولا حريماً لعامر قُرب من العامر أو بُعد . والأصل فيه قبل الإجماع أخبار كخير عائشة مرفوعاً : « من عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق » أي : بها رواه البخاري [٢٣٣٥] .

(وكل أرض مالها مياه تسمى مواتاً ينبغي إحياءه)
(للمسلمين مطلقاً بالدار لا غيرها والعكس للكفار)
(ويملك الإنسان ما أحياه إن لم يكن ملكاً لغيره سواء)
(ويلزم المحي اتّباع العادة لثبته في كل ما أراده)

كل أرض ليس لها ماء فهي موات كما مرّ عن الرافعي . قال الأزهري : كلّ شيء من متاع الأرض لا روح فيه يقال له : موات ، وما فيه روح حيوان . وينبغي ندب إحياء الموات لحديث : « من أحيأ أرضاً ميتة فله فيها أجر ، وما أكلت العوافي — أي : طلابُ الرزق — منها فهو صدقة » رواه النسائي [في الكبرى (٥٧٥٧)]^(١) . قال ابن الرفعة : وهو قسيمان : أصلي وهو ما لم يعمر قط ، وطاريء وهو ما خرب بعد عمارته . وقال الزركشي : بقاع الأرض إما مملوكة ، وإما محبوسة على الحقوق العامة والخاصة ، وإما منفكة عن الحقوق العامة أو الخاصة وهي الموات .

وإنما يملك المحي ما أحياه بشرطين : أولهما أن يكون المحي مسلماً كما قال : (للمسلمين مطلقاً بالدار) أي : إذا كانت الأرض ببلاد الإسلام وسواء أذن الإمام في ذلك أم لم يأذن ، بخلاف الكافر وإن أذن فيه الإمام ؛ لأنه كالاستيلاء وهو ممتنع عليه بدارنا .

فائدة : قال السبكي عن الجوري — بضم الجيم — من أصحابنا : إن موات الأرض كان ملكاً للنبي ﷺ ثم رده على أمته^(٢) . أما إذا كانت الأرض ببلاد الكفار فلهم إحيائها ؛ لأنه من حقوقهم

(١) ورواه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أيضاً ابن حبان (٥٢٠٤) بإسناد صحيح ، وأحمد ٣١٣/٢ ، والبيهقي ١٤٨/٦ .

(٢) لأثر موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما : عادي الأرض لله ولرسوله ثم لكم مني . ولأثر آخر عنه أيضاً : مواتان الأرض لله ولرسوله ، ثم هي لكم مني فمن أحيأ منها شيئاً فهو له . رواهما البيهقي ١٤٣/٦ .

ولا ضرر علينا فيه ، وهذا مراد الناظم بقوله : (والعكس للكفار) . وكذا للمسلمين إحيائها إن لم يذبونها عنها بخلاف ما يذبونها ، أي : وقد صولحوا على أن الأرض لهم ، ويحمل قول الناظم : (لا غيرها) على هذا التفصيل . وللکافر غير الحربي الاصطيد والاحتطاب والاحتشاش في دار الإسلام .

وثانيهما : أن تكون الأرض التي يراد ملكها بالإحياء حرة لم يجز عليها ملك مسلم ولا غيره كما قال : (ويملك الإنسان ما أحياه . إن لم يكن ملكاً لغيره) فإن جرى عليها ملك فهي وإن كانت خراباً لملكها مسلماً كان أو كافراً ، فإن جهل مالکها والعمارة إسلامية فمال ضائع الأمر فيه إلى رأي الإمام في حفظه أو بيعه وحفظ ثمنه ، أو اقتراضه على بيت المال إلى ظهور مالکة ، أو العمارة جاهلية فيملك بالإحياء كالركاز ، إذ لا حرمة للملك الجاهلية (ويلزم المحي اتّباع العادة لثبته في كل ما أراده) تحكياً للعرف ، فإن أراد مسكناً للعرف اشترط لحصول الملك التحويط^(١) باللين أو الأجر أو اللطین أو الخشب بحسب العادة ، ولا بد من تسقيف البعض على الأصح ونصب الباب ، أو أراد زينة للدواب أو غيرها لتجفيف الثمار أو لجمع الحطب والخشيش اشترط التحويط ونصب الباب لا التسقيف ، أو بستاناً اشترط جمع التراب حول الأرض إن لم تجر العادة بالتحويط حيث جرت العادة وبهية ماء ، ولا بد من الغرس ، والضابط في ذلك أن يهيئ الأرض لما يريد .

(وحافر بئراً للارتفاق أولى بسذاك الماء باتفاق)
(وحيث كان الماء في ذاك المقر وفاضلاً عن حاجة الذي حفر)
(فلا يجوز مطلقاً أن يمنع من شرب شخص أو بهيمة معه)
(ولم يجب لسقي زرع أو بنا ولا لشرب إن يحزه في إنا)

أي : (وحافر بئراً) موات (للارتفاق) أي : لا للتمليك بل للارتفاق بها لنفسه مدة إقامته هناك (أولى بذاك الماء ..) أي : أولى بها من غيره حتى يرتحل الحديث : « من سبق إلى ماء لم يسبقه إليه مسلم فهو أحق به »^(٢) . والبئر المحفورة في الموات للتمليك^(٣) وفي ملكه يملك الحافر ماءها لأنها مماء ملكة كالثمرة واللين .

(١) لحديث سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحاط حائطاً على أرض فهي له » رواه أبو داود (٣٠٧٧) ، والبيهقي ١٤٢/٦ .

(٢) رواه أبو داود (٣٠٧١) وهو حديث غريب من حديث أنس بن مضر .

(٣) لحديث عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ قال : « من احفر بئراً فله أربعون ذراعاً حولها لعطن ماشيته » رواه ابن ماجه (٢٤٨٦) بإسناد ضعيف .

ويجب عليه بذل الماء بشروط :

منها : أن يفضل عن حاجته لنفسه وماشيته وشجره وزرعه . ومنها : أن يحتاج إليه غيره لنفسه أو بهيمته المحترمة لخبر الصحيحين : « لا تمتنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلاً »^(١) ، وفي خبر : « من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاً منعه الله فضل رحمته يوم القيامة »^(٢) والمراد أن الماشية إنما ترعى بقرب الماء ، فإذا منع من الماء فقد منع من الكلاً .

ومنها : أن يكون الماء الفاضل مما يُستخلف في بئر أو عين في جبل أو غيره .

ومنها : أن يكون بقرب الماء كلاً مباح ترعاه المواشي ، وإلا فلا يجب على المذهب للخيرين المارين .

ومنها : أن لا يجد مالك الماشية عند الكلاً ماءً مباحاً ، وإلا فلا يجب بذله .

ومنها : أن لا يكون على صاحب البئر في ورود الماشية إلى مائه ضرر في زرع ولا ماشية ، فإن كان منعت^(٣) . ولا يجب بذله لزرع الغير كسائر المملوكات كما قال : (ولم يجب لسقي زرع أو بئر . ولا لشرب إن يجره في إناء) وإنما وجب بذله للماشية لحرمه الروح . وما تضمنه البيت الأخير من زيادة الناظم ، وكذا البيت الأول .

تنبيه : من أحيا مواتاً فظهر فيه معدن ظاهر وهو ما يخرج بلا علاج كنفت وكبريت وقار ومعدن باطن وهو ما لا يخرج إلا بعلاج كذهب وفضة وحديد ملكه ؛ لأنه من أجزاء الأرض وقد ملكها بالإحياء . والمياه المباحة من الأودية كالنيل والفرات والعيون في الجبال وغيرها وسيول الأمطار يستوي فيها الناس لخبر : « الناس شركاء في ثلاثة : الماء ، والكلاً ، والنار »^(٤) . ويباح ساقط الزروع

- (١) رواه البخاري (٢٣٥٤) ، ومسلم (١٥٦٦) (٣٧) ، وابن ماجه (٢٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه الشافعي كما في « بدائع المن » (١٣٥١) ، ورواه عنه ابن حبان بسند صحيح (٤٩٥٦) بلفظ : « لا تمتنعوا فضل الماء ، ولا تمتنعوا الكلاً ، فيبذل المال ويجوز العيال » . وعن ابن عمرو أخرجه بإسناد حسن أحمد (٦٦٧٣) ، والطبراني في « الأوسط » (١٢١٧) ، وفي « الصغير » (٩٣) بألفاظ متقاربة .
(٣) ونظمها المنابغي رحمه الله فقال :

وواجب بثلث للمناضل	لحرمة الروح بلا مقابل
إن كان في بئر ونحوها وتم	كل مباح قد رعاه المحترم
ولم يكن ماء مباح والضرر	قد اتقى عن صاحب الما في الشجر

- (٤) رواه عن أبي هريرة ابن ماجه (٢٤٧٣) ولفظه : « ثلاث لا يُمتنع : الماء والكلاً والنار » بسند صحيح ، وأبو داود (٣٤٧٧) عن رجل ، من المهاجرين بلفظ : « المسلمون شركاء في ثلاث : في الكلاً والماء والنار » .

المنتشرة على الأرض ، وكذا ما ينبت في الموات من الكلاً والحب ، وما يسقطه الناس ويرمونه رغبة عنه ، فمن سبق إلى شيء منه فهو أحق به من غيره .

ويجوز الوقوف في الشوارع والجلوس والمعاملة وغيرها إن لم يضيق على المارة ، ومن سبق إلى مكان منها فهو أحق به ، إلا أن يفارقه تاركاً لحرفته مثلاً أو منتقلاً إلى غيره .

والأسواق التي تقام في كل أسبوع مرة إذا اتخذ فيها مقعداً كان أحق به في التوب الآتية . والجوال الذي يقعد كل يوم في مقعد من السوق يبطل حقه بالمفارقة ، ولو جلس في مسجد ليقراً عليه القرآن أو نحوه فكما في مقاعد الأسواق أو الصلاة لم يكن أحق به من غيره وهو أحق به فيها^(١) وإن فارقته لعذر .

(١) لعموم حديث أبي هريرة عند مسلم (٢١٧٩) : « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » .

باب الوقف

هو التحبيس والتسبيل بمعنى . وهو لغة : الحبس ؛ يقال : وقفت كذا ، أي : حبسته .
وشرعاً : حبس ما يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح
موجود . والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل
عمران : ٩٢] فإن أبا طلحة لما سمعها رغب في وقف يبرحاء وهو أحب أمواله . وخبر مسلم (١٦٣١) :
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح
يدعو له » والصدقة الجارية محمولة عند العلماء على الوقف كما قاله الرافعي . واشتهر اتفاق الصحابة
رضي الله عنهم على الوقف قولاً وفعلاً . وقد روي عن ابن عمر أن عمر رضي الله عنهما ملك مئة
سهم من خيبر اشتراها ، فلما استجمعها قال لرسول الله ﷺ : إني أصبت مالاً لم أصب مثله
قط ، وقد أردت أن أتقرب به إلى الله عز وجل ، فقال رسول الله ﷺ : « حبس الأصل وسبيل
الثمرة »^(١) فجعلها عمر رضي الله عنه صدقة لا تباع ولا تورث ولا توهب .

قال الشافعي قدس الله تعالى روحه : لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمت داراً ولا أرضاً ، وإنما
حبس أهل الإسلام . وقسم الشافعي رضي الله عنه العطايا فقال : تبرع الإنسان على الغير بماله
ينقسم إلى منجز في الحياة وإلى معلق بالموت . والثاني هو الوصية . والأول ضربان : أحدهما تملك
محض كالهبات والصدقات ، والثاني : الوقف ، وسمي وفقاً لما فيه من وقف المال على الجهة المعنية
وقطع سائر الجهات والتصرفات عنه .

وأركانه أربعة : وقف ، وواقف ، وموقوف عليه ، وصيغة .

(يصح وقف مطلق التصرف بصيغة مبيناً للمصرف)
(والشرط في الموقوف كالمعار لا نحو مطعوم ولا مزمار)
(ولم يجز إلا على شخص وجد كأصله وفرعه الذي ولد)

(١) أخرجه الشافعي في « ترتيب المسند » ٢/ (٤٥٧) ونحوه البخاري (٢٧٣٧) ، ومسلم (١٦٣٢) .

(ولا يضرّ بعد ذا أن ينقطع آخره وهو الذي به قطع)
(والوقف أيضاً جائز على الجهة ما لم تكن بجرمة موجهة)
(وإن يعلق أو يعوق امتنع والشرط فيه حيث صح يتبع)
(كالشرط في التأجير والتقديم والوصف والتخصيص والتعميم)

(يصح وقف مطلق التصرف) المختار ، فيصح من كافر ولو لمسجد ، ومن مبعوض لا من
مكره ومكاتب ومحجور عليه بفلس أو غيره ولو بمباشرة وليه . ويصح الوقف (بصيغة ..) نحو :
وقفت كذا على كذا ، أو حبسته ، أو سبلته ، أو جعلته وقفاً ، أو ما أشبه ذلك ، ولا بد من بيان
المصرف ، فلو اقتصر على قوله : وقفت كذا ، ولم يذكره لم يصح لعدم ذكر مصرفه ، ولو ذكر
المصرف إجمالاً كقوله : وقفت كذا على مسجد كذا ، كفى وصرف على مصالحه عند الجمهور ،
وما تضمنه البيت الأول من زيادة النظم . (والشرط في الموقوف) أن يكون مما ينتفع به مع بقاء
عينه (كالمعار ..) المتقدم بيبأته في باب العارية ، وأن يكون مملوكاً للواقف قابلاً للنقل معيناً ، فلا
يصح وقف منفعة لأنها ليست بعين ، فلا يوقف الطعام والرياحين المشمومة ولا آلة لهن
ك (مزمار) ولا دراهم لزينة ولا ما لا يملكه الواقف ولا مستولدة ولا مكاتب لأنهما يقبلان النقل
ولا وقف أحد عبديه . ويصح وقف عقار ومنقول ومشاع وبئر لماء وشجر لثمر وبهاثم للبن وصوف
ونحوه كوبر . (ولم يجز : أي : الوقف) (إلا على شخص وجد) أي : على موقوف عليه موجود في
الحال (كأصله وفرعه الذي ولد) والمعنى : إن كان الوقف على معين اشترط إمكان تملكه في حال
الوقف عليه بوجوده في الخارج ، فلا يصح الوقف على ولده وهو لا ولد له ، ولا على فقراء أولاده
ولا فقير فيهم ، فإن كان فيهم فقير وغني صح ، ولا على جنين لعدم صحة تملكه ، ولا على ميت
لأنه لا يملك كما صرح به الجرجاني ، ولا على أحد هذين الشخصين لعدم تعيين الوقف عليه ،
ولا على نفس العبد لأنه ليس أهلاً للملك ، والوقف عليه مطلقاً وقف على سيده . ويصح الوقف
على مدرسة ومسجد ورباط ، فلا بد أن يكون الوقف مؤبداً سواء ظهر فيه جهة فربة كالوقف على
الفقراء أو العلماء أو المجاهدين ، أم لم تظهر كالأغنياء وأهل الذمة والفسقة ؛ لأن الصدقة عليهم
جائزة .

فروع : لو وقف على الأغنياء وأدعى شخص أنه غني لم يقبل إلا ببينة ، بخلاف ما لو لوقف
على الفقراء وأدعى شخص أنه فقير ولم يعرف له مال ، فيقبل بلا بينة نظراً للأصل فيهما . وقول
الناظم من زيادته : (ولا يضرّ بعد ذا أن ينقطع آخره) إلخ ، أشار به إلى أنه لو قال : وقفت على
أولادي ، أو : على زيد ثم نسله ، ونحوه مما لا يدوم ولم يزد على ذلك صح ؛ لأن المقصود من الوقف
القرينة والدوام ، فأوله صحيح موجود فيدوم على سبيل الخير ، ويسمى منقطع الآخر ، فإن انقرض

المذكور صرف إلى أقرب الناس إلى الواقف يوم انقراض المذكور ، ويختص المصرف وجوباً بفقراء قرابات الرحم لا الإرث في الأصح ، فيقدم ابن بنت علي ابن عم ، ولو كان الوقف منقطع الأول كوقفته على من سيولد لي ثم الفقراء لم يصح ، أو منقطع الوسط كوقفته على أولادي ثم على رجل منهم ثم على الفقراء صح لوجود المصرف في الحال والمآل ، ثم بعد أولاده يصرف للفقراء . (والوقف أيضاً جائز على الجهة العامة) ما لم تكن بجرمة موجهة (فيشترط في الوقف على الجهة عدم المعصية ، فلا يصح على الكنائس ونحوها من متعبدات الكفار لما فيه من الإعانة على المعصية . ولا بد أن يكون الوقف منجزاً ، فلا يصح تعليقه كأن قال : إذا جاء زيد فقد وقفت كذا على كذا ؛ لأنه عقد يقتضي نقل الملك في الحال لم يبن على التغليب والسرية ، فلا يصح تعليقه على شرط كالبيع والهبة ، ولا يصح توقيته ، فلو قال : وقفت هذا على كذا سنة ، لم يصح لفساد الصيغة ، وهذا معنى قوله من زيادته : (وإن يعلق أو يؤقت امتنع) . ولا بد أن يكون لازماً ، فلو قال : وقفت هذا على كذا ، بشرط الخيار لنفسه في إبقاء وقفه والرجوع فيه متى شاء ، أو شرط عوده إليه بوجه ما كأن شرط أن يبيعه ، أو شرط أن يدخل من شاء ويخرج من شاء لم يصح ، والوقف لازم فلا يحتاج إلى قبض ولا حكم حاكم . وقوله : (والشرط فيه حيث صح يتبع) أشار به إلى أن الوقف إذا صح كان الوقف فيه على اتباع شرط الواقف ما لم يكن فيه ما ينافي الوقف أو يناقضه ، وعليه جرت أوقاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وسواء قلنا : الملك للواقف ، أم : للموقوف عليه ، أم : ينتقل إلى الله تعالى ؛ بمعنى أنه ينفك عن اختصاص الآدميين كما هو الأظهر ، إذ مبنى الوقف على اتباع شرط الواقف (كالشرط في التأجير والتقديم . والوصف والتخصيص والتعميم) فيتبع شرطه في ذلك كله .

تنبيه : شرط الناظر : عدالة وكفاية ، ووظيفته : عمارة أو إجارة وحفظ أصل وغلة وجمعها وقسمتها على مستحقيها .

خاتمة : لا يجوز تغيير الوقف عن كفيته ، فلا يجعل الدار بستاناً ولا بالعكس ، إلا إذا جعل الواقف للناظر فيه مراعاة مصلحة الوقف . وفي « فتاوى » القاضي حسين : أن يجعل حانوت القصاين للخبازين ، فكأنه احتمل تغيير النوع دون الجنس . ولو تلف الموقوف في يد الموقوف عليه من غير تعدد فلا ضمان عليه ، وكذا الكيزان المسبلة على أحواض الماء والأنهار ونحوها ، فلا ضمان على من تلف في يده شيء منها بلا تعدد ، ومن التعدي استعماله في غير ما وقف له ، والله أعلم .

فرع : لا يباع موقوف وإن خرب ، لكن يجوز بيع نحو حصر المسجد الموقوفة عليه إذا بليت بأن ذهب جمالها ونفعها وكانت المصلحة في بيعها ، وكذا جذوعه المنكسرة على الأصح فيها . نقلته من تعليقات العلامة الشيخ محمد حسن حبيكه رحمه الله تعالى .

باب الهبة

وهو التملك بلا عوض ، فإن ملك محتاجاً أو لثواب الآخرة فصدقة ، وإن نقله إلى مكان الموهوب له إكراماً فهدية ، فكل من الصدقة والهبة هبة ولا عكس ، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء : ٤٤] وخبر الصحيحين : « يانساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة »^(١) أي : ظلّفها . وفي البخاري [٢٥٦٨] : « لو دعت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدي إلي ذراع قبلت » . وقال عليه السلام : « تهادوا تحابوا »^(٢) .

(وكل شيء صح بيعه وهب) ولا لزوم قبل قبض المتب (ولا يعود بعده فيما وهب) وجاز عود الأصل مطلقاً كأب (وحكم ما أعمره أو أرقبه) من ماله لغیره حكم الهبة)

(كل شيء صح بيعه وهب) أي : جازت هبته من باب أولى ، فإن بابها أوسع ، لكن يستثنى من ذلك نحو حبي حنطة ونحوها من المحقرات ، وجلد الأضحية فإنها لا يصح بيعها وتصح هبتها ، ونحو أمور آخر في المبسوطات . ولا بد في الهبة من الصيغة وهي الإيجاب من الواهب كوهبتك كذا أو أعطيتك كذا ، والقبول من المتب باللفظ متصلاً كأنهبت أو تملكك أو قبلت . ولا تشترط الصيغة في الهبة ولا في الصدقة . ويشترط في العاقد ما مر في البيع ، ولا تلزم الهبة إلا بالقبض كما قال : (ولا لزوم قبل قبض المتب) بكسر الهاء ، فلا تلزم ، أي : لا تملك بالعقد لما روى الحاكم في « صحيحه » : أن النبي ﷺ أهدى إلى النجاشي ثلاثين أوقية مسكاً ، ثم قال لأم سلمة : « إني

(١) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (٦٠١٧) ، ومسلم (١٠٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٩٥) ، والبيهقي في « السنن » ١٩٦/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد ضعيف ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » ص : ٨٠ ، والقضاعي في « مسند الشباب » (٦٥٧) . وقال ابن الملقن في « خلاصة البدر المنير » (١٦٩٦) نقلاً عن ابن طاهر : هو أصح ماورد في الباب مع الاختلاف عليه .

لأرى النجاشي قدماء لا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترّد ، فإذا ردت إليّ فهي لك »^(١) فكان كذلك . ولأنه عقد إرفاق كالقرض فلا يملك إلا بالقبض .

تنبيه : هذا في الهبة الصحيحة غير الضمنية وذات الثواب . أما الفاسدة فلا تملك بالقبض . وأما الضمنية كقوله : أعتق عبدك عني مجاناً ، فإنه يعتق عنه ، ويسقط القبض كما سقط القبول إذا كان التماسُ العتق بعوض كما قاله في باب الكفارة . وأما ذات الثواب فتستقل بالقبض لأنها بيع . ولا بدّ أن يكون القبض بإذن الواهب فيه إن لم يكن يقبضه بنفسه .

(ولا يعود بعده فيما وهب) فإذا قبضها الموهوب لم يكن للواهب حينئذ الرجوع فيها إلا أن يكون الواهب والدّاً كما قال : (وجاز عود الأصل مطلقاً كأب) وكذا سائر الأصول من الجهتين لقوله ﷺ : « لا يحلّ لرجل أن يعطي عطية أو هبة فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده » رواه الترمذي [٢١٢٣] والحاكم [٤٦٢] وصححه^(٢) . هذا إن لم يُزل ملك الفرع عن الموهوب ، فلو زال لم يكن للأصل الرجوع ؛ لأن ملكه الآن غير مستفاد منه . واعلم أنه يسنّ للوالد وإن علا العدل في عطية أولاده بأن يسوّي بين الذكر والأنثى لخبر البخاري : [٢٥٨٧] « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . ويكره تركه لهذا الخبر . ويسنّ أيضاً أن يسوّي الولد إذا وهب لوالديه شيئاً ، ويكره له ترك التسوية كما مر في الأولاد^(٣) ، فإن فضّل أحدهما فالأُم أوّل خير الحسن : « إن لها ثلثي البر »^(٤) . وأفضل البرّ الوالدين ، وعقوق كل منهما من الكبائر^(٥) ، وصلة القرابة مأمور بها .

واعلم أن الناظم أعلى الله درجته ختم الباب بالعمري والرقبي فقال : (وحكم ما أعمره أو أرقبه ..) إلى آخره ، وتقدير ذلك أن الهبة تصح بعمري أو رقبى ، فالعمري كما إذا أعمره شيئاً كأن قال : أعمرتك هذا ، أي : جعلته لك عمرك أو حياتك أو ما عشت ، وإن زاد فإذا متّ عاد لي .

(١) بأورد الخبر مختصراً الرملي في « نهاية المحتاج » في باب الهبة .

(٢) ورواه أيضاً عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ابن حبان (٥١٢٣) وصححه ، وأبو داود (٣٥٣٩) .

(٣) ورواه مسلم (١٦٢٣) (١٣) من حديث النعمان بن بشير أيضاً .

(٤) وانظر إلى ما رواه عن ابن عباس الطبراني (١١٩٩٧) والبيهقي ١٧٧/٦ ، وابن عدي في « الكامل » ١٢١٧/٣ بلفظ : « سوا بين أولادكم في العطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء » . في إسناده سعيد بن يوسف متفق على ضعفه ، لكن حسنه الحافظ في « الفتح » ٢١٤/٥ .

(٥) ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله أي الناس أحقّ مني بحسن الصحبة قال أمك ... رواه البخاري (٥٩٧١) .

لحديث أبي بكر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ألا أنبئكم بأكثر الكبار » قالوا ثلاثاً . قالوا يارسول الله !

قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ... رواه البخاري (٢٦٥٤) ، ومسلم (٨٧) ، والترمذي (١٩٠١) وغيرهم .

والرقبي كما إذا قال : جعلته لك رقبى ، أو : أرقبتك هذه الدار ، أو جعلتها لك رقبى ؛ أي : إن متّ قبلي عادت إليّ ، وإن متّ قبلك استقرّت لك . وسميت رقبى لأن كل واحد منهما يقرب موت صاحبه ، والأصل في ذلك خبر الصحيحين : « العمري ميراث لأهلها »^(١) وخبر أبي داود [٣٥٥٦] « لا تعمروا ولا ترقبوا ، فمن أرقب شيئاً أو أعمره فهو لوارثه » أي : لا ترقبوا ولا تعمروا طمعاً في أن يعود لكم ، فإن مصيره الميراث .

خاتمة : انعقد الإجماع على استحباب الهبة بجميع أنواعها ، وقد يعرض لها أسباب تخرجها عن ذلك . منها : الهبة لأرباب الولايات والعمال . ومنها : ما لو كان المتّهب يستعين بذلك على معصية . واعلم أن الهبة إن أطلقت بأن لم تقيد بثواب ولا بعدمه فلا ثواب فيها ، وإن كانت لأعلى من الواهب أو قيدت بثواب مجهول^(٢) فباطلة ، أو بمعلوم فيبيع نظراً للمعنى ، وظرف الهدية إن لم يعتد رده كقوصرة^(٣) فهية أيضاً ، وإلا فلا . وإذا لم يكن هبة حرم استعماله إلا في أكل الهبة منه إن اعتد . ولو دفع شخص إلى آخر درهماً وقال : ادخل الحمام ، أو دراهم وقال : اشتر لنفسك بها عمامة ، ونحو ذلك ، فإن قال ذلك على البسط المعتاد ملكه ويتصرّف فيه كيف شاء ، وإن كان غرضه تحصيل ماعينه لمن به شعث أو وسخ أو كشف رأسه لم يجز صرفه إلى غير ماعينه .

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٦) بلفظ : « العمري جائزة » ، ومسلم (١٦٢٥) .

(٢) ومثل هذا ما يفعله العامة من تقديم بعض الهدايا في المناسبات ويدعونه بالنقوط ، ويدفعونه للأعلى والأدنى وعرفهم فيه أن يُرد غالباً .

(٣) قال في « القاموس » : وعاء الثمر .

باب اللقطة

هي — بضم اللام ، وفتح القاف وإسكانها — لغة : الشيء الملقوط . وشرعاً : ما وجد من حق محترم غير محروز لا يعرف الواجد مستحقه . والأصل فيها قبل الإجماع الآيات الآمرة بالبر والإحسان^(١) ، إذ في أخذها لل حفظ والرد بر وإحسان ، والأخبار الواردة في ذلك كخير مسلم [٢٦٩٩] : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » ، و ما في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني : أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن لقطة الذهب والورق فقال : « اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة ، فإن لم تعرف فاستنفقها ولتكن وديعة عندك ، فإن جاء صاحبها يوماً من الدهر فأدّها إليه ، وإلا فشأنك بها » . وسأله عن ضالة الإبل فقال : « ما لك ولها ، دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها » وسأله عن ضالة الشاة فقال : « خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب »^(٢) .

(والشخص إن يظفر بمال ضائع بموضع كمسجد وشارع)
(فلقطه لوائق بنفسه أولى وغير واثق بعكسه)

أي : (والشخص) الحر (إن يظفر بمال ضائع . بموضع كمسجد وشارع * فلقطه) : فأخذه (لوائق ب) أمانة (نفسه . أولى) أي : أفضل من تركها^(٣) . (و غير واثق) بأمانة نفسه (بعكسه) أي : فلا يستحب له أخذها . ويكره لفاسق لثلاث تدعو نفسه إلى الخيانة ، وإنما يكون الأخذ أفضل لمن وثق بنفسه إذا لم يتعين عليه أخذها بأن كان هناك من يأخذها ويحفظها ، فإن لم

(١) لقوله تعالى شأنه : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقوله جل جلاله : ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ [يوسف : ١٠] .

(٢) رواه البخاري (٩١) و (٢٤٢٩) ، ومسلم (١٧٢٢) .

(٣) روى الحاكم في المستدرک ٩٤/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تُعرف ولانثيب ولانثيبكم ، فإن جاء صاحبها ، وإلا فهو مال الله يؤتيه من يشاء » وصححه ووافقه الذهبي ، وروى ابن حبان (٤٨٩٤) بسند صحيح عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من لقط لقطة فليشهد ذوي عدل ، ولا يكم ولا يغير ، فإن جاء صاحبها فهو أحق بها ، وإلا فهو مال الله يؤتيه من يشاء » .

يكن هناك غيره وجب عليه أخذها كالوديعة ، بل أولى لأن الوديعة تحت يد صاحبها^(١) . أما الرقيق فلا يصح التقاطه بغير إذن سيده وإن لم ينته ، فإذا التقط بإذنه صح وكان سيده هو الملتقط ، وأما بغير إذنه فمن أخذها منه كان هو الملتقط ، ولو أقرها في يده سيده واستحفظه عليها ليعرفها وهو أمين جاز ، وإلا فلا . ويصح اللقط من مكاتب كتابة صحيحة .

تنبيه : إذا كان واجد اللقطة صبيّاً أو مجنوناً أو كان محجوراً عليه بسفه انتزعها منه وليه وعرفها وتملكها له .

(وليعرف الملتقط الوعاء)
(ثم عليه حفظها دون المؤن)
(ويلزم التعريف قدر عام)
(بموضع الوجدان والمجماع)
(وبعده للآخذ التملك)
(وقسمت لأربع أقسام)
(من النقود والثياب والورق)
(والثان لا يبقى على الدوام)
(فإن يشأ فالأكل مع غرم البذل)
(ثالثها يبقى ولكن مع تعب)
(فبيعه رطباً أو التجفيف)
(رابعها ما احتاج مالاً يصرف)
(فأخذه يجوز بالتخيير)
(أكل وبيع ثم يحفظ الثمن)
(وإن يكن من السباع يمتنع)
(والجنس والمقنن والوكاء)
(لكنه مثل الوديع مؤتمن)
(بالعرف لا في سائر الأيام)
(كالطرق والأسواق والجوامع)
(مع الضمان حين يأتي المالك)
(أولها يبقى على الدوام)
(ونحوها فالحكم فيه ما سبق)
(بحالة كالرطب من طعام)
(أو بيعها مع حفظ ما منه حصل)
(كالتبر في تجفيفه وكالعنب)
(وبعد ذلك يلزم التعريف)
(كالحيوان مطلقاً إذ يعلف)
(للشخص في ثلاثة أمور)
(والترك لكن أن يساع بالمؤن)
(فلقطه إن كان بالصحرى منع)

(وليعرف الملتقط) الوائق بنفسه أو غيره (الوعاء) وهو — بكسر الواو ، والمدة — ما فيه اللقطة من جلد أو غيره (والجنس) من نقد أو غيره (والمقنن) كالتين فأكثر (والوكاء) وهو

(١) لحديث زيد الجهني عند الحاكم بإسناد صحيح ٩٤/٢ — أن رسول الله ﷺ قال : « من آوى ضالة فهو ضالّ مالم يعرفها » . وروى ابن حبان (٤٨٨٨) (٤٨٨٧) بلفظ : « ضالة المسلم حرق النار » عن أبي مطرف بسند صحيح ، وعن الجارود بسند قوي .

— بكسر الواو ، والمذ — : ما يربط به من خيط أو غيره (ثم) يجب (عليه حفظها) للمالكها في حرز مثلها (دون المؤن) فلا يجب عليه (لكنه مثل الوديع مؤتمن) ففيها معنى الأمانة والولاية والاكتساب آخر بعد التعريف . (ويلزم التعريف قدر عام) أي : سنة من يوم التعريف تحديداً إذا أراد تملكها ، ولا يشترط أن تكون السنة متصلة ، بل يكفي ولو متفرقة على العادة كما قال من زيادته : (بالعرف لاني سائر الأيام) فيعرفها كل يوم مرتين طرفيه أسبوعاً ، ثم في كل يوم طرفه مرة أسبوعاً ، ثم كل أسبوع مرة أو مرتين ، ثم كل شهر كذلك بحيث لا ينسى (بموضع الوجدان) أي : في الموضع الذي وجدها فيه ، وليكثر من التعريف فيه لأن طلب الشيء في مكانه أكثر ، (والمجامع . كالطرق والأسواق والجماعات) أي : بأبوابها عند خروج الناس من الجماعات ونحوها من مجامع الناس في بلد الالتقاط وقريته ، ولا تعرف في المسجد^(١) كما لا تطلب اللقطة فيها . قال الرافعي ، عن الشاشي : إنه صحح جواز التعريف في المسجد الحرام بخلاف سائر المساجد . (وبعده) أي : التعريف المذكور (للاحذ) إن لم يجد صاحبها (التملك) باللفظ كقوله : تملكيت ؛ (مع الضمان حتى يأتي المالك) أي : مع قصد الضمان ، وتكون قرصاً عليه يثبت بدله في ذمته ، وإذا تملكها بعد التعريف ولم يظهر لها مالك فلا شيء عليه في إنفاقها ، فإنها كسب من أكسابه ، ولا مطالبة عليه في الآخرة .

واعلم أن الشيء الملتقط قسماً : مال ، وغيره . والمال نوعان : حيوان ، وغيره . والحيوان ضربان : آدمي ، وغيره . ويعلم غالب ذلك مما يأتي في قوله : (وقُسِّمَتْ) أي : اللقطة بالنظر إلى ما يفصل فيها (لأربع أقسام) :

(أولها) : ما (يبقى على الدوام * من النقود) كالذهب والفضة (والثياب والورق) بفتح الراء (ونحوها فالحكم فيه ما سبق) وقد عرفته .

(والثاني) : ما (لا يبقى على الدوام بحالة) بل يفسد بالتأخير (كالرطب) بفتح الراء (من طعام) كالرطب — بضم الراء — الذي لا يبقى والبقول ، فالملتقط مخير فيه بين أكله وغرم بدله من مثل أو قيمة أو بيعه بثمن مثله وحفظ ثمنه للمالكه .

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد ، فليقل : لا ردّها الله عليك ، فإن المساجد لم تكن لهذا » . رواه مسلم (٥٦٨) . ينشد : يطلب ويسأل . الضالة : الحاجة المفقودة . ولحديث بريدة رضي الله عنه أن رجلاً نشد في المسجد فقال : من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي ﷺ : « لا وجدت ، إنما بنيت المساجد لما بنيت له » رواه مسلم (٥٦٩) . من دعا إلى الجمل : أي من وجده قدعاني لأخذه .

(وثالثها) ما (يبقى) على الدوام (ولكن مع تعب . كالتبر في تجفيفه وكالعنب ...) الذي يتجفف ، فيفعل الملتقط ما فيه المصلحة للمالكه من بيعه وحفظ ثمنه ، أو تجفيفه وحفظه للمالكه إن تبرع الملتقط بالتجفيف ، وإلا فيبيع بعضه بإذن الحاكم إن وجده وينفقه على التجفيف .

(ورابعها ما احتاج مالا يصرف) في نفقته (كالحيوان مطلقاً ..) من آدمي أو غيره ، لكن التقاط الآدمي نادر فلهذا تركه الأصل وغيره ، فغير الآدمي قسماً :

حيوان لا يمتنع بنفسه من صغار السباع كشاة وعجل وفصيل وكسير من إبل وخيل ونحو ذلك مما إذا تركه يضيع بكاسر من السباع ، فأخذّه يجوز إن وجده بمفازة ، لكن بالتخير للشخص الآخذ له في ثلاثة أمور : بين أكله وغرم ثمنه ، أو بيعه وحفظ ثمنه للمالكه ، أو تركه والتطويع بالإتفاق عليه إن شاء ، فإن لم يتطويع وأراد الرجوع فلينفق بإذن الحاكم ، فإن لم يجده أشهد .

والقسم الثاني : يمتنع من السباع بنفسه ، فإن وجده في الصحراء تركه وجوباً ، وإن وجده في الحضر فهو مخير بين الأشياء الثلاثة المتقدم ذكرها في القسم الرابع . هذا حاصل كلام الناظم . وقوله : لأربع ، و : في ثلاثة ؛ بالتنوين فيها . وقوله : والثاني ؛ بحذف الياء للوزن .

خاتمة : لا تحل لقطة حرم مكة شرفها الله تعالى إلا لحفظ^(١) . ويجب تعريف ما التقطه لحفظ ، ويلزم اللاقط الإقامة للتعريف أو دفعها إلى الحاكم ؛ لأن الله تعالى جعل حرم مكة متابة للناس يعودون إليه المرة بعد الأخرى ، فرما يعود مالكةا من أجلها أو يبعث في طلبها . وأما الحرم المدني فهو كسائر البلاد كما اقتضاه كلام الجمهور .

(١) لحديث عن الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهي عن لقطة الحاج . رواه ابن حبان (٤٨٩٦) بسند صحيح ، والحاكم ٩٤/٢ — ٩٥ وصححه ووافقه الذهبي .

باب اللقيط

وهو طفل صغير ضائع لا يعلم له كفيل ، ويقال له : ملقوطة ، ومنبوذ ، ودعي . وسمي لقيطاً وملقوطة باعتبار أنه يلقط^(١) ، ومنبوذاً باعتبار أنه يُبذ ، أي : أُلقي في الطريق ونحوه كما قال :

(هو الصغير في مكان ينبذ وما له من كافل فيؤخذ)
(فرض على كل الوري فإن سبق حرّ رشيد مسلم فهو الأحق)
(ولا يقرّ مع سوى أمين ولا الصبي والعبد والمجنون)
(ورزقه في ماله الذي معه فبیت مال إن يكن به سعه)

أخذ اللقيط المذكور وحفظه وتربيته (فرض ..) كفاية لقوله تعالى : ﴿ ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً ﴾ [المائدة : ٣٢] إذ بإحيائها سقط الحرج عن الناس فأحياهم بالنجاة من العذاب (فإن سبق) إليه (حرّ رشيد مسلم فهو الأحق * ولا يُقرّ) بالبناء للمفعول (مع سوى أمين) أي : لا يُترك إلا في يد أمين وهو الحرّ الرشيد العدل ولو مستوراً ، فلو لقطه غيره ممن به رق أو مكاتب أو كافر أو صبي أو مجنون أو فاسق لم يصح ، فيزاع اللقيط منه لأن حق الحضانة ولاية وليس من أهلها كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : (ولا الصبي والعبد والمجنون) فالأو في قوله : ولا : زائدة للوزن . وللكافر لقط كافر لما بينهما من الموالاة . (ورزقه) أي : اللقيط (في ماله الذي معه) أي : العام كالوقوف على اللقطة والوصية لهم ، أو الخاص وهو ما اختص به كالثياب الملبوسة له أو الملقوفة عليه أو المفروشة تحته أو المغطى بها أو المشدودة به أو ما يثابه من منطقة أو هيئان أو حلي أو دراهم أو دنائير . أما المال المدفون تحته فلا يجعل له ، وكذا ثياب وأمتعة موضوعة بقربه ، لكن لا ينفق عليه إلا بإذن القاضي إذا أمكنت مراجعته ، فإن خالف ضمن ولم يرجع ، فإن لم يجد قاضياً فليشهد . ثم إن لم يوجد للقيط مال فرزقه في بيت المال كما قال : (فبیت مال إن يكن به سعة) من سهم المصالح ، فإن لم يكن في بيت المال مال أو كان وثم ما هو أهم منه يقتض عليه الحاكم ، فإن عسر الاقتراض وجب على موسرينا قرضاً بإتفاق عليه إن كان حرّاً ، وإلا فعلى سيده .

تبيين : أحدهما : يجب الإشهاد على اللقيط وعلى ما معه خيفة من استرقاقه . ثانيهما : يستفاد من قول الناظم : فرض على كل الوري أن فرض الكفاية واجب على جميع المكلفين ، ويسقط بفعل البعض تخفيفاً وإلا لأثم الجميع بتركه ، وهو مذهب الجمهور ، ووافقهم السبكي . وخالفه ولده في « جمع الجوامع » كما بينت ذلك في شرحي على « الزيد » [ص : ١٠٧] .

(١) قال تبارك وتعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ [القصص : ٨] .

باب الودعة^(١)

يقال : على الإيداع ، وعلى العين المودعة ، من : ودع الشيء يدع : إذا سكن واستقر ؛ لأنها ساكنة عند المودع ، وقيل غير ذلك . والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] وقوله تعالى : ﴿ فليؤدّ الذي ائتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] وخبر : « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » رواه أبو داود (٣٥٣٥) ، والترمذي (١٢٦٤) وقال : حسن غريب ، والحاكم (٤٦/٢) وقال : على شرط مسلم . ومعنى : لا تخن من خانك : لا تقابله بخيانتك .

ولها أربعة أركان : مودع ، ومودع ، وودعة ، وصيغة .

(ويستحب أخذها لمن يثق بنفسه ولم يجز إن لم يطبق)
(وحفظها بحتم يجعلها في موضع يكون حرز مثلها)
(لكن تكون عنده أمانه ما لم يكن تقصيراً أو خيانه)
(ولا خلاف أن قول المودع مصدق في ردّها للمودع)
(وإن يؤخر ردّها بعد الطلب من غير عذر فالضمان قد وجب)

(ويستحب أخذها أي : الودعة لمن يثق . بنفسه) وقدر على حفظها لخبر مسلم [٢٦٩٩] : « والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » فإن عجز عن حفظها كره له أخذها ، ولا يكره عند القدرة لمن يثق بنفسه على المعتمد .

تنبيه : محل الاستحباب لمن يثق بنفسه إذا لم يتعين عليه أخذها ، فإن تعين وجب . (وحفظها) أي : الودعة (بحتم) أي : واجب على الوديع ، ويحصل (بجعلها . في موضع يكون حرز^(٢) مثلها) فإن أخر إحرازها مع التحكّن ، أو دلّ عليه سارقاً بأن عين له مكانها وضاعت

(١) في « اللسان » الودعة : واحدة الودائع ، وهي ما استودع . وقوله تعالى : ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ [الأنعام : ٩٨] والمستودع : ماني الأرحام .

واستودعه مالاً وأودعه إياه : دفعه إليه ليكون عنده ودية يحفظه على أن يسترده .

(٢) الحرز : الموضع الحصين .

بالسرقة ، أو دلّ عليها من مصادر المالك ضمنها لمنافاة ذلك للحفظ ، ويجب عليه دفع متلفاتها . أما لو وضعها في غير حرز مثلها ، أو وقع الحريق في الدار فتركها حتى احترقت ، أو ترك غلف الدابة أو سقيها حتى ماتت به ، أو ترك نشر ثياب الصوف وكل ما يفسده الدود ، أو ترك لبسها إذا لم تندفع الآفات إلا به حتى تلفت ، فإنه يضمنها لأن الله تعالى سماها أمانة والضمان ينافيها ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (لكن تكون عنده أمانة) إلى آخره ، أي : فلا يضمن إلا بالتعدي في تلفها^(١) ، كأن خالف مالكةا فيها أمره به في حفظها وتلفت بسبب المخالفة كأن قال له : لا ترقد على الصندوق ، فردد وانكسر بثقله (ولا خلاف أن قول المودع) بفتح الدال — (مصدق في ردّها للمودع) بكسره - فيقبل قوله في ردّها يمينه لأنه ائتمنه . أما لو ادّعى ردّها على غير من ائتمنه ، كأن ادّعى المودع ردّها على وارث المودع فإنه يطالب بالبينة . واعلم أن كل أمين كمرتين ووكيل وشريك وعامل قراض ووليّ محجور أو ملقط لم يملك أو مستأجر وأجير ونحوه مصدق في التلف على حكم الأمانة إن لم يذكر سبباً ، أو ذكر سبباً خفياً أو ظاهراً عرف دون عموم ، وإن لم يعرف فلا بد من إثباته بالبينة ثم يصدق يمينه في التلف به . وإن عرف وقوعه وعمومه ولم يحتمل [سلامة الودعة] صدق بلا بين . وقوله : (وإن يؤخر ردّها بعد الطلب) إلى آخره ، أشار به إلى أنه إذا طالب المالك بها فلم يردها عليه مع القدرة عليها حتى تلفت ضمنها بيدها من مثل إن كانت مثلية ، أو قيمة إن كانت متقومة لترك الواجب عليه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] وليس المراد بردها حملها إلى مالكها ، بل يحصل أن يخلي بينه وبينها فقط ، أما لو أّخر ردّها لعذر ظاهر كصلاة أو طهارة أو أكل أو قضاء حاجة ، أو لغير عذر لكن لم يطلبها مالكةا لم يضمنها لعدم تقصيره .

كتاب الفرائض

جمع فريضة بمعنى مفروضة ، أي : مقدرة ، لما فيها من السهام المقدرة ، فغلبت على غيرها . والفرض لغة : التقدير ، قال تعالى : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٧٣] أي : قدرتم . وشرعاً : نصيب مقدّر شرعاً للوارث . والأصل فيها آية الموارث^(١) ، والأخبار كخبر : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلاؤلى رجل ذكر »^(٢) . واشتهرت الأخبار بالحثّ على تعليمها وتعلمها . منها : « تعلموا القرآن وعلموه الناس ، تعلموا الفرائض وعلموها الناس ، فإني امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض ، وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما »^(٣) . ومنها : « تعلموا الفرائض فإنه من دينكم ، وإنها نصف العلم ، وإنه أول علم ينزع من أمتي »^(٤) . وإنما سمي نصف العلم لأن للإنسان حالتين : حالة حياة وحالة موت ، ولكل منهما أحكام تخصه . وقيل : النصف بمعنى الصنف . قال الشاعر :

إذا متُّ كان الناس نصفان شامت وآخِرُ مُثْنٍ بالذي كنت أصنع

ويتعلق بالتركة خمسة حقوق مرتبة أخذ الناظم في بيانها بقوله من زيادته :

(وما بعين ترُكة تعلقا من الديون فليقدم مطلقا)
(وبعد تجهيز بما يليق له ويعده كل الديون المرسله)
(وثلث ما يفضل للوصيه ويعده للوارث البقييه)

(١) قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ [النساء : ٧]

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (٦٧٣٢) ، ومسلم (١٦١٥) .

(٣) أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » (٦٣٠٥) وفيه : « سينقص » ، والحاكم ٣٣٢/٤ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي ٢٠٨/٦ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه عن أبي هريرة الترمذي (٢٠٩٢) بلفظ : « تعلموا القرآن والفرائض وعلموا الناس فإني امرؤ مقبوض » وقال : فيه اضطراب ، وابن ماجه (٢٧١٩) بلفظه ، والحاكم ٣٣٢/٤ وضعفه الذهبي ، والبيهقي ٢٠٩/٦ .

(١) لحبر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « من استودع ودعة فلا ضمان عليه » . أخرجه بإسناد ضعيف ابن ماجه (٢٤٠١) ، والبيهقي ٢٨٩/٦ .

يُتَذَرُ وجوباً من تركه الميت بحق تعلق بعين التركة كالرهن والزكاة ، ولا تنحصر صور التعلق ، والخاصر لها التعلق بالعين كما أفاده الناظم ، وهذا هو الحق الأول . والثاني : ما أشار إليه بقوله : (وبعد تجهيز بما يليق له) أي : مؤنة التجهيز وهو ما يحتاج إليه الميت من كفن وحنوط وأجرة تغسيله وحفر قبره وغير ذلك بحسب يساره وإعساره ، ولا عبرة بما كان عليه في حياته من إسرافه وتقديره . والثالث : ما تضمنه قوله : (وبعده) أي : التجهيز (كل الديون المرسله) أي : الديون التي كانت أصلية لله تعالى أو لآدمي . والرابع : ما أشار إليه بقوله : (وتُلت ما يفضل للوصية) لقوله تعالى : ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ [النساء : ١٢] وقدمت الوصية في الآية على الدين مع أنه مقدم لحكمة جليلة ، وهي أن الوصية لما أشبهت الميراث في كونها بلا عوض كان في إخراجها مشقة على الوارث فقدّمت حثاً على إخراجها ، ولأن الوصية غالباً تكون لضعاف ، فقوّي جانبها بالتقديم في الذكر — القرآن — كيلا يطمع فيها ويتساهل ، بخلاف الدين فإن فيه من القوة ما يغنيه عن التقوية بذلك . والخامس : ما أشار إليه بقوله : (وبعده) بمعنى ثم (للوارث البقية) من حيث إنه يتسلط عليه بالتصرف ليصبح تأخره عن بقية الحقوق ، وإلا فتعلقها بالتركة لا يمنع الإرث على الصحيح . والواو في قول الناظم : وبعده ؛ للترتيب . وقوله : بـ كسر التاء الفوقية وسكون الراء .

(والوارثون عشرة إن تختزل هم ابنه وابن ابنه وإن نزل)
(أب وجد لأب أخ وعم وابناهما والزوج مع مولي النعم)

(والوارثون) من جنس الرجال (عشرة) بطريق الاختصار كما قال : (إن تُختزل) بضم التاء الفوقية وفتح الزاي ، أي : تُختصر . منهم اثنان من أسفل النسب وهما الابن وابن الابن ، واثنان من أعلاه وهما الأب والجد أبو الأب وإن علا ، وأربعة من الحواشي وهم الأخ لأبوين أو من أحدهما ، والعم لأبوين أو لأب ، وابن الأخ لأبوين أو لأب فقط ليخرج ابن الأخ لأم فلا يرث لأنه من ذوي الأرحام ، وابن العم المذكور . واثنان بغير النسب وهما الزوج ولو في عدة رجعية ، ومولي النعم ، أي : المولى المعتق ، والمراد به من صدر منه الإعتاق أو ورث به . أما طريق البسط هنا أن يقال : الوارثون من المذكور خمسة عشر : الأب وأبوه وإن علا ، والابن وابنه وإن نزل ، والأخ الشقيق والأخ للأب والأخ للأم ، وابن الأخ الشقيق وابن الأخ للأب ، والعم للأبوين والعم للأب ، وابن العم للأبوين وابن العم للأب ، والزوج ، والمعتق . وقول الناظم : أب ؛ بحذف واو العطف وهو سائق شائع في الكلام الفصيح .

(والوارثات سبع نسوة أقل بنت كذا بنت ابنه وإن سفل)
(أخت وأم جـدة وإن رقت وزوجة ثم التي قد اعتقت)

(والوارثات) من جنس النساء (سبع ..) بتقديم السين على الموحدة بطريق الاختصار كما قال : (أقل) منهن اثنان من أسفل النسب وهما البنت وبنت الابن (وإن سفل) أي : الابن ، وهذا أحسن من قول أصله : وإن سفلت ؛ لأنه يؤدي إلى دخول بنت بنت الابن في الإرث وهو خطأ : وواحدة من الحواشي وهي الأخت لأبوين أو لأحدهما . واثنان من أعلى النسب وهما الأم والجدة المدلية بوارث كأم الأب وأم الأم ، (وإن رقت) أي : علقت فخرج بالمدلية بوارث أم أبي الأم فلا ترث . واثنان بغير النسب وهما الزوجة ولو في عدة رجعية ، والمعتقة وهي من صدر منها العتق كما قال : (ثم التي قد اعتقت) أي : ورثت به كما مر . وطريق البسط هنا أن يقال : الوارثات من النساء عشرة : الأم ، والجدة للأب ، وللأم وإن علنا ، والبنت ، وبنت الابن وإن سفل ، والأخت الشقيقة ، والأخت للأب ، والأخت للأم ، والزوجة ، والمعتقة .

فائدة : الأنصح أن يقال في المرأة : زوج ، والزوجة لغة مرجوحة . قال النووي : واستعمالها في باب الفرائض متعين ليحصل الفرق بين الزوجين .

(وإن يكن كل الرجال اجتمعوا فابن وزوج وأب لم يمنعوا)
(أو النساء فالبنت مع شقيقته والأم مع بنت ابنه وزوجته)
(أو سائر النساء والرجال فخمسة لم يمنعوا بحال)
(ابن وبنت ثم أم والأب وزوجها أو زوجة لم يحجبوا)
(أو لم يخلف وارثاً مما علم فماله لبيت مال منتظم)

في هذه الأبيات مسائل : الأولى : لو اجتمع كل الذكور فقط — ولا يكون إلا والميت أنثى — ورث منهم ثلاثة : الأب ، والابن ، والزوج فقط لأنهم لا يحجبون ، ومن بقي محجوب بالإجماع . فابن الابن بالابن ، والجد بالأب ، الباقي . محجوب بكل منهما أو بالابن . وتصح مسائلهم من اثني عشر لأن فيها ربعا وسدسا : للزوج الربع ، وللأب السدس ، وللابن الباقي .

الثانية : إذا اجتمع كل النساء فقط — ولا يكون إلا والميت ذكر — فالوارث منهن خمس وهن : البنت ، وبنت الابن ، والأم ، والأخت لأبوين ، والزوجة . والباقي من النساء محجوب : الجدة بالأم ، والأخت للأم بالبنت ، وكل من الأخت للأب والمعتقة بالشقيقة لكونها مع البنت ، وبنت الابن عصبه تأخذ الفاضل عن الفروض . وتصح مسائلهم من أربعة وعشرين لأن فيها سدسا وثمنا ، للأم السدس ، وللزوجة الثمن ، وللبنت النصف ، ولبنت الابن السدس ، ولالأخت الباقي وهو سهم .

الثالثة : إذا اجتمع الذين يمكن اجتماعهم من الصنفين بأن اجتمع كلُّ الرجال والنساء إلا الزوجة فإنها الميتة ، أو كلُّ النساء والرجال إلا الزوج فإنه الميت ورث منهم من المسألتين خمسة : الأبوان ، والابن ، والبنت ، وأحد الزوجين ، وهو الزوج حيث الميت الزوجة ، وهي حيث الميت الزوج لحجبهم من عداهم . الأولى من اثني عشر : للأبوين السدسان ، وللزوج الربع ، والباقي وهو خمسة بين الابن والبنت أثلاثاً ، ولا ثلث لها صحيح فتضرب ثلاثة في اثني عشر تبلغ ستة وثلاثين ، ومنها تصح . والثانية أصلها أربعة وعشرون : للزوجة الثمن ، وللأبوين السدسان ، والباقي وهو ثلاثة عشر يعين للابن والبنت أثلاثاً ، ولا ثلث له صحيح فتضرب ثلاثة في أربعة وعشرين تبلغ اثنين وسبعين . ومنها تصح المسألة . الرابعة : إذا لم يكن وارث ، أو كان ولم يستغرق صرف التركة لبیت المال المنتظم إرثاً لا مصلحة لقوله ﷺ : « أنا وارث من لا وارث له ، أعقل عنه ، وأرثه » رواه أبو داود [٢٨٩٩] وغيره^(١) ، وهو ﷺ لا يرث لنفسه شيئاً ، وإنما يصرف ذلك في مصالح المسلمين ؛ لأنهم يعقلون عن الميت كالعصبة من القرابة ، فيضع الإمام تركته أو باقيها في بيت المال أو يخص منها من يشاء . وقد علم من كلام الناظم كغيره أن ذوي الأرحام لا يرثون ، وفي ذلك كلام طويل ذكرته في كتاب « الابتهاج في شرح نظم فرائض المهاج » فليراجع من أراد الكتاب لطالب هذا الفن .

ضابط : كل من انفرد من الذكور حاز جميع التركة ، إلا الزوج والأخ للأُم . ومن قال بالرد لا يستثنى إلا الزوج وكل من انفرد من الإناث لا يجوز جميع المال إلا المعتقة . ومن قال بالرد لا يستثنى من حوز جميع المال إلا الزوجة ، وما تضمنه هذه الأبيات من زيادته .

(واحجب بوصف تسعة من العدد مبعوض والقن مع أم الولد)
(مدبر مكاتب ومن كفر من مسلم والعكس أيضاً معتبر)
(وقاتل من القتل مطلقاً وذو ارتداد والذي تزندقاً)

اعلم أن الإرث يتوقف على ثلاثة أمور : وجود أسبابه ، ووجود شروطه ، وانتفاء موانعه .

فأما أسبابه فأربعة : قرابة ، وولاء ، ونكاح ، وجهة الإسلام .

وشروطه أربعة أيضاً : تحقق موت المورث أو إلحاقه بالموت حكماً كما في حكم القاضي بموت المفقود اجتهداً ، وتحقيق حياة الوارث بعد موت مورثه ولو بلحظة ، ومعرفة إدلائه للميت بقرابة أو نكاح أو ولاء ، والجهة المقتضية للإرث تفصيلاً .

والموانع أيضاً أربعة كما قال ابن الهائم في « شرح كافيته » : الرق ، والقتل ، واختلاف الدين ، والدور الحكمي . وهو أن يلزم من توريث الشخص عدم توريثه كآخ أقر بآب للميت فيثبت نسب الابن ولا يرث . وقول الناظم : (واحجب) أي : امنع أيها الفرضي ، إذ الحجب في اللغة : المنع . وشرعاً : منع من قام به سبب الإرث بالكلية أو من أوفر حظّه ، ويسمى الأول حجب حرمان ، والثاني حجب نقصان . فالثاني كحجب الولد الزوج من النصف إلى الربع ، ويمكن دخوله على جميع الورثة . والأول قسبان : حجب بالوصف ويسمى منعاً كالقتل والرق وسأني ، ويمكن دخوله على جميع الورثة أيضاً . وحجب بالشخص والاستغراق وهو المراد بقول الأصل^(٢) : ومن لا يسقط بحال خمسة : الزوجان ، والأبوان ، وولد الصلب . وقد بين الناظم الحجب بالوصف بقوله : (واحجب بوصف تسعة من العدد ..) . الأول : المبعوض إذ الصحيح أن المبعوض لا يرث بقدر ما فيه من الحرية لأنه ناقص بالرق في النكاح والطلاق والولاية فلم يرث كالقن . والثاني : القن ، أي : الرقيق . والثالث أم الولد . والرابع : المدبر . والخامس : المكاتب لنقصهم بالرق . ويغني عن هذا كله التعبير بالرق ، لكن الناظم أراد الإيضاح للمبتدئ ، ولا يورث الرقيق كله . وأما المبعوض فيورث عنه ما ملكه ببعضه الحرّ لأنه تام الملك عليه فيرثه عنه قريبه الحرّ ، أو معتق بعضه وزوجته ، ولا شيء لسيده لاستيفائه حقه مما اكتسبه بالرقية . والسادس : الكافر كما تضمنه قوله : (ومن كفر) إلى آخر البيت ، ف « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم »^(٣) لانقطاع الموالاة بينهما أما ملأ الكفر إذا كان لهما عهد فيتوارثان ، كيهودي من نصراني ، أو نصراني من مجوسي ، أو مجوسي من وثني وبالعكس ؛ لأن جميع ملل الكفر في البطلان كالملة الواحدة ، قال تعالى : ﴿ فمأذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ [يونس : ٢٢] ولا توارث بين حرّبي وذمّي لانقطاع الموالاة بينهما . والسابع :

(١) أي : « من الغاية » .

(٢) متفق عليه ؛ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما رواه البخاري (٤٢٨٣) ، ومسلم (١٦١٤) ، وأبو داود

(٢٩٠٩) . النسائي في « الكبرى » (٦٣٨٠) .

(١) و (٢٩٠٠) و (٢٩٠١) ، وابن ماجه (٢٧٣٨) ، والحاكم ٣٤٤/٤ ، والبيهقي ٢١٤/٦ ، وابن حبان (٦٠٣٥)

عن المقدم بإسناد قوي .

القاتل ، فلا يرث القاتل من مقتوله مطلقاً لحبر أبي داود (٤٥٦٤) والنسائي في « الكبرى » (٦٣٦٧) وغيره : « ليس للقاتل شيء »^(١) أي : من الموارث ، ولأنه لو ورث لم يؤمن أن يستعجل الإرث بالقتل ، فاقضت المصلحة حرمانه . والثامن : (وذو ارتداد) . والتاسع : الزنديق كما قال : (والذي ترندقا) بألف الإطلاق ، فلا يرث ولا يرث : وهو من لم يتدين بدين ، وكذا نصراني تهود أو يهودي تنصر أو نحوه . والتصريح بالزنديق من زيادته .

ثم شرع في بيان الفروض وأصحابها ، وهم كل من له سهم مقدّر شرعاً لا يزيد عليه ولا ينقص ، وقدر ما يستحقه كل منهم فقال :

فصل

(ثم الفروض ستة مقدّره وفي كتاب ربنا مقررره)
(ربع ونصف الربع ثم ضعفه والثلث ثم ضعفه ونصفه)

(الفروض) جمع فرض بمعنى النصيب ، أي : الأنصباء (ستة) بمَعُول وبدونه (مقدّرة) للورثة (وفي كتاب ربنا) سبحانه وتعالى (مقررّة) ويعبر عنها بعبارة أوضحها النصف والربع والثلث والثلثان والثلث والسدس ، وأخصرها : الربع والثلث ، وضعف كلٍّ ، ونصفه ، وإن شئت قلت : النصف ونصفه ونصف الثلثان ونصفهما ونصف النصفين ، وإن شئت قلت ما ذكره الناظم .

فائدة : الفروض الستة يجمعها « هياذير » ، فالهاء في حساب الجمل بخمسة وهي عدد أصحاب النصف ، والباء باثنين وهي عدد أصحاب الربع ، والألف بواحد وهو إشارة لأصحاب الثمن ، والدال بأربعة وهو عدد أصحاب الثلثين ، والباء باثنين وهو عدد أصحاب الثلث ، والزاي بسبعة وهو عدد أصحاب السدس . وقول الناظم : رُبُع ، والرُّبُع ؛ بإسكان الموحدة . وقوله : والثلث ؛ بإسكان اللام .

(فالنصف فرض خمسة زوج ورث إن ينفرد عن فرع زوجة يرث)
(بنت وبنت ابن وأخت للأب والأم أيضاً ثم أخت من أب)

(١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما مطولاً . ولفظ النسائي : « ليس للقاتل من الميراث شيء » .

في التسخ : لحبر الترمذي وغيره ، وأما حديث الترمذي (٢١١٠) فمن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « القاتل لا يرث » ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٦٤٥) و(٢٧٣٥) ، والبيهقي ٢٢٠/٦ . وقال الترمذي هذا حديث لا يصح . والعمل على هذا عند أهل العلم أن القاتل لا يرث كان القتل عمداً أو خطأ . وقال بعضهم : إذا كان القتل خطأ فإنه يرث وهو قول مالك . وعن ابن عباس رواه الدارقطني ٩٦/٤ بإسناد ضعيف : « لا يرث القاتل شيئاً » . وحديث عكرمه رواه البيهقي ٢٢٠/٦ : « من قتل قتيلاً فإنه لا يرثه ، وإن لم يكن له وارث غيره » . فهذه الأحاديث ضعيفة تنقو بعضها .

(إن تخل كل عن معصب لها ومثلها وكل أنثى قبلها)

الفرض الأول : النصف ، وبدأ الناظم به كغيره لكونه أكبر كسر مفرد ، وهو فرض خمسة :

أحدها : الزوج إن ينفرد عن فرع زوجة : إذا لم يكن لزوجته ولد منه أو من غيره ، ولا ولد ابن وإن نزل لقوله تعالى : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ﴾ النساء : ١٢ . وولد الابن كولد الصلب في حجب الزوج من النصف إلى الربع ، إما لصدق اسم الولد عليه مجازاً ، وإما قياساً على الإرث والتعصيب ، فإنه فيما كولد الصلب إجماعاً .

تبيه : الولد يصدق بالذكر والأنثى ، وأفاد الناظم بقوله : (فرع زوجة يرث) إخراج ولد قام به مانع من نحو رق ككفر .

وثانيها : البنت إذا انفردت عن جنس البنوة والأخوة لقوله تعالى : ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ النساء : ١١ .

وثالثها : بنت الابن وإن نزل بالإجماع إذا انفردت عن تعصيب وتنقيص ، فخرج بالتعصيب ما إذا كان معها أخ في درجتها فإنه يعصبها ويكون لها نصف ما حصل له ، وبالتنقيص ما إذا كان معها بنت صلب فإن لها معها السدس تكملة الثلثين .

ورابعها : الأخت للأب والأم ، أي : الشقيقة .

خامسها : الأخت للأب إذا انفردت عن جنس البنوة والأخوة لقوله تعالى : ﴿ وله أخت فلها نصف ما ترك ﴾ النساء : ١٢٦ قال ابن الرفعة : أجمعوا على أن المراد بها الأخت الشقيقة والأخت من الأب . وقول الناظم : (إن تخل كل عن معصب لها) إلى آخره ، علم تقريره مما قرّره في الشرح ، وخرج بقيد الانفراد عما ذكر في الأربعة الزوج ، فإن لكل واحدة مع وجوده النصف أيضاً .

(والربع فرض زوجها مع الولد وزوجة إن لم يكن له ولد)

الفرض الثاني : الربع وهو فرض اثنين ، الزوج مع الولد لزوجته منه أو من غيره لقوله تعالى : ﴿ فإن كان لهن ولد فلكم الربع ﴾ النساء : ١٢ . وولد الولد كالولد لما مرّ . وفرض زوجة واحدة أو أكثر إن لم يكن له ، أي : للزوج ولد لقوله تعالى : ﴿ ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد ﴾ النساء : ١٢ . وولد الولد كالولد بالإجماع . واعلم أن ولد البنت لا يرث ولا يحجب أحداً .

(واحكم لها بالثمن مع فرع يرى وليشتركن حيث كن أكثر)

الفرض الثالث : الثن وهو فرض الزوجة أو الزوجات بالسوية ، مع فرع للزوج منها أو من غيرها ولد أو ولد ابن وإن نزل لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّنُ ﴾ [النساء : ١٢] وولد الولد كالولد كما تقدم ، والألف في قوله : أكثر ، للإطلاق .

(والثلاثان فرض أربع وهن ذوات نصف عددت رؤوسهن)

الفرض الرابع : (الثلاثان) وهو (فرض أربع وهن . ذوات نصف عُدَّت رؤوسهن) أي : ضابط من يرث الثلثين من تعدد من الإناث من فرضهن النصف عند انفرادهن عمن يعصبن أو يحجبن ، والمراد بهن البنات فأكثر ، وبنات الابن فأكثر ، والأختان الشقيقتان فأكثر ، والأختان من الأب فأكثر . أما في البنيتين فبالإجماع المستند إلى ما صححه الحاكم [٣٣٣/٤ - ٣٣٤] : أنه عليه السلام أعطى بنتي سعد بن الربيع الثلثين . وإلى القياس على الأختين . وأما في الأختين فلقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ [النساء : ١٢٦] وأما في الأكثر فلعموم قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثُ مَا تَرَكَ ﴾ [النساء : ١١] .

(والثالث فرض أم ذلك الميت)	عند انتفاء فرعهِ والإخوة)
(وفرض ولد الأم إن يكن عدد)	والسدس فرض سبعة أب وجد)
(إن كان فرع وارث للميت)	والأم مع فرع له أو إخوة)
(والسدس للجدات مطلقاً يعم)	وفرض أخت أو أخ فقط للأم)
(وبنات الابن إن تكن مع ابنته)	والأخت من أبيه مع شقيقته)
(وضابط الجدّة في الميراث)	إدلائها بمخلص الإناث)
(أو بالذكور الخالصين أو هما)	إن كان خالص النساء مقدما)
(والجد إن أدلى بأنثى لم يرث)	فكل من أدلت به ليست ترث)

الفرض الخامس : (الثالث) وهو فرض اثنتين : (فرض .. الأم) (عند انتفاء فرعهِ) أي : الميت (أو إخوة) والمعنى : إذا لم تحجب حجب نقصان بأن لم يكن لميتها ولد ولا ولد ابن وارث ولا اثنان من الأخوة للميت سواء كانوا أشقاء أم لا ، ذكوراً أم لا ، مجموعين بغيرهم كأخوين لأم مع جد أم لا ، لعموم قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثَّلَاثُ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السَّدْسُ ﴾ [النساء : ١١] وولد الابن ملحق بالابن . والمراد بالإخوة اثنان فأكثر إجماعاً قبل إظهار ابن عباس الخلاف .

تنبيه : يشترط أيضاً أن لا يكون مع الأم أب وأحد الزوجين فقط ، فإن كان معها ذلك ففرضها ثلث الباقي . (و) (الثالث أيضاً) (فرض وُلِدِ الأم) بضم الواو وسكون اللام ، أي : أولاد الأم

(إِنْ يَكُنْ عَدَدٌ) والمعنى : فرض اثنتين فصاعداً من الإخوة والأخوات من ولد الأم يستوي فيه الذكر وغيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَا أُمِّهِ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السَّدْسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ ﴾ [النساء : ١٢] ، والمراد أولاد الأم بدليل قراءة ابن مسعود وغيره : « وله أخ أو أخت من أم »^(١) وهي وإن لم تتواتر لكنها كالخير في العمل على الصحيح .

تنبيه : قد يفرض الثلث للجد مع الإخوة فيما إذا نقص عنه بالمقاسمة كما لو كان معه ثلاثة إخوة فأكثر .

الفرض السادس : (السدس) وهو (فرض سبعة أب وجد * إن كان فرع وارث للميت) أي : فرض الأب مع الولد أو ولد الابن وإن نزل ، وفرض الجد للأب عند عدم الأب المتوسط بينه وبين الميت إذا كان للميت ولد أو ولد ابن لقوله تعالى : ﴿ وَلِأُخْوَتِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السَّدْسُ ﴾ [النساء : ١١] الآية ، وولد الولد كالولد كما مر ، (و) (فرض (الأم) (مع فرع له) أي للميت ، أي : (و) (مع (إخوة) له . والمعنى : والسدس فرض الأم مع الولد أو ولد الولد وإن نزل ، أو مع اثنتين فأكثر من الإخوة والأخوات . والسدس أيضاً للجدات مطلقاً ، أي : للجدات الوارثات لأب أو لأم ، لخير أبي داود [٢٨٩٤] وغيره^(٢) : أنه عليه السلام أعطى الجدات السدس . وروى الحاكم [٣٤٠/٤] بسند صحيح أنه عليه السلام قضى به للجدتين^(٣) . والمراد بقول الأصل : للجدّة ؛ الجنس ؛ لأن الجدتين فأكثر الوارثات تشتركان أو يشتركن في السدس ، ولذلك قال الناظم : (والسدس للجدات مطلقاً يعم) . (و) (السدس أيضاً) (فرض أخت أو أخ فقط لأم * وبنث الابن إن تكن مع ابنته . والأخت من أبيه مع شقيقته) وإيضاح ذلك باختصار : أن السدس فرض سبعة : الأم مع الولد أو ولد الولد أو اثنتين من الإخوة والأخوات ، وللجدّة الوارثة لأب أو لأم ،

(١) روى البيهقي في « السنن » ٢٣١/٦ عن سعد رضي الله عنه أنه كان يقرؤها . ونسب كل من أبي حيان في « البحر المحيط » والزمخشري في « الكشاف » القراءة إلى أبي سعيد . ولم أجد من ذكرها عن ابن مسعود وكذلك لم يذكرها ابن جني في « المحتب » ولا ابن خالويه في « مختصر شواذ القرآن » ، ولا في « القراءات الشاذة » الشيخ عبد الفتاح القاضي .

(٢) من حديث قبيصة بن ذؤيب ، وكذا رواه الترمذي (٢١٠٢) ، والنسائي في « الكبرى » (٦٣٤٦) وفيه : فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : حضرت رسول الله ﷺ فأعطاه السدس ، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر ، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسأله ميراثها ، فقال : مالك في كتاب الله شيء ، وما كان القضاء الذي قضى به إلا لعيرك ، وما أنا برائد في القرائض ، ولكن هو ذلك السدس فإن اجتمعتا فيه فهو بينكما ، وأينكما خلت به فهو لها .

(٣) عن عبادة رضي الله عنه باللفظ : إن قضاء رسول الله ﷺ للجدتين من الميراث بينهما بالموتية . وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي .

ولبنت الابن فأكثر مع بنت الصلب ، ولالأخت من الأب مع الأخت الواحدة من الأب والأم ، وللأب مع الولد أو ولد الولد وإن نزل ، والجد للأب عند عدم الأب ، ولواحد من ولد الأم . وأدلة ما ذكر شهيرة في كتب هذا الفن فلا نطيل بها . وقول الناظم من زيادته : (وضابط الجدة في الميراث) إلى قوله : (مقدّمًا) أشار به إلى أن الضابط لإرث الجدات الوارثات هو كل جدة أدلت ، أي : وصلت بمحض جمع من الإناث كأم أم الأم ، أو الذكور كأم أبي الأب ، أو إناث إلى ذكور كأم أم الأب فهن أهل ميراث . ومن تكن بذكر أدلت بين اثنتين كأم أبي الأم فلا ترث ، كما لا يرث ذلك الذكر . وحكى ابن المنذر فيه الإجماع . وقوله من زيادته : (والجد إن أدلى بأنثى لم يرث) أشار به إلى أن الجد المدلي بأنثى لا يرث شيئاً ، كما أن الأثنى التي أدلت به لا ترث شيئاً . ومن أراد الوقوف على بسط الكلام فليراجع كتابنا المسمى « الابتهاج في شرح فرائض المنهاج » فإنه يشفي العليل في هذا الفن .

(وسائر الجدات بالأم احجب وسائر الأجداد أسقط بالأب)
(ويحجب ابن الأم جدد والأب وبالفروع الوارثين يحجب)

جميع الجدات تسقط بالأم أيضاً إجماعاً ؛ لأن الجدة إنما تستحق بالأمومة والأم أقرب منها ، وجميع الأجداد تسقط بالأب بالإجماع . (وَيَحْجُبُ ابْنُ الْأُمِّ جَدَّ وَالْأَبُ) بالإجماع (وبالفروع الوارثين يُحْجَبُ) أيضاً ، أي : بالولد وولد الابن وإن نزل ذكراً كان أو أنثى . وقوله : (وسائر) بالنصب في الموضوعين مفعولاً لقوله أَحْجَبُ ، وَأَسْقَطُ .

فصل : في التعصيب

(وكل ما بعد الفروض قد بقي فاحكم به لعاصب وأطلق)
(ومن يعصب نفسه إن انفرد عن الفروض حاز كل ما وجد)
(وهم ذكور ما عدا ذات الولا مرتببون أولاً فـأولاً)
(كل امرئ لمن يليه يحجب فالأقرب ابن فابن ابن فالأب)
(فجده في رتبة الأخوة وقدموا شقيقه للقوة)
(فمن أب فابن الشقيق قد وجب تقديمه على ابن من أدلى بأب)
(فعمه شقيقه فمن أب فابن الشقيق فابن عم للأب)
(فمعتق فسائر الموالى مرتبين ثم بيت المال)
(وكل أنثى ذات نصف كفها شقيقها ونال معها ضعفها)

(وأخته لغير أم إن أنت مع ابنة أو بنت ابن عصب)
(وابن الأخ المدلي له بغير أم وعاصب المولى وعم وابن عم)
(كل امرئ من هؤلاء الأربعه ورثه دون أخته ولو معه)

(وكل ما) أي : الذي أو شيء (بعد الفروض قد بقي) من الميراث (فاحكم به) أيها الفرضي (لعاصب) والعاصب : هو الذي ليس له سهم مقدر حال تعصبيه ، وهو صادق بالعصبة بنفسه وهو كل ذي ولاء أو ذكر نسب ليس بينه وبين الميت أنثى ، وبغيره وهو كل أنثى عصبها ذكر ، ومع غيره وهو كل أنثى تصير عصبه باجتماعها مع أخرى ، وهذا مراده بقوله : (وأطلق) . وقوله : (ومن يعصب نفسه) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أن من انفرد من العصبة حاز جميع المال لخبر : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر »^(١) ، وقوله : (وهم ذكور ما عدا ذات الولا) أشار به إلى أن العصبة هم الذكور ما عدا ذات الولا ، أي : المعتقة ، فإنها أنثى . واعلم أن كل من ذكر من الرجال عصبه إلا الزوج والأخ للأم ، وكل من ذكر من النساء ذات فرض إلا المعتقة . وقوله : (مرتبون) أي : وهم ، أي : العصبة مرتبون (أولاً فـأولاً * كل امرئ) منهم (لمن يليه يَحْجُبُ) أي : يمنع ، (فالأقرب) من العصبات من النسب (ابن) لقوة عصبوته ؛ لأنه فرض للأم معه السدس وأعطى هو الباقي ، ولأنه يعصب أخته بخلاف الأب ، (فابن ابن) أقرب العصبات بعد الابن ، فهو مقدم على الأب لما مر ، ومؤخر عن الابن لإدلائه به ، (فالأب) لإدلاء سائر العصبة به ، (فجده) أي : للأب وإن علا كأي أبي الأب وهكذا . وقوله : (في رتبة الأخوة) فيه إشارة إلى اجتماع الجد والإخوة ، والكلام فيها خطير ويعلم من المتوسطات . وقوله : (وقدموا شقيقه ..) أي : الأخ للأبوين لقوته . (فـ) الأخ (من أب) بعد الشقيق ، (فابن) الأخ (الشقيق قد وجب . تقديمه على ابن من أدلى بأب * فعمه) أي : الميت ، (شقيقه) أي : لأبوين ، (فمن أب) أي : فعم لأب ، (فابن) العم (الشقيق فابن العم للأب) ، وهكذا تقدم الأقرب فالأقرب حتى تنتهي عصبات النسب . (فمعتق) أي : ثم بعد عصبية النسب الميراث للمعتق^(٢) (فسائر الموالى . مرتبين) فإن لم يكن معتق فالميراث لعصبته من النسب ، فإن لم يكن له عصبية فلمعتق ثم عصبته كذلك وهكذا . ولا ترث امرأة بولاء إلا معتقها

(١) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (٦٧٣٢) ، ومسلم (١٦١٥) .

(٢) لما رواه الشافعي ٢/ (٢٣٧) ، وأحمد (٤٥٦٠) ، والحاكم ٤/ ٣٤١ ، والبيهقي في « السنن » ٢٩٢/١٠ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الولاء لحة كلحمة النسب ، لا يباع ولا يوهب » . قال البيهقي عقبه : إنما رواه الحسن مرسلاً . وإسناده صحيح .

أو متمياً إليه بنسب أو ولاء . (ثم بيت المال) أي : ثم إن لم يوجد للميت عصابة نسب أو ولاء فالمال أو الفاضل بعد الفرض لبيت المال المنتظم إرثاً لا مصلحة كما مر . وقوله : (وكل أنثى ذات نصف كفها . شقيقها) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أن الأخت الشقيقة أو لأب يعصّبها أخ يساويها قريباً ، فيكون المال أو ما بقي منه بعد الفروض للذكر مثل حظ الأنثيين ، كما يعصّب الابنُ البنتَ ، وخرج بالمساوي غيره ، فلا يعصّب الأخُ للأب الأختَ الشقيقة بل يفرض لها ويأخذ الباقي بالتعصيب ، ولا الأخُ للأبوين الأختَ للأب بل يحجبها . وقوله : (وأخته لغير أم) أي : لأبوين أو لأب (إن أتت . مع ابنة أو بنت ابن عُصْبَتِ) أشار به إلى أن الأخوات لأبوين أو لأب مع البنات أو بنات الابن عصابة كالإخوة . وقوله : (وابن الأخ) إلى آخر البيتين معناه : أربعة يرثون دون أخواتهم ؛ لأن الإناث إذا لم يرثن في النسب البعيد فلأن لا يرثن في الولاء الذي هو أضعف من النسب البعيد أولى . ولا تخفى زيادة الناظم على أصله هنا . وحاصل ما تقدم أن مراتب التعصيب خمسة : البُنىة ، ثم الأبوة ، ثم الأخوة ، ثم العمومة . ثم الموالي . وهذا الفن مفرد بالتأليف ، والله أعلم .

باب الوصية

الشاملة للإيصاء . وهي في اللغة : الإيصال ، من وَصَى الشيء بكذا : وصله به ، لأن الموصي وصل خير دنياه بخير عقابه . وشرعاً — لا بمعنى الإيصاء^(١) — : تبرّع بحق مضاف ولو تقديرًا . لما بعد الموت ، ليس بتدبير ولا تعليق عتق بصفة ، وإن التحق بها حكماً ، كالترع المنجز في مرض الموت أو الملحق به . والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ [النساء : ١٢] وخبر الصحيحين : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »^(٢) ، وخبر : « المحروم من حُرْم الوصية »^(٣) ؛ من مات على وصية مات على سبيل وسنة ، ومات على ثقي وشهادة ، ومات مغفوراً له^(٤) .

وأركانها أربعة : صيغة ، وموصر ، وموص له ، وموصى به .

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (وللمريض تندب الوصيه | وشرطه التكليف والحريه) |
| (بجائز موجود أو معلوم | كذلك بالجهول والمعلوم) |
| (لكل شخص ملكه تصورا | أو جهة تحريمها لن يظنهما) |
| (وتعتبر من ثلث مال الموصي | وذلك عند الموت بالخصوص) |
| (فإن يزد أوقفت ما يزد | حتى يميز الوارث الرشيد) |
| (ولم تجز للوارث الوصيه | إلا إذا أجازها البقيه) |

(وللمريض تندب الوصيه) للأخبار الواردة فيها ، (وشرطه) أي : الموصي (التكليف) أي : بالبلوغ والعقل . (والحريه) أي : والاختيار ، فلا تصح من صبي ومجنون ومغمى عليه ورقيق

(١) أن يعهد الرجل قبل موته إلى من يثق به بالإشراف على أولاده ، وتنفيذ وصيته ، وقضاء ديونه ، وسيأتي .

(٢) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٢٧٣٨) ، ومسلم (١٦٢٧) ، والبيهقي ٢٧٢/٦ ، وابن ماجه (٢٦٩٩) .

(٣) أخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ابن ماجه (٢٧٠٠) وفي إسناده يزيد الرقاشي ضعيف .

(٤) أخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ابن ماجه (٢٧٠١) في إسناده بقة وهو مدلس . وشيخه يزيد بن عوف لم أر من تكلم فيه . قاله في « الزوائد » .

ولو مكاتباً، ومكره كسائر العقود، والسكران كالمكلف، وتصح من كافر ومحجور عليه بسفه أو فلس لصحة عبارتهم. وتجوز الوصية بالمنافع المباحة وحدها كما أشار إليه بقوله من زيادته: (بجائز). وتجوز بالشئ الموجود كأوصيت له بهذه المنة؛ لأنها إذا صحت بالمعدوم فبالموجود أولى. وتجوز بالشئ المعدوم كأن يوصي بثمر أو حمل شيء يحدث؛ لأن الوصية يحتمل فيها وجوه من الغرر وفقاً للناس وتوسعة. وكذلك تجوز الوصية بالشئ المجهول عنه كأوصيت لزيد بمالي الغائب وعبد من عبيدي، أو قدره كأوصيت له بهذه الدراهم، أو نوعه كأوصيت له بصاع حنطة، أو جنسه كأوصيت له بثوب، أو صفته كالحمل الموجود؛ لأن الوصية تحتمل الجهالة. وتجوز بالشئ المعلوم وإن قل كحيتي الحنطة. وتجوز بالمبهم كأحد عبيدي. وتجوز بالعين دون المنفعة، وبالعين لواحد وبالمنفعة لآخر. ويشترط في الموصى به كونه مقصوداً كما في «الروضة»، فلا تصح بما لا يقصد كالدّم، وكونه يقبل النقل من شخص إلى شخص، فما لا يقبل النقل كالقصاص وحدّ القذف لا تصح الوصية به؛ لأنهما وإن انتقلا بالإرث لا يتمكن مستحقهما من نقلهما. نعم لو أوصى به لمن هو عليه صحّ كما صرحوا به في باب العفو عن القصاص. ثم أشار الناظم إلى الموصى له بقوله: (لكل شخص ملكه تُصوّراً) أي: بأن يتصوّر له الملك عند موت الموصي ولو بمعاقدته عليه، فلا تصح الوصية لدابة لأنها ليست أهلاً للملك. ويشترط فيه أيضاً عدم المعصية كما أفاده الناظم بقوله من زيادته: (أو جهة تحريمها لن يظهرها) فلا تصح بمسلم لكافر لكونها معصية. ويشترط فيها لفظ يشعر بالوصية، وفي معناه ما مر في الضمان. (ولعتبر) أي: الوصية (من ثلث مال الموصي) سواء أوصى به في صحته أو في مرضه لاستواء الكل وقت اللزوم حال الموت. وأشار الناظم بقوله من زيادته: (وذلك عند الموت بالخصوص) إلى أن المال الموصى بثله يعتبر يوم الموت؛ لأن الوصية تمليك بعد الموت، ويعتبر من الثلث تبرّع نجزه في مرضه الذي مات فيه كوقف وعمق وهبة وإبراء لخير: «إن الله تصدّق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم في حياتكم ليجعلها لكم زيادة في أعمالكم»^(١). ويندب للموصي أن لا يوصي بأكثر من ثلث ماله، والأولى أن ينقص منه شيئاً لخير الصحيحين: «الثلث والثلث كثير»^(٢)، فما زاد على الثلث وقف الزائد على إجازة الورثة كما قال: (فإن يزد) على الثلث (أوقفت) أيها الفقيه (ما يزيد. حتى يجوز الوارث الرشيد) فبطل الوصية بالزائد إن ردّه وارث خاص مطلق التصرف لأنه حقه، فإن لم يكن

(١) أخرجه عن معاذ الطبراني في «الكبير» ٥٤/٢٠، وعن أبي الدرداء أحمد ٤٤٠/٦ — ٤٤١، والبخاري (١٨٣٢) مختصراً.

وعن أبي هريرة ابن ماجة (٢٧٠٩)، والطحاوي ٤١٩/٢، والبيهقي في «السنن» ٢٦٩/٦، وفي الباب عن أبي بكر رضي الله عنه وعن خالد بن عبيد. وكل طرقه ضعيفه لكن يقوي بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه البخاري، (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

له وارث خاص بطلت في الزائد؛ لأن الحق للمسلمين فلا يجوز، أو كان — له وارث خاص — وهو غير مطلق التصرف، فالظاهر كما بحثه بعضهم أنه إن توقعت أهليته وقف الأمر إليها وإلا بطلت، وعليه يحمل ما أفق به السبكي من البطلان، وإن أجاز فإجازته تنفيذ للوصية بالزائد.

تنبيه: المعتمد أن الزيادة على الثلث مكروهة كما قاله المتولي وغيره، وإن قال القاضي وغيره إنها محرمة. وقوله: (ولم تجز للوارث الوصية) أي: تكره كراهة تنزيه لوارث خاص غير حائز بزائد على حصّة لقوله ﷺ: «لا وصية لوارث» رواه أصحاب السنن^(١) (إلا إذا أجازها البقية) أي: بقية الورثة المطلقين التصرف لقوله ﷺ: «لا وصية لوارث إلا أن يجيز الورثة» رواه البيهقي [٢٦٣/٦ — ٢٦٤] بإسناد قال الذهبي: صالح. وقياساً على الوصية لأجنبي بالزائد على الثلث، ولا عبرة بردّ بقية الورثة وإجازتهم للوصية في حياة الموصي. والألف في قوله: تُصوّراً، و: لن يظهرها؛ للإطلاق.

فائدة: من الحيل في الوصية للوارث أن يقول: أوصيت لزيد بألف إن تبرّع لولدي بخمس مئة مثلاً، فإذا قبل لزمه دفعها إليه.

ثم شرع الناظم في الإيصاء وهو إثبات تصرف مضاف لما بعد الموت فقال:

(ويندب الإيصاء إلى مكلف حرّ أمين محسن التصرف)
(ينظر في مصالح الأطفال وحفظ ما أبقي لهم من مال)
(وكل ما أوصى به بمضيئه وكل دين ثابت يقضيئه)

أي: (يندب الإيصاء) في التصرفات المالية المباحة. يقال: أوصيت لفلان بكذا، و: أوصيت إليه، ووصيته: إذا جعلته وصياً. وقد أوصى ابن مسعود فكتب: وصيتي إلى الله تعالى وإلى الزبير وابنه عبد الله.

وأركان الإيصاء أربعة: مؤصر، ووصي، ومؤصّي فيه، وصيغة. ويصح الإيصاء (إلى مكلف) أي: بالغ عاقل (حرّ أمين) أي: عدل كما عبر به بعضهم، أو غير خائن (محسن التصرف) أي: يهتدي، فلا يصح الإيصاء لمن فقد شيئاً من ذلك كصبي ومجنون ومن به رقّ وفاسق، ومن لا يكفي في التصرف لسفه أو هرم أو غيره لعدم الأهلية في بعضهم، وللتهمة في

(١) أخرجه الشافعي ٢/٢٧٥ (عن مجاهد، وأبو داود ٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢١)، وابن ماجة (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة، والترمذي (٢١٢٢)، والنسائي ٢٤٧/٦، وابن ماجة (٢٧١٢) عن عمرو بن خارجة.

الباقى . ومن الشروط أيضاً : الإسلام وعدم عداوة منه للمولى عليه ، فلا يصح الإيصاء إلى كافر على مسلم ، ولا إلى من به عداوة ، ويصح الإيصاء إلى كافر معصوم عدل في دينه على كافر . وتعتبر هذه الشروط عند الموت على الأصح . ويصح الإيصاء في قضاء الدين وتنفيذ الوصية من كل حرّ مكلف . ويشترط في أمر الأطفال مع هذا أن يكون له ولاية عليهم ابتداء ، ولا يضّر عمى ولا أنوثة ، والأم أولى من غيرها إذا حصلت الشروط فيها عند الموت . وأشار الناظم بقوله : (ينظر في مصالح الأطفال وحفظ ما أبقي لهم من مال) وينفذ وصاياه ويقضي ديونه ويردّ عواريه وودائعهم ونحوها ، ويعزل الوصي بالفسق ، وكذا القاضي في الأصح لا الإمام لتعلق المصالح الكلية بولايته . ويتشترط في الموصى فيه كونه تصرفاً مالياً مباحاً ؛ فلا يصح الإيصاء في تزويج ولا في معصية كنباء كنيسة . والوصايا جائزة ، فللوصي عزل نفسه إلا أن يتعين أو يغلب على ظنه تلف المال باستيلاء ظالم ، وله أن يوكل فيها لم تجر العادة بمباشرته لثله ، فإذا بلغ الطفل ونازعه في الإنفاق عليه صدّق الوصي بيمينه ، وكذا لو ادّعى الإسراف فيه ولم يعين قدراً ، وإن عينه يُظنر فيه وصدّق من يقتضي الحال تصديقّه . ولو ادّعى أنه باع مالاً بلا حاجة ولا غبطة فالقول قول المدعي بيمينه ، ولو ادّعى الولي دفع ماله إليه بعد البلوغ أو الإفاقة والرشد لم يقبل قوله إلا بينة .

خاتمة : لو كان عنده يتيم له مال ولا ولاية له عليه ولا وصاية ويخاف لو سلمه إلى وليّ الأمر لضاع فله أن يتصرّف فيه وينظر في أمره ، قاله ابن الصلاح رحمه الله .

ولما فرغ الناظم من الكلام على ما يتعلق بالمعاملات . شرع في الكلام على ما يتعلق بربع المناكحات الحافظ للإنسان الثمر نتائج الذراري والقربات ، وقد قدم من ذلك الربع كتاب النكاح على غيره من الأبواب الآتية فقال :

كتاب النكاح

لأنه الأصل لها ، وقد قيل : إن للنكاح ألفاً وأربعين اسماً ، إذ من عادة العرب أنهم إذا ألفوا شيئاً تجاذبوه بكثرة الأسماء كالسيف والأسد إلى غير ذلك . وهو لغة : الضم والجمع ؛ يقال : تناكحت الأشجار : إذا تمايلت وانضم بعضها إلى بعض . وشرعاً : عقد زوج يصح طلاقه أو القائم مقامه بإيجاب وقبول على امرأة خلية عن نكاح وعدة يملك عليها حلّ الاستمتاع تحصناً وتخليصاً للنسل والذرية بوليّ مرشد وشاهدي عدل ، وهو حقيقة في العقد مجاز في الوطء على الأصح . والأصل فيه قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ [النساء : ٣] وقوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ [النور : ٣٢] وأخبار كخير : « تناكحوا تكثرُوا فإني أباهي بكم الأمم حتى السقط »^(١) ، وخير : « من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي ، ومن سنتي النكاح » رواهما الشافعي^(٢) [الأم : ١٤٤/٥] بلاغاً .

وقد جرت عادت أئمتنا رحمة الله عليهم أن يفتتحوا هذا الكتاب بذكر شيء من خصائصه عليه السلام ، وقد أحببت أن أذكر في هذا شيئاً منها تبرّكاً ؛ لأن ذكره عليه السلام يزيد في الإيمان ،

(١) وأخرجه بلاغاً عن الشافعي البيهقي في « معرفة السنن والآثار » (١٣٤٤٨) ، وله شواهد : فعن معقل بن يسار أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) ، والنسائي ٦٥/٦ - ٦٦ ، والحاكم ٦٢/٢ : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » . وعن أنس أخرجه ابن حبان (٤٠٢٨) بسند صحيح : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر الأنبياء يوم القيامة » ، وعن أبي أمامة روى البيهقي في « السنن » ٧٨/٧ : « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ، ولا تكونوا كرهبانية النصارى » .

(٢) في النسخ الشيوخان ، والتصويب من « مواهب الصمد » ص ١١٤ ، ومصادر التخرّج . فقد أخرجه البيهقي في « معرفة السنن » (١٣٤٤٩) بلاغاً عن الشافعي عن ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة عن عبيد بن سعد وفي « السنن » ٧٨/٧ ، وسعيد بن منصور (٤٨٧) ، وعبد الرزاق (١٠٣٧٨) ، وأبو يعلى (٢٧٤٨) كلهم من طريق سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن عبيد بن سعد به . وله شاهد عن أنس عند البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) وفيه : « لكي أصوم وأفطر ، وأصلب وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وذكره في « المطالب العلية » (١٥٨٦) وقال : مرسل بسند صحيح .

ولأن الكلام في الخصائص^(١) والعلم بها مستحبٌ ، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً ؛ لأنه ربما جاهل جهل بعض خصائص ثابتة في الصحيح فعمل بها بأصل التأسي — الاقتداء — ، فوجب بيانها لشرف فلا يعمل بها . فإذا علمت ذلك فأقول :

نُحِصَ النبي ﷺ بوجوب صلاة الضحى ، ووجوب الأضحية ، وصلاة الوتر ، والتهجد : وهو الصلاة بالليل ، لكنه نسخ في حقه كما نسخ في حق غيره ، ووجوب السواك وتحجير نسائه في نفسه ، ووجوب طلاق من رغب في نكاحها على الزوج ، ووجوب إجابته على المصلي ولا تبطل صلاته ، ووجوب المشاورة في الأمر مع أهله وأصحابه ، ووجوب تغيير المنكر ، ووجوب مصابرة العدو الكثير ، وقضاء دين الميت المسلم المعسر .

ونُحِصَ من الحُرْمَات بتحريم صدقة الفرض والتطوع عليه ، وحرمت الزكاة على قريبه وعلى مواليمه ، وبجرمة رفع الصوت عليه ، وبجرمة ندائه من وراء حجرته وندائه باسمه ، بل يا نبي الله ، يا رسول الله ، وبجرمة نزع لأمته — درعه — حتى يقاتل ، وبجرمة خائنة الأعين ، وهو أن يشير بالعين إلى مباح مما يخالف الظاهر ، وحرمة المن أن يستكثر وهو أن يعطي شيئاً ليأخذ أكثر منه ، ورحمة إمساك كارهته في النكاح ، وحرمة نكاح الكثائية ونكاح الأمة ، وحرمة من دخل بها بملك يمين ونكاح لغيره .

ونُحِصَ من الإباحات بإباحة الوصال في الصوم ، وإباحة صفي المغنم : وهو ما يختاره قبل القسمة من جارية وغيرها ، وإباحة خمس الخمس من الفياء والغنيمة ، وإباحة كل ميراثه صدقة ، وإباحة أن يشهد ويقبل الشهادة ويحكم لنفسه وولده ، وإباحة أن يحمي لنفسه وأن يأخذ طعام المحتاج إليه وعلى المحتاج البذل منه ، وأن يزوج امرأة من نفسه ومن غيره بغير إذن وإذنها ، وإباحة أن يزيد على نكاح أربع نسوة وعلى نكاح تسع ، وأن ينكح بلفظ الهبة وبمعناه حتى لا يجب المهر ، وأن ينكح بلا مهر وبلا ولي وبلا شهود ومع إحرام .

ونُحِصَ من الفضائل بأن أزواجه أمهات المؤمنين ، وتفضيل زوجاته على سائر النساء ، وجعل ثوابهن وعقابين مضاعفاً ، ولا يحل أن يسألن أحد شيئاً إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسألن مشافهة ، وهو خاتم النبيين ، وأمته خير الأمم ، وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع ، وكتابه معجز

(١) وقد جمع فيها السيوطي كتاباً سماه : « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب » أو « الخصائص الكبرى » . وقد أخرج أحاديث هذه الخصائص — التي ساقها المؤلف — البيهقي في « السنن الكبرى » ٣٦/٧ — وابن الملقن في « خلاصة البدر المنير » (١٨٦٩) وإلى (١٩٠٥) ، وابن حجر في « تلخيص الحبير » ١٤٠/٣ وما بعدها . فمن أراد التوسع والتوثق فليرجع إلى هذه الكتب وأمثالها .

محفوظ عن التحريف والتبديل ، وأقيم بعده حجة على الناس . ومعجزات سائر الأنبياء انقضت ، ونصر بالرعب ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، وهو سيد ولد آدم ، وأول من تنشئ عنه الأرض ، وهو أول شافع ومشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وهو أكثر الأنبياء أتباعاً ، وأمته معصومة لا تجتمع على ضلالة ، وصفوفهم كصفوف الملائكة ، وكان لا ينام قلبه ، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه ، وتطوعه بالصلاة قاعداً كمنطويعه قائماً ، وتحل له الهدية بخلاف غيره من ولادة الأمور من رعاياهم ، وأعطى جوامع الكلم ، وكان يؤخذ عن الدنيا قبل تلقي الوحي ، ولا تسقط عنه الصلاة ، ومن رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل على صورته ، ولا يعمل بما يسمعه الرائي في المنام منه مما يتعلق بالأحكام لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية ، والكذب عليه ليس كالكذب على أحد ، فإن الكذب عليه عمداً كبيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(سنّ النكاح مطلقاً لكل من يحتاجه إن كان واجد المون)

(فالعبد بين حرّتين يجمع وجائز للحرّ فيه أربع)

فيهما مسألتان . الأولى : يسنّ النكاح بمعنى التزوج لكل من يحتاج بأن تتوق نفسه إلى الوطء إن كان واجد المون من مهر ، وكسوة فصل التمكن ، ونفقة يومه ، سواء كان مشتغلاً بالعبادة أم لا تخصيماً للدين ، ولخير الصحيحين : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »^(١) ، بالمد ، أي : دافع لشهوته . والباءة — بالمد — : مؤن النكاح ، فإن فقد المحتاج إليه المؤنة سنّ له تركه ، ويكسر شهوته بالصوم لإرشاد الخير المذكور . أما غير المحتاج إليه فإن فقد مؤنته كره له لما فيه من التزام ما لا يقدر عليه من غير حاجة ، وسواء كان به علة أم لا ، وكذا إن وجدها وبه علة كهرم أو تعين . وإن لم يكن به علة لم يكره له ، لكن تخليته للعبادة أفضل منه إن كان يتعبد ، وإلا فالنكاح أفضل . وسنّ أن يتزوّج بغير^(٢) إلا لعذر ، دنيّة^(٣) جميلة ، وغير ذات قرابة قريبة ، خفيفة مهر^(٤) ، ذات خلق حسن ، لا شقراء ولا مطلقة يرغب فيها مطلقها .

(١) أخرجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه البخاري (٥٠٦٦) ، ومسلم (١٤٠٠) وفحوى الحديث : ترك الرهبانية .

(٢) الحديث جابر بن عبد الله أنه ﷺ قال له : « هلا تزوجت بكرة وتلاعها وتلاعك » رواه البخاري (٢٠٩٧) ، ومسلم (٧١٥) .

(٣) الحديث أني هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لجمالها ولحسنها ولما لها ولدينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك » أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ، ومسلم (١٤٦٦) .

(٤) الحديث عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « خير النكاح أسره » رواه ابن حبان (٤٠٧٢) بسند صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرهن أسرهن صداقاً » رواه الطبراني (١١١٠) و(١١١١) بسند ضعيف يقويه الحديث قبله .

المسألة الثانية : يجوز للعبد أن يجمع بين حرتين فقط لأنه على النصف من الحر ، ومثله البعض . ويجوز للحر أن يجمع في النكاح بين أربع حرائر فقط لقوله تعالى : ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ [النساء: ٣] ولقوله ﷺ لغيلان وقد أسلم وتحتة عشر نسوة : « أمسك أربعاً وفارق سائرهن »^(١) . وإذا امتنع في الدوام ففي الابتداء أولى . وقد ذكر ابن عبد السلام أنه كان في شريعة موسى عليه السلام الجواز من غير حصر تغليبا لمصلحة الرجال ، وفي شريعة عيسى عليه السلام لا يجوز غير واحدة تغليبا لمصلحة لنساء ، ورعت شريعته ﷺ مصلحة النوعين . فلو نكح الحر خمساً مثلاً بعقد واحد والعبد ثلاثاً كذلك بطلن ، أو مرتباً فالخامسة للحر والثالثة للعبد يبطل نكاحها .

تنبيه : استفيد من قول الناظم : (حرتين) الجمع بين الإماء بملك اليقين من غير حصر سواء كن مع الحرائر أو منفردات لقوله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ [النساء: ٣] .

(ولم يجز أن ينكح الحر الأمه إلا بشرط أن تكون مسلمه)
(مع عجزه عن مهر حرة هنا وخوفه من الوقوع في الزنا)
(ولا يكون تحته من تصلح من حرة تغفه فينكح)

لا ينكح الحر أمة لغيره إلا بشروط . أحدها : أن تكون مسلمة ، فلا يحل له نكاح الأمة الكافرة ولو كتابية ومملوكة لمسلم . ثانيها : عدم قدرته على صداق حرة تصلح للاستمتاع ، قال تعالى : ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ [النساء: ٢٥] الآية . والطول : السعة ، والمراد بالمحصنات : الحرائر . أما لو كان تحته حرة لا تصلح للاستمتاع فإنه يحل له نكاح الأمة . وثالثها : خوف العنت وهو الوقوع في الزنا بأن تغلب شهوته ويضعف تقواه ، وإن لم يغلب على ظنه وقوع الزنا بل توقعه لا على ندور . فمن ضعفت شهوته وله تقوى أو مروءة أو حياء يستقبح معه الزنا أو قويت شهوته وتقواه لم تحل له الأمة ؛ لأنه لا يخاف الزنا ، فلا يجوز له أن يرق ولده لقضاء وطر أو كسر شهوة . وأصل العنت : المشقة ، سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ، ولا يحل للحر مطلقاً نكاح أمة ولديه ولا أمة مكاتبه ولا أمة موقوفة عليه ولا موصى له بخدمتها .

فصل : في حكم عورة النظر

(وعورة النساء والذكور)
(فرؤية الفحل الكبير الأجنبي)
(وفاقد للأثنيين لا الذكر)
(وجاز حتى الفرج في الزوجيه)
(أما إذا تزوجت فليحرم)
(ومراة مع مراة أو مع ذكر)
(وعندها ومن رآته للشرا)
(كذا الذكور مع ذكور ومنع)
(والوجه والكفين جواز في النظر)
(والوجه في الإشهاد والمعامله)
(والفرج في تحمل الشهاده)

(محصورة في سبعة أمور)
(من تشتهى ممنوعة ولو صبي)
(وعكسه كالفحل في منع النظر)
(والملك للريقة الخلية)
(من سرّة لركبة كمحرم)
(ممسوح كل الأثنيين والذكر)
(وعكسه كمحرم فيما يرى)
(من ذي جمال أمرد أهل الورع)
(من خاطب وغير فرج في الصغر)
(وللطبيب كل ما يحتاج له)
(على الزنا ومثله الولاده)

اعلم أن عورة الرجال والنساء (.. محصورة في سبعة أمور ..) الأول : رؤية الرجل الفحل (من تشتهى) أي : إلى امرأة أجنبية فهي (ممنوعة) أي : غير جائزة قطعاً وإن أمن الفتنة . وقول الناظم من زيادته : (ولو صبي) أراد به المراهق ولو مميزاً فلا يجوز . وقوله من زيادته أيضاً : (وفاقد للأثنيين لا الذكر) أي : وهو الخصى (وعكسه) أي : وهو المجبوب — بالموحدة — وهو من قطع ذكره وبقي أنثياه كالرجل الفحل في منع النظر . وكذا العنين والشيخ الهرم والخنث ، وهو — بكسر النون ، على الأصح — : المتشبه بالنساء . وكلام الناظم شامل للوجه والكفين على المعتمد ، فإنه يحرم النظر إليهما عند أمن الفتنة على الصحيح كما في « المتهاج » كأصله ، وفي ذلك خلاف لا تطيل به .

الأمر الثاني : نظره إلى بدن زوجته وإلى بدن أمته التي يحل له الاستمتاع بها ، فيجوز أن ينظر إلى كل بدنهما حال حياتهما لأنه محل استمتاعه ، وإلى هذا أشار بقوله : (وجاز) أي : النظر (حتى الفرج) أي : حتى إلى الفرج (والملك للريقة الخلية) . وأما خبر : « النظر إلى الفرج يورث الطمس » أي : العمى كما ورد كذلك فرواه ابن حبان وغيره في « الضعفاء » [٢٠٢/١] بل ذكره ابن

(١) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما ابن حبان (٤١٥٧) بسند صحيح .

الجوزي في «الموضوعات»^(١) [٢٧١/٢] لكن يكره النظر إليه بلا حاجة وإلى باطنه أشد كراهة . قالت عائشة رضي الله عنها : « ما رأيت منه ولا رأى مني »^(٢) أي : الفرج .

تنبيه : ويشمل الكلام الدبر . وقول الإمام : والتلذذ بالدبر بلا إيلاج جائز^(٣) لأن الزوجة كلها تمتع للرجل وإن خالف فيه الدارمي . واعلم أن السيد في أمته التي يحل الاستمتاع بها كالزوج كما تقرر . وأما من لا يحل له فيها ذلك بكتابة أو تزويج أو شركة أو كفر كثنون وردة وعدة من غيره ونسب ورضاع ومصاهرة ونحو ذلك فيحرم عليه نظره منها إلى ما بين السرة والركبة دون غيره ، وإلى هذا أشار بقوله : (أما إذا تزوجت فليحرم) إلى آخر البيت . وخرج بقوله : في حالة الحياة ؛ ما بعد الموت ، فيصير الزوج حيثئذ كالحر كإلحاحه في «المجموع» .

الأمر الثالث : نظر المرأة إلى المرأة ، وإلى ذكر ممسوح الأثنيين والذكر ، وإلى عبدها ، وإلى من رآته للشراء وعكسه كمحرم ، أي : كنظر محرم من نسب أو رضاع أو مصاهرة ، فيجوز بغير شبهة فيما عدا ما بين السرة والركبة .

الأمر الرابع : نظر الرجل إلى الرجل ، فيجوز بلا شبهة ، إلا ما بين سرته وركبته فيحرم^(٤) ، وإلى هذا أشار بقوله : (كذا الذكور مع ذكور ومتن . من) نظر (ذي جمال أمره أهل الزرع) كالإمام النووي رحمه الله تعالى ، فإنه حرم النظر إليه بغير شبهة ولا خوف فتنه ، والأكثر على خلافه . وأما نظره بشهوة فحرام بالإجماع ، ولا يختص ذلك بالأمر إذ النظر بشهوة حرام لكل منظور إليه إلا زوجته وأمته . واعلم أنه يجوز النظر للتعليم للأمر وغيره واجبا كان أو مندوبا على المعتمد ، وإنما منع من تعليم الزوجة المطلقة ؛ لأن كلاً من الزوجين تعلقت أماله بالآخر .

الأمر الخامس : النظر المسنون لأجل النكاح ، فيسن إذا قصد نكاحها ورجا رجاء ظاهراً أنه يجاب إلى خطبته كما قاله ابن عبد السلام : أن ينظر إلى جميع الوجه والكفين ظاهراً وباطناً ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله : (والوجه والكفين جوز) أي : أنت (في النظر) لخطاب ، وإن لم تأذن

(١) قال المؤلف في «مواهب الصمد» ص ١١٥ بعد أن نقل تحريجه : وخالف ابن الصلاح وقال : إنه جيد الإسناد .

(٢) روى الترمذي في «الشمائل» (٣٥١) ، وابن ماجه (٦٦٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما نظرت أو مارأيت فرج رسول الله ﷺ . قال في «الروايد» هذا إسناد ضعيف .

(٣) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعون من أتى المرأة في دبرها » رواه أحمد ٤٤٤/٢ ، وأبو داود (٢١٦٢) ، والنسائي في «عشرة النساء» (١٢٩) .

(٤) لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « إذا زوج أحدكم عبده جاريته أو أجنبيته فلا ينظر إلى ما بين السرة والركبة » . رواه أبو داود (٤١١٣) و (٤١١٤) ، والدارقطني ٢٣٠/١ .

له فيه ؛ لقوله ﷺ للمغيرة وقد خطب امرأة : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أي : تدوم المودة والألفة بينكما كما رواه الترمذي [١٠٨٧] وحسنه^(١) . وخرج بالوجه والكفين غيرهما فلا ينظره لأنه عورة منها ، وفي نظرها كفاية ، إذ يستدل على الوجه بالجمال والكفين على خصب البدن ، وله تكريره ليتبين هيئتها فلا يندم بعد نكاحها عليه . وإنما كان النظر قبل الخطبة لئلا يعرض عنها بعده فيؤذيها . ويندب لها أيضاً أن تنظر إلى وجهه وكفيه إذا عزم على نكاحه لأنها يعجبها منه ما يعجبه منها . وخرج بالنظر من الجانبين المس إذا لا حاجة إليه . ويجوز للرجل أن ينظر إلى الصغيرة التي لا تشتبي ما عدا الفرج ، كما أشار إليه الناظم بقوله : (وغير فرج في الصغر) .

الأمر السادس : النظر للشهادة تحملاً وأداءً للمعاملة من بيع وغيره كما قال : (والوجه في الإشهاد والمعاملة) فيجوز للشاهد لها وعليها عند التحمل والأداء للحاجة ، والصحيح جواز النظر إلى فرج الزانين لتحمل الشهادة بالزنا ، وإلى فرجها وتديها للشهادة بالولادة والرضاع ، كما أشار إليه بقوله : (والفرج في تحمّل الشهادة) إلى آخره . وأما في المعاملة فينظر إلى الوجه فقط كما جزم به الماوردي وغيره .

الأمر السابع : النظر للمداواة فيجوز إلى المواضع التي يحتاج إلى تسليها فقط كما قال : (وللطبيب كل ما يحتاج له) فللرجل مداواة المرأة وعكسه ، وليكن ذلك بحضرة محرم أو زوج أو امرأة ثقة إن جوزنا خلوة أجنبي بامرأتين وهو الراجح . ويشترط عدم امرأة يمكنها تعاطي ذلك ، وأن لا يكون ذمياً مع وجود مسلم وكشف قدر الحاجة فقط .

تنبيه : قول الناظم : (محصورة في سبعة أمور) أي : في الأصل ، وإلا فهي على ما ذكره الناظم تزيد على ذلك بكثير . واعلم أن النظر إلى الأمة كالحرّة على الأصح عند المحققين وأن نظر الكافرة إلى المسلمة حرام كما في «المنهاج» كأصله ، والأشبه كما في «الروضة» وأصلها أنه يجوز أن ترى منها ما يبدو عند المهنة وهذا هو الظاهر ، ومتى حرم النظر حرم المس لأنه أبلغ منه في اللذة وإثارة الشهوة .

(١) من حديث أنس رضي الله عنه وصححه ابن حبان (٤٠٤٣) . ولحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » رواه أبو داود (٢٠٨٢) والحاكم ١٦٥/٢ .

ولا مانع أن يستفسر عن بعض شؤونها لأنه ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة وقال : « انظري إلى عرقوبها وشمي عوارضها » رواه الحاكم ١٦٦/٢ وصححه على شرط مسلم من حديث أنس رضي الله عنه .

العروق : عصب غليظ فوق عقب الإنسان . العوارض : الأسنان في عرض الفم .

خاتمة: يحرم اضطرار رجلين أو امرأتين في ثوب واحد وإن كان كل منهما في جانب من الفراش لخبر مسلم [٣٣٨] عن أبي سعيد: « لا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد » .

فصل : في أركان النكاح وبيان الأولياء وغير ذلك

وهي خمسة : صيغة ، وزوجة ، وزوج ، ووليّ ، وشاهدان .

(شرط النكاح شاهدان والولي بصيغة صريحة لم تفصل)
 (وكون كل مسلم حراً ذكر مكلفاً عدلاً بسمع وبصر)
 (ولا يضّر في الولي فقد البصر وقلة الإغماء لكن ينتظر)
 (ولا يضّر فسق سيد الأمة والكفر في وليّ غير المسلمه)

(شرط) صحة (النكاح شاهدان والولي)^(١) لخبر ابن حبان في « صحيحه » عن عائشة رضي الله عنها : « لانكاح إلا بوليّ وشاهديّ عدل ، وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل . فإن تشاجروا فالسلطان وليّ من لا وليّ له »^(٢) . [٤٠٧٥] والحكمة في إحضار الشاهدين الاحتياط للأبضاع^(٣) وصيانة الأنكحة عن الجحود . ويسن إحضار جمع من أهل الخير والدين .

وشرط صحة النكاح : الصيغة كما قال من زيادته : (بصيغة صريحة لم تفصل) أي : يشترط في الصيغة هنا ما يشترط في صيغة البيع مما مرّ بيانه ، ومنه عدم التعليق والتأقيت ، ولفظ ما يشتق من تزويج أو نكاح ، فلا يصح عقد النكاح إلا بإيجاب وقبول ، فالإيجاب قول الوليّ : زوجتك وأنكحتك ابنتي ، أو : تزوّجها أو : انكحها ، والقبول كقول الزوج : قبلت نكاحها ، أو تزويجها ، أو : هذا النكاح ، أو : التزويج ، أو نكحت ، أو تزوّجت ابنتك . فلو اقتصر على قوله : قبلت ؛ لم يصح بخلاف البيع . وخرج بقول الناظم : صريحة ؛ الكناية كأحللتك بنتي ، إذ لا بد في الكناية من النية ، والشهود ركن كما مرّ ولا اطلاع لهم على النية . أما الكناية في المعقود عليه كما لو قال : زوّجتك بنتي ، فقبل ونوبا معينة يصح النكاح بها ، والاتصال بين الإيجاب والقبول شرط كما في البيع .

(١) الأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ [الطلاق : ٢] الآية عامة في الإشهاد على الطلاق والرجعة ومن باب أولى في الإشهاد على النكاح . وفي قوله : ﴿ منكم ﴾ أي : المسلمين .

(٢) بإسناد حسن . ورواه الشافعي كما في « بدائع المن » (١٥٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل » . قوله « مرشد » : أي فلا يقبل الصغير ولا المحجور عليه بسفه .

(٣) البضع — بالضم — كقتل وأقال : الجماع ، والفرج ، والمهر ، والطلاق ، وعقد النكاح ، ضد .

فرع : لو أوجب الوليّ العقد ، فخطب زوج خطبة قصيرة عرفاً فقبل صح العقد مع الخطبة الفاصلة بين القبول والإيجاب ؛ لأنها مقدمة القبول فلا تقطع الولاء .

(و) يشترط (كون كل) من الشاهدين والوليّ (مسلماً) وهو في وليّ المسلمة إجماعاً . وسيأتي أن الكافر يلي الكافرة . وأما الشاهدان فالإسلام شرط فيهما ، سواء كانت المنكحة مسلمة أو ذمية ، إذ الكافر ليس أهلاً للشهادة ، وكونه (حراً) فلا ولاية لرقيق ولو مبعضاً لنقصه ، وكونه (ذكراً) فلا تزوّج امرأة نفسها ولا غيرها ، ولا تقبل نكاحاً لأحد بولاية ولا وكالة ، وليست المرأة أهلاً للشهادة فلا ينعقد النكاح بشهادة النساء . وكونه (مكلفاً) أي : بالغاً عاقلًا ، فلا ولاية لصبيّ ومجنون وإن قطع جنونه وليس من أهل الشهادة ، وكونه (عدلاً) فلا ينعقد بولي فاسق لغیر الإمام الأعظم مجبراً كان أم لا لخبر : « لا نكاح إلا بوليّ مرشد »^(١) قال الشافعي رحمه الله تعالى : والمراد بقوله : المرشد ؛ العدل ، والمراد بالعدالة هنا العدالة الظاهرة ، فينعقد بالمستور في كل من الوليّ والشاهدين ، وهو المعروف بها ظاهراً لا باطناً ، بأن عرفت بالمخالطة دون التزكية عند الحاكم ؛ لأن الظاهر من المسلمين العدالة . ومن شروط الشاهد أن يتمتعاً (بسمع وبصر) وضبط ونطق . وقد للحرف الدينية^(٢) ، والأصح انعقاده بابني الزوجين وعدّوئيهما . (ولا يضّر في الوليّ فقد البصر) فلا يقدح في التزويج لحصول المقصود بالبحث والسماع . (وقلة الإغماء) أي : لا تضّر في الولي أيضاً (لكن تنتظر) إفاقته منه . ومن شروط الولي أن لا يكون مختل النظر بهرم أو خبل ، وأن لا يكون محجوراً عليه بسفه ، فمتى كان الأقرب به بعض من هذه الصفات المانعة من الولاية فالولاية للأبعد . (ولا يضّر فسق سيد الأمة) لأنه يزوّج بالملك لا بالولاية ، (و) لا يضّر (الكفر في وليّ غير المسلمة) أي : فلا تفتقر الذمية إلى إسلام الولي ولو كانت الذمية عتيقة مسلم ، أو اختلف اعتقاد الزوجة والوليّ ، فيزوّج اليهودي نصرانية ، والنصراني يهودية كالإرث لقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ [الأنفال : ٧٣] ولا يلي المرتد مطلقاً . ويشترط في الزوجين خلوهما من موانع النكاح وتعيينهما ، والعلم بذكورة الرجل وأنوثة الزوجة .

ثم شرع في بيان الأولياء بقوله :

(١) تقدم تحريره قريباً .

(٢) قال في « روض الطالب » كما في شرحه « أسنى المطالب » ١٣١/٣ : وكذا يزوّج ذو الحرفة الدينية . قال الشارح : مطلقاً ، ويفارق عدم قبول شهادته إذا لم تلق به حرفته بأن باب الشهادة أضيق .

ومما يستدرك على شروط الشاهدين : معرفة لسان المتعاقدين ، وكونه غير معين للولاية كأب وأخ مفرد ، أما لو شهد وليّان من إخوة والعاقدة غيرهما — لا بوكالة منهما — جاز .

(والأولياء هم أولوا التعصيب كما مضوا في الإرث بالترتيب)
(لكن هنا تقدم الأجداد عن إخوة ولا تلي الأولاد)

اعلم أن أول الولاء الأقارب : الأب ، ثم الجد أبو الأب وإن علا ، ثم الأخ الشقيق ، ثم الأخ للأب ، ثم ابن الأخ الشقيق وإن سفل ، ثم ابن الأخ للأب وإن سفل ، ثم العم للأبوين ، ثم العم للأب ، ثم ابن العم للأبوين وإن سفل ، ثم ابن العم للأب وإن سفل . وهذا معنى قوله : (والأولياء هم أولو التعصيب) إلى قوله : (الأجداد) فإن عدت العصبات فالملو الملتق ، ثم عصباته كترتيب عصبات النسب . وأفاد بقوله من زيادته : (ولا تلي الأولاد) أي : لا يزوج ابن أمه ببنوة محضة خلافاً للأئمة الثلاثة ، فإن كان ابن ابن عم لها زوج ، ثم إن الحاكم يزوج المرأة التي في محل حكمه وإن كان مالها في غيره ، وكذا يزوج الحاكم إذا عضل النسب القريب ولو مجبراً . ولا تنتقل الولاية للأبعد إذا كان العضل دون ثلاث مرات ، فإن كان ثلاث مرات زوج الأبعد بناء على منع ولاية الفاسق كما قاله الشيخان^(١) ، وكذا يزوج الحاكم في صور أيضاً جمعها بعضهم في قوله :

ويزوج الحاكم في صور أنت منظومة تحكي عقود جواهر
عدم الولي وقته ونكاحه وكذلك غيبته مسافة قاصر
وكذلك إغماء وحبس مانع أمة لمحجور توارى^(٢) القادر
إحرامه وتعزز مع عضله إسلام أم الفرع وهي لكافر^(٣)

وإنما يحصل العضل إذا دعت بالغة عاقلة إلى كفاء فامتنع الولي من تزويجه وإن كان امتناعه لنقص المهر أو من غير نقد البلد ؛ لأن المهر يتمحض حقاً لها .

(ولا يجوز عقده في العده ولا صريح خطبة المعتده)
(ويحرم التعريض للرجعيه وجوزوا للمرأة الخلية)

(١) هما الرافعي والنووي رحمهما الله تبارك وتعالى .

(٢) أي : اختفاؤه .

(٣) ويضاف تزويج المجنونة البالغة فيزوجها الحاكم قال بعضهم :

تزوج من جنت ولم يك مجبراً بعد البلوغ فضم ذلك وبأد

قائلة: روى مسلم عن ابن عباس (١٤٢١) (٦٧) «التي أحق بنفسها من زوجها» أي بأن تعقد نفسها، أو تأذن لوليها فيعقد لها ولا يجبرها. قال بقدها لنفسها أبو حنيفة، وكذلك بعض أصحابنا لكن في مكان لا ولي فيه ولا حاكم فله بونس بن عبد الأعلى عن الشافعي.

(ولا يجوز) لا يصح (عقده) النكاح (في العدة . ولا) يجوز (صريح خطبة المعتدة) عن طلاق رجعي أو بائن أو وفاة لمفهوم قوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيها عرضتم به من خطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] الآية . والتصریح ما يقطع بالرغبة في النكاح كأيدي أن أنكحك ، وإذا انقضت عدتك نكحتك ؛ لأنه إذا صرح تحققت رغبته فيها ، فربما تكذب في انقضاء العدة (ويحرم التعريض للرجعية) لأنها زوجة أو في معنى الزوجة ، ولأنها مجفوة بالطلاق فقد تكذب انتقاماً والتعريض ما يحتل الرغبة في النكاح وعدمها كقوله : أنت جميلة ، ورب راغب فيك ، ومن يجد مثلك (وجوزوا) أي : التصريح والتعريض (للمرأة الخلية) عن عدة ، ويجوز أن يعرض للبائن قبل انقضاء عدتها .

تبيين : أحدهما : ما مر كله في غير صاحب العدة الذي يحل له نكاحها فيها ، أما هو فيحل له التعريض والتصریح .
ثانيهما : حكم جواب المرأة في الصور المذكورة تصریحاً وتعريضاً حكم الخطبة فيما تقدم . وقوله : « جوزوا » بالبناء للمفعول .

(للأب التزويج بالإيجاب ما دامت الأنثى من الأبكار)
(لموسر كفاء خلا من عيب رد بمهر مثل حل من نقد البلد)
(وكل جد لأب فكالأب فلا يكون مجبراً للثيب)
(والشرط في تزويجها الصحيح بلوغها مع إذنها الصريح)
(والبكر في تزويجها كالثيب إن لم يكن أب ولا أبو الأب)

اعلم أن النساء بالنسبة إلى إيجابهن في التزويج وعدمه على قسمين : بكر ، وثيب . فالبكر ولو كبيرة ومخلوقة بلا بكاره أو زالت بلا وطء كسقطه وحده حيض للأب والجد وإن علا عند عدم الأب أو عدم أهليته إجبارها على النكاح بغير إذنها كما قال : (وللأب التزويج بالإيجاب) إلى آخر البيت ، وكما قال بعد ذلك بيت : (وكل جد لأب فكالأب) وذلك لخبر الدارقطني (٢٢٥/٣) : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر يزوجه أبوها » ولأنها لم تمارس الرجال بالوطء وهي شديدة الحياء . ولتزويج الأب والجد البكر بغير إذنها شروط زادها الناظم على أصله . منها : أن لا يكون الزوج معسراً بل موسراً بحال صداقها . ومنها : أن يزوجه بكفاء بالمهر . ومنها : أن لا يزوجه بمن تنصّر بمعاشرته كأعمى وشيخ هرم . ومنها أن يكون خالياً من عيب يرده بما يأتي في محله . ومنها : أن يزوجه بمهر مثله . ومنها : أن يكون من نقد البلد . ومنها : أن لا يكون بينه وبينها عداوة ظاهرة . ومن استئذنان البكر إذا كانت مطلقة تطيباً لحاظها . وأما الثيب البالغة فلا يجوز تزويجها

بغير إذنها للخبر السابق والخبر : « لا تُنكحوا الأيامى حتى تستأموهن »^(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، ولأنها عرفت مقصود النكاح فلا تجبر بخلاف البكر ، فلذلك قال الناظم : (وكل جد لأب فكالأب . فلا يكون مجبراً للثيب) إلى قوله : (الصريح) . فإن كانت الثيب صغيرة غير مجنونة وغير أمة لم تزوج إلا بعد بلوغها وإذنها ؛ لأن إذن الصغيرة غير معتبر فامتنع تزويجها إلى البلوغ . وأما المجنونة فيزوجها الأب والجد عند عدمه قبل بلوغها للمصلحة . وأما الأمة فلسيدها أن يزوجه ، وكذا ولي السفية عند المصلحة . (والبكر في تزويجها كالثيب) فيما تقدم (إن لم يكن أب ولا أبو الأب) ، ومن على حاشية النسب كأخ وعم لا يزوج الصغيرة أو المجنونة بحال بكرة كانت أو ثيباً ؛ لأنه إنما يزوج بالإذن ولا إذن لها .

تنمية : يكفي سكوت البكر البالغة إذا استؤذنت ، وسواء ضحك أم بكت ، إلا إذا بكت مع صياح وضرب خد ، فإن ذلك يشعر بعدم الرضا .

فصل

والمحرمات على قسمين : تحريم مؤبد ، وتحريم غير مؤبد كما يأتي :

(حرم نكاح أربع وعشر)	من النساء قطعاً بنص الذكر)
(أم الفتى وأختها كذا ابنته)	وخالة الإنسان ثم عمته)
(وبنت أخت وأخ من النسب)	والأوليان من رضاع مكتسب)
(وأربع يحرمن بالمصاهرة)	وهن بنت الزوجة المباشرة)
(وأمها أيضاً وإن لم تقرب)	وزوجة ابن ثم زوجة الأب)
(كذلك أخت زوجة أن تجتمع)	معها وأما بعدها لم تمتنع)
(وجمعها مع خالة أو عمه)	لها حرام باتفاق الأمة)

(١) لم أجده في « سنن » الترمذي ، ولكنه روى برقم (١١٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن صحيح : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها ، وإذنها صماتها » .

ورواه ابن ماجه عنه (١٨٧٠) بلفظ : « الأيم أول بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر في نفسها » قيل يا رسول الله : إن البكر تستحي أن تتكلم قال : « إذنها سكوتها » .

وروى الحاكم ١٦٧/٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « لاتنكحوا النساء حتى تستأموهن ، فإذا سكتن فهو إذنهن .. » وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي .

وروى أبو داود (٢٠٩٣) ، والترمذي (١١٠٩) وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « البتيمة تستأمر في نفسها » .

(وكل من بغيرها لم تجتمع فوطؤها بالملك معها ممتنع)
(وحرّموا من الرضاع ما وجب تحريمه من النساء بالنسب)

أي (حرّم) أنت (نكاح أربع وعشر) (من النساء قطعاً بنص الذكر) أي : القرآن العظيم . وله ثلاثة أسباب : قرابة ، ورضاع ، ومصاهرة فالسبب الأول : القرابة ، وقد بدأ الناظم به وهن سبع يحرمن من النسب ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ [النساء : ٢٣] . وقد ذكروا لما يحرم من النسب والرضاع ضابطين . الأول : يحرم نساء القرابة إلا من دخلت تحت ولد العمومة أو ولد الخوالة . والثاني : يحرم على الرجل أصوله وفصوله ، وأول فصل من كل أصل بعد الأصل الأول . فالأصول : الأمهات ، والفصول : البنات ، وفصول أول الأصول : الأخوات وبنات الأخ وبنات الأخت ، وأول فصل من كل أصل بعد الأصل الأول : العمات والخالات . والضابط الأول أرجح لإيجازه ونصه على الإناث بخلاف الثاني . فالأول من المحرمات من النسب : (أم الفتى) وضابط الأم هي كل من ولدتك فهي أمك حقيقة أو ولدت من ولدك مجازاً . (و) الثاني : (أختها) وضابطها كل من ولدها أبوك أو أحدهما فأختك . والثالث : (كذا ابنته) وضابطها كل من ولدتها فبنتك حقيقة أو ولدت من ولدها . (و) الرابع : (خالة الإنسان) وضابطها كل أخت أنثى ولدتك بلا واسطة فخالتك حقيقة ، أو بواسطة كخاله أمك فخالتك مجازاً ، وقد تكون الخالة من جهة الأب كأخت أم الأب . واعلم أن الناظم لم يرتب على ترتيب الآية مراعاة للنظم (ثم) الخامس : (عمته) وضابطها كل أخت ذكر ولدك بلا واسطة فعمتك حقيقة ، أو بواسطة كعمة أبيك فعمتك مجازاً ، وقد تكون العمة من جهة الأم كأخت أبي الأم . (و) السادس والسابع : (بنت أخت و) بنت (أخ) من جميع الجهات وبنات أولادهما وإن سفلن ، فهذه محرمات (من النسب) .

تنبيه : تحل المخلوقة من ماء زناه مع الكراهة ، ويحرم على المرأة ولدها من زنا .

ثم شرع في السبب الثاني : وهو الرضاع بقوله : (والأوليان من رضاع) أي : واثنان من الرضاع وهما الأم المرضعة والأخت من الرضاع لقوله تعالى : ﴿ وأمّهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ [النساء : ٢٣] فمن ارتضع من امرأة صار بناتها الموجودات قبله والحدثات بعده أخوات له ، وهذا وإن كان واضحاً فبيانه مطلوب ؛ لأن كثيراً من الجهلة يظنون أن الأخت من الرضاع هي التي أرضعت معه دون غيرها فتفطن له . وأملك من الرضاع : كل امرأة أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك ، أو أرضعت من ولدك بواسطة أو غيرها ، أو ولدت المرضعة أو الفحل .

وبنتك من الرضاع : كل امرأة أرضعت بلبنك أو بلبن من ولدته ، أو أرضعتها امرأة ولدتها ، وكذا بناتها من النسب والرضاع لقوله ﷺ : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب »^(١).

ثم شرع في السبب الثالث بقوله : (وأربع يحرمن بالمصاهرة . وهن بنت الزوجة المباشرة) أي : المدخول بها لقوله تعالى : ﴿ وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ [النساء : ٢٣] وذكر الحجور خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له . (وأمهات) أي : أم الزوجة تحرم أيضاً (وإن لم تقرب) أي : سواء دخل بها أم لا ؛ لإطلاق قوله تعالى : ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ [النساء : ٢٣] وإنما لم يُعتبر الدخول في تحريم أصول البنت واعتبر في تحريم البنت الدخول ؛ لأن الرجل يتلى بمكاملة أمها عند العقد لترتيب أموره ، فحرمت بالعقد ليسهل ذلك بخلاف بنتها . (وزوجة ابن) تحرم أيضاً لقوله تعالى : ﴿ وحلائل أبنائكم ﴾ [النساء : ٢٣] وإن لم يدخل بها وللدك (ثم زوجة الأب) تحرم أيضاً لقوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ [النساء : ٢٢] وإن لم يدخل بها .

ولا تحرم بنت زوج الأم ولا أمه ، ولا بنت زوج البنت ولا أمه ، ولا أم زوجة الأب ولا بنتها ، ولا أم زوجة الابن ولا بنتها ، ولا زوجة الريب ولا زوجة الراب .

ثم شرع في القسم الثاني : وهو التحريم غير المؤبد بقوله : (كذلك أخت زوجة) فحرم (أن تجتمع . معها) فلا يتأبد تحريمها ، بل تحل بموت أختها أو بينوتها كما قال من زيادته : (وأما بعدها لم تمتنع) لقوله تعالى : ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين ﴾ [النساء : ٢٣] ولما في ذلك من قطعية الرحم وإن رضيتا بذلك ؛ لأن الطبع يتغير . ولا تجمع بين المرأة وعمتها وخالتها من نسب أو رضاع . (وحرما) أي : العلماء (من الرضاع ما وجب . تحريمه من النساء بالنسب) للحديث المتقدم . وقول الناظم : والأوليان ؛ بضم الهمزة .

فصل : في مثبتات الخيار

- | | |
|-----------------------------|--------------------------|
| (من العيوب خمسة بها يرد) | كل من الزوجين مع فسخ ورد |
| (فبالجنون والجدام والبرص) | فسخ النكاح للذي منها خلص |
| (أو كان مثل غيره في علته) | ونخبرته بجهته وعنته |
| (ونخبروه إن يكن بها رتق) | أو قرن في فسخه كما سبق |

(١) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما البخاري (٢٦٤٥) و(٥١٠٠) ، ومسلم (١٤٤٧) (١٣) .

(من العيوب خمسة بها يُرَدُّ . كل من الزوجين ..) أي : ثبت لكل منهما خيار فسخ النكاح بواحد منها : (فبالجنون) ولو منقطعاً ، وهو زوال الشعور من القلب مع بقاء الحركة والقوة في الأعضاء (والجدام) بالمعجمة ، وإن قل ، وهو علة يحرم منها العضو ثم يسود ثم يقطع ويتناثر (والبرص) وإن قل ، وهو بياض شديد يقع الجلد ويذهب نوره^(١) : ثبت (فسخ النكاح للذي منها) أي : من هذه الأمور (تخلص) إن شاء فسخ ، أو رضي ، وإن قام به ما قام بالآخر كما قاله من زيادته : (أو كان مثل غيره في علته) لأن الإنسان يعاف من غيره ولا يعاف من نفسه . (ونخبرته) أي : المرأة (بجهته) بفتح الجيم ، أي : قطع ذكره بحيث لا يبقى منه قدر الحشفة ولو بفعلها (وعنته) بضم المهملة وتشديد النون ، أي : عجزه عن الوطء لعدم انتشار آله إن كان قبيل وطء منه في قبلها في ذلك النكاح ، بخلاف عنته بعد ذلك ؛ لأنها عرفت قدرته ووصلت إلى حقها منه ، والعجز بعده لعارض قد يزول ، بخلاف حدوث الحب بعد الوطء ثبت الخيار ؛ لأنه يورث اليأس من الوطء . (ونخبروه) أي : الزوج (إن يكن بها) أي : الزوجية (رتق) بفتح التاء (أو قرن) بفتح الراء وإسكانها (في فسخه) أي : النكاح أو إمضائه (كما سبق) وهما انسداد محل الجماع منها بلحم في الأول وبعض في الثاني . فخرج بهذه العيوب غيرها من بقر وإغماء وبخر وصنان واستحاضة وعمى وغير ذلك . وبالزوجين الولي فإنه لا خيار له بحادث ولا بمقارن جب وعنة ، ويتخير بمقارنة غيرها والخيار على الفور . ويشترط في الفسخ بالعيوب الرفع إلى الحاكم . وتثبت العنة بإقراره أو بينة على إقراره ، ولا يتصور ثبوتها بالبينة ، وكذا تثبت بيمينها بعد نكوله ، وإذا ثبتت ضرب القاضي له سنة بطلبها ، فإذا تمت رفعته إليه ، فإن قال : وطئت ، ولم تصدقه حلف ، فإن نكل حلفت . أو قال لها : ثبتت العنة ، أو حق الفسخ ، استقلت به . والفسخ بعيه أو عيها قبل وطء يسقط المهر ، ويعدّه يوجب مهر المثل إن فسخ له بمقارن أو بحادث بين العقد والوطء^(٢) ، وإلا فالمسمى كأنفساخه برده بعد وطء . وقوله : يُرَدُّ ؛ بالبناء للمفعول .

خاتمة : حيث اختلف الزوجان في الإصابة كان المصدق نافياً إلا في مسائل . منها : العين كما مر . ومنها : الولي وهو كالعنين في أكثر ما ذكر . ومنها : إذا ادعت المطلقة ثلاثاً أن الحلل وطئها

(١) روى البيهقي في « السنن » ٢١٤/٧ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ تزوج امرأة من غفار، فلما دخلت عليه رأى بكشها يابضاً فقال : « البسي ثيابك والحقي بأهلك » وقال لأهلها : « دُئِمتُ علي » . ورواه الحاكم ٣٤/٤ وقال : هي أسماء بنت النعمان الغفارية .

(٢) روى مالك في « الموطأ » ٥٢٦/٢ عن عمر رضي الله عنه قال : أيما رجل تزوج امرأة بها جنون أو جذام أو برص . وفي رواية : أو قرن فمسها فلها صداقتها كاملاً وذلك غرم لزوجها على وليها .

وفارقها وانقضت عدتها وأنكر المحلل فتصدق يمينها لحلها للأول . ومنها صور في المبسوطات^(١) .

فصل : في الصداق

وهو — بفتح الصاد أشهر من كسرهما — : ما وجب بنكاح أو وطء أو تفويت بُضع قهراً كرضاع ورجوع شهود . وله ثمانية أسماء مجموعة في قول بعضهم :

صداق ومهر نخلة وفريضة حباء وأجر ثم عقر علائق^(٢)

والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَخْلَةً ﴾ [النساء : ٤] وقوله ﷺ لمريد التزويج : « القمس ولو خاتماً من حديد »^(٣) .

(ذكر الصداق سنة فلو نكح بلا صداق حالة التفويض صح)
(ولم يجب إلا بفرض قاضي أو بالتزام الزوج بالتراضي)
(أو بالدخول فهو مهر مثلها والاعتبار بالنساء من أهلها)
(وفي سوى التفويض إن سمي لها مهراً وإلا فهو مهر مثلها)

(ذكر الصداق) أي : تسمية المهر للزوجة في صلب النكاح (سنة) لأنه عليه الصلاة والسلام لم يخل نكاحاً عنه ، ولأنه أذفع للخصومة ، ولأنه يشبه نكاح الواهبة نفسها له ﷺ . ويسن أن لا يدخل بها حتى يدفع لها شيئاً من الصداق خروجاً من خلاف من أوجبه ، فإن لم يسم صداقاً صح العقد بالإجماع ، لكن مع الكراهة كما صرح به المتولي والمورد وغيرهما . وقوله : (فلو نكح . بلا صداق حالة التفويض صح) النكاح ، أشار به إلى أنه إن كانت المرأة مفوضة بأن قالت رشيدة لوليها : زوّجني بلا صداق ، وجب المهر بثلاثة أشياء ، أي : بواحد منها . أحدها : ما أشار إليه بقوله : (ولم يجب) أي المهر (إلا بفرض القاضي) أي : إذا امتنع الزوج من الفرض لها ، أو

(١) كشروح « المهاج » ونظمها بعضهم فقال :

القول قول واطئ في سنة مضبوطة بالحفظ عند الثقة
الخلف في التحليل والسيورة والوطء مع فروع آتى وعنونة
ومثل ذا الإيلاء والتعليق بطائفة لسنة تحقيق

(٢) وزاد بعضهم ثلاثة في بيت فقال :

وطول نكاح ثم خرس تمامها فقرد وعشر عدّ ذاك موافق
كما يزداد صدقة كما جاء في القرآن العظيم .

(٣) أخرجه البخاري (٥١٣٥) ، ومسلم (١٤٢٥) (٧٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

تنازعا في القدر المفروض ؛ لأن منصبه فصل الخصومات . وثانيها : ما أشار إليه بقوله : (أو بالتزام الزوج بالتراضي) أي : بأن يقدره الزوج على نفسه قبل الدخول . وثالثها : ما أشار إليه بقوله : (أو بالدخول) أي : بأن يطأها ولو في حيض أو إحرام فيجب لها مهر المثل كما قال . (فهو مهر مثلها) وإن أذنت له في وطئها بشرط أن لا مهر لها ؛ لما فيه من حق الله تعالى . وقوله من زيادته : (والاعتبار بالنساء من أهلها) أشار به إلى أن مهر المثل هو القدر الذي يرغب فيه في أمثالها ، وأن الاعتبار في مهر مثلها بنساء عصابات النسب ، ويقدم أخوات لأبوين ثم بنات أخ لأبوين ثم بنات ابنه ثم عمات ثم بنات أعمام كذلك ، فإن تعذر الاعتبار بهن اعتبر بذوات الأرحام كجدات وخالات تقدم القرى منهن على البعدى ، فإن تعذر الاعتبار بهن اعتبر بمن يساويها من نساء بلدها ثم أقرب البلاد إليها ثم أقرب النساء إليها شهياً ، ويعتبر مع ما تقدم سنّ وعفة وعقل وجمال ويسار وفصاحة وبكارة وثبوتية . وما اختلف فيه غرض كالعلم والشرف ، ولأن المهر يختلف باختلاف الصفات . (وفي سوى التفويض) المذكور (إن سمي لها) الزوج (مهراً) فذاك (وإلا) وجب (مهر مثلها) وهذا البيت من زيادته .

(ثم الكثير والقليل يجعل مهراً ولكن شرطه التمول)
(عيناً ودينياً مطلقاً ومنفعه وجاز حبس نفسها ليدفعه)

ليس لأقل الصداق ولا لأكثره حد ، بل ضابطه : كل ما صح كونه مبيعاً عوضاً أو معوضاً صح كونه صداقاً ، وما لا فلا كما أفاده بقوله من زيادته : (ولكن شرطه التمول) فلو عقد بما لا يتمول ولا يقابل بتمول كحيتي حنطة لم تصح التسمية ويرجع لمهر المثل .

تنبيه : يسن أن لا ينقص المهر عن عشرة دراهم خروجاً من خلاف من أوجبه ، وأن لا يزيد على خمس مئة درهم كصداق بناته ﷺ وزوجاته . ويجوز أن يكون الصداق عيناً ودينياً ومنفعة تُستوفى بعقد الإجارة كتعليم فيه كلفة^(١) ونخاية ثوب ونحوهما إذا كان يحسن تلك المنفعة ، فإن لم يحسنها والتزم في الذمة جاز ، ويستأجر لها من يحسنها ، وإن التزم العمل بنفسه لم يصح على الأصح لعجزه . وأفاد بقوله من زيادته : (وجاز حبس نفسها ليدفعه) أن تسليم المفروض الحال كالمسمى في العقد . أما المؤجل فليس لها حبس نفسها له . يصح بناء قوله : يجعل ؛ للفاعل والمفعول .

(١) لما فيه من منفعة دينية أو دنيوية . قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

يبريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أراد
يقول المرء فائدتى وزادي وتقوى الله أعظم ما استفادا .

(وبالطلاق قبل وطء شطرا - وحيث مات واحد تقررا)

فيه مسألتان : الأولى : يسقط بالطلاق وبكل فرقة وجدت لا منها ولا بسبها قبل الدخول كإسلامه وردته ولعانه ورضاع أمه لها وأمها له نصف المهر . أما في الطلاق فلقوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [البقرة: ٢٣٧] الآية ، وأما الباقي فبالقياس عليه . وأما الفرقة التي وجدت منها قبل الدخول كإسلامها بنفسها أو بالتبعية لأحد أبويها أو فسخها بعيه أو ردتها أو إرضاعها زوجة له صغيرة أو وجدت بسببها كفسخه بعيها فإنها تُسقط المهر المسمى ابتداء أو المفروض الصحيح ومهر المثل في كل ما ذكر .

الثانية : حيث مات واحد من الزوجين تقرر المهر لأن الموت كالمهر في تقرير المسمى .

تنبيه : يجب المطلقة قبل وطء متعة^(١) إن لم يجب لها شطر مهر ، وكذا الموطوعة في الأظهر . ويستحب أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً^(٢) ، وأن لا تزد على خادماً^(٣) ولا حد للواجب ، وإن تراضيا على شيء فذاك ، وإلا قدرها الحاكم بجته معتبراً حالهما كيسار وإعسار ونسبها وصفاتها . قال النووي في « فتاويه » : إن وجوب المتعة مما يغفل النساء عن العلم بها ، فينبغي تعريفهن وإشاعة حكمها ليعرفن ذلك . والألف في قوله : شطراً ؛ للإطلاق .

ثم شرع في أحكام الوليمة فقال :

(وسن مع دخوله أن يوليا - لكن حضور من دعي تحتما)
(إن لم يكن عذر كأمر يجنب - ولم يخص الأغنياء بالطلب)

اعلم أن اشتقاق الوليمة كما قال الأزهري من الولم وهو الاجتماع ، ولأن الزوجين يجتمعان ، وهي تقع على كل طعام يتخذ لسرور حادث عن عرس وإملاك وغيرهما ، لكن استعماها مطلقاً في العرس أشهر ، وتقيد في غيره فيقال لوليمة الختان : إعدار ، وللولادة عقيقة ، وللسلامة المرأة من الطلق : خرس ، وللقدم المسافر : نقيعة ، وللبناء : وكيرة ، ولما يتخذ للمصيبة : وضيمة ، ولما

(١) لقوله تعالى : ﴿ ومتوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ [البقرة: ٢٣٦] . ولأثر ابن عمر رضي الله عنهما قال :

لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها ولم يدخل بها فحسبها نصف المهر . رواه البيهقي ٢٥٧/٧ .

(٢) لأثر عن ابن عمر أيضاً رواه البيهقي في « السنن » ٢٤٤/٧ : أنه قال في المتعة : هي ثلاثون درهماً .

(٣) ولأثر : إن كان موسراً فخادم أو نحو ذلك ، وإن كان معسراً فثلاثة أبواب . رواه البيهقي ٢٤٤/٧ .

يتخذ بلا سبب : مأدية^(١) . إذا عرف ذلك فوليمة العرس مستحبة مؤكدة لثبوتها عنه ﷺ قولاً^(٢) وفعلًا^(٣) ، وأقلها شاة للمتمكن ، ولغيره ما قدر عليه . والمراد أقل الكمال شاة لقول « التنبيه » : بأي شيء أولم من الطعام جاز . وعلم أنهم لم يتعرضوا لوقتها . وقد استنبط السبكي من كلام البيهقي أن وقتها موسع من حين العقد فيدخل وقتها به ، والأفضل فعلها بعد الدخول لأنه ﷺ لم يولم على بعض نسائه إلا بعد الدخول . وفي كلام الناظم إشارة إلى هذا ، (لكن حضور من دعي ..) إلى وليمة العرس خاصة محتم ، أي : واجب كخير الصحيحين : « إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليأتها »^(٤) وخبر مسلم (١٤٣٢) عن أبي هريرة : « يشس الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها الأغنياء ويترك المساكين ، فمن لم يأت الدعوة فقد عصي الله ورسوله » . والمراد وليمة العرس لأنها المعهودة عندهم ، ويؤيد ذلك ما في « مسلم » أيضاً (١٤٣٠) عن جابر : « إذا دعي أحدكم إلى وليمة العرس فليجب فإن شاء طعم ، وإن شاء ترك » وقول الناظم : (إن لم يكن عذر) إلى آخره ، أشار به إلى أكثر شروط الإجابة ، إذ شروطها كثيرة :

منها : أن لا يكون هناك منكر لا يزول بحضوره كشرب الخمر والضرب بالملاهي ، فإن كان يزول بحضوره وجب حضوره للدعوة وإزالة المنكر ، ومن المنكر فرش الحرير للرجال .

ومنها : أن لا يخص بالدعوة الأغنياء لغناهم لخبر : « شر الطعام » .

ومنها : أن يدعو في اليوم الأول ، فنسب الإجابة في اليوم الثاني وتكره في الثالث .

ومنها : أن يكون الداعي مسلماً .

ومنها : أن يكون المدعو أيضاً مسلماً .

ومنها : أن لا يدعو له خوف منه .

(١) الولائم اثنتا عشرة نظمها بعضهم فقال :

وليمة عرس ثم حرس ولادة	عقيقة مولود وكيرة باني
وضيمة ذي موت نقيعة قادم	عذيرة إعدار ويوم ختان
ومأدبة الختان لا سبب لها	حذاق صغير عند ختم قرآن
وعائشها في النظم تحفة زائر	قرى الضيف مع نزل به بقرآن

(٢) لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن أثر صفرة قال : « ما هذا » قال : إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال : « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » أخرجه البخاري (٥١٥٥) ، ومسلم (١٤٢٧) .

(٣) لحديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ أولم على صافية بسويق وتمر . رواه أبو داود (٣٧٤٤) ، والترمذي (١٠٩٥) وحسنه ، وابن ماجه (١٩٠٩) . وفي البخاري (٣٧١) ، ومسلم (١٣٦٥) أنه جعل وليمة التمر والسمن والأقط .

(٤) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٥١٧٣) ، ومسلم (١٤٢٩) .

ومنها : أن لا يدعوه مَنْ أَكثَرُ مَالِهِ حَرَامٌ ، فمن كان كذلك كُرهت إيجابته ، فإن علم أن عين الطعام حرام حرمت إيجابته وإلا فلا ، وتباح الإجابة ولا تجب إذا كان في ماله شبهة ، ولهذا قال الزركشي : لا تجب الإجابة في زماننا .

ومنها : أمور أخر في المبسوطات ، والألف في قوله : يولما ، و : تحتاً ، للإطلاق .

خاتمة : لا تسقط الإجابة بصوم ، فإن شقَّ على الداعي صوم نفل من المدعو فالفطر له أفضل .

ويستحب للمفطر الأكل وأقله لقمة . ويأكل الضيف مما قدم إليه بلا لفظ من المضيف اكتفاء بقرينة التقديم ، إلا إذا كان ينتظر حضور غيره فلا يأكل حتى يحضر ، أو يأذن المضيف لفظاً ، ولا يتصرّف فيه إلا بأكل ، ولا يُطعم سائلاً ولا هرة إلا إذا علم رضاه . وللمضيف تقديم صاحبه إلا إن تفاضل طعامهما ، ويكره تفاضله . والتطفل حرام ، وهو الحضور بلا دعوة .

ويجوز نثر^(١) نحو سكر كلوز وجوز في إهلاك^(٢) وختان ، ويحل التقاطه وتركه أفضل .

باب القسم والنشوز

وَالْقَسْمُ — بفتح القاف ، وسكون السين — مصدر قسمت الشيء ، وأما بالكسر : فالنصيب . وَالْقَسَمُ — بفتح القاف والسين — : اليمين . والنشوز : وهو الخروج عن طاعة الزوج ، ويقال له : النشوص ، بالصاد .

(حق على زوج النساء أن يقسما) بالعدل بينهما لا بين الإما (ودون حاجة دخوله امتنع)
(وإن أراد بعضهن للسفر) فقرة بين الجميع تعتبر (واجعل لبكر جدت سبعا ولا)
(ومن يخف نشوز مرأة زجر) وثيب ثلاثة لتعدلا (فلا ينال معها في المضجع)
(وبالنشوز يسقط الإنفاق) فإن تزد أن يضرب موجه (وما لها في قسمها استحقاق)

(حق) أي : واجب (على زوج النساء) (أن يقسما) بينهما (بالعدل ..) ولو امتنع الوطاء طبعاً أو شرعاً كان كانت الزوجة مريضة ورتقاء وحائضاً ؛ لأن المقصود الأئس ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] وقال ﷺ : « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » رواه أبو داود [٢١٣٣] وغيره [الترمذي (١١٤١)] وصححه الحاكم [١٨٦/٢] .

وخرج بالزوجات الإمام كما قال من زيادته : (لا بين الإما) أي : وإن كنّ مستولدات ، لكن يستحب العدل بينهما . والأصل في القسم الليل والنهار تبع ، وإن عمل ليلاً وسكن نهاراً فالأفضل في حقه النهار والليل تابع له . والمراد من القسم للزوجات المبيت عندهن ، ولا يلزم ذلك ابتداء لأنه حقه فله تركه ، وإنما يلزم إذا بات عند بعض نسوته ، ولو أعرض عنهن أو عن الواحدة ابتداء أو بعد القسم لم يأنم ، ويستحب أن لا يعطلهن ويحصنه وكذا الواحدة ، وأدنى درجاتها أن لا يخلّيها كل أربع ليال عن ليلة اعتباراً بمن له أربع زوجات . وقوله : (ودون حاجة دخوله امتنع) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أنه يمتنع دخوله على غير ذات النوبة لغير حاجة لما فيه من إبطال حق صاحبة النوبة ، فإن فعل وطل مكثه لزمه لصاحبة النوبة القضاء بقدر ذلك من نوبة المدخول عليها . أما

(١) قال في « رحمة الأمة » ص ٤٠٦ : والنثار في العرس والتقاطه ، قال أبو حيفة : لا بأس به ، ولا يكره أخذه ، وقال مالك والشافعي بكرهه ، وعن أحمد روايتان كالمذهبين .

قالوا : لأن في التقاطه دناءة وسخفاً ويأخذ قوم دون آخرين . والنثر : هو ما يلقى متفرقاً كقطع الحارثي الحافة ، والنقود الصغيرة ونحوها .

(٢) الإهلاك : بكسر الهمزة : التزوج أو عقده .

دخوله لحاجة كوضع متاع أو أخذه أو تسليم نفقة أو تعريف خير فجائز ، ولا يقضي إذا دخل لحاجة وإن طال الزمان ، هذا بالنهار لمن عماد قسمه الليل . أما الليل فيحرم عليه ولو لحاجة على الصحيح ؛ لما فيه من إبطال حق ذات النوبة ، إلا لضرورة كمرضها المخوف وشدة الطلق وخوف النهب والحريق ، ثم إن طال مكنته عرفاً قضى ، فإن لم يقض عصى ، ويأثم من تعدى بالدخول وإن لم يطل مكنته ، ولو جامع من دخل عليها في نوبة غيرها عصى وإن قصر الزمن وكان لضرورة . أما من عماد قسمه النهار فليله كنهار غيره ونهاره كليل غيره في جميع ما تقدم .

تنبيه : هذا كله في المقيم . أما المسافر فعمداد قسمه وقت نزوله ليلاً أو نهاراً قليلاً كان أو كثيراً ، قاله في « الروضة » وتجب القرعة للابتداء بواحدة منهن عند عدم رضاها ، فيبدأ بمن خرجت قرعتها ، فإذا مضت نوبتها أقرع بين الباقيات ثم بين الأخيرتين ، فإذا تمت النوب راعى الترتيب ، ولا حاجة إلى إعادة القرعة ، بخلاف ما لو بدأ بلا قرعة فإنه يقرع بين الباقيات ، فإذا مضت النوب أقرع للابتداء . وقوله : (وإن أراد بعضهن للسفر) إلى آخر البيت ، تقريره أنه إذا أراد السفر المرخص ببعض زوجاته بغير نقلة فلا يجوز أن يسافر ببعضهن ولو سافراً قصيراً إلا بقرعة ، فإن سافر بها لم يقض للمتخلفات ذهاباً ولا إياباً لقوله ﷺ كما في الصحيح^(١) . ومن أراد السفر لنقلة يحرم عليه أن يصحب بعضهن بقرعة وغيرها ، وأن يخلفهن حذراً من الإضرار بل ينقلهن أو يطلقهن ، فإن سافر ببعضهن ولو بقرعة قضى للمتخلفات حتى مدة إيباه . وقوله : (واجعل للبكر) إلى آخر البيت ، أشار به إلى أنه إذا تزوج جديدة على من يقسم لمن خصّ البكر وجوباً بسبع ليالٍ ولأى بلا قضاء ، وخص الثيب بثلاثة ولأى بلا قضاء ، لخبر ابن حبان في « صحيحه » [٤٢٠٨] : « سبع للبكر ، وثلاث للثيب » والمعنى في ذلك زوال الحشمة بينهما وزيد للبكر ؛ لأن حيائها أكثر . والمراد بالبكر من يكفي سكوتها في الإذن في النكاح ، وإنما اعتبر ولأى المدتين ؛ لأن الحشمة لا تزول بالمفروق ، فلو فرق لم يحسب فيوفيا حقها ولأى ثم يقضي ما فرق . وخرج بقوله : جددت ؛ الرجعية لبقائها على النكاح الأول .

تنبيه : يسن تخيير الثيب بين ثلاث بلا قضاء وسبع بقضاء .

ثم شرع في القسم الثاني وهو النشوز بقوله : (ومن يخف) أي : من الأزواج (نشوز امرأة) بأن ظهرت أمارات نشوزها فعلاً كأن يجد منها إعراضاً وعبوساً بعد لطف وطلاقة وجه ، أو قولاً كأن

(١) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه . رواه البخاري (٢٥٩٣) و (٢٦٦١) ..

تجيبه بكلام خشن بعد أن كان بلين (زجر) ها (بعظها) استحجاباً لقوله تعالى : ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ﴾ النساء : ٣٤ كأن يقول لها : اتقي الله في الحق الواجب لي عليك ، واحذري العقوبة ؛ بلا هجر ولا ضرب ، وحسن أن يذكرها ما في الصحيحين^(١) من قوله ﷺ : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة » ، وفي رواية « حتى تصبح » . وفي « الترمذي » [١١٦١] عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « أي امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » ، ويبين لها أن النشوز يسقط القسم والنفقة ، فلعلها تبدي عذراً وتتوب عما وقع منها بغير عذر (فإن أبى) مع وعظها وأتت به ، أي : النشوز (هجر) ها (فلا ينام معها في المضجع) أي : يجوز له ذلك لظاهر الآية : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ النساء : ٣٤ ، ولأن في الهجر أثراً ظاهراً في تأديب النساء . وأما الهجر في الكلام فيجوز في ثلاثة أيام^(٢) ، ويحرم فيما زاد عليها لغير عذر شرعي ، فإن كان لعذر كبعدة المهجور أو فسقه جاز ذلك ، (فإن تزدد) بأن أصرت على النشوز بعد الهجر المرتب على الوعد (أتى بضرب موجه) غير مبرح لظاهر الآية ، وإنما يجوز الضرب إذا أفاد ضربها في ظنه ، وإلا فلا يضربها كما صرح به الإمام وغيره . أما الضرب المبرح فلا يجوز مطلقاً ، ولا يجوز على الوجه والمهالك . (وبالنشوز يسقط الإنفاق) عليها لأنه وجب لكونها معطلة للمنافع محبوسة عنده ، فإذا نشزت سقط ما يقابل التمكين (ومالها في قسمها) الواجب لها (استحقاق) .

تنبيه : النشوز يحصل بمخروجها من منزل زوجها بغير إذنه ، لا إلى القاضي لطلب الحق منه ، ولا إلى اكتسابها النفقة إذا أعسر بها الزوج ، ولا إلى الاستفتاء إذا لم يكن زوجها فقيراً ولم يستفت لها . ويحصل أيضاً بمنعها الزوج من الاستمتاع ولو غير الجماع حيث لا عذر لا منعها له منه تدللاً ، ولا الشتم له ولا الإيذاء له باللسان أو غيره ، بل تأثم به وتستحق التأديب . ولو منع الزوج زوجته حقاً كنفقة وقسم ألزمه القاضي توفيته ، فإن أساء خلقه وأذاها بضرب بلا سبب نهأ عن ذلك ، فإن عاد إليه عزّره بما يراه .

(١) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (٥١٩٤) ، ومسلم (١٤٣٦) ، والطائسي (٢٤٥٨) ، والدرامي ١٥٠/٢ . وهو من الكبار .

(٢) فلا يحق له أكثر من ذلك لحديث أبي أيوب رضي الله عنه : « لا يحل لمسلم أن يهاجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا . وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . رواه مالك ٩٠٧/٢ ، والبخاري (٦٠٧٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) .

قال الشاعر :

ياهاجري فوق الثلاث بلا سبب خالفت قول نبيينا أركى العرب
هجر الفتى فوق الثلاث محرم ما لم يكن فيه لمرئنا سبب

فائدة : الخلق — بضم اللام وإسكانها — الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها . ولها أوصاف حسنة وقيحة ، والثواب والعقاب متعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة . روى ركانة بن عبد يزيد^(١) أن النبي ﷺ قال : « إن لكل شيء خلقاً ، وخلق هذا الدين الحياء »^(٢) وروى الترمذي [١١٦٢] عن أبي هريرة . أن النبي ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » وقال : حسن صحيح . ويرحم الله القائل :

بكمارم الأخلاق كن متخلقاً ليفوح مسك ثيابك العطر الشذي
وانفع صديقك إن أردت صداقة وادفع عدوك بالتي^(٣) فإذا الذي
والألف في قول الناظم : يقسم ، و : لتعدلاً ؛ للإطلاق . وقوله : مرأة ؛ لغة في امرأة .

خاتمة : لو قال كل من الزوجين : إن صاحبه متعدٌ عليه ، تعرّف القاضي الحال من ثقة في جوارهما خبير بشأتهما ، فإن لم يكن — خبير ثقة في جوارهما — أسكنهما — القاضي — بجنب ثقة يتفحص عن حالهما ، فإذا تبين الظالم منعه من الظلم ، وإذا اشتد الشقاق ودأما على اكتساب الفواحش والتضارب بعث حكماً من أهل الزوج وحكماً من أهل الزوجة ، وهما وكيلان لهما ؛ لينظرا في أمرهما ، ويصلحا بينهما ، أو يفرقا بينهما بطلقة فقط إن عسر الإصلاح ، والمبعوثان^(٤) من أهلها سنة في الأصح ، والبعث واجب .

(١) هذا الذي صارعه النبي ﷺ من مسلمة الفتح . توفي عام ٤٢ هـ .

(٢) ذكر حديثه هذا ابن الجزري في « أسد الغابة » انظر ترجمته (١٨٠٧) .

(٣) أشار لقوله تبارك وتعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » الآية : [فصلت :

٣٤] .

(٤) وذلك عملاً بقوله جل شأنه : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما .. » [النساء : ٣٥] .

باب الخلع

هو لغة : مشتق من خلع الثوب ؛ لأن كلاً من الزوجين لباس الآخر ، قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] فكأنه بمفارقة الآخر نزع لباسه . وشرعاً : فرقة بين الزوجين بعوض مقصود راجع لجهة الزوج .

وأركانه ثلاثة : عاقد ، ومعقود عليه ، وصبيغة .

(هو الطلاق إن جرى على عوض وجزاز في طهر وحيض ومرض)
(موت وبانت بعده الخالعه فليس للمخالع المراجع)
(بل يستحق العوض الذي جعل ومهر مثل إن جرى بما جهل)
(ثم الطلاق بعده لم يلحق من خالعت من زوجها المطلق)
(ولم يعد إلا بعقد منه جد والخلع كالطلاق في نقص العدد)

ذكر الخلع مع ذكر المال صريح في الطلاق لشيوعه في العرف ، والاستعمال للطلاق وبدونه كناية ؛ فلذا قال الناظم من زيادته بقوله : (هو) أي : الخلع (الطلاق إن جرى على عوض) أي : معلوم مقصود راجع لجهة الزوج كما مر . فخرج بالمعلوم العوض المجهول كثوب غير معين ، فيقع بائناً بمهر المثل ، وبالمقصود الخلع بدم ونحوه ، فإنه رجعي بلا مال ، ودخل برافع لجهة الزوج وقوع العوض للزوج ولسيده ، وما لو خلعت بما ثبت لها من قود أو غيره عليه . وخرج به ما لو علق الطلاق بالبراءة من ما لها على غيره ، فيقع رجعيّاً . (وجزاز) أي : الخلع (في طهر) جامعها فيه ؛ لأنه لا يلحقه ندم بظهور الحمل لرضاه بأخذ العوض ، وفي (حيض) لأنها يبذلها الفداء لخلاصها رضيت لنفسها بتطويل العدة ، (و) في (مرض * موت) والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ [النساء : ٤] والأمر به في « صحيح البخاري » [(٥٢٧٣)] عن ابن عباس [في امرأة ثابت بن قيس بقوله : « اقبل الخديقة وطلقها تطليقة » وهو أول خلع وقع في الإسلام . ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق ، وذكر الخوف في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفْقَهُا حَدُودَ اللَّهِ فَلَاحِظَافَ جَنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] جري على الغالب ، وهو مكروه على الأصح ، إلا أن يخافا أو أحدهما ألا يفهما حدود الله التي افترضها في

النكاح ، أو أن يخلع بالطلاق الثلاث على فعل ما لا بد له من فعله ، فيخالع ، ثم يفعل المخلوف عليه ؛ لأنه وسيلة للتخلص من وقوع الثلاث . ويصح الخلع من زوج مكلف مختار ، لا من صبيّ ومجنون ومكره ، ويصح من سكران ، وشرط قابله من زوجة أو ملتئم بجواب أو سؤال إطلاق تصرفه في المال بأن يكون بالغاً عاقلاً غير محجور عليه ، وشرط للمعوض وهو البضع أن يكون مملوكاً للزوج ، فيصح خلع رجعية لأنها كالزوجة ، بخلاف البائن إذ لا فائدة فيه . (وبانت بعده) أي : الخلع المرأة (المخالعة) والمعنى : ملكت نفسها (فليس للمخالع المراجعة) في العدة ؛ لانقطاع سلطته بالبينونة المانعة من تسليطه على بُضعها إلا بعقد جديد عليها بأركانها وشروطه المتقدمة في باب النكاح ، (بل يستحق) الزوج (العوض الذي جُعِلَ) له سواء كان قليلاً أو كثيراً دنيئاً أو عينا أو منفعة ، (و) يستحق (مهر مثل إن جرى بما جهل) كما قدمته أول الباب .

فرع : لو قال : إن أبرأتني من صدائلك أو ذئيلك فأنت طالق ، فأبرأته وهي جاهلة بقدره لم تطلق ؛ لأن الإبراء لم يصح ، فلم يوجد ما علق عليه الطلاق . (ثم الطلاق بعده) أي : الخلع (لم يلحق من خالعت) في عدتها (من زوجها المطلق) لصيرورتها أجنبية ، بخلاف الرجعية فيلحقها الطلاق إلى انقضاء العدة لبقاء سلطنته عليها . (ولم تعد إلا بعقد منه جد) أي : جديد كما قدمناه (والخلع كالطلاق في نقص العدد) فلو خالعتها ثلاث مرات لم ينكحها إلا بمحلل . وقوله : جُعل ، وجُهل ؛ بالبناء للمفعول .

باب الطلاق

هو في اللغة : حلّ القيد . وفي الشرع : حلّ عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] وقوله ﷺ : « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » رواه أبو داود [٢١٧٨] بإسناد صحيح^(١) .

وأركانه خمسة : صيغة ، ومحل ، وولاية ، وقصد ، ومطلق .

(يصح من مكلف مختار حلّ النكاح بالطلاق الجاري)

اعلم أن شرط المطلق ولو بالتعليق تكليف ، فلا يصح من غير مكلف لخبر : « رفع القلم عن ثلاثة »^(٢) ، إلا السكران فيصح منه مع أنه غير مكلف كما نقله في « الروضة » عن أصحابنا وغيرهم تغليظاً عليه . وشرطه : الاختيار ، فلا يصح من مكره وإن لم يُؤرَّ لإطلاق قوله ﷺ : « لا طلاق في إغلاق »^(٣) أي : إكراه . وشرط الإكراه : قدرة المكره — بكسر الراء — على تحقيق ما هدد به

(١) عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجه (٢٠١٨) ، وقد صححه الحاكم ١٩٦/٢ . وقال أبو حاتم الرازي في « العلل » ٤٣١/١ : إنما هو مرسل .

وأخرج أبو داود (٢١٩٤) ، وابن ماجه (٢٠٣٩) ، والترمذي (١١٨٤) وقال : حسن غريب ، والحاكم ١٩٧/٢ — ١٩٨ — ١٩٧/٢ ، والدارقطني ١٨/٤ — ١٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث جدهن جد ، وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة » .

(٢) رواه عن عائشة رضي الله عنها أحمد ١٠٠/٦ ، وأبو داود (٤٣٩٨) ، وابن ماجه (٢٠٤١) ، والنسائي ١٥٦/٦ ، والحاكم ٣٨٩/٤ .

وأخرج البخاري (٥٢٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل أو تتكلم » . وقال قتادة : إذا طلق في نفسه فليس بشيء .

وقال البخاري كما في « الفتح » ٣٨٨/٩ تعليقاً : قال عثمان رضي الله عنه : ليس لمجنون ولا لسكران طلاق .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : طلاق السكران والمستكره ليس بمباثر .

وقال علي رضي الله عنه : كل الطلاق جائز إلى طلاق المعنوه .

وقال عقبة بن عامر : لا يجوز طلاق الموسوس . وقال إبراهيم : طلاق كل قوم بلسانهم .

(٣) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها ابن ماجه (٢٠٤٦) ، ورواه أبو داود (٢١٩٣) بلفظ : « لا طلاق ولا عتاق في غلاق » قال أبو داود : الغلاق أظنه في الغضب ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ١٩٨/٢ .

بولاية أو تغلب عاجلاً ظمناً، وعجز مكره — بفتح الراء — عن دفعه بهرب أو غيره وظنه أنه إن امتنع حقق ما هدد به . ويحصل الإكراه بتخويف بمحدوز كضرب شديد أو نحو ذلك كالخيس ، وما تضمنه هذا البيت من زيادة الناظم . ثم شرع في الصيغة بقوله :

(وللطلاق صيغة قسبان صريح أو كناية فالثاني)
 (ما احتمل الطلاق مع سواه ولم يقع إلا إذا نواه)
 (ثم الصريح لفظه الطلاق ولفظه السراح والفراق)
 (وهذه الثلاث ليست تفتقر لنية ولتعتبر من سكر)

الصيغة في الطلاق قسبان : صريح ، وكناية . (فالثاني) وهو الكناية (ما احتمل الطلاق مع ما سواه) أي : غيره (ولم يقع) الطلاق به (إلا إذا نواه) إجماعاً ؛ إذ اللفظ متردد بين الطلاق وغيره ، فلا بد من نية تميز بينهما . والكناية كثيرة نحو : أطلقتك ، وأنت مطلقه — بسكون الطاء ، خلية ، برية ، بائن ، اعتدي ، استبرئي رحمك ، الحقني بأهلك ، حبلك على غاربك ، لا أئذه سربك^(١) ، اغربي ، اعزبي ، دعيني ، ودعيني ، تزودي ، تجرعي ، ذوقي ، كلي ، اشربي ، وغير ذلك .

(ثم الصريح) الذي هو القسم الأول فثلاثة ألفاظ فقط كما قاله الأصحاب : (لفظه الطلاق) أي : وما اشتق منه ، وكذا الفراق والسراح — بفتح السين ، أي : وما اشتق منهما على المشهور فيهما . وأمثلة المشتق من الطلاق : كطلقتك ، وأنت طالق ، ويا مطلقة ، ويا طالق ، لا أنت طلاق ، والطلاق ؛ فليسا بصريحين بل كنايات . ويقاس بما ذكر فارتكتك ، وسرحتك ، فهما صريخان ، وكذا أنت مفارقة ، ومسرحة ، ويا مفارقة ، ويا مسرحة ، وأنت فراق ، والفراق ، وسراح ، والسراح كنايات (و) لا تفتقر (هذه) الألفاظ (الثلاث ..) الصريحة (لنية) إجماعاً ، (ولتعتبر من سكر) كما تقدم الكلام عليه .

فروع : إشارة ناطق بطلاق لغو ، ويعتد بإشارة الأخرس في العقود والحلول ، فإذا فهم طلاقه بها كلُّ أحد فصریحة ، وإن اختص بفهمها فطنون فكناية . ولو اشتهر لفظ الطلاق كالحلال أو حلال الله عليّ حرام ، أو أنت حرام . قال الراجعي : فصریح في الأصح عند من اشتهر عندهم ، وصحح النووي أنه كناية ؛ لأن الصريح إنما يؤخذ بما ورد القرآن به وتكرر على لسان حملة الشريعة ،

(١) فرها الخطيب بمعنى : لا أئتم بشأنك . قال البجيرمي ٤٢٤/٣ : المعنى الأصلي : لا أنجر جماعتك التي أنت منهم . أي : ليس لي تسلط عليهم .

وليس المذكور كذلك . ولو قال : أنت حرام ، ولم يقل : عليّ ؛ فكناية قطعاً . ولو قال : هذا الثوب ، أو الطعام ، أو العبد حرام عليّ ؛ فلعو . ولو قال : الطلاق لازم لي ، أو واجب عليّ ؛ فهو صريح ، بخلاف : فرض عليّ ؛ للعرف في ذلك . ولو قال : عليّ الطلاق ، وسكت ففي « البحر » عن المزني أنه كناية . وقال الصيمري : إنه صريح . قال الزركشي : وهو الحق في هذا الزمن لاشتهاره في معنى التطليق ، وهو الظاهر . وقول الناظم : صريحٌ أو ؛ بدرج الهمزة .

(ثم الطلاق سنة ومبتدع ويحرم البدعي وهو ما وقع)
 (إما بحض أو بما يليه من طهرها بعد الجماع فيه)
 (أو في خلال حيضها الذي مضى وإن يطلق بالسؤال والرضا)
 (وضابط السنّي منه ما وقع بطهرها حيث الجماع لم يقع)
 (أصلاً به ولا بحض قبله وما عدا البدعي جائز له)
 (وأربع طلاقهن لم يكن بسنة ولا ببدعة وهن)
 (صغيرة وحامل وأيسه وذات خلع حيث لا مماسه)

اعلم أن الطلاق ينقسم إلى سنّي وبدعي ، ولا سني ولا بدعي كما سيعلم مما يأتي .

فائدة : ينقسم الطلاق إلى الأحكام الخمسة : واجب كطلاق الحكّمين في الشقاق . ومندوب : كطلاق زوجة حالها غير مستقيم كأن تكون غير عفيفة . وحرام : كالطلاق البدعي كما سيأتي . ومكروه : كطلاق مستقيمة الحال ، وعليه حُمل الخبر المارّ أول الباب وهو : « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » . وأشار الإمام إلى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير استمتاع بها . إذا علم ذلك فحرام الطلاق البدعي ، (وهو ما وقع * إما بحض أو بما يليه . من طهرها بعد الجماع فيه * أو في خلال حيضها الذي مضى) والمعنى من البدعي : أن يقع الطلاق على مدخول بها في الحيض أو في طهر جامعها فيه أو في خلاله ، أي : أثناء حيضها فهو حرام (وإن يطلق بالسؤال والرضا) أي : وإن سأله طلاقاً بلا عوض أو اختلعهما أجنبي ، وذلك لخالفته — فيما إذا طلقها في حيض — قوله تعالى ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ الطلاق : ١١ وزمن الحيض لا يحسب من العدة ، ومثله النفاس والمعنى في ذلك : تضرُّرها بطول مدة التربص ، ولأدائه إلى الندم

فمن تَحْمِلُ لو ظهر حمل ، فإن الإنسان قد يَطْلُقُ الحائِل دون الحامل ، وعند الندم قد لا يمكنه التدارك فيتضرر هو والولد . ويندب لمن طَلَّقَ بدعيًّا أن يراجع ما لم يدخل الطهر الثاني^(١) .

وقوله : (وضابط السني) إلى قوله : (قبله) أشار به إلى أن الطلاق السني هو أن يوقعه على مدخول بها ليست بحامل ولا صغيرة ولا آيسة ، في طهر غير مجامع فيه ، ولا في حيض قبله ، وذلك لاستعقابه الشروع في العدة وعدم الندم فيمن ذكرت ، وقد قال تعالى : ﴿ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لَعَدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق : ١] أي : في الوقت الذي يشرعن فيه في العدة .

وقوله : (وأربع) إلى آخره أشار به إلى القسم الثالث ، وهو لا سني ولا بدعي . أي : من النساء (طالقهن لم يَكُنْ . بسنة ولا ببدعة وهُنَّ . صغيرة) التي لم تحض ، (وحامل) ظهر حملها ؛ لأن عدتها بوضعها فلا تختلف المدة في حقها ، فلا ندم بعد ظهور الحمل ، (وآيسة) . لأن عدتها بالأشهر فلا ضرر يلحقها (وذات خلع حيث لا ممانسة) أي : المختلعة التي لم يدخل بها ، إذ لا عدة عليها ، وكذا الطلاق قبل الدخول ، وطلاق الإيلاء ، وطلاق المتحيرة ، وطلاق الحكيم .

فصل : في أكثر الطلاق والاستثناء والتعليق

(واجعل ثلاثاً أكثر التطليق للحرِّ واثنين للرقيق)
(وصح الاستثناء في الطلاق إن يتصل به بلا استغراق)
(وشرطه إسماع من بقربه وقصده من قبل نطقه به)
(وصح تعليق بشرط أو صفة من زوجة ولو سوى مكلفه)

(١) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ : « مره فليرجعها ، ثم لييسها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فذلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » . رواه البخاري (٥٢١) ، ومسلم (١٤٧١) . وفي لفظ لمسلم : « مره فليرجعها ، فإذا طهرت فليطلقها لظهرها » . رواه مسلم (١٤٧١) . (١١) . وفي لفظ لمسلم (٨) : « يطلقها في قُبَلِ عَدَّتِهَا » . وقرأ ابن عمر : (في قُبَلِ) رواه مسلم (١٤٧٢) .

في هذه الأبيات مسائل : الأولى : يملك الحرُّ على زوجته سواء كانت حرة أو أمة ثلاث طلاقات ؛ لأنه ﷺ سُئِلَ عن قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ قيل : وأين الثالثة ؟ فقال : « ﴿ أو ﴾ تسريح بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩]^(١) وملك الرقيق طلقتين فقط وإن كانت زوجته حرة ، لما روى الدارقطني [٣٩/٤] مرفوعاً : « طلاق العبد طلقتان » . والمكاتب والمبعض والمدير كالقن ، وإنما لم يعتبروا رق الزوجة ولا حريتها فيما ذكر ؛ لأن الاعتبار في الطلاق بالزوج لخبر : « الطلاق بالرجال ، والعدة بالنساء » رواه عن زيد بن ثابت البيهقي [٣٦٩/٧] .

الثانية : صح الاستثناء لوقوعه في القرآن والسنة وكلام العرب ، وهو الإخراج بالآ أو إحدى أخواتها^(٢) ، ولصحته شروط ، أحدها : أن يتصل به إلى اليمين . ثانيها : أن لا يستغرق المستثنى منه ، فإن استغرق ضرَّ والمستغرق باطل بالإجماع كما قاله الإمام والآمدي ، فلو قال : أنت طالق ثلاثاً إلا ثلاثاً لم يصح الاستثناء وطلقت ثلاثاً . وثالثها : (إسماع مَنْ بقربه) كما يشترط لسماح نفسه . (و رابعها : (قصده) أي : الاستثناء (قبل نطقه به) أي : قبل فراغه وقصد رفع حكم اليمين . ولو قال : أنت طالق إن شاء الله ، أو : إن لم يشأ الله طلاقك ، وقصد التعليق لم يقع الطلاق ؛ لأن المعلق عليه مشيئة الله تعالى وعدمها غير معلوم ، ولأن الوقوع بخلاف مشيئة الله تعالى مُحَالٌ ، وكذا : أنت طالق إلا أن يشاء . وكذا يمنع التعليق بالمشيئة انعقاد نية وضوء وصلاة وصوم وغيرها عند قصد التعليق ، وينعقد انعقاد تعليق وعتق ويمين ونذر وكل تصرف غير ما ذكر كبيع وغيره .

الثالثة : يصح تعليق الطلاق بشرط أو صفة كتعليقه بفعله أو فعل غيره كقوله : إن دخلت الدار فأنت طالق ، وقد استؤنس بجواز التعليق بالشرط بقوله عليه الصلاة والسلام : « المسلمون على شروطهم^(٣) » ، وأدوات التعليق بالشرط والصفة : إن ، وإذما ، ومَنْ ، وإذا ، ومتى ، وكلما ،

(١) أخرجه عن أبي رزين الأسدي أبو داود في « المراسيل » (١٩٤) ، ومن حديث أنس رضي الله عنه رواه الدارقطني ٣/٤ - ٤ ، والبيهقي ٣٤٠/٧ . قال في « خلاصة البدر المنير » (٢٠٥٣) قال ابن القطان : هو صحيح من طريقه . قال البيهقي وابن الملقن : الصواب الأول .

(٢) وهي : غير ، وسوى ، وليس ، ولا يكون ، وخلا ، وحاشا ، وعدا .

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أبو داود (٣٥٩٤) بإسناد حسن ، والحاكم ٤٩/٢ . وفي الأصل : المؤمنون عند شروطهم .

وأي، ونحوها^(١)، ولا يقتضين فوراً في المعلق عليه ولا تراخياً إن علق بمشيت كالدخول في غير خلع، إلا إذا قال: أنت طالق إن شئت، ولا تكراراً إلا في كلما. وقول الناظم: (من زوجة ولو سوى مكلفه) أشار به إلى المحل، فلا يقع الطلاق المعلق قبل النكاح بعد وجوده لقوله ﷺ: «لا طلاق إلا بعد نكاح» صححه الترمذي [١١٨١].

خاتمة: لو قال لزوجته مثلاً: إن كلمت زيدا فأنت طالق، فكلمت حائطاً مثلاً وهو يسمع لم يحث في أصح الوجهين؛ لأنها لم تكلمه. ولو قال لزوجته: إن دخلت الدار ووجدت فيه شيئاً من متاعك ولم أكسره على رأسك فأنت طالق، فوجد في البيت هاوناً لم تطلق كما جزم به الخوارزمي ورجحه الزركشي؛ لاستحالة كسره. وفروع الطلاق لا تنحصر.

باب الرجعة

هي بفتح الراء أفصح من كسرها عند الجوهري، والكسر أكثر عند الأزهرى. هي لغة: المرة من الرجوع. وشرعاً: رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن في العدة على وجه مخصوص كما يؤخذ مما سيأتي، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾ أي: في العدة ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي: رجعة كما قاله إمامنا الشافعي. وقوله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامه، وإنها زوجتك في الجنة»^(٢).

وأركانها ثلاثة: محل، وصيغة، ومرتبج. ثم قال الناظم:

(مَنْ طَلَقَ أَوْ طَلَّقَتْ أَوْ قَعَا
بَعْدَ الدَّخُولِ وَهُوَ حَرٌّ رَاجِعًا)
(قَبْلَ انْقِضَاءِ عِدَّةِ تَعْدُّهَا
لَكِنْ بَعْدَ بَعْدِهَا يَرُدُّهَا)
(وَبَعْدَ عَوْدِ مَطْلُوقِ تَبْقَى مَعَهُ
بِمَا بَقِيَ بَعْدَ طَلَاقِ أَوْ قَعَا)
(فَإِنْ يَطْلُقْ أَكْثَرَ الطَّلَاقِ
تَعَذَّرَ النِّكَاحُ بِاتِّفَاقِ)
(وَجَازَ بَعْدَ خَمْسَةِ أُمُورٍ
وَهِيَ انْقِضَاءُ عِدَّةِ الْمَذْكُورِ)
(وَبَعْدَهُ تَزْوِيجُ غَيْرِهِ بِهَا
ثُمَّ الدَّخُولُ وَهُوَ أَنْ يَصِيحَهَا)
(ثُمَّ الطَّلَاقُ ثُمَّ عِدَّةُ لَهُ
وَبَعْدَهُ حَلَّتْ لَزُوجِ قَبْلِهِ)

اعلم أن للرجعة شروطاً: أحدها: أن يكون الطلاق دون الثلاث في الحر كما قال: (مَنْ طَلَقَ أَوْ طَلَّقَتْ أَوْ قَعَا. بعد الدخول وهو حر راجعاً) وأن يكون دون اثنتين في الرقيق، أما من استوفى عدد الطلاق فلا؛ إذ لا سلطنة له عليها. وثانيها: أن يكون بعد الدخول كما ذكره، فإن كان قبله فلا رجعة لبيئتها. وثالثها: أن تكون الرجعة قبل انقضاء العدة^(٣)، فإذا انقضت عدتها بوضع حمل أو أقرأ أو أشهر كان له إعادة نكاحها بعقد جديد بشروطه لبيئتها حيثئذ (وبعد عود) هـ (مطلقاً) تبقى معة. بما بقي له من عدد الطلاق (بعد طلاق أو قعة) لما روى البيهقي عن عمر رضي الله عنه أنه أفتى بذلك، ووافقه عليه جماعة من الصحابة ولم يظهر لهم مخالف. ورابعها: أن لا يكون الطلاق بعوض منها أو من غيرها، فإن كان على عوض فلا رجعة كما تقدم توجيهه في الخلع.

(١) حديث صحيح أخرجه عن عمر رضي الله عنه أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦). ولحديث ابن عمر المار

قبل وهو قوله: «مرة فليراجعها» رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

(٢) لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَنْفِرْ أَجْلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

(١) وهي: متى ما، ومهما، وأياً ما، وأيانا، وأين، وحيثما، وكيف، وكيفما. وقد نظم أحدهم بعض أدوات التعليق مع بيان معانيها فقال:

أدوات التعليق في النسفي للفر
للتراخي إلا إذا إن منع المأ
ر سوى إن وفي الثبوت رأوها
ل وشئت وكلما كرروها

ويشترط في المرتجع الاختيار وأهلية النكاح بنفسه ، وفي الصيغة لفظ يشعر بالمراد ، وهو إما صريح وهو : رددتك إليّ ، وراجعتك ، وارتجعتك ، وأمسكتك ، وأما كناية كترجعتك ، ونكحتك . ويشترط فيها تنجيز وعدم تأقيت ، وسن إظهار عليها خروجاً من خلاف من أوجبه^(١) .

وقول الناظم : (فإن يطلق) إلى آخر الآيات ، معناه : إذا طلق الحرّ ثلاثاً والعبد طلقتين معاً أو مرتباً قبل الدخول أو بعده لم تحل المطلقة إلا بعد خمسة أمور في المدخول بها ، وعلى وجود ما عدا الأول منها في غيرها . أولها : انقضاء عدتها من المطلق . ثانيها : تزويجها بغيره ولو عبداً ، أي : كبيراً ؛ لأن الراجح أن العبد الصغير لا يصح إجباره على النكاح ، أو مجنوناً . ثالثها : دخوله بها وإصابتها بدخول حشفته أو قدرها من مقطوعها ولو كان عليها حائل كأن لفّ عليها خرقة ، فإنه يكفي تغييرها في قبلها خاصة لا في غيره كديرها كما لا يحصل به التحصين . وسواء أُولج هو ، أو نزلت عليه في يقظة أو نوم ، أو أُولج فيها وهي نائمة . رابعها : بينوتها من الزوج الثاني بطلاق أو فسخ أو موت . خامسها : انقضاء عدتها لاستبراء رحمها ؛ لاحتمال علوقها من إنزال حصل منه ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أي : ثلاثة ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] وخبر الصحيحين : جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : كنت زوجة رفاعة ، فطلّقني فبّت طلاقي ، فترجّعت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وإن ما معه كهدة الثوب ، فقال : « أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلاتك »^(٢) والمراد بها الوطء ، ويشترط الانتشار للآلة ولو انتشاراً ضعيفاً . ويشترط في تحليل البكر الافتضاخ كما قاله الشيخان ، ويقبل قول المطلقة ثلاثاً في التحليل يمينها عند الإمكان ، وللأول تزوجها وإن ظن كذبها ، ولكن يكره . فإن قال : هي كاذبة ، مُنع من تزوجها ، إلا إن قال بعده : تبين لي صدقها . والألف في قول الناظم : أوقعا ، و : راجعا ؛ للإطلاق .

خاتمة : يصح الإيلاء والظهار والطلاق واللعان من الرجعية ، ويتوارثان لبقاء الزوجية .

(١) أخرجه البيهقي ٣٧٣/٧ عن نافع قال : طلق ابن عمر رضي الله عنهما امرأته صفية بنت أبي عبيد تطليقة أو تطليقتين فكان لا يدخل عليها إلا بإذن ، فلما راجعها أشهد على رجعتها ودخل عليها . وروى أيضاً أبو داود (٢١٨٦) ، وابن ماجه (٢٠٢٥) ، والبيهقي ٣٧٣/٧ أن عمران بن حصين سئل عن رجل طلق امرأته ولم يشهد ، وراجع ولم يشهد . قال عمران : طلق في غير عدة وراجع في غير سنة ، فليشهد الآن . قال في « رحمة الأمة » ص ٤٢١ : هل من شرط الرجعة الإشهاد أم لا ؟ فقال أبو حنيفة وأحمد ومالك في رواية عنه : ليس من شرطها الإشهاد ، بل هو مستحب وللشافعي قولان : أحدهما الاستحياب .

(٢) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها البخاري (٥٣١٧) ، ومسلم (١٤٣٣) . هبة الثوب : طرف حاشيته .

باب الإيلاء

هو لغة : الحلف^(١) ، قال الشاعر :

وأكذب ما يكون أبو المثني إذا آلى يميناً بالطلاق

وشرعاً : ما يأتي في النظم وهو حرام للإيذاء ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ للذين يؤثرون نسائهم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] الآية .

وأركانها ستة : حالف ، وحلوف به ، وحلوف عليه ، ومدة ، وصيغة ، وزوجان .

(يمين زوج صحّ أن يطلقها) ليترك الوطء تركاً مطلقاً
(أو زائداً عن ثلث عام إيلاً) حيث الجماع ليس مستحيلاً
(ويثبت الإيلاء بالتعليق بالصوم والاعتاق والتطليق)
(فليمهّل المولي شهوراً أربعه من وقته أو رجعة المراجعه)
(وبعد ذلك خيروا من آلى بين الرجوع والطلاق حالا)
(فإن أئى كلمه معانده فليوقع القاضي عليه واحده)
(وواجب بوطئه بعد القسم ونحوه كفارة أو ما التزم)

(يمين زوج ..) يصح طلاقه باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته أو بالتزام ما يلزم بنذر أو تعليق طلاق أو عتق — كما أشار إليه في البيت الثالث بقوله : (ويثبت الإيلاء) إلى

(١) الحديث عبد الرحمن بن سمره رضي الله عنه رواه البخاري (٦٦٢٢) ، ومسلم (١٦٥٢) ، ولفظه : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه » . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « آلى رسول الله ﷺ من نسائه وحرم ، فجعل الحرام حلالاً ، وجعل في اليمين كفارة » رواه الترمذي (١٢٠١) مرسلًا وابن ماجه (٢٠٧٢) ، وعنها قالت : أقسم رسول الله ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً ، فمكث تسعة وعشرين يوماً . حتى كان مساء ثلاثين دخل على ، فقلت : إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً . فقال : الشهر كذا يرسل أصابعه فيه ثلاث مرات والشهر كذا وأرسل أصابعه كلها ، وأمسك إصبعاً واحداً في الثالثة رواه ابن ماجه (٢٠٥٩) . قال في « الزوائد » إسناده حسن . وعن أنس رضي الله عنه يقول : آلى رسول الله ﷺ من نسائه ، وكانت انفكت رجله ، فأقام في مشربة له تسعاً وعشرين ثم نزل ، فقالوا يا رسول الله آليت شهراً فقال : « الشهر تسع وعشرون » . رواه البخاري (٥٢٨٩) .

آخره — (لَيْتَرَكَنَّ الوطءَ) لزوجه الحرة في قبلها ووطؤه لها ممكن أو الأمة (تركاً مطلقاً) كقوله : والله لا أطوك (أو زائد عن ثلث عام) أي : أو مدة تزيد عن أربعة أشهر كقوله : والله لا أطوك خمسة أشهر ، أو قيد بمستبعد الحصول كقوله : والله لا أطوك حتى ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام (إيلاً) ء لضررها . فعلم من هذا أنه لا يصح من أجنبي لو نكحها لم يكن مولياً كما قال : يمين زوج^(١) إلى آخره ، ولا من صبي ومجنون ومكره ، ولا من أشل أو جُب ذكره ولم يبق منه قدر الحشفة ، ولا من رتقاء وقرناء كما قال من زيادته : (حيث الجماع ليس مستحيلاً) . ويعتقد الإيلاء بالصريح كالجماع والوطء واقتضاض البكر ، وبالكناية مع النية كالمباضعة والمباشرة واللمس . وقوله : (فليمهل المولي) إلى آخر الآيات تقديره : إن المولي يمهّل وجوباً إن سألت زوجته ذلك أربعة أشهر من حين الإيلاء وابتدأؤه في رجعية آلى منها من حين الرجعة ، فإذا مضت المدة ولم يطأها من غير مانع تخير المولي بطلبها بين الفية بأن يولج المولي حشفته أو قدرها من مقطوعها بقبل المرأة — وسُمي الوطء فية ؛ لأنه من فاء : إذا رجع — أو بين الطلاق بطلبها حالاً طلاق رجعية إن لم يطأ (فإن أئى كليهما) أي : امتنع من الفية والطلاق (معاندة . فليوقع القاضي عليه) طلاقاً (واحدة) رجعية نيابة عنه بسؤالها له . (وواجب بوطئه بعد القسم . ونحوه كفارة أو ما التزم) : ويلزمه كفارة يمين في الحلف بالله لا بغيره إن وطئ مختاراً بمطالبة أو دونها ، فإن حلف بتعليق طلاق أو عتق وقع بوجود الصفة ، أو بالتزام قرينة لومه ما التزم أو كفارة يمين .

تنبيه : ما ذكره الناظم تبعاً من أنها تردّد الطلب والطلاق هو ما في «الروضة» وأصلها في موضع ، وصوب الزركشي وغيره الترتيب بين مطالبتهما بالفية والطلاق .

باب الظهار

مأخوذ من الظهر ؛ لأن صورته الأصلية أن يقول لزوجه : أنت علي كظهر أمي^(١) ، ونخصوا الظهر لأنه موضع الركوب ، والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ [المجادلة: ٣] الآية ، وهو حرام لقوله تعالى : ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ [المجادلة: ٢] .

وأركانها أربعة : صيغة ، ومُظَاهِر ، ومُظَاهَر منها ، ومشبه به .

- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| (ظهاره تشبيهه لزوجه | بحرم كأمه وعمته |
| (كقوله أنت علي كابنتي | أو ظهري أمي أو كرأس عمتي |
| (وحيث لم يتبعه بالطلاق | فعائد إليه باتفاق |
| (ولا يجوز للذي قد ظاهراً | وعاد وطء قبل أن يكفراً |
| (باعتق ثم الصوم فالإطعام | كما مضى في الوطء في الصيام |

فحقيقة الظهار الشرعية تشبيه الزوج زوجته في الحرمة بمحرمة كأمه وعمته ، كقوله للزوجة : أنت علي ، أو مني ، أو معي ، أو عندي كابنتي ، أو كظهر أمي ، أو مركبي منك حرام كمركبي من أمي ، فذا صريح . وقوله من زيادته : (أو كرأس عمتي) كناية ، ومثله ما يذكر للكرامة كقوله : أنت كأمي ، أو كرأسها فإنه كناية . فلا يصح من أجنبي حتى لو نكحها لم يكن مُظَاهِراً ، ولا من صبي ومجنون ، ويصح من السكران ، إذ شرط المظاهر كونه زوجاً يصح طلاقه . (وحيث لم يتبعه بالطلاق) أي : إذا قال المظاهر ذلك ولم يتبعه بالطلاق بأن يمسخها بعد ظهاره زمن إمكان فرقته ولم يفعل (فعائد إليه باتفاق) أي : صار عائداً لأن تشبيهها بالأم مثلاً يقتضي أن

(١) روى ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً أتى النبي ﷺ قد ظاهر من امرأته فوقع عليها ، فقال يا رسول الله : إني قد ظاهرت من امرأتي فوقع عليها قبل أن أكفر ؟ فقال : « ما حملك على ذلك يرحمك الله » ؟ قال : رأيت خلقها في ضوء القمر . قال : « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله » .

رواه أبو داود (٢٢٢٣) ، والترمذي بلفظه (١١٩٩) وصححه ، وابن ماجه (٢٠٦٥) ، والنسائي ١٦٧ / ٢ ، والحاكم ٢٠٤ / ٢ . قال النسائي وأبو حاتم : مرسل أصوب . واستشهد له الحاكم .

(١) لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : « إنما الطلاق لمن أخذ بالساق » رواه ابن ماجه (٢٠٨١) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . وعن سليمان بن يسار قال : أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يوقعون المولي . رواه الشافعي ١٢٩ / ٢ ، والدارقطني ٦٢ / ٤ .

لا يمسكها زوجة، فإن أمسكها زوجة بعد عاد فيها قال؛ لأن العود للقول مخالفته. يقال: قال فلان قولاً ثم عاد له وعاد فيه، أي: خالفه ونقضه، وهذا في الظهار غير المؤقت. أما العود في الظهار المؤقت فهو أن يبطأ في المدة، ولا يجوز للذي قد ظاهر وعاد وطء قبل أن يكفر الآية: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ [المجادلة: ٣] الآية. والأوجه أن الكفارة تجب بالظهار والعود^(١).

واعلم أن الكفارة مأخوذة من الكفر وهو السر؛ لسترها الذنب تخفيفاً من الله تعالى، وسُمي الزارع كافراً؛ لأنه يستر البذر. وتنقسم الكفارة إلى قسمين: بخيرة في أولها ومرتبة آخرها وهي كفارة النين. ومرتبة في كلها وهي كفارة القتل والجماع في نهار رمضان والظهار. والكلام الآن في كفارة الظهار، وخصالها ثلاث^(٢):

أولها: الحق، أي عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب المضرة بالعمل إضراراً يتناً.

ثانيها: الصيام، إن لم يجد رقبة يعتقها بأن عجز حساً أو شرعاً صام شهرين متتابعين للآية الكريمة.

ثالثها: الإطعام، إن لم يستطع الصوم المتتابع أطعم ستين مسكيناً للآية أو فقيراً لأنه أشد حالاً منه، ويكفي البعض مساكين والبعض فقراء، ويدفع للستين المذكورين ستين مئداً لكل مسكين مد^(٣) من جنس الحب الذي يكون فطرة.

تنبيه: إذا عجز من لزمته الكفارة عن جميع الخصال ثبتت في ذمته إلى أن يقدر على شيء منها، فلا يبطأ المظاهر حتى يكفر. والألف في قول الناظم: ظاهرًا، ويكفرًا؛ للإطلاق.

(١) تمة: روى البيهقي ٢٨٣/٧ و ٢٨٤ أثرًا عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا ظاهر الرجل من أربع نسوة بكلمة واحدة ثم أمسكن فعلية كفارة واحدة.

(٢) كما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿فحري رقية من قبل أن يتاسا ذلكم توعدون به والله بما تعملون خير. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتاسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ [المجادلة: ٣-٤].

(٣) وهو ربع صاع من غالب قوت البلد. ويعادل بالحجم: مكعب طول ضلعه ٩،٢ سم، وبالوزن: ٥٥٠ غراماً تقريباً.

باب اللعان

هو لغة: المباحة، ومنه لعنه الله، أي: أبعد وطرده. وشرعاً: كلمات معلومة جعلت خجة للمضطر إلى قذف من لطح فراشه وألحق العار به. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهن﴾ [النور: ٦-٩].

(القذف رمي الشخص شخصاً بالزنا)	وحد من يرمي بذلك محصناً
(ما لم يقيم على زناه أربعة)	أو يلتن بقذف زوجة معه
(كقوله بأمر قاض أشهد)	بالله إني صادق مؤكد
(فيما رميتها به من الزنا)	وليس مني فرعها بل من زنا
(يقول ذاك أربعاً بلفظه)	وخامساً يقول بعد وعظه
(ولم يثبت الله عليّ تضرب)	إن كنت فيما قلت من يكذب
(فحيث جاء باللعان لم يُحد)	بقذفها ويتفني عنه الولد
(وفارقه فرقة معجمله)	وحرمت فلا تحلّ بعده
(وتستحق أن تحد للزنا)	ما لم تلأعن مثل ما قد لاعنا
(لكن تقول إنه لقد كذب)	في القذف لي وتبدل اللعن غضب
(فلا تحد بعد أن تلأعنه)	لكن تصير معه غير محصنه

اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة كما في «الروضة» عن الأصحاب، فلا يصح لعان صبي ومجنون، ولا يقتضي قذفهما لعاناً بعد كمالهما، ولا عقوبة كما في «الروضة». ويشترط لصحة اللعان سبق قذف؛ تقديماً للسبب على المسبب كما هو مستفاد من قول الناظم: (القذف رمي الشخص شخصاً بالزنا) صريحاً كقوله: زني، أو: يا زاني، أو: يا زانية، أو: زني فرجك،

(١) ﴿والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ [النور: ٦-٩] صدق الله العظيم.

أو : يا قحبة ، كما أفتى به العز بن عبد السلام ، أو كناية كزناً في الجبل بالهمز ، أو : يا فاجرة ، أو : يا فاسقة ، أو : أنت تحبين الخلوة بالرجال ، أو لم أجذك بكراً ، ونوى القذف . (وحُدَّ من يرمي بذلك مُحْصَنًا) حدُّ القذف ، للإيذاء فخرج بالمحصن غيره ، والمحصن الذي يُحَدُّ قاذفه : مكلف حرٌ مسلم عفيف عن وطء يُحَدُّ به (ما لم يقم على زناه أربعة) يشهدون بذلك ، فيرتفع عنه الحدُّ والتعزير ، (أو يلتعن بقذف زوجة مَعَةٍ) لدفع الحد إن اختاره (كقوله) أي : الزوج (بأمر قاضٍ) إذ اللعان لا يعتبر بحضوره ، ويكون في أشرف مواضع بلده بحضور جمع من عدول الناس وصلحاتهم (أشهد بالله أنني صادق) أي : لِمَنْ الصادقين (فيما رميتها به) أي : زوجتي هذه (من الزنا) إن كانت حاضرة ، ويسمى ويرفع نسبها إن كانت غائبة ، وإن كان تمَّ ولدٌ ينفيه عنه ذكره في كل كلمات اللعان الخمسة الآتية لينتفي عنه ، فيقول في كل منها : (وليس مني فرعها بل مِنْ زنا) أي : وإن هذا الولد - إن كان حاضراً - أو إن الولد الذي ولدته - إن كان غائباً - من زنا ، وليس هو مني ؛ لأن كل مرة بمنزلة شاهد ، فلو أغفل ذكر الولد في بعض الكلمات احتاج إلى إعادة اللعان لنفيه ، ويكون ذلك أربع مرات للآيات السابقة . وكررت الشهادة لتأكيد الأمر ؛ لأنها أقيمت مقام أربعة شهود من غيره ليقام عليها الحدُّ ، ولذلك سميت شهاداتٍ ، وهي في الحقيقة أيمان . وأما الكلمة الخامسة الآتية فمؤكددة لفاد الأربع (وخامساً يقول بعد وعظه) أي : يقول في المرة الخامسة بعد أن يعظه الحاكم ندباً بأن يخوفه من عذاب الله تعالى : وقد قال ﷺ تلالل : « اتق الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة » ، ويأمر رجلاً أن يضع يده على فيه لعله يتزجر^(١) ، فإن أبى بعد مبالغة الحاكم في وعظه إلا المضى قال له : قل : (ولعنة الله عليَّ تُضَرَّبُ . إن كنت فيما قلت ممن يَكْذِبُ) أي : وعليَّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا (فحيث جاء باللعان) بتمامه (لم يُحَدِّ بقذفها) أي : الملاعنة إن كانت محصنة (وينتفي عنه) نسب (الولد) أي : إن نفاه في لعانه لخبر الصحيحين : أنه ﷺ فرَّق بينهما وألحق الولد بالمرأة^(٢) . (وفارقه فرقة معجَّلة) لانقطاع النكاح بينهما ، وهي فرقة فسخ كالرضاع .

وفي « سنن أبي داود » [٢٢٥٠] « المتلاعنان - إذا تفرقا - لا يجتمعان أبداً^(١) » ، (وحُرِّمت فلا تحلُّ بَعْدَ لَهُ) أي : حُرِّمت على الأبد ، فلا يحل له نكاحها بعد اللعان ولا وطؤها بملك النجس لو كانت أمة واشتراها ، لقوله ﷺ : « لا سبيل لك عليها »^(٢) ، ولما في الحديث المار . (وتبستحق) أي : الملاعنة (أن تُحَدِّ للزنا) مسلمة كانت أو كافرة (ما لم تلاعن مثل ما قد لاعننا) لقوله تعالى : ﴿ ويدراً عنها العذاب ﴾ [النور : ٧] الآية ، فدل على وجوب الحدِّ عليها بلعانه وعلى سقوطه بلعانها كما قال الناظم : (لكن تقول إنه لقد كذب . في القذف لي وتبدل اللعن غضب) فتقول بعد أن يأمرها الحاكم في جمع من الناس : أشهد بالله إن فلاناً هذا - إن كان حاضراً ، أو تميزه في الغيبة - لِمَنْ الكاذبين عليَّ فيما رماني به من الزنا ، أربع مرات ، وتقول في المرة الخامسة بعد أن يعظها الحاكم كما مرَّ : وعليَّ غضب الله إن كان من الصادقين فيما رماني به كما في « الروضة » . (فلا تُحَدِّ) له (بعد أن ثلاثه) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ويدراً عنها العذاب ﴾ [النور : ٧] ثم زاد الناظم على أصله قوله : (لكن) تكون ، أي : (تصير مَعَةٍ غير مُحْصَنَةٍ) فلا يُحَدُّ بقذفها . فإن قيل : ما الحكمة في اختصاص لعانها بالغضب ولعان الرجل باللعن ؟ قلت : لأن جريمة الزنا أعظم من جريمة القذف ، فقبول الأعظم بمثله وهو الغضب ؛ لأن غضبه تعالى إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم ، واللعن : الطرد والبعد ، فخصت المرأة بالتزام أغلظ العقوبة منه ، اللهم لا تغضب علينا ولا تبعدنا عن بابك أجمعين . وقول الناظم : مؤكَّد ، بكسر الكاف المشددة ، إيضاح وتكملة . وقوله : مَعَةٍ ؛ بسكون العين .

(١) أخرجه بهذا اللفظ عن ابن عمر البقي في « السنن » ٧ / ٤٠٩ ، وأما حديث أبي داود المشار إليه فهو من قول سهل بن سعد رضي الله عنه قال : حضرت هذا عند رسول الله ﷺ ، فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبداً .

وإلى هذا ذهب الشافعي ومالك والأوزاعي والثوري ويعقوب وأحمد وإسحاق ، ومذهب أبي حنيفة ومحمد بن الحسن أنه إذا أكذب نفسه ثبت النسب ولحقه الولد .

(٢) لما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين : « حسابكما على الله ، أحدكما كاذب ، لا سبيل لك عليها » . قال يا رسول الله مالي ؟ قال : « لا مال لك ، إن كنت صدقت عليها ، فهو بما استحللت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها فذلك أبعد لك منها » . رواه البخاري (٥٣١٢) ، ومسلم (١٤٩٣) .

(١) رواه أبو داود (٢٢٥٦) مطولاً كما يذكره بقوله عز وجل من قاتل : ﴿ إن الذين يشتركون بهعد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ﴾ . [آل عمران : ٧٧] .

(٢) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه أبو داود (٢٢٥٥) ، والنسائي ٦ / ١٧٥ : أن النبي ﷺ أمر رجلاً حين أمر المتلاعنين أن يتلاعنا أن يضع يده على فيه عند الخامسة . يقول : إنها موجبة .

(٣) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٥٣١٥) ، ومسلم (١٤٩٤) .

باب العدة

مأخوذة من العدد لاشتغالها على عدد من الأقراء والأشهر . وهي في الشرع : اسم لمدة تربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها ، أو للتعبّد أو لتفجّعها على زوجها . والأصل فيها قبل الإجماع آيات وأخبار تأتي في الباب . وشرّعت ضيافة للأنساب وتحصيناً لها من الاختلاط رعاية لحق الزوجين والولد والناكح الثاني ، والمغلب فيها التعبّد بدليل أنها لا تنقضي بقرء واحد مع حصول البراءة به .

(تعتد زوجة عن الوفاة)	(والفسخ والطلاق في الحياة)
(فعدة الوفاة ثلث عام)	(مع عشرة أيضاً من الأيام)
(أو وضع ذات الحمل باتفاق)	(فإن تكن عن فسخ أو طلاق)
(فذات حمل وضعها الوفاء)	(وغيرها ثلاثة أقراء)
(وحيث كانت ذات يأس أو صغر)	(فأشهر ثلاثة لها تقر)
(وذات رق عن وفاة بعلمها)	(تعتد أيضاً بانفصال حملها)
(وحيث كانت حائلاً فالمعتبر)	(ستون يوماً ثم خمسة آخر)
(وإن تطلق حاملاً فلا انقباض)	(إلا بوضع حملها كما مضى)
(أو ذات حيض فليجب قرآن)	(أو غيرها شهر ونصف الثاني)
(وإن يطلق قبل وطئها انتفت)	(عدتها أو مات قبلها فت)
(وحيث كان وطئها من الزنا)	(أو حملها فما له حكم هنا)
(وإن تكن من شبهة فلتعتز)	(عدتها بكل ما في الزوج مر)

وتعتد الزوجات عن الوفاة ، أي : الموت ، وعن الفسخ للنكاح ، وعن الطلاق في الحياة ما يأتي لما قدمناه وللآيات الكريمات والأخبار الشريفة . وقد سلك الناظم أعلى الله درجته في تقسيم الأحكام الآتية مسلكاً حسناً مع الاختصار . والعدة ضربان : الأول : يتعلق بفرقة وفاة وله شروط . والثاني : يتعلق بفرقة حياة بطلاق أو فسخ . وقد بدأ الناظم فقال : (فعدة الوفاة) أي الحرّة المتوفى عنها زوجها (ثلث عام) أي : أربعة أشهر (مع عشرة أيضاً من الأيام) لقوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهو محمول على الحرائر والحائلات . (أو وضع ذات الحمل ..) حملها ، أي :

انفصاله كله حتى ثاني توأمين ولو بعد الوفاة لو كان الحمل ميتاً أو مضغة غير مصورة أخير القبائل أنها أصل آدمي لقوله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق: ٤] فهو مقيد لقوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ الآية . ويشترط أن يكون منسوباً إلى صاحب العدة ، ولو كان صاحبها مجبوراً أو مشلولاً أو كانت نسبة الحمل إليه احتمالاً كمنفني بلعان وإن انتفى عنه ظاهراً ، لاحتمال كونه منه ، فإن لم تكن نسبته إليه لم تنقض العدة بوضعه كأن مات وهو صبي وامرأته حامل لاتنفائه عنه .

تبيين : أحدهما : تعتبر الأشهر بالأهلة ما أمكن ، ويكمل المنكسر بالعدد كتنظائره . ثانيهما : لو مات عن مطلقة رجعية انتقلت إلى عدة وفاة بالإجماع كما حكاه ابن المنذر ، أو مات عن مطلقة بائن لم تنتقل لعدة وفاة بالإجماع ؛ لأنها ليست بزوجة فتكمل عدة الطلاق . وخرج بقيد الحرّة الأمة وسيأتي في كلامه .

ثم شرع في الضرب الثاني بقوله : (فإن تكن) المرأة (عن) فرقة (فسخ) بعب أو لعان (أو طلاق * فذات حمل وضعها الوفاء) كعدتها . والمعنى : إن كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل لقوله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق: ٤] فهو مخصص لقوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ولأن المعتبر من العدة براءة الرحم وهي حاصلة بالوضع .

فائدة : اختلف في الحمل إذا مات في البطن ، والمعتمد أنها لا تنقضي إلا بالوضع للآية . وقوله : (وغيرها) وهي الحائلات عدتها (ثلاثة أقراء) إن كانت من ذوات الحيض . والأقراء جمع قرء وهو لغة — بفتح القاف وضمها — حقيقة في الحيض والطمهر ، وفي الاصطلاح : الأطهار ، كما روي عن عمر وعن عائشة وغيرهما من الصحابة ، ولقوله تعالى : ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ [الطلاق: ١] والطلاق في الحيض حرام كما تقدّم ، فيصّرَف الإذن إلى زمن الطهر . (وحيث كانت) المرأة (ذات يأس أو صغر) بأن بلغت سن اليأس وهو اثنان وستون سنة^(١) ، أو كانت ذات صغر (فأشهر ثلاثة لها تقر) أي : فعدتها ثلاثة أشهر هلالية بأن انطبق الطلاق على أول الشهر ، قال الله تعالى : ﴿ واللاتي يسنن من الحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن ﴾ [الطلاق: ٤] أي : عدتهن كذلك ، والأمة على النصف من الحرّة . وقوله : (وذات رق) إلى قوله : (ثم خمسة آخر) معناه ملخصاً : أن عدة من فيها رق بالحمل كعدة الحرّة لعموم الآية الكريمة ، وعدتها بالشهور عن الوفاة قبل الدخول أو بعده أن تعتد بشهرين

(١) ويرجع فيه للعرف والأطباء وطبيعة البلد .

هلالين وخمسة أيام بلياليها . (وإن تطلق) من فيها رُقٍّ (حاملاً فلا انقضاء) لعدتها (إلا بوضع حملها كما مضى) بيانه . (أو ذات حيض فليجب قرآن) أي : يجب أن تعد بقراءتين ، لأنها على النصف من الحرية في كثير من الأحكام والقرء لا يتبعض ، فإن عتقت في عدة رجعية كملت عدة حرّة في الأظهر (أو غيرها) أي : غير ذات الحيض عدتها بالطلاق وما في معناه (شهر ونصف) الشهر (الثاني) لإمكان التنصيف في الأشهر . وقوله : (وإن يطلق قبل وطئها انتفت . عدتها) أشار به إلى أن المطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] والمعنى فيه عدم اشتغال رحمها بما يوجب استبراءه . وقوله : (أو مات قبله) أي : الدخول (وَفَتْ) أي : تعتد الوفاة هذا من زيادته ، وكذا قوله : (وحيث كان وطؤها من الزنا . أو حملها فما له حكم هنا) إذ لا حرمة لماء الزنا . وكذا قوله : (وإن تكن) أي : العدة (من) وطء (شبهة فلتعتبر . عدتها بكل ما في الزوج مَرٍّ) أي : بكل ما مر في عدة المتزوجة وفاة وحياة وحرية .

تنبيه : من انقطع دمها ولو لغير علة تصير حتى تحيض فتعتد بالأقراء ، أو تياس فتعتد بالأشهر ، والمعتبر يأس كل النساء وأقصاه ثنتان وستون سنة كما مر .

فائدة : يتعين التفطن لها : وهذه المسألة : أن من انقطع حيضها لعارض أو غيره قبل بلوغ سن اليأس يسمونها بمجرد الانقطاع آيسة ويكتفون بمضي ثلاثة أشهر ، ويستغريون القول بصبرها إلى بلوغ اليأس حتى تصير عجوزاً ، فليحذر من ذلك . وقول الناظم : ثلاثة ، بالتثنية ، وقوله : وَفَتْ ، بتخفيف الفاء .

تنمية : لو عاشر مطلقته كزوج بلا وطء في عدة أقراء أو أشهر فإن كانت بائناً انقضت عدتها بما ذكر . وإن كانت رجعية لم تنقض عدتها بذلك وإن طالّت المدة ، ولا رجعة له بعد الأقراء أو الأشهر وإن لم تنقض بهم العدة احتياطاً ، ويلحقها الطلاق إلى انقضاء العدة .

خاتمة : من غاب وانقطع خبره ليس لزوجه نكاح حتى تتيقن موته أو طلاقه ثم تعتد ، وإن لم ينقطع خبره فنكاحه مستقر ، ويتفق عليها الحاكم من ماله ، إن كان في بلد الزوجة ماله وإلا كتب إلى حاكم بلده ليطالبه بحقها ، ولو أخبرها عدل بوفاته جاز لها فيما بينها وبين الله تعالى أن تزوج .

باب الاستبراء

وهو - بالمد - لغة : طلب البراءة ، وشرعاً تربص الأمة بسبب حدوث ملك أو زواله ، أو حدوث حلٍّ كالملكاتبة والمرتدة ، لمعرفة براءة الرحم أو للتعبد . والأصل فيه ما سيأتي :

(أوجبه في حق الفتى إذا ملك)	رقيقة وحققها إذا هلك
(أو عتقت من بعد وطء أوجده)	ومثلها في ذلك المستولده
(فقبله امنع كل الاستمتاع)	وجاز للسائي سوى الجماع
(وقبله وبعد موت السيد)	أو عتقها نكاحها لم يعقد
(وإن تكن في عصمة عند الشرا)	أو عدة فعنهما تأخرا
(وحيث كان فهو وضع حامل)	أو حيضة في ذات حيض حائل
(والشهر في ذات الشهور معتبر)	أو قدر شهر كامل حيث انكسر

(أوجبه) أنت ، أي الاستبراء (في حق الفتى إذا مَلَكَ . رقيقة) ولو من لا يمكن جماعه كالمرأة والصبي ، ولو مستبرأة قبل ملكه بشراء أو إرث أو هبة أو ردٍّ يعيب أو إقالة أو غيرها ، (و) أوجبه في (حقها) أي : الرقيقة (إذا هَلَكَ) السيد (أو عتقت من بعد وطء أوجده) السيد (ومثلها في ذلك المستولدة) أي : أم إذا مات سيدها أو أعتقها وهي خالية من زوج أو عدة فتستريء نفسها وجوباً على حكم ما يأتي ، فلو كانت في نكاح أو عدة وقت موت السيد أو عتقه لها لم يلزمها استبراء على المذهب ؛ لأنها ليست فراشاً للسيد بل للزوج وهي كغير الموطوءة ، ولأن الاستبراء لحل الاستمتاع وهما مشغولتان بحق الزوج . ولو أعتق مستولده فله نكاحها بلا استبراء في الأصح ، كما يجوز له أن ينكح المعتدة منه لأن الماء لواحد . وقوله : (فقبله) أي : الاستبراء (امنع) من غير المسبية (كل الاستمتاع) أي : بها بكل نوع من أنواعه حتى النظر بشهوة حتى يستبرئها لاحتال حملها . (وجاز للسائي سوى الجماع) من أنواع الاستمتاع من المسبية التي وقعت في سهمه من الغنيمة لمفهوم قوله ﷺ في سبايا أوطاس : « لا توطأ حامل حتى

تضع، ولا ذات حيض حتى تحيض حيضة^(١). وقاس إمامنا الشافعي - كرم الله روحه - غير المسببة عليها بجامع حدوث الملك، وأخذ من الإطلاق في المسببة أنه لا فرق بين البكر وغيرها، وألحق من لا تحيض عن تحيض باعتبار قدر الحيض والطهر غالباً وهو شهر كما سيأتي، ولما روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: وقعت في سهمي - جارية من سبي جلولاء، فنظرت إليها فإذا عنقها مثل إبريق الفضة فلم أتمالك إذ قبلتها والناس ينظرون، ولم ينكر علي أحد من الصحابة^(٢). وجولاء - بفتح الجيم والمد - قرية من نواحي فارس فتحت يوم اليرموك سنة سبع عشرة من الهجرة، فبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف. وفارقت المسببة غيرها، فإن غايتها أن تكون مستولدة حربي، وذلك لا يمنع الملك، وإنما حرم وطؤها صيانة لمائه لئلا يختلط بماء حربي، لا لحرمة ماء الحربي. ثم زاد الناظم على أصله قوله: (وقبله) أي: الاستبراء (وبعد موت السيد. أو) بعد (عنقها نكاحها لم يُعقد) فيحرم إلى الاستبراء تزويج الأمة الموطوءة، وكذا قوله: (وأن تكن في عصمة عند الشراء. أو عدة فعنهما تأخرا) أشار به إلى أنه يشترط أن يقع الاستبراء بعد لزوم الملك الحاصل بشراء أو غيره بعد عدة المعتدة.

فرع: لو زوّج السيد أمته ثم طلقها الزوج قبل الدخول وجب الاستبراء، وإن طلقها بعد الدخول فاعتدت لم يدخل الاستبراء في العدة، بل يلزمه أن يستبرئها بعد انقضاء عدتها. (وحيث كان) الاستبراء مطلوباً (فهو وضع حامل) ولو من زنا، أي: فاستبرأؤها يحصل بالوضع لعموم الحديث السابق، ولأن المقصود معرفة براءة الرحم وهي تحصل بذلك (أو حيضة في ذات حيض حائل) إن كانت الأمة التي يجب استبرأؤها من ذوات الحيض فاستبرأؤها يحصل بحيضة واحدة بعد انتقالها إليه في المذهب الجديد للخبر السابق، فلا تكفي بقية الحيضة التي وُجد السبب في أثنائها. (والشهر في ذات الشهر) لصغر أو يأس (معتبر) أي: فاستبرأؤها يحصل بشهر فقط؛ لأنه يدل على القرء حيضاً وطهرأ. (أو قدر شهر كامل حيث انكسر) كما مر نظيره في العدة.

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أبو داود (٢١٥٧) مرفوعاً، ورواه عنه البيهقي ٤٤٩ / ٧ مرسلاً. قال الخطابي: فيه من الفقه أن السبي ينقض الملك المتقدم ويفسخ النكاح. وفيه دليل على أن استحداث الملك يوجب الاستبراء في الإماء، فلا توطأ ثيب ولا عدراء حتى تستبرأ بحيضة، ويدخل في ذلك المكتبة إذا عجزت فعادت إلى الملك المطلق، وكذلك من رجعت إلى ملكه بإقالة بعد البيع.

(٢) لم أجده في «السنن» ولا في «معرفة السنن والآثار» له، لكن أخرجه عن أيوب اللخمي عن عمر رضي الله عنه ابن أبي شيبة ٢٢٧ / ٤ - ٢٢٨، وأورده ابن المنذر في «الإشراف» ١ / ٢٩١ وعقبه بقوله: وهذا مذهب الأوزاعي، وذكره أيضاً ابن حجر في «تليخيص الحبير» ٤ / ٣ وزاد نسبه للخرائطي في «اعتلال القلوب».

فرع: لو اشترى زوجته الأمة استحب استبرأؤها لتمييز ولد الملك من ولد النكاح. والألف في قوله: تأخرا؛ للإطلاق.

فصل: فيما يجب للمعتدة وعليها

(عليه للرجعية الإنفاق ومسكن جرى به الطلاق)
(ولم يجب لغيرها إلا السكن والبائن الحبل لها كل المؤن)
(وما سوى رجعية لا تخرج من بيتها إلا لأمر يخرج)
(ولم يميز في عدة الوفاة أن تمس طيباً أو تُزين البدن)

(عليه) أي: الزوج (للرجعية) ولو حائلاً وأمة (الإنفاق). ومسكن جرى به الطلاق) أي: والسكنى والكسوة وسائر حقوق الزوجية، إلا آلة التنظيف لبقاء حبس النكاح وسلطنته، ولهذا يسقط بنشوزها. (ولم يجب لغيرها) أي: غير الرجعية وهي البائن بخلع أو ثلاث غير الناشئة (إلا السكن) فقط لقوله تعالى: ﴿أَسْكُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ﴾ [الطلاق: ٦] فلا سكنى لمن أبانها ناشزة أو نشرت في العدة، لا إن عادت إلى الطاعة كما في «الروضة». (والبائن الحبل) يولد يلحق الزوج يجب (لها كل المؤن) بسبب الحمل على أظهر القولين إذا توافقا على الحمل أو شهد به أربع نسوة أما المعتدة عن وفاة فلا نفقة لها وإن كانت حاملاً لخبر: «ليس للحامل المتوفى عنها زوجها نفقة» رواه الدارقطني [٢١/٤] بإسناد صحيح^(١).

تنبيه: لو نشرت البائن الحامل في العدة سقط ما وجب لها. (وما سوى الرجعية لا تخرج من بيتها) فيجب على المتوفى عنها زوجها وعلى البائن ملازمة بيتها الذي كانت فيه عند الفرة بموت أو غيره إلى انقضاء العدة، فلا تخرج منه ولا يخرجها صاحب العدة لقوله تعالى: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ [الطلاق: ١] قال ابن عباس: أي: بالبناء على أهل زوجها. والخبر فريضة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري: أن زوجها قُتل، فسألت رسول الله ﷺ أن ترجع إلى أهلها، وقالت: إن زوجي لم يتركني في منزل يملكه، فأذن لها في الرجوع، قالت: فانصرفْتُ حتى إذا كنتُ في الحجرة أو في المسجد دعاني فقال: «امكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» قالت: فأعددت فيه أربعة أشهر وعشراً. صححه الترمذي [١٢٠٤] وغيره^(٢).

(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) وأخرجه أيضاً مالك ٥٩١/٢ مطولاً، وأبو داود (٢٣٠٠)، والنسائي ١٩٩/٦، وابن ماجه (٢٠٣١).

تنبيه : خرج بقول الناظم : وما سوى رجعية ؛ الرجعية ، فإن للزوج إسكانها حيث شاء في موضع يليق بها ، وهذا ما في « حاوي » الماوردي و « المهذب » وغيرهما من كتب العراقيين ؛ لأنها في حكم الزوجة ، وجزم به النووي في « نكته » . والذي في « النهاية » ومفهوم « المنهاج » كأصله أنها كغيرها ، وهو ما نص عليه في « الأم » كما قال ابن الرفعة وغيره ، وهو - كما قال السبكي - أولى لإطلاق الآية . وقال الأذرعي : إنه المذهب المشهور ، والزرکشي : إنه الصواب . ولأنه لا يجوز له الخلوة بها فضلاً عن الاستمتاع فليست كالزوجة . ثم استثنى الناظم من وجوب ملازمة البيت بقوله : (إلا لأمر يحوج) أي : فيجوز لها الخروج لشراء طعام وقطن وكتان وبيع غزل ونحوه للحاجة ، وضابط ذلك : كل معتدة لا تجب نفقتها ولم يكن لها من يقضيها حاجتها لها الخروج في النهار للحاجة ، ومن وجبت نفقتها لا تخرج إلا بإذن أو ضرورة كالزوجة لأنها مكنته بنفقة زوجها ، وكذا لها الخروج ليلاً إن لم يمكنها نهاراً ، وكذا إلى دار جاريتها لغزل أو حديث ونحوهما للتأنس ، لكن بشرط أن ترجع وتبيت في بيت زوجها . واقتصر الناظم على الحاجة إعلاماً بجوازها للضرورة ، ومن باب أولى إن خافت على نفسها تلفاً أو فاحشة أو خافت على مالها وولدها من هدم أو غرق . ويستفاد من كلامه تحريم خروجها من غير حاجة ، وهو كذلك كخروجها لزيارة وعيادة مريض وتجارة ونحو ذلك .

ويجب على المتوفى عنها زوجها ولو أمة الإحداذ كما أشار إليه بقوله : (ولم يجز في عدة الوفاة أن . تمس طيباً) إلى آخره ، لخبر الصحيحين : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتحد على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج - فإنها تحل عليه - أربعة أشهر وعشراً »^(١) أي : فإنها يحل لها الإحداذ عليه ، فلا يجوز لها أن تمس طيباً ، أي : تستعمله في بدن أو ثوب لخبر الصحيحين عن أم عطية : كنا ننبئ أن نحد على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ، ولا نكتحل ، ولا نتطيب ولا نلبس ثوباً مصبوغاً^(٢) . ويحرم عليها دهن شعر رأسها واكتحاله بالثمد وإن لم يكن فيه طيب . أما اكتحاله بالأبيض كالتوتياء فلا يحرم ، وأما الأصفر فيحرم على السوداء ، وكذا على البيضاء في الأصح . ويجوز الاكتحال بالإنثمد لحاجة كرمد ، فتكتحل ليلاً وتمسحه نهاراً .

(١) رواه عن أم حبيبة رضي الله عنها البخاري (١٢٨٠) ، ومسلم (١٤٨٦) . وكذا رواه عن حفصة أو عائشة - رضي الله عنهما وعن جميع أمهات المؤمنين - مسلم (١٤٩٠) و (١٤٩١) .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٩) بمعناه ، ومسلم (٩٣٨) ، وفي الطلاق : باب وجوب الإحداذ (٦٧) آخر حديث فيه بلفظه وتامه : وقد رخص للمرأة إذا اغتسلت من محيضها في نذبة من قسط وأظفار .
القسط : القطعة الصغيرة والثني السير . الأظفار : نوع من البخور لا الطيب ، رخص فيه للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة تتبع بها أثر الدم .

ويحرم عليها أن تمسح على الوجه بالإسفيداج^(١) والحمرة ، وتخصب يديها ورجليها بالحناء ، وتطريف أصابعها ، وتصفيف شعر طرقتها ، وتجعيد شعر صدغها ، وحشو حاجبيها بالكحل وتدقيقه بالحف ، ولا يجوز لها أن تزين البدن بحلي من ذهب أو فضة كالخلخال وسوار وخاتم ؛ لأن ذلك يزيد في حسنها . ويحرم التزيين باللؤلؤ في الأصح ، وثياب مصبوغة لزيينة ، ويباح لبس غير مصبوغ من قطن وصوف وكتان وإن كان نفيساً وحريراً إذا لم يحدث فيه زينة . أما تجميل الفراش وهو الذي تقعد أو ترقد عليه من نطع ومرتبة ووسادة ونحوها وتجميل أثاث البيت ، أي : متاعه فيجوز ذلك . ويجوز تنظيف بغسل رأس وقلم أظفار واستحداذ وإزالة وسخ ، ودخول حمام إن لم يكن فيه خروج محرم .

خاتمة : لو تركت الإحداذ^(٢) الواجب عليها كل المدة أو بعضها عصت إن علمت حرمة الترك ، وانقضت عدتها مع العصيان . ولو بلغها وفاة زوجها أو طلاقه بعد انقضاء العدة كانت مقضية ولا إحداذ عليها ، ولها إحداذ على غير زوج ثلاثة أيام فما دونها ، وتحرم الزيادة عليها . ولا يجب الإحداذ على المعتدة لغير الوفاة .

(١) قال في « القاموس المحيط » : الإسفيداج ، بالكسر : هو رماد الرصاص والآل إذا شدد عليه الحريق صار إسرئجاً ، مُطَفَّتْ جِلَاءً ، معرب .

(٢) الاستحداذ : الاحتلاق بالحديد . « القاموس المحيط » .

باب الرضاع

هو - بفتح الراء وكسرهما - لغة : اسم لمص الثدي وشرب لبنه . وشرعاً : اسم لحصول لبن امرأة أو ما حصل منه في جوف طفل ، وقد تقدم التحريم به في كتاب النكاح وهي قوله تعالى : ﴿ وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ﴾ [النساء : ٢٣] . ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » رواه البخاري (٢٦٤٥) ، ومسلم (١٤٤٧) . والكلام هنا في بيان ما يحصل به .

وأركانه ثلاثة مرضع ورضيع ولبن .

(من سنها تسع وأرضعت ولد صار ابنها أن يرتضع خمساً تعد)
(مفرقات نال من كل شبع وقبل حولين الرضاع قد وقع)
(وصار زوج من سقت أباه وفرع كل منهما أخاه)
(وأختها من الجهات خالته وأخت هذا الزوج أيضاً عمته)
(وأُم كل جـدة له والاب جد له من الرضاع والنسب)
(وتنتهي فروعه إليهما دون الأصول والخواشي فاعلما)
(فيحرم النكاح بينهم على ما قد مضى في بابيه مفصلاً)
(وجائز تزوج الجميع من أهل هذا الطفل لا الفروع)

(مَنْ سِنُّهَا) من النساء (تسع) من السنين القمرية تقريباً (وأرضعت ولد) أأجنبيّاً (صار ابنها) بشرط (أن يرتضع خمساً ..) من الرضعات يقيناً (مفرقات) واصلات لجوفه ، (ونال من كل) منها (شبع) أ (وقبل حولين الرضاع قد وقع) فيثبت ويحصل به التحريم ، فلا يحصل بلبن رجل ولا لبن خنتي ما لم تتضح أنوثته ؛ لأنهما لم يخلقاً لغذاء الولد ، فأشبهتا سائر المائعات ، ولا بلبن بهيمة حتى لو شرب منه ذكر وأنثى لم يثبت بينهما أخوة ؛ لأنه لا يصلح لغذاء الولد مثل صلاحية لبن آدميات . ويؤخذ من هذا التعليل أنه لا يثبت حرمة الرضاع بلبن جنية ، وهو كذلك لأن الرضاع نلو النسب ، والله تعالى قطع النسب بين الجن والإنس ولا تثبت حرمة بلبن من لم تبلغ تسع سنين لأنها لا تحمل قبل البلوغ ، ولا بوصوله إلى جوف ميت لخروجه عن

التغذي ، ولا بدون خمس رضعات يقيناً ، ولا مع الشك فيها للشك في سبب التحريم . وقد روى مسلم [١٤٥٢] عن عائشة رضي الله عنها : كان فيما أنزل الله في القرآن عشر رضعات معلومات يُحرَّمُنَّ ، ثم نسخن بخمس معلومات : فتوفي رسول الله ﷺ وهو مما يقرأ من القرآن . أي : يُبَلِّ حُكْمَهُنَّ أو يقرؤهن من لم يبلغه النسخ لقربه . وضبطهن بالعرف وإن لم يشيع ، فلو قطعه للهو أو للتنفس وعاد فوراً ، أو تحوّل من ثديها إلى ثديها الآخر في الحال فلا تعدد ، لا بإعراض كلٍّ من الرضيع أو المرضع فإنه يتعدد عملاً بالعرف ، ولا تثبت حرمة بالرضاع بعد الحولين لخبر : « لا رضاع إلا ما كان في الحولين » رواه البيهقي [٤٦٢/٧] وغيره^(١) ، ولأمع الشك في الرضاع للشك في سبب التحريم^(٢) ، ولابد أن يكون الرضاع أو الحلب في حياتها الحياة المستقرّة ، فلا تثبت حرمة بلبن ميتة لأنه من جفّة مُنْفَكَّةٍ عن الحلّ والحرمة كلبن البهيمة ، ولا بلبن مَنْ انتهت إلى حركة مذبوح ، ولا تحريم بوصول اللبن للجوف بحفنة .

فإذا علمت ذلك ووجدت الشروط المذكورة صارت المرضعة المذكورة أمه (وصار زوج مَنْ سقت) أي : الذي أرضعت (أباه) لأن الرضاع تابع للنسب ، (و) صار (فرع كل منهما أخاه * وأختها) أي : المرضعة (من) كل الجهات خالته . وأخت هذا الزوج) صاحب اللبن (أيضاً عَمَتُهُ * وأُم كل) منهما من نسب أو رضاع (جـدة له والاب) لهما (جدُّ له) ، وقوله : (من الرضاع والنسب) راجع للجميع ، وذلك لما مر من أن الرضاع تابع للنسب^(٣) . (وتنتهي

(١) ورواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الدارقطني ٤ / ١٧٤ وقال : لم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل وهو ثقة حافظ . وقال البيهقي : وقفه على ابن عباس هو الصحيح ، والحديث ابن مسعود رضي الله عنه : « لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم » رواه أبو داود (٢٠٦٠) ، والبيهقي ٧ / ٤٦٠ - ٤٦١ مرفوعاً . وكلا الحديثين يندرج تحت عموم تمام الرضاعة قال تبارك وتعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . ولقوله تعالى : ﴿ وَفَضَالَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ، وروي عن علي أنه ﷺ قال : « لا رضاع بعد فصال » .

(٢) الحديث أبي سعيد عند مسلم (٥٧١) قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أم أربعاً فليطرح الشك وليبن على ما استيقن .. » وعلى هذا الحديث وأمثاله بنو الأصوليون والفقهاء القاعدة التي تقول : اليقين لا يزول بالشك .

(٣) لما روى البخاري (٥١٠٢) ، ومسلم (١٤٥٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وعندي رجل قاعد . فاشتد ذلك عليه . ورأيت الغضب في وجهه . قالت : فقلت يا رسول الله ! إنه أخي من الرضاعة . قالت فقال : « انظروا إخوانكم من الرضاعة . فإنما الرضاعة من الجماعة » .

أي تأمل وتفكر هل هو رضاع صحيح بشرطه ، من وقوعه في زمن الرضاعة . الجماعة مفعة من الجوع ، ويعني أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة ، وتخل بها الخلوة هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته .

فروعه) أي : المرضع (إلبيها . دون الأصول والحواشي) ومن الرضيع إلى فروعه دون أصوله وحواشيه كما قال : (فيحرم النكاح بينهما) إلى آخره ، فيجوز لأبيه وأخيه أن ينكح المرضعة وبناتها . وقد نظم بعض الفضلاء في ذلك بيتين فقال :

وينتشر التحريم من مرضع إلى
ومن له دَرٌّ إلى هــ هذه ومن
أصولِ فصولِ والخواشي من الوسط
رضيع إلى ما كان من فرعه فقط

إيضاح ذلك وبيانه : أن تحريم الرضاع يتعلق بالمرضعة والفحل والطفل الرضيع فهم الأصول في الباب ، ثم تنتشر الحرمة منهم إلى غيرهم ، ثم المرضعة والفحل تنتشر الحرمة إلى آبائهما وإخوتهما وأخواتهما وأولادهما .

وأما المرتضع^(١) فنتشر إلى أولاده من الرضاع والنسب ، فهم أنساب المرضعة والفحل ، ولا تنتشر إلى آباءه وأمهاته وإخوته وأخواته ، فيجوز لأبيه وأخيه أن ينكح المرضعة وبناتها .

وقوله : والآب ؛ بدرج الهمزة للوزن ، والله أعلم .

باب النفقات

جمع نفقة : وأسبابها ثلاثة : النكاح ، والقراة ، وملك اليمين . وبدأ الناظم بأولها فقال :

(لزوجة من نفسها تمكن
(يعرفهم وقدرة الإنسان
(وواجب من معسر مد فقط
(وتستحق خادماً لشغلها
(وفسخت بعجزه عن الأقل
مؤونة وكسوة ومسكن)
وقوتها من موسر مدان)
لكن لها مد ونصف من وسط)
إن كان ذاك عادة لثملها)
أو عن صداق حيث لم يكن دخل)

فيها مسائل : الأولى : نفقة الزوجة الممكنة من نفسها واجبة بالتمكين التام لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] والحبر : « اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » رواه عن جابر رضي الله عنه مسلم [١٢١٨] . ولأنها سلّمت ما ملكه عليها ، فيجب مايقابله من الأجرة لها . والمراد بالتمكين أن تعرض نفسها عليه ، والمعتبر في عرض المراهقة المجنونة عرض الولي . وإنما تجب المؤنة بالتمكين لا بالعقد ؛ لأنه يوجب المهر ، وهو لا يوجب عوضين مختلفين ، فلو اختلفا في التمكين صدّق بيمينه ، ويجب لها عليه من الكسوة لفصل الشتاء والصيف ماجرت به العادة^(١) ، ويختلف بطولها وقصرها وسمنها وهزلها ، وباختلاف البلاد حرّاً وبرداً . ولا يختلف عدد الكسوة باختلاف يسار الزوج وإعساره ، ولكنها يؤثران في الجودة والرداءة . ولا فرق بين البدوية والحضرية ، ويجب لها عليه في كل ستة أشهر قميص وسراويل وخمار ومكعب ، ويزيد على ذلك في الشتاء جبة محشوة قطعاً أو قرّاً بحسب العادة تدفع البرد . ويجب أيضاً عليه توابع ذلك من كوفية للرأس وتكة للباس وزرّ للقميص ونحوه ، وجنس الكسوة من قطن . ويكون لزوجة الموسر من لئنه ولزوجة المعسر من غلظه ولزوجة المتوسط مما بينهما .

(١) لحديث معاوية بن حيلة: «حق الزوجة على الزوج أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسبت» رواه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم ٢/ ١٨٨، وصححه.

(١) أي : الذي رضع .

فإن جرت عادة بلد الزوج لثلثه بكتان أو حرير وجب في الأصح . ويجب لها من الأدم ما جرت به العادة ، ومن أدم غالب البلد كزيت وشيرج وزبد وتمر يخل^١ . ويجب لها عليه لحم يليق بيساره وتوسطه وبإعساره كعادة البلد ، ولو كانت عاداتها تأكل الخبز وحده وجب الأدم ، ولا نظر لعاداتها لأنه حقها . ويجب لها عليه تهيئة مسكن يليق بها ، ولا يشترط كونه ملكه . فإذا علمت ذلك فقول الناظم : (لزوجة من نفسها) إلى قوله : (الإنسان) شامل لما تقرر كله .

الثانية : نفقة الزوجة مقررة على الزوج بحسب حاله^(١) ، فإن كان حراً موسراً فمندان عليه لزوجته كما قال : (وقوتها من موسر مدان) أي : من غالب قوت بلدها . (وواجب من) زوج (معسر) أي : عليه لزوجته (مد فقط . لكن لها) يجب (مد ونصف من وسط) أي : متوسط . واحتج الأصحاب لأصل التفاوت بقوله تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ [الطلاق : ٧] ومسكين الزكاة معسر . ومن فوقه لو كان لو كلف مدين رجوع مسكيناً فمتوسط ، وإلا فموسر . ويعتبر اليسار وغيره بطلوع الفجر ، ويجب عليه مؤنة لطحن الحب وعجنه وخيزه .

تنبيه : لو أكلت معه كالعادة سقطت نفقتها في الأصح إن كانت رشيدة أو غير رشيدة وأذن ولها في أكلها معه ، فإن كانت غير رشيدة ولم يأذن ولها في أكلها معه لم تسقط .

فروع : يجب لها عليه آلة تنظيف من الأوساخ التي تؤذيها كمشط ودهن وما تغسل به الرأس من صابون ونحوه ، ولا يجب لها عليه دواء مرض ولا أجرة طبيب وحاجم كفاصد وخاتن ، ويجب لها عليه طعام أيام المرض وأدمها ، وأجرة حمام بحسب العادة ، وثمان ماء غسل جماع ونفاس ، لا ماء غسل من حيض واحتلام . ويجب لها آلة أكل وشراب ، وآلة طبخ كقِدْر وقصعة وكوز وجرة ، ونحو ذلك مما لا غنى لها عنه .

الثالثة : تستحق الزوجة الحرة خادماً لشغلها إن كان ذلك عادة لثلثها بأن كانت ممن تُخدَم في بيت أبيها لكونها لا يليق بها خدمة نفسها فعليه إعدامها ولو كان معسراً أو رقيقاً ؛ لأنه من المعاشرة بالمعروف ، ويحصل بحرة أو أمة أو محرم لها أو صبي غير مراقب ، وليس له أن يخدمها بنفسه في الأصح . أما الرقيقة فلا إعدام لها وإن كانت جميلة يخدم مثلها . وخرج بمن لا يليق بها

خدمة نفسها في بيت أبيها مثلاً لمنصبتها من لم تخدم إذ ذاك وإن صارت تخدم في بيت زوجها ، والمراد به عادة مثلها في ذلك كما أفاده الناظم . نعم إن احتاجت للخدمة لمرض أو زمانة وجب إعدامها ، ويجب لمن تخدم بالنفقة كسوة تليق بها من قميص ومقنعة وملحفة لحاجتها إلى الخروج ، وجبة في الشتاء لا سراويل عند الجمهور . ويجب ما تفرشه وما تغطي به لا آلة تنظيف ، فإن كثر قمل وتأذت بوسخ وجب أن ترفعه .

تنبيه : يجب في المسكن والخدام إمتاع لامتليك ، ويجب فيها يستهلك لعدم بقاء عينه كالطعام وأدم تملك ، ومادام نفعه مع بقاء عينه ككسوة وفرش وظروف طعام وشراب وآلات تنظيف ومشط تملك في الأصح .

الرابعة : إذا أعسر الزوج بنفقة زوجته المستقبلية لتلف ماله ، فإن صيرت بسبب الإعسار وأنفقت على نفسها من مالها أو مما اقترضته صار ديناً عليه ، فإن لم تصبر فلها فسخ النكاح بالطريق الآتي لقوله تعالى : ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] فإن عجز عن الأول تعين الثاني . ولأنها إذا فسخت بالجلب والعنة فبالعجز عن النفقة أولى ؛ لأن البدن لا يقوم بدونها . أما لو أعسر بنفقة ماضى فلافسخ على الأصح . ولافسخ أيضاً بالإعسار بنفقة الخادم ، ولا بامتناع موسر من الإنفاق ، وسواء حضر أم غاب عنها لتمكنها من تخلص حقها بالحكم . وإنما تفسخ الزوجة بعجز الحاكم عن نفقة المعسر كما أفاده الناظم بقوله : (وفسخت بعجزه على الأقل) فلو عجز عن نفقة موسر أو متوسط لم تفسخ ، لأن نفقته الآن نفقة معسر ، فلا يصير الزائد ديناً عليه ، والإعسار بالكسوة كالإعسار بالنفقة ، ولا تفسخ بإعساره عن الأدم والمسكن . وكذلك يثبت لها خيار الفسخ إذا أعسر بالصدائق قبل الدخول كما أشار إليه الناظم

بقوله : (أو عن صدائق حيث لم يكن دخل) للعجز عن تسليم العوض مع بقاء المعوض ، فأشبه ما إذا لم يقبض البائع الثمن حتى حجر على المشتري بالفلس والمبيع باقي بعينه ، ولا يفسخ بعده لتلف المعوض وصيرورة العوض ديناً في الذمة . واعلم أنه لا فسخ بشيء مما ذكر حتى يثبت عند قاض بعد الرفع إليه بإعساره ببينة أو إقرار ، فيفسخه بنفسه أو يأذن لها فيه ، ثم على ثبوت الفسخ بإعسار الزوج بالنفقة يجب إمهاله ثلاثة أيام ، ثم صبيحة اليوم الرابع يفسخ القاضي نكاحه بطلها ، أو يمكنها من فسخه .

ثم شرع الناظم في السبب الثاني وهو القرابة فقال :

(وذو اليسار واجب أن يتفقا على الأصول والفروع مطلقاً)
(بشرط فقر في الجميع معتبر وعجز فرع كالجئون والصغير)

(١) وقد جمع بعضهم حقوق الزوجة فقال :

حقوق إلى الزوجات سبع ترتب
على الزوج فاحفظ عندها ببيان
طعام وأدم كسوة ثم مسكن .
آلة تنظيف متاع لبنيان
ومن شأنها الإعدام في بيت أهلها
على زوجها فاحكم بخدمة إنسان

أي : (وذو اليسار) أي : الموسر بفاضل عن مؤنته ومؤنة عياله في يومه وليلته (واجب) عليه (أن ينفق . على الأصول والفروع ...) أي : على أصوله وفروعه (بشرط فقر في الجميع) فهو (معتبر) فيهم . أما وجوب نفقة الأصول فلقوله تعالى : ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ [لقمان : ١٥] ومنه القيام بنفقتهم . وأما وجوب نفقة الفروع فلقوله تعالى : ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ [الطلاق : ٦] ووجهه أنها لما نزلت أجرة الرضاع للولد كانت نفقته ألزم . ولخير هند امرأة أبي سفيان أنها جاءت للنبي ﷺ فقالت : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذ منه سرّاً وهو لا يعلم ، فهل علي في ذلك شيء ؟ فقال : « خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف » رواه الشيخان^(١) . وفي الحديث فوائد منها : وجوب نفقة الزوجة والولد ، وأنه يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها وتستفتي ، وأن صوتها ليس بعورة ، وأنه يجوز لمن منع حقه أن يشكو ويتظلم ، وأنه يجوز ذكر الغائب بما يسوؤه عند الحاجة فإنها وصفته بالشح ، وأنه يجوز لمن له حق على غيره وهو ممتنع أن يأخذ من ماله بغير إذنه . واعلم أن نفقة الفروع تجب على والديهم ، إما بالفقر والصغر الذي لا يتبأ معه العمل . فالغني الكبير لا تجب نفقته . وإما بالفقر والزمانة؛ فالغني القوي لا تجب نفقته . وإما بالفقر والجنون؛ فالغني العاقل لا تجب نفقته . إذا علمت ذلك ظهر لك معنى قوله : (وعجز فرع كالجنون والصُّعُر) فلا تجب على الأصل نفقة فرعه إذا كان مكتسباً كسباً يليق به ، ويجب على الفرع نفقة أصله إذا كان غير مكتسب وإن لم يكن زمنياً ولا صغيراً ولا مجنوناً ؛ لعظم حرمة الأصل ولأنه مأمور بمصاحبته بالمعروف وليس منها تكليفه الكسب .

تبيين : أحدهما : لا تجب نفقة الأصول والفروع الأرقاء ، ولا نفقة الإخوة والأخوات ونحوهم . ثانيهما : يباع في نفقة القريب ما يباع في الدين من عقار وغيره ، وتسقط بقواتها ، ولا تصير ديناً إلا بإذن قاضٍ في اقتراضها لقبيّة أو منع . والألف في قوله : يُنفقاً ؛ للإطلاق .

ثم شرع الناظم في السبب الثالث وهو ملك البين فقال :

(ثم على ربّ البهائم المؤن بحيث لا يضرّ تركها البدن)
(ولم تكلف فوق ما تطيق من عمل ومثلها الرقيق)
(لكن له أن يطلب الزيادة من مؤن وكسوة معتاده)

(١) رواه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري (٥٣٦٤) ، ومسلم (١٧١٤) .

يجب على مالك البهائم المؤن ، أي : نفقتها ، وهي جمع بهيمة سميت بذلك لأنها لا تتكلم ، وهي كما قاله الترمذي : كل ذات أربع من دواب البر والبحر اهـ . وفي معناها كل حيوان محترم ، فيجب عليه علفها وسقيها لحمة الروح ولخير الصحيحين : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، لا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض^(١) » بفتح الخاء وكسرها ، أي : هوائها . وأفاد الناظم بقوله من زيادته : (بحيث لا يضرّ تركها البدن) أي : أن المراد بكفاية الدابة وصولها لأول الشيع والرّي دون غايتها ، فإن امتنع المالك من الإنفاق وله مأل أجبره الحاكم في المأكولة على بيعها أو علفها أو ذبحها ، وفي غيرها على العلف أو البيع ، فإن لم يفعل ناب الحاكم عنه في ذلك على ما يراه ويقتضيه الحال . (ولم تكلف) أي : البهائم (فوق ما تطيق . من عمل) فلا يجوز للمالك أن يكلفها ذلك (ومثلها) في ذلك العمل (الرقيق) لورود النبي عنه في « صحيح » مسلم [١٦٦٢] في الرقيق^(٢) ، وقيس عليه البهائم بجامع حصول الضرر . ونفقة الرقيق واجبة أيضاً بقدر الكفاية لخبر : « للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » ، فيكفيه طعاماً وإداماً ، وعليه كفايته وكسوته وكذا سائر مؤنته كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (لكن له) أي : الرقيق (أن يطلب الزيادة) إلخ ، فلا تجب على المالك الكفاية المذكورة من جنس طعامه وكسوته بل من غالب قوت رقيق البلد وإدامهم وكسوتهم ، ويراعى حال السيد في اليسار والإعسار . ثم لا فرق بين أن يكون الرقيق أبقاً أو زمنياً أو أم ولد أو مرهوناً أو مستأجراً أو معاراً ، ولا تجب نفقة المكاتب على السيد لاستقلاله .

تنبيه : تسقط نفقته بمضي الزمان ، ويبيع القاضي فيها ماله إن امتنع أو غاب ، فإن فقد المال أمر ببيعه أو إعتاقه .

خاتمة : لا يحلب مالك الدابة من لبنها ما يضرّ ولدها ، وإنما يحلب ما يفضل عنه ، وما لا روح له كدار وقناة لا تجب عمارتها ولا يكره تركها إلا إذا أدّى إلى الخراب . ويكره ترك سقي الزرع والشجر عند الإمكان حذراً من إضاعة المال .

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٣٣١٨) ، ومسلم (٢٦١٩) .

(٢) وسأيت ، وتماه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » . وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس » رواه البخاري (٣٠) ، ومسلم

باب الحضانة

بفتح الحاء لغة : الضم ، مأخوذة من الحِضْن — بكسرهما — وهو الجنب ، لضم الحاضنة الطفل إليه . وشرعاً : حفظ من لا يستقل بأموره وتربيته بما يصلحه ، والإناث أليق بها ، لأنهن أشفق وأهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها ، وأولاهن الأم ثم بعد الأم أمهات لها وارثات . وإن عدت الأم تُقدّم القرى فالقرى لها ، فأمهات أب كذلك ، فأخت ، فخاله ، فبنت أخت ، فبنت أخ ، فعمته ، وتقدم أخت وخالة وعمة لأبوين عليهن لأب ، و تقدم أخت وخالة وعمة لأب عليهن لأم . ثم شرع الناظم في شروطها بقوله :

(ومن يفارق زوجته لها ولد منه استحققت حضن ذلك الولد)
 (بالعقل والإسلام والحريه وكونها من ناكح خليه)
 (وفقد فسق والخلو من سفر وجاز حضن كافر لمن كفر)

أي : من يفارق زوجته بطلاق أو فسخ أو لعان ولها منه ولد لا يميز ذكراً كان أو أنثى استحققت حَضَنُ ذلك الولد لوفور شفقتها لكن بشروط : أولها : العقل : فلا حضنة لمجنون وإن كان جنونه متقطعاً ؛ لأنها ولاية وليس هو أهلها ، ولأنه لا يتأتى منه الحفظ والتعهد ، بل هو في نفسه يحتاج إلى من يحضنه . نعم إن كان يسيراً كيوم في سنة لم تسقط الحضنة كمرض يطرأ ويزول . ثانيها : الإسلام فلا حضنة لكافر على مسلم ، إذ لا ولاية له عليه ولأنه ربما يفتنه في دينه . ثالثها : الحرية فلا حضنة لرقيق ولو مبعوضاً وإن أذن له سيده ؛ لأنها ولاية وليس من أهلها ، ولأنه مشغول بخدمة سيده . رابعها : (كوئها) أي : الحاضنة (من ناكح) أي : زوج . لاحقاً له في الحضنة (خلية) ولا حضنة لمن تزوجت به وإن لم يدخل بها ، وإن رضي أن يدخل الولد داره لحبر : إن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أنت أحق به ما لم تنكحي »^(١) ولأنها مشغولة عنه بحق الزوج ، فإن كان له فيها حق كعم الطفل وابن عمه

(١) رواه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أحمد ١٨٢ / ٢ ، وأبو داود (٢٢٧٦) ، والحاكم ٢٠٧ / ٢ وصححه .

فلا يبطل حقها بنكاحه ؛ لأن من نكحته له حق في الحضنة وشفقته تحمله على رعايته فيتعاونان على كفايته . خامسها : (فقد فسق) فلا حضنة لفاسق ؛ لأنه لا يلي ولا يؤمن ، وكذلك صبي وسفيه ومغفل . سادسها : (الخلو من سفر) بأن يكون أبواه مقيمين في بلد واحد ، فلو أراد أحدهما سفرًا إلا لنقله كحج أو تجارة فالمقيم أولى بالولد مميزاً كان أو لا حتى يعود المسافر ؛ لخطر السفر أو النقلة ، فالعصبات من أب أو غيره ولو غير مُحَرَّم أولى به من الأم لحفظ النسب إن أمن خوفاً في طريقه ، وإلا فالأم أولى . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (وجاز حَضَنُ كافر لمن كفر) فيستفاد منه ثبوت الحضنة للمسلم على الكافر ، بل أولى لأن فيه مصلحة له .

تنبيه : يشترط أيضاً أن لا يكون أعمى ، وأن لا يكون به مرض دائم ، ولا يكون أبرص ولا أجمد .

فرع : لو طلقت منكوحة عاد حقها لها لزوال المانع .

تنبيه : إذا مَيَّزَ خَيْرَ بين أبويه إن افترقا وصلحا ؛ لأنه خير غلاماً بين أبيه وأمه . رواه الترمذي [١٣٥٧] وحسنه . والغلامه كالغلام ، ويكون عند من اختاره منهما ، فإن اختار الأب أخذها ، ولا يمنع أمه من زيارته لثلا يكون قاطعاً للرحم ، ولا يمنع زيارتها كيلا يكلفها الخروج لزيارتها ، إلا أن تكون أنثى فله منعها من زيارتها لتألف الصيانة وعدم البروز ، والأم أولى منها بالخروج والزيارة في الأيام مرة على حسب العادة لا كل يوم . وإن اختار الذكر أمه فعندها ليلاً وعند الأب نهاراً ليؤدبه بالأمور الدينية والدنيوية ، أو اختارها نهاراً فعندها ليلاً ونهاراً و يزوره الأب على العادة ، وإن اختارهما الولد أقرع بينهما ، وإن لم يختَر واحداً منهما فالأم أولى . هنا انتهى الكلام على ما يتعلق بربع الجنائيات فقال :

ثم إن الناظم أعلى الله درجته رَّبَّعَ الجنائيات فقال :

كتاب الجنایات

الشاملة للجنایة بالجراح وبغيره كسحر ومثقل، والتعبير بها أعم من تعبير غيره بالجراح، والأصل في ذلك قبل الإجماع آيات كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ [البقرة: ١٧٨] وأخبار كخبر الصحيحين: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١).

تبيہات: الأول: تصح توبة القاتل عمداً، إذ الكافر تصح توبته فهذا أولى، ولا يتحتم عذابه بل هو في خطر المشيئة ولا يخلد عذابه إن عُذّب وإن أصرَّ على ترك التوبة كسائر أصحاب الكبائر غير الكفر. وأما قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ [النساء: ٩٣] فالمراد بالخلود: المكث الطويل فإن الدلائل تظاهرت على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم، أو مخصوص بالمستحل كما ذكره عكرمة وغيره. الثاني: إذا اقتص منه الوارث أو عفا على شيء أو مجاناً فظواهر الشريعة تقتضي سقوط المطالبة في الدار الآخرة كما أفتى به النووي، وذكر مثله في «شرح مسلم». الثالث: مذهب أهل السنة أن المقتول لا يموت إلا بأجله، والقتل لا يقطع الأجل، خلافاً للمعتزلة فإنهم قالوا: القتل يقطع.

ثم شرع الناظم في تقسيم القتل بقوله:

(القتل إما محض عمد أو خطأ)	أو شبه عمد واسم ذا عمد الخطأ)
(فالعمد قصد الفعل والشخص بما)	يقتل ذاك غالباً فليعلم
(والخطأ السهم الذي رماه)	إذا أصاب غير من نواه
(وحد شبه عمد أن يضرباً)	شخصاً بشيء قتله لن يغلبا
(وفي سوى العمد القصاص منتفي)	وواجب في العمد إلا إن عفي

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(فإن عفا وليه على دية تغلظت في حق من جنى الدية)
 (بأخذها من ماله مثلثة على الحلول كلها مؤثثة)
 (أما الخطأ فواجب له الدية وخففت فخمست في التأديبه)
 (وللذين يعقلون حُمِلت ولثلاث من سنين أجملت)
 (وكالخطأ عمد الخطأ فيما سبق لكن هنا التثليث فيها مستحق)

اعلم أن القتل على ثلاثة أضرب: عمد محض، وخطأ محض، وعمد خطأ. ووجه الحصر في ذلك أن الجاني إن لم يقصد عين المجني عليه فهو الخطأ، وإن قصدها فإن كان بما يقتل غالباً فهو العمد، وإلا فتشبه عمد كما يؤخذ من قول الناظم. فالعمد المحض: هو قصد الفعل، وقصد الشخص بما يقتل ذلك الشخص المقتول بالجنایة غالباً كجراح ومثقل. والخطأ المحض: هو أن يقصد الفعل دون الشخص، كأن يرمي إلى شيء كشجرة أو صيد فيصيب إنساناً فيقتله كما أشار إليه بقوله: (والخطأ السهم الذي رماه. إذا أصاب غير من نواه) أي: قصده. وعمد الخطأ المسمى بشبه العمد: هو أن يقصد ضربه بما لا يقتل غالباً كسوط أو عصاً خفيفة ونحو ذلك، فيموت بسببه كما أشار إليه بقوله: (وحد شبه عمد أن يضرباً) إلى آخر البيت.

(وفي سوى العمد القصاص منتفي) أي: لا يجب القصاص إلا في العمد فقط للإجماع ولقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: ١٧٩] ولخبر البخاري: «كتاب الله القصاص»^(١). وإنما لم يجب القصاص في الخطأ أو شبه العمد لقوله تعالى: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية﴾ [النساء: ٩٢] ولخبر: «قتل الخطأ وشبه العمد قتل السوط والعصا فيه مئة من الإبل» رواه أبو داود [٥٤٧] وغيره^(٢)، وصححه ابن حبان [٦٠١١] وغيره. (فإن عفا وليه) أي: المقتول وهو المستحق (على دية) وجب دية مغلظة مثلثة كما سيأتي حالة من مال القاتل وإن لم يرض الجاني، لما روى البيهقي عن مجاهد وغيره: كان في شرع موسى عليه السلام تحتم القصاص جزماً، وفي شرع عيسى عليه السلام الدية فقط، فخفف الله تعالى عن هذه الأمة وخيرها بين الأمرين، لما في التزام أحدهما من المشقة، ولأن الجاني محكوم عليه فلا يعتبر رضاه كالحال عليه. وأما لو عفا مجاناً فلا دية، وكذا إن أطلق العفو لا دية على المذهب؛ لأن القتل لا يوجب الدية، والعفو إسقاط ثابت لا إثبات معدوم. (أما الخطأ فواجب له) أي: فيه

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٤٤٩٩)، ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٨/ ٧٥، لكن عند مسلم (١٦٧٥) بلفظ: «القصاص كتاب الله». من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٦٢٧)، والنسائي ٨/ ٤١، والبيهقي ٨/ ٤٥.

(الدِّيَّة) للآية السابقة (وخُفِّتَ فحُصِّست في التأديبة) بما ستعرفه في بابها . (وللذين يعقلون حُمِّلَتْ . وثلاث من سنين أُجِّلَتْ) ففي آخر كل سنة ثلثها . أما كونها مؤجلة فلأن العاقلة تحملها على سبيل المواساة ، فوجب أن يكون وجوبها مؤجلاً قياساً على الزكاة . وأما كون الأجل ثلاث سنين فبإجماع . (وكالخطا عمد الخطأ فيما سَبَقَ . لكن هنا التلث) أي : في الدية (مستحق) فيها فهي مغلظة من وجه وهو كونها مثلية ، ومخففة من وجهين كونها مؤجلة على العاقلة .

تنبيه : محل تحمُّل العاقلة دية الخطأ إذا صدَّقوا القاتل أو قامت به بينة ، وسميت العاقلة بذلك لعقلهم الإبل عمن توجهت عليه للمستحق ، وقيل غير ذلك ، وهي العصباء لا الأصول والفروع . وقول الناظم : فليعلمنا ؛ بألف التثنية أو الإطلاق ، وقوله : عُفِي ، و : غُلِظَتْ ، وخُفِّتْ ، و : حُصِّست ، و : حُمِّلَتْ ، و : أُجِّلَتْ ؛ بالبناء للمفعول .

فصل : في شرائط وجوب القصاص

وفي أمور أخرى

(شرط القصاص أن يكون من جنى)	(مكلفاً ملتزماً لحكمنا)
(ولا يكون للقتيل والدا)	(وإن علا ولا يكون سيذا)
(وعصمة القتيل بالإيمان)	(أو غيره كالعهد والأمان)
(وكونه عن قاتل لن ينقصا)	(إما برقي أو بكفر خصصا)
(فيهدر الحرِّي عند قتله)	(ويهدر المرتد لا مع مثله)
(ويقتل الجمع الكثير بالأحد)	(وليس في كسر العظام من قود)
(بل يثبت القصاص في عضو قطع)	(من مفصل أو مع إجافية منع)
(وكل شرط للقصاص قد سلف)	(في النفس شرط للقصاص في الطرف)
(مع شركة العضوين في الاسم الأخص)	(وفقد نقص أي بمقطوع يُخَص)
(ويقطع الأشل بالأشل ما)	(لم يُحش عند قطعه نزف الدما)
(وإن جنى بجرحه لن يجرحه)	(إلا برأس أو بوجه أو ضححه)

شروط وجوب القصاص في العمد أمور : أولها : (أن يكون من جنى) أي : القاتل (مكلفاً) أي : بالغاً عاقلاً ، فلا قصاص على صبيٍّ ومجنون لرفع القلم عنهما ، ولو قال : كنت وقت الجناية صبياً أو مجنوناً ، صدَّق بيمينه إن أمكن الصَّبَا وعُهد الجنون قبله ، ولو قال : أنا صبيُّ الآن فلا قصاص ، ولا يخلف أنه صبي . ثانيها : أن يكون (ملتزماً لحكمنا) معاشراً للمسلمين ، فلا

قصاص على حرِّي قَتَلَ حال حرابته وإن عصم بعد ذلك بالإسلام أو عقد ذمته ، لما تواتر من فعله ﷺ والصحابة بعده من عدم القصاص ممن أسلم كوحشي قاتل حمزة ، ولعدم التزامه الأحكام . ثالثها : أن (لا يكون) القاتل (للقتيل والدا . وإن علا) وأن (لا يكون سيذا) فلا قصاص بقتل ولد للقاتل وإن سفل لخبر الحاكم وصححه [٣٦٨/٤] والبيهقي [٣٨/٨] : « لا يقاد الأب من ابنه »^(١) ولرعاية حرمة ، ولأنه كان سبياً في وجوده فلا يكون هو سبياً في إعدامه ، ولا قصاص بقتل عبده . رابعها (عصمة القتيل بالإيمان . أو غيره كالعهد والأمان) لقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [التوبة : ٢٩] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ [التوبة : ٦] الآية ، فيهدر الحرِّي ولو صبياً وامراً وعبداً لقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] ويهدر دم المرتد في حق معصوم لخبر : « من بدل دينه فاقتلوه »^(٢) ، وهذا معنى قوله في البيت الخامس : (فيهدر الحرِّي) إلى آخره . خامسها : (كونه) أي : المقتول (لن ينقصا . إما برقي أو بكفر) أو هدر دم تحقيقاً للمكافأة المشروطة لوجوب القصاص بالأدلة المعروفة ، فإن كان أنقص بأن قتل مسلم كافراً أو حرّاً من فيه رقٍّ أو معصوم بالإسلام زانياً محصناً فلا قصاص حينئذ . وخرج بتقييد العصمة بالإسلام المعصوم بخزينة كالذمي ، فإنه يقتل بالزاني المحصن وبذمي أيضاً وإن اختلفت ملتهم ، فيقتل يهودي نصراني ومعاهد ومستأمن ومجوسي وعكسه ؛ لأن الكفر كله ملة واحدة من حيث هو لأن النسخ شمل الجميع .

تنبيه : لو أسلم الذمي القاتل لم يسقط القصاص لتكافؤهما حال الجنابة ؛ لأن الاعتبار في العقوبات بحال الجنابة ، ولا نظر لما يحدث بعدها . ويقتل رجل بامرأة ، وخنثى كعكسه ، وعالم

(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأخرجه أيضاً في « معرفة السنن والآثار » (١٥٧٨٩) ، وفي « السنن الكبرى » ٨ / ٧٢ بلفظ : أن قتادة بن عبد الله كانت له أمة ترعى غنمة فبعها يوماً ترعاها فقال له ابنه منيا : حتى متى تستأمني أمي والله لا تستأمني أكثر مما استأمتها فأصاب عرقوبه فطعن في خصره فمات . قال : فذكر ذلك سراقاً بن مالك لعمر رضي الله عنه فقال له : ولاتني من قاتل ومهلك أربعين أو قال : عشرون ومئة من الإبل . قال : ففعل فأخذ عمر رضي الله عنه منيا ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين ما بين ثنية إلى بارز عامها كلها خلفه فأعطاهما إخوانه ، ولم يورث أباه شيئاً وقال : لولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقاد والد يولد » لقتلتك أو لضربت عنقك . وله شواهد :

— فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الترمذي (١٤٠٠) ، وابن ماجه (٢٦٦٢) ، والدارقطني ٣ / ١٤٠ و ١٤١ وغيرهم .

— وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند الترمذي (١٤٠١) ، وابن ماجه (٢٦٦١) . وانظر « نصب الراية » ٤ / ٣٣٩ .

(٢) حديث صحيح ؛ أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه البخاري (٣٠١٧) ، وأبو داود (٤٣٥١) ، والترمذي (١٤٥٨) .

بجاهل كعكسه ، وشريف بخسيس ، وشيخ بشاب . ويقتل قُرْنٌ ومدير ومكاتب وأم ولد بعضُهم ببعض لو كان المقتول لكافر والقاتل لمسلم .

فرع : لو قتل عبد عبداً ثم عتق القاتل ، فكحدوث الإسلام وقد مر حكمه . (ويقتل الجمع الكثير بالأخذ) أي : بالواحد إذا كافأه كل أحد وكان فعل كل قاتلاً لو انفرد وتواطؤوا ، لأن عمر رضي الله عنه قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل قتلوه غيلة ، أي : حيلة ، وقال : لو عمالاً — اتفق — عليه أهل صنعاء لقتلتهم — به — جميعاً^(١) ، ولم ينكر عليه أحد ، فصار ذلك إجماعاً . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (وليس في كسر العظام مِنْ قَوْدٍ) أي : قصاص لبعد ضبطها ، وسُمِّيَ القصاصُ قوداً ، لأنهم يقودون الجاني بجبل أو غيره إلى محل الاستيفاء (بل يثبت القصاص في عضو قُطِعَ . من مفصل) يفتح الميم وكسر المهملة ، كالمرفق والأنامل والكوع ومفصل القدم والركبة ؛ لانضباط ذلك مع الأمن من استيفاء الزيادة . ومن المفاصل أصل الفخذ والمنكب . وأفاد الناظم بقوله : (أو مَعْ إجافة مُنْع) أنه إن أمكن القصاص بلا جائفة اقتص وإلا فلا ، سواء أجافه الجاني أم لا . نعم إن مات المجني عليه بذلك قطع الجاني ، وإن لم يمكن بلا إجافة . (فكل شرط للقصاص قد سَلَفَ) أي : مضى ذكره (في النفس شرط للقصاص في الطَّرْف) بعد الشرائط المعترية في قصاص النفس للاشتراك في الاسم الخاص رعاية للمماثلة ، كما قال : (مَعْ شركة العضوين في الإسم الأخص) كاليمين باليمين واليسرى باليسرى ، فلا تقطع يسار يمين ولا شفة سفلى بعليا وعكسهما . ويشترط أن لا يكون بأحد الطرفين نقص كشلل كما قال : (وفقد نقص أي : بمقطوع يُخَصُّ) فلا تقطع صحيحة من يد أو رجل بشلاء وإن رضي بها الجاني أو شلت يده أو رجله بعد الجناية لانتفاء المماثلة . (ويقطع) الطرف (الأشلُّ بالأشَلِّ) إذا استويا في الشلل ، أو كان شلل الجاني أكثر ولم يخف نزف الدم وإلا فلا يقطع ، والشلل بطلان العمل . ولا قصاص في الجروح في سائر البدن لعدم ضبطها وعدم أمن الزيادة والنقصان طولاً وعرضاً كما قال : (وإن جنى بِجُرْحِهِ لَنْ يَجْرَحَهُ . إلا برأس أو بوجه أَوْضَحَهُ) أي : إلا في الجراحة الموضحة للعظم في أي موضع من البدن من غير كسر ففيها القصاص لتيسر ضبطها .

خاتمة : في قلع السن قصاص لقوله تعالى : ﴿ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾ [المائدة : ٤٥] ولا قصاص في كسرها كما لا قصاص في كسر العظام . ولو قلع شخص مثغور — وهو الذي سقطت روافضه — سن كبير أو صغير لم تسقط أسنانه الرواضع فلا ضمان في الحال لأنها تعود غالباً ، فإن

جاء وقت نباتها بأن سقطت البواقي ونبتن دون المقلوعة وقال أهل الخبرة : فسد النبت ، وجب القصاص فيها ، ولا يستوفى للصغير في صغره لأن القصاص للتشفي . ولو قلع شخص سن مثغور فنبتت لم يسقط القصاص ؛ لأن عودها نعمة جديدة . ويجب القصاص^(٢) في فقء العين وفي قطع الأذن وجفن وشفة سفلى وعُليا ولسان وذَكَرٍ وأُنثيين^(٣) وشَفْران — بضم الشين المعجمة — تنثية شفر وهو حرف الفرج ، وفي الأكتيين وهما اللحمان الناتقان بين الظهر والفخذ .

(١) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

(٢) أي : الخصيتين من ذكر .

(١) أخرج هذا الأثر مالك ٢ / ٨٧١ ، والشافعي في ترتيب المسند ٢ / ٣٣٣ ، وعلقه البخاري (٦٨٩٦) بصيغة الجزم ، والبيهقي في السنن ٨ / ٤٦ .

باب الديات

جمع دية ، وهي في الشرع : اسم للمال الواجب بمجانبة على الحر في نفس أو ما دونها .
وذكرها الناظم عقب القصاص لأنها بدل عنه على الصحيح ، والأصل فيها الكتاب^(١) والسنة^(٢) وإجماع الأمة .

(في كل حرّ مسلم إذا قُتل بغير حق مئة من الإبل)
(وثلثت بالعمد باتفاق منها ثلاثون من الحقائق)
(ومن جذاع مثلها والفاضل قل أربعون كلها حوامل)
(وهكذا التلث في عمد الخطأ وخمست في حق من جنى خطأ)
(من الحقائق الخمس بالإجماع عشرون ثم الخمس من جذاع)
(والخمس من بني اللبون يلزم والخمس من بناتها محتم)
(ومن بنات الناقة المخاض تمامها ولو بالاعتراض)
(وحيث كانت كلها معدومه أو بعدت فليقتل للقيمة)
(وفي ثلاث غلظت مع الخطأ في الحرم المكي والذي سطا)
(بالقتل في شهر حرام ولزم تغليظها في قتل محرّم الرجم)

(في كل حرّ مسلم) ذكرأ (إذا قُتل بغير حق مئة من الإبل) سواء وجب في قتله قصاص وعفي على مال أم لا كقتل الوالد ولده (وثلثت بالعمد باتفاق) منها ثلاثون من الحقائق * ومن جذاع مثلها (أي : ثلاثون ، وقد تقدم بيانها في كتاب الزكاة (والفاضل) من المئة (قُلْ) أيها الفقيه : هو (أربعون كلها حوامل) أي : أربعون خليفة — وهي التي في بطونها أولادها — لخبر

الترمذي (١٣٨٧) . بذلك^(١) وهذه الدية مغلظة من ثلاثة أوجه : كونها على الجاني، وحالة ، ومن جهة السن . (وهكذا التلث في عمد الخطأ) أي : شبه العمد ، فهي مغلظة فيه من وجه واحد وهو كونها مثلثة ، (وخُمست في حق من جنى خطأ) فهي مخففة من ثلاثة أوجه : الأول : كونها خمسة كما قال : (من الحقائق الخمس) إلى قوله : (ولو بالاعتراض) والمعنى باختصار : عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون ابن لبون وعشرون بنت لبون وعشرون بنت مخاض^(٢) ، وتقدم بيانها في الزكاة . الثاني : وجوبها على العاقلة . الثالث : وجوبها مؤجلة في ثلاث سنين ، وفي شبه العمد مخففة من وجهين هما : وجوبها على العاقلة ، وجوبها مؤجلة في ثلاث سنين .

تنبيه : لا بد أن تكون الإبل المذكورة سليمة من عيب يثبت الرد في البيع ، فلا تقبل مريضة ولا معيبة إلا برضا المستحق وما ذكره الناظم من التغليظ والتخفيف في النفس يجري مثله في الأطراف والجروح . (وحيث كانت) الإبل (كلها معدومة . أو بعدت) والمعنى : فإن عدمت الإبل جساً بأن لم توجد في موضع يجب تحصيلها منه ، أو شرعاً بأن وجدت فيه بأكثر من ثمن مثلها (فليقتل للقيمة) وقت وجوب تسليمها بالغة ما بلغت ، لأنها بدل متلف فيرجع إلى قيمتها عند إعواز أصله ، ويقوم بنقد بلده الغالب لأنه أقرب من غيره وأضبط ، فإن كان فيه نقدان فأكثر لا غالب فيهما يتخير الجاني بينهما . وقوله : (في ثلاث) إلى قوله : (الرّحم) أشار إلى أن دية الخطأ تغلظ من وجه واحد ، وهو وجوبها مثلثة في أحد ثلاثة مواضع . الأول : إذا قتل خطأ في الحرم المكي فإنها تثلث فيه ؛ لأن له تأثيراً في الأمن بدليل إيجاب جزاء الصيد المقتول فيه ، وخرج بالحرم الإحرام وبمكة حرم المدينة . الثاني : إذا قتل خطأ في شهر حرام من الشهور الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب . الثالث : إذا قتل خطأ محرماً ذات رحم محرم ، أي : قريب كالأم أو الأخت لما في ذلك من قطيعة الرحم . أما إذا انفردت المحرمة عن الرحم كما في المصاهرة والرضاع ، أو انفردت الرحمة عن المحرمة كأولاد الأعمام والأخوال فلا تغلظ في الأولى قطعاً ، وفي الثانية على الأصح عند الشيخين لما بينهما من التفاوت في القرابة . وقول الناظم قتل ،

(١) من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « من قتل متعمداً دفع إلى أولياءه المقتول . فإن شاؤوا قتلوا ، وإن شاؤوا أخذوا الدية ، وهي ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربعون خليفة » وقال الترمذي : حسن غريب . ورواه أبو داود (٤٥٠٦) ، وأحمد ١٨٣/٢ ، وابن ماجه (٢٦٢٦) ، والدارقطني ١٧٧/٣ ، والبيهقي ٥٣/٨ ، وصححه ابن حبان (٦٠١١) .

(٢) كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقفاً أنه قال : في الخطأ عشرون جذعة وعشرون حقة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض . رواه الدارقطني ١٧٢/٣ . ومثل هذه الأحكام لا يقال من قبل الرأي .

(١) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ [النساء : ٩٢] .

(٢) لما روى ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إن في قتل العمد الخطأ بالسوط أو العصا مئة من الإبل مغلظة : منها أربعون خليفة في بطونها أولادها » . أخرجه أبو داود (٤٥٤٩) ، والنسائي ٧٢/٨ ، وابن ماجه (٢٦٢٨) .

وبعضه أيضاً حديث ابن عمرو رضي الله عنهما في التعليق الآتي .

وُثِّلَتْ ، وَخُمِّسَتْ ، وَغُلِّظَتْ ؛ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وَقَوْلُهُ : الْخُمْسُ ؛ بضم الخاء في المواضع الأربعة .

(ثم اليهودي ثلثُ مسلم يُرى) وكاليهودي كل من تنصراً (وفي المجوس الخمس من نصراني) وكالمجوسي عابد الأوثان (ودية الأنثى بكل حال) ونصف الذي قد مر في الرجال (والطرف الأشل بالحكومة) والغرم في قتل الرقيق القيمة (وفي الجنين الحر عبد أو أمه) والعبد عشر أمه مقوموه (والسن والإيضاح خمس من إبل) والهشتم والتثني عشر مثله يجعل (وإن يُجف فالثلث كالمأمومه) وسائر الجروح بالحكومة)

اشتملت هذه الأبيات على مسائل : الأولى : دية اليهودي ثلث دية الحر المسلم نفساً وغيرها ، (وكاليهودي كل من تنصراً) أي : النصراني ، أي : المعاهد والمستأمن إذا كان معصوماً تحل مناكحته ففي قتله عمداً أو شبه عمد عشر حقاك وعشر جذاع وثلاث عشرة خلفه وثلث ، وفي قتله خطأ لم يغلظ ستة وثلثان من كل بنات المخاض وبنات اللبون وبنات اللبون والحقاك والجذاع ، مجموع ذلك ثلاثة وثلثون وثلث . أما غير المعصوم من المرتدين ومن لا أمان له فإنه مقتول بكل حال . وأما من لا تحل مناكحته فهو كالمجوسي .

تنبيه : السامرة كاليهود ، والصابئة كالنصارى إن لم يكفرهم أهل ملتهم ، وإلا فكمن لا كتاب له .

الثانية : (في) قتل (المجوس) الذي لا أمان له أخس الدييات ، وهي (الخمس من) دية (نصراني) أو يهودي ، ففيه عند التغليظ حقتان وجذعتان وخلفتان وثلثا خلفه ، وعند التخفيف بعير وثلث من كل سن ، فمجموع ذلك ست وثلثان . والمعنى في ذلك أن في اليهودي والنصراني خمس فضائل ، وهي حصول كتاب ، ودين كان حقاً بالإجماع ، وتحل مناكحتهم ، وذبايحهم ، ويقروا بالجزية ، وليس للمجوسي من هذه إلا التقرير بالجزية فكسنت دية الخمس من دية اليهودي والنصراني . (وكالمجوسي عابد الأوثان) ونحوه كعابد الشمس والقمر ، وزنديق وهو من لم يتدين بدين ممن له أمان كدخوله إلينا رسولاً ، أما من لا أمان له فمهدر .

الثالثة : (دية الأنثى) أي : المرأة الحرة سواء قتلها رجل أم امرأة (بكل حال) . نصف الذي قد مر في الرجال (الأحرار نفساً وجرحاً لخبر : « دية المرأة نصف دية الرجل ») رواه البيهقي [٩٥/٨] والخنثى كالمرأة هنا في جميع أحكامها ، لأن زيادته عليها مشكوك فيها .

الرابعة : يجب في كل عضو لا منفعة فيه كاليد الشلاء والذكر الأشل ونحو ذلك كالأصبع الأشل حكومة كما قال : (والطرف الأشل بالحكومة) ، وكذا في كسر العظام ؛ لأن الشرع لم ينص عليه ولم يبيته لنا ، فوجب فيه حكومة ، والحكومة جزء من الدية ، نسبته إلى دية النفس نسبة نقص الجناية من قيمة المجني عليه لو كان رقيقاً بصفاته التي هو عليها بغير جناية لو كان رقيقاً^(١) ، فإذا قيل : مئة ، فيقال : كم قيمته بعد الجناية ؟ فإذا قيل : تسعون ، فالتفاوت العشر ، فيجب عشر دية النفس ، وهو عشر من الإبل إذا كان المجني عليه حرّاً ذكراً مسلماً ؛ لأن الجملة مضمونة بالدية ، فتضمن الأجزاء بالجزء منها كما في نظيره من عيب المبيع .

الخامسة : يجب بالجناية على نفس الرقيق المعصوم ذكراً كان أو أنثى أو خنثى ولو مديراً أو مكاتباً أو أم ولد قيمته بالغة ما بلغت كما قال الناظم : (والغرم في قتل الرقيق القيمة) لأنه مال ،

(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال : وروي ذلك من وجه آخر عن عبادة بن نسي وفيه ضعف . وقد قال عنه ابن حجر في « التلخيص » ٢٤/٤ : إسناده لا يثبت مثله . قال ابن المذر في « الإشراف على مذاهب أهل العلم » ٩٢/٣ : أجمع أهل العلم على أن دية المرأة على نصف دية الرجل . قال في « المهذب » كما في « تكملة المجموع » ٥٢/١٩ : روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم . قال الشارح : فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عمر قال : دية المرأة على نصف دية الرجل . كما أخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه ، وفيه انقطاع ، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق الشعبي عنه . وقال محمد العثاني في « رحمة الأمة » ص ٤٧٤ : وأجمعوا على أن دية المرأة الحرة المسلمة في نفسها على النصف من دية الرجل الحر المسلم .

(٢) علق هنا شيخنا رحمه الله تعالى فقال : وإذا قتل الحر رقيقاً غرم قيمته ، ولا يقتل به عندنا كأحمد ومالك رحمهما الله تعالى . وإلى ذلك أشار أبو الفتح البستي بقوله :

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه رماني بسهمي مقتلته على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد
وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : يقتل بعبد غيره لا بعبدته وإليه أشار بعضهم بقوله :
خذوا بدمي من رام قتل بلحظه ولم يمش بطش الله في قاتل العمد
وقدودوا به جبراً وإن كنت عبده ليعلم أن الحر يقتل بالعبد
لكن لا يخلو هذا النظم من طعن وعدم مراعاة ما للحبيب على من أحب ، وقد تخلص الإمام ابن عابدين من ذلك بقوله :
دعوا من برع القدر قد مهجتي وصارم لحظ سله لي على عمد
فلا قود في قتل مولى لعبده وإن كان شرعاً يقتل الحر بالعبد

فأشبه سائر الأموال المتقومة . والمبعض تجب فيه قيمة جزئه الرقيق ودية جزئه الحر ، وتعييره بالقيمة أولى من تعبير أصله بالدية .

السادسة : (في الجنين الحر) غرة ، لحر : أنه ﷺ قال : « في الجنين إذا انفصل غرة^(١) » وهو (عبد أو أمه) وإنما تجب الغرة في الجنين إذا انفصل ميتاً بجناية على أمه الحية مؤثرة فيه ، سواء كانت الجناية بالقول كالتهديد والتخويف المفضي إلى سقوط الجنين ، أم بالفعل كأن يضربها أو يوجرها دواء أو غيره فتسقط بذلك . ويعتبر أن يكون الرقيق مميزاً سليماً من عيب مبيع ، أما إذا ألقته حياً ففيه الدية إن كان حرّاً ، أو القيمة إن كان رقيقاً وإن مات عقبه أو دام ألمه إلى موته ، لأننا نيقنا حياته وقد مات بالجناية ، فإن بقي زماناً لا ألم فيه ثم مات فلا ضمان فيه ؛ لأننا لم نتحقق موته بالجناية ، فإن تنازعا في أنه مات بالجناية أو لا حلف الجاني أنه لم يمت بجنائه لأنه الأصل . وقوله : (والعبد عُشر أمه مقومة) أشار به إلى أن دية الرقيق ذكرأ كان أو أنثى من حيث الغرة عُشر قيمة أمه وإن كانت حرة ، ويعتبر أقصى قيمتها من الجناية إلى الإجهاض ، وخرج بالرقيق المبعض فالتوزيع بالحصة .

السابعة : يجب في قلع السن الأصلية النامة المثغورة غير المقلقلة صغيرة كانت أو كبيرة بيضاء أو سوداء نصف عشر دية صاحبها ، ففيها لذكر حرّ مسلم خمس من الإبل لحديث عمرو بن حزم بذلك ، وفي الموضحة ، أي : موضحة الرأس ولو للعظم الناقء خلف الأذن والوجه وإن صغرت ولو لما تحت المقتل من اللحيين نصف عشر دية صاحبها ففيها لحرّ مسلم غير جنين خمس من الإبل ، ولما رواه الترمذي [١٣٩٠] وحسنه عن عمر مرفوعاً : « في الموضحة خمس من الإبل » وإلى ذلك أشار بقوله : (والسن والإيضاح خمس من إبل) فقوله : خمس من إبل ، راجع إلى المسألتين كما قررته . (والحشم والتنقيط مثله جُعِلَ) ففي الهاشمة وهي التي تهشم العظم والمنقلة وهي التي تنقله ، أي : إذا كانا في حدّ الرأس والوجه نصف عشر دية صاحبها خمس من إبل ، وخرج بالرأس والوجه عظم سائر البدن ، فلا تقدير فيه . وقوله : (وإن يُجِفَّ فالثلث كالمأمومة) أشار به إلى أنه يجب في الجائفة ثلث دية ، وهو جرح ينفذ إلى جوف كبطن وثغرة نحر

وجنب وخاصرة ، وفي المأمومة ثلث دية : وهي التي تبلغ خريطة الدماغ (و) في (سائر) (الجروح) للبدن (حكومة) وقد مر بيانها .

واعلم أن شجاج الرأس والوجه عُشر^(١) : حارصة وهي ما شق الجلد قليلاً ، ودامية تدميه ، وباضعة تقطع اللحم ، ومتلاحمة تغوص فيه ، وسمحاق تبلغ الجلد التي بين اللحم والعظم ، وموضحة توضح العظم ، وهاشمة تهشمه ، ومنقلة تنقله ، ومأمومة تبلغ خريطة الدماغ ، ودامغة تحرقها . ويجب القصاص في الموضحة فقط كما مر ، وترتيب الناظم أحسن من ترتيب أصله كما لا يخفى ، وقد زاد زيادة حسنة غير خافية .

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى : للجروح أسماء نظمها بعضهم بقوله :

فحارضة شقت ودامية فرّت	وأدمت وذات البضع ما قطعت لحما
فإن هي غاصت فهي ذات تلاحم	وسمحاقها يُبقي على عظمها وشما
وموضحة تكشف وهاشمة له	تليها وذات النقل ما نقلت عظما
ومأمومة ما أمّ كيس دماغه	فإن خرقته فهي دامغة تسمى
فموضحة فيها القصاص وأرشها	من النفس نصف العشر واجعل كذا المشا
ونساقلة أيضاً تساوت أروشها	ففي جمعها عشر ونصف ولا ظلما
ودامغة مأمومة ثلث نفسه	وما قبل هذا للحكومة قد يسمى

(١) أخرجه عن المغيرة رضي الله عنه مسلم (١٦٨٢) (٣٨) بلفظ : « قضى في الجنين بغرة ... » و (١٦٨٩) (٣٩) قال المغيرة : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة : عبد أو أمه . قال قتال عمر : - رضي الله عنه - اثني بن يشهد مكل قال : فشهد له محمد بن مسلمة .

فصل : في إبانة الأطراف وإزالة المنافع

(في الأذنين أوجبوا كلّ الديه)	كذلك في العينين أي بالتسويه)
(والشفتين ثم في اللحيين)	وفي اليدين ثم في الرجلين)
(كذلك في الأليين، مع ثدييها)	والأثنيتين بل وفي شفرها)
(والأنف أيضاً والجفون الأربعة)	على جميع ما مضى موزعه)
(وفي اللسان والعجان والذكر)	وسلخ جلد ثم سمع وبصر)
(وعقله وشمّه وذوقه)	ومضغه وصوته ونطقه)
(وبطشه والمشي والإحبال)	ولذة الجماع بالإبطال)

(في الأذنين) أي : في إبانتهما (أوجبوا) أي : العلماء (كلّ الديّة) سواء كان سمياً أم أصمّ لخبر عمرو بن حزم^(١) : « في الأذن خمسون من الإبل » رواه الدارقطني [٢٠٩/٣] والبيهقي [٨٦/٨] ، (كذلك) أوجبوا كل الديّة (في) إبانة (العينين) لخبر عمرو بن حزم بذلك . وحكى ابن المنذر فيه الإجماع كما في « الإشراف » ١٠٠/٣ ، وفي كل عين نصفها ؛ ولو كانت جهراء وهي التي لا تبصر في الشمس ، أو حولاء وهي التي كأنها ترى غير ما تراه ، أو عمشاء وهي ضعيفة الرؤية مع سيلان الدمع غالباً ، أو عشواء وهي التي لا تبصر ليلاً فقط ، وكذا يبيض لا ينقص الضوء . (و) أوجبوا كل الديّة في (الشفتين) لخبر عمرو بن حزم : « وفي الشفتين الديّة » وفي كل شفة

(١) عن النبي ﷺ أنه كتب بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات وفيه : « أن في النفس الديّة مئة من الإبل ، وفي الأنف إذا أوعب جده الديّة ، وفي اللسان الديّة ، وفي الشفتين الديّة ، وفي البيضتين الديّة ، وفي الذكر الديّة ، وفي الصلب الديّة ، وفي العينين الديّة ، وفي الرجل الواحدة نصف الديّة ، وفي المأمومة ثلث الديّة ، وفي الحائقة ثلث الديّة ، وفي اللقطة خمس عشر من الإبل ، وفي كل أصبع من الأصابع من اليد والرجل عشر من الإبل ، وفي السن خمس من الإبل ، وفي الموضحة خمس من الإبل ، وأن الرجل يقتل بالمرأة ، وعلى أمل الذهب ألف دينار » رواه النسائي في « المجتبى » ٨١/٨ ، وفي « الكبرى » (٧٠٥٨) ، والحاكم ٣٩٥/١ ، والبيهقي ٨١/٨ ، وابن حبان في « الإحسان » (٦٥٥٩) والدارقطني ٢٠٩/٣ - ٢١٠ . وفي الحديث ضعف لكن لكثير من فقراته شواهد يقوى بها .

وهي التي في عرض الوجه إلى الشدقين وفي طوله إلى ما ستر اللثة نصف الديّة . (ثم) أوجبوا كل الديّة (في اللّحيّين) بفتح اللام ، وهما العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان السفلى . وفي اللّحيّ — بفتح اللام ، ويجوز كسرهما — نصف الديّة . (و) أوجبوا كل الديّة (في) إبانة (اليدين) الأصليتين لخبر عمرو بن حزم بذلك رواه النسائي [٥٧/٨ - ٥٨] وغيره ، وفي إحداها نصفها . (ثم) أوجبوا كل الديّة (في) إبانة (الرجلين) إذا قطعنا من الكعبين لخبر عمرو بن حزم بذلك ، وفي إحداها نصفها . (كذلك) وأوجبوا كل الديّة (في الأليين) وفي الألية نصفها ، وهي اللحم الناقى عن البدن بين الظهر والفخذ . وأوجبوا كل الديّة في الثديين كما قال : (مع ثدييها) أي : المرأة ، وفي إبانة الثدي الواحد نصف الديّة . (و) أوجبوا كل الديّة في (الأثنتين) لخبر عمرو بن حزم بذلك ، ولأنهما من تمام الخلقة ومحل التناسل ، وفي إحداها نصفها سواء اليمنى واليسرى ولو من عين ومحبوب وطفل وغيرهم . والمراد بالأثنتين البيضتان . وأما الخصيتان فالجلدتان اللتان فيهما البيضتان . (بل و) أوجبوا كل الديّة (في شفرها) أي : المرأة ، وفي إحداها نصفها . (و) أوجبوا كل الديّة في إبانة (الأنف ..) أي : مارنوه وهو ما لان من الأنف وخلا من العظم لخبر عمرو بن حزم بذلك ، وهو مشتمل على الطرفين المسميين بالمُخْخِرَيْن وعلى الحاجز بينهما ، وفي كل منها ثلث دية صاحبا . (و) أوجبوا كل الديّة في إبانة (الجفون الأربعة) ففي قطع كل جفن — بفتح الجيم وكسرهما — وهو غطاء العين — ربع دية كما قال : (على جميع ما مضى موزّعاً) سواء الأعلى والأسفل ، ولو كانت لأعمى وبلا هُذْب لأن فيها جمالاً ومنفعة ، (و) أوجبوا كل الديّة (في) إبانة (اللسان) ولو لألكن وأرث وألغ وطفل لخبر ابن حزم بذلك : « وفي اللسان الديّة » رواه أبو داود « المراسيل » (٢٢٦) . وقوله « والعجان » بكسر العين ، أراد به رفع أي : إزالة الحاجز — الذي بنين مدخل الذكر والدبر — وهو : الإفضاء من زوج أو غيره^(١) فيجب فيه الديّة . (و) أوجبوا كل الديّة في إبانة (الذكر) وإشلاله لخبر عمرو بن حزم : « وفي الذكر الديّة » . (و) أوجبوا كل الديّة في (سلخ جلد) وإن كان سلخ جميعه قاتلاً ، لكن تعرض حياة مستقرة بعدها ؛ فتظهر فائدة إيجاب الديّة . (ثم) أوجبوا كل الديّة في ذهاب (سَمْع) لخبر البيهقي [٨٥/٨] : « وفي السمع الديّة » ، ونقل ابن المنذر فيه الإجماع كما في « الإشراف » ٩٩/٣ ، ولأنه من أكثر الحواس فكان كالْبَصَر ، بل هو أفضل منه عند أكثر الفقهاء ؛ لأنه به يدرك الفهم ، ويدرك من الجهات الست ، وفي النور والظلمة ، ولا يدرك البصر إلا من

(١) وقد يكون الإفضاء من قابلة أو طيب وقت الولادة فإن كان لضرورة تتوقف عليها حياة الوالدة أو المولود فلا مانع ، وإلا فلا يحق لهم ذلك لأجل السرعة مثلاً ؛ لأن هذا الأمر موجب للديّة ، فليقتطع له . كما أنه يعقب الوالدة أماً شديدة ، وقد تحتاج إلى تكرار هذه الحالة عند كل وضع .

جهة المقابلة وبواسطة من ضياء أو من شعاع . وقيل : البصر أفضل ، وعليه أكثر المتكلمين ؛ لأن السمع لا يدرك به إلا الأصوات ، والبصر يدرك به الأجسام والألوان والهيئات ، فلما كانت تعلقاته أكثر كان أشرف ، وهذا هو الظاهر . (و) أوجبوا كل الدية في ذهاب (بصر) من العينين لخبر معاذ : « وفي البصر الدية » [٨٧/٨] وهو غريب ، وفي ذهاب بصر كل عين نصفها . (و) أوجبوا الدية في ذهاب (عقله) الغريزي لخبر البيهقي [٨٦/٨] بذلك ، ولا يزداد شيء على دية العقل إن زال بما لأشرف ولا حكومة كلطمة . (و) أوجبوا كل الدية في ذهاب (شبه) من المنخرين كما في خبر عمرو بن حزم وهو غريب ، وفي إزالة شم منخر نصف الدية . (و) أوجبوا كل الدية في ذهاب (ذوقه) كغيره من الحواس ، وتذكر به حلاوة وحموضة ومرورة وملوحة وعذوبة ، وتوزع الدية عليها ، فإن نقص الإدراك فحكومة ^(١) . (و) أوجبوا كل الدية في إبطال (مضغ) لأنه من المنافع المقصودة . (و) أوجبوا في إبطال (صوته) مع بقاء اللسان على اعتداله وتمكنه من التقطيع والترديد ، لأنه من المنافع المقصودة ، فلو أبطل صوته وحركة لسانه فديتان . (و) أوجبوا كل الدية في إبطال (نطقه) وإن كان لا يحسن بعض الحروف خلقه ، لأنه من أعظم المنافع ، ونقل الشافعي — رضي الله عنه — في « الأم » فيه الإجماع ، وإنما تؤخذ دية إذا قال أهل الخبرة : لا يعود نطقه . (و) أوجبوا كل الدية في إبطال (بطشه) من يديه ، وفي إبطاله من أحدهما نصفها (والمشي) كذلك . (و) أوجبوا كل الدية في إبطال (الإحبال) بكسر الصلب ، (و) أوجبوا في إبطال (لذة الجماع ^(٢)) كذلك .

فرع : أزال أطرافاً ولطائف تقتضي ديوات سراية فدية ، وكذا لو حرّ الجاني قبل اندماله في الأصح فإن حرّ عمداً والجنايات خطأ أو عكسه فلا تداخل في الأصح، ولو حرّ غيره تعددت .

(١) وهي جزء نسبته إلى دية النفس نسبة ما نقص بالجناية من قيمته لو كان رقيقاً بصفاته . لما روى البيهقي في « سننه » ٨٧/٨ : في نقص البصر عن سعيد بن المسيب أن رجلاً أصاب عين رجل فذهب ببعض بصره وبقي بعض فرفع ذلك إلى علي — رضي الله عنه وأرضاه — فأمر بعينه الصحيحة فعصبت وأمر رجلاً بيضاء فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى بصره ، ثم خط عند ذلك علماً ، ثم نظر في ذلك فوجده سواء . قال : فأعطاه بقدر ما نقص من بصره ... من مال الآخر .

(٢) وهذه من منافع المعاني — لا قصاص إلا فيما ضبط منها — وهي ما تقدم ، وإذا أخذ دية واحد منها ثم عادت المنفعة استردت الدية بخلاف ماله جرم وقد نظمها بعضهم فقال :

وديعة المعاني تسترد بعودها وديوات الأجرام امنعن لردّها
وامشئت سناً غير مُشغرة كذا إفضاؤها والجسد ثالث عدّها

فصل : في القسامة

هي — بفتح القاف — اسم للأيمان التي تقسم على أولياء الدم ، مأخوذة من القَسَم وهي اليمين ، وقيل : اسم للأولياء .

(من ادعى قتلاً على سواه فواجب تفصيل ما ادعاه)
(وأثبتوا للمدعي القسامه بشرط لوّث معه أي علامة)
(بها يظن صدق ما يقول كأن يرى عند العدا القتل)
(وحيث أقسم الولي بالصمد خمسين يعطى دية ولا قود)
(والمدعى عليه قبل يقسم إن لم يكن هناك لوّث يعلم)
(فيحلف الخمسين أيضاً كالولي ومن أراد ردها فليفعّل)

(من ادعى قتلاً على سواه) أي : غيره (فواجب) عليه (تفصيل ما ادعاه) من كون القتل عمداً أو خطأ أو شبهه أو انفراداً أو شركة ، فإن أطلق استُحب للقاضي أن يستفصله ، ولا بد أن يعين المدعي عليه فلو قال : قتله أحد هؤلاء ، لم تُسمع . (وأثبتوا) أي : العلماء (للمدعي القسامة . بشرط لوّث معّه) بإسكان الواو وبالمثلية مشتق من التلوّث وهو التلطّيح ، وفسره الناظم بقوله : (أي علامته * بها يُظن صدق ما يقول) والمعنى : أن يغلب على الظن صدقه بقرينة (كأن يُرى عند العدا القتل) في قرية صغيرة سواء كانت العداوة دينية أو دنيوية إذا كانت تبعث على الانتقام بالقتل ، أو وجد قاتل أو بعضه كراهه في محلة منفصلة عن بلد كبير ولا يعرف قاتله ولا بينة بقتله ، أو وجد قاتل وتفرّق عنه جمع . وقوله : (وحيث أقسم الولي بالصمد) إلى آخر البيت ، معناه : أن المدعي يحلف خمسين يمينا ولو مفرقة ، فإذا حلف استحق الوارث الدية دون القصاص لقوله ﷺ في خبر البخاري عن سهل بن أبي حشمة ١٧٩٢١ : « إما أن يدوا صاحبكم ، وإما أن يؤذونا بحرب » . واعلم أن دية العمد على الجاني بخلاف دية الخطأ أو شبهه ، فإنها على العاقلة مخففة في الأول مغلظة في الثاني كما مرّ .

تنبيه : لو تعدّد المدعي حلف كل بقدر حصته من الإرث ، ويجز المنكسر إن لم تنقسم صحيحة ؛ لأنّ اليمين الواحدة لا تنبعض ، فلو كانوا ثلاثة بنين مثلاً حلف كل واحد منهم سبعة عشر . والصمد اسم من أسماء الله تعالى .

ثم إن لم يكن عند القتل لوث فالأيمان على المدعي عليه لسقوط اللوث في حقه ، والأصل براءة ذمته ، وهذا معنى قوله : (والمدعي عليه) إلى قوله : (كالولي) . وعبارته هنا أحسن من عبارة أصله بقوله : فاليمين على المدعي عليه . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (ومن أراد ردها فليفعل) أي : اليمين ، فإذا حلف المدعي عليه لم يطالب بشيء .

ثم أخذ في بيان كفارة القتل فقال :

باب الكفارة

(وكل نفس إن تكن محرمة في قتلها كفارة محتمة)
(ووافقت في سائر الأحكام كفارة الظهار لا الإطعام)

(و) في (كل نفس إن تكن محرمة . في قتلها) عمداً أو خطأ أو شبهة (كفارة محتمة) أي : واجبة ، قال تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ [النساء : ٩٢] وغير الخطأ أولى منه . وروى أبو داود [٢٩٦٤] وغيره^(١) عن واثلة بن الأسقع قال : أتينا النبي ﷺ في صاحب لنا قد استوجب النار بالقتل فقال : « أعتقوا عنه — رقبة — يعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار » . (ووافقت) هذه الكفارة (في سائر الأحكام . كفارة الظهار) المتقدمة في بابها ، وهي عتق رقبة مؤمنة سليمة من عيب يخل بالعمل ، فإن عجز عنها صام شهرين متتابعين كما مر ، (لا الإطعام) فإنه لا يجب هنا إذا عجز عن الصوم اقتصاراً على الوارد فيها من إعتاق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، ولا يحمل المطلق هنا على المقيّد في كفارة الظهار الوارد فيها : ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ﴾ [المجادلة : ٤] كما في الأيمان ؛ لأن هذا في أصل وذاك في وصف .

تمة أثبتها المصنف في « مواهب الصمد » [ص : ١٣٦] بقوله :

(١) ورواه النسائي في « الكبرى » (٤٨٩٢) .

خاتمة : لا كفارة على من أصاب غيره بالعين واعترف أنه قتله بها . وإن كانت العين حقاً^(١) لأن ذلك لا يفضي إلى القتل غالباً ولا يعدُّ مهلكاً .

باب حد الزنا^(١)

الحد في اللغة : المنع . وشرعاً : عقوبة مقدرة وجبت زجراً عن ارتكاب ما يوجب . والزنا بالقصر لغة حجازية ، وبالمدة لغة تميمية . واتفق أهل الملل على تحريمه ، وهو من أفحش الكبائر ولم يحل في ملة قط ، ولهذا كان حده أشد الحدود ؛ لأنه جنائية على الأعراض والأنساب ، والأصل في تحريمه الآيات^(٢) والأخبار الشهيرة^(٣) .

(ومن يغيب موضع الختان في فرج أجنبيّة فزاني)
(إما يكون محصناً عند الزنا أو لا يكون عند ذلك محصناً)
(فالحصن الحرّ المكلف الذي باشر وطئاً في نكاح نافذ)

(١) روى ابن حبان (٤٤٠٥) بسند صحيح عن عبادة قال : أخذ علينا رسول الله ﷺ كأخذ على النساء منا وقال : « من أصاب منكم منهن حداً ، فعجلت له عقوبته ، فهو كفارته . ومن أخر عنه ، فأمره إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إقامة حدّ بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً » رواه ابن حبان (٤٣٩٧) ، بإسناد حسن .

قال شيخنا في « تعليقه » : منذ تركت الحدود انتشر الشر في سائر الأقطار ، وارتفع الحياء ، وقعدت الغيرة ، وتمكن الأعداء من بث أفكارهم ، وتروج بضائعهم واستعباد من كان يستعبدهم .. إلخ فانظره .

(٢) قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] وقوله : ﴿ ولا يزنون ﴾ [الفرقان : ٦٨] وقوله تبارك تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ﴾ [النور : ٢] وقوله جل شأنه : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور : ٣] .

(٣) لما سئل ﷺ : أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » رواه البخاري (٤٤٧٧) ، ومسلم (٨٦) . وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » رواه عن أبي هريرة البخاري (٢٤٧٥) ، ومسلم (٥٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة ، فإذا انتقل منها رجع إليه الإيمان » رواه الحاكم ٢٢/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وروى مسلم (١٦٩٠) عن عبادة قال : قال رسول الله ﷺ : « البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة .. » .

(١) روى البخاري (٥٧٤٠) ، ومسلم (٢١٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق » . وروى مسلم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » .

وروى مسلم (٢١٩٦) عن أنس قال : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين ، والحمة ، والحملة .

الحمة : السم ويطلق على إبرة العقب لأن السم يخرج منها . الحملة : قروح تخرج في الجنب .

وروى الترمذي (٢٠٥٩) بسند حسن صحيح ، وأحمد ٩٣٨/٦ ، وابن ماجه (٣٥١٠) بإسناد جيد أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترق لهم ؟ فقال : « نعم ، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » .

وفي « سنن » أبي داود (٣٨٨٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يؤمر العائن فينوضاً ، ثم يغتسل منه المعين .

وروى مالك ٩٣٨/٢ بسند رجاله ثقات قال : رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال : والله ما رأيت كالיום ولا جلد نجيّة ! قال : فليط سهل ، فأق رسول الله ﷺ عامراً ، فتغيظ عليه وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ ألا بركت ، اغتسل له فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وربكبيه ، ورجليه ، وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه ، فراح مع الناس .

وروى مالك ٩٣٨/٢ أيضاً ، وأحمد ٣/٤٨٦ ، وابن ماجه (٣٥٠٩) عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه وقال فيه : « إن العين حق ، توضأ له فترضأ له .

وروى عن جابر رضي الله عنه أبو نعيم في « الحلية » ٩٠/٧ ، والخطيب في « تاريخ بغداد » ٢٤٤/٩ : « العين تدخل الرجل القبر ، وتدخل الجمل القدر » .

واعلم أن دواء هذا الداء من السنة فيما رواه البخاري (٣٣٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لائمة » ويقول : إن أبائكم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق .

الهامة : الحية وكل ذي سم يقتل . لامة : تلم بالإنسان وتصيبه . أبائكم : يعني إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وروى ابن السني في « اليوم والليلة » (٢٠١) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى شيئاً فأعجبه فقال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله لم يضره شيء » وفي سنده ضعف .

(والحدّ رجم محصن من امرأة أو رجل وجلد غيره مئة)
 (وبعدها التغريب قدر عام مسافة القصر على التمام)
 (وقادروا حدّ الرقيق الزاني بنصف حدّ غير ذي إحصان)
 (ثم اللواط كالزنا إذا جرى لا من أنى بهيمة بل عزراً)

اعلم أن الزنا إيلاجُ المكلف المختار حشفة ذكره المتصل أو قدرها من فاقدها بفرج أصلي متصل محرّم بعينه خالٍ عن الشبهة مشتبّه ، فخرج غير الإيلاج كالمفاحضة ومساحقة المراتين^(١) — اكتفاء المرأة بالمرأة — وإيلاج دون قدر الحشفة أو قدرها من مقطوعهما ، فلا يوجب ذلك الحدّ بل التعزير . ثم الزاني (إما) أن يكون محصناً عند الزنا . أولاً يكون عند ذلك محصناً * فالمحصن هو (الحرّ) فالرقيق ليس بمحصن ، (المكلف) فلا حصانة لصبيّ ومجنون لعدم الحدّ عليهما ، لكن يؤدبان بما يزرهما كما قاله في « الروضة » (الذي . باشر وطناً في نكاح نافذ) أي : غيب حشفته أو قدرها عند فقدها بقبل ولو لم تزل البكارة في نكاح صحيح ؛ لأن الشهوة مركبة في النفوس ، فإذا وطئ في نكاح صحيح فقد استوفاهما فحقه أن يتمتع عن الحرام . وخرج بقوله : في نكاح نافذ ، الوطء في نكاح فاسد ، فإنه حرام فلا يحصل به صفة الإحصان كالمتزوج كما قال . وبما تقرر علم أن شروط الإحصان : التكليف ، والحرية ، ووجود الوطء في نكاح صحيح . (والحدّ رجم محصن ..) وهو من استكمل هذه الشروط من رجل أو امرأة حتى يموت بالإجماع وتظاهر الأخبار فيه كرجم ماعز والغامدية . (وجلد غيره) أي : المحصن ذكراً كان أو أنثى (مئة) جلدة لقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ﴾ [النور : ٢] (وبعدها التغريب قدر عام) لرواية مسلم [١٦٩٠] بذلك (مسافة القصر على التمام) أي : يغرب عن بلد الزنا إلى مسافة القصر ؛ لأن ما دونها في حكم الحضر لتواصل الأخبار فيها إليه ، ولأن المقصود إباحشة عن الأهل والوطن فما فوقها إن رآه الإمام ؛ لأن عمر غرب إلى الشام ، وعثمان إلى مصر ، وعليّ إلى البصرة ، وليكن تغريبه إلى بلد معين ، فلا يرسله الإمام إرسالاً ولا يكفني بنفي الزاني نفسه في الأصح ، وإنما يحصل بنفي الإمام . ولا تغرب امرأة وحدها بل مع زوج أو محرم أو نسوة ثقات مع أمن الطريق ، وعليها أجرته إذا لم يخرج إلا بها ،

(١) روى الطبراني في « المعجم الكبير » ٢٢ / ٦٥٣ ، و « مسند الشاميين » (٣٣٩٧) من حديث وثالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « السحاق بين النساء زنا بينهن » .

ورواه أبو يعلى بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « سحاق النساء بينهن زنا » . قال الهيثمي في « المجمع » ٢٥٦ / ٦ ورجاله ثقات .

فإذا امتنع لم يجبر . والرجم^(٢) بحجارة معتدلة ومدر لا بحصيات خفيفة ولا بصخرة مذففة ، ويحيطون به من الجوانب الأربعة بأمر الإمام ، ولا يقتل بسيف ونحوه . (وقادروا) أي : العلماء أن (حدّ الرقيق) المكلف (الزاني) ولو مبعضاً (نصف حدّ) الحر (غير ذي إحصان) وهو خمسون جلدة لقوله تعالى : ﴿ فإن أتيت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ [النساء : ٢٥] والمراد الجلد لا الرجم ، قيل : لأن القتل لا ينصف .

تبيينه : يثبت الزنا بأحد أمرين : إما بيينة وهي أربعة شهود ، أو إقرار حقيقي ولو مرة . ويسن للزاني ولكل من ارتكب معصية السر على نفسه لخبر : « من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله ، فإن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد » رواه الحاكم [٢٤٤ / ٤] .

(ثم اللواط) وهو إيلاج الحشفة أو قدرها في دبر ذكر ولو عبثه أو أنثى غير زوجته وأمتة (كالزنا) في حكمهم على المذهب ، فيرجم الفاعل المحصن^(٣) ، ويجلد ويغرب غيره على ما سبق . وأما المفعول به فيجلد ويغرب مطلقاً أحصن أم لا على الأصح . وخرج بقيد غير زوجته وأمتة اللواط بهما فلا حدّ عليه ، بل واجبه التعزير فقط على المذهب في « الروضة » أي : إذا تكرّر منه الفعل ، فإن لم يتكرر فلا تعزير كما ذكره الروياني . وقوله : (لا من أنى بهيمة بل عزراً) أشار به

(١) كما في حديث عبادة المتقدم عن مسلم (١٦٩٠) ، وتامه : « والتيب بالتيب جلدة مئة والرجم » . ولما في حديث عمر رضي الله عنه أنه قال في خطبته : إن الله بعث محمداً نبياً ، وأنزل عليه كتاباً ، وكان فيها آية الرجم فقلوناها ووعيناها : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » رواه البخاري (٦٨٣٠) ، ومسلم (١٦٩١) إلا قوله : « الشيخ والشيخة » إلخ فرواه البيهقي في « السنن » ٢١١ / ٨ . وفي حديث بريدة رضي الله عنه عند مسلم (١٦٩٥) . أن امرأة من غامد اعترفت بالزنا فأمر رسول الله ﷺ برجمها .

وفي حديث أبي هريرة أن ماعزاً رده النبي ﷺ أربع مرات بإعراضه عنه ، وهو في كلها يقول : إني زنت ، فقال له : « أهلك جنون ؟ » قال : لا يا رسول الله قال : « أحصنت » قال : نعم . قال : « اذهبوا به فارجموه .. » رواه البخاري (٦٨٢٥) ، ومسلم (١٦٩١) من غير ذكر لاسم ماعز ، والترمذي (١٤٢٩) وفيه ذكر اسم ماعز . وروى ابن حبان (٤٤٣٠) بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالرجم ، وذلك قول الله : ﴿ يا هل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تحفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ [المائدة : ١٥] فكان مما أخفوا آية الرجم . وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٦٨٢٤) بلفظ : « لعلك قبلت ، أو غمرت ، أو نظرت ؟ » قال : لا ، قال : « أنكبها » لا يكني ، فعند ذلك أمر برجمه .

(٢) قال تعالى : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء : ١٦٥] وفي الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أحمد (٢٧٢٧) ، وأبو داود (٤٤٦٢) ، والترمذي (١٤٥٦) ، وابن ماجه (٢٥٦١) ، والحاكم ٣٣٥ / ٤ ، والبيهقي ٢٣٢ / ٨ . وله شاهد عن أبي هريرة رواه ابن ماجه (٢٥٦٢) ، والحاكم ٣٥٥ / ٤ .

(٣)

إلى أنه لا يجب الحدّ على من أتى بهيمة على أظهر الأقوال ؛ لأن الطبع السليم يأباه ، فلم يحتج إلى زاجر يحدّ به بل يعزّر .

قال العلامة شيخنا حسن رحمه الله تعالى : ما أكثر انتشار هذه الفاحشة في هذه العصور وما أكثر ما يدعو إليها ، وما أقل إنكار الناس على فاعلها ، بل ربما يفتخرون بها في المجتمعات بلا حياء ولا خجل ، كأن فعلها من جملة المباحات ، وعند أهل العصر الحاضر قاعدة مطردة وهي : الحلال ما حلّ في يدك ، والحرام ما حرّمته وعلى هذه القاعدة يجرون في سائر أعمالهم ، وهل يصلح الوعّاظ ما أفسد الدهر ؟؟ ليس لها من دون الله كاشفة ، ولا سبّا وقد تولى الوعظ من ليس أهلاً له ، فيفسد أكثر من أن يصلح .

وروى النسائي في « الكبرى » (٧٣٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما : ليس على الذي يأتي بهيمة حدٌّ^(١) . ومثل هذا لا يقوله إلا عن توقيف قول . والأصل في وجوب الحدّ به مرجوح . والألف في قول الناظم : عزّراً ؛ للإطلاق .

ثم شرع في بيان التعزير فقال :

باب التعزير

والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ واللّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ [النساء : ٣٤] الآية فأباح الضرب عند المخالفة فكان فيه تنبيه على التعزير . وروى البيهقي [١٤٢/١٠] أن عليّاً رضي الله عنه سئل عمن قال لرجل : يا فاسق يا خبيث ، فقال : هنّ فواحش فيهنّ تعزير ، وليس فيهنّ حدّ .

(وفي المعاصي كلها التعزير إن لم يجب حد ولا تكفير)
(بضرب أو حبس كذا الكلام أو غيره مما يرى الإمام)
(فمن رأى تعزيره بضربه فلا يصل أدنى حدوده به)

ضابط التعزير : أنه مشروع في كل معصية لاحدّ فيها ولا كفارة ، سواء كانت حقّاً لله تعالى أم لآدمي ، وسواء كانت من مقدمات ما فيه حدّ كمباشرة أجنبية في غير الفرج ، وسرقة ما لا قطع فيه ، والسبّ بما ليس بقذف ، أم لا كالزور ، وشهادة الزور ، والضرب بغير حق ، ونشوز المرأة ، ومنع الزوج حقّها مع القدرة . ويحصل التعزير بضرب أو حبس أو صفع أو نفي ، ويفعل ما يراه الإمام من الجمع بين هذه الأمور وبالاقتصار على بعضها . وله الاقتصار على التوبيخ باللسان وحده فيما يتعلق بحق الله تعالى كما في « الروضة » ، ولا يبلغ الإمام بالتعزير وجوباً أدنى الحدود كما أشار إليه بقوله : (فمن رأى تعزيره بضربه . فلا يصل أدنى حدوده به) .

خاتمة : للإمام ترك تعزير لحق الله تعالى ، ولا يجوز تركه إن كان لآدمي عند طلبه كالقصاص على المعتد ، خلافاً لابن المقرئ . ويعزّر من وافق الكفار في أعيادهم وعاداتهم مما لا يوجب الكفر ، ومن يمسك الحية ، ومن يدخل النار ، ومن قال للكافر : يا حاج ، ومن سمّى زائر القبور حاجّاً^(٢) . ولا يجوز للإمام العفو عن الحدّ ، ولا تجوز الشفاعة فيه^(٣) ، وتسبب الشفاعة الحسنة إلى ولاة الأمور^(٤) .

(١) وكذا يعزّر الساعي بالهيمة لكثرة إفسادها بين الناس ، قال يحيى بن كثير : يفسد الحمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة أعاذنا الله منها .

(٢) لحديث البخاري (٦٧٨٨) ، ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها في حديث المرأة المخزومية التي كلمت في شأنها أسامة بن زيد رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع في حدّ من حدود الله ؟ » ثم قام فاحتطب فقال : « أيها الناس إنما أهلك الذين قهلكم أنهم كانوا إذا سرق في الشريف تركوه ، وإن سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وإني أنا الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

(٣) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ... ﴾ [النساء : ٨٥] .

(١) وروى النسائي في « الكبرى » (٧٣٣٩) عن ابن عباس مرفوعاً : « لمن الله من وقع على بهيمة » . وعنه أيضاً مرفوعاً (٧٣٤٠) « من وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه ، واقتلوا البهيمة معه » .

باب حد القذف

وهو — بالذال المعجمة — لغة : الرمي . وشرعاً : الرمي بالزنا في معرض التعيير^(١) .

وألفاظ القذف ثلاثة : صريح ، وكناية ، وتعريض .

- (إذا رمى الإنسان شخصاً بالزنا فقاذف وحده تعييناً)
 (ولا يحسد والد المقتذوف بل غيره إن كان ذا تكليف)
 (والشرط مع تكليفه أن يقذف حراً عفيفاً مسلماً مكلفاً)
 (فيجلد الرقيق أربعيناً وكلّ حرّ ضعفه يقيناً)
 (ولا يحسد حيث ثبت الزنا ولا بقذف زوجة إن لاعنا)
 (ولو عفا المقتذوف عن حدّ سقط وحيث لم يجب فتعزير فقط)

(إذا رمى الإنسان شخصاً بالزنا) كقوله لرجل أو امرأة : زني ، أو : زنت بفتح التاء وكسرها ، أو : يا زاني ، أو : يا زانية (فقاذف) له (وحده تعيناً) بالإجماع المستند إلى قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ [النور : ٤] الآية ، ولخير هلال بن أمية المشهور^(٢) . وما ذكر صريح .

(١) قال تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ [النور : ٢٣] وقال جل شأنه : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [الأحزاب : ٥٨] وقال رسول الله ﷺ : « اجنبوا السبع الموبقات — المهلكات — وعدّ منها : « قذف المحصنات الغافلات المؤمنات » أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (٨٩) . وعن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) . وعن معاذ رضي الله عنه قال له رسول الله ﷺ : « تكلتك أمك ! وهل يكب الناس على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم ؟ » رواه أحمد ٥ / ٢٣١ ، والترمذي (٢٦١٩) ، وابن ماجه (٣٩٧٣) ، والحاكم ٢ / ٤١٣ وصححه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » رواه البخاري (٦٨٥٨) ، ومسلم (١٦٦٠) .

(٢) هو الذي لاعن زوجته ورمّاها بشريك بن سحماء ، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك .

والكناية : كقوله : زنأت — بالهمز — بالجبل أو السُّلم أو نحوه ؛ لأن ظاهره يقتضي معنى الصعود . وأفتى ابن عبد السلام في قوله : يا قحبة ، أنه صريح وهو الظاهر . وأفتى أيضاً بصراحة يا نخث للعرف ، والظاهر أنه كناية وقوله : يالوطي ، كناية . على المعتمد بخلاف قوله : يا لائط ، فإنه صريح .

تنبيه : إن أنكر شخص في الكناية إرادة قذف بها صدق بيمينته ؛ لأنه أعرف بمراده ، فيحلف أنه ما أراد قذفه ، قاله الماوردي . ثم عليه التعزير للأذى ، وقيد الماوردي بما إذا خرج لفظه مخرج السب والذم ، وإلا فلا تعزير وهو ظاهر .

وأما التعريض فكقوله لغيره في خصومة : يا ابن الحلال وأما أنا فلست بزنا ، ونحو ذلك كليست أُمي زانية ، ولست ابن زانية ، فليس بذلك قذف صريح ولا كناية وإن نواه . (ولا يحُدُّ والد المقتذوف) كما لا يقتل به ، (بل) يحُدُّ (غيره إن كان ذا تكليف) ، فلا حد على صبيّ ومجنون لنفي الإيذاء بقذفهما لعدم تكليفهما ، لكن يعزّران إن كان لهما نوع تمييز . (والشرط مع تكليفه أن يقذف حراً عفيفاً) عن الزنا بأن يكون ما وطئ أو أصلاً أو وطئاً وطأ لا يحُدُّ به (مسلماً مكلفاً) فلا حدّ على قاذف رقيق وغير عفيف عن الزنا وكافر وصبيّ ومجنون . (فيجلد الرقيق) للقذف ولو مبعوضاً (أربعيناً) جلدة بالإجماع . (وكلّ حرّ ضعفه يقيناً) أي : ثمانين جلدة لقوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ [النور : ٤] الآية . واستفيد كونها في الأحرار من قوله تعالى : ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ [النور : ٤] . وقوله : (ولا يحُدُّ حيث ثبت الزنا) بإقامة البينة على زنا المقتذوف ، (ولا) يحُدُّ (بقذف زوجة إن لاعنا) ولا مع قدرته على إقامة البينة كما تقدم في بابه . (ولو عفا المقتذوف عن حدّ) وجب على قاذفه (سقط) ولو عفا عن بعضه لم يسقط كما ذكره الرافعي في : الشفعة . ولو قذفه فعفا عنه ، ثم قذفه لم يحُدُّ كما بحثه الزركشي بل يعزّر . وقول الناظم من زيادته : (وحيث لم يجب) حدّ (فتعزير) ه (فقط) شامل لجميع الصور التي لا حدّ فيها . والألف في قوله : تعينا ، ويقذفها ، ولاعنا ، للإطلاق .

فروع : لو أباح قذفه كأن قال لغيره : اقذفني ، لم يجب الحدّ .

تتمة : لو شهد دون أربعة بزناً أو ثلاثة مع زوج المرأة حُدوا ، ولو شهد واحد على إقراره فلا

يحدّ .

« صحيح » مسلم [١٧٠٦] عن أنس أن النبي ﷺ كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد - أغصان النخيل التي تُقَشَّرُ خوصها - أربعين (وفي الرقيق) ولو مبعوضاً (نصفها عشرون) جلدة ؛ لأنه حدّ يتبعض فتتصف على الرقيق كحدّ الزنا . وقوله : (بشاهدي عدل) إلخ أفاد به أن الحدّ إنما يجب على الشارب المذكور بأحد أمرين : إما بشهادة رجلين أنه شرب خمرًا ، أو شرب مما شرب منه غيره فسكر منه (أو الإقرار) بما ذكر ؛ لأن كلاً من البيّنة والإقرار حجة شرعية ، فلا يحدّ بشهادة رجل وامرأتين ؛ لأن البيّنة ناقصة والأصل براءة الذمة ، ولا باليمين المردودة ، ولا بريح خمر وقيء وسكر لاحتمال أن يكون شرب غلطاً . والحدّ يُدرأ بالشبهات ، ولا يحدّ حال سكره ؛ لأن المقصود منه الردع والزجر والتنكيل ، وذلك لا يحصل مع السكر بل يؤخر وجوباً إلى إفاقته ليرتدع . وأصل الجلد أن يكون بسوط أو نعال أو أطراف ثياب . ويجوز للإمام أن يعزّر بما يساوي حدّه المقدّر بأن يبلغ به الشارب الحرّ ثمانين على الأصح المنصوص ، لما روي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : جلد النبي ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكلّ سنة^(١) . وهذا أحبّ إليّ لأنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري ؛ وحدّ الافتراء ثمانون^(٢) . والزيادة على الأربعين في الحرّ ، وعلى العشرين في غيره على وجه التعزير كما أفاده النازم ؛ لأنها لو كانت حدّاً لما جاز تركها . والألف في قول : يعزّر أو : المقدرا ؛ للإطلاق .

تنبيه : يحرم تناول الخمر لدواء أو عطش ، أما تحريم التداوي بها فلا لأنه ﷺ لما سُئل عن الدواء بها قال : « إنه ليس بدواء ولكنه داء^(٣) » والمعنى : أن الله سلب الخمر منفعتها حين حرّمها ، وما دلّ عليه القرآن من أن فيها منافع للناس إنما هو قبل تحريمها ، وإن سلّم بقاء المنفعة فتحريمها مقطوع به ، وحصول الشفاء بها مظنون ، فلا يقوى على إزالة المقطوع به . وأما تحريمها للعطش فلا لأنه لا يزيله بل يزيده ؛ لأن طبعها حار يابس كما قاله الأطباء ، وشربها لدفع الجوع كشرها لدفع العطش . هذا إذا تداوى بصرفها . أما الترياق المعجون بها ونحوه مما يستهلك فيه فيجوز التداوي به عند فقد ما يقوم مقامه مما يحصل به التداوي من الطاهرات كالتداوي بنجس كلحم حية وبول ، ولو كان التداوي بذلك لتعجيل شفاء شرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك أو معرفته للتداوي .

(١) رواه مسلم (١٧٠٦) بألفاظ متقاربة .

(٢) أخرجه الشافعي في « مسنده » ٢/٢٩٣ عن مالك عن ثور الدبلي أن عمر استشار في الخمر يشربها الرجل فقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : نرى فيها أن يجلد ثمانين ، فإنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افتري أو كما قال . فجلد عمر رضي الله عنه ثمانين في الخمر .

(٣) أخرجه عن طارق بن سويد مسلم (١٩٨٤) ، وأبو داود (٣٨٧٣) ، والترمذي (٢٠٤٦) ، ورواه أيضاً عنه أحمد رحمه الله تعالى ٣١١/٤ ، وابن ماجه (٣٥٠٠) بلفظ : « إن ذلك ليس بشفاء ، ولكنه داء » .

باب قطع السرقة

الواجب بالنص^(١) والإجماع . وهي لغة : أخذ المال خفية . وشرعاً أخذه خفية ظلماً من حرز مثله بشروط تأتي .

وأركان القطع ثلاثة : مسروق ، وسرقة ، وسارق .

(ويقطع المكلف المختار إن يسرق نصاباً ربع دينار ووزن)
 (من حرزه ما لم يكن له اتمى بالملك أو بشبهة فليعلم)
 (فلا يجوز قطعه إذا سرق ما بعضه ملك له أو مستحق)
 (ولا بمال أصله وفرعه وغير ذاك موجب لقطعه)
 (فإن يعد فكل مرة طرف مخالف لعضوه الذي سلف)
 (فالأول اليمنى من اليدين وبعدها اليسرى من الرجلين)
 (وثالثاً يسرى اليدين فاقطع ورجله اليمنى تمام الأربع)
 (من مفصل الكوعين منه والقدم وبعدها تعزيره بها انحتم)
 (وإن يؤخر قطعه حتى سرق كفاه قطع واحد عمّا سبق)

(ويقطع المكلف) لا الصبي والمجنون لعدم تكليفهما (المختار) لا المكره (إن) يسرق نصاباً ربع دينار ... فأكثر لخير مسلم [١٦٨٤] : « لا تقطع يد سارق إلا في ربع دينار فصاعداً^(٢) » ولا بد أن يكون خالصاً ؛ لأن الربع المغشوش ليس ربع دينار حقيقة ، فإن كان في

(١) قال جلّ وعلا في الكتاب العزيز : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ [المائدة : ٣٨] . وفي الحديث قال ﷺ : « لعن الله السارق .. » رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٦٧٨٣) ، ومسلم (١٦٨٧) ، وقوله : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » أخرجه البخاري (٦٧٨٨) ، ومسلم (١٦٨٨) ، وقوله : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه عن أبي هريرة البخاري (٢٤٧٥) ، ومسلم (٥٧) .

(٢) ورواه أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها الشافعي في « ترتيب المسند » ٢/٢٧٠ (٦٧٩١) بلفظ : « تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً » . والدينار يعادل أربعة غرامات ذهبية خالصة ، فصاحب حدّ السرقة غراماً واحداً أو ما يساوي قيمته .

المغشوش ربع خالص وجب القطع . ومثل ربع دينار ما قيمته ربع دينار . ولا بد أن يأخذه (من حرزه) أي : حرز مثله ، فلا قطع بسرقة ما ليس ببحرز ، والمحكم في الحرز العرف فإنه لم يحد في الشرع ولا في اللغة فيرجع فيه إلى العرف كالقبض والإحياء . ويشترط كون السارق لا ملك له في المسروق كما قال الناظم : (ما لم يكن له انتمى) أو شبهة ، فلا قطع بسرقة ماله الذي في يد غيره وإن كان مرهوناً أو مؤجراً ، ولا قطع بسرقة مال فيه شبهة دافعة للقطع ، فلا قطع بسرقة ما وهب له قبل قبضه ، ولا بسرقة ما ظنه ملكه ، ولا قطع بمال أصل أو فرع للسارق كما زاد الناظم على أصله ، ولا قطع على من أخذ المال عياناً كالختلس — المختطف — ، وهو من يعتمد الهرب مع معاينة المالك ، والمنتهب وهو من يأخذ عياناً ويعتمد على الغلبة والقوة . والمودع^(١) والمستعير إذا جحدوا الوديعة والمستعار^(٢) .

فرع : لو ملك السارق المسروق قبل الرفع إلى الحاكم فلا قطع لتوقفه على طلب المسروق منه . وقد تعذر . وفروع هذا الباب كثيرة ، وقول الناظم : (فإن يُعَدَّ) إلى آخر الآيات تقديره : أن السارق تقطع يده اليمنى أولاً من مفصل الكوع لقوله تعالى : ﴿ فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : ٣٨] فإن سرق ثانياً بعد قطع يمينه قطعت رجله اليسرى من المفصل الذي بين الساق والقدم للاتباع في ذلك ، فإن سرق ثالثاً بعد قطع رجله اليسرى قطعت يده اليسرى ، فإن سرق رابعاً بعد قطع يده اليسرى قطعت رجله اليمنى ، ولا بد من اندمال الطرف قبل قطع ما بعده ، وإنما قطع من خلاف لما حكى الشافعي رحمه الله تعالى في « الأم » ١٣٨/٦ إذا سرق السارق أولاً قطعت يده اليمنى ... ، فإذا سرق الثانية قطعت رجله اليسرى من المفصل ... ، ثم إذا سرق الثالثة قطعت يده اليسرى .. ، فإذا سرق الرابعة قطعت رجله اليمنى من المفصل ثم حسمت بالنار — وحكمته لثلاث يفوت جنس المنفعة عليه فتضعف حركته كما في قطع الطريق — فإن سرق بعد ذلك أي في الخامسة حبس وعُزِّر . كما قال : (وبعد ذا) أي : بعد قطع أعضائه الأربعة (تعزيره قد انختم) : قد وجب على المشهور ؛ لأنه لم يبق في نكاله بعد ما ذكر إلا التعزير كما لو سقطت أطرافه أولاً . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (وإن يؤخَّرَ قطعُه حتى سَرَقَ) ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً (كفاه قطع واحد ..) لاتحاد السبب ، كما لو زنى أو شرب مراراً فإنه يستكفي بحدٍّ واحد .

(١) للحديث الترمذي (١٤٤٨) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع » وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرج مسلم (١٦٨٨) (١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كانت امرأة غزومية تستعير الخناجر وتجمدها فامر النبي ﷺ أن تقطع يدها .. قال العلماء : المراد أنها قطعت بالسرقة ، وإنما ذكرت العارية تعريفاً لها ووصفاً لها . لا أنها سبب القطع . والله أعلم .

تنبيه : يجب على السارق ردُّ ما أخذه إن كان باقياً ، فإن أتلفه ضمن بدله جزاءً لما فات .

فائدة : لما نظم أبو العلاء المعري البيت الذي شكك به على أهل الشريعة في الفرق بين الدية والقطع في السرقة وهو :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

العسجد : الذهب والمراد به خمس مئة دينار أي ديتها ، ونصاب السرقة ربع دينار أي غراماً ذهبياً يقطع فيه . فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي بقوله :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

قال ابن الجوزي لما سئل عن هذا : لما كانت أمانة كانت ثمينة ، فلما خانت هانت .

باب قُطَاع الطريق

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] الآية . وقطع الطريق وهو البروز لأخذ المال أو القتل أو الإرعاب أو الإغارة اعتياداً على القوة مع البعد عن الغوث ، ويثبت برجلين لا برجل وامرأتين .

(هم فرقة ترصدوا للناس)
 (بشرط تكليف مع الإسلام)
 (إن يقتلوا مع أخذ مال يقتلوا)
 (أو يقتلوا من غير أخذ قتلوا)
 (بل اليد اليمنى لكل تقطع)
 (وتقطع اليسرى من اليدين)
 (أو لم يكن منهم سوى الإخافه)
 (وحيث تابوا قبل قدرة سقط)
 (لا غير ذاك من حقوق ربنا)
 (وقطعهم بسرقة النصاب)
 (في طرقهم بقوة وبأس)
 (وقسموا لأربع أقسام)
 (ويصلبوا ثلاثة وينزلوا)
 (فقط وأما عكسه لم يقتلوا)
 (مع رجله اليسرى كما قد أجمعوا)
 (إن عاد واليمنى من الرجلين)
 (فحبسهم ونفيهم مسافه)
 (عنهم حدود خصصت بهم فقط)
 (أو آدمي كالقصاص والزنا)
 (بشرطه في سائر الأبواب)

(هم) أي : قطاع الطريق (فرقة ترصدوا للناس . في طرقهم بقوة وبأس) كما تقرر (بشرط تكليف مع الإسلام) كما اشترطه في « المنهاج » كأصله ، والمعمد شرط اعتداد الإسلام كما جرى عليه شيخنا الخطيب في شرح الأصل (وقسموا لأربع أقسام) : أولها : ما أشار إليه بقوله : (إن يقتلوا) معصوماً مكافأ لهم عمداً (مع أخذ مال) مقدر بنصاب السرقة (يقتلوا) حقاً (ويصلبوا) بعد غسلهم وتكفينهم والصلاة عليهم زيادة في التنكيل وزجراً لغيرهم . ويصلبون على خشبة أو نحوها (ثلاثة) أيام ليشتبه الحال ويتم النكال (وينزلوا) بعدها إن لم يُخَفَّ التغير ، فإن خيف قبل الثلاث أنزلوا على الأصح ، وحمل النص في الثلاث على زمن البرد والاعتدال .
 ثانيها : ما أشار إليه بقوله : (أو يقتلوا من غير أخذ) المال (قُتلوا . فقط) للآية السابقة . ثالثها : ما أشار إليه بقوله : (وأما عكسه لم يقتلوا) والمعنى : فإن أخذوا المال المقدر بنصاب سرقة بلا

شبهة من حرز مما مر بيانه في السرقة لم يقتلوا ، (بل اليد اليمنى لكل) من قطاع الطريق (تقطع . مع رجله اليسرى كما قد أجمعوا) دفعة أو على الولاء ، لأنه حد واحد ، فإن عادوا ثانياً بعد قطعهما فتقطع اليسرى من اليدين وتقطع اليمنى من الرجلين لقوله تعالى : ﴿أو تُقَطَّعْ أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ [المائدة: ٣٣] رابعها : ما أشار إليه بقوله : (أو لم يكن منهم سوى الإخافه) بأن أخافوا الطريق بوقوفهم فيها ولم يأخذوا مالاً من المارة ولم يقتلوا منهم أحداً (فحبسهم) في غير موضعهم (ونفيهم ..) وغير ذلك مما يراه الإمام . (وحيث تابوا قبل قدرة) عليهم ، أي : قبل ظفره بهم (سقط . عنهم حدود خصصت بهم فقط) من تحتمل القتل والصلب وقطع اليد والرجل لقوله تعالى : ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ [المائدة: ٣٤] الآية (لا غير ذاك من حقوق ربنا) سبحانه وتعالى (أو آدمي كالقصاص والزنا) والسرقة والشرب والقذف ، فلا يسقط عنهم بالتوبة هذا في الظاهر . أما فيما بينهم وبين الله تعالى فيسقط قطعاً ؛ لأن التوبة تسقط أثر المعصية ، كما نبه عليه في زيادة « الروضة » في باب السرقة ، وفي الحديث الشريف : « التوبة تجب ما قبلها »^(١) وفيه : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له »^(٢) . وقال الناظم من زيادته : (وقطعهم بسرقة النصاب) إلى آخره ، أشار به إلى ما قرأناه .

ولنختم الباب بلطائف تتعلق بالتوبة .

وهي لغة : الرجوع ، ولا يلزم أن تكون عن ذنب ، وعليه حمل قوله ﷺ : « والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٣) فإنه ﷺ رجع عن الاشتغال بمصالح الخلق إلى الحق ، وإنما فعل ذلك تشريعاً وليفتح باب التوبة للأمة ليعلمهم كيف الطريق إلى الله تعالى . وقد سئل بعض أكابر القوم عن قوله تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ [التوبة: ١١٧] : من أي شيء ؟ فقال : نبه بتوبة من لم يذنب على توبة من أذنب . يعني : معنى ذلك أنه لا يدخل أحد مقاماً من المقامات الصالحة إلا تابعاً له ﷺ ، فلولا توبته ﷺ ما حصل لأحد توبة . وأصل هذه التوبة أخذ العلقه من صدره الكريم ﷺ ، وقيل : هذه حظ الشيطان منك . والتوبة شرعاً : الرجوع عن التعويج إلى سنن الطريق .

(١) هذا اللفظ لم أجده . وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه البيهقي في « الشعب » (٧٠٣٦) و (٧٠٣٧) ، وابن مردويه كما في « كنز العمال » (١٠٣٢٤) : « التوبة من الذنب أن لا تعود إليه أبداً » .

(٢) أخرجه عن ابن مسعود رضي الله عنه الطبراني في « الكبير » (١٠٢٨١) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢٠٠/١٠ وقال : رجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٦٣٠٧) في الدعوات باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة .

وشرطها إن كانت من حق الله تعالى : الندم^(١)، والإفلاع ، والعزم على أن لا يعود . وإن كانت من حق الآدميين زيدَ على ذلك رابع وهو : الخروج من المظالم . وقد بسطت الكلام على ذلك في « مواهب الصمد » ص ١٦٢ وما بعدها^(٢) .

باب الصيال وما تتلفه البهائم

هو : الاستطالة والوثوب والسطوة ، والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] وخبر البخاري عن أنس [٢٤٤٣] : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فقال رجل : يا رسول الله إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه أو تمنعه عن الظلم ، فإن ذلك نصره » ، والصائل : هو الظالم المعتدي فيمنع من ظلمه ؛ لأن ذلك نصره . وخبر الترمذي [١٤٢١] وصححه : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد » .

- (للشخص دفع صائل عن ماله
(ولو بقتل أو بقطع للطرف
(ولا ضماناً من قصاص أوديه
ونفسه أيضاً وعن عياله)
مقدماً فيه الأخف فالأخف)
أصلاً ولا التكفير بل لا معصيه)

(للشخص دفع صائل عن ماله . و) عن (نفسه أيضاً وعن عياله * ولو يقتل) للصائل (أو يقطع للطرف . مقدماً فيه) أي : في دفعه (الأخفّ فالأخفّ) إن أمكن ، فإذا أمكن دفعه بكلام واستغاثة حرّم الضرب^(١) ، أو بضرب بيد حرم بسوط ، أو بسوط حرم بعضاً ، أو يقطع عضو منه حرم يقتل ؛ لأن ذلك جَوَز للضرورة ، ولا ضرورة في الأثقل مع إمكان تحصيل المقصود بالأسهل ، فإن لم يندفع إلا بالقتل فقتله (و لا ضمان من قصاص أو دية . أصلاً و لا التكفير) أي : لم يضمن بقصاص ولا دية ولا كفارة ؛ للحديث المتقدم ، ولا إثم عليه أيضاً لما ذكره الناظم من فوائد المزیدة بقوله : (بل لا معصية) لأنه مأمور بدفعه ، وفي الأمر بالقتال والضمان منافاة .

تنبیه : يجب الدفع عن بُضع ؛ لأنه لا سبيل إلى إباحته ، سواء كان يوضع أهل أم أجنبية ولو أمة ، وعن النفس المحترمة إذا قصد بها هيمة أو كافر ولو معصوماً ؛ لأن غير المعصوم لا حرمة

- (١) كما قال أحدهم في معرض التأديب بالأخف فالأشد وعلى حسب المؤدب :
 تكفي اللبب إشارة مرموزة
 وسواهما بالزجر من قبل العصا
 وسواه يُدعى بالنداء العالي
 ثم العصا هي رابع الأحوال

- (١) أي على ما فرط في جنب الله تعالى باعتزافاً بذهبه مذهباً بعبوديته ، طامعاً بفضله ربه ، غير مُصْبِرٍ على خطئه ، متبرفاً من معصيته ، معتمداً بأن الله هو الذي يقبل التوبة عن عباده ، وأنه غافر الذنب وقابل التوب ، وأنه يُحب التوابين ، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً .
وكما قال الشاعر :

وأطرق باب عفوك بانكسار

وقال آخر :

- (٢) ولو لم تُرُدَّ نيل ما أُرْجُو وأُطْلِبَ
وذلك عند شرحه على أبيات من « صفوة الزيد » التي يقول فيها مؤلفه أحمد بن رسلان في ختام كتابه :
وأعرض التوبة وهي الندم
تحقيقها إقلاعه في الحال
وإن تعمُـلـلـقـت بحـق آدمي
وواجب إعلامه إن جهلا
فلإن يمت فهسي لوارث تُرى
مع نية العزم له إذا حضر
فلإن يمت من قبلها يرجي له
وإن تصح توبة وانتقضت
وتجب التوبة من صغيرة
- من جود كفيك ما علمتني الطلبة
على ارتكاب ما عليك يحرم
وعزم ترك العود في استقبال
لا بد من تـرـئـة للذم
فلإن يغف فابعث إليه عَجَلا
إن لم يكن فأعطها للفقرا
ومعسر ينوي الأدا إذا قدر
مغفرة الله بأن تناله
بالعود لا تضُرُّ توبة مضت
في الحال كاللجوب من كبيرة

له ، والمعصوم بطلت عصمته بصياله . والاستسلام للكافر ذلٌ في الدين ، بخلاف ما لو كان الصائل مسلماً ، فلا يجب دفعه بل يجوز الاستسلام له لخبر : « كن خير ابني آدم^(١) » يعني قابيل وهابيل .

تنبيه آخر : الدفع عن نفس غيره إذا كان آدمياً محترماً كالدفع عن نفسه يجب حيث يجب ، ويتنفي حيث ينتفي ، ففي « مسند » الإمام أحمد بن حنبل : من حديث سهل بن حنيف ٤٨٧/٣ : « من أذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة » .

ثم شرع فيما تلتفه البهائم بقوله :

وَضَمِنُوا مِنْ كَانَ مَعَ بَهِيمَةٍ مَا أَتَلَفَتْ بِالْمَثَلِ أَوْ بِالْقِيَمَةِ

(وضمنوا) أي : العلماء (من كان مع بهيمة) أي : راعيها وسائقها وقائدها ما أتلفت بيدها أو رجلها أو غير ذلك من نفس أو مال ليلاً أو نهاراً بالمثل في المثل أو بالقيمة في المتقوم ؛ لأنها في يده وعليه تعهدها وحفظها ، ولأنه إذا كان معها كان فعلها منسوباً إليه وإلا نسب إليها ، كالكلب إذا أرسله صاحبه وقتل الصيد حلٌّ ، وإن استرسل بنفسه فلا ، فجنايتها كجنايته . وإنما يضمن صاحب الدابة ما أتلفت دابته إذا لم يقصر صاحب المال ، فإذا قصر بأن وضع المال بطريقه أو عرضه للدابة فلا يضمنه ؛ لأنه مضيع لماله ، وإن كانت الدابة وحدها فأتلفت زرعاً أو غيره نهاراً لم يضمن صاحبها ، أو ليلاً ضمن لتقصيره بإرسالها ليلاً ، بخلافه نهاراً ؛ لخبر صحيح في ذلك رواه أبو داود (٣٥٦٩) وغيره^(٢) ، والعادة حفظ الزرع ونحوه نهاراً والدابة ليلاً ، ولو تعود أهل البلد إرسال الدواب أو حفظ الزرع ليلاً دون النهار انعكس الحكم .

تنبيه : يستثنى من الدواب الحُمَام وغيره من الطيور ، فلا ضمان بإتلافها مطلقاً كما حكاه في أصل « الروضة » عن ابن الصباغ ، وعلله بأن العادة إرسالها ويدخل في ذلك النحل . وقد أفتى البلقيني في نحل لإنسان قتل جملًا بعدم الضمان ، وعلله بأن صاحب النحل لا يمكنه ضبطه والتقصير من صاحب الجمل .

(١) أخرجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أحمد ٤/٤٠٨ ، وأبو داود (٤٢٥٩) ، والترمذي (٢٢٠٥) ، وابن ماجه (٣٩٦١) .

(٢) ورواه من حديث حرام بن سعد بن محبصة أحمد ٤٣٦/٥ ، وابن ماجه (٢٣٣٢) ، وابن حبان (٦٠٠٨) وصححه ، والدارقطني ١٥٦/٣ ، والحاكم ٤٧/٢ — ٤٨ . ولفظه : أن ناقة للبراء بن عازب رضي الله عنه دخلت حائطاً — بستاناً — فأفسدت فيه ، فقتل رسول الله ﷺ على أهل الأرض حفظها بالنهار ، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل .

فرع : لو أتلفت الحرة طيراً أو طعاماً أو غيره فإن عُهد ذلك ضمن مالكيها أو صاحبها الذي يؤويها ما أتلفت ليلاً كان أو نهاراً ، وكذا كل حيوان مولع بالتعدي ، والحمائر الذي عرف بعقر الدواب وإتلافها . أما إذا لم يعهد منها إتلاف ما ذكر فلا ضمان ؛ لأن العادة حفظ ما ذكر عنها لا ربطها .

خاتمة : لو كان بداره كلب عقور أو دابة جموح ودخلها شخص بإذنه ولم يُعلمه بالحال فعرضه الكلب أو رمحه الدابة — ضربته بحافرها — ضمن وإن كان بصيراً ، أو دخلها بلا إذن أو أعلمه بالحال فلا ضمان ؛ لأنه متسبب في هلاك نفسه .

وقد سئل القفال عن حبس الطيور في أقفاص لسماع أصواتها وغير ذلك ، فأجاب بالجواز إذا تعهدها مالكيها بما تحتاج إليه ، كالبيمة تُربط .

باب البغاة

جمع باغ . والبغي : الظلم ومجاوزة الحدِّ ، سُمُّوا بذلك لظلمهم وعدوهم عن الحق ، والأصل في قتالهم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [الحجرات : ٩] الآية ، وليس فيها ذكر الخروج على الإمام صريحاً ، لكنها تشمله لعمومها أو تقتضيه ؛ لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة على طائفة فللباغي على الإمام أولى :

(هم فرقة مخالفو الإمام)	(فيما يرى شرعاً من الأحكام)
(لهم كبير حاكم مطاع)	(وعسكر لأمره أطاعوا)
(فصار يدي للإمام المنع)	(وإن أراد الحق منهم منعه)
(مؤولاً له دليل سائح)	(لكنه عن الصواب زائع)
(فواجب على الإمام العادل)	(قتالهم ودفعهم كالصائل)
(حتى يصير جمعهم مفرقا)	(ويتنفي من شرهم ما يتقى)
(ولا يجوز قتل مدبر لنا)	(ولا أسير وجريح أنحننا)
(وواجب في الفور ردّ ما لهم)	(وردّ ما حزنناه من عيالهم)

(هم) أي : البغاة (فرقة) مسلمون (مخالفو) ن لـ (الإمام) الأعظم بخروج عليه وترك الانقياد له (فيما يرى شرعاً من الأحكام) ولو جائراً ، إذ لا ينعزل بالجوهر (لهم كبير حاكم مطاع . وعسكر لأمره أطاعوا * فصار) كبيرهم (يدي) أي : يظهر (للإمام المتعة) بفتح النون والعين المهملة ، أي : الشوكة بكثرة أو قوة ، فإن أراد إمامنا الحق المتوجه عليهم كالزكاة منهم منعهم مطاعهم (مؤولاً له دليل سائح) أي : محتمل (لكنه عن الصواب زائع) أي : مائل ، فعلم بذلك أن قتال أهل البغي له ثلاثة شروط : أولها : أن يكونوا في منعة بكثرة أو قوة ولو بخص ، بحيث يمكن معها مقاومة الإمام ، فيحتاج في ردّهم إلى الطاعة لكللفة من بذل مال وتحصيل رجال ، وهي لا تحصل إلا بمطاع يحصل به قوة كشوكتهم ويصدرون عن رأيه ، ولا يشترط أن يكون فيهم إمام منصوب ؛ لأن علياً رضي الله عنه قاتل أهل الجمل ولا إمام لهم ، وأهل صفين قبل نصب إمامهم . ثانيها : أن يخرجوا عن قبضة الإمام . ثالثها : أن يكون لهم في

خروجهم عن طاعة الإمام تأويل سائح يعتقدون به جواز الخروج على الإمام ، كتأويل الخارجين على عليٍّ بأنه يعرف قتلة عثمان رضي الله عنه ويقدر عليهم ، ولا يقتصر منهم لمواطنه إياهم . وكتأويل بعض مانعي الزكاة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأنهم لا يدفعون الزكاة إلا لمن صلاته سكن لهم وهو النبي ﷺ ؛ لأنه من خالف بغير تأويل كان معانداً للحق ، فإن انتفى شرط مما ذكر فهم قطاع الطريق وقد مر حكمهم .

وأما الخوارج وهم صنف من المبتدعة يكفرون من أقي كبيرة ويطعنون بذلك في الأئمة ولا يحضرون معهم الجمعة والجماعات ، فحكمهم أنهم إن لم يقاتلوا أو كانوا في قبضة الإمام تركوا . نعم إن تضررنا بهم تعرضنا لهم حتى يزول الضرر .

وحيث اجتمعت الشروط المذكورة في البغاة قاتلهم الإمام وجوباً كما استفيد من الآية المتقدمة ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : (فواجب على الإمام العادل . قتالهم) إلى قوله : (ما يتقى) ولا يقاتلهم حتى يبعث لهم أميناً فطناً ناصحاً يسألهم ما يكرهون ، فإن ذكروا مظلمة أو شبهة أزالتها ، فإن أصروا نصحتهم ووعظهم ، فإن أصروا دعاهم إلى المناظرة ، فإن لم يجيبوا وأصروا مكابرين آذنبهم بالقتال ، فإن استمهلوا فيه فعل ما رآه مصلحة ، فإذا قاتلهم دفعهم بالأحقف فالأخف . (ولا يجوز) إذا وقع قتال (قتل مدبر لنا) للنبي عنه كما رواه البيهقي [١٨٢/٨] والحاكم^(١) [١٥٥/٢] ، ويشمل كلام الناظم من تحيز إلى فئة بعيدة أو أعرض عن القتال أو بطلت قوته . أما من ولّى متحرّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة قريبة فإنه يتبع فيقتل ، وكذا لو ولّوا مجتمعين تحت راية زعيمهم . (ولا يجوز قتل) أسير (للنبي عنه) (و) لا (جريح أنحننا) للنبي عنه أيضاً ، (وواجب في الفور) أي : على الفور (ردّ ما لهم) من سلاح ومال وغيرهما (وردّ ما حزنناه من عيالهم) بعد انقضاء الحرب والأمن من غائلتهم ، ويؤخذ منهم ما أخذوه منا ، ولا يجب عليهم ضمان ما أتلّفوه من نفس ومال وغيرهما لضرورة القتال كأهل العدل ، بخلاف ذلك في غير القتال — أو فيه لا لضرورته فيهما — فمضمون على الأصل . وفي قول الناظم : المتعة ، و : متعة ؛ ضرب من الجناس التام المماثل .

(١) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لابن مسعود : « يائنين أم عبد ما حكم من بغى في أمي » قال : الله ورسوله أعلم . قال النبي ﷺ : « لا يتبع مدبرهم ، ولا يجاز على جريحهم ، ولا يقتل أسيرهم » . قال : البيهقي تفرد به كثر بن حكيم وهو ضعيف . يجاز : يجهز ويدفع .

باب الردة

أعاذنا الله تعالى منها . هي لغة : الرجوع عن الشيء إلى غيره ، وهي من أفحش الكفر وأغلظه ، محبطة للعمل إن اتصلت بالموت ، وإلا حبط ثوابه كما نقله في « المهمات » عن نص الشافعي . وشرعاً : قطع من يصح طلاقه استمرار الإسلام .

(من يرتدد عن ديننا فليستب فإن أبا فالحقتل فوراً قد وجب^(١))
(ولم يُجهَّز والصلاة تمتنع كالدفن في قبورنا فليمتنع)

أي : (من يرتدد عن) دينه بنية كفر ، أو فعل مكفر ، أو قول مكفر ، سواء قاله استهزاءً أم عناداً أم اعتقاداً كأن تردّد في الكفر ، أم عزم عليه في المستقبل ، أو اعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع ، أو كذب رسولاً ، أو حلّل محرماً بالإجماع معلوماً من الدين بالضرورة — بأن يعرفه كل مسلم ولو صغيراً أو جاهلاً — ، أم حرّم حلالاً كذلك ، أو جحد وجوب مجمع عليه معلوماً من الدين بالضرورة كركعة من الصلاة الخمس ، أو اعتقد وجوب ما ليس بواجب بالإجماع كذلك كصلاة سادسة ، أو ألقى مصحفاً في قاذورة ، أو سجد لصنم أو نحوه ، أو ادعى نبوة بعد نبينا ﷺ ، أو صدق مدعيها ، أو استخفّ باسم الله أو رسوله ، أو رضي بالكفر ، أو قذف عائشة رضي الله عنها ، أو غير ذلك مما هو مبين في مقدمتي « غاية المرام » وتجب استتابة المرتد في الحال كما قال : (فليستب) أي : وجوباً قبل قتله ؛ لأنه كان محترماً بالإسلام ، فربما عرضت له شبهة فيسعى في إزالتها ؛ لأن الغالب أن الردة تكون عن شبهة عرضت (فإن أبا) أي : امتنع فلم يتب في الحال (فالحقتل فوراً قد وجب) لخبر البخاري [٣٠١٧] : « من بدّل دينه فاقتلوه » أي : بضرب عنقه دون غيره ، وهو شامل للمرأة وغيرها ، (ولم يُجهَّز) لخروجه عن أهلية الوجوب (والصلاة تمتنع) أي : لا يصلّي عليه لتحريمها على الكافر ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ﴾ [التوبة : ٨٤] (كالدفن في قبورنا) معاشر المسلمين (فليمتنع) أيضاً .

(١) قال شيخنا حسن رحمه الله تعالى : لما نزل قوله تعالى : ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا . لذلك تجد الردة في هذه الأوقات على غابة من الانتشار ؛ لأن غالب أهل الأهواء لا يعتقدون شيئاً من أمور الآخرة كالحساب والميزان والسرائط والجنة والنار ، ويشككون في ذلك ويهزؤون بمن يهد به .. إلخ فانظره فإنه جدّ مهم .

تنبيهان : أحدهما : يجوز دفن المرتد في قبور الكفار ولا يجب كالحربي كما قاله في « الروضة » .

ثانيهما : اختلفوا في الميت من أولاد الكفار قبل بلوغه ، والصحيح كما في « المجموع » في باب صلاة الاستسقاء تبعاً للمحققين أنهم في الجنة ، والأكثر على أنهم في النار ، وقيل : على الأعراف .

ثم شرع الناظم في بيان حكم تارك الصلاة المفروضة على الأعيان أصالة جحداً أو غيره فقال :

(ومن يدع صلاته جحداً كفر وصار مرتدّاً وفيه القول مر)
(وإن يكن ترك الصلاة عن كسل ولم يتب فالحقتل حدّاً اتصل)
(واجعله في التجهيز والصلاة كمسلم في سائر الجهات)

(وَمَنْ يَدَعْ) أي : يترك (صلاته) المفروضة عليه (جحداً) أي : أو عناداً كما ذكره الدارمي (كَفَرٌ . وصار مرتدّاً وفيه القول مر) في حكم المرتد . (وإن يكن ترك الصلاة عن كَسَلٍ) أو تهاون (ولم يتب) بعد استنابته (فالحقتل) بالسيف (حدّاً) لا كفرأ (اتصل) والمعنى : وجب ؛ لخبر الصحيحين : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى^(١) » . (واجعله) أيها الفقيه (في التجهيز والصلاة . كمسلم) ولا يطمس قبره كسائر أصحاب الكبائر من المسلمين . واعلم أن توبة تارك الصلاة على الفور ؛ لأن الإمهال يؤدي إلى تأخير صلوات ، وأن الصحيح قتله بصلاة فقط بشرط إخراجها عن وقت الضرورة فيما له وقت ضرورة بأن تجمع مع الثانية في وقتها ، فلا يقتل بترك الظاهر حتى تغرب الشمس ، ولا بترك المغرب حتى يطلع الفجر ، ويقتل في الصبح بطلوع الشمس ، وفي العصر بغروبها ، وفي العشاء بطلوع الفجر ، ويقتل في ترك الجمعة وإن قال : أصلها ظهر كما في زيادة « الروضة » عن الشافعي .

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (١٣٩٩) ، ومسلم (٢٠) . وهو حديث متواتر ، ذكره المناوي في « فيض القدير » ١٨٩/٢ عن خمسة عشر صحابياً ، وأوصلهم العلامة محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في « نظم التائر » (٩) إلى تسعة عشر صحابياً .

لأهبة القتال من نفقة وسلاح ، ومعذور الحج إذا كان عدم استطاعته لحوف طريق من كفار ولصوص فإنه يجب عليه الجهاد ؛ لأن مبناه على ركوب المخاوف .

تنبيه : يعتبر إذن ربّ الدّين الحالّ في سفرٍ موسرٍ للجهاد وغيره ، سواء كان ربّ الدّين مسلماً أو ذمياً ، بخلاف المؤجل وإن قصر الأجل ، والحالّ إذا كان المدين معسراً . نعم لو استتاب الموسر من يقضي دينه من مال حاضر جاز له السفر بدون إذن ربّ الدّين ، ويعتبر إذن الأبوين المسلمين في سفر مخوف لأن برّهما فرض عين ، بخلاف ما لو كان أبواه كافرين ، وبخلاف غير الخوف لا يعتبر الإذن فيهما . (فإن أتوا) أي : الكفار (لبلدة) من بلاد الإسلام (تعينا) أي : وجب القتال (على جميع أهلها) سواء أمكن تأهبهم للقتال أم لم يمكن ، غلّم كل من قصّد أنه إن أخذ قتل أو لم يعلم أنه إن امتنع من الاستسلام قتل ، أو لم تأمن المرأة فاحشة إن أخذت ، ومن هو دون مسافة قصر من البلد التي دخلها الكفار حكمه كأهلها . كما أفاده الناظم بقوله : (ومن دنا) أي : قُرب وإن كان في أهلها كفاية ، لأنه كالحاضر معهم . والألف في قوله : أكثرأ ، و : تعينا ؛ للإطلاق .

ثم شرع الناظم في أحكام الجهاد بقوله :

(ونسوة الكفار كالأطفال بسبيهم رقوا لنا في الحال)
 كذا الخنثى والعبيد مطّلقا وكل مجنون جنونا مطّبقا
 وللإمام رق من عداهم وقتلهم والمن أو فداهم
 بالمال والرجال من أسرانا يقدم الأولى لنا إن بانا
 وقبل أسر من يتب يعصم دمه والمال والأطفال كلاً غصمه
 أو تاب بعد أسره لم يعصم مما ذكرنا آنفاً سوى الدّم)

اعلم أن من أسر من الكفار على ضربين :

ضرب يكون رقيقاً بمجرد السبي وهم النساء والصبيان والخنثى والعبيد ولو مسلمين والمجانين ، وهذا مراده بقوله : (ونسوة الكفار كالأطفال . بسبيهم رقوا لنا في الحال) إلى آخر البيت الثاني . والمعنى : يصيرون بالأسر أرقاء لنا ، ويكونون كسائر أموال الغنيمة . وضرب لا يرق بنفس السبي ، وإنما يرق بالاختيار كما يأتي ، وهم الرجال الأحرار البالغون العقلاء وهو مراده بقوله : (وللإمام رق من عداهم) والمعنى : أن الإمام أو أمير الجيش مخير فيهم بفعل الأحظ للإسلام والمسلمين وهو الاسترقاق ، أو القتل بضرب الرقبة لا بغيره ، والمن عليهم بتخليفة سبيهم ، أو فدائهم (بالمال) أي : بأخذه منهم سواء كان من ماله أو من مالنا في أيديهم

كتاب الجهاد

أي : القتال في سبيل الله تعالى . والأصل فيه قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ [التوبة: ٣٦] وقوله : ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ [النساء: ٨٩] وأخبار كخبر الصحيحين : « أمرت أن أقاتل الناس »^(١) وخبر مسلم عن أنس رضي الله عنه [١٨٨٠] : « لعدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » . وكان الجهاد في عهده ﷺ بعد الهجرة فرض كفاية ، وأما بعده ﷺ فللكفار **حالات** : **الحال الأول** : أن يكونوا ببلادهم ففرض كفاية إذا فعله من فهم كفاية سقط الحرج عن الباقيين كما هو شأن فروض الكفاية . **الحال الثاني** : أن يدخلوا ببلدة لنا مثلاً فيلزم أهلها الدفع بالممكن منهم ، ويكون الجهاد حيث يشاء فرض عين كما سيأتي في كلام الناظم :

(جهاد أهل الكفر والغوايه في دارهم فرض على الكفايه)
 (بكل عام مرة لا أكثرأ ولا يعم فرضه كلّ الورى)
 (بل كلّ حرّ مسلم مكلف ذي صحة وقدره ومصرف)
 (فإن أتوا لبلدة تعينا على جميع أهلها ومن دنا)

(جهاد أهل الكفر) إلخ في ديارهم فرض كفاية في كل عام مرة ، (ولا يعم فرضه كل الورى) كما قدمناه (بل كلّ حر) فلا جهاد على رقيق ولو مبعوضاً أو مكاتباً (مسلم) فلا يجب على كافر ولا ذمياً (مكلف) فلا جهاد على صبي ومجنون لعدم تكليفهما (ذي صحة) فلا جهاد على مريض (و) (ذي قدرة) أي : طاقة على القتال بالبدن والمال ، فلا جهاد على الأعْمى ولا على ذي عَرَج يَنْ ولا على ذي رجل واحدة لقوله تعالى : ﴿ ليس على الأعْمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ [النور: ٦١] (و) (ذي مصرف) فلا جهاد على عادم

(١) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) ، وتقدم في التعليق السالف عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(والرجال من أسرانا) معاصر المسلمين (يقدم الأولى إن بانا) أي : ظهر ، والمعنى : يفعل الإمام أو أمير الجيش من ذلك بالاجتهاد لا بالتشبي ما فيه المصلحة للمسلمين والإسلام ، فإن خفي الأخط حبسهم حتى يظهر له ؛ لأنه راجع إلى الاجتهاد . (وقبل أسر من يُتَبَّ) أي : يُسلم من رجل أو امرأة في دار حرب أو إسلام (يعصم دمه) من سقته (والمال) من غنيمة (والأطفال كلاً عصمه) أي : صغار أولاده عن السبي ؛ لأنهم يتبعونه في الإسلام ، والحرية كذلك في الأصح (أو تاب) أي : أسلم (بعد أسره لم يعصم . مما ذكرنا آنفاً سوى الدم) فيحرم قتله لخبر الصحيحين — المار قريباً — : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » إلى أن قال : « فإذا قالوها عصموا مني دماءهم » وقوله : « وأموالهم » محمول على ما قبل الأسر بدليل قوله : « إلا بحقها » ومن حقها أن ماله المقدور عليه بعد الأسر غنيمة ، وبقي الخيار في الباقي من خصال التخيير السابقة ؛ لأن الخيّر بين أشياء إذا سقط بعضها للعذر لا يسقط الخيار في الباقي كالعجز عن العتق في الكفارة . وقوله : غَصَمَ ، تكملة وإيضاح .

(ثم الصبي صار حكماً مسلماً إن كان في آبائه من أسلم)
(وهكذا إذا سباه مسلم من غير أم أو أب فيعلم)
(كذا اللقيط إن تحزه أرضنا أو أرضهم إن كان فيها بعضنا)

يحكم للصغير ذكراً كان أو أنثى بالإسلام عند وجود أحد ثلاثة أسباب :

أولها : ما ذكره بقوله : (إن كان في آبائه من أسلم) فيحكم بإسلام الولد في الحال لقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ [الطور : ٢١] وقوله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^(١) . » ولأن : « الإسلام يعلو ولا يعلو عليه^(٢) » فإن بلغ ووصف بعد بلوغه كفوفاً أو أفاق المجنون ووصف كفوفاً فمرتد لسبق الحكم بإسلامه ، فأشبهه من أسلم بنفسه ثم ارتد ثانياً .

(١) متفق عليه ، أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (١٣٥٨) ، ومسلم (٢٦٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٢٢٠/٣ : رأيته موصولاً مرفوعاً من حديث غيره — أي ابن عباس — وأخرجه الدارقطني ٢٥٢/٣ ، ومحمد بن هارون الروياني في « مسنده » [٢/١٥٣/٢٦] من حديث عائذ بن عمرو المزني بسند حسن . ورواه عن عمر رضي الله عنه الطبراني في « الصغير » (٩٤٨) والبيهقي في « دلائل النبوة » ٣٦/٦ و ٣٨ بلفظ : « إن هذا الدين يعلو ولا يعلو » . ورواه عن معاذ رضي الله عنه بمشغل في « تاريخ واسط » ص ١٥٥ بلفظ : « الإيمان يعلو ولا يعلو عليه » . ورواه عن ابن عباس الطحاوي في « مشكل الآثار » ٢٥٧/٣ ، وعلقه ابن حزم في « المحلى » ٥٠٥/٧ .

ثانيها : ما أشار إليه بقوله : (وهكذا إذا سباه مسلم . من غير أم أو أب) فيتبعه في الإسلام ؛ لأنه صار تحت ولايته كالأبوين . أما إذا كان معه أحد أصوله فإنه لا يحكم بإسلامه ، فإن تبعيتهم أقوى من تبعية السابي ، فلو مات أحد أصوله بعد سبيه معه استمر كفره ولم يحكم بإسلامه ؛ لأن التبعية إنما تثبت في ابتداء السبي . أما لو سباه ذمي قاطن ببلاد الإسلام فإنه لا يحكم بإسلامه إذا دخل به دار الإسلام .

ثنييه : معنى قولهم : أن يكون أحد أصوله ؛ بأن يكونا في جيش واحد وغنيمة واحدة ، لا كونهما في رجل واحد ، وكالصغير المجنون .

ثالثها : ما أشار إليه بقوله : (كذا اللقيط أن تحزه أرضنا . أو أرضهم إن كان فيها بعضنا) والمعنى : أن اللقيط مسلم حكماً بأن يوجد في دار الإسلام ولو كان فيها أهل ذمة ، أو بدار كفر حيث سكن بها مسلم يمكن أن يولد له ، فيحكم بإسلامه تغلياً لدار الإسلام وللخير — المار — : « الإسلام يعلو ولا يعلو عليه » أما إذا لم يكن فيها بعضنا فإنه كافر . والألف في قوله : أسلمنا ؛ للإطلاق . وقوله : فيعلم ، تكملة .

خاتمة : اقتصره كغيره على هذه الثلاثة المذكورة يدل على عدم الحكم بإسلام الصغير المميز ، وهو الصحيح المنصوص في القديم والجديد كما قاله الإمام ؛ لأنه غير مكلف ، فأشبهه غير المميز والمجنون وهما لا يصح إسلامهما اتفاقاً ، ولأن نطقه بالشهادتين إما خبر وإما إنشاء ، فإن كان خبراً فخبره غير مقبول ، وإن كان إنشاءً فهو كعقوده وهي باطلة . وأما إسلام سيدنا عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه فقد اختلف في وقته ، فقيل : إنه كان بالغاً حين أسلم كما نقله القاضي أبو الطيب عن الإمام أحمد ، وقيل : إنه أسلم قبل بلوغه وعليه الأكثر ، وأجاب عنه البيهقي بأن الأحكام إنما صارت معلقة بالبلوغ بعد الهجرة . قال السبكي : وهو صحيح ؛ لأن الأحكام إنما نيظت — بسن — خمسة عشر عام الخندق ، فقد تكون منوطة قبل ذلك بسن التمييز ، والله تعالى أعلم .

باب الغنيمة

وهي لغة : الرجز — والفوز — . وشرعاً : مال أو ما ألحق به كخمر محرمة حصل لنا من كفار أصليين حربيين مما هو لهم بقتال — وقهر — منا أو إيجاف بخيل — حثها وحملها على الإسراع في السير — أو ركاب ونحو ذلك ولو بعد انهزامهم في القتال أو قبل شهر السلاح حين التقى الصفان . ولم تحل الغنيمة إلا لهذه الأمة^(١) .

(ما جاءنا من مالهم مع التعب)	(غنيمة وقدموا منه السلب)
(لقاتل المسلوب وهو ما معه)	(من فرس وآلة وأمتعه)
(وما عدا أسلابهم مما غنم)	(خذ خمسة أخره والباقي قسم)
(على الذين شاهدوا القتال)	(بقصده فرساناً أو رجلاً)
(ثلاثة للفراس المقاتل)	(منهم وسهم واحد للراجل)
(إن كان كل مسلماً مكلفاً)	(حرّاً وإلا فلهم رضح كفى)
(والرضخ قدر دون سهم يجتهد)	(فيه الإمام باعتبار ما وجد)
(وخمسة الخمس الذي تخلّف)	(فخمسة يعطى لآل المصطفى)
(والخمس في مصالح الإسلام)	(وثالث الأخماس للأيتام)
(رابعها يعطى لأهل المسكنة)	(وابن السبيل خامس معينه)
(وللإمام أن يزيد من حصل)	(منه جهاد زائد وهو الثقل)

(ما جاءنا من مالهم) أي : الكفار المذكورين (مع التعب) كما مر (غنيمة) ومنها ما أخذ من دراهم سرقة أو اختلاساً أو لفظة أو ما أهدوه لنا أو صالحونا عليه والحرب قائمة (وقدّموا منه)

(١) لحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي اللغائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصّة ، وبعثت للناس عامّة » رواه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) ، والدارمي ٣٢٢/١ .

(السلب) بالتحريك (لقاتل المسلوب) لقوله ﷺ : « من قتل قتيلاً — له عليه بنية — فله سلبه »^(١) ، (وهو) أي : السلب (ما معة) أي : ما يصحب الحربي (من فرس وآلة وأمتعة) وثياب وخف وغير ذلك (وما عدا أسلابهم مما غنم . خذ خمسة أخره والباقي) وهو أربعة أخماسه من عقار ومتقول (قسم * على الذين شاهدوا القتال . بقصده فرساناً أو رجلاً) وهم الغنائون لإطلاق الآية الكريمة ، وعملاً بفعله ﷺ في أرض خيبر (ثلاثة) أسهم (للفراس المقاتل . منهم) لهم سهم ولفرسه سهمان للاتباع فيهما رواه الشيخان^(٢) (وسهم واحد للراجل) لفعله ﷺ ذلك يوم خيبر متفق عليه ، ولا يسهم من الغنيمة إلا لمن ذكره بقوله : (إن كان كل مسلماً مكلفاً . حرّاً وإلا) فإن كان كافراً أو صبيّاً أو مجنوناً أو امرأة أو ذميّاً (فلهم رضح كفى) لأنهم ليسوا من أهل فرض الجهاد . والرضخ — بالضاد والخاء المعجمتان — لغة : العطاء القليل ، وشرعاً اسم لما دون السهم ، ويجتهد الإمام أو أمير الجيش في قدره ؛ لأنه لم يقع فيه تحديد ، فيرجع إلى رأيه كما أفاده الناظم بقوله من زيادته : (والرضخ قدر دون سهم يجتهد . فيه الإمام باعتبار ما وجد * وخمس الخمس الذي تخلّف) أي : الخمس خمسة أسهم ، فالقسمة من خمسة وعشرين لقوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ الآية [الأنفال : ٤١] ، (فخمسة) الأول (يعطى لآل المصطفى) ﷺ ، أي : لذوي القرابة للآية الكريمة وهم بنو هاشم وبنو المطلب^(٣) ، ومنهم إمامنا الشافعي رضي الله عنه دون بني عبد شمس وبني نوفل ، والعيرة بالانتساب إلى الآباء . (والخمس) الثاني يصرف (في مصالح الإسلام) كسد ثغور وعمارة حصون وقناطر ومساجد وأرزاق قضاة وعلماء ، ويجب تقديم الأهم فالأهم . (وثالث الأخماس للأيتام) للآية السابقة ، وهم جمع يتيم وهو صغير — ذكر أو أنثى — لا أب له ، أما كونه صغيراً فلخير : « لا يتم بعد

(١) أخرجه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه البخاري (٣١٤٢) ، ومسلم (١٧٥١) ، وأبو داود (٢٧١٧) ، والترمذي (١٥٦٢) .

(٢) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٢٨٦٣) في الجهاد ، و (٤٢٢٨) في المغازي : باب غزوة خيبر ، ومسلم (١٧٦٢) ولفظه : أن رسول الله ﷺ قسم في الثقل للفرس سهمين ، وللرجل سهماً وروية « للراجل » للخير عن جابر بن مطعم رضي الله عنه في حديث طويل قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » . أخرجه البخاري (٣١٤٠) ، وأبو داود (٢٥٧٨) و (٢٥٨٠) ، والنسائي ، ١٣٠/٥ - ١٣١ ، وابن ماجه (٢٨٨١) .

بنو هاشم وبنو المطلب بمنزلة واحدة لأن هاشماً والمطلب ابنا عبد مناف ، والجميع قد ناصروا رسول الله ﷺ قبل إسلامهم وبعده .

احتلام^(١) ، وأما كونه لا أب له فلولو وضع والعرف ، سواء كان من أولاد المرتزقة أم لا ، قتل أبواه في الجهاد أم لا ، له جَدُّ أم لا .

فائدة : من فقد أمه دون أبيه يقال له : منقطع . واليتيم في البهائم من فقد أمه ، وفي الطير من فقد أباه وأمه . (رابعها) أي : الأخماس (يعطى لأهل المسكنة) للآية ، ويدخل في هذا الاسم هنا الفقراء كما قاله في « الروضة » والخامس لأبناء السبيل كما قال : (وابن السبيل خامس معيته) وقد مرّ تعريفهم في الزكاة . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (وللإمام) أي : أو أمير الجيش (أن يزيد) من مال المصالح الحاصل عنده لـ (مَنْ حصل . منه جهاد زائد وهو الثَّقَلُ) بفتح الفاء ، ويجتهد في قدره . وقوله : غنم ، و : قَسَم ، و : وَجَد ؛ بالبناء للمفعول .

باب قسم الفيء

الفيء لغة : الرجوع ، مِنْ فاء : إذا رجع ؛ لما في قوله تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رُسُلَهُ على من يشاء .. ﴾^(١) [الحشر: ٦] لأن الله تعالى خلق الإنس والجن لعبادته ، وخلق لهم ما خلق كما قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ [البقرة: ٢٩] ليستعينوا به على قيام الأبدان وعلى العبادة ، ويتوصلوا به إلى طاعته ، وابتغاء رضاه ورضوانه ، فلما رزقه المسلمين وضعوه في محالّه من وجوه ما أمروا به ، فراد الله تعالى في أرزاقهم وبارك لهم فيها ، ولما أعطاه الكفار أخرجه عن وجوه ما أمروا به وتوصلوا به إلى سبيل المخالفة والعناد والبُطر والإسراف فخابوا وخسروا ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، واستردّ من الكفار ما أخرجه من وجوه ما أمروا به إلى الفرقة الناجية من المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ التائبون العابدون الحامدون .. ﴾ الآية [التوبة: ١١٢] ، زيادةً ونافلة لهم فضلاً منه ونعمة وإحساناً ورحمة ، ومن ثم قيل :

إذا كنت في نعمة فارزها فإن المعاصي تزيل النعم

اللهم لا تسلبنا نعمة أنعمت بها علينا ، واجعلنا شاكرين على حُسن عوائذك الجميلة آمين .

والفيء شرعاً : ما يأتي في قوله :

(وما أتى من مالهم بلا تعب)	فكلّه فيء وقسمه وجب (
(فاجعله أيضاً خمسة من أسهم)	فخمسهُ لأهل خمس المغنم (
(وما عده للذين عينوا)	للمغنم من أرضهم ودونوا (
(مفضلاً في قدر الاستحقاق)	بكثرة العيال والإنفاق (
(وجاز صرف فضلهم للمصلحة)	كصرفه في الخيل أو في الأسلحة (

(١) قال الشريبي في « السراج المنير » ٢٤٢/٤ : أي ردّ الملك الذي له الأمر كله رداً سهلاً بعد أن كان في غاية العسر والصعوبة ، فصرّحه في يده عليه السلام بعد أن كان خروجه عنها بوضع أيدي الكفرة عليه ظلماً وعدواناً . كما دلّ عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل إلى الناحية التي كان ابتداءً منها .

(١) أخرجه عن علي كرم الله وجهه أبو داود (٢٨٧٣) ، وانظر « تلخيص الخبير » ١٠١/٣ .

(وما أتى من ما لهم) أي: الكفار أو نحوه ككلب ينتفع به (بلا تُعَب) أي: بلا قتال وبلا إيجاب، أي: إسرار خيل ولا سير ركاب، أي: إبل ونحوهما كبغال وحمير وسفن ورجال (فكله في) ومنه الجزية، وعُشْرُ تجارة من كفار شُرطت عليهم إذا دخلوا دارنا، وخراج ضرب عليهم على اسم جزية وما جَلَوْا، أي: تفرقوا عنه ولو بغير خوف كضرب أصحابهم، ومالٌ مرتدٌ قتل أو مات على الردة، وذميٌّ أو نحوه مات بلا وارث، أو ترك وارثاً غير حائز^(١) كزوج، (وقسمه) أي: مال الفقيه وما ألحق به (وجب * فاجعله أيضاً خمسة من أسهم) لقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِلْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧] (فخُمُسُهُ) يصرف وجوباً (لأهل خُمُس المغنم) كما تقدم (وما عده) وهو أربعة أحماسه التي كانت له في حياته ﷺ يصرف (للذين عُيِّنُوا . للغزو ممن أُرْصِدُوا وَدُونُوا) أي: للمقاتلة، أي: المرتزقة؛ لعمل الأولين به لأنها كانت لرسول الله ﷺ لحصول النصر به والمقاتلون بعده هم المرصدون للقتال، وسُمُّوا مرتزقة لأنهم أُرصدوا أنفسهم للذَّب عن الدين وطلبوا الرزق من الله تعالى وخرج بهم المتطوعة وهم الذين يغزون إذا نشطوا، وإنما يعطون من مال الزكاة؛ لأن الفقيه على المرتزقة ويجب على الإمام أن يبحث عن حال كل واحد من المرتزقة وعمن تلزمه نفقتهم من أولاد وزوجات ورقيق لحاجة غزو والخدمة إن اعتادها كما أفاده الناظم من زيادته: (مفضلاً في قدر الاستحقاق . بكثرة العيال والإنفاقي) لا رقيق زينة وتجارة، فيعطيه كفايته وكفايتهم، والأصح أنه يجوز أن يصرف بعضه في إصلاح الثغور والسلاح والكراع كما أفاده وزاده بقوله: (وجاز صرف فضلهم للمصلحه . كصرفه في الخيل أو في الأسلحة).

(١) أي لجميع الزكاة، أو من لا ردُّ له.

باب الجزية

تطلق على العقد وعلى المال الملتزم به، وهي مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم. وقيل: من الجزاء بمعنى القضاء، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] أي: لا تقضي. والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقد أخذها النبي ﷺ من مجوس هجر^(١) كما رواه البخاري [٣١٥٧] وقال: «سُئِلُوا بِهِمْ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»، ومن أهل نجران كما رواه أبو داود [٣٠٤١]^(٢)، والمعنى في ذلك: أن في أخذها معونة لنا وإهانة لهم، وربما يحملهم ذلك على الإسلام، وفسروا إعطاء الجزية في الآية: بالتزامها، والصغار: بالتزام أحكامنا.

وأركانها خمسة: عاقد، ومعقود، ومكان، ومال، وصيغة.

- (١) يدينون: يعتقدون، دين الحق: الإسلام، أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى. عن بد: طائعون. صاغرون: أدلاء.
- (٢) فائدة: روى البخاري (٣١٥٦)، وروى أبو داود (٣٠٤٣) مطولاً من حديث بحالة وفيه: جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: اقلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي عجم من المجوس، وانهبوهم عن الزمزمة... ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.
- الزمزمة: تراطن العلوج على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لساناً ولا شفة، لكنه صوت نديره في خباشيمها وحلوقها فيفهم بعضهم عن بعض. «قاموس المحيط».
- (٣) أخرجه عن عبد الرحمن بن عوف مالك ٢٧٨/١، والشافعي ٢/٤٣٠، وعبد الرزاق (١٠٠٢٥)، وابن أبي شيبة ٢٢٤/٣ و ٢٤٣/١٢، والبيهقي في «السنن» ١٨٩/٩ بسند ضعيف، ورواه الطبراني ١٩/١٠٥٩ عن مسلم بن العلاء الحضرمي، وذكره في «المجمع» ١٣/٦ وقال: فيه من لم أعرفهم.
- (٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفي حلة، النصف في صغر البقية في رجب يؤدونها للمسلمين، وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم إن كان باليمن كيد أو غدره على أن لا يهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الربا، قال: إسماعيل بن عبد الرحمن: فقد أكلوا الربا. قال أبو داود: إذا نقضوا بعض ما أشرط عليهم فقد أحدثوا.

(إن يطلب الكفار جزية وجب) على الإمام أن يجيب من طلب ()
 (بصيغة وذكر مال جاري) ولم يجز أقل من دينار ()
 (عن كل حر ذكر مكلف) له كتاب ظاهر أو مختفي ()
 (كذا المجوس عابدين النيران) ولم تجز لعابدي الأوثان ()
 (وماكس الإمام ندباً إذ فعل) حتى يزيد مالها عن الأقل ()
 (ويستحب عن غني أربعة) ونصفها عن ذي توسط معه ()
 (وليشترط ضيافة لمن يمر) منا عليهم زائد إن لم يضر ()
 (وحيث صحت ألزموا بشرعنا) وليعط كل ما عليه مذهبنا ()
 (وليعرفوا باللبس للغير) جميعهم والشدة للزنا ()
 (ولينعوا من فعل ما قد ضرنا) وقول كفر يُسمعون لنا ()
 (ومن ركوب الخيل مع رفع البنا) عن مسلم وما يساوي من بنا ()

(إن يطلب الكفار جزية وجب . على الإمام) أو نائبه (أن يجيب من طلب) ها (بصيغة)
 كأقررتكم أو أذنت في إقامتكم بدارنا مثلاً على أن تلزموا كذا جزية كما قال : (وذكر مال جاري)
 وتقادوا لحكمنا فيقولون : قبلنا ، أو : رضينا ، وأقل الجزية دينار في كل حول عن كل واحد كما قال : (ولم يجز أقل من دينار) وذلك لما رواه الترمذي [٦٢٣] وغيره^(١) عن معاذ :
 أنه عليه السلام لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله من المعافر ، وهي : ثياب تكون باليمن .

تنبيه : قول الناظم : (ولم يجز أقل من دينار) محكمة عند قوتنا ، وإلا فقد نقل الدارمي عن المذهب أنه يجوز عقدها بأقل من دينار ، نقله الأذري وقال : إنه ظاهر متجه . ثم بين شرائط وجوب ضرب الجزية على الكفار المعقود لهم بقوله : (عن كل حر) فلا يصح عقدها مع الرقيق ولو مبعوضاً (ذكر) فلا يصح عقدها مع امرأة ولا جزية عليها والخنثى كالأنثى (مكلف) ببلوغ أو عقل ، فلا يصح عقدها مع صبي ومجنون ، ولا من وليهما لعدم تكليفهما ، ولا جزية عليهما وإن كان المجنون بالغاً ولو — كان المجنون — بعد عقد الجزية إن أطبق جنونه ، فإن تقطع وكان قليلاً كساعة من شهر لزمته ، ولا عبرة بهذا الزمن اليسير (له كتاب ظاهر) كاليهود والنصارى من

العرب والعجم الذين لم يعلم دخولهم في ذلك الدين بعد نسخه ، أو لهم شبهة كتاب كما قال : (أو مختفي) كالمجوس لأنه عليه السلام أخذها منهم كما مر أول الباب . وأما من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب كعبدة الأوثان والشمس والملائكة ومن في معانهم فلا يقرؤون بالجزية كما أشار إليه بقوله من زيادته : (ولم تجز لعابدي الأوثان) .

تنبيه : الصابئة والسامرة تعتقد لهم الجزية إن لم يكفرهم اليهود والنصارى ولم يخالفهم في أصول دينهم ، وإلا فلا تعتقد لهم ، وكذا تعتقد لهم لو أشكل أمرهم ، وتعتقد لزاعم التمسك بصحف إبراهيم وصحف شيث وهو ابن آدم لصلبه وزبور داود ؛ لأن الله تعالى أنزل عليهم صحفاً فقال : ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعل : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٦] وتسمى كتباً كما نص عليه إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى . والمذهب وجوبها على شيخ وأعمى وزمن وراهب وأجير لأنها كأجرة الدار . واعلم أنه لا حد لأكثر الجزية ، فيندب للإمام مما كسبه الكافر المعاهد لنفسه أو لموكله في قدر الجزية على ما يزيد على دينار كما أشار إليه بقوله من زيادته : (وماكس الإمام ندباً إذ فعل . حتى يزيد مالها عن الأقل) . فيؤخذ من الموسر أربعة دنائير ، ومن المتوسط ديناران كما قال الناظم : (ويستحب عن غني أربعة . ونصفها عن ذي توسط معه) اقتداءً بسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما رواه البيهقي^(٢) [١٩٦/٩] ، ولأن الإمام يتصرف للمسلمين فينبغي أن يحتاط لهم ، فإذا أمكنه أن يعقد بأكثر منه لم يجز أن يعقد بدونه إلا لمصلحة .

تنبيه : يعتبر الغني وضده وقت العقد لا وقت الأخذ . ويشترط للإمام أو نائبه جوازاً كما هو قضية كلام الجمهور ، والراجح استحباباً كما في « المنهاج » أنه يستحب للإمام أن يشترط لنفسه أو نائبه عليهم ، أي : على غني ومتوسط ، لا فقير (ضيافة لمن يمر . منا عليهم زائد) على الجزية (إن لم يضرب) لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب على نصارى أيلة ثلاث مئة دينار كل سنة — وكانوا ثلاث مئة رجل — وأن يضيفوا من يمر بهم من المسلمين . ثلاثاً : وأن لا يعيشوا مسلماً^(٣) . ويجعل ذلك ثلاثة أيام فأقل لما روى الشيخان : « الضيافة ثلاثة أيام »^(٤) . أما الفقير فلا يشترطها عليه لأنها تتكرر . فلا تيسر له . وأما ما يضرب فلا يشترط أيضاً .

(١) وضع عمر رضي الله عنه الجزية على رؤوس الرجال على الغني ثمانية وأربعين درهماً ، وعلى المتوسط أربعة وعشرين درهماً ، وعلى الفقير اثني عشر درهماً .

(٢) أخرجه من حديث أبي الحويرث البيهقي في « السنن » ١٩٥/٩ ، وذكره ابن الملقن في « الخلاصة » وقال عنه : منقطع .

(٣) أخرجه من حديث أبي شريح الخزاعي البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٨) .

(١) وأخرجه أيضاً أبو داود (١٥٧٦) و (٣٠٣٨) ، والنسائي ٢٥/٥ ، والحاكم ٣٩٨/١ وصححه ، وابن حبان

(٤٨٨٦) بسند صحيح .

(وحيث صحت) الجزية ، أي : عقدها (أُلزموا بشرعنا) في غير العبادات (ولْيُعْطَ كُلُّ ما عليه) من حقوق الآدميين في المعاملات وغرامة المثلقات (مُدْعَيْنَا) أي : خاضعاً ذليلاً ، وأشدّه على المرء أن يحكم عليه بما لا يعتقد ويضطرُّ إلى احتماله ، ويجري عليهم أحكام الإسلام كما مرّ ، وتؤخذ منهم الجزية برفق كسائر الديون ، ويكفي في الصغار المذكور في الآية أن يجري عليه الحكم بما لا يعتقد حلّه كما فسره الأصحاب بذلك . وأما تفسيره بأن يجلس الآخذ ويقوم الكافر ويطأ طيء رأسه ويخني ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض الآخذ لحيته ويضرب لزمته فمردود بأن هذه الهيئة باطلة ، ودعوى استحبابها أشدّ خطأً كما قال في « المنهاج » . (وليُعرفوا باللبس للغير . جميعهم) وهو — بكسر الغين المعجمة — تغيير اللباس بأن يخيّط كل منهم فوق الثياب بموضع لا يعتاد الخياطة عليه كالكتف ما يخالف لونه وتلبس ، والأوّل بالنصارى الأزرق والرمادي واليهود الأصفر ، والمجوس الأحمر والأسود . (و) ليعرفوا بـ (الشّدُّ للزّنان) بضم الزاي وهو خيط غليظ فيه ألوان يشدُّ في الوسط ؛ لأن عمر رضي الله عنه صالحهم عليه (وليمنعوا من فعل ما قد ضرّنا) معاشر المسلمين كقتل وامتناع من أداء جزية ومن عدم إجراء حكم الإسلام عليهم ، فإن فعلوا شيئاً من ذلك انتقض عهدهم وإن لم يشترط الإمام الانتقاض ، (و) ليمنعوا أيضاً من (قول كفر يُسمعوننا) كقولهم : الله ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ومن إظهار خمر وتخزير وناقوس وعيد .

تنبيه : لو طعنوا في الإسلام أو في القرآن العظيم أو ذكروا رسول الله ﷺ بما لا يليق بقدره العظيم عَزَّوْا ، والأصح إن شرط انتقاض العهد بذلك انتقض وإلا فلا . (و) ليمنعوا (من ركوب الخيل) نفيسة أو غيرها ، وكذلك البرازين النفيسة ؛ لأن في ركوبنا إياها إرهاباً للأعداء وعِزّاً للمسلمين . وخرج بالخيل غيرها كالغلال والحمير ، فلهم ركوبها بإكاف وركاب خشب لا حديد أو نحوه عَرْضاً^(١) . وقوله : (مع رفع البنا . عن مسلم وما يساوي من بنا) أفاد به أنهم يمنعون وجوباً من رفع بناء لهم على بناء جارٍ لهم مسلمٍ لخير : «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»^(٢) ، ولئلا يطلعوا على عوراتنا سواء رضي الجار أم لا ؛ لأن المنع من ذلك لحق الله لا محض حقّ الجار .

(١) لأثر عن عمر رضي الله عنه : أنه شرط على أهل الذمة — من أهل الشام — أن يركبوا عرضاً على الأكف . رواه أبو عبيد في «الأموال» (١٣٧) ، ولأثر عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالاً : لا يمكن أهل الذمة من إحداث بيعة في بلاد المسلمين . انظر «تلخيص الحبير» ١٢٩/٤ .

(٢) تقدم ، وأخرجه من حديث عائذ بن عمرو المزني الدارقطني ٢٥٢/٣ . قال ابن الملقن في «الخلاصة» (٢٦٠٧) : إسناده وإياه .

والأصح المنع من المساواة أيضاً كما زاده الناظم . وإن كانوا بمحلة منفصلة عن المسلمين كطرف من البلاد لم يمنعوا من رفع البناء وقوله : أُلزموا ، وليُعرفوا ، وليمنعوا ؛ بالبناء للمفعول .

خاصة : قال ابن الصلاح : ينبغي منعهم من خدمة الملوك والأمراء كما يمنعون من ركوب الخيل اهـ . ويلجؤون من زحمة المسلمين إلى أضييق الطرق^(١) ، ولا يوقرون في مجلس فيه مسلم ، وتحرم موادّتهم ، وإذا دخل الذمي متجرّداً حماماً فيه مسلمون أو تجرد عن ثيابه بين المسلمين في غير حمام جعل وجوباً في عنقه خاتم حديد أو رصاص^(٢) أو نحو ذلك .

قال الماوردي ويمنعون من التخنم بالذهب والفضة لما فيه من التطاول والمباهاة ، وتجعل المرأة خفها لونين . قال في «الحاوي» : ولا يمشون إلا فرادى متفرقين^(٣) .

(١) لعموم حديث أبي هريرة عند مسلم (٢١٦٧) : « لا تبدأ واليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » .

(٢) لأثر روى بعضه البيهقي ٢٠٤/٦ ، وذكره ابن الملقن في «الخلاصة» (٢٦٢٢) بتمامه : أنه كتب إلى أمراء الأجناد أن يختموا رقاب أهل الذمة بخاتم من الرصاص ، وأن يجزوا نواصبيهم ، وأن يشدوا المناطق .

(٣) قال الشيخ حسن رحمه الله تعالى : وكل ذلك غير معمول به في هذه الأوقات فلا ذمة .

باب الصيد والذبائح

الصيد مصدر : صاد يصيد ، ثم أطلق الصيد على المصيد ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ ﴾ [المائدة : ٩٥] والذبائح جمع ذبيحة بمعنى مذبوحة . والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة : ٢] وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .

(ذكاة كل ما عليه يقدر بذبحه وما سواه يعقر)
(فالذبح قطع سائر الحلقوم مع المري في المذبح المعلوم)
(وقطع كل منهما قد أوجبوا لا الودجين معهما بل يندب)
(والعقر جرح مزهق للروح حيث انتهت إصابة الجروح)
(بجراح نحو الحديد والخشب لا السن والأظفار فهي تجتنب)

(ذكاة كل ما عليه يُقدر بضم الباء بالبناء للمفعول ، من الحيوان المأكول تحصل (بذبحه) إما في حلقه أو لَبَّته إجماعاً . والخلق : أعلى العنق ، واللَبَّة : بفتح اللام المشددة أسفل العنق ، (وما سواه) أي : ما لم يقدر على ذكاته لكونه متوحشاً كالضبع (يُعقر) أي : يجرح بمزق — قاتل — كما سنذكره . (فالذبح قطع سائر أي : جميع (الحلقوم) وهو مجرى النفس (مع المري) بفتح الميم ، وهو مجرى الطعام والشراب ، فلو ترك شيئاً من الحلقوم والمريء ولو قليلاً ومات الحيوان فهو حرام ، وكذا قال الناظم : (وقطع كل منهما قد أوجبوا . لا الودجين معهما) بفتح الواو والدال ، وهما عرقان في صفحتي العنق يحيطان بالحلقوم فلا يجب قطعهما (بل يندب) زيادة على ما مر . وتُنحر لَبَّة البعير قائماً على ثلاث قوائم معقول الركبة اليسرى^(١) ، وإلا فباركاً ، وتذبح حلق البقر والغنم للاتباع ، ولو عكس فقطع حلقوم الإبل ولبة غيرها لم يكره .

(١) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً فَإِذَا وَجِيتِ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ [الحج : ٣٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما أي : قيام على ثلاث . ويؤيده أن ابن عمر رضي الله عنهما : أتى على رجل وهو ينحر بدنته بركة . قال : ابعتها قياماً مفيدة . سنة تبيكم ﷺ . رواه البخاري (١٧١٣) ، ومسلم (١٣٢٠) .
وجبت : سقطت على الأرض وهو كناية عن موتها .

ويسن أن يكون البقر والشاة مضطجعة لجنبها الأيسر ، وأن تكون السكين حادة ، ولا تشد أمامها وتترك رجلها اليمنى لتسترج بتحريكها ، وتشد باقي القوائم^(١) . ولْيَدب توجيه المذبوح نحو القبلة لأنها أشرف الجهات ، والتسمية والصلاة على النبي ﷺ ، ولا يجوز أن يقول : بسم الله واسم محمد ؛ لإيهامه التشريك ، كما لا يجوز لإفراد غير الله بالذكر على المذبوح . (والعقر جرح مزهق للروح . حيث انتهت إصابة الجروح) والمعنى : في أي موضع كان العقر من بدنه بالإجماع^(٢) .

فرع : لو توحش إنسي^(٣) كبير ند — نفر وهرب شاردأ — فهو كالصيد يحل بجرحه في غير مذبح بمحدد حيث قدر عليه بالظفر به ، ويحل بإرسال الكلب عليه كما قال في «الروضة» .

تنبيه : تناول إطلاق الناظم ما لو تردى بعير في بئر ولم يقدر على ذكاته فيحل بجرحه في غير المذبح ، وهو كذلك على الأصح في «الزوائد» . ولا يحل بإرسال الكلب عليه كما صححه في «المنهاج» من زيادته . فإن قلت : ما الفرق ؟ قلنا : إن الحديد يستباح به الذبح مع القدرة بخلاف فعل الجارحة . ثم أشار الناظم إلى الآلة بقوله : (بجراح نحو الحديد) أي : بمحدد الحديد — كالسهم — (والخشب) والذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها (لا السن والأظفار فهي تُجتنب) فلا يجوز الذبح بهما ، وكذا باقي العظام متصلاً أو منفصلاً من آدمي أو غيره لخير الصحيحين : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ، ليس السن والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك : فأما السن فعظم ، وأما الظفر فمدى — سكين — الحبشة^(٤) » وألحق بذلك باقي العظام ، والنهي عن الذبح بالعظام قيل : للتعب ، وبه قال ابن الصلاح ، ومال إليه ابن عبد السلام . وقال النووي في «شرح مسلم» : معناه لا نذبح بها فإنها تُنجس بالدم ، وقد نُهيتم عن تنجيسها في الاستنجاء لكونها طعام إخوانكم من الجن . ومعنى قوله : «وأما الظفر فمدى الحبشة» أنهم كفار وقد نُهيتم عن التشبه بهم . نعم ما قتلته الجارحة بظفرها أو نابها حلال كما يأتي .

(١) لحديث شداد عند مسلم (١٩٥٥) : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته» . ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أردت أن تنحر البدينة فأقمها ، ثم قل الله أكبر الله أكبر ، منك وإليك ، ثم انحرها . رواه الحاكم ٣٨٩/٢ .

(٢) قال في «رحمة الأمة» ص ٢٦٠ : ولو توحش إنسي ، فلم يقدر عليه ، فذكاته عند الثلاثة حيث قدر عليه كذكاة الوحشي ، وقال مالك : ذكاته في الحلق واللبة .

(٣) الحديث رافع بن خديج عند البخاري (٥٤٩٨) ، ومسلم (١٩٦٨) : «إن هذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما نذ فاصنعوا به هكذا» . ولحديث جابر رضي الله عنه : «كل إنسي توحشت فذكاتها ذكاة الوحشية» رواه ابن عدي ٨٥٢/٢ ، والبيهقي ٢٤٦/٩ بسند فيه حرام بن عثمان وهو ضعيف مجهول .

(٤) أخرجه الشافعي ٦٠٨/٢ ، والبخاري (٥٥٠٣) ، ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه .

تنبيه : خرج بقوله : محدد الحديد ، ما لو قتل بمثقل كبندقة — بإطلاق رصاص — وسوط وبسهم بلا نصل ولا حديد ، أو بسهم وبندقة ، أو انخفق ، فلا يحل في شيء من هذه الصور^(١) .

فائدة : قال بعض العلماء : الحكمة في اشتراط الذبح وإنهاز الدم تمييز حلال اللحم والشحم من حرامها ، وتنبيه على تحريم الميتة لبقاء دمها . وقول الناظم : في المذبح المعلوم ، تكملة .

(والاصطياد جائز بكل ما	من السباع والطيور علماً)
(إن كان مع إرساله مسترسلاً	متزجراً بزجره ممثلاً)
(مجتنباً للأكل مما اصطاد	مكرراً حتى يُسرى معتاداً)
(إلا الطيور فاعتبر ما قد ذكر	فيها ولكن لم يجب أن تزجر)
(وشرط كل صائد وذابح	إسلامه أو صحة التناكح)
(وفعل كل منهما فلم يبح	ما احتك من حيٍّ بسيف فاندخ)
(أو صاده كلب بلا إرسال	وصيد الاعمى لم يجوز بحال)
(وحيث زال شرطه فلا تبغ	إلا الذي أدركت حيّاً وذبح)
(ثم الجنين من مذكاة يحل	بغير ذبح لا إذا حياً فصل)
(وكل جزء في الحياة يقطع	فنجس إلا شعوراً تنفع)

أي : (والاصطياد جائز) لمن تحمل ذكاته لا لغيره (بكل ماء من السباع والطيور علماً) أي : بكل جارحة من سباع البهائم كالكلب والفهد ومن جوارح الطيور كالباز والصقر لقوله تعالى : ﴿ أحلت لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب ﴾ [المائدة : ٤] أي : صيد ما علمتم . ثم بيّن شروط جارحة الطير والسباع بقوله : (إن كان مع إرساله مسترسلاً) أي : إذا أرسلها

(١) الحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وفيه قال : قلت يا رسول الله : إني أرسل الكلاب المطعة فيمسكن علي ، واذكر اسم الله عليه فقال : « إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله عليه فكل » قلت : وإن قتل ؟ قال : « وإن قتل . ما لم يشركها كلب ليس معها » قلت له : فإني أرمي بالمعروض — خشية ثقيلة — الصيد فأصيب . فقال : « وإذا رميت بالمعروض فخرق — نفذ — فكله ، وإن أصابه بعرضه فلا تأكله » . رواه البخاري (٥٤٧٧) ، ومسلم (١٩٢٩) واللفظ له . ولهذا يحرم عند الشافعية رمي الصيد بالبندق — الفشك — المعتاد الآن لأنه ثاقب خارق محرق مذهب سريعاً غالباً . ونقل شيخنا في « تعليقه » ص ١٦٢ عن أحمد السقاف رحمهما الله عن السادة المالكية : أنه يجوز الرمي به ، ويحل أكله بشرط التسمية عند الرمي ، وإن تركها سهواً لم يضر وفي ذلك قال بعض علمائهم :

وما ييندق الرصاص صيداً جواز أكله قد استفسد
أفتى بهذا شيخنا الأواه وانعقد الإجماع في فواه

صاحبها استرسلت لقوله تعالى : ﴿ مكلبين ﴾ [المائدة : ٤] قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه : إذا أمرت الكلب فاتسمر ، وإذا نهيته فانتهى فهو كلب صيد . هذا هو الشرط الأول .

والثاني : ما أشار إليه بقوله : (متزجراً بزجره ممثلاً) أي : إذا زجرها صاحبها في ابتداء الأمر وبعده انزجرت ، أي : وقفت .

والثالث : ما تضمنه قوله : (مجتنباً للأكل مما اصطاداً) أي : إذا قتلت صيداً لم تأكل منه ، أي : من لحمه أو نحوه .

والرابع : ما بينه بقوله : (مكرراً حتى يرى معتاداً) أي : يشترط تكرّر هذه الأمور المعتبرة في التعليم منها بحيث يظن تأدّب الجارحة ، ولا ينضبط ذلك بعدد بل الرجوع في ذلك إلى أهل الخبرة بالجوارح ، وما ذكرته من اشتراط جميع هذه الأمور في جارحة السباع والطيور هو ما نص عليه الشافعي كرم الله روحه كما نقله البيهقي [٢٣٥/٩ - ٢٣٨] ثم قال : « ولم يخالفه أحد من الأصحاب . وهذا هو المعتمد ، وإن كان ظاهر كلام « المنهاج » كـ « الروضة » يخالف ذلك حيث خصّها بجارحة السباع وشرط في جارحة الطير ترك الأكل فقط . وقول الناظم : (إلا الطيور فاعتبر ما قد ذكر) أي : من الشروط (فيها ولكن لم يجب أن تتزجر) أي : بزجره كما ذكر تبع فيه مفهوم قول « المنهاج » بأن تزجر جارحة السباع .

تنبيه : لو ظهر كونه معلماً ثم أكل من لحم صيد لم يحلّ ذلك الصيد في الأظهر ، فيشترط تعليم جديد ، ولا أثر للفقير الدم ، ومعض الكلب من الصيد نجس ، والأصح أنه لا يعفى عنه ، وأنه يكفي غسله سبعاً بماء وتراب ، ولا يجب أن يقوّر ويطرح . (وشرط كل صائد وذابح . إسلامه أو صحة التناكح) فيحل ذكاة وصيد كل مسلم ومسلمة وكتاني وكتانية تحل مناكحتنا لأهل ملتتهما ، قال تعالى : ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ﴾ [المائدة : ٥] .

تنبيه : لا أثر للرق في الذبح ، فتحل ذكاة أمة كسائية وإن حرم مناكحتها لعموم الآية المذكورة .

(و) يشترط (فعل كل منهما) أي : المسلم ومن تصح مناكحته ، والمعنى : يشترط في الذبح قصداً (فلم يبيح) أي : لم يحل (ما احتك من حيٍّ بسيف فاندخ) به ، وكذا لو سقطت مدية على مذبح شاة أو انحكت بها فاندبحت (أو صاده كلب بلا إرسال) وكذا لو أرسل سهماً لا لصيد فقتل صيداً حرم (وصيد الاعمى لم يجوز بحال) لعدم صحة قصده لأنه لا يرى الصيد .

تنبيه : يحل ذبح وصيد صغير مسلم أو كتابي مميز ؛ لأن قصده صحيح بدليل صحة العبادة منه إن كان مسلماً ، فاندرج تحت الأدلة كالبالغ ، وكذا صغير غير مميز ومجنون وسكران تحل ذبيحتهم في الأظهر ؛ لأن لهم قصداً وإرادة في الجملة ، لكن مع الكراهة كما نص عليه في « الأم » خوفاً من غلوهم عن المحل ، وذكاة الأعمى كذلك . (وحيث زال شرطه) أي : الصيد (فلا تبخ) الصيد (إلا الذي أدركت حيّاً) أي : فيه حياة مستقرة (وذبح) فيحل لقوله ﷺ لأبي ثعلبة الخشني في حديثه : « وما صيدت بكلبك غير المعلم وأدركت ذكاته فكل » متفق عليه^(١) . ثم ختم الناظم الباب بقوله : (ثم الجنين من مذكاة يحل . بغير ذبح) لقوله ﷺ : « ذكاة الجنين ذكاة أمه^(٢) » أي : ذكاتها التي أحلتها أحلتها تبعاً لها (لا إذا حيّاً فضيل) فلا يحل بذكاة أمه . ثم بين الناظم حكم المنفصل من الحيوان حال حياته بقوله : (وكل جزء في الحياة يقطع . فنجس) لحديث أبي واقد عند أبي داود (٢٨٥٨) بإسناد حسن قال : قال رسول الله ﷺ : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة » . ثم قال : (إلا شعوراً تنفع) أي : يستثنى شعر ووصوف ووبر وريش مأكول اللحم ولو انفصل في حيال حياته لقوله تعالى : ﴿ ومن أصفافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ... ﴾ [النحل : ٨٠] .

وقوله : فلم يُبَخ ، وذبح ؛ بالبناء للمفعول ، وكذا قوله : فصل . وزيادة الناظم على أصله هنا غير خافية .

باب الأطعمة

أي : بيان ما يحل أكله وشربه منها وما يحرم ، ومعرفة أحكامها من المهمات ؛ لأن في تناول الحرام الوعيد الشديد ، فقد ورد في الخير : « أي لحم نبت من حرام فالنار أولى به^(١) » . والأصل فيها قوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيها أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾ [الأنعام : ١٤٥] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

(والحيوان إن يكن عند العرب مستخبثاً يكن حراماً مجتنب)
(أو مستطاباً عندهم لن يحرم) إن لم يرد في الشرع نص فيهما (وماله من السباع ناب يعدو به فممنعه صواب)
(وماله من الطيور مخلب يسطو به فامنعه فهو المذهب)

(والحيوان إن يكن عند العرب) وهم أهل يسار وثروة وخصب ، وأصحاب طباع سليمة (مستخبثاً) أي : عندهم خبيثاً (يكن حراماً مجتنب) أ (أو) إن يكن (مستطاباً عندهم لن يحرم) أي : فهو حلال (إن لم يرد في الشرع نص فيهما) أي : في التحريم والتحليل كما سيأتي ، فيرجع فيه إلى استخبثهم وإلى أستطابتهم ؛ لأن الله تعالى أناط الحلّ بالطيب والتحريم بالخبث ، وعلم بالعقل أنه لم يرد ما يستطيه ويستخبثه كل العالم ؛ لاستحالة اجتاعهم على ذلك عادة واحدة لاختلاف طبائعهم ، فنعين أن يكون المراد بعضهم ، والعرب بذلك أولى إذ هم المخاطبون أولاً ، ولأن الدين عربي ، أما أهل البوادي الذين يأكلون ما دبّ ودرج من غير تمييز فلا عبرة بهم ، ولا عبرة أيضاً بحال الضرورة .

(١) لما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عميرة : « إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت حرام — النار أولى به » أخرجه أحمد ٣٢١/٣ و٣٩٩ نحوه ، والترمذي (٦١٤) وقال : حسن غريب ، والحاكم ١٢٧/٤ — واللفظ له — وصححه على شرط الشيخين ، وابن حبان (١٧٢٣) بسند صحيح .

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٨) ، ومسلم (١٩٣٠) : وبدايته : « ما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله عليه وكل » .
(٢) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ابن حبان (٥٨٨٩) وصححه مؤيدو داود (٢٨٢٤) ، والترمذي (١٤٧٦) ، وابن ماجه (٣١٩٩) .

تنبيه : يرجع في كل زمان إلى العرب الموجودين فيه ، فإن استطابته فحلال ، وإن استخبيته فحرام ، فإن اختلفوا في استطابته تبع الأكثر ، فإن اختلفوا فقريش لأنها قطب العرب ، فإن اختلفت اعتبر بأقرب الحيوان شبهاً به صورة أو طبعاً أو طعاماً ، فإن استوى الشبهان أو لم يوجد ما يشبهه فحلال لآية: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي أُوحَى إِلَيَّ مَحْرَمًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] (وما له من السباع نابٌ . يعلو به) أي : يسطو على غيره من الحيوان كأسد و غر و ذئب و فيل و قرد و كلب و خنزير و فهد و ابن آوى ^(١) (فمنعه صوابٌ) فيحرم . (وما له من الطيور يخلبُ) بكسر الميم وإسكان المعجمة ، وهو للطير كالظفر للإنسان (يسطو به) كالصقر والباز والشاهين والنسر والعقاب وجميع جوارح الطير ^(٢) كما قاله في « الروضة » (فامنع) أيها الفقيه (فهو المذهب) .

تنبيه : مما ورد في النص بالحل الإبل والبقر والغنم والمعر وإن اختلف أنواعها ، والخيل والبقر الوحشي والظبي والظبية والضبع والأرنب والثعلب والفنك بفتح الفاء والنون ، وأدلة ذلك شهيرة . ومن الطيبات ابن عرس والقنفذ .

ويحرم كل ما ندب قتله كحبة وعقرب وعقارب أبقع وحداة وفأرة والبرغوث والزنبور والبق ، وتحرم الرخمة والبيغاة والبيغا وما نهي عن قتله كخطاف — ويسمى بعصفور الجنة — وغمل وذباب ، ولاتحل الحشرات وهي صغار دواب الأرض .

ويحل كركي و بظ وأوز ودجاج و حمام وهو ماعبٌ و هدر ، وما على شكل عصفور وإن اختلف لونه كعندليب وهو الهزار وصعوة وهو صغار العصفير ^(٣) . وقول الناظم : مجتبى ؛ بالوقف تكملة وإيضاح . والألف في قوله : لن يحرم ؛ للإطلاق .

(وليأكل المضطر حيث أشفقاً من ميتة أكلأ يسد الرمقا)

(وليأكل المضطر حيث أشفقاً) أي : خاف على نفسه موتاً أو مرضاً مخوفاً أو زيادته أو طول مدته أو انقطاعه عن رفقته ، أو خوف ضعيف عن مشي أو ركوب ولم يجد حلالاً يأكله (مِنْ)

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل ذي ناب من السباع فأكله حرام » . رواه مسلم (١٩٣٣) .

(٢) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي خلب من الطير . رواه مسلم (١٩٣٤) .

(٣) وأوسع من يتكلم عن ما يحل من الحيوان وما يحرم الدميري رحمه الله تعالى في كتابه : « حياة الحيوان » فإنه مُحمد في ذلك .

ميتة) محرمة عليه قبل اضطرابه ؛ لأن تاركه ساع في هلاك نفسه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] ثم إن توقع حلالاً على قرب أو توقع حلالاً لا على قرب لم يجوز أن يأكل غير ما يسد رمقه كما قال : (أكلأ يسد الرمقا) لاندفاع الضرورة به ، وقد يجد بعده الحلال ولقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣] قيل : أراد به الشيع . نعم إن خاف تلفاً أو حدوث مرض أو زيادته إن اقتصر على سد الرمق جاز له الزيادة بل وجبت لتلا يهلك نفسه . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣] غير باغ : أي طالب المحرم . ولا عاد : متجاوز القدر المسموح لحفظ حياته ، على قدر الضرورة . لأن الرخص — وهذا منها — تناط بقدرها .

تنبيه : يستثنى مما ذكر العاصي بسفره ، فلا يباح له الأكل حتى يتوب ، وبسط الكلام على هذا المحل يطلب من المطولات ، والألف في قوله : أشفقاً ؛ للإطلاق .

(وميتان حلتا بغير شك في حلها وهي الجراد والسماك)
(وحرمت كل الدماء عهد في منعها إلا الطحال والكبد)

فيهما مسألتان : الأولى : لنا ميتان حلالان وهي الجراد والسماك لخبر : « أحلت لنا ميتتان : الجراد ^(١) والسماك » .

الثانية : (وحرمت كل من الدماء) (لما عهدي . في منعها) من قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة: ٣] (إلا الطحال والكبد) بكسر الموحدة على الأفصح ، فهما حلالان لخبر : « أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ الميتتان : الحوت والجراد ، والدمان : الكبد والطحال » ^(٢) .

خاتمة : أفضل ما أكلت منه كسبك من زراعة لأنها أقرب إلى التوكل ، ثم من صناعة لأن الكسب فيها يحصل بكد اليدين ، ثم من تجارة لأن الصحابة كانوا يكتسبون بها .

ويحرم ما يضر البدن والعقل كالخجر والتراب والزجاج والسّم كالأفيون والحشيشة ونحوها .

(١) ولحديث مسلم (١٩٥٢) عن عبد الله بن أبي أوفى قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد .

(٢) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما الشافعي ٢/٦٠٧ ، وأحمد ٢/٩٧ ، وابن ماجه (٣٣١٤) ، والدارقطني ٤/٢٧١ — ٢٧٢ . وقال ﷺ في البحر — وتقدم — : « هو الطهور مأوه الحل منه » رواه مالك ٢/٢٢ ، والشافعي في الأم ١/١٦ ، وأحمد ١/٣٦١ ، والدارمي ١/١٨٦ ، وأبو داود (٨٣) ، والترمذي (٦٩) ، والنسائي ١/١٧٦ . ولأثر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : ما في البحر شيء إلا قد ذكاه الله لكم . رواه البيهقي في « السنن » ٩/٢٥٢ .

أي : (يسن للمكلف) الحر العاقل المستطيع (الأضحية) بمعنى التضحية ، ويكره للقادر تركها ، ويسن لمريدها أن لا يزيل شعره ولا ظفره في عشر ذي الحجة حتى يضحى^(١) ، ولا تجب إلا بالنذر . والتضحية أفضل من صدقة التطوع ؛ للاختلاف في وجوبها . وشرط التضحية نَعَمٌ مِنْ إِبِلٍ أو بَقَرٍ أو غَنَمٍ أو مَعَزٍ لقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [الحج : ٣٤] ولأن التضحية عبادة تتعلق بالحيوان فاختصت بالنعم كالزكاة ، ويجزئ فيها من النعم الجذع من الضأن كما قال : (بشاة ضأن أكملت سُنيَّة) بالتصغير ، أي : استكملت سنة وطعت في الثانية^(٢) . (أو الثني من معز أو من بقر) وهو ما استكمل سنتين وطعن في الثالثة كما قال : (كلاهما في ثالث الأعوام قر * أو) من (إبل وهو الذي قد تم) أي : كمل (له . من السنين خمسة مكمله) وطعن في السادسة . وأفاد تعبير الناظم بالتأنيث والتذكير أن التضحية تجزئ بالذكر والأنثى ، وهو كذلك بالإجماع ، نعم التضحية بالذكر أفضل على الأصح المنصوص .

وتجزئ البدنة عند الاشتراك عن سبعة ، وكذا البقرة كما قال : (وإن تكن من إبل أو من بقر . فواحد عن سبعة ولا ضرر) لما رواه مسلم [١٣١٨] عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهْلِينَ بالبحج . فأمرنا أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة .

وتجزئ الشاة عن واحد فقط ، فإن ذبحها عنه وعن أهله أو عنه وأشرك غيره في ثوابها جاز .

تنبيه : يسن أن يذبح الرجل الأضحية بنفسه إن أحسن الذبح للاتباع لحديث مسلم [١٩٦٦] المار ، والسنة للمرأة أن توكل كما في « المجموع » . (وتمنع العوراء) بالمد ، البَيِّنُ عورُها بأن لم تبصر بإحدى عينيها وإن بقيت الحدة ، وتمنع العمياء بطريق الأولى ، (و) تمنع (العرجاء) بالمد ، البَيِّنُ عرجُها بأن يشتد عرجها بحيث تسبقها الماشية إلى المرعى وتتخلف عن القطيع ، (كذلك العجفاء) بالمد ، تمنع أيضاً ، وهي التي ذهب لحمها السمين بسبب ما يحصل لها من الهزال ، (و) تمنع (الجرباء) بالمد ، وإن كان الجرب يسيراً ؛ لأنه يفسد اللحم والودك^(٣) ، (و) يشترط (كون

باب الأضحية

بضم الهمة وكسرها ، وهي اسم لما يذبح من البقر والإبل والغنم تقريباً إلى الله تعالى من يوم عيد النحر إلى آخر أيام التشريق ، وسميت بأول زمان فعلها وهي الضحى . والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] أي : صل صلاة العيد وانحر النسك^(١) . وخبر مسلم [١٩٦٦] عن أنس قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ، ذبحهما بيده وسمي وكبر ووضع رجله على صفاحهما . والأملح قيل : الأبيض الخالص ، وقيل : الذي يياضه أكثر من سواده ، وقيل غير ذلك .

(يسن للمكلف الأضحية)
(أو بالثني من معز أو من بقر)
(أو إبل وهو الذي قد تم له)
(وإن تكن من إبل أو من بقر)
(وتمنع العوراء والعرجاء)
(وكون كل يئناً بها وجب)
(وضُرَّ قطع أذنها أو الذنب)
(ووقتها من بعد ركعتين)
(يؤتى بها قصداً من الشروق)
(وسن عند الذبح أن يصلها)
(مكبراً مستقبلاً مع الدعاء)
(والبيع منها لا يجوز مطلقاً)
(ببعضها وسن أكل ما نذر)

(بشاة ضأن أكملت سنيه)
(كلاهما في ثالث الأعوام قر)
(من السنين خمسة مكمله)
(فواحد عن سبعة ولا ضرر)
(كذلك العجفاء والجرباء)
(فليغتفر سيرها إلا الجرب)
(ولا يضُرَّ الخُصْيُ أو قرن ذهب)
(خفيفتين ثم خطبتين)
(من يومها لآخر التشريق)
(على النبي المصطفى مستمياً)
(لله في قبولها تضرعاً)
(وأوجبوا في حقّه التصديقاً)
(ولا يجوز أكله ممّا نذر)

(١) حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من شعره وبشره شيئاً » رواه مسلم (١٩٧٧) . قال النووي : قال أصحابنا : المراد بالبي من أخذ الظفر والشعر النبي عن إزالة الظفر بقلم أو كسر أو غيره ، والحكمة في النبي أن يبقى كامل الأجزاء ليعتق من النار .

(٢) حديث أم بلال عن أبيها : « ضحوا بالجذع من الضأن فإنه جائز » رواه البيهقي في « السنن » ٢٧١/٩ .

(٣) فعن البراء بن عازب أن النبي ﷺ سئل عن ماذا يبقى من الضحايا؟ فقال ﷺ : « العرجاء البين ظلمها — ويروى — عرجها ، والعوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعجفاء التي لا تنقي . ذهب عنها أي : دهن عظامها من الهزال . رواه مالك ٣١٩/١ — ٣٢٠ ، وأحمد ٢٨٤/٤ ، وأبو داود (٢٨٠٢) ، والترمذي (١٤٩٧) وحسنه ، والنسائي ٢١٤/٧ ، وابن ماجه (٣١٤٤) ، والحاكم ٤٦٧/١ — ٤٦٨ و ٢٢٣/٤ وصححه .

(١) لحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه ، وأصاب سنة المسلمين » رواه البخاري (٩٥٤) ، ومسلم (١٩٦٢) بنحوه .

كلّ) من هذه العيوب (يُنْتَبَأُ بها وجب) أي امتنع أن يضحي بها كما تقرّر (فليغتفر يسيرها إلا الجرب) فلا يغتفر يسيرها كما تقرّر أيضاً. ولا تجزئ المريضة البين مرضها، ولا المجنونة وهي التي تدور في المرعى ولا ترمي إلا قليلاً فتزل، وتسمى أيضاً بالتولاء، ولا الحامل كما حكاها في «المجموع» عن الأصحاب.

فائدة: ضابط المجزئ في الأضحية السلامة من عيب ينقص اللحم أو غيره مما يؤكل، (وضرّ قطع) بعض (أذن) وإن كان يسيراً لذهاب جزء مأكول (أو) ضرّ قطع بعض (الذنب) وإن قلّ، (ولا يضّر الخصي) لأن الخصي يزيد اللحم طيباً وكثرة، (أو قرن ذهب) والقرون لا يتعلق بها كبير غرض وإن كانت ذوات القرون أفضل من غيرها. نعم إن انكسر القرن وأثر انكساره في اللحم ضرّ كما نقله الشيخان عن القفال.

تنبيه: لا يضّر شق أذن ولا خرقها بشرط أن لا ينقص من الأذن شيء بذلك كما علم مما مر. ويسن في الأضحية استئمانها واستحسانها بأن لا تكون مكسورة قرن ولا فاقدته: (ووقتها) أي: أول وقت الأضحية (من بعد) صلاة (ركعتين خفيفتين ثم خطبتين) بعدها (يؤتى بها قصداً من الشروق من يومها) أي: التضحية، أي: بشرط قدر مضي ركعتين وخطبتين خفيفتين بعد طلوع الشمس^(١)، ويبقى وقت الذبح إلى غروب شمس آخر ثلاثة أيام التشريق المتصلة بعاشر ذي الحجة^(٢) كما قال: (لآخر التشريق) سواء الليل والنهار، ولكن يكره الذبح ليلاً، فلو ذبح قبل ذلك أو بعده لم يقع أضحية، نعم إن لم يذبح الواجب حتى فات الوقت ذبحه بعده قضاء. (وسن عند الذبح) مطلقاً (أن يُصليا. على النبي المصطفى ﷺ، وأن يسمى: أي حال كونه (مسمياً) بأن يقول: بسم الله، ولا يجوز أن يقول: بسم الله واسم محمد، كما تقدم (مكراً) بعد التسمية كما قاله الماوردي (مستقبلاً) القبلة بمذبح الذبيحة فقط دون وجهها (مع الدعاء) (لله في قبولها تضرعاً) بأن يقول: اللهم إن هذا منك وإليك فقبل مني^(٣). ويسن تحديد الشفرة في غير مقابلتها وإمرارها، والتعامل في ذهابها وإيابها، وإضجاعها على شقها، وشدّ قوائمها الثلاث غير الرجل

(١) وانظر حديث أنس في التعليق السالف أول باب الأضحية، والحديث البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما تبدأ به في يومنا هذا تصلي، ثم ترجع فتحرر، من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا. ومن ذبح قبل فإنا هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسل في شيء». رواه البخاري (٩٥١)، ومسلم (١٩٦١).

(٢) وهي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة يعني: يوم العيد وهذه الثلاثة أيام التي تليه، فهي أربعة أيام العيد؛ لما ورد في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وفي كل أيام التشريق ذبح». رواه ابن حبان (٣٨٥٤) بإسناد حسن. أيام التشريق: سميت بذلك لأن فقراء العرب كانوا يأخذون مارقاً أو رقيقاً من لحوم الأضاحي والهدي فوضع تجاه الشمس ليقدموها ويجففوها فيدخرونها ليقننوا بها خلال عامهم.

(٣) لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذبح — يوم العيد — كبشين ثم قال حين وجههما: «وجهت

الجنى، وعقل الإبل كما أشرت إليه في باب الصيد والذبائح. (والبيع منها) أي: من الأضحية (لا يجوز مطلقاً) فيحرم عليه أن يبيع شيئاً منها ولو جلدتها، ولا يصح ذلك سواء كانت مندورة أم لا، وله أن يتفجع بجلد أضحية التطوع — كما يجوز له الانتفاع بها — كأن يجعله دلواً أو نعلًا أو خفًا، والتصدق به أفضل. أما الواجبة فيجب التصديق بجلدها كما في «المجموع» (وأوجبوا) أي: العلماء (في حقه) أي: المضحي (التصدّقاً * ببعضها) أي: الأضحية النفل وإن قل، فيطعم الفقراء والمساكين ما ينطلق عليه الاسم لقوله تعالى: ﴿فكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] والمراد بالتصدّق تمليك الفقير الشامل للمساكين ولو واحداً شيئاً من لحمها نيئاً لا مطبوخاً، ومؤونة الذبح على المضحي، فلا يعطى الجزار منها شيئاً — أي بقصد الأجرة —، وله إطعام الأغنياء منها لا تمليكهم، ويأكل ثلثاً ويتصدّق بالباقي، ويكره نقلها كالزكاة، والأفضل التصديق بجلدها إلا لقماً يتركها كما قال: (وسن أكل ما نذر) بالبدال المهمل، أي: قلّ اقتداء به ﷺ، فإنه كان يأكل من كبده أضحيته، (ولا يجوز أكله مما نذر) بالبدال المعجمة. والمراد الواجب بنذر أو غيره كما في الكفارة سواء وجب بالتزام أم بغيره كدم القران والتمتع، فلو أكل منه شيئاً وجب عليه مثل ما أكله على الصحيح.

خاتمة: لا تضحية لأحد عن آخر بغير إذنه ولو كان ميتاً كسائر العبادات، بخلاف ما إذا أذن له كالزكاة.

وجهي للذي فطر السماوات والأرض، على ملة إبراهيم حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك عن محمد وأُمته بسم الله والله أكبر، ثم ذبحه. رواه داود (٢٧٩٥)، وابن ماجه (٣١٢١)، والحاكم ٤٦٧/١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي على شرط مسلم.

وروي أبو نعيم في «الحلية» ١٧٨/٨ عن يحيى بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين موجهين فقرب أحدهما فقال: «اللهم منك وإليك، اللهم إن هذا عن محمد وأهل بيته، ثم قرب الآخر فقال: بسم الله، اللهم منك وإليك، اللهم هذا عن محمد وأهل بيته». قال أبو نعيم: مشهور من غيره وجه، غريب من حديث يحيى - موجهين: متزوعي الأنثيين.

باب العقيقة

هي لغة : اسم للشعر الذي على رأس المولود حين ولادته . وشرعاً : الذبيحة عن المولود عند حلق شعر رأسه ، تسمية للشيء باسم سبه . وهي سنة مؤكدة للأخبار الواردة فيها كخبر سمرة رضي الله عنه : « الغلام مرتين بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ، ويحلق رأسه ويسمى » رواه الترمذي [١٥٢٢] وقال : حسن صحيح . ومعنى مرتين بعقيقته : قيل : لا ينمو نمو أمثاله . وقيل : إذا لم يعق عنه لم يشفع لوالديه يوم القيامة .

(وكل مولود له العقيقة على أبيه وهي في الحقيقة)
(شاة لإلثني واثنتان للذكر والإبل أولى أولاً ثم البقر)
(تطبخ يوم سابع الولادة للفقرا وغيرهم بالعاده)
(وحكمها ووصفها كالأضحيه ومن معها حلقه والتسميه)

أي : (وكل مولود) ذكر أو أنثى يسن (له العقيقة . على أبيه) أو من تلزمه نفقته للأخبار الواردة فيها (وَهِيَ) أي : العقيقة (في الحقيقة * شاة لإلثني واثنتان) أي : شاتان (للذكر) متساويتان لخبر عائشة رضي الله تعالى عنها : أمرنا رسول الله ﷺ أن نعق عن الغلام بشاتين ، وعن الجارية بشاة^(١) . ويتأذى أصل السنة عن الغلام بشاة ؛ لأنه ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً^(٢) (والإبل أولى) أي : أفضل (أولاً ثم البقر) أفضل بعدها كما في الأضحية وكالشاة سُبُع بدنة أو بقرة .

تنبيه : علم من كلام الناظم أنه لا يجوز للولي أن يعق عن المولود من ماله ؛ لأن العقيقة تبرع وهو ممتنع من مال المولود . ويندب أن يعطي رجل الشاة للقابلة ؛ لأن فاطمة رضي الله عنها فعلت

(١) رواه الترمذي (١٥١٣) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣١٦٣) ، والبيهقي ٣٠١/٩ ، وابن حبان (٥٣١٠) بسند صحيح .

(٢) روى الحاكم ٢٣٧/٤ عن علي رضي الله عنه قال : عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسين بشاة وقال : « يا فاطمة احلقي رأسه ونصدي بزنة شعره » . فوزناه ، فكان وزنه درهماً .

ذلك^(١) . وتسن العقيقة سابع ولادة المولود فهو أفضل من غيره ، ويحسب منها يوم ولادته^(٢) . ويسن ذبحها في صدر النهار عند طلوع الشمس ، وأن يقول عند ذبحها بسم الله والله أكبر ، اللهم منك وإليك ، اللهم عقيقة فلان . لخبر^(٣) ورد فيه . (وتطبخ يوم سابع الولادة) يحلو تفاؤلاً بحلاوة أخلاق الولد كما في الخبر : كان نبينا يحب الحلوى والعسل . ويسن أن لا يكسر فھيا عظم ، بل يقطع كل عضو من مفصله تفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود ، وتطعم (للفقراء) والمساكين (وغيرهم) بالعادة * وحكمها ووصفها كالأضحية وقد مر بيانها ، إلا في التصديق باللحم . ويسن أن يؤذن في أذن المولود اليمنى ويقم في اليسرى^(٤) ليكون إعلامه بالتوحيد أول ما يقرع سمعه عند قدومه إلى الدنيا ، كما يلقن عند خروجه منها . (ومن معها) أي : مع العقيقة يوم سابع ولادته (حلقه) أي : حلق رأسه كلها ويكون ذلك بعد ذبح الذبيحة ، وأن تصدق بزنة الشعر ذهباً ، فإن لم يتيسر كما في « الروضة » ففضة . ويسن لطح رأسه بالزعفران — الثيب الأحمر للتجميل — والحلوق — الطيب^(٥) — . (و) يسن (التسمية) في السابع للخبر المأثور ، وأن يكون باسم حسن ولو سقط كعبد الله وعبد الرحمن^(٦) ، ويكره باسم قبيح وما يتطير بنفيه كنافع وأفلع ونجيج وبركة ، ويسن الناس أو العلماء أو نحوه أشد كراهة^(٧) ، ولا تكره التسمية باسم الملائكة والأنبياء .

فائدة : روي عن ابن عباس أنه قال : إذا كان يوم القيامة أخرج الله أهل التوحيد من النار ، وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي . وعنه أنه قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة كرامة لنبية محمد ﷺ^(٨) .

(١) رواه أبو داود في « المراسيل » (٣٤٢) ، ورواه الحاكم ١٧٩/٣ وصححه لكن تعقبه الذهبي بقوله : لا ، والبيهقي ٣٠٤/٩ .

(٢) للحديث المتقدم أول الباب .

(٣) عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ « ادبحوا على اسمه ، فقولوا : بسم الله اللهم لك وإليك ، هذه عقيقة فلان » رواه البيهقي ٣٠٣/٩ .

(٤) لحديث أبي رافع رضي الله عنه : أنه ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها رواه أبو داود (٥١٠٥) .

(٥) لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : كانوا في الجاهلية إذا عقوا عن الصبي خضبوا نقطة بدم العقيقة ، فإذا حلقوا رأس الصبي وضعوها على رأسه ، فقال النبي ﷺ : « اجعلوا مكان الدم خلوقاً » . رواه ابن حبان (٥٣٠٨) بسند صحيح .

(٦) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن » رواه مسلم (٣١٣٢) .

(٧) لحديث سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسمين غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجاحاً ، ولا أفلع » رواه مسلم (٢١٣٧) .

(٨) تمت ويستحب نية المولود له — بما علم الحسين رضي الله عنه — إسناً التهمة فقال له : قل : — بارك الله لك في الموهوب ، وشكرت الوهاب ، وبلغ أشده ، وزرقت برّه . ويرد عليه فيقول : بارك الله لك ، وبارك عليك ، وورقك الله مثله ، أو جزاك الله خيراً ، أو أجزل نوابك ، ونحوه . كما نقله النووي في « الأذكار » .

باب السبق والرمي

السُّبُق — بالسكون — مصدر سبق، أي: تقدّم، وبالتحرّك: المال الموضوع بين أهل السباق. والرمي يشمل الرمي بالسهم والمزاريق^(١) وغيرهما. وهذا الباب لم يسبق الشافعي رحمه الله إلى تصنيفه أحد كما قاله المزني وغيره.

(على الدواب تندب المسابقة والرمي أيضاً بالسهم المارقه)
(إن عيّنوا الدوابّ والمسافه ويُنوا في رميهم أوصافه)
(كالخسق أو كالمرق أو قرع الغرض مع علم كلّ منهما قدر العوض)
(وكونه من واحد ليدفعه للخصم إن يسبق وإلا استرجعه)
(أو منهما معاً ولكن معهما محلل كفاء لكل منهما)
(فليأخذ المألين حيث يسبق ولا يكون غارماً إذ يسبق)

اعلم أنه: (على الدواب تندب المسابقة) الشاملة للمناضلة وهي سنة للرجال المسلمين بقصد الجهاد بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿وَأَعْلُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية، وفسر النبي ﷺ القوة بالرمي^(٢). ويكره لمن علم الرمي تركه كراهة شديدة. أما النساء فقد صرح الصيمري بمنع ذلك لمن، وأقرّه الشيخان ومراده — به كما قاله الزركشي — أنه لا يجوز بعوض مطلقاً، فقد روى أبو داود (٢٥٧٨) بإسناد صحيح: أن عائشة رضي الله عنها سابت

(١) قال في «القاموس» المزارق: رخ قصير.

(٢) لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم (١٩١٧) وكان ﷺ يحض المسلمين على الرمي كما في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسيوف فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أياكم كان رامياً» رواه البخاري (٢٨٩٩) و (٣٣٧٣). ولحديث كعب بن مرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ العدو بسهم رفع الله له درجة» فقال له عبد الرحمن ابن النعمان: وما الدرجة يا رسول الله؟ قال: «أما إنها ليست بدرجة أمك، ما بين الدرجتين مئة عام» أخرجه ابن حبان (٤٦١٦) بسند صحيح، وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله، كان كمن اعتق رقبة». رواه ابن حبان (٤٦١٤) بسند صحيح.

النبي ﷺ. إذ تقرّر ذلك فتصبح المسابقة بعوض وغيره على الدوابّ والخيل والإبل والبغال والحمير والفيلة فقط لقوله ﷺ: «لا سبق إلا في خفّ أو حافر أو نعل»^(١) فلا تجوز على الكلاب، أو مهارشة الديكة، ومناطحة الكباش، لا بعوض ولا بغيره؛ لأن فعل ذلك سفه، ومن فعل قوم لوط الذين أهلكهم الله تعالى بذنوبهم، ولا على طير وصراع بعوض لا بغيره: (و) تصح المناضلة على (الرمي أيضاً بالسهم المارقه): السهم سواء كانت عربية وهي النبل، أو عجمية وهي الشاب — وكذا الرمي بالبندقية والمسدس ونحوها —، وتصح على رماح ورمي بأحجار بمقلاع أو يد، أو رمي منجنيق و: على رمي بكل سلاح حديث نافع في الحرب مما يشبه ذلك، ولا تصح على سباحة في الماء ولا على شطرنج ولا على خاتم — كأن يقذف في الهواء ثم يضعه في إحدى الكفين — ولا على وقوف على رجل ولا على ما بيده من شفع ووتر.

للمسابقة شروط: أحدها: تعيين الفرسين مثلاً كما قال: (إن عيّنوا الدواب) لأن الغرض معرفة سيرها وهي تقتضي التعيين: ثانيها: أن تكون المسافة معلومة ابتداءً وغايةً^(٢). ثالثها: بيان معرفة صفة إصابة الغرض كما قال: (ويُنوا في رميهم أوصافه * كالخسق) بأن يثبت فيه وإن سقط بعد ذلك، (أو كالمرق) بأن ينفذ منه بأن يثقبه ويسقط (أو قرع الغرض) أي: ضرب الهدف. والأصح أن صفة الرمي المذكورة لا يشترط بيانها بل يسن، ولا يشترط بيان سهم وقوس. رابعها: العلم بالمال المشروط كما قال: (مع علم كل منهما قدر العوض) وجنسه وصفته كسائر الأعيان، فلا يصح عقد بغير مال ككلب ولا بمال مجهول ككوب غير موصوف. ويشترط اجتناب شرط مفسد وتعيين الراكبين وشروط آخر في المبسوطات، ويُخرج العوض المشروط أحد المتسابقين كما قال: (وكونه من واحد ليدفعه للخصم إن يسبق وإلا استرجعه) والمعنى: إذا سبق بفتح أوله — استرده ممن هو معه، وإن سبق — بضم أوله — أخذه صاحبه، ولا يشترط حينئذٍ بينهما محلاً. وإن أخرج المتسابقان العوض معاً لم يجز حينئذٍ إلا أن يُدخلا بينهما محلاً — بكسر اللام الأولى — فيجوز إن كانت دابته كقفوا لدابتهما^(٣)، وسُمي محلاً

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الشافعي (١١٨٧) كما في «البدائع»، وأبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، والنسائي ٢٢٦/٦، وابن ماجه (٢٨٧٨)، وابن حبان (٤٦٩٠) بسند صحيح.

(٢) كما في حديث ابن عمر رضي الله أن النبي ﷺ سابق بين الخيل التي قد ضمرت من الحياء إلى ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق. رواه البخاري (٢٨٦٨)، ومسلم (١٨٧٠).

(٣) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار، ومن أدخل فرساً بين فرسين وقد أُن أن يسبق فهو قمار». رواه أبو داود (٢٥٧٩)، وابن ماجه (٢٨٧٦) والحاكم ١١٤/٢، والطبراني في «الصغير» (٤٧٠) وفي «مسند الشاميين» (٢٦٢٧) بسند ضعيف.

باب الأيمان

الأيمان — بفتح الهمزة — جمع يمين ، وأصله في اللغة : اليد اليمنى ، وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا يأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه . وفي الاصطلاح : تحقيق أمر غير ثابت ماضياً كان أو مستقبلاً ، نفيًا أو إثباتاً ، ممكناً كحلفه ليدخل الدار ، أو ممتنعاً كحلفه ليقتلن الميت ، صادقة كانت أو كاذبة ، مع العلم بالحال أو الجهل به . والكاذبة مع العلم بالحال تسمى اليمين الغموس ؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم والنار وهي من الكبائر^(١) . والأصل في الباب قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [المائدة : ٨٩] الآية ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ . [البقرة : ٢٢٤] . عرضة لأيمانكم : أي : مانعاً لكم عن البر . وأخبار كقول ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال : « والله لأغزوَنَ قريشاً ثلاث مرات » ثم قال في الثالثة : « إن شاء الله » رواه أبو داود . [٢٢٨٦] ، وحديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ، لقي الله وهو عليه غضبان » ... فأنزل الله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ رواه البخاري (٢٤١٦) .

(لا يعقد اليمين مع أداته)	(إلا بذات الله أو صفاته)
(كقوله والله لم أفعل كذا)	(وكبرياء الله لا فعلت ذا)
(لكن له توكيل من عداه)	(في فعله وفعل ما سواه)
(وإن يوكل في النكاح لم يبر)	(والحنث في لغو اليمين مغتفر)
(وقوله والله لا أحدث)	(زيداً وعمراً مطلقاً لا يحنث)
(ما لم يكن لائتصهما قد حدثا)	(لا واحد فإنه لن يحنثا)
(ومن بمال للتصدق التزم)	(فالواجب التكفير أو ما يلتزم)
(والاعتبار باليمين الجاري)	(من قاصد مكلف مختار)

لأنه يحلل العقد ويخرجه عن صورة القمار المحرمة ؛ لأن المحلل إذا سبق المتسابقين أخذ ما أخرجاه من العوض لنفسه . وإن سبق ، أي : سبقه وجاء معاً لم يغرم لهما شيئاً ولا شيء لأحدهما على الآخر ، وهذا مراده بقوله : (أو منهما معاً ولكن معها . مُحلل كفاء لكل منهما) . وإن جاء المحلل مع أحد المتسابقين وتأخر الآخر فمال هذا لنفسه لأنه لم يسبقه أحد ومال المتأخر للمحلل وللذي معه لأنهما سبقاه ، وإن جاء أحدهما ثم المحلل ثم الآخر فمال الآخر للأول لسبقه الاثنين .

خاتمة : ما يفعله العوام من الرهان على حمل كذا من موضع كذا إلى مكان كذا ، أو إجراء الساعي من طلوع الشمس إلى الغروب ، كل ذلك ضلالة وجهالة مع ما اشتمل عليه من ترك الصلاة وفعل المنكرات ، ذكره الدميري .

ولو تراهن رجلان على اختبار قوتيهما بصعود جبل ، أو إقلال صخرة ، أو أكل كذا ؛ فهو من أكل أموال الناس بالباطل وكله حرام ، ذكره ابن كج وأقره في «الروضة» .

(١) أخرجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما البخاري (٦٦٧٥) ، وأحمد ٢٠١/٢ ، والنسائي في «الصرى»

(٤٠١١) ، والدارمي ١٩١/٢ بلفظ : « الكبائر الإشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس ... » .

(لا يعقد اليمين مع أداته . إلا بذات الله) تعالى ، أي : بما يفهم منه ذات الباري ، سبحانه المراد بها الحقيقة من غير احتمال غيره ، أو باسم من أسمائه تعالى المختصة به (أو) صفة من (صفاته) تعالى (كقوله : والله لم أفعل كذا . وكبرياء الله لا فعلت ذا) . ولا فرق بين ما كان من أسمائه الحسنى أو من غيرها ، سواء كان اسماً مفرداً كقوله : والله ، أو مضافاً كقوله : رب العالمين ، ومالك يوم الدين ، أو لم يكن كقوله : والذي أعبد ، أو أسجد له ، أو أصلي له ، ولا يدين في ذلك . فلو قال : أردت به غير الله ، لم يقبل منه لا ظاهراً ولا باطناً ؛ لأن اللفظ لا يصلح لغيره . ومن الصفات المختصة به تعالى : العزة والجلالة والعظمة والعلم والقدرة والمشيئة ، كقوله : وعزته ، وجلاله ، وعظمته ، وعلمه ، وقدرته ، ومشئته ، وحقه ، والقرآن ، والمصحف ، وحرمة ، وكلامه ، وسمعه ، وبقائه ، فتعقد اليمين بكل منها ما لم يرد به غيره . كأن يريد بالعزة والجلال والعظمة والمشيئة والبقاء والكبرياء ظهور آثارها على الخلق ، وبالعلم المعلوم وبالقدرة المقدور وبالخلق العبادات ، وبالقرآن الخطبة والصلاة ، وبالمصحف الورق والجلد ، وبالكلام الحروف والأصوات الدالة عليه ، وبالسَّمع المسموع . أما اسم الله تعالى الغالب إطلاقه عليه ، وعلى غيره قليلاً ، كالرحيم والرب والمالك فتعقد يمينه بذلك إن قصدتها أو أطلق ، لا إن نوى بها غيره تعالى ؛ لأنها تستعمل في غيره مقيدة كرحيم القلب ، ورب الإبل ، ومالك النعم . وخرج باسم الله وصفته الخلف بغيرهما كالنبي والكعبة ، فلا تنعقد بل يكره . وقول الشخص : إن فعلت كذا فأنا يهودي ، أو : بريء من الله أو رسوله ، أو نحو ذلك فليس بيمين ، ولا يكفر به إن قصد تباعد نفسه عن الفعل أو أطلق ، وليل ندباً — كما صرح به النووي في « الأذكار » ص : ٥٦٧ — في نفسه : أستغفر الله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويستغفر الله تعالى ، وإن قصد الرضا بذلك إذا فعله كفر في الحال .

تنبيه : حروف القسم المشهورة : باء موحدة ، وواو ، وتاء فوقية ، كبالله وآله وتالله ولأفعلن كذا . وتختص التاء بالله ، والواو بالمظهر ، وتدخل الباء بالوحدة عليه وعلى المضمرة فهي الأصل ، ويلحقها الواو ، ولو قال : الله ، ورفع أو نصب أو جرّ فليس بيمين إلا بنية ، ولو قال : أقسمت ، أو : أقسم ، أو : حلفت ، أو : أحلف بالله لأفعلن كذا فيمين إن نواها أو أطلق . وإن قال : قصدت خبراً ماضياً أو مستقبلاً ، صدق باطناً ، وكذا ظاهراً على المذهب ، ولا يكون يميناً لاحتمال ما نواه . ولو قال لغيره : أقسم عليك بالله ، أو أسألك بالله لتفعلن كذا ، وأراد يمين نفسه فيمين ، ويستحب للمخاطب إبراره^(١) فيها وإلا فلا ، وتحمل على الشفاعة . واعلم أن اليمين

(١) لحديث البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بسبع ونهى عن سبع . أمر بعبادة المريض ، واتباع الجائز ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، وإجابة الداعي ، وإبرار القسم ، ونصر المظلوم . رواه البخاري (١٤٣٩) و (٦٦٥٤) ، ومسلم (٢٠٦٦) .

تصح على ماضٍ وغيره ، وتكره إلا في طاعة^(١) وفي دعوى مع صدق عند حاكم وفي حاجة كتوكيد كلام ، فإن حلف على ارتكاب معصية عصي بحلفه ولزمه حنث وكفارة^(٢) ، أو على ترك أو فعل مباح سن ترك حنثه ، أي : على ترك مندوب ، أو فعل مكروه سن حنثه وعليه بالحنث كفارة ، أو فعل مندوب أو ترك مكروه كره حنثه ، وله تقديم كفارة بلا صوم على أحد سببها كمنذور مالي . ومن حلف لا يفعل شيئاً معيناً ، كأن لا يبيع أو لا يشتري ، فأمر غيره ففعله أو فعل هو غيره لم يحنث كما أشار إليه بقوله : (لكن له توكيل من عده . في فعله وفعل ما سواه) أما في الأولى فلا لأنه حلف على فعله ولم يفعله هو ، إلا أن يريد الخالف استعمال اللفظ في حقيقته ومجازة ، وهو أن لا يفعله هو ولا غيره ، فيحنث بفعل وكيله فيما ذكر عملاً بإرادته . وأما في الثانية فلا أنه لم يفعل المخلوف عليه ، أما إذا فعل المخلوف عليه بأن باع أو اشترى لنفسه فإن كان عالماً مختاراً حنث ، أو جاهلاً أو مكروهاً لم يحنث . ولو حلف لا ينكح حنث بعقد وكيله له لا بقبول الخالف النكاح لغيره ؛ لأن الوكيل سفير محض ، ولهذا يجب تسمية الموكل . وقد أشار الناظم بقوله من زيادته : (وإن يوكل في النكاح لم يبر) وهذا ما جزم به في « النهاج » تبعاً لأصله وهو المعتمد .

فروع : لو حلف الإمام لا يضرب زيداً فأمر الجلاد بضربه لم يحنث ، أو حلف لا يبني بيته فأمر البناء ببنائه فبناه كذلك ، أو لا يخلق رأسه فأمر حلاقاً فحلقه لم يحنث . وقول الناظم : (والحنث في لغو اليمين مغتفر) أشار به إلى أنه لا شيء في لغو اليمين لقوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ [البقرة : ٨٩] أي : قصدتم . ولغو اليمين هو كما قالت عائشة رضي الله عنها : قول الرجل : لا والله ، وبلى والله . رواه البخاري موقوفاً [٦٦٦٣] . كأن قال ذلك في حال غضب أو لحاج أو صلة كلام . وجعل صاحب « الكافي » من لغو اليمين ما إذا دخل على صاحبه فأراد أن يقوم له فقال : لا والله^(٣) لا تقم لي ، وهو مما تعم به البلوى .

(١) لقوله تبارك وتعالى منها بكرامته : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ [القلم : ١٠] أي كثير الخلف بالباطل ، وهذا شأن الحقير الدنيء .

(٢) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير » أخرجه مالك ٤٨٧/٢ ، ومسلم (١٦٥٠) (١٢) .

(٣) وأخرجه أبو داود (٣٢٥٤) مرفوعاً .

(٤) أي بلا الناهية ، أو قالها بلا النافية : والله لا تقوم لي .

فروع : لو حلف على شيء وسبق لسانه إلى غيره كان من لغو اليمين . ثم زاد الناظم على أصله : (وقوله : والله لا أحدث . زيداً وعمراً مطلقاً لا يَحْتَجُّ * ما لم يكن لاثنيهما قد حدثا . لا واحدٍ فإنه لن يحدث) أشار به إلى أنه إذا حلف لا يحدث زيداً وعمراً فإنه لا يحدث إلا إذا حدثهما ، بخلاف ما إذا حدث أحدهما . ولو حلف لا يلبس هذين الثوبين لم يحدث بأحدهما ؛ لأن الحلف عليهما ، أو لا يلبس هذا ولا هذا حث بأحدهما .

فروع : لو حلف لا يأكل هذه التمرة فاختلفت بثمر فأكله إلا تمره لم يحدث ، أو ليأكلتها فاختلفت بثمر لم يبر إلا بأكل الجميع ، أو ليأكلن هذه الرمانة فإنما يبر بجميع حبها . ولو قال : لا آكلها ، فترك حبة لم يحدث . وقوله : (وَمَنْ بَالَ لِلتَّصَدَّقِ التَّزَمَ) أشار به إلى أنه إذا حلف بصدقة من ماله كقوله : لله علي أن أتصدق بمالي إن فعلت كذا ، أو أعتق عبدي . (فالواجب التكفير أو ما يُلْتَزَم) أي : فهو غير على أظهر الأقوال بين كفارة وبين فعل ما التزمه ، والأصل في ذلك خبر عقبة بن عامر رواه مسلم [١٦٤٥] : « كفارة النذر كفارة يمين » وهي لا تكفي في نذر التبرر بالاتفاق فتعين حمله على نذر اللجاج .

تنبيه : مثل ما مر قوله : العتق يلزمني ما أفعل كذا . ثم أشار إلى ضابط الحلف بقوله من زيادته : (والاعتبار باليمين الجاري . من قاصد مكلفٍ مختارٍ) فلا تتعدد بيمين اللغو كما مر ، ولا يمين الصبي والمجنون والمكره .

فروع : لو حلف لئثنين على الله عز وجل أحسن الثناء وأعظمه أو أجمله فليقل : لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك^(١) ، أو لِيَحْمَدَنَّ الله تعالى بمجامع المحامد أو بأجل التحاميد فليقل : الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده^(٢) .

(١) ورد في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٤٨٦) ، وأبي داود (٨٧٩) ، والترمذي (٣٤٩٣) ، والنسائي (١٠١/٧ — ١٠٢) ، وابن ماجه (٣٨٤١) . ولفظه : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . لا أحصي : لا أطيق ولا أتى عليه . قال مالك رضي الله عنه معناه : لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء عليك وإن اجتهدت في الثناء ، كما أثبت الاعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء ، وأنه لا يُقدر على بلوغ حقيقته ، فقدّر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر ، وسلطانة أعز ، وصفاته أكبر وأكثر ، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ . قال تعالى : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ ولن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .

(٢) ذكره هكذا النووي في « الأذكار » ص : ٢٠١ . ونقل عن أبي نصر التمار عن محمد بن النضر رحمه الله تعالى قال : قال آدم عليه السلام : يا رب شغلني بكسب يدي فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثاً ، وإذا أمسيت فقل ثلاثاً : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده . فذلك مجامع الحمد والتسبيح ، والله أعلم .

ثم شرع في صفة كفارة اليمين وقد اختصت من بين الكفارات بكونها بخيرة في الابتداء مرتبة في الانتهاء ، والصحيح في سبب وجوبها عند الجمهور الحنث واليمين معاً فقال :

(وألزموا إذا الحنث في التكفير ما شاء من ثلاثة أمور)
(إعتاق نفس لم تعيب مؤمنة في الفور أو إطعام أهل المسكنة)
(هم عشرة لكل شخص مُدَّ حَبٍّ أو كسوة ثوب لكل قد وجب)
(إن كان ذا مالٍ وإلا صاماً لعجزه ثلاثة أياماً)

(وألزموا) أي : العلماء (إذا الحنث) وهو الحرُّ الرشيد (في التكفير) أي : الكفارة لـ (ما شاء من ثلاثٍ أمور) فهو غير فيها ابتداءً بين فعل واحد من ثلاثة أمور^(١) : (إعتاق نفس لم تعيب) أي : بلا عيب يخل بعمل وكسب (مؤمنة . في الفور) أي : على الفور ، (أو إطعام) أي : تغليك (أهل مسكنة) ، و (هم عشرة) مساكين (لكل شخص) منهم (مُدَّ حَبٍّ^(٢)) من جنس الفطرة ، (أو كسوة ثوب لكل قد وجب) أو ما يسمى كسوة مما يعتاد لبسه ولو عمامة أو إزاراً أو طيلساناً^(٣) ، لا ما لا يسمى كسوة فإنه لا يجزئ كدرع من حديد . وخرج بقوله : هم عشرة ، ما إذا أطعم خمسة وكسا خمسة ، فإنه لا يجزئ كما لا يجزئ إعتاق نصف رقبة أو إطعام خمسة . هذا (إن) كان المكفر (ذا مال) ، وإلا بأن لم يجد شيئاً من الثلاثة لعجزه عن كلٍّ منها فإنه يجب عليه صوم ثلاثة أيام كما قال : (وإلا صاماً . لعجزه ثلاثة أياماً) والمراد بالعجز أن لا يقدر على المال الذي يصرفه في الكفارة ، كمن يجد كفايته وكفاية من تلزمه مؤونته فقط ولا يجد ما يفضل عن ذلك ، فلا يُكفّر عبد بمال إلا إذا ملكه سيده طعاماً أو كسوة وقلنا : يملك بتمليكك ، وكان حلف وحنث بإذن سيده ، فمهما صام بلا إذن منه أو وجد بلا إذن لم يصم إلا بإذن منه ، وإن أذن في أحدهما فالأصح اعتبار الحلف : فإن كان الحنث بإذن صام بلا إذن ، وإن كان بغير إذن لم يصح إلا بإذن .

تنبيه : لا يجب تتابع في الصوم لإطلاق الآية .

(١) لقوله تبارك وتعالى : ﴿ فكفارة إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ﴾ [المائدة : ٨٩] ، وقال تعالى في [سورة النمل : ٩١] : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ أي : بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين ، بخلاف لغو اليمين .

(٢) ويقدر بـ (٥٥٠) غراماً ، أو مكعباً طول ضلعه ٩,٢ سم^٣ .

(٣) ويستحب أن يكون الثوب جديداً لقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] . ولا يجزئ ما لا يسمى كسوة ، ولا يشترط أن يكون عتيقاً .

تحاشة: في فروع تتعلق بالباب: حلف لا يسكن هذه الدار ولا يقيم فيها وهو فيها: يخرج في الحال، فإن مكث بلا عذر حنث، وإن بعث متاعه وإن اشتغل بأسباب الخروج كجمع متاع وإخراج أهل وليس ثوب للخروج لم يحنث. ولو حلف لا يسكنه في هذه الدار فخرج أحدهما في الحال لم يحنث، وكذا لو بنى بينهما جداراً ولكل جانب مدخل في الأصح. ولو حلف لا يدخلها وهو فيها أو لا يخرج وهو خارج فلا حنث. ومن حلف لا يدخل داراً حنث بدخول دهلز داخل أو بين باين، لا بدخول طاق معقود قدام الباب، ولا بصعود سطح من خارجها غير محوط، وكذا محوط من الجوانب الأربعة في الأصح. ولو حلف لا يدخل دار زيد حنث بدخول ما يسكنها بملك، لا بإعارة وإجارة وغصب، إلا أن يريد بداره مسكنه، فيحنث بما يملكه وغيره ويسكنه. وفروع هذا الباب كثيرة، وفي هذا كفاية لمن وفقه الله تعالى.

باب النذر

هو - بذال معجمة ساكنة، وحكي فتحها - لغة: الوعد بخير أو شر. وشرعاً: الوعد بخير خاصة. وقال بعضهم: هو التزام قرينة لم تتعين كنفل أو فرض كفاية.

والأصل فيه آيات كقوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الدحر: ٧] وقوله جل شأنه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠] وأخبار كخير البخاري [٦٦٩٦] عن عائشة رضي الله عنها: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه».

وأركانها ثلاثة: صيغة، ومنذور، وناذر.

ويشترط في الناذر: الإسلام، والاختيار، ونفوذ التصرفات.

(نذر الجزاء فرض كأن يعلقاً صلاة أو صياماً أو تصدقاً)
(بجائز أو طاعة نحو الشفا من سقم أو زيارة للمصطفى)
(كأن شفاني الله من أسقام أو زرت طه صمت نصف عام)
(فيلزم المنذور أو ما يصدق عليه ذاك الاسم حيث يطلق)
(لا في حرام نحو إن جنيت يقتل زيد صمت أو صليت)
(ولا مباح نحو ذا الطعام علي أو هذا القبا حرام)

(نذر الجزاء) ع (فرض) بناء على أنه يسلك به مسلك واجب الشرع وهو ما صححه الشيخان، وفي كون النذر قرينة أو مكروهاً خلاف، والذي رجحه ابن الرفعة أنه قرينة في نذر التبرر دون غيره، وهو أولى ما قيل فيه.

ثم بين نذر الجزاء^(١) والتبرر^(٢) بقوله: (كأن يعلقاً صلاة أو صياماً أو تصدقاً * بجائز أو

(١) ويقال له: اللجاج والغضب أيضاً. وهو ما علق بجلب نعمة أو دفع نعمة كأن شفى الله مريضاً فعلي كذا؛ فيجب الوفاء به عند حصول المعلق.

(٢) وهو ما لا يعلق بشيء فيجب الوفاء به حالاً كنذر صوم يوم فيجب الوفاء به ما لم يكن صومه محرماً كيوم عياد، أو كانت حائضاً.

تتمة:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رسول الله ﷺ: «من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث» رواه ابن حبان (٤٣٤٠). بمسند صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان بين النبي ﷺ التي يحلف عليها: «لا ومقلب القلوب» رواه البخاري (٦٦٢٨)، وابن حبان (٤٣٣٢).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير»، وليترك يمينه «رواه مسلم (١٦٥١) (١٦)، وفي لفظ (١٥): «من حلف على يمين، ثم رأى ما هو أنقى لله منها، فليأت التقي».

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الحلف حنث أو ندم». رواه الحاكم ٣٠٣/٤.

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه ابن حبان (٤٣٥٨) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

والمراد بالشرك هنا: الشرك العملي الذي لا يتقبل المثلث به عن الملة، وليس الشرك الاعتقادي.

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومن حلف بالأمانة فليس منا» رواه أحمد ٣٥٢/٥، والحاكم ٢٩٨/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

طاعة) مقصودة لم تعين (نحو الشفاء) (من سقم أو زيارة للمصطفى ﷺ كقوله: (إن شفائي الله من أسقام) أو شفي مريض أو قديم غائبي، (أو زرت طه) ﷺ (صمت نصف عام) أو صليت كذا وكذا ركعة، أو تصدقت بكذا (فيلزم المنذور) بعد حصول المعلق عليه (أو ما يصدق. عليه ذاك الاسم حيث يُطلق) الصلاة أو الصوم أو الصدقة، وهو في الصلاة ركعتان في الأظهر بالقيام مع القدرة حملاً على أقل واجب الشرع، وفي الصوم يوم واحد؛ لأنه اليقين فلا يلزمه زيادة علمه، وفي الصدقة ما يتموّل شرعاً.

واعلم أن نذر المجازاة وهو المعلق بشيء نوع من التبرُّ كما تقرر، وعلم من صنيع الناظم أنه يشترط في الصيغة لفظ يُشعر بالالتزام.

تنبيه: لو نذر غير القرية المذكورة من واجب عليه متعين كصلاة الظهر، أو خير كأحد خصال كفارة اليمين ولو معينة، أو معصية كشراب خمر وصلاة بحدّث، أو مكروه كصوم الدهر لمن خاف به ضرراً، أو فوت حقٍّ لم يصح نذره.

ولما كان النذر لا يصح في معصية الله تعالى بين ذلك الناظم بقوله: (لا في حرام نحو إن جنيت. بقتل زيد صمت أو صليت) وذلك لخبر مسلم [١٦٤١] عن عمران رضي الله عنه: «لا نذر في معصية الله تعالى، ولا فيما لا يملكه ابن آدم»^(١) ولخبر البخاري المتقدم، (ولا) يتعقد النذر في (مباح) أي: تركه وفعله (نحو ذا الطعام. عليّ أو هذا القبا حرام) وفسر في

(١) وكذا نذر ما لا يطيقه الإنسان فقد روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: نذرت أخيتي أن تمشي إلى بيت الله، وأمرتني أن استفتي لها رسول الله ﷺ فقال: «تمشي، ولتركب» زاد مسلم: «حافية». رواه البخاري (١٨٦٦)، ومسلم (١٦٤٤)، قال في «الفتح» ٨٠/٤: في رواية عبد الله بن مالك: «مرها فلتختم ولتركب ولنصم ثلاثة أيام» فإن الأمر بصيام ثلاثة أيام هو أحد أوجه كفارة اليمين — لحديث عقبة بن عامر: «كفارة النذر كفارة يمين» وتقدم — لكن وقع في رواية عكرمة: «فلتركب ولتهد بدنة» وعند أبي داود: «ولتهد هدياً». قال في «الفتح» ٥٨٩/١١: وفي الحديث صحة النذر بإتيان البيت الحرام فإن ركب بعذر أجزاءه، ولزمه دم — أي شاة — في أحد قولي الشافعي وهو المتمد، وكذا مذهب أبي حنيفة رحمهما الله. وانظر تفصيله في هذه المسألة فإنها جد مهم لمن أراد التوسع. وروى البخاري (١٨٦٥) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يهادي بين ابنيه قال: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي قال: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لفي» وأمره أن يركب.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٧٩/٤: زاد أحمد عن الأنصاري عن حميد: فركب. وإنما لم يأمره بالوفاء بالنذر إما لأن الحج راكباً أفضل من الحج ماشياً، فنذر المشي يقتضي التزام ترك الأفضل فلا يجب الوفاء به، أو لكونه عجز عن الوفاء بنذره وهذا هو الأظهر. وعن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال النبي ﷺ: «مرّة فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه». رواه البخاري (٦٧٠٤) قال القرطبي: في القصة أوضح الحجج للجمهور في عدم وجوب الكفارة على من نذر ما لا طاعة فيه.

«الروضة» وأصلها المباح بما لم يرد فيه ترغيب ولا ترهيب، وزاد في «المجموع» على ذلك واستوى فعله وتركه شرعاً كنوم وأكل، وسواء قصده بالنوم النشاط على التهجّد بالأكل التقوي على العبادة أم لا على المعتمد.

فائدة: في فتاوى بعض المتأخرين أنه يصح نذر المرأة لزوجها بما وجب لها عليه من حقوق الزوجية، ويرأ الزوج وإن لم تكن عالمة بالمقدار.

فروع: من نذر إتمام نفل لزمه، أو نذر صوم بعض يوم لم يتعقد. ولو نذر زيتاً أو شمعاً لإسراج مسجد أو غيره أو وقف ما يُشترَيان به من غلته صحّ كلّ من النذر والوقف إن كان بداخل المسجد أو غيره من ينتفع به من نحو مُصلٍّ أو نائم، وإلا لم يصح لأنه إضاعة مال.

تتمّة: لو نذر حجاً في سنة معينة فمنعه عدو أو ذو سلطان فلا قضاء عليه، ولو نذر أضحية بعينها فماتت فلا قضاء عليه. قال في «صفوة الزبد» كما في «مواهب الصمد» [ص: ١٥٢] ومن يعلق فعل شيء بالغضب أو ترك شيء بالتزامه القرب إن وجد المشروط ألزم من حلف كفارة اليمين مثل ما سلف كما أفتى به الإمام الشافعي وبعض أصحاب له كالرافعي أما النووي فقال خيراً ما بين تكفير وما قد نذرا

كتاب القضاء

وهو لغة : إمضاء الشيء وإحكامه . وشرعاً : فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى . والأصل فيه آيات كقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] وقوله تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] وأخبار كخبر الصحيحين : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » ، وفي رواية : « فله عشرة أجور »^(١) . قال النووي في « شرح مسلم » : أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم ، فإن أصاب فله أجران باجتهاده وإصابته ، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده في طلب الحق . أما من ليس أهلاً للحكم فلا يحل له أن يحكم ، وإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ، ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا ؛ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي ، فهو عاصٍ في جميع أحكامه ، وسواء وافق الصواب أم لا ، وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك . وقد روى الأربعة والحاكم والبيهقي^(٢) أن النبي ﷺ قال : « القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة ، فرجل عرف الحق ف قضى به ، واللذان في النار : رجل عرف الحق فجار في الحكم ، ورجل قضى للناس على جهل » . فالقاضي الذي ينفذ حكمه هو الأول ، والثاني والثالث لا اعتبار بحكمهما .

(على الإمام نصب قاضٍ يحكم بين العباد وهو حرّ مسلم^(٣))

(١) متفق عليه ؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) .

(٢) أخرجه عن ابن عمرو رضي الله عنهما الدارقطني ٢٠٣/٤ ، والحاكم ٨٨/٤ ، وابن حزم في « المنتخب » (٢٩٢) . وفيه فرج بن فضالة ضعيف .

(٣) رواه عن بريدة رضي الله عنه أبو دود (٣٥٧٣) ، والترمذي (١٣٢٢) ، والنسائي (٥٩٢٢) في « الكبرى » ، وابن ماجه (٢٣١٥) ، الحاكم ٩٠/٤ ، وصححه على شرط مسلم ، والبيهقي في « السنن » ١١٦/١٠ — ١١٧ .

(٤) قال شيخنا رحمه الله تعالى : اتفق الأئمة على أن الإمامة فرض ، وأنه لا بدّ للمسلمين من إمام يقيم الحدود وينصف المظلومين ... وأن للإمام أن يستخلف ولا خلاف في جواز ذلك ، وأن الإمامة لا تجوز لامرأة ولا كافر ولا صبي . وأن الإمام الكامل تجب طاعته في كل ما يأمر به ما لم يكن معصية ، وأن القتال دونه فرض ، وأحكام من ولاه نافذة ...

(مكلفٌ عدلٌ بسمع وبصر ونطقٍ أيضاً متيقظٌ ذكر)
(وكونه مجتهداً بأن عرف في النحو والتصريف واللغة طرف^(١))
(ومن كتاب الله والحديث ما يدري به أحكام كل منهما)
(كالنسخ والعموم والإجمال مع علمه بطرق الاستدلال)
(وموضع الإجماع والخلاف فمثل هذا للقضاء كافي)
(لا فاسق إلا إذا ولاه ذو شوكة فليعتبر قضاءه)

اعلم أن تَوَلَّى القضاء فرض كفاية في حق الصالحين له في الناحية ، وأما تولية الإمام لبعضهم ففرض عين كما قال : (على الإمام نصب قاضٍ يحكم . بين العباد وهو حرّ مسلم) فمن تعيّن له في ناحية لزمه طلبه ولزمه قبوله ، ولا يجوز أن يلي القضاء إلا من اجتمعت فيه أمور :

أحدها : الحرية ، فلا يجوز ولاية رقيق لنقصه . ثانيها : الإسلام ، فلا يصح ولاية كافر ولو على كافر . ثالثها ورابعها : البلوغ والعقل كما قال : (مكلف) فلا يصح ولاية غير المكلف لنقصه . خامسها : (عدل) فلا تصح ولاية فاسق . سادسها : أن يكون سمياً كما قال : (بسمع وبصر) أي : ولو بصياح في أذنه ، فلا يَتَوَلَّى أصمٌ لا يسمع أصلاً ، فإنه لا يفرق بين إنكار وإقرار . سابعها : أن يكون بصيراً فلا يَتَوَلَّى أعمى ، ولا من يرى الأشباح ولا يعرف الصور ؛ لأنه لا يعرف الطالب من المطلوب ، فإن كان يعرف الصور إذا قُرِبَتْ منه صحّ ، أما الأعور فإنه يصح توليته . ثامنها : أن يكون ناطقاً كما قال الناظم من زيادته : (ونطقٌ أيضاً) فلا يصح تولية الأخرس على الصحيح لأنه كالجهاد . تاسعها : أن يكون متيقظاً كما قال : (متيقظٌ ذكر) على رأي مرجوح ، والمجزوم به في « الروضة » وغيرها الاستحباب . عاشرها : أن يكون ذكراً ، فلا تصح ولاية امرأة^(٢) . حادي عشرها : (وكونه مجتهداً بأن) يد (عرف . في النحو والتصريف

(١) قال الوزير ابن هبيرة في « الإنصاح » ٤٧٦/٢ — ٤٧٨ : والصحيح في هذه المسألة أن من شرط الاجتهاد إما عني به ما كانت الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة ، التي أجمعت الأمة على أن كل واحد منها يجوز به ، لأنه مستند إلى سنة رسول الله ﷺ ، فالقاضي الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ، ولا سعى في طلب الأحاديث وانتقاد طرقها وعرف من لغة الناطق بالشرعية ﷺ ما لا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه ، وغير ذلك من شروط الاجتهاد ، فإن ذلك مما قد فرغ له منه ، ودأب فيه فيه سواه ، وانتهى الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين إلى ما أراحوا به من بعدهم ، وانحصر الحق في أقوالهم وتداولت العلوم وانتهى إلى ما انتضح فيه الحق ، وإمّا على القاضي في أقضيته أن يقضي بما يأخذه عنهم ، أو عن الواحد منهم ، فإنه في معنى من كان أداه اجتهاده إلى قول قائله ، وعلى ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ... إلى أن قال : فإن غالب شروط الاجتهاد الآن قد فقدت في أكثر القضاة ، هذا كالإحالة والتلفظ ، وكأنه تعطيل للأحكام وسد لباب الحكم ، وهذا غير مُسلم ، بل الصحيح في المسألة أن ولاية الحكام جائزة ، وأن حكوماتهم صحيحة نافذة وإن لم يكونوا مجتهدين والله أعلم .

(٢) لحديث أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة » . رواه البخاري (٤٤٢٥) (٧٠٩٩) .

واللغة طرف « ومن كتاب الله والحديث ما . يدري به أحكام كل منهما) والمعنى : تشتط معرفة أحكام الكتاب العزيز ومعرفة السنة على طريق الاجتهاد ، فلا يشترط حفظ آياتها ولا أحاديثها المتعلقة بها عن ظهر قلبه . فمن أنواع الكتاب والسنة الناسخ والمنسوخ والعالم والمجمل كما قال من زيادته : (كالنسخ والعموم والإجمال) ومن ذلك : الخاص والمبين والمطلق والمقيّد والنص والظاهر ، ومن أنواع السنة : المتواتر والآحاد والمتصل وغيره ، ويعرف حال الرواة قوة وضعفاً (مع علمه بطرق الاستدلال^(١)) الموصلة إلى مدارك الأحكام الشرعية (وموضع الإجماع والخلاف) أي : فيعرف أقوال الصحابة فمن بعدهم إجماعاً واختلافاً لئلا يقع في حكم أجمعوا على خلافه . وقوله : (فمثل هذا للقضاء كافي) تميم وإيضاح .

تنبيه : يكفي أن يعرف في المسألة التي يفتي أو يحكم فيها أن قوله لا يخالف الإجماع فيها ، إما يعلمه بموافقة بعض المتقدمين ، أو يغلب على ظنه أن تلك المسألة لم يتكلم فيها الأولون بل تولدت في عصره كما علم من كلام الناظم ، فقضية كلام الأصل أنه يشترط معرفة ذلك وليس مراداً .

تنبيه آخر : لا يشترط أن يكون متبحراً في هذه العلوم حتى يكون في النحو كسيبويه أو في اللغة كالخليل ، بل يكفي معرفة جمل منها كما أفاده الناظم بقوله : طرف . قال ابن الصباغ : إن هذا سهل في هذا الزمان ، فإن العلوم قد دوّنت .

واعلم أن اجتماع هذه العلوم إنما يشترط في المجتهد المطلق ، وهو الذي يفتي في جميع أبواب الشرع . أما المقلد للمذهب إمام خاص فليس عليه غير معرفة قواعد إمامه^(٢) وليراع فيها ما يراعي المجتهد المطلق في قوانين الشرع ، فإنه مع المجتهد كالمجتهد مع نصوص الشرع ، ولهذا ليس له أن يعدل عن نص إمامه كما لا يسوغ له الاجتهاد مع النص . ثم اعلم أنه يجوز تبعض الاجتهاد بأن يكون العالم مجتهداً في باب دون باب ، فيكفيه علم ما يتعلق بالباب الذي يجتهد فيه . ويشترط أن

(١) قال الناظم في «تسهيل الطرقات» لنظم الورقات :

النسخ : نقل أو إزالة كما
وحلّه رفع الخطأ بالاجتناب

والعام : هو ما يعم أكثر من واحد من غير حصر . كما قال أيضاً :

وحلّه لفظ يعصم أكثر من واحد من غير حصر

والجمل : هو ما احتاج للبيان . قال رحمه الله :

ما كان محتاجاً إلى البيان
إخراجاً من حائل الإشكال

(٢) لأن من قواعد المناظرة العقلية : إذا كنت ناقلاً فالصحة . وأما المجتهد فيقال : له : إذا كنت مدعيّاً فالدليل .

يكون في القاضي كفاية للقيام بأمر القضاء ، فلا يؤلّى مختلٌ بنظر بكبير أو مرض أو نحو ذلك ، فإن تعذر في شخص جميع هذه الشروط السابقة فولى سلطان له شوكة فاسقاً أو مقلداً مسلماً نفذ قضاؤه للضرورة كما أشار إليه الناظم بقوله من زيادته : (لا فاسق إلا إذا ولاه . ذو شوكة فليعتبر قضاءه) .

فرع : يجوز تحكيم اثنين — فأكثر أهلاً — للقضاء في غير عقوبة الله تعالى ولو مع وجود قاض ، وقول الناظم : ونطق أيضاً ؛ بدرج الهمة ، وقوله : واللغة ؛ بسكون الهاء ، وقوله : طرف ؛ بالوقف للوزن . وقوله : طُرُق ؛ بسكون الراء .

(ويستحب كونه وسط البلد وأن يكون بارزاً لمن قصد)

(بمجلس حرّاً وبرداً معتدلاً متسع بغير مسجد يجعل)

اعلم أنه (ويستحب) للقاضي (كونه) يبحث عن حال علماء المحل وعدوله قبل دخوله^(١) ، وأن يدخل يوم الإثنين فخميس فسبت ، وأن يجلس للقضاء في (وسط البلد) ليتساوى أهله في القرب منه ، هذا إن اتسع ، وإلا نزل حيث تيسر (وأن يكون بارزاً) أي : ظاهراً (لمن قصد) هـ من مستوطن وغريب (بمجلس حرّاً وبرداً معتدلاً) بأن يكون في الصيف في مهب الريح وفي الشتاء في كبر ، وأن يكون مجلسه (متسع) أ . ولا يقعد للقضاء في المسجد كما قال : (بغير مسجد جعل) فيكره اتخاذه مجلساً للحكم صوناً عن ارتفاع الأصوات واللغط الواقعتين بمجلس القضاء عادة ، ولو اتفقت قضية أو قضايا وقت حضوره فيه لصلاة أو غيرها فلا بأس بفصلها .

تنبيه : يكره للقاضي أن يتخذ حاجباً حيث لا زحمة وقت الحكم^(٢) ، فإن كان في وقت خلواته أو كان ثم زحمة لم يكره نصبه . ويسن أن يجلس على مرتفع كمنصة ، وأن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس . وقول الناظم : حرّاً وبرداً ؛ منصوبان بنزع الخافض . ثم شرع الناظم في التسوية بين الخصمين فقال :

(وليسو بين صاحبي خصام في اللحظ والجلوس والكلام)

(١) لأجل المشاورة عند اختلاف وجه النظر وتعارض الآراء لقوله تعالى لبيبه ﷺ : ﴿ وشارهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

(٢) لحديث أبي مريم الأودي : « من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله تعالى عنه دون حاجته وخلته وفقره » . رواه أبو داود (٢٩٤٨) ، والترمذي (١٣٣٢) ، والحاكم ٩٣/٤ وقال : صحيح الإسناد . الحلة : الحاجة .

(وَلْيَسِّرُوا) القاضي وجوباً على الصحيح (بين صاحبي خصام) في أمور: أحدها (في اللحظ) بالطاء المشالة وهو النظر بمؤخر العين كما في «الصحيح». (و) ثانياً: (في الجلوس) فيسوي بينهما فيه بأن يجلسهما بين يديه، أو أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، والجلوس بين يديه أولى. والصحيح جواز رفع مسلم على ذمي في المجلس لأن: «الإسلام يعلو ولا يعلو عليه». (و) ثالثاً: (في الكلام) أي: في استماعه منهما لئلا ينكسر قلب أحدهما، وليسوا بينهما في سائر أنواع الإكرام.

(و) ولم يجز قبوله لما حصل هدية من أهل ذلك العمل (أو غيرهم ممن لهم خصومه أو كان فوق عادة قديمه)

(و) ولم يجز قبوله لما حصل (أي: لا يجوز للقاضي أن يقبل الهدية) وإن قلت (من أهل ذلك العمل)* أو من غيرهم ممن لهم خصومة. أو كان فوق عادة قديمه (إيضاح ذلك وتقريره: أنه لا يجوز له أن يقبل هدية، فإن أهدى إليه من له خصومة في الحال عنده سواء كان ممن كان يهدي إليه قبل الولاية أم لا، وسواء كان من أهل عمله أم لا؛ حرم عليه قبولها. وإن أهدى إليه من لم يكن له خصومة لكنه لم يُهدَ إليه قبل ولايته للخصم حرم عليه أيضاً. أما في الأولى فلخير: «هدايا العمال غلول»^(١) وفي رواية: «هدايا السلطان سحت وغلول»^(٢)، ولأنها تدعو إلى الميل إليه وينكسر بها قلب خصمه. وأما في الثانية فلأن سببها العمل ظاهراً، ولا يملكها في صورتين لو قبلها، ويردّها على مالكها فإن تعذر وضعها في بيت المال. أما لو أهدى إليه من لا خصومة له وكان يهدي إليه قبل ولايته جاز له قبولها إن كانت الهدية بقدر العادة السابقة، والأولى إذا قبلها أن يردها أو يثيب عليها؛ لأن ذلك أبعد عن التهمة.

تفصيل: الضيافة والهبة كالهبة، ويجرم قبول الرشوة وهي ما يبذل للقاضي ليحكم بغير الحق، ولتجنب من الحكم بالحق لخبر: «لعن الله الراشي والمرتشى في الحكم»^(٣).

(١) رواه عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه بإسناد حسن أحمد ٤/٢٤٤، والبيهقي ١٠/١٢٨. لكن ضعفه الحافظ في التلخيص ٤/١٨٩.

(٢) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه الخطيب في «تلخيص المشابه» ١/٣٣١، وابن عساكر في «التاريخ» كما في «التهديب» ٤/٣٩٨. السحت: الحرام. الغلول: الخيانة والسرقة.

(٣) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أحمد ٢/٣٨٧، والترمذي (١٣٣٦) وقال: حسن، وابن حبان (٥٠٧٦) بإسناد حسن، ومن حديث ابن عمرو رضي الله عنهما أخرجه أحمد ٢/١٦٤، والترمذي (١٣٣٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود (٣٥٨٠)، وابن ماجه (٢٣١٣)، والحاكم ٤/١٠٢ — ١٠٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(ويكره القضاء حالة الغضب والحر والبرد الشديد والتعب)
(والحزن والسرور والأوجاع كمرض وشهوة الجماع)
(وفي الظما والجوع والنعاس وما يبسي خلقه للناس)
(يكره القضاء) في مواضع ضابطها: كل حالة يتغير فيها خلقه وكأله عقله.

أحدها: (حالة الغضب) لخبر الصحيحين: «لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان»^(١) ثم لا فرق بين أن يكون الغضب لله تعالى أو لا.

ثانيها (و) ثالثاً: حالة (الحر والبرد الشديد).

(و) رابعها: حالة (التعب) كما في «الروضة».

(و) خامسها: حالة (الحزن) المفرط في معصية أو في غيرها.

(و) سادسها: حالة (السرور) المفرط.

(و) سابعها: حالة (الأوجاع كمرض) مؤلم كما قيد به في «الروضة».

(و) ثامنها: حالة (شهوة الجماع).

(و) تاسعها: في حالة (الظما) أي: العطش المفرط.

(و) عاشرها: في حالة (الجوع) المفرط^(٢).

(و) حادي عشرها: في حالة (النعاس) أي: غلبته. ثم أشار الناظم إلى الضابط المتقدم بقوله: (وما يبسي خلقه للناس). ويكره أيضاً عند مدافعة الأختين، وعند الخوف المزعج، وإنما يكره القضاء في هذه الأحوال لتغير الخلق والعقل فيها، فلو خالف وقضى فيها نفذ قضاؤه كما جزم به في «الروضة».

(وماله أن يسأل الذي ادّعي عليه إلا بغد دعوى المدّعي)
(ولا له تحليفه إذا نكل حتى يكون المدّعي في ذا سأل)

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه رواه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

(٢) خبر أبي سعيد الخدري: «لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريان» رواه الدارقطني ٤/٢٠٦، والبيهقي في «السنن» ١٠/١٠٥ — ١٠٦. وفيه القاسم العمري وهو متهم بالوضع. قال ابن اللقن في «الخلاصة» (٢٨٥٩) «ضعفه البيهقي وابن القطان».

(ولا يلقن حجة لواحدٍ ولا له تعنتٌ في الشاهد)
 (بل حيث ما قد أثبت عدالته بأن يزكي جوزت شهادته)
 (ولم تجز على عدوٍ بل له وعكسه اجعل فرعه وأصله)

اشتملت هذه الآيات على مسائل : **إحداها** : لا يجوز للقاضي أن يسأل المدعى عليه إلا بعد كمال الدعوى . **ثانيها** : لا يحلف المدعى عليه إلا بعد سؤال المدعى ، فلو حلفه قبل سؤاله لم يعتد به فعلى هذا يقول القاضي للمدعى : **حلفه وإلا فاقطع طلبك عنه** . (و) **ثالثها** : (لا يلقن) القاضي (حجة لواحد) من الخصمين يستظهر بها على خصمه ، فيحرم عليه ذلك لإضراره به . (و) **رابعها** : (لا له تعنت في الشاهد) أي : لا يشقُّ عليه كأن يقول له : **أشهدت ؟** و : ما هذه الشهادة ؟ ربما يؤدي إلى تركه الشهادة فيتضرر المَشْهُود له بذلك (بل حيث ما قد أثبتت عدالته) أي : الشاهد (بأن يزكي جُوزت شهادته) فلا يقبل القاضي الشهادة إذا لم يعرف عدالة الشاهد إلا ممن ثبتت عدالته عند حاكم سواء طعن الخصم فيه أم سكت عنه ؛ لأنه حكم بشهادة فيتضمن تعديله ، والتعديل لا يثبت إلا بالبينه . (و) **خامسها** : (لم تجز) شهادة عدوٍ (على عدوٍ) ه لقوله ﷺ : « لا تقبل شهادة ذي غمر على أخيه » رواه أبو داود [٣٦٠١] بإسناد حسن^(١) . والغمر بكسر الغين : الغلُّ والحقد ، ولما في ذلك من التهمة (بل) تجوز (له) . قال الشاعر :

والفضل ما شهدت به الأعداء

وعدوُ الشخص . من يحزن بفرحه ، ويفرح بحزنه .

تنبيه : المراد بالعداوة الدنيوية الظاهرة ؛ لأن الباطنة لا يطلع عليها إلا الله تعالى ، ولا يشترط ظهور العداوة بل يكفي ما دلَّ عليها من الخاصة ونحوها كما قاله البلقيني ناقلاً له عن نص « المختصر » . أما العداوة الدنيوية فلا توجب ردَّ الشهادة . **سادسها** : لا تقبل شهادة والد وإن علا لولده وإن سفل ، ولا شهادة ولد وإن سفل لوالده وإن علا للتهمة ، وتقبل شهادة الوالد على ولده وعكسه ، وهذا معنى قوله : (وعكسه اجعل فرعه وأصله) وتقبل الشهادة لكل من الزوجين على الآخر .

تنبيه : علم من كلام الناظم كأصله أن ما عدا الأصل والفرع من حواشي النسب تقبل شهادة بعضهم لبعض فتقبل شهادة الأخ لأخيه وهو كذلك .

(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ، ولا زان ولا زانية ، ولا ذي غمر على أخيه ، ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت ، وتجاوز شهادة بغيرهم » . ورواه أحمد ٢٠٤/٢ أيضاً بألفاظ متغاربة . القانع : الذي ينفق عليه أهل البيت .

(ويحكم القاضي على من غابا للجدد وليكتب به كتابا)
 (يُنهى لقاضي بلدة المطلوب ما قد جرى في ذلك المكتوب)
 (مع شاهدين يشهدان بالقضا وليعمل الثاني بكل ما اقتضا)

ذكر في هذه الآيات حكم القضاء على الغائب ، وهو جائز إن كان عليه بينة وادعى المدعي جحوده . فإن قال : هو مقرٌّ ، لم تسمع بينته ولغت دعواه ، وإن أطلق فالأصح أنها تسمع . وإن ثبت مال على الغائب وله مال حاضر قضاه الحاكم منه ، وإلا بأن سأل المدعي إنهاء الحال في ذلك إلى قاضي بلد الغائب أجابه ، وهذا معنى قول الناظم : (ويحكم القاضي على من غابا . للجدد) وتقرير بقية الآيات : أنه لا يقبل القاضي كتاب قاضٍ كتبه إلى قاضٍ ولو غير معين ، أي : لا يعمل به فيما أنهاه فيه من الأحكام كأن حكم فيه لحاضر على غائب بدين إلا بعد شهادة شاهدين عدلين يشهدان عند من وصل إليه من القضاة بما في الكتاب من القضاء والحكم . وصورة الكتاب كما هو حاصل كلام « الروضة » : حضر فلان وادعى على فلان الغائب المقيم ببلد كذا بدين ، وحكمت له بحجة أوجبت الحكم ، وسألني أن أكتب إليك بذلك كتاباً فأجبت ، وأشهدت بالحكم شاهدين ؛ ويسميها إن لم يعدلها ، وإلا فله تسميتهما ، ويسن ختمه بعد قراءته على الشاهدين بحضرته ويقول : أشهدكما أنني كتبت إلى فلان بما سمعتهما ، ويضعان خطيهما فيه . ولا يكفي أن يقول : أشهدكما أن هذا خطي وأن ما فيه حكمي ، ويدفع للشاهدين نسخة أخرى بلا ختم ليطالعاها ويتذكرا عند الحاجة ، ويشهدان عند القاضي الآخر على القاضي الكاتب بما جرى عنده من ثبوت أو حكم إن أنكر الخصم المحضر أن المال المذكور فيه عليه . فإن قال : ليس المكتوب اسمي ، صدق بيمينه إن لم يعرف به ؛ لأنه أخبر بنفسه والأصل براءة الذمة ، فإن عرف به لم يصدق بل يحكم عليه . أو قال : لست الخصم ، وقد ثبت بإقراره أو بحجة أنه اسمه حكم عليه إن لم يكن ثمَّ من يشركه فيه ، أو كان ولم يعاصر المدعي لأن الظاهر أنه المحكوم عليه ، فإن كان ثمَّ من يشركه فيه وعاصر المدعي ؛ فإن مات أو أنكر الحق بعث المكتوب إليه للكاتب ليطلب من الشهود زيادة تمييز للمشهود عليه ويكتبها وينبها ثانياً لقاضي بلد الغائب ، فإن لم يجد زيادة تمييز وقف الأمر حتى ينكشف ، فإن اعترف المشارك بالحق طوبى له ، ويعتبر أيضاً مع المعاصرة إمكان المعاملة كما صرح به البندنجي وغيره . واعلم أن الإنهاء ولو بغير كتاب يحكم بمضي مطلقاً عن التقيد بفوق مسافة العدوى . والإنهاء بسماع حجة يقبل فيما فوق مسافة عدوى لا فيما دونه . وفارق الإنهاء بالحكم أن الحكم قد تمَّ ولم يبق إلا الاستيفاء ، بخلاف سماع الحجة إذ يسهل إحضارها مع القرب ، والعيبة المسافة بما بين القاضيين لا بما بين القاضي المهني والغريم ، وسميت بذلك لأن القاضي يعدي أي : يعين من طلب خصماً منها على إحضاره . هذا حاصل كلام الناظم والألف في قوله : غابا ؛ للإطلاق .

باب القسمة

هي — بكسر القاف — : تميز بعض الأنصبة من بعض . والقَسَام : الذي يقسم الأشياء بين الناس . قال لبيد :

فارضوا بما قسم المليك فإنما قسم المعيشة بيننا قسَامها

والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾ [النساء: ٨٠] الآية ، وكان ﷺ يقسم الغنائم بين أربابها . رواه الشيخان^(١) ، والحاجة داعية إليها ليمكن كل واحد من الشركاء من التصرف في ملكه على الكمال ، ويتخلص من سوء المشاركة واختلاف الأيدي .

(ومن دعا شريكه ليقسما مالا يضر قسمه فليقسما)
 (بقاسم مكلف حر ذكر يكون عدلاً حاسباً لا من كفر)
 (فإن أقاما قاسماً لم يفتقر في كونها صحيحة لما ذكر)
 (أو كان في المقسوم ما يقوم فاجتماع قاسمين يقسم)
 (وبعد أن تعدل الأجزاء ففي رقاع تكتب الأسماء)
 (تدرج كل رقعة بشمعه وليخرجوا لكل جزء رقعة)

(ومن دعا) أي : طلب (شريكه ليقسما . مالا يضر قسمه) كمثل من حبوب ودراهم وأدهان وغيرها ودار متسعة الأبنية وأرض متفقة الأجزاء (فليقسما) أي : فيلزم الشريك المطلوب إجابة الطلب ، إذ لا ضرر عليه فيها فيجبر ، وتحصل القسمة (بقاسم) ينصبه الإمام أو القاضي (مكلف حر ذكر . يكون عدلاً حاسباً) أي : محاسب مسلم ؛ لأن ذلك ولاية (لا من كفر) لأن من لم يتصف بما ذكر ليس من أهل الولايات ، وإنما اشترط كونه عالماً بالحساب ، أي : والمساحة لأنها آلة القسمة ، كما أن الفقه آلة القضاء ، وإذا لم يكن القاسم منصوباً من جهة القاضي بأن تراضى الشريكان بأن يقسم بينهما لم يفتقر القاسم إلى ما ذكر كما قال : (فإن أقاما قاسماً لم يفتقر . في كونها صحيحة لما ذكر) أي : لأنه وكيل عنهما لكن يشترط فيه التكليف . وقوله :

(١) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٤٢٢٨) ، ومسلم (١٧٦٢) ، ولفظه : أن رسول الله ﷺ قسم في النفل للفرس سهمين ، وللرجل سهماً . ولحديث جابر : « : فإني إنما جعلت قاسماً أقسم بينكم » رواه البخاري

(أو كان في المقسوم ما يقوم . فاجتماع قاسمين يقسم) أشار به إلى أنه إن كان في القسمة ما يقوم لم يقتصر فيه على أقل من اثنين لاشتراط العدد في التقويم ؛ لأن التقويم شهادة بالقيمة . أما إذا لم يكن فيها تقويم فيكفي قاسم واحد . وقوله من زيادته : (وبعد أن تعدل الأجزاء . ففي رقاع تكتب الأسماء) معناه بإيضاح : أن القسمة في المكيل كيلاً ، وفي الموزون وزناً ، وفي المذروع ذراعاً ، وفي المعدود عدداً بعدد الأنصبة إن استوت ، وتكتب مثلاً في كل رقعة إما اسم شريك من الشركاء ، أو جزء من الأجزاء مميزاً عن البقية بحد أو غيره . وتدرج الرقع في مغلفات وتختم أو نحو ذلك مستوية ، ثم يخرج من لم يحضر الكتابة والإدراج رقعة إما على الجزء الأول إن كتبت الأسماء ، أو اسم زيد مثلاً إن كتب الأجزاء ، فيعطي ذلك الجزء الأول ويفعل كذلك في الثانية ، وتعين الثالثة للباقي إن كانت الرقاع ثلاثة . فإن اختلفت الأنصبة كنصف وثلث وسدس جُزئ ما يقسم على أقلها ، ويجتنب إذا كتبت الأجزاء تفريق حصّة واحدة بأن لا يبدأ بصاحب السدس .

تنبيهات : الأول : يجعل الإمام رزق منصوبه إن لم يتبرّع من بيت المال إذا كان فيه سعة ، وإلا فأجرته على الشركاء لأن العمل لهم . الثاني : ما عظم ضرر قسمته إن بطل نفعه بالكلية كجوهرة وثوب نفيسين منعهما الحاكم منها ، وإن لم يبطل نفعه بالكلية كأن نقص نفعه أو بطل نفعه المقصود لم يمنعهم ولم يجبرهم ، فالأول كسيف يكسر ، والثاني كطاحونة وحمام صغيرين . الثالث : ما لا يعظم ضرر قسمه فأنواع ثلاثة : أولها : القسمة بالأجزاء ، وتسمى قسمة المتشابهات وإليها الإشارة بقول الناظم أول الباب : ومن دعا شريكه ، البيت . ثانياً : القسمة بالتعديل بأن يعدل السهام بالقيمة كأرض تختلف قيمة أجزائها بنحو قوة إنبات وقرب ماء ، أو يختلف جنس ما فيها كبستان بعضه نخل وبعضه عنب ، فإذا كانت لاثنتين نصفين وقيمة ثلثها المشترك على ما ذكر كقيمة ثلثها الحاليين عن ذلك يجعل الثلث سهماً والثلثين سهماً وأقرع كما تقدم . ثالثاً : القسمة بالردّ بأن يحتاج في القسمة إلى ردّ مال أجنبي ، كأن يكون بأحد الجانبين من الأرض نحو بئر كشجر لا يمكن قسمته فيردّ أخذه بالقسمة قسط قيمة نحو البئر ، فإن كان ألفاً وله النصف ردّ خمس مائة .

واعلم أن النوع الأول إفراز للحق لا بيع ، والأخيرين بيع وإن أجزر على الأول منهما دون الثاني . والألف في قول الناظم : ليقسما ، فليقسما ؛ للإطلاق .

حاشية : لو ثبت بحجة غلط أو حيف في قسمة إجبار أو قسمة تراض نقضت القسمة بنوعها ، فإن لم تكن بالأجزاء بل كانت بالتعديل أو الردّ لا تنقض لأنها بيع ، وإن لم يثبت ذلك فله تحليف شريكه .

باب الدعوى

هي في اللغة : الطلب والتقي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ [يس : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ [النور : ٤٨ - ٤٩] . وشرعاً : إخبار عن وجوب حق للمخبر على غيره عند حاكم . والأصل في ذلك قوله ﷺ : « لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه » رواه مسلم . [١٧١١^(١)] وفي رواية البيهقي [٢٥٢/١٠] بإسناد حسن : « ولكن البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر » .

واعلم أن المدعي من خالف قوله الظاهر ، والمدعى عليه من وافقه .

(والمدعي إن كان معه بينه)	فليحكم القاضي له بالبينه)
(أو لم تكن فليحلف الذي ادّعى)	عليه أو يردّها للمدعي)
(فباليمين يستحق ما ادّعى)	وإن أبى فقلوله لن يسمعاً)
(ولو تداعى اثنان عينا معهما)	تحالفا وقسمت عليهما)
(وإن تكن مع واحد فقط حكم)	له بها مع اليمين المنحتم)
(ومن على أفعال نفسه حلف)	بثّ اليمين مطلقاً كما وصف)
(أو فعل شخص غيره فإن نفي)	كفاه نفي علمه إذ حلفا)

(المدعي إن كان معه بينه) بما ادّعه (فليحكم القاضي له) بعد سماعها (بالبينه) أي : بالشريعة الغراء إن كانت البينة معدلة ، (أو لم يكن فليحلف الذي ادعى) عليه (وإن لم تكن معه بينة معدلة فليحلف المدعى عليه ، إذ القول قوله لموافقة الظاهر (أو يردّها) أي : اليمين للمدعي) لأنه ﷺ ردّها على صاحب الحق كما رواه الحاكم [١٠٠/٤] وصححه^(٢) (فباليمين)

(١) البخاري (٤٥٥٢) أيضاً في التفسير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ من [سورة آل عمران : ٧٧]

(٢) ورواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً الدارقطني ٢١٣/٤ ، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٨٤/١٠ ، وتعقب تصحيح الحاكم الحافظ الذهبي بقوله : لا أعرف محمداً ، وأخشى أن يكون الحديث باطلاً . قال ابن الملقن في «الخلاصة» (٢٩٤٩) : قال ابن الجوزي في إسناده مجاهيل ولم يبينهم ، وبينهم ابن القطان ، وخالف الحاكم فأخرجه ، وقال : صحيح الإسناد . وقال ابن حجر في «تلخيص الخبير» ٢٠٩/٤ محمد بن مسروق لا يعرف ، وإسحاق بن الفرات مختلف فيه .

المردودة (يستحق) المدعي (ما ادّعى) لا بنكول خصمه (وإن أبى) أي : امتنع من اليمين المردودة ولا عذر سقط حقه من اليمين والمطالبة لإعراضه عن اليمين كما قال الناطم : (فقلوله لن يُسمعاً) ولكن تسمع حجته ، فإن أبدى عذراً كإقامة حجة وسؤال فقيه ومراجعة حساب أمهّل ثلاثة أيام فقط ، وللخصم بعد نكوله العود إلى الحلف ما لم يحكم بنكوله حقيقة أو تزويلاً ، وإلا فليس له العود عليه إلا برضا المدعي . وقول القاضي للخصم : احلف ، نازل منزلة الحكم بنكول المدعي عليه كما في «الروضة» كأصلها ؛ وإن لم يكن حكم بنكوله حقيقة ، وبين القاضي حكم النكول للجاهل به بأن يقول له : إن نكلت عن اليمين حلف المدعي وأخذ منك الحق ، فإن لم يفعل وحكم بنكوله نفذ حكمه لتقصيره بترك البحث عن حكم النكول .

تنبيه : يحصل النكول بالامتناع من اليمين بعد عرضها عليه كأن يقول : أنا ناكِلٌ ، أو يقول له القاضي : احلف ، فيقول : لا أحلف ، أو يسكت لا لدهشة وغباوة .

واعلم أن اليمين المردودة كإقرار الخصم لا كالبينة ، ولا يسمع بعدها حجة بمسقط كأداء أو إبراء . (ولو تداعى اثنان عينا معهما) ولا بينة لواحد منهما (تحالفا) على النفي فقط (وقُسمت عليهما) لقضائه ﷺ بذلك كما صححه الحاكم [٩٥/٤] على شرط الشيخين^(٣) ، (وإن تكن) أي : العين (مع واحد) منهما (فقط) ولا بينة لواحد منهما (حكم) له بها مع اليمين المنحتم (إذ القول حينئذ قول صاحب اليد يمينه إنها ملكه ؛ لأن اليد من الأسباب المرجحة .) (ومن على أفعال نفسه حلف) إثباتاً كان أو نفياً (بثّ) أي : قطع وجزم (اليمين مطلقاً كما وصف) أي : حلف على البثّ ؛ لأنه يعلم حال نفسه ويطلع عليها (أو) حلف على (فعل شخص غيره فإن نفي) أي : بأن كان فعله نفياً مطلقاً (كفاه نفي علمه إذ حلفا) أي : يحلف على نفي العلم ، أي : أنه لا يعلم فيقول : والله ما علمت أنه فعل كذا ، لأن النفي المطلق يعسر الوقوف عليه ولا يتعين فيه ذلك ، فلو حلف على البثّ اعتدّ به كما قاله القاضي أبو الطيب وغيره ؛ لأنه قد يعلم ذلك . أما نفي المحصور فكالإثبات في إمكان الإحاطة به كما في آخر الدعوى من «الروضة» فيحلف فيه على البثّ . وإن كان فعل غيره إثباتاً حلف على البثّ والقطع لسهولة الاطلاع عليه . وفي قول الناطم : بينه والبينه ؛ ضرب من الجناس التام المماثل . وقوله : ادّعي ، وقُسمت ، وحُكم ؛ بالبناء للمفعول ، والألف في قول الناطم : حلفا ؛ للإطلاق .

(٢) ورواه من حديث أبي موسى الأشعري أبو داود (٣٦١٣) و (٣٦١٤) و (٣٦١٥) ، والنسائي ٢٤٨/٨ ، وابن ماجه

(٣) (٢٣٣٠) ، وانظر «تلخيص الخبير» ٢٠٩/٤ - ٢١٠ .

تنبيه : التمين من الخصم تقطع الخصومة حالاً لا الحق ، فتسمع بينة المدعي بعد حلف الخصم ، ولا يجوز لقاضي أن يحلف أحداً بطلاق أو عتق أو نذر كما قاله الماوردي وغيره . قال إمامنا رحم الله روحه : ومتى بلغ الإمام أن قاضياً يحلف الناس بطلاق أو نذر أو عتق عزله الإمام عن الحكم لأنه جاهل ، ولا يحلف قاضٍ على تركه ظلماً في حكمه ، ولا شاهد أنه لم يكذب في شهادته ، ولا مدّعٍ صلباً ولو احتمالاً بل يمهّل حتى يبلغ ، إلا كافرأ مسيئاً أنبت وقال : تعجلت إنبات العانة ، فيحلف لسقوط القتل .

وها أنا أتخفك في هذا الباب بفوائد .

الفائدة الأولى : عشرة لا يلزمهم حلف وإن ادّعى عليهم يجمعهما قول بعضهم :

ولا يحلف القاضي ولا شاهد له	كذلك وصي قيم ثم منكر
وكالة من داعاه من مستحقه	وجحد سفيه أن الاتلاف ينكر
وإعتاقه من قد شره بنكره	كدعواه إسقاط الزكاة يخير
وموطوعة بالرق ينكر ربه	لولد كدعوى من على الطفل يذكر

الفائدة الثانية : من شروط الدعوى : العلم بالمدعى به ، وكون الحق حالاً . واستثني من العلم بالمدعى به إحدى عشرة مسألة يجمعها قول بعضهم :

سماع دعوى بمجهول مسائله	إحدى وعشرة فاعرفها بمنقول
رضخ وفرض لتفويض حكومته	ومتعة مع إقرار بمجهول
دعواه شقصاً وإقرار النكاح كذا	وصية مع ثواب الوهاب المولي
مروره ثم إجراء الميابه له	بملك غير هنا فاشرح بتفصيل

الفائدة الثالثة : بائع مال الغير بغير إذنه سبعة يجمعها قول بعضهم :

إمام ولي حاكم ووصية	وملتقط خاف الهلاك وظافر
وكيل فملك السبعة أعن بحفظها	يبيعون مال الغير والغير حاضر

باب الشهادات

هي إخبار عن شيء بلفظ خاص . والأصل فيها قبل الإجماع آيات كقوله تعالى : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ [المائدة : ٨] ، وقوله : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وأخبار كخير الصحيحين : « ليس لك إلا شاهدك أو يمينك »^(١) ، وخبر أنه ﷺ سئل عن الشهادة فقال للسائل : « ترى الشمس ؟ » قال : نعم ، قال : « على مثلها فاشهد ، أودع » رواه البيهقي ١٠٦/١٠١ والحاكم ٩٨/٤ وصحح إسناده^(٢) .

وأركانها خمسة : شاهد ، ومشهود له ، ومشهود عليه ، ومشهود به ، وصيغة .

(ولم تجز شهادة إن لم نجد)	معها شروطاً خمسة فيمن شهد (
(فحيث كان مسلماً مكلفاً)	وكان حرّاً ذا عدالة كفى (
(والعدل من لم يرتكب كبيره)	ولم يكن ملازماً صغيره (
(ولم يكن ذا بدعة بها نسب)	للفسق مأمون الأذى إذا غضب (
(وتركه الرذائل السيئة)	بمثل حرساً على المروءه (

(ولم تجز شهادة) أي : لا تقبل عند الأداء (إن لم نجد . معها شروطاً خمسة) أولها : الإسلام (فيمن شهد) فلا تقبل شهادة الكافر على مسلم بل ولا على كافر لقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذَوِّيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢٠] والكافر ليس يعدل وليس منا ، ولأنه أفسق الفساق ويكذب على الله ، فلا يؤمن من الكذب على خلقه . ثانيها وثالثها : البلوغ والعقل ، فلا تقبل شهادة صبي لقوله تعالى : ﴿ من رجالكم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ولا مجنون بالإجماع . رابعها :

(١) أخرجه من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه البخاري (٣٣٥٦) ، ومسلم (١٣٨) .

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ وتعقب الذهبي الحاكم بقوله : وإم فعمرو قال عنه ابن عدي : كان يسرق الحديث ، وابن مسمول ضعفه غير واحد . وقال البيهقي : محمد بن سليمان بن مسمول هذا تكلم فيه الحميدي ، ولم يرو من وجه يعتمد عليه .

الحرية ، فلا تقبل شهادة رقيق ولو مبعوضاً أو مكاتباً ؛ لأن أداء الشهادة فيه معنى الولاية ، وهو مسلوب منها . **خامسها :** العدالة ، فلا تقبل شهادة فاسق لقلوبه تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَبَيِّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] إذا تقرر ذلك (فحيث كان) الشاهد (مسلماً مكلفاً . وكان خراً) وكان (ذا عدالة كفى) .

تنبيهان : أحدهما : خرج بقولي : عند الأداء ، التحمل فلا يشترط عنده هذه الشروط بدليل قوهم : ولو شهد كافر أو عبد أو صبي ، ثم أعادها بعد كماله قبلت كما قاله الزركشي في « الخادم » قال : ولا يستثنى من ذلك غير شهود النكاح ، فإنه يشترط الأهلية عند التحمل .

ثانيهما : سكت الناظم كأصله عن شروط آخر : **أحدها :** أن يكون له مروءة ، فمن لا مروءة له لا حياء له ، ومن لا حياء له قال ما شاء ، لقوله ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت »^(١) . وقد ذكرت في « شرح الزيد » معناه^(٢) [ص : ١٥٦] . **ثانيها :** أن يكون غير متهم في شهادته لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَنْ لَا تَرْتَابُوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] والريبة حاصلة بالمتهم . **ثالثها :** أن يكون ناطقاً ، فلا تقبل شهادة الأخرس وإن فهمت إشارته . **رابعها :** أن يكون متيقظاً كما ذكره صاحب « التنبيه » وغيره ، فلا تقبل شهادة المغفل .

ثم بين شروط العدالة بقوله : (والعدل من لم يرتكب كبيرة . ولم يكن ملازماً صغيرة) فيشترط أن يكون مجتنباً للكبائر غير مصرٍّ على القليل من الصغائر من نوع وأنواع ، وفسر جماعة الكبيرة بأنها ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص الكتاب أو السنة ، وقيل غير ذلك .

وأما ضبطها بالعد فأمشياء كثيرة : فمن الكبائر تقديم الصلاة وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ، ومنع الزكاة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن ، والياس من رحمة الله تعالى ، وأمن مكره تعالى ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والإفطار في رمضان من غير عذر ، وعقوق الوالدين ، والزنا ، واللواط ، وشهادة الزور ، وضرب المسلم بغير الحق ، والغيبة إذا كانت في أهل العلم وحملته القرآن كما جرى عليه ابن المقري وغير ذلك .

ومن الصغائر : النظر المحرم ، وهجر المسلم فوق ثلاثة أيام ، والنياحة ، وشق الجيوب ، والتبخر في المشي ، وإدخال صبيان أو مجانين يغلب تنجيسهم في المسجد وغير ذلك .
فبارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة من النوعين تنتفي العدالة ، إلا أن تغلب طاعته على معاصيه كما قاله الجمهور فلا تنتفي عدالته .

ويشترط أن يكون العدل سليم العقيدة بأن لا يكون مبتدعاً : لا يكفر أو لا يفسق ببدعته ؛ فلا تقبل شهادة مبتدع يكفر أو يفسق ببدعته ، فالأول كمنكر البعث ، والثاني كساب الصحابة . ويشترط أن يكون العدل مأموناً إذا غضب من ارتكاب قول الزور والإصرار على الغيبة ، فلا عدالة لمن يحمله غضبه على الوقوع في ذلك . ويشترط أن يكون محافظاً على المروءة كما قال : (وتركه الرذائل المسيئة . بمثله حرصاً على المروءة) بأن يتخلق الشخص بخلق أمثاله من أبناء عصره ، فلا تقبل شهادة من لا مروءة له كمن يأكل أو يشرب في سوق وهو غير سوقي كما في « الروضة » وغير من لم يغلبه جوع أو عطش ، أو يمشي في السوق مكشوف الرأس أو البدن غير العورة مما لا يليق بمثله ، ولغير محرم بنسك . وأما كشف العورة فحرام ، أو يقبل زوجته أو أمته بحضرة الناس ، ومن ذلك إكثار حكايات مضحكة بين الناس بحيث يصير ذلك عادة له ، وليس فقيه قباء أو قلنسوة في محل لا يعتاد للفقهاء لبسه ، وإكباب على لعب شطرنج بحيث يشغله عن مهماته وإن لم يقترن به ما يجرمه ، أو على غناء أو استماعه ، وإكثار رقص ، وحرقة دنيا مباحة كحجامة وكس زبل ونحوه مما لا يليق ذلك به .

أما الحرف غير المباحة كالنجم والعراف والكاهن والمصور فلا تقبل شهادتهم . وهذا الشرط المذكور إنما هو شرط في قبول الشهادة لا في العدالة ؛ لأنه مع ذلك لا يخرج عن كونه عدلاً ، لكن شهادته لم تقبل لفقد مروءته . ومن شرط القبول أيضاً أن لا يكون متهماً كما يأتي آخر الباب إن شاء الله تعالى .

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (ثم الحقوق كلها ضربان) | (هما حقوق الله والإنسان) |
| (ثانيهما ثلاثة أشياء) | (في اثنين منها تقبل النساء) |
| (فكل ما يغلب في الرجال) | (وكان مقصوداً لغير المال) |
| (كالقذف والطلاق والوصاية) | (والجرح والتعديل والجنایه) |
| (فالأشرف في ثبوتها عدلان) | (لا بالنساء أصلاً ولا الأيمان) |
| (وكل ما يطالع الرجال) | (عليه والمقصود منه المال) |
| (كالبيع والخيار والإقالة) | (والرهن والضمان والحسواله) |
| (فائتان أو ثنتان مع عدل ذكر) | (أو اليمين بعد عدل معتبر) |

(١) أخرجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه البخاري (٣٤٨٢) و (٣٤٨٤) و (٦١٢٠) .

(٢) قال رحمه الله : قال بعض العلماء : معناه الحير وإن كان لفظه لفظ الأمر فكأنه قال : إذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت . وقال بعضهم : معناه الوعيد لقوله تعالى : « اعملوا ما شئتم » [فصلت : ٤٠] أي افعل ما شئت فإن الله مجازيك . وقال بعضهم : انظر ما تريد أن تفعل ، فإن كان ذلك مما لا يستحيا منه فافعل ما شئت لأن ذلك الفعل يكون جارياً على نهج السداد ، وإن كان مما يستحيا منه فدعه . إذا تقرر هذا فلا تقبل الشهادة من عادم المروءة .
والحياء في اللغة : الخشمة وانقباض النفس عن الفبايح والرذائل ، وبفهم من الحديث أن الحياء من أشرف الخصال وأكمل الأحوال فلذا كان ممدوحاً وبه مأموراً .

(وكل ما خص النساء بالعاده كالحيض والرضاع والولاده)
 (فثبت بما مضى أو أربع لا بائنتين مع يمين المدعي)
 (أما حقوق الله وهي الأول فليس فيها للنساء مدخل)
 (بل الرجال فالزنا بأربعة إن شهدوا برؤية المجامعه)
 (وغيره من الحدود اثنان ومن أتى بهيمة كالزاني)
 (لكن لشهر الصوم بالهلال عدل رآه ليلة الكمال)

(ثم الحقوق) المشهود بها (كلها) بالنسبة إلى ما يعتبر فيها عدداً أو وصفاً (ضربان) و (هما حقوق الله) تعالى (و) حقوق (الإنسان) . (ثانيهما) وهو حقوق الإنسان ، وبه بدأ لأنه الأغلب وقوعاً (ثلاثة أشياء . في اثنين منها تقبل النساء) كما ستعرفه ، (فكل ما يغلب في الرجال) أي : ما يطلع عليه الرجال غالباً (وكان مقصوداً لغير المال * كالفذف والطلاق والوصاية . والجرح والتعديل والجنائية) وكذا الرجعة والإقرار بنحو زنى الموت والوكالة والشركة والقراض والكفالة (فالشرط في ثبوته عدلان) أي : شاهدان ذكران ، ولا مدخل فيه للإناث ، ولا لليمين مع الشاهد كما قال : (لا بالنساء أصلاً ولا الأيمان) لأن الله تعالى نص على الرجلين في الطلاق والرجعة والوصاية . قال مالك ٧٢٢/٢ - ٧٢٣ مضت السنة أنه لا يجوز شهادة النساء في الحدود ولا في النكاح والطلاق . وقيس بالمذكورات غيرها مما يشاركها في المعنى المذكور ، فهذا هو الشيء الأول . ثم أشار إلى الثاني بقوله : (وكل ما يطلع الرجال . عليه والمقصود منه المال * كالبيع والخيار والإقالة . والرهن والضمان والحوالة * فائنان) أي : رجلان شرط في ثبوته (أو ثنتان) أي : امرأتان (مع عدل ذكر . أو يمين) من المدعي (بعد) أداء شهادة (عدل معتبر) وبعد تعديله ، ويذكر حتماً في يمينه صدق شاهده وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ﴾ [البقرة : ٢٨٢] وروى مسلم [١٧١٢] وغيره : أنه عليه السلام قضى بشاهد ويمين . زاد الشافعي في الأموال^(١) : وقيس بها ما فيه مال . ثم أشار إلى الشيء الثالث بقوله : (وكل ما خص النساء بالعاده) ولا يطلع عليه الرجال غالباً (كالحيض والرضاع والولادة) والبكارة ، وعيب امرأة تحت ثوبها كجراحة على فرجها حرمة كانت أو أمة واستهلال ولد (فثبت بما مضى) أي : رجلين ، أو رجل وامرأتين ، (أو أربع) نسوة منفردات (لا بائنتين مع يمين المدعي) وذلك لما روى ابن أبي شيبة [٥٨/١٠]

(١) وأخرجه الشافعي رحمه الله تعالى كما في « بدائع المن » (١٤٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن الملتن في « خلاصة البدر المنير » (٢٩٢٩) : قال الشافعي : ثابت ، وقال ابن عبد البر : لا مطعن لأحد في إسناده ، ولا خلاف عند أهل المعرفة بصحته ، قال الحفاظ : وهو أصح حديث في الباب . وانظر « تلخيص الحبير » ٢٠٥/٤ .

عن الزهري^(٢) : مضت السنة بأنه تجوز شهادة النساء فيما لا يليه غيرهن من ولادة النساء وغيوبهن . وقيس بما ذكر غيره مما شاركه في الضابط المذكور ، وإذا قبلت شهادتهن في ذلك منفردات فشهادة الرجلين ، أو الرجل والمرأتين أولى .

تنبيه : كل ما لا يثبت من الحقوق برجل وامرأتين لا يثبت برجل ويمين ، لأن الرجل والمرأتين أقوى ، وإذا لم يثبت بالأقوى لا يثبت بما دونه ، وكل ما ثبت برجل وامرأتين يثبت برجل ويمين ، إلا غيوب النساء ونحوها كرضاع . وقد علم من تقسيم الناظم المذكور أنه لا يثبت شيء بامرأتين ويمين ، وهو كذلك لعدم ورود ذلك ، وقيامهما مقام رجل في غير ذلك لوروده .

(أما حقوق الله) تعالى وتبارك (وهو) الضرب (الأول . فليس فيها للنساء مدخل) ومثلهن الخنثى ، (بل الرجال) العدول فلهن المدخل فيها (فالزنا) يثبت (بأربعة) من الرجال (إن شهدوا برؤية المجامعة) فلا بد أن يقولوا : رأيناه أدخل حشفته أو قدرها في فرجها ، وإن لم يقولوا : كالأصبع في الخاتم ، أو : كالمروء في المكحلة : قال الله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ [النور : ٤] ولأن الزنا من أغلظ الفواحش ، فغلظت الشهادة فيه ليكون أستر . (وغيره من الحدود اثنان) أي : رجلان فيثبت بهما . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (ومن أتى بهيمة كالزاني) على المذهب ، ومثل ذلك اللواط . قال في « زوائد الروضة » : لأن كلاً جماع ، ونقصان العقوبة فيه لا يمنع العدد كما في زنا الأمة . (لكن لشهر الصوم بالهلال . عدل) واحد (رآه ليلة الكمال) بالنسبة للصوم كما مر ذلك وبيناه في بابه^(٣) .

فرع : في شهادة الأعمى

(إن يشهد الأعمى بشيء لم يجب في غير خمس وهي موت ونسب)
 (والمالك والإقرار ممن لزمه بضبطه إلى الأداء والترجمة)
 (ولم تجز شهادة امرئ بجر نفع له أو دفعها عنه ضرر)

(إن يشهد الأعمى بشيء لم يجب) بضم الياء وفتح الجيم ، فلا تقبل شهادته فيما يتعلق بالبرص لجواز اشتباه الأصوات ، إذ قد يحاكي الإنسان صوت غيره (في غير خمس) من المواضع (وهي) أي :

(١) أي في « المصنف » لكن في إسناده الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف .
 (٢) وأقول : هذه شهادة جسيمة ، والحديث فيها أن تكون بعد معرفة ولادة الهلال ، لأن أمره أصبح معلوماً ، وتحصيل هذه المعرفة غير عسير ، وبه يزول كثير من الخلاف في إثبات الهلال .

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٢٥١٧) و (٦٧١٥) ، ومسلم (٨٤) . وروى أبو داود (٣٩٦٦) ، والنسائي ٢٦/٦ - ٢٨ من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما رجل أعتق امرأ مسلمة استغفرت له بكل عضو منه عضو من عضواً منه من النار » ، رواه البخاري (٢٥١٧) ، ومسلم (١٥٠٩) .

(ومن لبعض عبده قد أعتقنا سرى عليه في الجميع مطلقاً)
 (أو أعتق الشريك ملكه سرى أيضاً لباقي العبد حيث أيسرا)
 (بقيمة الشقص الذي قد فوته على الشريك وليؤده قيمته)
 (وكل عبد صار ملك أصله أو فرعه فاحكمم بعق كله)

(يصبح عتق) كل (مالك) للرقبة (مكلف) ببلوغ وعقل (حرٌّ رشيد مطلق التصرف)
 أي : من أهل التبرُّع والولاء مختار ، فلا يصح من أضداد هؤلاء ، ويصح من سكران ومن كافر ولو حربياً . ويصح العتق (بصيغة صريح أو كناية) ، فالصريح (كانت حرّ معتق) ، أو : عتيق ، أو : حررتك لورودها في القرآن ، ويستوي في ذلك المازل واللاعب . وقوله : مفكوك الرقبة ، صريح في الأصح ، والكناية ما احتمل العتق وغيره كقوله : يا (مولاي) ، أو : لا ملك لي عليك ، لا سلطان لي عليك ، ولا سبيل لي عليك ، لا خدمة لي عليك ، أنت سائبة ؛ لإشعار ما ذكر بإزالة الملك مع احتمال غيره ، فلا بد في ذلك من نية العتق قبل فراغه من لفظ الكناية .

فرع : أقر بحرية عبده خوفاً من أخذ المكس عنه إذا طالبه المكاس به وقصد الإخيار لم يعتق باطلاً ، ويصح إضافة العتق إلى جزء من الرقيق كما قال : (ومن لبعض عبده قد أعتق) كيده أو رعه (سرى عليه في الجميع مطلقاً) أي : عتق جميعه سراً كتنظيره في الطلاق سواء في ذلك المוסر وغيره ، هذا إن كان باقيه له ، فإن كان باقيه لغيره فقد أشار إليه بقوله : (أو أعتق الشريك ملكه) أي : نصيبه في رقيق (سرى) العتق (أيضاً لباقي العبد) بمجرد تلفظه به (حيث أيسرا * بقيمة الشقص الذي قد فوته . على الشريك وليؤده قيمته) أي : قيمة نصيب شريكه يوم الإعتاق لأنه وقت الإلتلاف ، فإن أيسر ببعض حصته سرى إلى ما أيسر به من نصيب شريكه^(١) ، أما لو كان معسراً فإنه لا يسري ، بل الباقي ملك لشريكه وتعتق حصته فقط . (وكل عبد صار ملك أصله . أو فرعه فاحكم) أيها الفقيه (بعق كله) سواء كان الملك قهراً كالإرث أو اختياراً كالشراء والهبة . أما الأصول فلقوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ [الإسراء: ٢٤] ولا يتأتى خفض الجناح مع الاسترقاق ، ولما في « صحيح » مسلم [١٥١٠] : « لا يجزي ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه » . وأما الفروع فلقوله تعالى : ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴾ [مريم: ٩٢-٩٣] دل على نفي اجتماع الولدية والعبودية . والألف في قوله : أعتقنا وأيسرا ؛ للإطلاق .

(١) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « من أعتق شركاً له في عبد وله مال قوم عليه الباقي » . رواه البخاري (٢٤٩١) ، ومسلم (١٥٠١) . هذا مع تشوف الإسلام لحرية الأرقاء ، فقد تم بفضلته تعالى إلغاؤه في العالم عام ١٨٦٢م وآخر ما كان في جزيرة زنجبار من تنزانيا وبلاد الحجاز .

باب الولاء

وهو — بفتح الواو ، والمد — لغة : القرابة ، مأخوذ من الموالة وهي المعاونة والمناصرة والقاربة. وشرعاً : عسوبة سببها زوال الملك عن الرقيق بالحرية . الأصل فيه قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ [الحجرات: ٥] وقوله ﷺ : « إنما الولاء لمن أعتق »^(١) .

(ثم الولاء حق كل معتق) به يصير عاصباً للمعتق
 (من بعد كل عاصب قريب) وحكمه كالإرث في الترتيب
 (وانقله بعد معتق لعاصبه) أعني به الذكور من أقاربه
 (فمعتق لمعتق . فالعاصب بنفسه مقدم الأقارب)
 (وهكذا كإرثهم من النسب أي بالجهات أولاً ثم الرتب)
 (إلا أخاً وابن أخ فقد حجب كلاهما عن الولا جِداً لأب)
 (فإن فقدت سائر الموالى صار الولا حتماً لبيت المال)
 (فإن يكن حرّاً فمعتق الأب فعاصب فمعتق أبا الأب)
 (وهكذا ترتيب كل مرتبه ولم يجز بيع له ولا هبته)
 (وتنقص الأنثى عن الرجال إذ لم تعصب مطلقاً بحال)
 (بل عصبت عتيقها والمنتمي له بقرب أو ولاء فافهم)

(ثم الولاء) (حق لكل معتق) فلا ينتفي بنفيه ، فلو أعتقه على أن لا ولاء عليه أو أنه لغيره لغا الشرط . وحكمه حكم التعصيب في أحكامه كما قال : (به يصير عاصباً للمعتق * من بعد كل عاصب قريب . وحكمه كالإرث في الترتيب) أي : حكم الإرث بالولاء حكم التعصيب في النسب في أربعة أحكام : التقدم في صلاة الجنازة ، والإرث به : وولاية التزويج ، وتحمل الدية . (وانقله) أيها الفقيه ، أي : الولاء (بعد) موت (معتق لعاصبه . أعني به) أي : العاصب

(١) أخرجه من حديث الصديقة عائشة رضي الله عنها البخاري (٢١٥٦) ، ومسلم (١٥٠٤) .

(الذكور من أقاربه) دون الإناث ، (فمعتق لمعتق) نقل إليه (فالعاصب . بنفسه) حالة كونه (مقدم الأقارب * وهكذا كإرتهم من النسب) يعني : به بعد موت المعتق ابنه ، ثم ابن ابنه وإن سفل ، ثم أبوه ، لكن الأظهر أن أبا المعتق وابن أخيه يقدمان على جده ؛ لأن الأخ ابن أبي المعتق والجد أبو أبيه ، والبنوة أقوى من العصوبة ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله من فوائده المزيدة : (إلا أخاً وابن أخ فقد حجب . كلاهما عن الولاء جداً لأب * فإن فقدت) أنت (سائر الموالي . صار الولاء) (حتماً لبيت المال * فإن يكن حراً فمعتق الأب . فعاصب فمعتق أبا الأب * وهكذا ترتيب كل مرتبة) كما علم ذلك بإيضاح في كتاب الفرائض فليراجع . (ولم يجوز بيع له) أي : الولاء (ولا هبة) لأنه معنى يورث به ، فلا ينتقل بالبيع والهبة كالقراءة . ثم زاد الناظم على أصله قوله : (وتنقص الأنثى عن الرجال ...) وأشار به إلى أن المرأة لا ترث بالولاء إلا معتقها أو منتمياً إليه بنسب أو ولاء ، يعني عتيقها وإن سفل ، أو عتيق عتيقها وابنه وإن سفل كما تقدم في كتاب الفرائض أيضاً .

باب التدبير

هو لغة : النظر في العواقب . وشرعاً : تعليق عتق بالموت الذي هو دبر الحياة . والأصل فيه قبل الإجماع خير جابر رضي الله عنه في الصحيحين : أن رجلاً ذبر غلاماً ليس له مالٌ غيره ، فباعه النبي ﷺ^(١) . فتقريره له ، وعدم إنكاره يدل على جوازه . واسم الغلام يعقوب ، ومدبره أبو مذکور .

وأركانه ثلاثة : رقيق غير أم ولد ، وصيغة ، ومالك بالغ عاقل مختار كما قال :

(ومن يعلق عتق عبد قد ملك بموته فعتقه متى هلك)
(من ثلثه وقبله مدبر يباع قبل عتقه ويؤجر)
(إذا أراد السيد المذكور فإن يبع فليبطل التدبير)
(وحكمه من قبل موت سيده كالقن في أرش وكسب في يده)

أعلم أن التدبير كان معروفاً في الجاهلية وأقره الشرع على ما كان عليه ، كذا حكاه الإمام القاضي حسين . وقيل : إنه مبتدأ في الإسلام بنص ورد فيه عمل به المسلمون فاستغنوا عن نقل النص فصار كالنص شرعاً وصار العمل دليلاً على النص . قال الماوردي : وقد أجمع المسلمون على جوازه . إذا علم ذلك فينقذ التدبير بالصرح والكناية ، فالصرح أن يقول : أنت حر بعد موتي ، وأعتقتك ، أو حررتك بعد موتي . والكناية مثل أن يقول : خلعت سبيلك بعد موتي ، وينوي العتق . ويصح التدبير مطلقاً ، وهو أن يعلق العتق بالموت بلا شرط ، ومقيداً بلا شرط في الموت مثل أن يقول : إن مت في مرضي هذا أو في سفري هذا أو في هذا الشهر ، فأنت حر ، فإذا مات على الصفة المذكورة عتق وإلا فلا ، كما قال الناظم أعلى الله درجته : (ومن يعلق عتق عبد قد ملك . بموته فعتقه متى هلك * من ثلثه) أي : عتق المدبر يعتق من الثلث ، لما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : أن المدبر يعتق من الثلث^(٢) . ولأنه تبرع يلزم بالموت ، فيكون من الثلث

(١) رواه البخاري (٢١٤١) و (٧١٨٦) وغيرهما ، ومسلم (٩٩٧) . اشتراه نعيم بن عبد الله العدوي .

(٢) رواه الشافعي في الأم ١٨/٨ ، وابن ماجه (٢٥١٤) ، والدارقطني ١٣٨/٤ ، والبيهقي ٣١٤/١٠ .

كالوصية ، وأيضاً فإن الإعتاق في المرض أقوى من التدبير ؛ لأنه منجز ولازم لا رجوع فيه ، ثم هو معتبر من الثلث ، فالتدبير أولى أن يعتبر من الثلث . ثم قبل موت السيد المذكور يجوز إزالة الملك عن المدبر بالبيع والهبة والوصية وغيرها ، سواء كان التدبير مطلقاً أو مقيداً ، لما روي أن عائشة رضي الله عنها باعت مدبرة لها سحرته^(١) ، ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة . (فإن بيع فليطل التدبير) أي : يستدل بزوال الملك في حياة السيد ، ولو عاد ملكه إليه لم يعد التدبير (وحكمه من قبل موت سيّده . كالقن في أرش وكسب في يده) . وقول الناظم : يُتبع ؛ بالبناء للمفعول .

تتمة : لا يجوز الرجوع عن التدبير بقول ولا غيره ، إلا بأن يزيل ملكه عنه ببيع أو نحوه كسائر التعليقات .

باب الكتابة

هي لغة : الضم والجمع . وشرعاً : عقد عتق بلفظها بعوض معلوم منجم بنجمين فأكثر . والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاთبهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ [النور : ٣٣] وأخبار كخير ابن عمرو رضي الله عنهما : « المكاتب عبد ما بقي عليه درهم^(١) » رواه الحاكم [٢١٨/٢] وصححه إسناده . وخبر : « من أعان غارماً أو غازياً أو مكاتباً في مكاتبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله^(٢) » . والكتابة خارجة عن قواعد المعاملات لدورانها بين السيد ورفيقه ، ولأنها بيع ماله بماله . وأركانها أربعة : سيد ، ومكاتب ، وعوض ، وصيغة .

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (إن يسأل العبد الأمين المكتسب | كتابة فعقدها له نذب) |
| (بصيغة وذكر مال لأجل | مع علم كل منهما قدر الأجل) |
| (والمال أيضاً ولينجم في الأدا | نجمين أو ثلاثة فصاعدا) |
| (وعقدها من جانب المولى لزم | فلم يجب لفسخه وإن ندم) |
| (وجائز من جانب المكاتب | ففسخه والعجز عنه ما أبي) |
| (وحيث صحت صار مع مولاه في | كسب ومال مطلق التصريف) |
| (ما لم يكن في فعله تبرع | أو خطر فذاك منه بمنع) |
| (وألزموا سيده بدفعه | جزءاً له من دينه أو وضعه) |
| (وحيث أدى العبد كل ما بقي | عليه بعد وضعه فليعتق) |

(إن يسأل العبد الأمين المكتسب . كتابة فعقدها له نذب) إذا كان السيد المسؤول غير محجور عليه ، واعتبرت الأمانة لثلاث بضيع ما يحصله في معصية فلا يعتق ، والقدرة على الكسب فيوثق بتحصيل النجوم^(٣) ، وبها فسر الشافعي رحم الله روحه الخير في الآية . ولا تصح الكتابة من

(١) والحديث بنحوه ومعناه سيأتي في آخر الباب أيضاً ، ورواه أبو داود (٣٩٢٧) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٢٤٣١) بسند ضعيف .

(٢) رواه الحاكم ٢١٧/٢ وصححه إسناده ، والبيهقي ٣٢٠/١٠ من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه .

(٣) هي أوقات الأقساط التي يجعل فيها أداء أجل مال الكتابة .

(٢) رواه الشافعي كما في « بدائع المنن » (١٢٠٤) ، قال ابن الملقن في « الخلاصة » (٢٣٢٤) رواه الشافعي والبيهقي من رواية عمرة عنها ، قال : الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

صبي ومجنون ومحجور عليه بسفه وأوليائهم ومكره . وإنما تصح الكتابة (بصيغة) وهي أن يقول السيد : كاتبك على كذا نجماً إذا أدبته فأنت حر ، وبين عدد النجوم ووقت كل نجم ، ويقول المكاتب : قبلت ، ولابد من العلم بقدر العوض في الكتابة وصفته وأقدار الآجال وما يؤدى عند حلول كل أجل كما قال الناظم : (وذكر مال لأجل . مع علم كل منهما قدر الأجل * والمال أيضاً) ومن شروط عوض الكتابة أيضاً أن يكون ديناً ليلزمه في الذمة ثم يحصله ويؤديه . أما الأعيان فإنه لا يملكها حتى يورد العقد عليها . ويشترط أن يكون منجماً كما قال : (ولينجم) ووجه اشتراط التأجيل اتباع السلف ، فإنهم لم يعقدوا الكتابة إلا على عوض مؤجل . ومن شروط العوض : التنجيم نجمين فصاعداً كما قال الناظم : (نجمين أو ثلاثة فصاعداً) لأنه المأثور عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قولاً وعملاً . وروي عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه عقد على عبد له فقال : عاقدتك أو كاتبك على نجمين . فيه إشعار بأنه الغاية في التضييق . وقال الماسرجسي : رأيت أبا إسحاق في مجلس نظر قرّر ذلك فقال : كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين يسارعون في القربات ، فلو جازت الكتابة على نجم واحد لبادروا إليها . واعلم أن الكتابة الصحيحة لازمة من جهة السيد ، فليس له فسخها إلا إذا امتنع العبد من أداء النجوم ، وجائزة من جهة العبد فله تعجيل نفسه متى شاء كما قال الناظم : (وعقدها من جانب المولى لزم) إلى آخر البيتين . وإنما كانت الكتابة جائزة من جهة العبد لازمة من جهة السيد ؛ لأن الحظ في الكتابة للعبد ، وليمكن من إسقاط ما أثبتته من الحظ وصاحب الحظ بالخيار في حقه ، وإن عجز نفسه فالسيد بالخيار بين أن يفسخ أو يصبر ، وإذا اختار الفسخ فله ذلك بنفسه ، ولا يحتاج إلى الرفع إلى القاضي . (وحيث صحت) الكتابة (صار) المكاتب (مع موله في . مال وكسب مطلق التصرف) فيجوز له أن يتصرف كالحر ، فيبيع ويشترى ، ويؤجر ويستأجر ، يأخذ بالشفعة ، ويقبل الهبة والصدقة والوصية ، ويصطاد ، ويحتطب (ما لم يكن في فعله تبرع . أو خطر فذاك منه يمنع) فلا يصح منه تصرف فيها إلا أن يأذن سيده كهيبته وإقراضه وتصدقه وتبسطه في الملابس والمأكول وشرائه بالمحاباة^(١) — وتسليمه الثمن قبل قبض المبيع ، وليس له الإعتاق ولو بإذن سيده .

(١) يقال : حابه محابة ساعه ، مأخوذ من حيوته إذا أعطيته .

فرع : إذا أجز نفسه أو عبيده أو أمواله فعجزه السيد في المدة انفسخ العقد . (ألزموا) أي : العلماء (سيده بدفعه . جزءاً له من دينه) بعد قبضه (أو وضعه) عنه لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَاهُ مِن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور : ٣٣] فسر الإيتاء بما ذكر ؛ لأن القصد منه الإعانة ، والخط أولى من الدفع لأنه المنقول عن أكثر الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وفي النجم الأخير أولى لأنه أقرب إلى العتق ، ويكفي ما يقع عليه الاسم (وحيث أدى العبد) المكاتب (كل ما بقي . عليه بعد وضعه فليعتق) وكذلك لو أبراه السيد ، ولا يحصل بأداء بعض النجوم أو الإبراء عنها عتق بعض العبد ، بل يتوقف على أداء الكل أو الإبراء لقوله ﷺ : « المكاتب عبد ما بقي عليه من مكاتبته درهم » رواه أبو داود [٣٩٢٦] (٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال في « الروضة » : إنه حديث حسن . وقول الناظم : ما أبي ؛ بالبناء للمفعول .

(١) والترمذي (١٢٦٠) وقال : غريب ، وابن ماجه (٢٥١٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » ١٠ / ٣٢٣ — ٣٢٤ .

باب أم الولد

الأصل فيه خير : « أَيْمًا أمةً ولدت من سيدها فهي حرة عن دبر منه » رواه ابن ماجه [٢٥١٥] والحاكم [١٩/٢] وصححه إسناده ، وخبر : نهى عن بيع أمهات الأولاد وقال : « لا يُبْعَن ولا يُؤَهَّبَن ولا يُؤَرَّثَن ، يستمتع بها سيدها ما دام حياً ، فإذا مات فهي حرة » رواه ابن القطان^(١) وحسنه .

(ومن يطأ قتله فتحبيل) بوطئه أو مائه المستدخل
(تصر بوضع حملها أم ولد) إن بان خلق آدمي في الولد
(وبعد ذا للسيد الإجاره) والأرش والتزويج والإعـاره
(والوطء واستخدامها بلا شبه) لا يبيعها ورهنها ولا الهبة
(وإن تلد من غيره فنجلها) من الزنا أو من نكاح مثلها
(أو قنعة لغيره زنى بها) أو في نكاح فانيها لربها
(أو شبهة كظنه الزوجية) أو غر في التزويج بالحريه
(ففرعه حر نسب غرمة) قيمته في الحال سيد الأمة
(وإن يطأ رقيقه منكوحته) أو باشتباه ثم صارت قتله
(فالوطء لم تصر به أم ولد) قطعاً ولا بشبهة في المعتمد
(وحيث أثبتنا له إيلادها) فمات عنها بلغت مرادها
(بأن يزول رقبها فتعتقا) قبل الوصايا والديون مطلقاً

(ومن يطأ) من المسلمين والكفار (قتله) أي : أمة (فتحبيل . بوطئه أو مائه المستدخل * تصر بوضع حملها أم ولد) للأخبار الواردة (إن بان) أي : ظهر (خلق آدمي في الولد) ولو برأي

(١) ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما الدارقطني ١٣٥/٤ ، والبيهقي ٣٤٢/١٠ — ٣٤٣ . قال ابن الملقن في « الخلاصة » (٢٩٩٠) : وصححا وقفه ، وواقفهما الخطيب البغدادي وعبد الحق . وخالف ابن القطان فصحح رفعه أو حسنه وقال : رواه كلهم ثقات . قال : وعندي أن الذي أئسنده ثقة ، خير من الذي أوقفه ، ولا مزيد على تحقيقه .

أهل الخيرة^(١) . أما لو قالوا : إنه أصل آدمي ولو بقي لتصور فلا يثبت به الإيلاد ، ولا يجب به غرة لأنه لا يسمى ولداً (وبعد ذا للسيد الإجاره . والأرش) أي : وأرش جناية عليها (والتزويج) بغير إذنها في الأصح (والإعارة * والوطء) إن لم يمنع منه مانع (واستخدامها) لا يبيعها ورهنها ولا الهبة (فلا يجوز للسيد ذلك لخبر : نهى عن بيع أمهات الأولاد وقال : « لا يُبْعَن ولا يُؤَهَّبَن » المتقدم .

تنبيه : يصح بيعها من نفسها لأنه عتاقة في الحقيقة . (وإن تلد) أي : أم الولد (من غيره) أي : السيد (فنجلها) أي : ولدها (من الزنا ومن نكاح مثلها) أي : فالولد للسيد يعتق بموته كهي . وقوله : (أو قنعة لغيره) أشار به إلى أنه لو وطئ أمة غيره بنكاح أو زناً (فانيها لربها) أي : مالكة بالإجماع . (أو) وطئها بـ (شبهة كظنه الزوجية) أي : بأن ظنها زوجته الحرة (أو غر في التزويج بالحريه) : أو غر بحرية أمة فنكحها (ففرعه) منها (حر نسب) كما ذكر نظراً إلى ظن أبيه ، وعلى الواطئ بالشبهة قيمة الولد لسيد الأمة ؛ لأنه قوت رقبته عليه بظنه كما قال الناظم : (غرمة . قيمته في الحال سيد الأمة * وإن يطأ رقيقة منكوحته . أو باشتباه ثم صارت قتله) أي : أتمته بأن ملكها (فالوطء) المذكور (لم تصر به أم ولد . قطعاً) في النكاح ، ولا تصير أم ولد بوطئها في شبهة في المعتمد . (وحيث أثبتنا له إيلادها . فمات) السيد (عنها بلغت مرادها) فتعتق بموته وإن قتلته ، كما قال : (بأن يزول رقبها فتعتقا . قبل الوصايا والديون مطلقاً) ويُزول الاستهلاك منزلة الاستيلاء ، حتى أن استيلاء المريض في مرض الموت كاستيلاء الصحيح في النفوذ من رأس المال وهو كإتفاق المال في اللذات والشهوات . وقول الناظم : بلا شبهة ؛ بضم الشين المعجمة ، وفتح الموحدة . والألف في قوله : فتعتقا ؛ للإطلاق .

(وتم نظم غاية التقريب) سميته نهاية التدريب
(أبياتـه ألف وخمس ألف) وزد عليها ربع عشر الألف
(نظم الفقير الشرف العمريطي) ذي العجز والتقصير والتفريط

(تم) أي : كمل (نظم غاية التقريب) المسمى بـ (نهاية التدريب) بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه . (و (أبياتـه) عدتها : (ألف و) مئتان وخمسة وعشرون من أبيات الرجز (نظم الفقير) إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ (الشرف) ذي الدين (العمريطي . ذي العجز والتقصير والتفريط) أعلى الله درجته وأسكنه جنته ، وقد جاء هذا النظم روضة قد توضع

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى : سواء كان الولد حياً أو ميتاً أو مضغة مصورة بشيء من خلق آدمي .

نشرها ، وخزانة علم مشتملة على عرائس من نقائس الفقه عظيم قدرها ، وجاء شرحه مصباحاً يجلو حسنه ، ويظهر به لمتفهميه طرائق تسهل عليهم حزنه ، ليس بطويل مسهب ماداً لسهامه ، ولا قصير معقد يصعب على طالبيه مرامه . أسأل الله تعالى أن يثيبه على نظمه ويثيبني على شرحه الثواب الجزيل ، فإنه أكرم مسؤول ، وهو حسبي ونعم الوكيل . ونحى لناظم أن يحمده ربه على تمام نظمه حيث سهله ودفع الموانع عنه ، فلا جرم تحتم منظومته بالحمد ، ثم بالصلاة والسلام كما بدأ بذلك رجاء قبول ما بينهما فقال :

(فالحمد لله على تمامه ثم صلاة الله مع سلامه)
(على النبي وآله وصحبه والتابعين ثم كل حزيه)

وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بذلك ، وأنا أتوسل إلى الله تعالى وأسأله أن يثمن علي وعلى أحبائي بتوبة صادقة ، ونعمة وافية ، وعافية دائمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . اللهم لك الحمد الأتم على كل نعمة كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الحمد على كل حال كما تحب ربنا وترضى ، اللهم إنا سائلوك باسمك الأعظم في مقام إجابة أن تصلي على سيدنا محمد سيد عبادك وعلى سائر النبيين وآل كل والصالحين . منتهى المن ، وأن تنفع بما اشتمل عليه هذا الكتاب أجمع جميع المسلمين ، وأن تصونه من الخطأ والحرام ومن حظوظ الشيطان ، وأن تجعل لنا به طريقاً إلى موجبات الغفران والرضوان في أعلى الجنان .

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أكررها ألفين آميناً

٤٨٦٣٦٧

ثم تهذيبه والتعليق عليه بحمد الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه على يد طالب عفو ربّه الكريم العظيم، قاسم النوري بن محمد بن عارف بن سليم — غفر الله له ولوالديه ولمشاينحه وأحبابه والمسلمين — وذلك في أصيل الأربعاء آخر يوم من شهر ذي الحجة الحرام سنة أربع عشرة وأربع مئة وألف من هجرة سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحبه أجمعين .

نفع الله به كما نفع بأصله وفقهنا في الدين ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعله حجة لنا لا علينا بفضلته وكرمه آمين والحمد لله رب العالمين .

وأخيراً أقول كما قال المؤلف رحمه الله تعالى في « شرح الزبد » : جمعت هذا مع العجز وقلة البضاعة ، راجياً الاندراج في سبيلك خذمة العلم والمرجو من فضل الله تعالى أن من أطلع على هفوة أو خطأ أو زلة قلم فليصفح الصفح الجميل ، ويسد الخلل^(١) ، ولست يجيولاً على الرشد ، والإنسان محل النسيان^(٢) ، لكن في الجملة كما قالوا : من آلف فقد استهدف ، وعلى الله توكلت وإليه أنيب .

(١) قال الأخضري رحمه الله تعالى في نظمه « السُّلم » :

وإن يديه فلا تبدل
وأصلح الفساد بالتأمل
وقال أحدهم :

فلا يد من عيب فإن تجدنه
فماح وكن بالستر أعظم مفضل
محاسن قد تمت سوى خير مرسل

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الـ

ورحم الله القائل :

أما الكريم إذا رأى عيباً ستر

أما الكريم إذا رأى عيباً ستر

(٢) ويرحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي ، قال السيوطي رحمه الله تعالى :

لما أبديت مع عجزتي وضعفي
ومن لي بالقبول ولو بحرف

حمدت الله ربّي إذ هداني
فمن لي بالخطأ فأرد عنه

ثبت مواضع تهذيب تحفة الحبيب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	أ	باب ما يحرم على المحدث	٧١
تصدير	ب	كتاب الصلاة	٧٦
أبو شجاع وكتابه	ج	شروط وجوب الصلاة	٨١
العمريني ونظمه	د	باب النفل وأقسامه	٨٣
الفقهي وتحفة الحبيب	هـ	باب شروط الصلاة	٨٧
المصحح المعلق	و	باب أركان الصلاة	٩١
عملي في « تهذيب تحفة الحبيب »	ز	فصل في بيان سنن الصلاة قبل الدخول فيها	٩٩
مقدمة الشارح الفقهي	٣	أبواب الصلاة	١٠٠
الكلام على البسملة	٤	فصل في هيئات الصلاة	١٠١
معنى الصلاة على النبي ﷺ	٥	فصل ما يختلف فيه الذكر والأثنى	١٠٦
مناقب الشافعي	٦	فصل في مبطلات الصلاة	١٠٨
الفقه وغاية القريب	٨	فصل ما تشتمل عليه الصلاة وما عند العجز	١١١
وصف نهاية التدريب	٩	باب سجود السهو	١١٥
كتاب الطهارة	١١	فصل في الأوقات التي تكره فيها الصلاة	١١٩
أقسام المياه	١٣	باب صلاة الجماعة	١٢١
الماء الطاهر والمستعمل	١٤	باب صلاة المسافر	١٢٨
الماء النجس	١٥	باب صلاة الجمعة	١٣٢
حديث القلتين	١٦	بيان آداب الجمعة	١٣٧
حكم تنجس الماتعات وغسالة النجاسة	١٧	باب صلاة العيد	١٤٠
باب السواك والآنية	١٨	باب صلاة الكسوفين	١٤٣
استعمال الأواني	٢٠	باب صلاة الاستسقاء	١٤٥
باب الوضوء	٢١	باب كيفية صلاة الخوف	١٥٠
سنن الوضوء	٢٥	فصل في اللباس والزينة	١٥٢
باب المسح على الخفين	٣١	كتاب الجنائز	١٥٥
باب الاستنجاء	٣٥	فصل في غسل الميت	١٥٩
آداب قاضي الحاجة	٣٧	تكفين الميت	١٦٠
باب نواقض الوضوء	٤٠	فصل في الصلاة على الميت	١٦١
باب الفسل	٤٣	فصل في حمل الميت ودفنه	١٦٣
فصل في الأغسال المستنونة	٤٨	أحكام القبور وتلقين الميت	١٦٦
باب التيمم	٥١	كتاب الزكاة	١٦٨
حكم الجبيرة	٥٦	فصل في نصاب البقر والغنم	١٧١
باب النجاسة	٥٨	فصل في زكاة خلطة الأوصاف	١٧٢
المغفورات	٦٢	فصل نصاب الزروع والثمار	١٧٤
تطهير النجاسات	٦٣	باب زكاة النقدين	١٧٦
باب الحيض	٦٧	باب زكاة القنطريون	١٧٩

٤٣٤	أحكام الجهاد	٣٥٥	باب الخلع	٢٨٩	فوائد النخل	١٨١	فصل في قسم الصدقات
٤٣٦	باب الغنمة	٣٥٧	باب الطلاق	٢٩١	فصل في المزارعة والمخابرة	١٨٥	كتاب الصيام
٤٣٩	باب قسم الفيء	٣٥٩	أحكام الطلاق	٢٩٣	باب الإجارة	١٩١	فصل في ما يوجب الكفارة والقدية
٤٤١	باب الجزية	٣٦٠	فصل في الاستثناء والتعليق	٢٩٦	باب الجمالة	١٩٥	باب الاعتكاف
٤٤٦	باب الصيد والذباح	٣٦٣	باب الرجعة	٢٩٨	باب إحياء الموات	١٩٨	كتاب الحج
٤٥١	باب الأطعمة	٣٦٥	باب الإيلاء	٣٠٠	شروط بذل الماء وحكم المعدن في الموات	٢٠٦	واجبات الحج
٤٥٤	باب الأضحية	٣٦٧	باب الظهار	٣٠١	جواز الوقوف في الشوارع للبيع	٢٠٧	المقات الزماني والمكاني
٤٥٨	باب العقيدة	٣٦٩	باب اللعان	٣٠٢	باب الوقف	٢٠٨	الميت بالمزدلفة ومنى
٤٦٠	باب السبق والرمي	٣٧٢	باب العدة	٣٠٥	باب الهبة	٢٠٩	طواف الوداع
٤٦٢	حكم رهان العوام	٣٧٥	باب الاستبراء	٣٠٨	باب اللقطة	٢١٠	سنن الحج
٤٦٣	باب الأيمان	٣٧٧	فصل في ما يجب للمعتدة	٣١١	لقطة الحرم	٢١١	محرمات الإحرام
٤٦٩	باب النذر	٣٨٠	باب الرضاع	٣١٢	باب اللقيط	٢١٧	فصل في الدماء وما يقوم مقامها
٤٧١	حكم نذر الحج	٣٨٣	باب النفقات	٣١٣	باب الوديعة	٢٢١	حكم الشرب من زمزم
٤٧٢	كتاب القضاء	٣٨٨	باب الحضنة	٣١٥	كتاب القراض	٢٢٢	زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم
٤٧٦	حكم الضيافة والهبة	٣٩٠	كتاب الجنائيات	٣١٨	أبواب الميراث	٢٢٤	كتاب البيع
٤٨٠	باب القسمة	٣٩٢	فصل في شرائط وجوب القصاص	٣١٩	أبواب الإرث	٢٢٩	باب الربا
٤٨٢	باب الدعوى	٣٩٦	باب الذمات	٣٢٠	فصل في القروض	٢٣٢	باب الخيار
٤٨٥	باب الشهادات	٤٠٢	حكم إياته الأطراف	٣٢٤	فصل في التعصيب	٢٣٥	فصل في البيع قبل بدو الصلاح
٤٨٩	شهادة الأعمى	٤٠٥	فصل في القسامة	٣٢٧	باب الوصية	٢٣٧	باب السلم
٤٩١	كتاب العتق	٤٠٧	باب الكفارة	٣٣١	كتاب النكاح	٢٤٢	باب الإقراض
٤٩٣	باب الولاء	٤٠٨	حكم العائن	٣٣٢	خصائص النبي ﷺ	٢٤٥	باب الرهن
٤٩٥	باب التدبير	٤٠٩	باب حد الزنا	٣٣٣	سنن النكاح	٢٤٨	حكم وقف الكتب
٤٩٧	باب الكتابة	٤١٣	باب التعزير	٣٣٥	فصل في حكم عورة النظر	٢٤٩	باب الحجر
٥٠٠	باب أم الولد	٤١٤	باب حد القذف	٣٣٨	أركان النكاح	٢٥٤	باب الصلح
٥٠٢	خاتمة الكتاب	٤١٦	باب حد المسكر	٣٣٩	حكم الشاهدين	٢٥٧	فصل في حكم الروشن
٥٠٣	ثبت مواضع تهذيب تحفة الحبيب	٤١٩	باب حد السرقة	٣٤٠	حكم الأولياء	٢٥٩	باب الخوالة
		٤٢٢	باب قطاع الطريق	٣٤٢	فصل في المحرمات	٢٦١	باب الضمان
		٤٢٣	لطائف تتعلق بالتوبة	٣٤٣	محرمات الرضاع	٢٦٤	فصل في كفالة البدن
		٤٢٤	شروط التوبة	٣٤٤	محرمات المصاهرة	٢٦٥	باب الشراكة
		٤٢٥	باب الصيال	٣٤٤	فصل في ميثقات الخيار	٢٦٩	باب الوكالة
		٤٢٦	حكم ما تملكه البهائم	٣٤٥	اختلاف الزوجين	٢٧٣	باب الإقرار
		٤٢٨	باب المياعة	٣٤٦	فصل في الصدقات	٢٧٧	باب الغارية
		٤٣٠	باب الردة	٣٤٨	حكم الوليمة	٢٨٠	باب الغصب
		٤٣١	حكم تارك الصلاة	٣٤٩	شروط إيجابتها	٢٨٢	باب المشفعة
		٤٣٢	كتاب الجهاد	٣٥١	باب القسم والنشوز	٢٨٥	باب القراض
				٣٥٣	حكم النشوز	٢٨٨	باب المساقات